المُحاضَرات

في الأدب واللّغة

تأليف

الحسن اليوسي

(المتوفى عام ١١٠٢ هـ)

الجزء الأوّل

تحقيق وشرح

محمد حجّي — أحمد الشرقاوي إقبال



الطبعة الأولى 1982 م
الطبعة الثانية 2006 م

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787-113 بيروت

المحاضرات

في اللغة والادب

مقدمة الطبعة الثانية

ترجمة اليوسي في نصوص منسوبة

اسمه ونسبه وكناه

عرف اليوسي باسمه ونسبه في المحاضرات فقال :

« أنا الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم ابن محمد بن أحمد بن علي بن عمرو بن يحيى بن يوسف ، وهذا هو أبو القبيلة ابن داوود بن يدراسن بن يلنتن . . . » .

وشرح فيها نسبته باليوسي فقال :

« . . . وأما اليوسي فأصله اليوسفي كما مرّ من أن يوسف هو أبو القبيلة ، وهم يسقطون الفاء في لغتهم . . . » .

وأورد بها كناه ومن كناه بها من الأشياخ والفضلاء فقال :

« والكنية أبو علي وأبو المواهب وأبو السعود وأبو محمد ، أما أبو علي وهي كنية الحسن المشهورة فكناني بها شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي ، وأما البواقي فكناني بها فضلاء من الإخوان في رسائلهم . . . » .

أولية أمره

وذكر اليوسي أولية أمره في **فهرسه** فقال :

« كنت في صغري نفوراً عن التعليم ، فكنت أتنكب المكتب وأكمن في طريق الصبية حتى إذا خرجوا من المكتب جئت معهم إلى أهلي كأني قد قرأت معهم ، وسبب ذلك أني كنت شديد الحياء في صغري حتى كان الحياء يمنعني من ضروريات نفسي لأنه ألقي في وهمي أن من دخل المكتب كيف يتأتى له أن يخرج في قضاء حاجة الإنسان وكيف يمكنه أن يذكر ذلك ويشاور عليه المؤدب ، فلم يمكني إلاّ الهروب ، فمكثت على ذلك مدة ، ثم توفيت والدتي فتنكرت علي الأرض وأهلها

فما الناس كالناس الذين عهدتهم ولا الدار كالدار التي كنت تعرف

وكان ذلك سبب الفتح ، فألقى الله في قلبي قبول التعليم فدخلت أتعلم ، ولم ألبث إلاّ قليلاً حتى جعلت أطلب والدي أن يقربني إلى الأمصار طلباً للقراءة ، فقربني لناحية القبلة فختمت القرآن العظيم ، ثم رجعت لبلادنا فذهبت لزيارة الولي الصالح سيدي أبي يعزى ، وقد وقع في سمعي أن الناس يطلبون الحوائج عنده ، فحضر في قلبي ثلاث حوائج : العلم والمال والحج ، وذلك مبلغ عقلي في صغري ، فحصل ذلك والحمد لله ، وكان معلمي للقرآن هو أبو إسحاق بن يوسف الحداد اليوسي ، واستفدت منه فوائد ، وكان عنده مجموع فيه **المورد العذب وبحر الدموع** للإمام ابن الجوزي ، فكنت آخذه أنظر فيه حكايات الصالحين كأويس القرني ، وإبراهيم بن أدهم ، وإبراهيم الخواص وغيرهم ، فانتقشت تلك المآثر في عقلي ووقعت حلاوتها في قلبي فكان بدءاً لما أنعم الله به عليّ من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسليم لهم ، ثم شرعت في طلب العلم إلى أن فتح الله عليّ بما فيه فتح ، وكانت قراءتي

كلها أو جلها فتحاً ربانياً، ورزقت – ولله الحمد – قريحة وقادة وفطنة ذكية فكنت بأدنى سماع وأدنى أخذ ينفعني الله ، فقد أسمع بعض الكتاب ويفتح الله عليّ في جميعه فتحاً ظاهراً وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه ، ورب كتاب لم أسمعه أصلاً غير أن سماع البعض في كل فن صار بدواً للفتح وتتميماً لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ . ولا تستوحش مما ذكرناه من قلة سماع الكتب والفنون ظناً منك أن الربح يكون أبداً على قدر رأس المال كلاّ فقد يبلغ الدرهم ألف مثقال ، وما ذلك على الله بعزيز ، انتهى من الفهرسة باختصار وزيادة ونقص » .

نقلاً بالنص الحرفي التام عن « صفوة من انتشر » للافراني (ص 206 – 207) .

رحلته في طلب العلم ولقاء الأشياخ

أما رحلاته في طلب العلم ولقاء الأشياخ فيقول عنها الكتاني في **فهرس الفهارس** (2 : 465) ما نصه :

« جال المترجم في بلاد المغرب حاضره وباديه لأجل طلب العلم وخصوصا بالصحراء وبلاد البربر وسوس وبلاد الساحل ، وأخذ عن أعلام فصل أخذه عنهم تلميذه الهشتوكي في « قرى العجلان » وإن لم يذكر ذلك هو في فهرسته ، على أنه لم يكملها ، نعم يروي عامة عن أبي عبد الله بن ناصر الدرعي ، وشيخه ابن سعيد المرغتي السوسي ، ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي المعروف بالمرابط ، وأبي السعود عبد القادر الفاسي » .

ثم يقول عنه – بعد – رواية عن المسناوي تلميذه :

« لم يكن له اعتناء بالرواية . وإنما كان الغالب عليه الدراية » .

وتصوف اليوسي على يد الشيخ أبي عبد الله بن ناصر ، أخذ عنه العهد ، وصار يلقن طريقته للمريدين ، وفي هذا الشأن يقول الافراني في **الصفوة** (ص 209) :

« وأما علم الباطن فعمدته فيه هو الإمام أبو عبد الله بن ناصر ، هو طبيب علته ومبرد غلته ، قال في **الفهرس** : هذا الشيخ هو الذي أخذنا عنه العهد والورد ، وإليه ننتسب ، وكل من نذكره سواه فإنه على طريق انتفاع ما انتهى ».

واليوسي هو الذي أنشأ الزاوية الناصرية القائمة بمراكش والواقعة بحي روض العروس قريباً من ضريح الشيخ أبي عمرو القسطلي وضريح الشيخ الجزولي أخبر بذلك العباس بن إبراهيم في **أعلامه** (3 : ص 163) فقال :

« والمترجم سيدي الحسن اليوسي هو الذي أنشأ الزاوية الناصرية برياض العروس بمراكش على ما حدثني به سيدي الأمين الناصري » .

ثناء العلماء عليه

نعته الشيخ محمد المرابط الدلائي في إجازته له فقال :

« . . . الصدر الرئيس ، فارس الإملاء والتدريس ، شيخ الجماعة بالديار البكرية ، والحضرة الدلائية ، ذو التدقيق المعهود أبو الحسن بن مسعود ، صاحب النباهة الشامخة ، والنزاهة الباذخة ، والجلالة العليا ، والهمة التي نيطت بالثريا ، المتمسك من الرواية بأسبابها ، ومن النزاهة بأهدابها ، من ألقت إليه المعارف زمامها ، وجمعت السيادة ما وراءها من المجد وأمامها ... ».

(**فهرسة اليوسي**) مخطوطة الخزانة العامة (رقم 1234 ورقة 67)

وقال عنه أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي فيما أجازه به :

« . . . الفقيه العلاّمة ، المحقق الفهامة ، الصدر الأوحد ، والعلم المفرد ، رئيس الإقراء ، والمتهيىء للمناصب العلمية الشماء ، الباذل في إيصال النفع لطالبيه غاية المجهود ، أبو علي الحسن بن مسعود . . . » .

« **نشر المثاني** » لابن الطيب القادري (2 : 146 ـ 147) طبع الحجرية بفاس ١٣١٠ هـ .

وقال عنه الافراني في **الصفوة** :

« وكان أبو علي رحمه الله تضلع في العلوم العقلية وبرز فيها على أبناء وقته حتّى قال في تأليفه المسمى « **بالقول الفصل ، في الفرق بين الخاصة والفصل** » إنه بلغ درجة الشيخ سعد الدين التفتازاني والسيد الجرجاني وأضرابهما بحيث يقبل من كلام العلماء ويرد ، وسأله يوماً سائل بدرسه عن مسألة فقال له : اسمع ما لم تسمعه من إنسان ، ولا تجده محرراً في ديوان ، ولا مسطّراً ببنان ، وإنما هو من مواهب الرحمان » .

نقلاً عن **صفوة من انتشر** للافراني (ص 208) .

ثم زاد يقول :

« وكان شاعراً مفلقاً ، النظم عنده أسهل من التنفس حتّى كان يقول لو شئت ألا أتكلم إلاّ بالشعر لفعلت » . **صفوة من انتشر** (ص 210) .

وذكره ابن زاكور في **نشر أزاهر البستان** (ص 88) فقال بشأنه :

« . . . حبر الأحبار ، وجهينة الأخبار ، وزين القرى والأمصار ،

العظيم النظير في سائر الأقطار . من أسعد بمطالع أنواره كواكب نحوسي ، وأعراني من ملابس بوسي . وألحفني بمطارف المسرات عن حنادس عبوسي . مولاي أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي . . . » .

وقال عنه ابن الطيب القادري في **نشر المثاني** (2 : 142) المطبعة الفاسية 1310 هـ :

« الإمام الكبير ، المحقق الشهير . . . كان عالماً ماهراً في المعقول والمنقول ، وأقبل عليه الناس إقبالاً عظيماً ، فكان حيثما قرأ أطبق عليه الناس . وكان آية في الأدب والنقل والإدراك ، وحفظ كلام الأدباء ، يستحضر ديوان أبي تمام وأبي الطيب والمعري ويسرد قصائد عن ظهر قلب » .

ثم قال عنه (2 : 151) :

« وكان له أصحاب وأتباع وإقبال من الناس ، ولا يكون مجلسه إلاّ غاصاً بالأعيان . وكان محققاً للدراية والرواية ، له عارضة كبيرة في النقل والتحقيق وحكي لنا أنه بقي في تدريس تفسير الفاتحة بفاس نحو ستة أشهر... ».

وأطراه الكتاني في فهرس الفهارس (2 : 464) فقال :

« . . . عالم المغرب ونادرته وصاعقته في سعة الملكة وفصاحة القلم واللسان مع الزعامة والإقدام والصدع بما يتراءى له وكثرة التصنيف على طريق بعد العهد بمثله وهو الكلام المرسل الخالي من النقل إلاّ ما لا بد منه . . . » .

ونوه الحجوي بمشاركته ورياسته في الفكر السامي (4 : 116) فقال :

« . . . فقيه ، أصولي ، لغوي ، أخباري ، أديب ، شاعر ، نظار ،

مشارك . ماهر في الفنون . انتهت إليه الرياسة الكبرى في العلم في وقته . وله شهرة ذائعة في المغرب والمشرق . . . » .

مجدد المائة الحادية عشرة

ارتفعت مكانة اليوسي عند الناس وعلا مقامه بين أهل العلم حتى ادعي له أنه مجدد المائة الحادية عشرة ، وفي هذا الشأن يقول الافراني في **الصفوة** (ص 208) :

« . . . وبالجملة فهو آخر العلماء بل خاتمة الفحول من الرجال حتى كان بعض أشياخنا يقول : هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل بحيث صار إمام وقته وعابد زمانه » .

وفي **سلوة الأنفاس** للكتاني (3 : 82) :

« . . . وقد عد من المجددين على رأس القرن الحادي عشر . . . » .

وجاء في **أعلام** العباس بن إبراهيم (3 : 162) رواية عن : « **إفادة التنبيه ، فيمن ادعى الاجتهاد أو ادعي فيه** » ما نصه :

« ومنهم عالم المغرب ونادرة الدنيا في وقته الحسن بن مسعود اليوسي رضي الله عنه سمعت من يقول من وعاة التاريخ ببلدنا : لو كان له مذهب لاتبع » .

وفاة اليوسي

« ومما يعد من مناقبه أن قوماً ذهبوا لزيارته فبينما هم في الطريق رأى رجل منهم في نومه أن الشمس قد غربت فقصها على أصحابه فقالوا له : لعل الشيخ قبض الليلة . فلما بلغوه وجدوه قد توفي تلك الليلة » .

صفوة من انتشر (ص 210) .

« توفي رحمه الله ورضي عنه عقب قفوله من الحج يوم الاثنين خامس عشر ذي الحجة عام اثنين ومائة وألف ودفن بموضع يعرف بتمزيزت بقرب قرية صفرو على نصف مرحلة من فاس ونقل من مدفنه بعد نحو عشرين سنة إلى موضع آخر هنالك فوجد كما دفن رضي الله عنه على ما حكي ، ومثل هذا معلوم لغير واحد من أولياء الله » .

نشر المثاني ج 2 ص 151 . الطبعة الفاسية 1310 هـ .

وقال الكتاني في **السلوة** (3 : 81) عن قبره :

« . . . وهو في قبة رفيعة أنيقة عليه دربوز يزار به . . . » .

مراجع ترجمة اليوسي

* **التقاط الدرر ، ومستفاد المواعظ والعبر ، من أخبار أعيان المائة الثانية والحادية عشر** ،للقادري . مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 676 د .

* **الأدب المغربي** لابن تاويت وعفيفي،ص 311 وما بعدها،الطبعة الأولى بيروت 1960 .

* **الاستقصا** للناصري ، ج 7 ص 108 ـ 109 ،طبعة دار الكتاب المغرب .

* **إظهار الكمال،في تتميم مناقب سبعة رجال** ، للعباس بن إبراهيم التعارجي، ص 286 ـ 288 المطبعة الحجرية بفاس .

* **الأعلام** لخير الدين الزركلي ، ج 2 ص 227 ـ 228 ،الطبعة الثانية .

* **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** ، للعباس بن إبراهيم التعارجي ، ج 3 ص 154 ـ 163 ،المطبعة الملكية بالرباط 1975 .

* **تاريخ الأدب العربي** لكارل بروكلمان ، الملحق (2 : 675 ـ 676) .

* **تاريخ أدب اللغة العربية** لجرجي زيدان،ج 3 ص 306 ـ 307،طبعة دار الهلال 1975 .

* **تاريخ تطوان** ، لمحمد داوود . القسم الثالث من المجلد الأول ص 411 — 415 ، تطوان 1959 .

* **تاريخ الشعر والشعراء بفاس** ، لأحمد النميشي ، ص 32 ، فاس 1924 .

* **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية** ، للدكتور محمد الأخضر الطبعة الأولى ، الدار البيضاء 1977 .

* **الدرر المرصعة ، في أخبار أعيان درعة** ، لأبي عبد الله محمد المكي بن موسى الناصري ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 265 ك .

* **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** ، لابن سودة .ج 1 ص 88 — 188 ج 2 ص 312 .

* **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ، للدكتور محمد حجي ، الرباط المطبعة الوطنية 1964 .

* **سلوة الأنفاس ، ومحادثة الأكياس ، عمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ، لمحمد بن جعفر الكتاني ،ج 3 ص 361 — 362 ، المطبعة الحجرية بفاس 1316 هـ .

* **شجرة النور الزكية ، في طبقات المالكية** ، لمحمد بن محمد مخلوف ص 328 — 329 ، نشرة دار الكتاب العربي ببيروت .

* **صفوة من انتشر ، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر** ، لمحمد الصغير الافراني ، ص 206 — 210 ، المطبعة الحجرية بفاس دون تاريخ .

* **الفكر السامي ، في تاريخ الفقه الإسلامي** ، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، ج 4 ص 116 ـ 118 .

* **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** ، للشيخ عبد الحي الكتاني ، ج 2 ص 464 ـ 470 ، فاس سنة 1347 هـ .

* **مؤرخو الشرفاء** لليفي بروفنصال ص 189 ـ 191 ، ترجمة عبد القادر الخلادي ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط 1976 .

* **معجم المؤلفين** ، لعمر كحالة . ج 3 ص 394 ـ 395 .

* **معجم المطبوعات** ، ليوسف اليان سركيس ، 1959 .

* **مناقب الحضيكي** ، ج 1 ص 295 ـ 301 ، المطبعة العربية بالدار البيضاء 1357 هـ .

* **المنزع اللطيف ، في التلميح بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف** ، لابن زيدان ، ص 309 مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 395 .

* **النبوغ المغربي ، في الأدب العربي** ، لعبد الله كنون ، ج 1 ص 285 ـ 286 ج 2 ص 307 ـ 314 ج 3 ص 37 ـ 38 ، دار الكتاب اللبناني (بيروت) 1961 .

* **نزهة الحادي** ، لمحمد الافراني . ص 245 وما بعدها .

* **نشر أزاهر البستان ، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان** ، لمحمد بن قاسم ابن زاكور ، ص 88 ـ 90 ، المطبعة الملكية بالرباط 1967 .

* **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، لمحمد بن الطيب القادري ج 2 ص 142 ـ 151 ، المطبعة الحجرية بفاس 1310 هـ .

* **يتيمة العقود الوسطى ، في مناقب أبي عبد الله محمد المعطي** ، لمحمد العبدوني ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 305 ك .

* **اليواقيت الثمينة ، في أعيان مذهب عالم المدينة**، لمحمد البشير الأزهري ، ج 1 ص 133 ـ 135 ، مطبعة الملاجىء العباسية مصر 1324 هـ .

* **اليوسي ـ مشاكل الثقافة المغربية في القرن السابع عشر** ، للمستشرق الفرنسي جاك بيرك ، باريس موطون ومن معه ، لاهاي ، 1958 .

آثار اليوسي

خلف اليوسي نيفاً وأربعين أثراً كتابياً ما بين كتاب ورسالة وهذا مسرد بطائفة منها :

(1) أربعة وعشرون سؤالاً في مصاحبة الشيخ وتأدية الأوراد . . . الخ

يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط برقم 612 ج ضمن مجموع (من ورقة 48 ب / إلى 52 / أ) .

(2) تأليف في العكاكزة (من الفِرَقِ المغربية الضالة) .

يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط برقم 1224 د ضمن مجموع (من ورقة 167 ـ 168).

(3) حاشية على كبرى السنوسي .

توجد مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط برقم 2645 ك وبمكتبة القرويين بفاس وبالمكتبة الحمزاوية وبدار الكتب المصرية .

(4) الديوان .

يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط وبالجزائر وباريس وصدرت له طبعة على الحجر بفاس .

(5) رسالة في نعيم أهل الجنة .

توجد مخطوطة بمكتبة ابن غازي بمكناس .

(6) **زهر الأكَم في الأمثال والحِكَم .**

منه مخطوطات بالخزانة العامة بالرباط بالأرقام التالية (71 د 191 د 1001 د 1159 د 596 ج 178 ج) ويوجـــد مخطوطاً بمكتبة الجزائر (184280) وبمكتبة القرويين بدون رقم وبدار الكتب المصرية (14097 — 14842) أدب وبالمكتبة الوطنية بباريس (52304) .

وهو على وشك أن يصدر محققاً عن معهد الدراسات للتعريب بالرباط .

(7) **فهرس اليوسي .**

يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط (1234 ك) ضمن مجموع (من 103 — 147) .

وبشأنها يقول الكتاني في فهرس الفهارس (2 : 465) ما نصه :

« ولليوسي فهرسة ملأها علماً وتطاولاً بعد العهد بمثله ، وكان يريد إخراجها في جزء كبير ، ولكن لم يكملها ، والذي تم منها في نحو خمس كراريس ، قال في أولها إنه رتبها على مقدمة تشتمل على فوائد وخمسة فصول : الفصل الأول في ذكر أشياخه في التعليم مع الإلمام بشيء من الفوائد الواقعة معهم ، الثاني في ذكر الأشياخ في الدين ولو بطريق التبرك ، الثالث في ذكر شيء مما ألهم الله في آية أو حديث أو شعر أو كلام من فهم طريق الإشارات ، الرابع في ذكر شيء مما خوطبت أو خاطبت به من نثر أو نظم ، الخامس في جمع الفوائد الملفوظة من أي نوع كان » .

(8) **القانون** (موسوعة) .

يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط وبالمكتبة الوطنية بباريس . طبع على الحجر بفاس عام 1310 هـ ثم عام 1315 هـ .

(9) القصيدة الداليّة .

في مدح الشيخ محمد بن ناصر .

توجد منها نسخ خطية بالخزانة العامة بالرباط وبمكتبة القرويين وكذا بالقاهرة وباريس .

وطبعت مع شرحها بمصر عام 1291 هـ ثم عام 1329 هـ .

(10) قواعد الإسلام ، من مضمون حديث النبي عليه السلام .

(مضمونه واجبات المكلف) .

يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة ضمن مجموع (ورقة 27/ أ ـ 42 / أ) .

(11) القول الفصل ، في الفرق بين الخاصة والفصل .

مخطوط بالخزانة العامة برقم (1072) د ضمن مجموع (من 196ـ223)

(12) الكناشة العلمية .

أودع فيها أشياء من التفسير والحديث والتصوف والتاريخ .

وتوجد مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط .

(13) المحاضرات .

سيأتي الكلام عنها بعد .

(14) مشرب العام والخاص ، من كلمة الإخلاص . أو منهج الخلاص من كلمة الإخلاص .

طبع على الحجر بفاس عام 1327 هـ .

(15) **منظومة في بحر الرجز** تشتمل على التوحيـــد والطهارة والصلاة والزكاة والحج والتصوف على مثال **المرشد المعين** لابن عاشر .

منها مخطوطة كتبت في حياة المؤلف عام 1099 وهي محفوظة بالخزانة العامة بالرباط برقم 1164 د ضمن مجموع (من ورقة 124 / أ ـ 131/ب).

(16) **نفائس الدرر على شرح المختصر** للسنوسي (في المنطق) .

يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط (1072 د) ضمن مجموع من ص 52 إلى ص 195) (1751 ك) وفي مكتبة القرويين بدون رقم ، وبمكتبة الجزائر ومكتبة باريس .

(17) **نيل الأماني ، في شرح التهاني** .

هو شرح على داليته في مدح الشيخ محمد بن ناصر .

يوجد مخطوطاً بالرباط والجزائر والقاهرة وباريس .

وقد طبع مع الدالية بالإسكندرية عام 1291 هـ ثم بالقاهرة عام 1329 هـ .

ثم انظر فهرساً مفصلاً بتآليف اليوسي في كتاب **الزاوية الدلائية** ودورها الديني والعلمي والسياسي (ص 102 ـ 108) .

كلمة عن المحاضرات اليوسية

علم المحاضرات أحد العلوم التي تتفرع عن علم الأدب العربي وتكون شعبة من شعبه الهامة ، وعلم المحاضرات هذا عرف به أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده في كتابه مفتاح السعادة (1 : 226) فقال :

« علم المحاضرات ، وهو علم تحصُل منه ملكة إيراد كلام للغير مناسب للمقام من جهة معانيه الوضعية أو من جهة تركيبه الخاص ، وغرضه تحصيل تلك الملكة ، وفائدته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق كلام منقول عن الغير على ما يقتضيه مقام التخاطب من جهة معانيه الأصلية ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه والفرق بينه وبين علم المعاني أن المعاني تطبيق المتكلم كلامه على مقتضى الحال وكلام الغير على خواص لائقة بحاله ، والمحاضرات استعمال كلام البلغاء أثناء الكلام في محل مناسب له على طريق الحكاية » .

كتب المحاضرات

وسرد حاجي خليفة في كشفه بعض ما ألف في هذا العلم من الكتب فقال :

« . . . ومن الكتب المصنفة فيه :

ربيع الأبرار ، **وأبو قماش** ، **والتذكرة الحمدونية** ، **وريحانة الأدب** ، **والعقد الفريد** ، **ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** ، لأبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، وهو عمدة هذا الفن بين الفضلاء .

المحاضرات والمحاورات ، للسيوطي .

محاضرات الأبرار ومسامرة الأخيار ، للشيخ الأكبر محيي الدين محمد ابن علي المعروف بابن عربي . . . » .

ويتصنف في كتب المحاضرات كل كتاب أدبي تنوعت مواده وجمع محتواه بين الفائدة والإمتاع ،وكان على شاكلة الكتب التي في مسرد حاجي خليفة.

وقد ظهرت كتب المحاضرات تَتْرَى في العهود الإسلامية الماضية وتكاثرت أعدادها على ذلك المدى الطويل فشغلت حيزاً واسعاً في مكتبة الأدب العربي .

محاضرات اليوسي

بدأ اليوسي كتابه **المحاضرات** عام 1095 هـ الموافق سنة 1684 م ، بدأها وهو في رحلة ببلاد مصمودة قال عنها في **المحاضرات** نفسها :

« ورأيت في بلاد المصامدة وخصوصاً في بلد رجراجة من هذا كثيراً بقي عندهم موروثاً خلفاً عن سلف عندما يدورون على صلحائهم زائرين ، ولما حضرت معهم في الدور في هذه السفرة التي بدأت فيها هذه الأوراق وذلك سنة خمس وتسعين وألف لم أوافقهم في فعل كثير مما يفعلون مخافة أن يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بأمور قريبة لا بأس بها » .

ويذكر اليوسي الباعث على الأخذ في تأليفها فيقول :

« وإني قد اتفقت لي سفرة بان بها عني الأهل شغلاً وتأنيساً ، وزايلني العلم تصنيفاً وتدريساً ، فأخذت أرسم في هذا المجموع بعض ما حضر في الوطاب ،مما أحال فيه أو حان له إرطاب ، وسميته المحاضرات ليوافق اسمه مسماه ، ويتضح عند ذكره معناه ، وفي المثل : « خير العلم ما حوضر به » وإنما أذكر فيه فوائد وطرفاً ، وقصائد ونتفاً ، وذلك مما اتفق لي في أيام الدهر من ملح ، مما ينتقى ويستملح ، ولا أذكر نادرة فيها معنى شريف إلاّ شرحته ، ولا لطيف إلاّ وشحته ، وذلك هو لباب الكتاب ، وفائدة الخطاب ، والله الملهم للصواب .

وقد أذكر بعض ما صورته هزل يستهجن ، وفيه سر يستحسن ، وكما أن المقصود من الأشجار ثمارها ، فالمطلوب من الأخبار أسرارها .

وإنما حملني على الأخذ فيه أمور منها ابتعادي من البطالة ، التي هي مدرجة الجهالة والضلالة ، ومنها إفادة جاهل ، أو تنبيه غافل ، ومنها تخليد المحفوظ لئلاّ ينسى ، وتفصيله نوعاً وجنسا ، ومنها استمطار علم جديد، عند الاشتغال بالتقييد ، فإن العلم كالماء نباع ، وبعضه للبعض تباع ، وما هو في قلب الذكي الفؤاد ، إلاّ كما قال امرؤ القيس عند وصف الجواد:

يجم على الساقين بعد كلالــه   جموم عيون الحسي بعد المخيض

ومنها تعليل النفس ، ببعض الأنس ، فإن النفس ترتاح إلى الأحماض، وتستشفي بروحه من الامضاض ، ولا سيما مثلي ممن ترامت به الأقطار ، وتباعدت عنه الأوطان والأوطار » .

حاضر اليوسي في كتابه **المحاضرات** بنسبه وباسمه وكنيته وما جرى له في ذلك من الاتفاقات الحسنة والمبشرة ، وأورد مع ذلك فوائد التسمية والتكنية والتلقيب وما تعتد به العرب في ذلك من التكرمة والتنويه أو من الضعة والتحقير .

وجاء فيها بمباحث أصولية وفقهية وصوفية فيها دقة نظر وسعة أفق واعتبارات بالأحوال وتعليلات متنزلة على أمور نفسية واجتماعية يكون بها اليوسي نظاراً أريباً ومفكراً حصيفاً .

وأتى بنصوص أدبية شعراً ونثراً مما أنتجه أدباء العربية في مختلف العصور التي سبقت زمانه .

وأورد الملح والمضحكات من غير أن يأتي من ذلك بما يخل بوقار العلماء ورصانة الأشياخ .

وضمنها الأجوبة المسكتة ، وأبيات المعاني ، وطائفة من الملاحن والألغاز ومسرداً بالأوليات .

وعقد اليوسي باباً في المواعظ والحكم والوصايا افتتحه بشيء من كلام الرسول عليه السلام ثم قفاه ببعض من كلام الصديق والفاروق رضي الله عنهما، ثم قفى ذلك بزهاء الأربعمائة من حكم الإمام علي كرم الله وجهه ووصاياه ، وأتلى ذلك بأشعار بعضها لعدي بن زيد العبادي وبعضها لأبي العتاهية وبعضها للوراق ثم أورد نونية البستي فبائية صالح بن عبد القدوس بعدهما تائية المقرىء اليمني .

ثم أنهى اليوسي محاضراته بمسرد سمى فيه من لقيهم من الأشياخ والعلماء من دون أن يقول عنهم شيئاً ، وابتدأ ذلك المسرد يقولُ ما لفظه :

« خاتمة — أسرد فيها من حضر الآن في فكري ممن لقيت وتبركت به ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح تبركاً بهم فإنه قد قيل : « تتنزل الرحمات عند ذكر الصالحين ولم أتعرض لأحوالهم لأن ذلك يطول ، والكتاب غير موضوع له فاكتفيت بذكر أسمائهم » .

وكان عدد الذين ذكرهم في المسرد نيفاً وخمسين ، وبانتهاء ذلك المسرد تنتهي **المحاضرات** اليوسية .

وأبواب **المحاضرات** وفصولها مختلفة الأحجام متفاوتة المقادير ، واليوسي يفصل ما بينها بالعبارة القرآنية التي تقول : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ وهو قد حجز ما بين الأقسام بذلك الفاصل خمساً وثلاثين مرة .

ويفتتح اليوسي بعض الأبواب بتقدمات كالذي فعله في باب الملح إذ قال :

« رأيت أن ألم بملح من الأدب تتميماً للكتاب ، وإمتاعاً لذوي الألباب ، فإن النفس ملول والأذن مجّاجة ، وفي التلون والانتقال تطييب لها وتنشيط كما قيل :

لا يصلح النفس إن كانت مدبرة إلاّ التنقل من حال إلى حال

وذلك كله مما يصلح للمحاضرات ويوافق شرط الكتاب ويعد من الأدب »

وكما قال وهو يورد المضحكات :

« وهذه نبذة في المضحكات وكل ما تنبسط به النفس من الملح ، واعلم أن هذا النوع هو للعقل فاكهة كما أن الحكمة السابقة هي غذاؤه وقوامه ، فلا بد من كل منهما في استصلاح العقول وإزالة جساوتها وتنمية ذكائها غير أن الملح تكون بقدر الحاجة كالملح للطعام » .

وقدم للألغاز وأبيات المعاني بقوله :

« وهذه نبذة من أبيات المعاني والالغاز وأتبعناها للحكم والأجوبة المسكتة للمناسبة الظاهرة ، فإن الكل منشؤه الذكاء والفطنة ، والألغاز وإن كانت — كما قال المحققون — صنعة البطالين لا نريد أن نخلي الكتاب من شيء منها لقصد التفنن والإحماض . . . » .

ويبدو اليوسي في **المحاضرات** جَدِلاً شديد العارضة قوي الحجة مقتدراً على الإفحام .

واليوسي في **المحاضرات** جريء مقدام يمحص ويحقق ويجلي العويص ويجهر برأيه جهراً لا يخافت فيه .

وتشهد **المحاضرات** على اطلاع اليوسي الكبير وعلمه الغزير ومشاركته الواسعة في مختلف العلوم والفنون .

والمحاضرات تشبه في مواضع منها أن تكون رحلة سجل فيها اليوسي تنقلاته هنا وهناك وأخبر فيها بالذي رأى وسمع ، وذكر فيها ما جريات وقعت له مع الناس الذين التقى بهم من جميع المستويات .

وكذلك تضاهي **المحاضرات** أن يكون فيها نوع من الترجمة الذاتية ، فإن اليوسي ذكر بها اسمه وكنيته ونسبه ومن تعلم عليهم وأشياء مما جرى عليه من خير وشر .

ويمثل أسلوب اليوسي في **المحاضرات** نمطاً من أسلوب الكتابة في عصره إن لم يكن به طبقة عليا بين الكتاب فهو من المجيدين الفارهين .

ثم نختتم كلمتنا في **المحاضرات** بما كتبه الشيخ عبد الحي الكتاني بشأنها وهو يترجم اليوسي في **فهرس الفهارس** : (2 : 469) فقال :

« وكتابه **المحاضرات** عجيب في بابه غريب في ترتيبه وأسلوبه وكأنه في ترجمة نفسه ألفه بسبب ما كان وقع بينه وبين أبي زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي رحمهم الله لما افتتح التفسير بالقرويين ، والكتاب المذكور كاف في مقدار معرفة تصرفه وسيلان قلمه الزاخر » .

طبع المحاضرات اليوسية

طبعت المحاضرات اليوسية على الحجر بفاس من سنة 1317 هـ وبمرور الزمن عادت تلك الطبعة نادرة يتغالى بثمنها الكتبيون ويشاحون فيه فأصبح الحصول عليها عسيراً غير يسير .

ثم طبعت ثانية في دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط في سلسلة الأدب برقم (1) بإشراف الدكتور محمد حجي معتمداً فيها الطبعة الفاسية مع الرجوع عند الإشكال إلى مخطوطة المكتبة العامة بالرباط عدد 2329 ك . فسدت هذه الطبعة الحاجة العجلى إليها ، ولكن **المحاضرات** ظلت بحاجة إلى طبعة محققة تحقيقاً وثيقاً وأميناً معه الهوامش والشروح والتخريجات التي تساعد على قراءتها قراءة مأمونة ومفيدة ، وذلك ما قمنا عليه بنفس طويل في هذه الطبعة التي قضينا في إعدادها ثلاثين شهراً واصبة دائبة .

مخطوطات المحاضرات اليوسية

مخطوطات **المحاضرات** عديدة ، وهي محفوظة في مكتبات عامة وخاصة داخل المغرب وخارجه وما اعتمدناه منها في هذه الطبعة ثلاث :

1) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم 32 ج) وهي بخط مغربي دقيق جميل جداً ملوّن بالحمرة ، في هوامشها ط، ر قليلة تدل على أن كاتبها له حظ من علم اللغة ، وتوجد في مجموع مسبوقة **بديوان اليوسي** (من صفحة 245 إلى صفحة 366) وكان انتساخها بعد وفاة المؤلف بنحو خمسين سنة وكتب في نهايتها ما نصه :

« انتهى بحمد الله وحسن عونه من خط المصنف بواسطتين عند العصر يوم الاثنين السابع والعشرين من رجب الفرد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف »

وهي التي اعتمدنا نصها ، ونشير إليها في الهوامش بالأصل .

2) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط (رقم 20329 ك) . وهي أقدم زمناً من السابقة ببضع عشرة سنة وبها نصوص شعرية ونثرية زائدة ، ولكنها أقل ضبطاً وإتقاناً وقد كتب ناسخها بآخرها ما نصه :

« انتهى ما وجد من هذا التقييد على يد محمد بن الطيب بن علي الحسني وكان الفراغ منه ضحوة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى عام ستة وثلاثين ومائة وألف » .

وهي التي رمزنا إليها في الهوامش بالحرف : (ك) .

3) مخطوطة كانت في ملك العلاّمة الوزير الكاتب الشاعر المؤرخ أبي عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس المتوفى سنة 1294 هـ مؤلف كتاب **الجيش العرمرم الخماسي** الشهير ، أعارنا إياها حفيده سيدي أحمد أكنسوس أحد شيوخ التربية والعلم بمراكش . وتأتي أهميتها من الشروح والتصويبات التي كتبها على طررها أبو عبد الله أكنسوس بخط يده وقد أثبتنا جلها على الهوامش . وهذه المخطوطة هي التي نشير إليها بالحرف (س) .

واسترفدنا كذلك الطبعة الفاسية في المقابلة والتصحيح فأجْدَتْ وأفادت ، ودللنا عليها في الهوامش بالحرف (ح) .

والزائد الذي أضفناه إلى الأصل رواية عن المخطوطتين : الكتانية أو الكنسوسية أو عن الطبعة الفاسية وضعناه بين معقوفين هكذا : [...] والثابت في الأصل إذا نقص من المخطوطتين أو من الطبعة الفاسية جعلناه بين حاصرتين كالتالي : <....> وحصرنا الآي القرآنية داخل قوسين هكذا (...) والكلم النبوية داخل قوسين هكذا «...» .

عملنا في التحقيق

* حررنا النص تحريراً وثيقاً أميناً ، وبذلنا في ذلك غاية الوسع وأمد الطاقة.

* أثبتنا الاختلاف الموجود بين المخطوطات الثلاث التي اعتمدناها ، وأشرنا كذلك إلى الاختلاف الواقع بينها وبين الطبعة الفاسية ، ولكننا لم نستقص في المقابلة إلى الحد الذي يجعلنا نتتبع توافه الأمور .

* غطينا المحاضرات بالشروح والتخريجات والتراجم ، وسوّدنا طررها بالهوامش والتكملات ، وتجاوزنا ذلك إلى أن حاضرنا مع اليوسي بطريف الشعر ، ونادر الخبر ، وبالنقل العزيز ، قصد إغناء النص بما يمتع ويفيد ، واستحثاثاً للقارىء على الاسترسال في القراءة وهو الراغب الحريص .

* وضعنا عناوين يتعرف منها القارىء على ما تحتويه المحاضرات من مختلف المباحث وأشتات المواضيع ، وجعلناها بين معقوفين هكذا [. . .] إشارة إلى أنها من عملنا لا من وضع المؤلف .

* ألحقنا بالمحاضرات فهارس يهتدي بها القارىء والباحث إلى ما يريدان منها وجعلناها أصنافاً كالتالي :

فهرس الأعلام .

فهرس الأجناس والأمم والطوائف .

فهرس البقاع والآثار .

فهرس الأشعار .
فهرس أنصاف الأبيات .
فهرس الأرجاز .
فهرس الملحون .
فهرس الكتب .
فهرس الأمثال .

* أثبتنا بالآخر المصادر التي كثر رجوعنا إليها في الشروح والتراجم والتخريجات .

أما بعد فقد تحملنا عناء التحقيق عسى أن يتحمل القارىء كلفة القراءة آملين أن يعود كلٌّ بمردوده فيما ابتغاه من الإفادة والاستفادة ؛ آمين . والحمد لله رب العالمين .

المحققان

المحاضرات لليوسي



نص محرر محقق

على ثلاث نسخ خطية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل من سماء رحمته غيثاً نافعاً . فأنبت به في قلوب عباده زهراً ناضراً [وثمراً] (1) يانعاً .

زهر من العلم والعرفان مؤتلق ... في الطرس والنفس يستهدى (2) بألوان
وثمر يجتنيه الأذكياء بتشـ ... ـمير ولا يجتنيه الفدم (3) والواني
لله در كرام فاز فائزهم ... قدْماً بحلب درور (4) منه ملْبان (5)
وبابتناء مبان (6) منه سامية ... لا يبتني مثلها في دهره الباني
هذا هو المجد في الدارين والشرف الـ ... ـمحض الذي ما له في فضله ثان

---

(1) سقطت كلمة « وثمرا » من ك و ح .

(2) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « يستهوى بالواو » .

(3) في طرة س بخط أكنسوس ما لفظه : « بالمهملة : أي الجاهل الغبي » .

(4) بفتح الدال أي الناقة الكثيرة الدر أي اللبن .

(5) أراد بالملبان الغزيرة اللبن ، ولم ترد هذه الصيغة في المعاجم التي فتشناها ، وفيها « الجمهرة » ، و « التهذيب » ، و « الصحاح » ، و « المقاييس » ، و « اللسان » ، و « التاج » ، فإما عرف اليوسي ما لم نعرفه ، أو هو صاغها على نحو ما جاء من أمثالها عن العرب ، وهم قد قالوا : ناقة مغزار وسحابة مدرار وأرض منبات في أبنية من هذا القبيل عديدة ، وجاء في ك و ح بدل (ملبان) كلمة (بلسان) وهي لا تستقيم وزناً ولا معنى .

(6) جمع مبنى أو مبناة وفي ك و س و ح جميعاً : « بناء » ولا يطابق النعت الذي بعده ولا يوافق الضمير العائد عليه في « مثلها » .

[فاعكف عليه] (7) مع الآناء معتنياً ولا يكن لك عن (8) تطلابه ثان
[واعلم بأنك لن تحظى بصهوته حتى تجوز المدى في كل ميدان
ما لم تسنح عليـه كلما شجر يرجى الجنى منه أرضي وعَيْدان (9)
وتبذل النفس بعد المال مطرحـاً لكل ترفيه أرواح وأبـدان
وتغترب برهـة في كـل آلفة
من ذات قربى وأوطان وإخوان (10) (11)]

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ينبوع الأحكام والحكم ، ومجموع شيم الفضائل وفضائل الشيم ، وعلى آله ذوي المجد والكرم، وصحبه بحور العلوم (12) ونجوم الظلم .

---

(7) في س بياض موضع الكلمتين السابقتين .

(8) في ك و ح : « في » « بدلا من « عن » .

(9) كان هذا البيت أول ما واجهناه من عويص المحاضرات، وكدنا نلقي به إراحة لنا من تعب تفهمه وتفهيمه ، لأن محصوله من المعنى بعد الكد في تطلبه لا يكون جزيلا ولا طريفاً ، ولكننا آثرنا أن نتجشم المشقة في تحصيله حتى نبدأ تهميش المحاضرات بالجهد والعمل ، لا بالترك والإهمال ، وهذا ما تيسر لنا فيه من وجوه القراءة والتأويل : لقد كتبت فيه الكلمة : (تسنح أو تسنم) في المخطوطة الكتانية كما في الطبعة الفاسية برسم يتشابه فيه الحرف الأخير فيها بأن يكون ميماً أو حاء ، وهو بالحاء أشبه ، وقرأناه حاء ليكون من التسنح الذي هو التفتيش والتتبع والاستقصاء وتلك قراءة لا ينبو عنها فحوى الكلام نبواً بعيداً ، وقرأناه ميماً على أن يكون من التسنم الذي هو العلو فوق السنام ، وهي قراءة يقبلها سياق البيت قبولا حسناً ، وأعربنا كلمة (ما) في (كلما) زائدة أقحمت بين كل المضاف وشجر المضاف إليه ، وقرأنا لفظ (أرضي) بياء نسبة ، وكذلك رسمه ناسخ المخطوطة الكنسوسية ، ولم نجعل كلمة عيدان في قافية البيت جمعاً لعود ، بل جعلناها من قولهم : عيدنت الشجرة فهي عيدانة إذا طالت وذهبت في الهواء ، والجمع عيدان ، فكان الذي تحصل لنا من المعنى بعد هذا التمحل الكثير ما يأتي : إن طالب العلم لن يدرك منه بغيته إلا بأن يبحث عنه في كل وجه ، ويفتش عنه بكل مكان ، والشيخ اليوسي رحمه الله رحمة واسعة يغرب في أشعاره أحياناً ويركب هذه السبيل من العويص .

(10) في س : « أخدان » بالدال بدل الواو وأعجمها الناسخ فصحف فيها .

(11) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، وهو ثابت في ك و ح و س فأضفناه نقلا عنها .

(12) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « العلم » بصيغة الإفراد .

أما بعد ، فإن الدهر أبو العجائب ، وينبوع الغرائب ، وفي المثل : الدهر (13) حبلى لا يدرى ما تلد (14) ، وقال الشاعر :

والليـــالي كما علمت حبالى مقْرِبات (15) يلدن كل عجيبه(16)

وقال طرفة(17) :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود (18)

وإن للعاقل على مرور الجديدين علماً جديداً حيث انتهى فهمه (19) كما له عيش حيث تهدي ساقه قدمه (20) وكنت قلت في [نحو](21) ذلك :

أراني حيثما (22) أخــطُ أجد مــا لم أجــد قطُّ

---

(13) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « الأيام » .

(14) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « متى » بدل « ما » .

(15) في « التاج » : « أقربت الحامل : قرب ولادها ، فهي مقرب كمحسن » .

(16) في ك و س وح : « عجيب» بدون هاء التأنيث .

(17) اسمه عمرو ،ويقال : هو عبيد ، وبعضهم جعل اسمه معبداً،وأبوه عبد بن سفيان بن سعد ابن مالك بن ضبيعة ، يكنى أبا سعيد ، وأبا عمرو ، وأبا إسحاق ، ولقبه طرفة، وهو لقب وقع عليه لبيت قاله، ذكره المرزباني في « معجم الشعراء» فقال بشأنه : « وكان آدم ، أزرق ، أوقص ، أفرع ، أكشف ، أزور الصدر متأثل الخلق » .

مات مقتولا وعمره نحو العشرين ، ولذلك يقال له ابن العشرين ، وكان مقتله سنة 564 م على ما عند شيخو في « شعراء النصرانية ».

(18) البيت من قسم الحكم في معلقته . في « معجم الشعراء »للمرزباني : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استراث الخبر يتمثل بهذا البيت» .

(19) شكل أكنسوس الكلمة بفتح الهاء شكل قلم، وأكد هذا الشكل بأن كتب فوقها بخط يده ما لفظه : « لغة في الفهم » وبشكله ذلك تتوازن القرينتان توازناً كاملا .

(20) العبارة مقتبسة من بيت لطرفة يقول فيه :

للفتى عقـــل يعيش به حيث تهـــدي ساقه قدمه

(21) سقطت كلمة « نحو » من ك و ح .

(22) في س : « كلما » بموضع : « حيثما » .

وإن الـــدهر حبلى كُلّـما حين لـــه سقط (23)
لقـــد سايرتـــه (24) طفلاً إلى أن مسني وخـــط (25)
فلم ينفـــك (26) يشتـــد عـــلى المرء ويشتـــط
ولم يـــأل إذا استعـــلى يسوم الهون (27) أو يسطو
لـــه في كـــل أذن مـــن بـــني أبنـــائه قرط
وفي كـــل قـــذال وســـمة بـــالنـــار أو شرط (28)
وقـــد يحنـــو ويستـــأني وقـــد يحبو لمن يعطو (28م)
سماء ديمـــة تـــأتي بزهر زهرهـــا رُقط (29)
فمحمر ومصفـــر (30) ومـــوفـــور ومُنْقَـطٌ (31)
ومجـــدود ومحـــروم ومستعـــل ومنحط

(23) في « مصباح الفيومي » : « السقط الولد ذكراً كان أو أنثى يسقط قبل تمامه ، وهو مستبين الخلق ، يقال : سقط الولد من بطن أمه سقوطاً ، فهو سقط بالكسر والتثليث لغة » .
(24) في ك و ح : « سابرته » بالباء الموحدة .
(25) في « أساس البلاغة » : « وخطه بالرمح ووخطته بالسيف : تناولته به من بعيد ، ومن المجاز وخطه الشيب » .
(26) في س : « ينفده » وهو تصحيف ظاهر .
(27) في س : « الهوى » ولا يستقيم عليه الشعر وزناً ولا معنى .
(28) من شرط الحاجم الجلد بمشرطه إذا شقه ، أو هو واحد الأشراط بمعنى العلامات .
(28م) في « التاج » : « العطو التناول يقال : عطا الشيء وإليه تناوله » .
(29) في « القاموس » : « الرقطة بالضم سواد يشوبه نقط بياض أو عكسه » .
(30) في ك : « فمبيض ومسود » وفي طرتها بخط ناسخها : « فمحمر و مصفر » وعليه خاء رمزاً لنسخة أخرى جاءت فيها تلك الرواية ، ومثل ذلك في صلب ح وفي طرتها .
(31) المنقط المنقطع من قولك : قططت الشيء إذا قطعته فانقط .

ومنقـــاد (32) ومعوجّ وكز (33) الخلق أو سبط (34)
قضـــاء مبرم ممـــن إليـــه الحـــل والربط
إلـــهٌ أمره الأمـــر ومنـــه الرفـــع والحط
ومنـــه اليسر والعسر ومنـــه القبض والبسط
لـــه في كلِّ مـــا يومٍ شئون منـــه تختط
وذو الفهم لـــه علم جـــديد حيثما يخطو
ففكـــر واعتـــبر تعلم علومـــاً دونها الضبط
وتدرك غير مـــا في الصحـ ـف يومـــاً خلد الخط
وسلم وارض بـــالمقدو ر لا يذهب بلك السخط
ولا تبرم إذا المولـــى يشدّ الحبـــل أو يمطو (35)
فمـــا ترجو مـــن الرضوا ن أنْ تـرْضَى له شرط (36)

وإني قد اتفقت لي سفرة بان بها<عني>(37) الأهل شغلاً وتأنيساً، وزايلني العلم تصنيفاً وتدريساً، فأخذت أرسم في هذا المجموع بعض ما حضر<ني>(38) في الوِطاب، مما أحال (39) فيه أو حان له إرطاب (40)

(32) في س : « ومنقد » وهو خطأ ظاهر .
(33) الكزازة : اليبس والانقباض .
(34) السباطة : اللين والسهولة والانبساط .
(35) في « مقاييس ابن فارس » : « الميم والطاء والحرف المعتل يدل على مد في الشيء وامتداد ومطوت بالقوم أمطو مطواً مددت بهم في السير » .
(36) الشرط هنا إلزام الشيء والتزامه .
(37) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(38) ما بين العلامتين ساقط من ك وس وح .
(39) لفعل أحال عندما يكون لازماً نحو عشرة معان أنسبها لما هنا أن يكون بمعنى مضى عليه حول أي سنة .
(40) في « القاموس » : « أرطب النخل حان أوان رطبه » .

وسميته: « المحاضرات »ليوافق اسمه مسماه، ويتضح عند ذكره معماه (41)وفي المثل «: خير العلم ما حوضر به » وإنما أذكر فيه فوائد وطرفاً ، وقصائد ونتفا ، وذلك مما اتفق لي في أيام الدهر من ملح ، أو لغيري مما ينتقى ويستملح ، ولا أذكر نادرة فيها معنى شريف إلاّ شرحته ،ولا لطيفاً (42) إلاّ وشحته ، وذلك هو لباب الكتاب ، وفائدة الخطاب ، والله الملهم للصواب.

وقد أذكر بعض ما صورته هزل يستهجن ، وفيه سر يستحسن ، وكما أن المقصود من الأشجار ثمارها ، فالمطلوب من الأخبار أسرارها ، وإنما حملني على الأخذ فيه أمور :

منها التفادي (43)من البطالة ، التي هي مدرجة الجهالة والضلالة ، ومنها إفادة جاهل أو تنبيه غافل ، ومنها تخليد المحفوظ لئلاّ ينسى ، وتفصيله نوعاً وجنسا ، ومنها استمطار علم جديد ، عند الاشتغال بالتقييد ، فإن العلم كالماء نبّاع ، وبعضه للبعض تباع ، وما هو في قلب ذكي (44)الفؤاد ، إلاّ كما قال امرؤ القيس عند وصف الجواد :

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسي بعد المخيض(45)

(41) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س أما ح ففيها : « معناه » .
(42) كذا بالنصب ويجوز إذا قدرنا له ما يعمل فيه ، وفي س : « لطيف » بالرفع وهوتابع لما قبله ، وجاء في كل من ك و ح : « شريفاً ولطيفاً » منصوبين .
(43) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك وح ففيهما : « ابتعادي » .
(44) في ك و س و ح : « الذكي » بحرف التعريف .
(45) البيت من ضاديته التي مطلعها :

أعني على برق أراه وميض يضيء حبياً في شماريخ بيض

وهي في ديوانه المطبوع في سلسلة الذخائر برقم ٢٤ . والبيت فسره القالي في « أماليه » (2 : 283) رواية عن ابن دريد فقال : « يعني أنه إذا انقطع جريه جاءه جري مستأنف كما ينقطع ماء الحسي ثم يثوب فيأتي منه ماء آخر»؛ ثم فسر الحسي من عنده فقال : « الحسي صلابة تمسك الماء، وعليها رمل فلا تنشفه الشمس لأن ذلك الرمل يستره، ولا تقبله =

ومنها تعليل النفس ، ببعض الأنس ، فإن النفس ترتاح للإحماض وتستشفي بروحه (46)من الإمضاض (47) ولا سيما مثلي ممن ترامت به الأقطار وتباعدت عنه الأوطان والأوطار(48) . وقلت في ذلك :

سلا هل سلا عن أهله قلب معنًيٍّ بريب الهوى والبين عن جيرة الحيٍّ
وهل ذلك الوجد الذي قد حشا الحشا مقيم على أديانه(49) غير مكفيٍّ(50)
وهل قلبــه يوم النوى متقلب تقلب مفؤود(51)اللظى ساعة الشيٍّ

= الأرض لصلابتها ، فإذا حفر خرج قليلا قليلا فربما حفر منه بئر قدر قعدة الرجل » . وبين الأعلم الشنتمري في شرحه على الديوان معناه ، فقال : « وقوله : (يجم على الساقين) أي إذا حرك بالساقين واستحث بهما كثر جريه ، والجم الكثير من كل شيء ، وقوله : (بعد كلاله) أي يكثر جريه بعد إعيائه فكيف به قبل ذلك ، وقوله : (جموم عيون الحسي) أي إذا استخرج ماؤه ، والحسي موضع قريب الماء يدرك باليد ، وكلما استخرج ماؤه جم (والمخيض) أي يمخض و يستخرج ماؤه فضربه مثلا للفرس » .

(46) في ك و س و ح جميعاً : « بروحة » وهو خطأ، والصواب بروحه كما في الأصل وهو بفتح الراء ومعناه الراحة .

(47) في صحاح الجوهري : « أمضني الجرح إمضاضاً إذا أوجعك والكحل يمض العين أي يحرقها ، والمضض وجع المصيبة ، وقد مضضت بالكسر تمض مضضاً ومضيضاً ومضاضة» والذي في ك و ح : « الانصاص » بالنون وهو تصحيف .

(48) في الأصل : « والأقطار » وهو تصحيف أصلحناه عن ك و س و ح .

(49) كذا بالأصل ومثله في س والذي في ك وح : « أذياله » وهو تصحيف ، والأديان هنا جمع الدين بمعنى العادة والدأب وما ألف من الأحوال ، وبهذا المعنى جاء في قول المثقب متحدثاً عن ناقته :

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبداً وديني
أكل الدهر حل وارتحال أما يبقي علي وما يقيني

(50) السياق يدفع أن يكون المكفي هنا منالكفاية ويتطلب أن يكون من الكفء بمعنى الصرف والتلب تقول كفأته فانكفأ، إذا صرفته فانصرف ، فإن يكن كذلك فإن اليوسي تصرف في مكفوء الذيهو اسم مفعول من كفأه كما يلي: قلب همزته ياء ثم جعل واو المفعول ياء ثم أدغم، ثم أبدل الضمة كسرة لتناسب الياء فصار المكفوء مكفياً وقد جاء عنهم مثل ذلك في اسم المفعول الثلاثي المهموز الآخر .

(51) يقال : فأد اللحم في النار إذا شواه فيها .

وهل بنوى الأحباب مشفٍ (52) على التوى (53)

وليس بوصل من حبيب بمشفيٍ

وهل أعشبت تلك الشعاب وأمرعت فجاج مراعيها بعهد (45) ووسميٍ (55)

وهل أُقْحُوانُ الجزع فاح ونده بعرف تهاداه الشمائل مسْكيٍ

وهل تالك (56) الأزهار تهتز نضرة بكل جميل في الخميلة مَوْليٍ (57)

وكل مجُودٍ (58) في النجود تناوحت (59) عليه الرياح من جنوب وشرقيٍ

إذا ما السحاب الغر عاطينها الحيا تمايلن نشوى من مدام شباميٍ (60)

---

(52) اسم فاعل من أشفى على الشيء إذا أشرف عليه .

(53) التوى بالتاء المثناة مقصوراً التلف والهلاك .

(54) في « التاج » : « قال أبو حنيفة : إذا أصاب الأرض مطر بعد مطر وندى الأول باق فذلك العهد » .

(55) في « التاج» : « الوسمي مطر الربيع الأول وهو بعد الخريف لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثراً في أول السنة ثم يتبعه الولي في صميم الشتاء » .

(56) في « التهذيب » للأزهري : « قال الليث : تاء وذي لغتان في موضع ذه تقول : هاتا فلانة في موضع هذه ، وفي لغة : تا فلانة في موضع هذه ، وعلى هاتين اللغتين قالوا : تيك وتلك وتالك وهي أقبح اللغات » .

(57) المولي ما أصابه المطر الولي وفي « التاج » : « الولي المطر يأتي بعد المطر المعروف بالوسمي ، سمي به لأنه يلي الوسمي وقد وليت الأرض بالضم ولياً إذا مطرت بالولي والولي كغني الاسم منه » .

(58) في « الصحاح » « الجود المطر الغزير تقول : جاد المطر جوداً فهو جائد والجمع جود مثل صاحب وصحب وقد جيدت الأرض فهي مجودة » .

(59) في « الصحاح » : التناوح التقابل يقال : الجبلان يتناوحان ، ومنه سميت النوائح لأن بعضها يقابل بعضاً، وكذلك الرياح إذا تقابلت في المهب لأن بعضها يناوح بعضاً » .

(60) قوله : شبامي منسوب إلى شبام بوزن كتاب ، وهو اسم قرية بالشام كانت الخمر تسبأ منها ، وهي التي ذكرها امرؤ القيس بن حجر في بعض شعره فقال :

فظللت في دمن الديار كأنني نشوان باكره صبوح مدام

أنف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام

وفي هامش س بخط أكنسوس : « الظاهر أنه بالهمز منسوب إلى شئام ، وهي الريح الشامية ، والذي يوجد في النسخ هو شبامي منسوب إلى شبام كسحاب وهو النبت وهو غير ظاهر » .

وإن صافحتها بعد وهنٍ يد الصبا	تنمت(61) بأذكى من عبير وألويٍّ(62)
فما شئت فيها من يواقيت تجتلى	ومن كوكب يعشي (63) النواظر دريّ
ومن بسط تزري ابتهاجاً بمفرش	أعدت بنو ساسان للبسط مَوْشيّ
وهل لسليمى من ثواء بدارهـــا	سقى الله تلك الدار أطيب ما (64) ريٍّ(65)
وحيا محياها الوسيم وإن لـــوت	غريماً تقاضى وصلها طول ما (66) لي(67)
وحيـــا زماناً لاح للوصل بيننـــا	تباشير كالصبح المنير على رَيٍّ(68)
زمان ديار الحي دانٍ مزارهـــــا	ونحن على عهد من الودّ مرعيٍّ
نعمنا بإيناس البروقِ من الحمى	أنيساً وإن لم نحظ منه بإنسيٍّ
ونسمة أرواح الصبـــا وهبوبهـــا	علينا نموماً من صباها بمطويٍّ
وتنشاق آسٍ بالأجارع تعتلي (69)	بنفحته للمستهـــــامين عطري

---

(61) كذا بالأصل ومثله في ك و س و ح جميعها ، ولعله كان « فنمت » من نم المسك إذا سطعت رائحته فتصحفت على النساخ بالتاء .

(62) في هامش س بخط أبي عبد الله أكنسوس عبارة تقول بالنص : « منسوب إلى العود الذي يتبخر به وهو الألوية (كذا) « وفي التاج » من مادة (الو) : « الألوة بفتح وتشديد الواو العود الذي يتبخر به كالألوة والألو بضمتين فيهما » وفيه أيضاً من مادة (لوو) : « واللوة بالضم العود القماري الذي يتبخر به لغة في الألوة » .

(63) كذا بالأصل ومثله في س وجاء في ك و ح : « يغشى » بالغين المعجمة .

(64) ما هنا زائدة بين المضاف والمضاف إليه .

(65) الأولى أن تشكل كلمة ري هنا بالكسر على أنها اسم لا مصدر .

(66) ما زائدة أيضاً كالسابقة .

(67) اللي المطل والتسويف .

(68) الأوفق أن تشكل هنا بالفتح على أنها مصدر ، وفي « القاموس » : « روي من الماء واللبن كرضي ريا وريا وروى وتروى وارتوى بمعنى والاسم الري بالكسر» وكذلك جاء شكل الكلمتين بالقلم في المخطوطة الأصل وبهذا الشكل المختلف تسلم القصيدة من عيب الإيطاء الذي هو تكرير القافية لفظاً ومعنى .

(69) كذا بالأصل ومثله في ك و س وهو ما في صلب ح ولكن مصححها أصلحه في طرتها هكذا : « تمتلي » .

وكنّا على أنّا كأنّا بوصلهـــا	نغادى بكأس مطمئنين خمري
ونرتع (70) في روض المنى ونال ما	نشاء ولا نرتاع من بين مَهْوِيّ
وعشنا زماناً لا نعاني صبابـــــة	ولا نتباكى من سليمى ولا ميّ
ولا نتشكّى من صدود ولا صدى (71)	ولا وجد مفؤود الجوانح مَبْرِيّ
لياليَ كان الشمل (72) منضبط الكلى (73)	وحبل التوالي مُحصَدٌ غيرُ مَفرِيّ
فلم تلبث الأقدار أن مددت بنا	عناناً إلى شط النوى غير مَثْنِيّ
فحالت مَوامٍ (74) دونها ذات منزع	ودَيْنُ التداني (75) قد غدا غير مقضيّ
وكان الذي خفنا يكون من النوى	وصرنا لأمر مُذْ أحايين مَخْشِيّ
على أن فضل الله ما انفك هامراً	علينا ولطف دائم غير مَزْوِيّ (76)
فلا تغترر بـــالدهر يلقاك بشره	فإن وراء البشر طعن الرُّدَيْنِيّ
ولا تأمنن من هوله (77) إن ريحـــه	تهب إذا هبّت عصوفاً بلُجِيّ

(70) كذا بالأصل وهو ما في س وجاء في ك و ح : «نرتاع» وهو خطأ .

(71) في س : «ولا بصبري» وهو خطأ وأصلحه أكنسوس على الطرة بخطه هكذا : «ولا ضنى»

(72) في ك : «الوصل» .

(73) الكلى جمع كلية ، وهي هنا تلك الجليدة المستديرة التي تحرز على المزادة تحت العروة ، وانضباطها عبارة عن سلامتها من التخرق والانفتاق ، والشاعر ضرب ذلك مثلا في صلاح الحال ، ودوام الوصال ، وليخبر أن العلاقة بينه وبين أهله وأحبابه كانت قائمة موصولة ، لا مقطوعة ولا مفصولة ، كما ضرب ذو الرمة وعي الكلى مثلا فيحاله فقال في بعض شعره :

وما شنتا خرقاء واهيتا الكلى ... سقى بهما ساق فلم يتبللا
بأضيع من عينيك للدمع كلما ... توهمت ربعاً أو تذكرت منزلا

وقال مرة أخرى :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب ... كأنها من كلى مفريــة سرب

(74) في س : «موار» وأصلحها أكنسوس على الطرة بخطه هكذا : «أمور» والموامي جمع موماة وهي الفلاة .

(75) في س : «الثأني» وهو تصحيف .

(76) اسم مفعول من زويت عنه الشيء إذا نحيته عنه .

(77) في ح : «حوله» .

ولا تغتبط من حظه بمنـول ولو (78) تاج ملْك فوق أشمخ كرسيّ
فما حالة منه تدوم على امرئ ولو خال جهلاً أنه غير مَذْهبيّ
ومـا هو إلاّ مثل دولاب زارع فعُلويّه يعتاض حتماً بسُفْليّ
فكم أنزلتْ نَسْرَ السماء صروفُه وحلّت ببنت الماء(79) دارة علْويّ
وكم ضعضعت مُلكاً وأفنت ممالكاً وكم عاد عاني (80) ريبها غير مَفديّ
وكم زَيّلت (81) بين المحبين فاغتدى دم الصب من فتك الهوى غير مَوديّ(82)
قضاء من المولى لـه كل ساعـة تَصرّفُ مختار وإنجـازُ مَقضيّ
فأعْلقْ به أشطانَ قلبك واعتمد عليه تنـل رشداً وتنج من الغيّ
وقف أبداً في بابه (83) متـأدباً منيبـاً بسعي عند مولاك مرضيّ
قنوعاً رَضُوّاً (84) بالقضـاء مسلماً بقلب على التوحيد والصدق محنيّ

---

(78) في ك : « ولا تاج » وأبدلت بطرتها لا بلو وفي ح أيضاً : « لا » بدل « لو » .
(79) كذا بالأصل وفي ك : « بذات » ومثله في س أماح ففي صلبها : « ببيت » وأبدلها مصححها على الطرة هكذا : « بذات » والصواب ما في الأصل؛ وبنت الماء أو ابن الماء هو ما قال عنه الدميري في « حياة الحيوان » : «ابن ماء : نوع من طير الماء ويجمع على بنات ماء وتطلق على كل ما يألف الماء من أجناس الطير » . واليوسي يريد أن يقول : إن تقلبات الزمان تهبط بالعالي إلى تحت كما تعلو بالنازل إلى فوق . وقال الشاعر وذكر بنت الماء :

طليق الله لم يمنن عليـه أبو داود وابن أبي كثير
ولا الحجاج عيني بنت مـاء تقلب طرفها حذر الصقور

(80) العاني : الأسير .
(81) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : زايلت .
(82) اسم مفعول من وديت القتيل أديه إذا أعطيت ديته .
(83) في ك و ح : « ببابه » .
(84) كذا في المخطوطات الثلاث ، وهو فيها كلها مشكول بضم الضاد وبتشديد الواو ، فإن يكن اليوسي كتبه كذلك فقد أراده صيغة مبالغة من الرضوان كما قصد إلى ذلك في قنوع قبله ، وهو أجراه على بنيته من غير إعلال قياساً على الشاذ من أمثاله ، وهو كذلك مكتوب في صلب الطبعة الفاسية ، ولكن مصححها شاء أن يصلح فكتبه على طرتها هكذا : « رضيا » .

فذاك الذي يرقى بـه لمنـازل بها كل صديق حوى الفضل رِبّيّ(85)
وإن كنت لم تسعدك في ذلك القُوى فزاحم بمسْطاع مع الحب والزّيّ(86)
فإن جليس القوم مـا إن ينـاله شقاء ومن عن حبهم غير مرميّ
ومن قد حكاهم فهو منهم وكل ذا أتى في حديث عن ذوي الصدق مرويّ
وكل امرىء يوماً سيجزى بما أتى من الخير بل يجزى على كل منْويّ

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(85) في « التاج » : والربي بالكسر واحد الربيين، وهم الألوف من الناس، قاله الفراء، قال أبو العباس أحمد بن يحيى قال الأخفش : الربيون منسوب إلى الرب ، قال أبو العباس فينبغي أن تفتح الراء على قوله ، وهو على قول الفراء من الربة وهي الجماعة ، وقال الزجاج : ربيون بكسر الراء وضمها وهم الجماعة الكثيرة ، وقيل الربيون العلماء الأتقياء الصبر » وهذا المعنى الأخير هو ما عناه اليوسي .

(86) الزي بالكسر اللباس والهيئة ، وهو يريد أن يقول : إذا لم تكن من الصديقين والربيين على الحقيقة فلا يفوتنك أن تتزيا بحالهم وأن تكون كما قال الآخر :

فتشبهوا إن لم تكونوا منهم إن التشبه بالكرام رباح

[فوائد تسمية المؤلف]

قد جرت عادة من ألف بل من كتب رسالة أن يتسمى في كتابه ليعرف، وفي معروفيته (1) فوائد منها في كلامه أن يعرف مذهبه أو مطلبه أو يتمكن (2) جوابه أو يشهد له وعايه (3) .

ومن أهمها أن يعلم هل يوثق بنقله ويقتدى به في أصله ، فإن كلام الحجة حجة ، وإنما يعرف كونه حجة ومرتبته من العلم بشهادة أهل العلم ، وذلك في ثلاثة أشياء : أحدها التصريح بذلك مشافهة أو في ترجمته ولذلك صنفت (4) طبقات أهل العلم واعتني بتراجمهم .

ثانيها عده مع العلماء عند ذكرهم في مذهب أو وفاق أو خلاف أو حكاية كلامه فيما يحكى من كلام العلماء أو مذهبه أو نحو ذلك وهو كالتصريح.

ثالثها الأخذ عنه أو إقراء تصانيفه أو شرحها أو تقليده أو نحو ذلك .

وإنما يحصل له ذلك من ثلاثة أشياء : أحدها سماع كلامه مشافهة .

ثانيها مطالعة تصانيفه والوقوف على تحريره وتحصيله أو سماع فتاويه وآرائه وكلامه بنقل الغير كما وقع للصحابة رضي الله عنهم .

ثالثها شهادة الغير له كما مر وهلم جرّا .

وبعد حصول مطلق المرتبة من العلم تحصل خصوصيات المراتب بشهادة

---

(1) كذا في ك وفي س وفي ح وحدها : « وفي معرفته » .

(2) في ك وفي س وكذا في ح : « ليتمكن » .

(3) في س : وعليه كما هنا وفي ك وكذا في ح : « أو عنيه » .

(4) في ك وفي س : « صنعت » .

من هو أهل لذلك بها بمشافهة أو في ترجمة أو اقتداء الأكابر به،أو ترجيحه على غيره أو نحو ذلك .

ومنها في خارج أن تعرف مرتبته كما مرّ أو يتعرض لدعاء داع أو ثناء مثن بخير ومحبة<وود>(5) وغير ذلك .

فرأيت أن أتسمى في هذا المجموع وأضيف إلى ذلك ما اتفق لي من كنية وما أدركت من نسب بعد أن تعلم أن الاسم العلم ثلاثة : اسم وكنية ولقب .

أما الاسم فهو من حيث هو ما أريد به من تعيين المسمى لا يعطى مدحاً ولا ذماً لصلاحية كل اسم لكل مسمى عند المحققين ،ولكن إذا كان منقولا فكثيراً ما يلاحظ فيه زيادة على تعيين المسمى مدلوله الأول الحقيقي أو المجازي فيشعر بمقتضاه إشعاراً .

ومن هذا وقع التفاؤل والتطير بالأسماء ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ويقول : « إذَا أبْرَدْتُمْ إليَّ بَرِيداً فَأبْرِدُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الاسْمِ » (6).

وكان صلى الله عايه وسلم يغير من الأسماء ما لا يرضى ، فسأل عن اسم ماء فقيل له : بيسان (7)وماؤه ملح فقال : <بل> (8)هو نعمان وماؤه

---

(5) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(6) في طرة المخطوطة الكتانية كلام عن هذا الحديث يقول : « هذا حديث مرفوع خرجه البزار من عدة طرق عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه ، وله شواهد قوية يرتقي بمجموعها عن درجة الضعف خلافاً لقول نور الدين الهيتمي : إن طرقه كلها ضعيفة » .

(7) بيسان بالفتح ثم السكون فسين مهملة بعدها ألف فنون اسم يقع على عدة أمكنة : بيسان مدينة بالأردن ، وموضع بجهة خيبر ، وآخر باليمامة ، وقرية بالموصل ، وأخرى بمرو الشاهجان ، وفي « معجم البلدان » تعريف بهذه الأمكنة ، وجاء في « معجم ما استعجم » للبكري : « ذكر الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بماء يقال له بيسان فسأل عنه فقيل : اسمه ، يا رسول الله ، بيسان ، وهو ملح ، فقال : بل هو نعمان ، وهو طيب ، فغير رسول الله اسمه وغير الله الماء » .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

عذب ، فكان كذلك ؛وجاءه رجل فقال ما اسمك ؟ فقال :غاوي بن عبد العزى ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل أنت راشد (9) بن عبد ربه ، وجاءه آخر فقال ما اسمك ؟ فقال : حزن ، فقال : بل أنت سهل ، فقال الرجل : ما كنت لأغير اسماً سماني به أبي ،وكان الإمام سعيد (10) المسيب رضي الله عنه — والرجل من أجداده — يقول : فما زالت الحزونة فينا . فانظر كيف حكم مدلول اللفظ الأول . وقال صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين أقبل سهيل (11) من ناحية قريش: «سَهُلَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُم »ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ ، وَغِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا ، وعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ » وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقد سأل عن اسم رجل استعمله أو أراد أن يستعمله فقيل له : هو خبيئة (12) بن كناز : هو يخبأ ، وأبوه يكنز ، لا حاجة لنا به . وبدل صلى الله عليه وسلم برة بنت

---

(9) هو راشد بن عبد ربه السلمي ، كان سادن صنم يقال له سواع ، فبينما هو عند الصنم يوماً إذ أقبل ثعلب حتى أتى الصنم فرفع رجله وبال عليه، فأقبل راشد على الصنم فكسره وأتى النبي عليه السلام فأسلم ، فغير النبي اسمه واسم أبيه المنكرين، وانظر في خبره الإصابة والاستيعاب .

(10) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن من جلة التابعين وأخيارهم ، فقيه محدث زاهد ، وكان يحفظ أحكام عمر وأقضيته حتى لقب راوية عمر ، قال عنه ابن الجوزي في صفة الصفوة رواية عن عبد الرحمن بن حرملة : « ما كان إنسان يجترىء على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير » توفي سنة 94 عن سن أنافت على الثمانين .

(11) في الأصل : « سهل » وكذا في س ، وأما ك و ح ففيهما « سهيل » بالتصغير ، وهو الصواب ، وسهيل هذا ترجمه ابن الجوزي في «صفة الصفوة » فقال : « سهيل بن عمرو ابن عبد شمس يكنى أبا يزيد ، أسر يوم بدر ، وفدي ، وهو الذي تولى المصالحة على القضية التي كتبت في الحديبية ، وأقام على دينه إلى يوم الفتح » . توفي سهيل مرابطاً بالشام عام 18هـ.

(12) في ك و س و ح : « خبوة » . وخبيئة هذا ذكره ابن دريد في «الاشتقاق » ص 355 وهو يعد رجالات بني عكابة فقال : « ومنهم خبيئة بن كناز ، شهد فتح الأبلة ، واستعمل عليها بعد ذلك ، فبلغ عمر فقال : يخبأ ويكنز أبوه، اعزلوه ، وخبيئة من خبأت الشيء أخبؤه خبئاً ، وكناز فعال من الكنز » .

أبي سلمة بدرة فراراً من التزكية التي يعطيها اللفظ ، وقال مولانا علي كرم الله وجهه :

أنا الذي سمتني أمي حَيْدره (13)

وقال الحريري في « المقامات » (14) على لسان الغلام : (أما أمي فاسمها برة ، وهي كاسمها برة) وقالت اليهود يوم خيبر لمولانا علي رضي الله عنه ، وقد تقدم بالراية فتسمى لهم : علوتم ورب الكعبة ، وقالت العرب في أمثالها : إنما سميت هانئاً لتَهْنأ (15).

وقال الأخطل في كعب بن جعيل (16) :

وسميت كعباً بشر العظـام   وكان أبوك يسمى الجعل

وإن مكانك من وائـل   مكان القراد من است الجمل (17)

---

(13) البيت رجز وبعده :

كليث غابة غليظ القصره

أكيلكم بالسيف كيل السندره

(14) يعني في المقامة المعروفة بالكوفية ، وهي الخامسة في ترتيب « المقامات الحريرية » .

(15) يقال : هنأته أهنؤه هنأ إذا أعطيته والاسم منه الهنء بالكسر ومعناه : إنما سميت بهذا الاسم ليكون فيك معناه ولتكرم غيرك وتحسن إليه ، وحتى لا يكون الاسم الذي لك كذباً وغير ذي معنى ، والعبارة مثل من الأمثال .

(16) في ح : « جعل » والصواب جعيل كما في المخطوطات الثلاث وإنما كبره الشاعر لأنه لم يرد العلم بلفظه كما هو ، وإنما عنى أن والد كعب سمي باسم واحد من هذه الحشرات التي هي الجعلان المستقذرة .

(17) في « سمط اللآلىء » (ص 853 – 854) : « ذكر يعقوب أن كعب بن جعيل كان شاعر تغلب ، فكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضربوا له قبة ، فأتى بني مالك بن جشم رهط الأخطل ففعلوا له ذلك وملأوا له حظيرة غنماً ، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرجها وكعب ينظر فقال : إن غلامكم هذا لأخطل فلحت عليه ، وقال الأخطل فيه : =

وكان بعض الرؤساء القيسية أحضر جفاناً من طعام . وكان بالحضرة بعض متلاسينِ بكر بن وائل فأراد القيسي أن يعبث به (18)فقال له : هل رأى بكر بن وائل قط مثل هذه الجفان ؟ فقال ما رآها ولا رآها أيضاً قط عيلان يعني جده هو ، ولو رآها ما قيل له عيلان بل شبعان .

وقالت هند (19)بنت النعمان بن بشير تهجو زوجها الفيض بن أبي عقيل :

سميت فيضاً وما شيء تفيض به إلاّ سُلاحك بين الباب والدار

وقال الآخر (20) :

وللحرب سمينـــا فكنّا محارباً إذا ما الْقَنا أمسى من الطعن أحمرا

= (وسميت كعباً بشر العظام . . . . البيتين)

ويروى هذان البيتان لعتبة بن الوعل و« في طبقات الشعراء » لابن سلام (ص 160) « قال كعب بن جعيل : إني قد هجوت نفسي ببيتين وضمزت عليهما فمن أصابهما فهو الشاعر ، فقال الأخطل :

(وسميت كعباً . . . . البيتين)

قال : هما هذان » .

(18) في س : « يتعبث » .

(19) في « أغاني الأصفهاني » (16 : 53 طبعة الدار) : « وبنت النعمان بن بشير واسمها حميدة كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر ، وكانت تهجو أزواجها ، وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومي فقالت فيه ، فطلقهـــا ، فتزوجها روح بن زنباع فهجته فطلقها ، وقال : سلط الله عليك بعلا يشرب الخمر ويقيئها في حجرك فتزوجت بعده الفيض بن أبـي عقيل الثقفي وكان يسكر ويقيء في حجرها فكانت تقول : « أجيبت في دعوة زوجي وقالت في الفيض :

سميت فيضاً وما شيء تفيض به إلا بسلحك بين الباب والدار
فتلك دعوة زوج الخير أعرفها سقى الإله صداه الأوطف الساري

(20) هو الحكم بن معمر بن قنبر الخضري من خضر محارب اعتبره الأصمعي مع طائفة من معاصريه خاتمة الشعر فقال : « ختم الشعر بابن ميادة وحكم الخضري وابن هرمة وطفيل الكناني ومكين العذري » .

ومما ينخرط في هذا السلك أن بعض الملوك عزل وزيراً له اسمه الياقوت فحلف الملك ليستوزرن أول من يلقى< فخرج> (21)فلقي رجلاً أعرابياً فاستوزره فإذا هو من أعقل الناس وأنجبهم (22)فلما رأى الوزير الأول ذلك كتب إلى الملك :

أحكم النسج كل من حاك لكن نسج داوود ليس كالعنكبوت
ألقني في لظى فإن غيرتني فتيقن أن لست بالياقوت (23)

[يشير إلى أن الياقوت المعروف لا يفسد بالنار] (24).

فأجاب الآخر (25) :

---

(21) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(22) في ك : « وأنجحهم » .
(23) جاء في « وفيات الخلكاني » وهو يترجم أبا يوسف يعقوب بن صابر بن بركات المنجنيقي المتوفى سنة 626 هـ ما يأتي : « وقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره وقد أجاد في كل ما نظمه ، ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما :

ألقني في لظى فإن أحرقتني فتيقن أن لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ليس داوود فيه كالعنكبوت

فعمل ابن صابر جوابهما فقال :

أيها المدعي الفخار دع الفخر لذي الكبرياء والجبروت
نسج داوود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذاك النعام يلتقم الجمـ ر وما الجمر للنعام بقوت »

(24) ما بين العلامتين زيادة من ك و س و ح .
(25) تابع الخلكاني في « وفياته » كلامه وهو يترجم ابن صابر فقال : « وأما قول ابن صابر في الجواب في البيت الثاني : (نسج داوود لم يفد ليلة الغار) إلى آخره فهذا إشارة إلى مهاجرة النبي عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فإنهما خافا من مشركي مكة أن يتبعوهما، فدخلا غار ثور ونسج العنكبوت على باب الغار ، فلما وصل =

نسج داوود ما حمى صاحب الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وفراخ السَّمَنْدِ في لهب النا ر أزالت فضيلـة الياقوت

أشار إلى السمندل وهو دويبة في ناحية الهند تتخذ من جلودها المناديل وتلقى في النار فلا تزداد إلاّ نضارة وحسناً ولا تحترق ، والله على كل شيء قدير ، إلى غير هذا مما لا ينحصر ولو تتبعناه لطال .

وأما الكنية واللقب <فيعتبران بوجهين : الأول نفس إطلاق الكنية واللقب>(26) وهما في هذا مختلفان ، فإن الكنية الأكثر فيها إذا لم تكن اسماً أن يراد بها التعظيم (27) وينبغي أن يعلم أن الناس باعتبارها ثلاثة أصناف : صنف لا يكنى لحقارته ،وهو معلوم من (28) أن الحقارة أمر إضافي ، فرب حقير يكون له من يراه بعين التعظيم فيكنيه ، والمقصود أن التحقير (29) من حيث هو حقير لا يكنى إلاّ هزءاً أو تمليحاً ، وصنف

= المشركون إليه ورأوا أثر نسج العنكبوت على الباب قالوا : ليس ههنا أحد ، فإنه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نسج عليه في الحال ، وقوله في البيت الثالث : (وبقاء السمند في لهب النار) إلى آخره . السمند بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ويقال : (السمندل) أيضاً بزيادة اللام ، ذكروا أنه طائر يقع في النار فلا تؤثر فيه ، ويعمل من ريشه مناديل ، فإذا اتسخت المناديل طرحت في النار ، فتأكل النار الوسخ الذي عليها ولا يحترق المنديل . . . . » اه .

واقرأ عن السمندل في « عجائب المخلوقات » للقزويني ، وفي « حياة الحيوان » للدميري.

وبما نقلناه تعلم أن الياقوت في البيت الذي أورده اليوسي إنما هو هذا الحجر المعروف ، وأن ما حكاه في أمر الشعر ليس على نصابه .

(26) ما بين العلامتين ساقط من س .

(27) روى أبو تمام في حماسته لبعض الفزاريين :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه والسوأة اللقبـا
كذاك أدبت حتى صار من خلقي إني وجدت ملاك الشيمة الأدبا

(28) في ح : « مع » بدل : « من » .

(29) كذا بالأصل ومثله في ك و ح وهو أيضاً ما جاء في صلب س ولكن أكنسوس كتب بخط يده على طرتها : « الحقير » ووضع عليه لفظ : (صح) .

لا ينبغي أن يكنى لاستغنائه عنها وترفعه عن مقتضاها . ومن ثم لا يكنى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم أرفع من ذلك حتى إنهم (30)أشرفت رفعتهم على أسمائهم فشرفت ، فإذا ذكروا بها كانت أرفع من الكنى في حق غيرهم ، وللملوك وسائر أكابر الناس نصيب من هذا المعنى ، وصنف متوسط بين هذين ، وهو الذي يكنى تعظيماً ، ثم إن كان التعظيم مطلوباً ككنية أهل العلم والدين ومن يحسن شرعاً تعظيمه فحسن ، وكذا اكتناء المرء بنفسه إن كان تحدثا بالنعمة أو تبركا بالكنية باعتبار من صدرت عنه أو نحو ذلك من المقاصد الجميلة فحسن ، وإلاّ فمن الشهوات النفسانية ؛ فما كان تكبراً أو تعظيماً لمن لا يجوز تعظيمه بغير ضرورة ونحو ذلك فحرام ، وإلاّ فمباح ، وليس من هذا الباب ما يقصد به مجرد الإخبار فقط كقولك جاء أبي أو أبو فلان هذا أي والده ، ولا ما يقصد به معناه على وجه التفاؤل مثلاً نحو أبي الخير وأم السعد .

وأما اللقب فيقصد به كل من المدح والذم وغير ذلك ، والحكم كالذي قبله .

الوجه الثاني النظر إلى مدلولهما الأصلي ؛ وهما في ذلك كما مرّ في الاسم بل ذلك هنا أولى ؛ لأن الأصل فيه أوضح ، ولبعضهم في ذلك :

أتيت أبا المحاسن كي أراهُ بشوق (31) كاد يجذبني إليه
فلما أن أتيت رأيت فرداً ولم أرَ من بنيهِ ابناً لديه

يريد أن لفظه ينبيء عن كون المحاسن لازمة له لزوم الأولاد لأبيهم ، ثم إنه لم يجدها عنده ، وكذا يقال في أبي المكارم وأبي الفضل وأبي البخت

(30) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « انها » .
(31) في ك : « لشوق » .

وجمال الدين وشمس الأئمة ؛ والأصل في جميع هذا أن المستحسن في العقول وإن لم يكن لازماً خلافاً لمن زعم ذلك أن يطابق الاسم المسمى أي مدلوله الأصلي حتى يصير الاسم كأنه وصف مشتق لموصوف بمعناه ، فإن لم يكن كذلك فكأن التسمية خطأ ، وكأن الاسم لا مسمى له ، ومن هذا جرت العادة بتخير الاسم عند التسمية وكذا عند الملاقاة كقصة البريد السابقة ؛ أما التخير عند التسمية فلفائدتين: إحداهما التلذذ بسماعه وتجمل المسمى (32) بذلك، الثانية التفاؤل بأن يصدق معناه ، وذلك على حسب ما يريده ، وللناس أغراض تختلف ، وقد قيل لبعض العرب : لم تسمون عبيدكم نافعاً ومرزوقاً وأولادكم حرباً ومرة فقال : إنا نسمي أولادنا لأعدائنا <ونسمي>(33)عبيدنا <لأنفسنا>(34) أي فلا فرق بين فائدة النفع وفائدة الدفع وحلاوتهما ؛ بل الدفع أهم .

وكان وادي السباع (35)في بلاد العرب وفيه قال قائلهم (36) :

مررت على وادي السباع ولا أرى   كوادي السباع حين تبصر واديا

---

(32) في س : « المتسمى » .

(33) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(34) في «كتاب الاشتقاق» لابن دريد (ص 4) : « أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: «قيل للعتبي : ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشنعة وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة فقال : لأنها سمت أبناءها لأعدائها وسمت عبيدها لأنفسها » .

(35) في « معجم البلدان » لياقوت : « وادي السباع جمع سبع ، والسبع يقع على ما له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها ، ووادي السباع الذي قتل فيه الزبير بن العوام بين البصرة ومكة وبينه وبين البصرة خمسة أميال كذا ذكره أبو عبيد، ووادي السباع من نواحي الكوفة » .

(36) هو السفاح بن بكير ، والبيتان نسبهما إليه ياقوت في « معجم البلدان » ، وهو يعرف بوادي السباع .

أشد به ركباً أتوهُ تَثيِـّةً (37) وأخوف إلاّ ما وقى الله ساريا

قيل : سبب تسميته أن امرأة (38)من العرب كانت نزلته ولها عدة أولاد فوجدها رجل(39)يوماً وحدها فهم بها فقامت تصيح بأولادها وتقول : يا ليث ، يا نمر ، يا أسد ، يا كذا ، وهي أسماؤهم ، فأقبلوا إليها يشتدون ، فانطلق الرجل وهو يقول : هذا وادي السباع (40).

أما التخير عند الملاقاة والمعاملة فلفائدتين <أيضاً> (41) : إحداهما التلذذ والتفاؤل ، الثانية رجاء أن يكون قد طابق فيوجد معناه ويكون حسن الاسم دالاً على حسن المسمى كما تقرر في الفراسةالحكمية <من> (42) أن حسن الخلق دليل على حسن الخلق ، وفي الحديث : « اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ » على وجه ، ولم يبعث الله تعالى نبياً إلاّ حسن الوجه حسن الاسم ، وفي كلام العامّة : الاسم يدل (43)على المسمى . ومن التفاؤل الصادق والرجاء الواقع ما وقع لعبد المطلب في تسمية نبينا صلى الله عليه وسلم حيث سماه باسمه الشريف ، وكان هذا الاسم غير معتاد عندهم ، فقيل له : لمَ سميته بهذا وليس من أسماء آبائك ، فقال : رجاء أن يحمد في السماء والأرض ، فكان ذلك ، ويحتمل أن يكون كان عنده من ذلك علم ممن لقي من أهل ذلك العلم كسيف بن ذي يزن ونحوه . وقد يكون سبب تخير

(37) التثية بتشديد الياء على وزان التحية التلبث والتمكث ، و جاء في « أساس البلاغة » للزمخشري : « ما هي بدار تثية أي تمكث ، يقال : أتيت بالمكان وتأييت به » .

(38) هي أسماء بنت دريم بن القين وكان يقال لها أم الأسبع .

(39) هو وائل بن قاسط بن هنب .

(40) انظر الخبر مفصلا في « معجم البلدان » لياقوت (8 : 373 – 374) .

(41) ما بين العلامتين ساقط من ك و س وح .

(42) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(43) هو من بابة ما قال الشاعر في اللقب :

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

الاسم مشايعة من تسمى به تبركاً به أو إحياء (44) لذكره أو رجاء الشبه به أو نحو ذلك ، وفي الحديث : « وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ وَلَدٌ فَسَمَّيْتَهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ » وقيل : لما نزل قوله تعالى : « يَا أُخْتَ هَارُونَ » قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف تكون أخت هارون وبينهما دهر طويل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمَّوْنَ بِأَسْمَاءِ أَنْبِيَائِهِمْ » أي فهو هارون آخر سمي باسم هارون بن عمران عليه السلام .

واعلم أن التلذذ المذكور في هذا القسم خلاف المذكور فيما مرّ ، فإنّ ذلك تلذذ بالاسم بسبب حضور معناه الأصلي كسعد وسعيد وورده وياسمين ، وهذا تلذذ بالاسم لحضور من كان تسمى به من غير التفات إلى مدلول اللفظ الأصلي ، فكل من سمع اسماً كان وقع على مسمى آخر فقد يستشعر ذلك المسمى الآخر في الاسم فيوجب له ذلك الاستشعار أموراً ، إما تعظيماً ومنه بدل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه اسم ولد كان اسمه محمداً فسمع رجلاً يوماً يشتمه ويقول : فعل الله بك يا محمد وفعل ، فقال : لا أرى اسم النبي صلى الله عليه وسلم يُسَبّ بك ، وكان بعض الرؤساء كلم خديماً له اسمه محمد في أمر وخاطبه باسم آخر وهم(45) أنه غضبان عليه ، فدخل على الخديم من ذلك جزع عظيم حتى بين له بعد ذلك <أنه> (46) إنما كان على جنابة فلم يستطع أن ينطق بهذا الاسم الشريف وهو جنب، رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ، وإما تلذذاً أو استئناساً أو اشتياقاً أو نحو ذلك لكونه أليفاً أو محبوباً .

وكان المجنون لما اشتد به حاله قام أهله فقالوا : نذهب به إلى الحجّ وزيارة البيت ففعلوا ، فلما أقبلوا على مكة قالوا له: يا قيس، هذا بلد الله وهذا بيته فادع الله تعالى أن يعافيك من حب ليلى فأنشأ يقول :

---

(44) كذا بالأصل ، ومثله في ح وأما ك و س ففيهما : « حبا » .

(45) من وهمه الأمر توهيماً إذا جعله يتوهمه .

(46) ما بين العلامتين زيادة من ك وبها يتصل الكلام .

ذكرتك والحجيج له ضجيج | بمكة والقلوب لها وجيبُ
فقلت ونحن في بلــد حرام | به لله أخلصت القلوب :
أتوب إليك يــا رحمان مما | جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فأما من هوى ليلى وحبّــي | زيارتَهــــا فـإني لا أتوب
فكيف وعندهــا قلبي رهيناً | أتوب إليك منها أو أنيب

فأيسوا (47)منه ثم سكن شيئاً ما فلما بلغوا ناحية منىً سمع إنساناً يقول : يا ليلى ، ينادي امرأة، فطار المجنون واستقبل البَرِّيّة وهو يقول :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منىً | فهيج أحزان الفؤادِ وما يدري
دعــا بــاسم ليلى غيرهــا فكأنما | أطار بليلى طائراً كان في صدري

وقال الآخر :

ومَن كبدي يهفو إذا ذكر اسمه | كهفو جناح ينفض الطل طائره

وبلغ بأولياء الله تعالى نحو هذا المعنى ، وهم أحق به ، يحكى عن بعضهم أنه لقي واحداً منهم في البرية فقال له : من أين أتيت ؟ فقال : هو ، فقال : أين تريد ؟ فقال : هو ، فقال : ما تعني بقولك هو ؟ فقال : هو ، فقال الله تعني ؟ فصاح وسقط ميتاً . وإما نفرة وكراهية لكونه بغيضاً مقيتاً ، وإما غير ذلك .

تتمة

واعلم أن الاسم الذي يوضع على الإنسان علماً عند الولادة أو عند تبديل اسمه باسم آخر إما أن يكون بصورة الكنية كأبي بكر وأبي القاسم لمن سمي

(47) في ك و س و ح : « فايأسوا » وهو تحريف .

<به>(48) فيكون اسمه كنيته،وإما أن يكون بغيرها كزيد وعمرو وهو الأغلب ، وحينئذ إما أن تقرن به الكنية من أول وهلة فيقال مثلاً : سميت ابني كذا وكنيته كذا ، وقد يقرن به اللقب أيضاً فيقال مثلاً : سميت ابني محمداً وكنيته أبا عبد الله ولقبته جمال الدين ، وهذا كله لا إشكال في عَلَميّته، وقد لا يكنى ولا يلقب أولا ، فإذا كني بعد ذلك أو لقب كان ذلك عارضاً لا كالاسم اللازم أبداً من وجهين : أحدهما أنه لم يكن شيء منهما ثم كان ، الثاني أنهما يكونان ثم لا يكونان فإنه قد يكنى ثم لا يكنى ، وقد يكنيه هذا ولا يكنيه الآخر ، وكذا اللقب ، فصار كل منهما بمنزلة الوصف يعرض الاتصاف به فقد(49) يقال : كيف يحسبان مع هذا في الأعلام؟والجواب أنهما متى أطلقا على المسمى عيناه عند من عرفهما من غير معنى زائد على الذات، وهذا حاصل العلمية ، أما طروءهما فلا يضير ، فإن الاسم أيضاً كثيراً ما يطرأ ، والمعتبر ما بعد الطروء كما هو الأمر في التسمية الأولى ، وأما كونهما يتركان أحياناً فللاستغناء عنهما بالاسم كما يكون في الشيء يسمى بأسماء مترادفة ، فإذا عبر عنه بواحد منها كفى ، وفيه بحث ، وهو أن الأسماء المترادفة فوضى على مدلولها ، ولا كذلك ما نحن فيه ، فإن كلاً من الكنية واللقب إنما يجلب لغرض من تعظيم أو تحقير أو غير ذلك مما مرّ ، فيكون الوصف محط التسمية ، وحينئذ هو كلي ، فيكون الاسم اسم جنس أو علم جنس وذلك خلاف ما يقال من أنه علم شخص ، وهذا بحث قويّ لم نبسطه لأنا لسنا بصدده ، ويجاب بمنع ذلك وأن محط التسمية الذات مع ملاحظة الغرض وكونه يؤتى به عند وجود الملاحظة ويترك عند عدمها ، وأن ذلك غير معهود في الاسم لا امتناع فيه فافهم . فأقول :

---

(48) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(49) في ك و س و ح « وقد » .

[اسم المؤلف ونسبه]

أنا الحسن بن المسعود (1) بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم ابن محمد بن أحمد بن علي بن عمرو (2) بن يحيى بن يوسف ، وهو (3) أبو القبيلة ابن داوود بن يدراسن بن يننتو (4) ، فهذا ما بعد (5) من النسب إلى أن دخل بلد فركلة في قرية منه تسمى حارة اقلال (6) وهي معروفة الآن .

والكنية أبو علي وأبو المواهب وأبو السعود وأبو محمد .

أما ذكري للاسم فلما مر من فوائد التسمي . وأحمد الله تعالى وأشكره إذ جعله حسناً ، وأسأله سبحانه أن يجعل كذلك فعلي وخلقي وحظي في الدارين منه حسناً ، كما أحمده تعالى إذ حسن اسم والدي أيضاً فجعله مسعوداً ، واسأله تعالى أن يجعلني كذلك في الدارين ويجعله مسعوداً .

ومما اتفق لي في اسمي هذا واسم والدي أني كنت ذات مرة سافرت إلى زيارة الأستاذ الإمام ابن ناصر رحمه الله ، فمررت ببلادنا ، وكان أخونا في الله البارع الفاضل الخير أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي يشتهي أن أمر به في زاويته فلم يتفق لي ذلك فكتبت إليه اعتذاراً :

---

(1) كذا في الأصل ومثله في س أما ك وح ففيهما : « مسعود » بدون حرف التعريف .

(2) هو كذلك في الأصل ، ومثله في ح أما ك و س ففيهما : « عمر » المعدول .

(3) كذا بالأصل ومثله في س و ح أما ك ففيهما : « وهذا » .

(4) كذا في الأصل بياء فنون فنون أخرى فتاء مثناة بعدها واو وفي ك : « يلنتو » . بياء فلام فنون فتاء فواو وفي س : « ينتنن » بياء فنون فتاء فنونين ، أما ح ففيها : « يلنتن » بياء فلام فنون فتاء بعدها نون ، وليحرر ما يصح فيه .

(5) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « نعد » .

(6) في ح وحدها : « الاقلال » .

أبا سالمٍ ما أنت إلاّ كسالمٍ لدينا ولم يقضِ اللقاء فسالم
وزود غريباً طالما قذفت (7) بـــه ضروب (8) النوى من كل أفيح قاتم
مراماً (9) لشرب الكأس وهي منوطة بكف الثريا أو بكف النعائم (10)
بود (11) وإن الود من أطيب القرى ودعوة صدق عند عقد العزائم
وسلم على من ثم من جملة (12) الملا تحية ذي ود إلى الكل دائم

وقولي : (كسالم) تلميح إلى قول الشاعر (13) :

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج (14) : « أنت عندي كسالم » فلم يفهم مراده حتى أنشد البيت المذكور ، ومراد الشاعر أن سالماً المذكور الذي يدافع الناس عنه ويحامي عنه في محبته له وعزته عليه بمنزلة الجلدة التي

---

(7) في ك : « قدفت » بالدال المهملة وهو تصحيف .
(8) كتب أكنسوس بخطه على طرة مخطوطته : « صروف » .
(9) كذا براء ، وفي ك : « مداما » بالدال وهو ما في ح كذلك ، وفي صلب س : « مداما » ولكن أكنسوس كتب بخطه على طرة مخطوطته : « مراما » بالراء ولفظ المدام بالدال أوفق بسياق الكلام .
(10) النعائم منزلة من منازل القمر .
(11) كتب أكنسوس بخطه على طرة مخطوطته فوق هذه الكلمة ما لفظه : « متعلق بقوله : وزود ».
(12) في صلب س : « جمله » وكتب أكنسوس بخط يده على طرتها : « جلة » .
(13) هو زهير بن أبي سلمى على ما ذكره الزبيدي في « تاجه » رواية عن شيخه ابن الطيب بمادة (سلم) ، وينسبه البعض إلى عبد الله بن عمر في ابنه سالم .
(14) في « أمالي القالي » (1 : 15) : « حدثنا أبو بكر قال : حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : (أنت عندي كسالم) فلم يدر ما هو ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يسأله ، فكتب إليه : إن الشاعر يقول : ..

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم »

وفي « عيون الأخبار » (2 : 49) : « قال الوليد : ألا أن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : الحجاج جلدة ما بين عيني ألا وإن الحجاج جلدة وجهي كله » .

بين الأنف والعين لأن (15) تلك الجلدة هي سالم فهو تشبيه .

ثم < لما > (16) قفلنا من زيارتنا كتب إلي كتاباً يهنيني بالزيارة ويهني من معي بصحبتي ، وفي آخره :

من فاته الحسن البصري يصحبه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

ومن غريب الاتفاق مع ذلك أن كنت في تلك المدة إما قبل هذا الكتاب أو بعده بقريب حدثني بعض الإخوان أنه رأى (17) فيما يرى النائم جماعة من الصالحين والكاتب معهم ، وفيهم الشيخ محمد بن مبارك التستاوتي وغيره من أمثاله فتكلم بعضهم وأظنه قال : ابن المبارك المذكور إلى أن قال : إن كان الحسن البصري في زمانه فهذا الحسن البصري (18) في زماننا يشير إلى الكاتب ، وإنما ذكرت هذا رجاء وطماعية في اللحاق بالصالحين أو بمحبيهم (19) أو بمحبي محبيهم وتبركاً بذكرهم ، وإلاّ فليس بعشك فادرجي (20).

(15) كذا في المخطوطات الثلاث ، ومثله في الطبعة الفاسية ، وهو بصورة لام تعليل ملتصقة بأن التي للتوكيد ، ويبدو أن ألفاً سقطت مما بينهما ، وأن تمام العبارة كان هكذا : (لا أن) بحرف نفي قبل أن وجاء في « صحاح الجوهري » بمادة (سلم) ما لفظه بالحرف : ويقال للجلدة التي بين العين والأنف سالم ، وقال عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يديرونني عن سالم . . . . البيت)

وخطأ ابن بري تفسير الجوهري هذا فقال فيه ما حكاه عنه ابن منظور في اللسان فقال : « قال ابن بري : هذا وهم قبيح أي جعله سالماً اسماً للجلدة التي بين العين والأنف ، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنفه ».

(16) ما بين العلامتين ساقط من س .

(17) في ك و س : « يرى » بصيغة المضارع .

(18) كذا بالأصل ومثله في ك و ح وأما س ففيها : « اليوسي » .

(19) كذا بالأصل ، وفي ك و س و ح : « بمحبتهم » .

(20) هو مثل فسره الميداني في « أمثاله » فقال بالنص : « ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق فدعيه ، يقال : درج أي مشى ومضى ، يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره » .

لما انتسبت إلى علاك تشرفت ذاتي فصرت أنا وإلاّ من أنا

وكتب إلي العلاّمة أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسي بأبيات يذكر فيها أنه على عقد المحبة وفي آخرها :

لقد تحببت لي فضلاً (21) خصصت به بين الورى حبذا حب ابن مسعود

فعلمت أنه يوري عن ابن مسعود الحبر الصحابي، رضي الله عنه وألحقنا وآباءنا بزمرته إنه ذو الجود والإحسان ، فقلت : إن هذا كله من نعم الله التي يسر بها الإنسان ، وهو موافقة اسمه أو اسم أبيه لأسماء الخيار .

ومن غريب الاتفاق أني كنت أكتب ما تقدم من النسب فجاء أعرابي بقصيدة من الملحون يمدحني بها، وفي أثنائها يقول ما معناه: إن اسمه، أي (22) الممدوح، على اسم الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقلت في نفسي : سبحان الله في هذا كان عملي .

تتمة أخرى في أحكام التسمية

اعلم أنه وإن كان المطلوب تخير الاسم كما مرّ لا بد من التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فكما أنه لا ينبغي له أن يتسفل إلى الأسامي الدنية كذلك ليس له أن يتعلى إلى الأسامي العلية التي لا تنبغي له كأسماء الله تعالى، وللفقهاء كلام في أسماء الملائكة ، فعن إمامنا مالك رضي الله عنه أنه يكره أن يتسمّى الرجل بجبريل وعلل <ذلك> (23) بأنه سبب لأن يقول قائل : جاءني البارحة جبريل ، وكلمني جبريل وهو بشيع موهم ، وروي عنه أيضاً : لا ينبغي

---

(21) في ك : « حبا » .
(22) في ك و س و ح : يعني » بدل : « أي » .
(23) ما بين العلامتين ساقط من س و ح .

بياسين ، وتقدم إلى الحارث (24) بن مسكين القاضي خصمان ، فنادى أحدهما صاحبه باسمه إسرافيل ، فقال القاضي لِمَ تسميت بهذا الاسم ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تُسَمُّوا بأسْمَاءِ المَلائكَةِ » فقال له الرجل : ولِمَ تسمى مالك بن أنس بمالك ؟ وقد قال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ثم قال : لقد تسمى الناس بأسماء الشياطين فما عيب عليهم، يعني القاضي فإن اسمه الحارث ، وهو اسم الشيطان إبليس ؛ قال ابن عرفة : ويرحم الله الحارث في سكوته والصواب معه، لأن مَحمل (25) النهي في الاسم الخاص بالوضع أو الغلبة كإسرافيل وجبريل وإبليس والشيطان ، وأما مالك والحارث فليسا منه لصحة كونهما من نقل النكرات للأشخاص المعينة اعلاماً من اسم فاعل مالك وحارث كقاسم انتهى . وأما أسماء الأنبياء عليهم السلام فيجوز التسمي بها وفي الحديث : « تَسَمَّوا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوا بِكُنْيَتِي » وقيل : إن هذا النهي منسوخ ، فيجوز التسمي أيضاً والتكني بكنيته صلى الله عليه وسلم. ودخل القاضي أبو القاسم بن زيتون على أمير بلده المنتصر بالله فقال له : <لم> (26) تسميت بأبي القاسم ؟ وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تَسَمَّوا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي » فقال القاضي : إنما تسميت بكنيته صلى الله عليه وسلم ولم أتكنَّ بها ، وفي المسألة كلام باعتبار علة النهي وكون ذلك مع وجوده صلى الله عليه وسلم مشهور لا حاجة إلى بسطه ، ومن المنهي عنه في الحديث أن يسمي الرجل غلامه رباحاً أو أفلح أو يساراً ، إذ قد يقال: أثَمَّ هُوَ ؟ فيقال : لا . ولا بأس

---

(24) هو الإمام أبو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف قاضي الديار المصرية على عهد المتوكل العباسي ، كان من كبار الأئمة وثقات المحدثين ، توفي سنة 256 هـ ترجمته في « حسن المحاضرة للسيوطي وفي شذرات ابن العماد » .

(25) كذا بالأصل ومثله في س أما ك وح ففيهما : « محل » .

(26) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

بتكنية الصبي < كما مرّ > (27) وأصله : « يَا أبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ » (28) .

تنبيه : في الحديث : « إنّ أخْنَعَ الأسْمَاءِ رَجُلٌ تَسَمّى عِنْدَ اللهِ بِمَالِكِ الأمْلاكِ . ووقع فيه عضد الدولة (29) حيث قال (30) .

مـــا يطيب العيش إلاّ بالسمر   وغناء من جوار في سحر

---

(27) ما بين العلامتين ساقط من س .

(28) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله لبني لأبي أيوب الأنصاري كان له نغر فمات ، والنغير تصغير النغر بضم ففتح وجمعه نغران ، وهي ضرب من العصافير ويقال : هي فراخ العصافير .

(29) هو أبو شجاع عضد الدولة فنا خسرو الملك الديلمي الشهير ، قال عنه الخلكاني في « الوفيات » : « هو أول من خوطب بالملك في الإسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان في جملة ألقابه تاج الملة ، مدحه المتنبي بقصيدة جاء فيها :

وقد رأيت الملوك قاطبــة   وسرت حتى رأيت مولاهـا
ومن منايـاهم براحتــه   يأمرهـا فيهم وينهـاها
أبا شجاع بفارس عضد الدو   لة فنا خسرو شهنشاهـا
أساميا لم تزده معرفــــة   وإنمـا لــذة ذكرنـاهـا

(30) في يتيمة الدهر للثعالبي (ج 2 ص 197) : واخترت له (يريد عضد الدولة) من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله :

ليس شرب الكأس إلا في المطر   وغناء من جوار في السحر
غـانيـات سالبـات للنهى   ناعمات في تفاعيف الوتر
مبرزات الكأس مــن مطلعها   ساقيـات الراح من فاق البشر
عضد الــدولــة وابن ركنها   ملك الأملاك غلاب القــدر
سهـل الله لــــه بغيتـه   في ملوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخـير في أولاده   ليساس الملك منهم بالغرر

فيحكى أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى :
« ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه » .

غانيات سالبـــات للنهى ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولـــة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

فهذا من التغالي المنكر ، وإنما ذلك لأن ملك الأملاك هو الله تعالى ، وإطلاقه على غيره وإن كان يتأول بمن دونه أي ملك أملاك البشر ، لكنه في غاية من الإيهام والبشاعة فلا ينبغي . وقد تردد العلماء في أنه هل يلتحق به قاضي القضاة ونحوه .

ومن البشيع الواقع في زماننا في الأوصاف أنْ بَنَى السلطانُ رشيد [ابن] (31)الشريف جسرَ سبو ،فصنع لهبعضهم أبياتاً كتبت فيه (32)برسم الإعلام أولها :

صاغ الخليفة ذا المجاز ملك الحقيقة لا المجاز

فحمله اقتناص هذه السجعة والتغالي في المدح والاهتبال بالاسترضاء على أن جعل ممدوحه ملكاً حقيقياً لا مجازياً ، وإنما ذلك هو الله تعالى ، وكل ملك دونه مجاز ، الممدوح وغيره . ونسبة الألوهية إلى غيره تعالى كفر صراح ، وهذا مقتضى اللفظ ، وقائله يتأوله بحقيقة دون حقيقة لأنه موحد ، ولكنه في غاية الإيهاموغايةالبشاعة والقبح ،وقد أنكر الإشبيلي(33)وغيره ممن

(31) ما بين العلامتين غير ثابت في الأصل وهو في ك و س و ح ، فأثبتناه نقلا عنها .
(32) في ك و ح : « كتب فيها » وهو غير مستقيم في السياق » .
(33) نرجح أنه عنى بالإشبيلي أبا بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ . لأنه الإشبيلي الذي ينسب إليه كتاب في لحن العامة بالمراجع التالية : « بغية الملتمس » ، و « مطمح الأنفس » ، و « وفهرسة ابن خير » ، و « وفيات الأعيان » ، و « الديباج المذهب » ، و « كشف الظنون » ، و « خزانة الأدب » . وجاء اسم الكتاب في بعضها هكذا : « لحن العوام » وفي بعضها الآخر : (لحن العامة) وسماه ياقوت في « الإرشاد » ، والصفدي في « الوافي » ، والسيوطي في « بغية الوعاة » كما يلي : (ما يلحن فيه عوام الأندلس) والكتاب منه مخطوطة وحيدة محفوظة بمكتبة عاشر أفندي في استانبول تحت رقم : 1121 وقد قام بتحقيقه الدكتور رمضان عبد التواب وطبع بالقاهرة سنة 1964 م .

ألف في لحن العامة ما هو أخف من هذا بكثير .

وأما اليوسي فأصله اليوسفي كما مرّ من أن يوسف هو أبو القبيلة ويسقطون الفاء في لغتهم .

وأما ذكري لما مرّ من النسب فلفوائد منها أن يعرفه من يقف عليه من ذوي القرابة للتوصل إلى صلة الرحم والموارثة والمعاقلة وغير ذلك من الأحكام، وهذا مما لا بد منه ، وقد قال سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم ، وقد حمل الأمر في كلامه على الوجوب وذلك أصله . الثانية أن يعلم انقطاع النسب عند انتهائه إلى القرى فيظهر معنى قول مولانا عمر أيضاً رضي الله عنه فيما يؤثر عنه أنه قال : تعلموا أنسابكم ولا تكونوا كالقبط ينتسبون إلى القرى ، وليس هذا مخصوصاً بالقبط بل المدن كلها تتلف الأنساب كما قال العراقي (34)رحمه الله:

وضاعت الأنساب بالبلدان فنسب الأكثر للأوطان (35)

وسبب ذلك أن الإنسان إنما احتاج إلى التمدن للقيام بالمتاجر والحرف وسائر الأسباب التي ينتظم بها أمر المعاش والتعاون على المنافع الدينية والدنيوية، ولا يتأتى ذلك عادة إلاّ بكثرة الناس لتحصل عمارة الأسواق ، ويحصل من كل حرفة وصناعة وسبب وعمل عارف أو أكثر يقوم بها ، ولا يكون ذلك

---

(34) هو أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي المصري الشافعي أحد أعلام المحدثين في عصره مع مشاركته في فنون من العلم أخرى ومنها القراءات والفقه والأصول والعربية وكان ديناً عفيفاً حسن السمت كثير الوقار (725 – 806 هـ) .

(35) البيت هو تمام 997 من أبيات ألفيته التي نظم فيها مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث والتي أولها :

يقول راجي ربه المقتدر عبد الرحيم بن الحسين الأثري

وهي مطبوعة مجردة ومع بعض شروحها .

عادة من عشيرة واحدة بل ولا من قبيلة<وعمارة> (36) بل من أخلاط شتّى وأفواج جمة ، وذلك لسببين (37) : أحدهما أن هذا هو مظنة الكثرة الكافية فيما ذكر ، الثاني أن عادة الله تعالى لم تجرِ باختصاص رهط أو حي (38) واحد من الناس بالتفرد بالمعارف والاستقلال بالمصالح الدينية والدنيوية من دون سائر أصناف (39) الخلق حتّى ينتظم بهم الأمر وحدهم وتحصل لهم المزية بذلك والذكر فيه (40) دون <من> سواهم (41) ، بل بث الله تعالى بلطيف حكمته الخصائص والمزايا في الناس ، فيوجد في هذا الرهط عالم ، وفي آخر شاعر ، وفي آخر صانع أو تاجر وهكذا (42) ليتّم التعاون ويحظى الخلق كلهم من مائدة الله تعالى في باب الخصوصيات (43) بنصيب .

ولما كانت المدينة تجمع أخلاط الناس صار ساكنها في الغالب غريباً عن نسبه ، فقد لا يكون بينه وبين جار بيته (44) نسب ولا معرفة ، فإذا نشأ نسله انتسبوا غالباً إلى البلد لا إلى قومهم من وجهين : أحدهما أنه كثيراً ما ينقطع ما بينهم وبين قومهم فلا يعرفونهم ، الثاني أن الأنسان يعجب ببلده ويتبجح به لثلاثة أوجه أحدها أنه لا يعرف غالباً غيره ، الثاني أن الله تعالى حبب إلى الناس منازلهم ليلازموها فتنتظم عمارة الأرض على ما قدر الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم : «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا

---

(36) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(37) في س : « لشيئين » .
(38) في س : « صنف » .
(39) في ك و ح : « أوصاف » وهو غلط .
(40) في س : « فيها » .
(41) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(42) في س : « وهذا » .
(43) في ح : « الخصوصية » بالإفراد .
(44) في س : « جاريته » وهو خطأ .

المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ » . الثالث الإلف الطبعي . فإن كل واحد يألف تربته كإلفه لأمه وأبيه ، ولذا لا يزال يحن إلى مسقط رأسه ومحط لهوه وأنسه ، وقالوا : الكريم يحن إلى وطنه ، كما يحن النجيب إلى عَطَنِهِ .

وقال الأعرابي (45) :

أحب بلاد الله ما بين منعج (46) إليَّ وسلمى أن يصوب سحابها
بلادٌ بها حل الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

وقال الآخر (47) :

بلدي(48) ألفت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العيش وهو جديد
فإذا تمثل في الضمير رأيته وعليه أثواب الشّباب تميد

وقال الآخر (49) :

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا(50)

---

(45) البيتان في « كامل المبرد » ، وفي « معجم البلدان » لياقوت ، ومعهما في المرجعين بيت قبلهما هذا نصه :

ألم تعلمي يا دار ملحاء أنني إذا أخصبت أو كان جدباً جنابها

(46) كذا بالأصل ، ومثله في س ، وهو الصواب ، وفي ك و ح منجع بتقديم الجيم على العين وهو خطأ ، ومنعج ضبطه ياقوت في « معجم البلدان » فقال : « منعج بالفتح ثم السكون وكسر العين على أن بعضهم قد رواه بالفتح والمشهور الكسر » .

(47) هو أبو الحسن علي بن العباس الرومي الشاعر العباسي الشهير .

(48) كذا بالأصل وفي ك و س و ح بلد بدون ياء الإضافة وهي الرواية المشهورة .

(49) هو ابن الرومي .

(50) في « زهر الأدب » للحصري (ج 3 ص 736) تحقيق محمد محيي الدين :
« كان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك حتى أوضحها علي بن =

وهذا المعنى كثير شهير . ومن الأسباب في ذلك أنها أول بقعة ذاق فيها النعمة وأول جهـــة ألف منها الرفق (51)وآنس الإحسان ، وفي الحديث : « جُبِلَتِ القُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا » ولك في الحديث وجهان : أحدهما لطيف ، وهو أن القلوب الطاهرة عن الهوى ، الصافية من رعونات النفس ، الزاهرة بأنوار(52)المعرفة جبلت على حب الله تعالى لأنه هو المحسن إليها لا غير . والثاني ظاهري (53)وهو أن القلوب من حيث هي جبلت على الميل إلى المحسن من حيث هو ، ولا شك أن كل محسن دون الله تعالى لا أثر له ، وإنما هو جهة يرد منها إحسان الله تعالى ، ومع ذلك يحب ، فكذا تربة الإنسان أول جهة ورد منها عليه الإحسان الإلهي ، فيحبها قبل غيرها من الترب حباً متمكناً كما قيل (54) :

= العباس الرومي في قصيدة لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التجار يعرف بابن أبي كامل أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جدرها بقوله :

« ولي وطن آليت ألا أبيعــه	وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة	كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم	مــآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم	عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد ألفته النفس حتى كأنه	لها جسد إن بان غودر هالكا
وقد عزني فيها لئيم وسامني	فقال لي اجهد في جهد احتيالكا
وما هو إلا نسجك الشعر ضلة	وما الشعر إلا ضلة من ضلالكا
وإني وإن أضحى مدلا بماله	لآمل أن أضحى مدلا بمالكا
فإن لم تصبني من يمينك نعمــة	فلا تخطئنه نقمة من شمالكا »

(51) في ح : « الرفقة » وهو خطأ .

(52) في ك : « بأنواع » وفي ح : « بأنواع المعارف » .

(53) في ك و ح : « ظاهر » بدون الياء .

(54) القائل هو أبو المكشوح يزيد بن سلمة الخير عامر ، عرف بابن الطثرية (. . . – 127هـ) شاعر فصيح من شعراء العهد الأموي .

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا(55)

وقال الآخر (56) :

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل (57)

ومن أسباب المحبة والحنين حب من كان فيها من ذوي القرابة والأحباب وتذكارهم عند تذكارها ، وقد قيل : إن قوله صلى الله عليه وسلم في أحد : « جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ » إن المراد من كان فيه من الأصحاب كحمزة ومن معه رضي الله عنهم ، وقال المجنون :

أمرّ على الديار ديار ليلى أُقَبِّلُ ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

---

(55) البيت من قطعة له أوردها أبو بكر محمد بن داوود الأصفهاني في « كتاب الزهرة » ونصها :

أعيب الذي أهوى وأطري جوارياً يرين لها فضلا عليهن بينا
برغمي أطيل الصد عنها إذا بدت أحاذر أسماعاً عليها وأعينا
فقد غضبت أن قلت أنليس حاجتي إليها ، وقالت لم يرد أن يحبنا
وهل كنت إلا معمداً قانط الهوى أسر فلما قاده الشوق أعلنا
أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(56) القائل هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر العباسي الشهير .

(57) جاء في كتاب « أخبار أبي تمام » لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ما يأتي : « حدثني أبو جعفر أحمد بن يزيد المهلبي قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبا تمام يقول : أنا كقولي :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

والبيتان واردان في « دلائل الإعجاز » ، وفي « الصناعتين » ، وفي « الموازنة»، وفي « شرح الشريشي على المقامات » والأول منهما في « المحاسن والأضداد » للجاحظ وفي « المحاسن والمساويء » للبيهقي .

وقال الآخر يخاطب وطنه :

تقسم فيك الترب أهلي وجـــيرتي ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي

وهذا سبب ذكر الديار والمنازل والأوطان (58)ولا ينحصر ما قيل في ذلك ، وسنلم بشيء منه إن شاء الله في هذا الكتاب ؛ثم إذا انتسب إلى البلد(59) ذهب قومه وتنوسيت أسلافه ، فصار النسب مجهولاً لا باعث على حفظه ولا حامل على تعرفه (60)وهذا بخلاف أهل البادية فإنهم يحفظون أنسابهم إذ لا ملجأ لهم في الانتساب (61)غير قومهم فيبقى الأب الأول محفوظاً وبحفظه وذكره يتذكر ما بينه وبينهم من سلسلة النسب ، وإنما كان ذلك فيهم لوجهين : أحدهما أنه لا قرار لهم في باديتهم فينتسبوا إليه ، بل منازلها عندهم سواء . الثاني أنهم خالصون غالباً من كثير الشوب ، فكل واحد غالباً ينازل قومه ، إذ لا حاجة بهم إلى التمدن في باديتهم اكتفاء بالحاضرة ، فكل حي فيها يعيشون وحدهم ، ومتى خالطهم غيرهم لم يزل معروفاً بكونه ملصقاً ، وقد يكون من القرى ما يكون كذلك ، لانقطاعه عن الاختلاط وعدم التمدن فيمكنهم حفظ أنسابهم أيضاً .

ومن هذا حفظت قريش أنسابها مع كونها في قرية ، وكذا الخزرج في طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وكذا نحوها ، وقد يكون في المدائن من يحفظ نسبه أيضاً ، ولا سيما من له نسب مخصوص كالعلوية، أو من يكون في محلة < منعزلة > (62)في المصر فيكون كالقرية السابقة .

---

(58) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « الأطلال » .

(59) في س : « النفر » بدل البلد .

(60) في س : « تعريفه » .

(61) في ح : « الأنساب » .

(62) ما بين العلامتين ساقط من س .

الثالثة (63)أن يعلم أن حفظ الأنساب ليس خصوصية للعرب وإن كان لهم مزيد اهتمام بها ومزيد ارتفاع الهمة ، وكنت أنا قبل أن أخالط قومي أظن ذلك وأقول : إن العجم إنما هم كالمعزى ليس بين الأم وبين ولدها عهد إلاّ أن يرعى فيذهب حيث شاء ، وأما الأب فلا سؤال عنه ، فلما باحثت قومي في (64)هذا ألفيت الأمر على خلاف ما كنت أظن ، ووجدتهم يحفظون أنسابهم كما مرّ ، وإذا فيهم نسابون يحققون الفصائل والشعوب على نحو ما كانت العرب تفعل في أنسابها ، والوهن وإن كان يمكن أن يداخل شيئاً من ذلك فليس بعجب ، فإن غيرهم <أيضاً> (65)ما كان يسلم من ذلك . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « كَذَبَ النَّسَّابُونَ . قَالَ تعالى : وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً » وكون هؤلاء <أيضاً> (66)يكتفون بالقرى ويضيعون أنسابهم فذلك غير مختص بهم ، فقد وقع أيضاً للعرب حين دخلت قرى الشام والعراق ومصر والمغرب وغيرها ، فلا تزال تلقى حلبياً أو حمصياً <أو كوفياً أو بصرياً> (67)أو قرطبياً أو باجياً ، وهو تميمي أو قيسي أو أزديّ أو غيره ، وكثير منهم لا يرفع نسبه ، وإنما قال سيدنا عمر رضي الله عنه ما قال قبل أن يقع هذا الواقع أو قاله خوفاً منه ثم وقع كما ظن .

ويتعلق بأمر النسب أبحاث :

الأول : اعلم أن نسب الإنسان الأصلي هو الطين ، قال تعالى : (وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) وقال صلى الى عليه وسلم : « أَنْتُمْ بَنُو

---

(63) في ك و ح : « الثالث » بدون هاء التأنيث .

(64) في ك و ح : « على » بدل : « في » .

(65) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(66) ما بين العلامتين ساقط من ك ومن و ح.

(67) ما بين العلامتين ساقط من ح .

آدَمَ ، وآدَمُ مِنْ تُرَابٍ » . ويقال لآدم عليه السلام : عرق الثرى وأعراق الثرى ؛ قال امرؤ القيس :

إلى عرق الثرى وشجت عروقي   وهذا الموت يسلبني شبابي (68)

وهذا هو الأصل لجملته ، ثم لكل فرد منه بعد آدم أصل آخر وهو النطفة ، قال تعالى : « ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » فإذا استوى الإنسان كله في أنه من طين وأنه في الجملة (69) من ماء مهين لم يمكن أن يكون له فضل في نفسه باعتبار أصله ، ولا أن يكون لبعضه فضل على بعض بذلك ، لاستواء الجميع ، ولهذا نبه صلى الله عليه وسلم على هذا فقال : « إنَّ اللهَ أذْهَبَ عَنْكُمْ غُبِّيَّةَ (70) الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا

---

(68) في ك و س و ح : « ثيابي » بدل « شبابي » التي هي رواية الأصل ورواية « الديوان » أيضاً ، والبيت شرحه الأعلم الشنتمري بما يلي :

قوله (وشجت عروقي) أي اشتبكت واتصلت يقول : إن أصله في حسبه ثابت راسخ ، وقيل : أراد بقوله : « عرق الثرى » آدم صلى الله عليه وسلم لأنه أصل البشر ، ولأنه أصل العرب ، هذا على قول من زعم أن جميع العرب من إسماعيل صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أراد بعرق الثرى إسماعيل صلى الله عليه وسلم فيقول : عروقي متصلة بإسماعيل إذا انتسبت ، وقد في كل من بيني وبينه من نسب ، فلا شك أني لاحق بهم ، وقد بين ذلك بقوله : وهذا الموت يسلبني شبابي » .

(69) في ك و ح : « جملة » بالتنكير .

(70) كذا في الأصل بغين معجمة ، ومثله في مخطوطة الكتاني ، وهو كذلك في مخطوطة أكنسوس وفي الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه العبيه بعين مهملة . والعبية فسر الزمخشري لفظها في « فائقه » وبين اشتقاقها وذكر وزنها فقال :

« العبية : الكبر ، ولا تخلو من أن تكون فعلية أو فعولة فإن كانت فعلية فهي من باب عباب الماء وهو زخيره وارتفاعه كما قيل له الزهو من زهاه إذا رفعه ، والأبية بمعناها ، من الاباب بمعنى العباب ويجوز أن يكونا فعولة من العباب والأباب إلا أن اللام قلبت ياء كما في تقضي البازي ، والأظهر في الأبية أن تكون فعولة من الاباء والعمية أيضاً فعلية من العمم وهو الطول ، والطول والارتفاع من واد واحد، والمتكبر يوصف بالترفع والتطاول ،ويجوز أن تكون فعولة من العمى لأنه يوصف بالسدر والتخمط وركوب الرأس،وإن كانت – أعني العبية – فعولة فهي من عبأه إذا هيأه ،لأن المتكبر ذو تكلف وتعبئة خلاف من يسترسل على سجيته، والكسر في العبية لغة » .

بالآباء ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وآدَمُ مِنْ تُرَابٍ». ونبه الله تعالى الإنسان على أصله في آيات كثيرة ليتنبه فيعرف نفسه ويعرف اقتدار مولاه ، وقال مولانا علي كرم الله وجهه : «ما لابن آدم والفخر ، وأوله نطفة ، وآخره جيفة» . وقد يقال : أوله نطفة مذرة (71) ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، وعقد الشاعر (72) الكلام الأول فقال :

مـــا بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر (73)

[وقال آخر (74) :

عجبت(75)من معجب بصورته وأوله نطفة مـــذره (76)
وفي غد بعد حسن صورته يصير في الترب جيفة قـــذره
وهو على عجبـــه ونخوتـــه ما بين رجليه تخرج العذره(77)]

---

(71) في ك و ح : «مدرة» بدال مهملة ، وهو تصحيف صوابه بمعجمة ،وفي القاموس : «مذرت البيضة كفرح فهي مذرة فسدت ونفسه ومعدته والجوزة خبثت ، كتمذرت» .

(72) هو أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد شاعر الزهد الشهير .

(73) البيت من قصيدة له في ديوانه ، وقبله :

ما أحمق الإنسان في فخره وهو غدا في حفرة يقبر

(74) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ،واستدركه ناسخ المخطوطة الكتانية على طرتها وهو وارد في الطبعة الفاسية .

(75) في كشكول العاملي (1 : 413) بتحقيق الزاوي :

«من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : ابن آدم أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة ، وقد نظمه الشاعر فقال :

عجبت من معجب بصورته . . . . الأبيات»

(76) كذا في الطبعة الفاسية ، وهو مختل العروض وجاء في طرة ك هكذا :

(وهو من قبل نطفة مذره)

أما كشكول العاملي فجاء فيه المصراع كما يلي :

(وكان من قبل نطفة مذره)

(77) رواية المصراع في الكشكول كالتالي :

(ما بين هذين يحمل العذره)

نعم يشرف الإنسان بخصوصية تزاد على جسمه الطيني كالعقل والعلم والدين مثلاً <فيثبت له الفضل> (78) ويثبت لبعضه على بعض ، ولما عمي إبليس اللعين عن الخصوصية ، ولم يرَ إلاّ الطينية (79)السابقة لم يرض بآدم ولا بالسجود له ، ولم يسلم الأمر لمولاه ، فأبى وصرح بأنه خير منه ، وعلل ذلك بالمنشأ المذكور ، فأخطأ من جهات :

منها أنه إما أن يكون لا شعور له بالخصوصيات أصلاً ، وإنما منظره ذوات الأجرام ، وهذا جهل عظيم . وإما أن يشعر بها ولا يعرف أنها بها يقع التفاضل . وهذا أيضاً جهل ، وإما أن يعرف ذلك ولكن لا يسلم وجودها في آدم فيكون قد بادر إلى إنكار الشيء قبل تحقق انتفائه ، بل قبل التأمل ، وهو أيضاً جهل وطيش وغفلة عن الإمكانات العقلية وتصرف الفاعل المختار تعالى ، وإما أن يكون ذلك محتملاً عنده، فعمل على الانتفاء <لا> (80) على الثبوت ، وهو أيضاً جهل وزلل في الرأي وتضييع للاحتياط ، وإهمال لدلالة القرائن المفيدة للعلم ، فإنه لو تأمل أدنى تأمل لاستفاد الحق من ترشيحه للخلافة ، فإنه لا يخفى عليه قول الله تعالى : « إنِّي جَاعِلٌ في الأرْضِ خَلِيفَةً » ، ومن سجود الجمهور ، ويد الله مع الجماعة ، وإما أن يكون قد علم ذلك ولكن غلبه ما يجد من الحسد والكبر ، فاشتغل بالمكابرة والمغالطة ، وهذا أيضاً جهل ، فإن العلم إذا لم ينفع كالعدم ، ومن لا يجري على علمه في حكم (81)الجاهل ، هذا مع غاية النقصان بعد التزكية ، وعدم ملك زمام النفس . نسأل الله تعالى العصمة . قال الله تعالى : (قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاها) .

---

(78) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .
(79) في ك و ح : « الطينة » .
(80) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .
(81) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : كالجاهل .

ومنها أنه لم يخلص إلى صحيح العلم وصريح التوحيد فيعلم حق يقين (82)، أو عين يقين، أو علم يقين أن للفاعل سبحانه أن يتصرف في مملكته كيف شاء، فيرفع من شاء، ويضع من شاء <ويقدم من شاء> (83) ويؤخّر من شاء، ولا سبَب غير العناية الأزلية، وكل شيء بقضاء وقدر (لا يُسْألُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْألُون).

ومنها أن ما اعتمده من فضل جرم النار على جرم الطين ضعيف لا يسلم له، فإن فضل النار <إن> (84) كان بمجرد حسنها الصوري فهذه المزية لا تكفي، فإن الأشياء خلقت للانتفاع بها، فما ينبغي أن يكون تفاوتها إلاّ بالمنافع أكثرية وأهمية، والحسن الصوري من المنافع النظرية، وغيره أهم منه، ففي النار منافع كالإحراق والإيقاد والإنضاج والتسخين والتحليل والتعقيد (85)والتعذيب لمن أريد والتذكر (86) ونحو ذلك. وفيها مفاسد كثيرة ومضار هائلة كالإحراق والإتلاف للنفوس والأموال والزرع والتنشيف والتيبيس والإيلام والعذاب الأكبر. وحسبك منها أنها ضرة الجنة وضدها حتى حصل بينهما من التقابل شبه ما بين النفع والضر، والعذاب وإن اشتمل على غير النار لكن النار أعظمه، ولذا صحّ إطلاقها عليه.

---

(82) في «كتاب التعريفات» للشريف الجرجاني: «حق اليقين عبارة عن فناء العبد في الحق والفناء به علماً وشهوداً وحالا لا علماً فقط، فعلم كل عاقل الموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين، فإذا ذاق الموت فهو حق اليقين، وقيل: علم اليقين ظاهر الشريعة، وعين اليقين الإخلاص فيها، وحق اليقين المشاهدة فيها».

(83) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح.

(84) ما بين العلامتين ساقط من ك وح.

(85) في ح: (التعقير) بالراء بدل الدال وهو تصحيف.

(86) في س: (والتذكير).

وأما التّراب فهو مهاد الإنسان وفراشه حيّاً ، وكِفاتُهُ (87)ميّتاً ، ثم هو منبع الماء الذي به الحياة ، ومنبت الزرع وجميع الأقوات للإنسان وغيره من الحيوانات ، ومنبت العقاقير التي بها الاستشفاء ، والمعادن التي بها قوام العيش ، والتي بها التعامل ، فمنافعه لا تحصى ، وليس فيه من المفاسد والمضار إلاّ ما هو تافه يضمحل في جنب المصالح والمنافع ، فهذا هو الشرف والفضل ، وقد ظهر ما في كل منهما في فرعه ، فانظر إلى فرع التّراب الذي هو الرحمة والمنفعة وهو الإنسان كيف ظهر فيه العلم والدين والرحمة ، قال تعالى في نبيه صلى الله عليه وسلم : « وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » ، وانظر إلى فرع النار التي هي النقمة والمضرة وهو إبليس كيف ظهر فيه الإفساد والإغواء والاستفزاز ، والأمر بيد الله على أن الإنسان مخلوق من الاسطقسات (88)الأربعة (89) : التّراب والماء والنار والهواء ، قال تعالى : « . . . مِنْ تُرَابٍ . . . » وقال أيضاً : « . . . مِنْ طِينٍ . . . » كما مرَّ ، وهو التّراب والماء ، وقال تعالى أيضاً : « . . . مِنْ صَلْصَالٍ . . . » وهو الطين اليابس لما فيه من نارية ، وقال أيضاً : « . . . مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ... »

---

(87) في « مقاييس ابن فارس » : « الكاف والفاء والتاء أصل صحيح يدل على جمع وضم ، من ذلك قولهم : كفت الشيء إذا ضممته إليك ، قال رسول الله عليه السلام في الدليل : « اكفتوا صبيانكم » يعنى ضموهم إليكم واحبسوهم في البيوت ، وقال عز وجل : (ألم نجعل الأرض كفاتاً ، أحياء وأمواتاً) يقول إنهم يمشون عليها ما داموا أحياء ، فإذا ماتوا ضمتهم إليها في جوفها » وفي « فائق الزمخشري » (2 : 421) ما نصه : « الشعبي رحمه الله تعالى – قال بيان : كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فالتفت إلى بيوت الكوفة فقال : هذه كفات الأحياء ، ثم التفت إلى المقبرة وقال : هذه كفات الأموات » . وفي ك و ح : (كفانة) بالنون بدل التاء وهو تصحيف .

(88) في كتاب التعريفات للشريف الجرجاني : « الأسطقسات هو لفظ يوناني بمعنى الأصل ، وتسمى العناصر الأربع التي هي الماء والأرض والهواء والنار اسطقسات لأنها أصول المركبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن » .

(89) في ك و ح : (الأربع) بدون الهاء .

وهو المتغير الرائحة< بما تخلله من الهواء> (89م)فقد استوفى الإنسان في تركيبه ما في النار ، وزاد<ما> (90) في غيره ؛ فافتخار صاحب النار على صاحب النار والماء والتّراب والريح حمق عظيم .

وهذا المحل يسع من الكلام أكثر من هذا<بكثير >(91) ولكنه ليس من غرضنا فانرجع إلى ما نحن فيه فنقول :

إن ابن آدم متّى افتخر قيل له : إن كان افتخارك بأصلك فلا فخر لك <بل> (92) كما يقال : « ضعيف عاذ بقرملة » (93)ثم لا فخر لك به على غيرك لأنكما سيّان ؛ وإن كان بمزية فهاتها ؛ فمن ثبت له أو لأبيه ثبت فخره بنفسه أو بنسبه وإلاّ فلا .

الثاني — اعلم أن ما أشرنا إليه من المزايا التّي يشرف بها الإنسان حتّى يشرف بشرفه من انتسب إليه كثيرة ؛ منها دينية كالنبوءة وهي أجلها ؛ وكالعلم والصلاح ومكارم الأخلاق وغير ذلك ؛ ودنيوية كالملك ، وهو أعظمها ، وكالنجدة والكرم والقوة وكثرة العدد وكثرة المال والجمال ونحو ذلك وكثير منها يصلح <أن> (93م)يكون دينياً ودنيوياً كالقوة والعز

(89م) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(90) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(91) بين العلامتين ساقط من ك وحدها .

(92) ما بين العلامتين ساقط من ك وحدها .

(93) لفظه في « مجمع الأمثال » : (ذليل عاذ بقرملة) . وكتب عليه الميداني يقول : « قال الأصمعي : القرملة شجيرة ضعيفة لا ورق لها قال جرير :

كان الفرزق حين عاذ بخاله مثل الذليل يعوذ وسط القرمل »

وفيه أيضاً : « أذل من قرملة — القرمل شجر قصار لا ذرى ولا ملجأ ولا ستر ،ويقال في مثل آخر : (ذليل عاذ بقرملة) أي شجرة لا تستره ولا تمنعه،أي هو ذليل عاذ بأذل من نفسه » .

(93م) ما بين العلامتين ساقط من ك وحدها .

والكرم وسائر مكارم الأخلاق ، وبعضها ديني ودنيوي معاً كالنبوءة والخلافة والعلم ، وبعض ذلك حسي ، وبعضه معنوي ، وبعضه وجودي ، وبعضه عدمي ، وشرح ذلك يطول فلنقتصر (94) القول مع تمثيل وتمهيد :

أما التمثيل فهو أنه لو اعتبر رجلان متساويان في الخلق والخلق والنسب وسائر الأحوال فلا مزيّة لأحدهما على الآخر ،وفي مثلهما قال علقمة (95) ابن علاثة للمتنافرين : صرتما كركبتي البعير الآدم (96) ، ولو اختص أحدهما بالفقه فهذه مزية وجودية يفضل بها الآخر ، ولو اختص أحدهما بكونه

---

(94) كذا بالأصل ، أما ك و س و ح ففيها جميعاً : (فلنقصر) .

(95) كتب أكنسوس على طرة مخطوطته بخط يده تصويباً لكلام اليوسي يقول فيه بالنص الحرفي التام : « لا أدري ما معنى هذا الكلام من المؤلف رحمه الله تعالى ، فإنه في غاية الإشكال ، وذلك لأن علقمة بن علاثة رضي الله عنه ليس هو القائل لذلك الكلام فيما نعلم، لأنه هو أحد المتنافرين ، والقائل هو الحكم الذي وقع التنافر إليه، وهو هرم بن قطبة بن سيار الفزاري أحد حكام العرب ، وحاصل قصة هذه المنافرة أن علقمة بن علاثة رضي الله عنه جلس يوماً بموضع يبول فيه ، فمر به ولد عمه عامر بن الطفيل لعنه الله فقال فيه كلاماً غاظه ، فكان ذلك سبب المفاخرة والمنافرة ، وهي المحاكمة في خصوص الشرف ، فتنافرا أولا الى أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه فهاب أن يقضي بينهما لما يعلم من شرف كل منهما في قومهما بني عامر مع اتحاد بيتهما، فبقي الأمر بينهما وازداد حتى تنافرا إلى هرم بن قطبة في قصة طويلة ، فلما أعياه أمرهما بعد إعمال حيل مشهورة جمعهما وقال لهما أنتما كركبتي بعير تنهضان معاً وتقعان معاً ، هكذا ذكر الأخباريون هذه الحكاية ، والمصنف رحمه الله أعلم الناس بذلك ، وهذا الفن محط رحاله ، وقد ألف في الحكم والأمثال ، ولا يمكن أن يخفى عليه ، والله أعلم بسبب ما وقع له هنا » . اه كلام أكنسوس .

(96) كذا في المخطوطات الثلاث ، ومثله في الطبعة الفاسية ، لكن المروي في المنافرة : (الأدرم) والدرم في البعران فسره صاحب اللسان فقال : « درم البعير درماً»وهو أدرم إذا ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها ، وأدرم الفصيل للاجذاع والإثناء وهو مدرم إذا سقطت رواضعه » . وجاء في أساس البلاغة للزمخشري : « درمت أسنانه : تحاتت ، ورجل أدرد أدرم ، وكعب أدرم لا حجم له ، لغيبوبته في اللحم ، وامرأة درماء المرافق وهن درم الكعوب، ومن المجاز : درع درمة : ملساء قد ذهبت خشونتها وقضض جدتها وانسحقت ومكان أدرم : مستو أملس » .

ظلوماً فهذه مزية مذمومة عند أهل الشرع ، وقد سلم منها الآخر ، فله الفضل بمزية هي عدمية ، وعند الجاهلية بعكس هذا ، ولذا تأتى لشاعرهم أن يهجو بقوله :

قُبيِّلةٌ لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبّة خردل

فقد فهمت المزية في الجملة .

وأما التمهيد فاعلم أن الأجرام الترابية وما توالد منها متشابهة في الأصل ، وكانت المزية للناميات الثلاثة . وهي المعدن والنبات والحيوان ؛ أما المعدن فله الفضل على سائر الأجرام الترابية بالنمو والنفاسة والانتفاع ، وأما النبات فله الفضل على ما قبله(97) بالنمو والإثمار والانتفاع الخاص ووجود النفس النباتية ، حتى إن المعدن جزؤه ككله ، فينتفع بما يقطع منه ؛ فهو في ذلك كغير النامي بخلاف الشجرة لو اقتطعت منها قطعة لم ينتفع بها الانتفاع المراد منها كالإثمار ، فأشبهت الحيوان . وربما تموت بقطع رأسها كالنخلة ، كما يموت الحيوان. وقد ادعى بعض المتكلمين أن للنبات حياة ، وزعموا أن النخلة يتعشق بعضها ببعض فيميل إليه ، وأما ميل عروقها إلى الماء فمشاهد . وزعموا أنه إلى هذا المعنى الإشارة بالحديث : « أكْرِمُوا عَمَّتَكُمْ النَّخْلَةَ » وهو حديث غريب ؛ والذي في الصحيح أنها مثل المسلم ، واختلف المحدثون في وجه الشبه (98) على أقوال معروفة . وأما الحيوان فله الفضل بما ذكر مع زيادة الحياة والإحساس والإلهام ، ويختص الإنسان عن جملته بزيادة العقل الذي هو محط إدراك الكليات والرأي والتصرف ، فللإنسان الفضل على الجميع .

والإنسان لفظ واقع على آدم وعلى ذريته أبداً اسماً للقدر المشترك فيه ،

---

(97) في س : (على ما في قبله) وهو تحريف .

(98) في س : « التشبيه » بدل : « الشبه » .

وهو الحيوان الناطق أي المتفكر بالقوة ، والآدمي كله مشترك في هذه الفضيلة ، ولذا (99) سخر له غيره ، وابتلي هو بالتكليف بمعرفة الخالق تعالى <و> (100) بعبادته ، وهذه مزية أخرى لجميعه ، ولقد خصه الله تعالى في أرزاقه وفي خَلْقه وفي خُلُقه وفي لباسه وركوبه وغير ذلك بكثير ، قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) وإنما قال تعالى : « ... عَلَى كَثِيرٍ ... » لبقاء الملائكة على ما في ذلك من النزاع المشهور بين الجمهور .

لطيفة : كان بعض المخارفين (101) يقول : <نحن معشر المحرومين> (102) لسنا من ولد آدم لأن الله تعالى قد قال فيهم ما تقدم يعني الآية ، وليس عندنا شيء من ذلك ويقول : كان لآدم عبد فنحن جميعاً من ولده ، وليس بيننا وبين آدم نسب أصلاً قلت : وهذا دخل (102م) في أحاديث (103) الخرافات والمضحكات (104) الباطلة ، والإنسان كله ابن آدم كما قال صلى الله عليه وسلم : « أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ ... » والآية صحيحة على الجملة وصحيحة أيضاً على التفصيل لأن كل آدمي ولو بلغ في حرمان الرزق والفقر المدقع ما عسى أن يبلغ هو أفضل من سائر الحيوان ومن الجن بعقله وصورته الحسنة

---

(99) في ك و ح : « ولذلك » .

(100) ما بين العلامتين ساقط من س .

(101) كذا هو في الأصل بخاء وراء وفي ك وح : (المجازفين) بجيم وزاي ، والظاهر أنهما تصحيف صوابه : (المحارفين) بحاء وراء، والمحارف فسره الجوهري في « صحاحه » فقال : « رجل محارف بفتح الراء : محدود محروم ، وهو خلاف قولك : مبارك ، وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقه عنه » .

(102) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(102م) كذا في الأصل على صيغة الماضي ، وفي سواه (داخل) على مثال اسم الفاعل .

(103) في س : وحدها (حديث) بصيغة الإفراد .

(104) في س وحدها : (مع المضحكات) .

وانتصاب قامته وأكله بيديه معاً وسائر تصرفاته وتناوله من الطيبات التي لا تصل إليها الحيوانات ومتمكن من الركوب في البر والبحر إلى غير ذلك ، فهو مكرَّمٌ أي تكريم ، ومفضل أي تفضيل .

ثم إن أفراد الإنسان متفاوتون فيما ذكر من مزية العقل كثرة وقلة تفاوتاً عظيماً ، وأعلاهم في ذلك الأنبياء ثم الصديقون (105)ثم سائر الزاهدين في العرض الفاني ، وأما أقلهم عقلاً فلا ينضبط وإن وقع التعبير عنه في كثير من كلام الأنبياء والحكماء ، فقد انتهى بعض الأفراد إلى مزاحمة البهائم وما يقع (106)من التعبير عنه يرجع إلى الإضافة .

ثم إن الله تعالى خص آدم وبنيه بمزايا أخرى دينية ودنيوية يمتاز بها البعض عن البعض لا مشتركة كالأولى ، أعلاها في الدينية النبوة ثم الخلافة عنها في الظاهر أو في الباطن أو فيهما أو في السياسة ، وفي الدنيوية الملك ثم النيابة عنه، ومنها القوة وكثرة المال وكثرة الإنفاق واصطناع الصنائع وابتناء المآثر وكثرة العدد والفصاحة والصباحة ونحو ذلك من كل وصف محمود في الدين أو في الدنيا ، فمن حصل له شيء من ذلك حصل له شرف على قدره ، وثبت لولده عدّ ذلك في مفاخر أبيهم ، وهو المراد بالحسب في لسان العرب ، فكل واحد عندهم حسبه هو ما يعد من مفاخر آبائه ، فهو من الحساب ، ومن ليس له (107)ما يعد فلا حسب له ، فالخصلة الحميدة تكون مفخرة لمن اتصف بها<ولمن انتسب إلى من اتصف بها> (107م) فيشرف<نسبه> (108) بذلك .

---

(105) في « كتاب التعريفات » للشريف الجرجاني ما نصه : « الصديق هو الذي لم يدع شيئاً مما أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله » .

(106) في ك و ح : (يقع) .

(107) في ك و ح : (عنده) .

(107م) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(108) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

إذا علم هذا فنقول :

إن آدم أبا(109)البشر على نبينا وعليه السلام قد حصل له الشرف بالنبوءة وسائر الخصال الحميدة وبسجود الملائكة له وولادته للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وهذا كله من المزايا فجميع بنيه شريفهم ومشروفهم ورشيدهم وغويهم يحصل لهم بالانتساب إليه شرف من هذا الوجه يفضلون به غيرهم ممن ينتسب إلى جني (110)أو بهيمة،فلا تظن أن دابة لكونها لم تعص الله تعالى تكون أشرف من إنسان كافر أو فاسق إلا من هذا الوجه ، وأما في النسب والحسب والصورة <وغيرها>(111)فهو أشرف منها ؛ ولذا يوارى إن مات ولا توارى هي ؛ غير أن الافتخار بنسبة آدم قد تنوسي لطول العهد كما تنوسيت رحمه .

ومن أطرف ما وقع لسيدنا معاوية رضي الله عنه أن جاءه إنسان فقال له : أسألك بالرحم التي بيني وبينك إلا ما رفدتني فقال : أنت من عبد مناف ؟ قال : لا . قال : أنت من قريش ؟ قال : لا . قال : أنت من العرب ؟ قال : لا . قال : أي رحم بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم فقال : رَحِمٌ مَجْفُوَةٌ لأكونن أول من وصلها، فأعطاه .

ثم يتمايزون بعد ذلك ، فمن كان من ولد نوح عليه السلام فهو أفضل نسباً من بقية ولد آدم لأن أولئك يعدون آدم وهؤلاء يعدون آدم ونوحاً ، فإن كل ما يعده الأعلى يعده الأسفل ويزيد ، فإن الأخص فيه ما في الأعم وزيادة ؛ وهذا كما يقال في الحكمة في الأجناس المتوسطة والسافلة والأنواع الحقيقية(112) والفصول : إن كل ما يتقدم به الأعلى يتقدم به الأسفل ويزيد ، فالله تعالى قد قال : (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ

(109) في س : (أبو) .
(110) في ك و س و ح : (جن) بدون ياء النسبة .
(111) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .
(112) في ك : (الحقيقة) .

عَلَى العَالَمِينَ) فمن انتسب إلى آدم ونوح فقد انتسب إلى مصطفين . ثم من كان من ولد إبراهيم بعد ذلك فهو أفضل من بقية ولد نوح لأنه يعد آدم ونوحاً وإبراهيم عليهم السلام ، وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله حين قيل له : من أكرم الناس ؟ « الكَرِيمُ ابْنُ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ : يوسف بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إسْحَاقَ بْنِ إبْرَاهِيمَ ، نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيِّ ابْنِ نَبِيٍّ » وكلامه صلى الله عليه وسلم موافق لقوله تعالى : « إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقَاكُمْ » . فإن الأنبياء هم أتقى الناس لأنهم أعلم، وإنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ، فهم أكرمُ الناس ، فمن انتسب إليهم كرم بنسبه إليهم وإن لم يكن نبياً ، فكيف إذا كان هو أيضاً نبياً ؟ فله الشرف الطارف والتليد ، كيوسف عليه السلام ، فصدق نبينا صلى الله عليه وسلم . ثم أولاد إبراهيم عليه السلام يتفاوتون في الشرف أيضاً بقدر أنسابهم فمن ازداد بنبي أو نبيين أو أكثر ازداد درجة في الشرف ، فأما أولاد إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام فلهم الشرف في الجملة (113)غير أن الأسباط (114)أولاد يعقوب بن إسحاق لهم الشرف الشامخ ، والمجد الباذخ ، فإنهم فازوا بثلاثة أنبياء على نسق ، ثم جل الأنبياء بعد ذلك فيهم ، وقد قال الله تعالى لبني إسرائيل : (اذْكُرُوا

---

(113) في س : (الجماعة) ويبدو أنه تحريف .

(114) روى الطبري وهو يفسر قوله تعالى من سورة البقرة : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط . . . . الآية » . فقال : « حدثني المثنى قال : ثنا إسحاق قال : ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال : الأسباط يوسف وإخوته بنو يعقوب – اثنا عشر رجلا ، فولد لكل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : نكح يعقوب بن إسحاق وهو إسرائيل ابنة خاله ليا ابنة ليان بن توبيل بن إلياس فولدت له روبيل بن يعقوب وكان أكبر ولده ، وشمعون بن يعقوب ، ولاوي بن يعقوب ، ويهوذا بن يعقوب ، وريالون بن يعقوب ، ويشجر بن يعقوب ، ودينة بنت يعقوب ، ثم توفيت ليا بنت ليان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن توبيل بن إلياس =

نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ) وقال تعالى : (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) إلى غير ذلك ، وأولاد العيص (115) بن إسحاق لهم شرف دونهم ، ولم يكن فيهم نبي فيما يقال غير أيوب عليه السلام ، وأما أولاد إسماعيل بن إبراهيم فلهم الشرف بإبراهيم وإسماعيل أولاً ، ثم استكملوا الشرف آخراً (116) بسيد الوجود وسر الكائنات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم إليه يساق <حديث > (117) الشرف العِد (118) ، وباسمه يرسم عنوان صحيفة المجد ، فبه (119) شرف من قبله

= فولدت له يوسف بن يعقوب وبنيامين وهو بالعربية أسد ، وولد له من سريتين له اسم إحداهما زلفة واسم الأخرى بلهية أربعة نفر : دان بن يعقوب ونفثالي بن يعقوب وجاد بن يعقوب فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا نشر الله منهم اثني عشر سبطاً لا يحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله ، يقول الله تعالى : (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً) . انتهى كلام الطبري .

(115) في « مروج الذهب » للمسعودي (ج 1 : 46 – 47) ما نصه : « تزوج إسحاق بن إبراهيم برفقا ابنة بتوايل فولدت له العيص ويعقوب في بطن واحد ، وكان البادىء منهما إلى الفضل عيص ، ثم يعقوب ، وكان لإسحاق في وقت مولدهما ستون سنة ، وذهب بصر إسحاق فدعا ليعقوب بالرياسة على إخوته ، والنبوة في ولده ، ودعا لعيص بالملك في ولده » .

(116) في س : (الآخر) .

(117) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(118) هو بكسر العين من قولهم : ماء عد إذا كانت مادته لا تنقطع ، قال الجوهري في « صحاحه » « العد بالكسر الماء الذي له مادة لا تنقطع كماء العين والبئر ، و الجمع الأعداد » . وجاء في أساس البلاغة للزمخشري : « ماء عد ومياه أعداد » ، قال الشاعر :

وقد أجوب على عنس مضبرة ديمومة ما بها عد ولا ثمد

ومن المستعار : حسب عد ، قال الحطيئة :

أتت آل شماس بن لأي وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العد »

(119) في ك و ح : (به) بدون الفاء .

كما به شرف من بعده ؛ وقد كان آدم يكنى به تشريفاً له بأشرف أولاده فيقال : أبو محمد ؛ وكما يشرف الولد بشرف الوالد قد يشرف الوالد بشرف الولد ، ولله در ابن الرومي في قوله :

وكم أب قد علا بابن ذرى حسب كما علت برسول الله عدنـــان

وسنزيد هذا بسطاً إن شاء الله تعالى ، فمن اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعده <وهم> (120)الفاطميون أشرف الناس نسباً لأن غيره كبني إسرائيل وإن عد بكثرة الأنبياء فهو يعد بأشرف الأنبياء ، والمنتسب إلى الأشرف يجب أن يكون أشرف ، وهذا باعتبار النسب فقط ، أما من حصلت له النبوة من بني إسرائيل فهو أشرف بذاته ممن ليس بنبي ،إذ لا يعدل (121) النبوءة إلاّ نبوءة أخرى ، كما أن من كفر منهم فقد اختل نسبه ، واضمحل حسبه ، بالإضافة إلى من لم يكفر منهم ، أما لو قيس هذا الكافر إلى كافر آخر قبطي أو نوبي أو نحوهما فالواجب أن يكون هذا أشرف نسباً ، ولو قيس إلى مؤمن من هؤلاء لتعارض الوجهان ، ولكن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، وفي السيرة : قال المسلمون : هذا أبو سفيان وسهيل (122)، وكان أبو سفيان لمّا يُسلِم ، وقدموه لشرفه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هَذَا سُهَيْلٌ وَأَبُو سُفْيَانَ ، الإسْلامُ يَعْلُو وَلا يُعلى عَلَيْهِ » فانتبه لهذا الفصل فإني رمزته ولم أبسطه لأن بعضه موحش لمن لا فهم له .

وإذا علم تفضيل النسب والحسب في باب النبوءة فهم في غيرهـــا [كذلك] (123)كالعلم والصلاح والهداية والزهد والورع والملك والنجدة

(120) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(121) في ك و س و ح : (يعادل) .

(122) تقدم التعريف به سابقاً .

(123) ما بين العلامتين إضافة من الطبعة الفاسية .

والجود وغير ذلك من كل ما يحتسب به ويصير به من عرف به عيناً من أعيان عشيرته أو قبيلته (124) أو عمارته أو بلده أو جيله ويشرف به من انتسب إليه ، ولم يخل الله تعالى قوماً من سيد< كما (125) لم يخل هجمة (126) من فحل ؛ وبسادة الناس> تنتظم أمورهم ، فهم خلفاء الله في عباده بالحكم التصريفي (127) ، ولذلك إذا فقدوا أو فقدت الأهلية منهم اختل الأمر كما قال الشاعر (128) :

---

(124) قال الزمخشري في « كشافه » وهو يفسر قوله عز وجل : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) : «الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب ، وهي : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة ، فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن تجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل ، فخزيمة شعب ، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة » .

(125) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(126) في « الصحاح» : « الهجمة من الإبل أولها الأربعون إلى ما زادت » . ا هـ . وفي « أساس البلاغة » : « له هجمة من الإبل : ما دون المائة » ا هـ .

(127) الحكم التصريفي هو الذي يقع بإزاء الحكم التكليفي، فالحكم التكليفي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين أمراً ونهياً وإباحة ، وأما التصريفي فهو ما قدره الله على العباد من الأمور والأحوال أمثال العز والذل والغنى والفقر والصحة والمرض وغيرها ، ومناطه قدرة الله تعالى إيجاداً وإعداماً وفق مشيئته وطبق علمه ، وسيأتي للمؤلف شرح هذا وذاك (: ص 139) .

(128) هو الأفوه الأودي ، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك ، من قدماء الشعراء الجاهليين ، كان سيد قومه وفارسهم وصاحب رايتهم ، وله ديوان شعر جمعه الشيخ عبد العزيز الميمني وأودعه بالمجموعة التي سماها « الطرائف الأدبية » ، والبيت من قصيدة في ديوانه المشار إليه آنفاً وجاء قبله :

البيت لا يبتنى إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتـاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

ومن بعده قوله :

تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... فإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

الثالث : الإنسان قد يفتخر بنسبه على ما مرّ . وقد يفتخر بنفسه أي بالخصال التي اتصف بها والدرجات (129)التي نالها من الدين والدنيا ، والأول هو الفخر [العظامي (130)، لأنه افتخار بالعظام والرفات (131) ، والثاني هو الفخر] العصامي . وهو مأخوذ من عصام (132)صاحب (133)النعمان ، وكان يقول :

نفس عصام سودت عصاما (134)
وعلمته الكر والإقداما

فكل ما جاءه السؤدد من تلقاء نفسه فهو مثل عصام هذا ، ففخره عصامي .

---

(129) في ك و س و ح : « الدرجة » بالإفراد .

(130) ما بين المعقفين ساقط من الأصل وهو في ك و س و ح فأضفناه نقلا عنها .

(131) في س : « الرفاث » بمثلثة وهو تصحيف .

(132) هو عصام بن شهبرة بن الحارث الجرمي ، كان يصحب النعمان بن المنذر ، وكان شجاعاً مقداماً ، وكان فيه كيس ودهاء ، وهو الذي خاطبه النابغة وكان قد سمع أن النعمان أثقله المرض حتى صار يحمل في محفة فجاء لعيادته فحجبه عصام هذا فقال :

ألم أقسم عليك لتخبرني أمحمول على النعش الهمام
فإني لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام ؟

(133) في س : « حاجب » بدل « صاحب » .

(134) في « مجمع الأمثال » للميداني (2 : 293) : « نفس عصام سودت عصاما » . يضرب في نباهة الرجل من غير قديم ، وفي المثل : كن عصامياً ولا تكن عظامياً ، ويقال : إنه وصف عند الحجاج رجل بالجهل وكانت له إليه حاجة فقال في نفسه : لأختبرنه، ثم قال له حين دخل عليه : أعصامياً أنت أم عظامياً؟يريد : أشرفت أنت بنفسك أم تفتخر بآبائك الذين صاروا عظاماً ؟ فقال له الرجل : أنا عصامي وعظامي ، فقال الحجاج : هذا أفضل الناس،وقضى حاجته ثم فاتشه فوجده أجهل الناس فقال له : كيف أجبتني لما سألتك قال : لم أعلم أعصامي خير أم عظامي ؟ فخشيت أن أقول أحدهما فأخطىء فقلت : أقول كليهما ، فإن ضرني أحدهما نفعني الآخر » .

والناس لم يزالوا مختلفين في هذا المنحى فقوم يعتنون في افتخارهم أو ثنائهم بذكر الآباء كقوله :

أنا ابن مزيقيا (135)عمرو وجدي أبـــوه منـــذر مـــاء السّماء

وقول النابغة (136) :

لئن كان للقبرين قبر بجلـــق وقبر بصيداء الذي عند حارب

وللحارث الجفني سيد قومه ليبتغين بالجيش دار المحارب

وقول حسان رضي الله عنه :

أولاد جفنة (137)حول قبر أبيهم قبر ابن مارية (138)الكريم المفضل

---

(135) هو عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف، لقب مزيقياء لأنه كان يلبس كل يوم حلتين فإذا كان المساء مزقهما كراهية أن يعود إلى لباسهما وأنفة أن يلبسهما غيره من بعده .

(136) البيتان من بائيته التي مطلعها :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وهو قالها في مدح عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني ، والبيتان فسرهما ابن السكيت فقال :«يقول : لئن كان عمرو ابن هذين الرجلين المقبورين في هذين الموضعين ليمضين أمره وليمسن من حاربه بشر ، وليلتمسنه حيثما كان» .

(137) في «بلوغ الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي (ص 217) : «بنو جفنة بطن من مزيقياء بن غسان من الأزد من القحطانية ، النسبة إليهم جفني ، ومنهم كانت ملوك الشام من غسان على العرب والقياصرة وفيهم يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

أبناء جفنة حول قبر أبيهم شم الأنوف من الطراز الأول

واسم جفنة منقول من الجفنة التي هي القصعة ، وأول من ملك منهم جفنة هذا، قال صاحب حماة : وكان ذلك قبل الإسلام بما يزيد على أربعمائة سنة ، وبقي الملك في غسان إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم الذي أسلم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ارتد وتنصر ولحق ببلاد الروم» .

(138) هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي، وهي أم بني جفنة، وبقرطيها =

وقول العَرْجي (139) العثماني :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِدادِ ثغر
كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تلك نسبتي فيآل عمرو(140)

وقال الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

وقال النابغة لحسان رضي الله عنه حين أنشد :

لنا الجفنات الغُرّ يلمعنَ بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدَةٍ دما
ولدنا بني العنقاء(141)وابنمحرق(142) فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابْنَما

= يضرب المثل في الشيء النفيس فيقال : (خذه ولو بقرط مارية) . وانظر«ثمار القلوب» للثعالبي (ص505) و«مجمع الأمثال» للميداني ج 1 ص 242 . والبيت من قصيدته التي مطلعها :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

وهي مودعة بديوانه وقبله :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول

وبعده :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

(139) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالعرجي نسبة إلى قرية بنواحي الطائف يقال لها العرج بفتح العين وسكون الراء نسب إليها لمال كان له هناك ، قال عنه أبو الفرج في أغانيه : « كان من شعراء قريش وممن شهر بالغزل منها ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد » .

(140) كان العرجي يهجو محمد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك وعامله على مكة فتطلبمنه محمد العلل حتى ألقى به في السجن ، والبيتان كانا من الشعر الذي قاله العرجي يشكو حاله وهو محبوس .

(141) هو ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وهو سمي العنقاء لطول كان في عنقه .

(142) في ديوان حسان بتحقيق سيد حنفي حسنين « وابني محرق » بالتثنية ومحرق هو الحارث ابن عمرو مزيقياء وهو دعي محرقاً لأنه ثأر من قوم قتلوا أخاً له بتحريقهم بالنار .

إنك شاعر لولا أنك قلت : الجفنات فقللت العدد ، ولو قلت : الجفان كان أبلغ . وقلت : يلمعن بالضحى ولو قلت : يشرقن بالدجى كان أبلغ ، وقلت : يقطرن من نجدة ولو قلت : يجرين كان أبلغ ، ثم افتخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك (143) ، فهذا مذهب العرب <وهو> (144) الافتخار بالآباء ، ولذا نبه عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكرهه كما مرّ .

وقوم يفتخرون بأنفسهم . وهذا الوجه كثير أيضاً جداً ، لأنه طبع الآدمي لا يكاد يسلم منه ولا يحصى ما فيه من كلام الناس نظماً ونثراً ولا حاجة إلى التطويل .

ومن أفصح ما ورد في هذا النحو قول (145) السموأل في لاميته (146) المشهورة منها :

إذا المرء لم يدنَس من اللؤم عرضُه ... فكل رداء يرتديهِ جميلُ
وإن هو (147) لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها : إن الكرام قليل

---

(143) يستبعد كثير من دارسي الأدب العربي أن يصدر عن النابغة نقد على هذه الشاكلة ، ويرجحون أنه نقد منحول .

(144) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(145) هو السموأل بن الغريض بن عادياء ، أحد بني النضير ، وبنو النضير حي من اليهود ، شاعر فارس من الجاهليين ، وبه يضرب المثل في الوفاء ، وله أشعار وأخبار مبثوثة في الكتب الأدبية . والشعر يروى أيضاً لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي .

(146) هي في « حماسة أبي تمام » ، وفي « أمالي القالي » (1 : 265 – 266) وعدة أبياتها فيهما ٢٢ بيتاً .

(147) رواية « الحماسة » و « الأمالي » :

« إذا المرء لم يحمل . . . . البيت »

وما ضر(148) من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعـــلا وكهول

تسيل على حد الظّبات(149) نفوسنا وليست على غير السيوف تسيل

وإنا لقوم مـــا نرى القتل سبّة إذا ما رأته عامر وسَلول (150)

إلى أن قال :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

سلي إن جهلت الناس عنا (151) وعنهم (152) وليس سواء عـــالم وجهـــول

فإن بني الديّان(153) قُطْبٌ لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

ومثل هذا النمط من الكلام فيه افتخار (154) بالنفس وبالآباء أيضاً لأن المقصود أنهم على هذا الوصف كابراً عن كابر <و> (155) قول الفرزدق:

أنا الذائد الحامي الذّمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

---

(148) رواية ا« الحماسة و « الأمالي » . :

« ومـــا قل من كانت .... البيت »

وبعده فيهما :

وما ضرنا أنا قنيل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

(149) في « القاموس » : « الظبة كثبة حد سيف أو سنان ونحوه ج أظب وظبات وظبون بالضم والكسر وظبى كهدى » وفي ح : « الضبات» بالضاد الساقطة وهو تصحيف .

(150) في ك : « سليل » وهو تحريف .

(151) في س و ح : « عني » .

(152) رواية المرزوقي في « شرحه على الحماسة » : « عنكم » .

(153) في « نهاية الأرب» للقلقشندي : (ص 55) : « بنو الديان بفتح الدال المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت ونون في الآخر من بني الحارث بن كعب من القحطانية وكان لهم الرياسة بنجران من اليمن والملك على العرب بها » ورسمت الكلمة في س هكذا . « الذياب » وهو تصحيف .

(154) في ك و س و ح : « الافتخار » بحرف التعريف .

(155) ما بين العلامتين ساقط من ح .

وغير ذلك.ثم كثير من الناس لا يلتفتون إلى النسب ولا يقيمون للمفتخر به وزناً كما قال الحريري (156) :

لعمرك ما الإنسان إلاّ ابن يومه   على ما بدا من حاله لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرّميم وإنما   فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وقال الآخر (157) :

كن ابن من شئت واتخذ أدباً   يغنيك محمدةعن النسب (158)
إن الفتى من يقول : هأنـذا   ليس الفتى من يقول : كان أبي

إلى غير ذلك مما لا ينحصر .

والحق أن كرم النسب فضيلة قال تعالى : (وكان أبوهما صالحاً) وقال صلى الله عليه وسلم في بنت حاتم : « إنّ أباهَا كَانَ يُحِب مَكَارِمَ الأخْلاق » . ووصفُ الإنسان وسعيُه هو الشأنُ،والنسبُ زيادة ؛ فإلغاء النسب رأساً جور،والاقتصار عليه عجز ،والصواب ما قال(159)عامر (160) ابن الطفيل :

---

(156) أي في المقامة الكرجية ، وهي الخامسة والعشرون في ترتيب « المقامات » .
(157) البيتان في « شرح الشريشي على المقامات » (3 : 34) وبعدهما فيه :

مالي عقلي وهمّي حسبي   لا أنا مولى ولا أنا عربي
إن انتمى منتم إلى أحـد   فإنني منتم إلى أدبـي

(158) رواية الشريشي لهذا المصراع هكذا :

(يغنياك مأثوره عن النسب)

(159) في ك و ح : « قاله » .
(160) ترجمه البغدادي في « الخزانة » (3 : 80 – 81) بتحقيق عبد السلام هارون فقال : « هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري وكنية عامر في الحرب أبو =

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر من وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكبي (161)

فقوله : (وإن كنت ابن سيد عامر) تعريض بالنسب وإعلام بمكانته منه، وقوله : (أبى الله أن أسمو بأم ولا أب) <أي> (162) فقط دون شيء يكون مني ليوافق ما قبله فمراده أني لا أكتفي بالنسب وأخلو عن استحصال الحمد وابتناء المجد .

ومثله :

لسنا وإن أحسابُنـا كرمت يوماً على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنـا تبني ونفعل مثل ما فعلوا (163)

= عقيل ، وفي السلم أبو علي ، قال ابن الأنباري في « شرح المفضليات » : « كان عامر من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسماً حتى بلغ أن قيصر كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل فإذا ذكر نسباً عظم عنده » . وكان عامر وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترط عليه في إسلامه أن يجعل له نصف غلات المدينة وأن يكون ولي أمره من بعده فدعا عليه النبي عليه السلام فهلك في طريقه إلى أهله سنة اثنتين من الهجرة ، وله « ديوان شعر بشرح أبي بكر بن الأنباري » طبع بليدن بعناية المستشرق لايل متناً وترجمة انجليزية سنة 1913 .

(161) الأبيات من قصيدة في ديوانه ، وهي في « الشعر والشعراء » و « كامل المبرد » و « خزانة البغدادي » .

(162) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(163) البيتان لأبي الحسن عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أحد أشراف الهاشميين ، كان جواداً سخياً ، وفارساً شجاعاً ، وشاعراً فصيحاً ، وخطيباً مفوهاً ، ادعى الخلافة في أخريات بني مروان ، وقتله أبو مسلم الخراساني سنة 131 هـ وهما في « ديوانه » الذي جمعه الأستاذ عبد الحميد الراضي وطبع سنة 1975 م والبيتان نسبا أيضاً للمتوكل الليثي ، ولمعن بن أوس ، كما نسبا كذلك لامرىء القيس بن حجر .

وقال الآخر :

أنا الفارس الحامي حقيقة وائل كما كان يحمي عن حقائقها أبي

وقال زهير :

وما يكُ من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبـائهم قبل
وهل يُنبتُ الخطيَّ إلاّ وشيجه وتغرس إلاّ في منابتها النخل(164)

وقال الملك الراضي (165) من ملوك بني العباس :

لا تعذلي كرمي على الإسراف ربح المحامد متجر الأشراف
أجري كآبائي الخلائف سابقاً وأشيد ما قد أسَّسَتْ أسلافي
إني من القوم الذين أكفّهم معتادة الإخلاف والإتلاف

---

(164) البيتان من قصيدته التي مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

وقد فسرهما الأعلم الشنتمري في « شرحه على ديوان زهير » فقال : « قوله : (توارثه آباء آبائهم) يقول : مجدهم قديم متوارث ، ورثوه كابراً عن كابر ، وقوله : (وهل ينبت الخطي إلا وشيجه) الخطي الرمح نسبة إلى الخط وهي جزيرة البحرين ، ترفأ إليها سفن الرماح ، والوشيج القنا الملتف في منبته ، واحدته وشيجة يقول : لا تنبت القناة إلا القناة ، ولا تغرس النخل إلا بحيث تنبت وتصلح ، وكذلك لا يولد الكرام إلا في موضع كريم » .

(165) ذكره المسعودي في « مروجه » فقال : بويع الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر ، ويكنى أبا العباس ، يوم الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، فأقام في الخلافة إلى أن قضى من ربيع الأول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة . مات حتف أنفه بمدينة السلام » . ثم وصفه فقال : « وكان الراضي أديباً شاعراً ظريفاً ، وله أشعار حسان في معان مختلفة إن لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه » . ثم زاد يقول فيه : « وكان الراضي كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخياً جواداً حسن المذاكرة بأخبار الناس وأيامهم ، مقرباً لأهل العلم والأدب والمعرفة ، كثير الدنو منهم ، فائضاً بجوده عليهم ، ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه في كل يوم إلا بصلة أو خلعة أو طيب » .

فهذا وأبيك الفخر العلي البنيان ، المتأسس الأركان .

واعلم أن الناس في هذا الباب ثلاثة : رجل كان أصيلاً ثم قام هو أيضاً يشيد بنيانه ، ويحوط بستانه ، كالذي قبله ، فهذا أكرم الناس وأولاهم بكل مفخر ، وفيه كان قوله صلى الله عليه وسلم : « الكَرِيمُ ابْنُ الكَرِيمِ » كما مرّ ، والذروة العليا في هذا الصنف هو نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان أصيلاً بحسب النبوءة من عهد إبراهيم وإسماعيل ، ثم لم تزل أسلافه في شرف وسؤدد ، ومجد مخلد ، معروفاً لهم ذلك عند الناس ، وأنهم أهل الحرم ، وجيران الله ، وسَدَنَةُ بيته ، مع إكرام الضيف ، وإعمال السيف ، وغير ذلك من المفاخر العظام ، والمآثر الجسام . وقد اختصهم (166) الله بين العرب بالاحترام والتوقير ، وجعل لهم رحلة الشتاء والصيف آمنين لا يعرض لهم لص ولا مغير ، فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف كما أخبر به تعالى في كتابه ، وذكر ذلك بعض بني أسد فقال (167) :

(166) كذا في الأصل ، ومثله في س والذي في ك و ح : « خصهم » .

(167) البيتان لأبي الصمعاء مساور بن هند بن قيس بن زهير ، وهو شاعر فارس شريف ، أدرك النبي عليه السلام ولم يجتمع به ، والبيتان في « حماسة أبي تمام » وفي شرحهما يقول المرزوقي بالنص : « يخاطب بني أسد ويكذب دعواهم في انتمائهم إلى قريش وتنسبهم بالقربى والقرابة منهم ، فقال : ادعيتم أن قريشاً إخوتكم وسيما الكذب ظاهرة على هذه الدعوى ، لأن لقريش إيلافاً في الرحلتين المعروفتين للتجارة ، وليس لكم ذا ، وقد آمنهم الله تعالى من الجوع والخوف وأنتم خائفون جائعون وإنما يشير إلى السورة المنزلة : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » . . . إلى آخرها »
وقد كان المساور مغرى بهجاء بني أسد حتى قال الشاعر في ذلك :

شقيت بنو أسد بشعر مساور إن الشقي بكل حبل يخنق

ومن قوله فيهم :

ما سرني أن أمي من بني أسد وأن ربي ينجيني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار

وعليه فإن الشعر قد قيل في بني أسد وليس الذي قاله بعض بني أسد .

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلافُ
أولئك أُومنوا جوعـــاً وخوفاً وقد جاعت بنو أسد وخافوا

أي أخطأتم في هذا الزعم ، لأنكم لستم (168)مثلهم ، وقوله : إلاف مصدر على فعال ، يقال آلفته مؤالفة وإلافاً وتآلفاً ، وليس من آلفته الشيء إيلافاً كالذي في القرآن .

ثم لما جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم رد بدر شرفهم فجراً ، وجدول كرمهم بحراً ، بل جعلهم قرار كل مجد ، ومركز كل حمد ،وقد (169) أكمل به الله تعالى الدين ، فكذلك أكمل به سائر (170)المحامد والمحاسن ، قال صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخْلاقِ » وهو صلى الله عليه وسلم لبنة التمام ، فشرفت به قريش خصوصاً والأمة كلها عموماً صلى الله عليه وسلم ، ومجد وعظم ، وقد بين صلى الله عليه وسلم هذا كله مع الإشارة إلى التدريج السابق بقوله : « إنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ ولدِ إبْرَاهِيمَ إسْمَاعِيلَ ، واصْطَفَى مِنْ ولدِ إسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، واصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً ، واصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » .

ورجل لا أصل له ينتمي إليه ، ولا حسب يُعَرَّجُ عليه ، ولكن انتهض في اقتناء المآثر ، واقتناص المفاخر ، حتى اشتهر بمحاسن الخلال ، وصار

---

(168) كذا بالأصل ومثله في س أيضاً فأما ك و ح ففيهما معاً : « لكن لستم منهم »

(169) كذا جاء بالأصل ، ومثله في ك و في س وقد أبدلت (وقد) بكلمة : (وكما) في هامش س بغير خط الناسخ فأما ح ففيها : « وكما » وهي الأليق بالسياق .

(170) كذا جاء في الأصل وفي ك و س و ح : « محاسن الأخلاق » في موضع : « سائر المحامد والمحاسن » التي بالأصل .

في عداد (171) أهل الكمال ، وأنشد لسان حاله [فقال] (172) .

وبنفسي شرفت لا بجدودي (173)

فهذا أحرى (174)أن يشرف بوصفه وحاله ، وأن يشرف به من بعده ، وأن يكون هو أساس بيته ، وعرق شجرته .

وكان بعض الملوك استدعى رجلاً ليستوزره ، فقال له الرجل : أيها الملك إنه ليس لي في هذا سلف ، فقال له الملك : إني أريد أن أجعلك سلفاً لغيرك ، وأصاب هذا الملك ، فإنه لو توقف كل بيت على بيت قبله لكان من التسلسل الباطل ، فالله تعالى يخرج الحي من الميت ويحيي الأرض بعد موتها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، فلم يزل الشرف يتجدد ويحدث بالعلم والولاية والجود وسائر الأوصاف .

وقد ارتفع الوضعاء بالشعر كما اتضع الرفعاء به ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ منَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً » وفي رواية : « لَحُكْماً » .

فمن الأول : المُحَلَّقُ (175)وهو عبد العزيز بن حنتم الكلابي ، وكان رجلاً خاملاً مُقِلا من المال، فلما مر به الأعشى ذاهباً إلى سوق عُكاظ

---

(171) كذا في الأصل : ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « عدد » .

(172) ما بين العلامتين زيادة من س وبها تتقفى السجعة .

(173) الشطر عجز بيت صدره :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي

وهو للمتنبي من قصيدته التي مطلعها :

كم قتيل كما قتلت شهيد ببياض الطلى وورد الخدود

(174) في ك : « أحرى من أن يشرف » ومثله في ح ولا معنى لمن في سياق الكلام .

(175) في « رغبة الآمل » : (1 : 24) : « المحلق بفتح اللام تلقب به يوم عضه حصان في وجنته فترك بها أثراً على شكل الحلقة » .

قالت له أمه : إن أبا بصير رجل مجدود في شعره ، وأنت رجل خامل مقل ، ولك بنات ، فلو سبقت إليه وأكرمته رجونا أن يكون لك منه خير ، فبادر إليه وأنزله ونحر له وسقاه الخمر ، فلما أخذت منه الخمر اشتكى له حاله وحال بناته ، فقال له : ستكفى أمرهن ، فلما أصبح قصد إلى السوق فأنشد قصيدته التي أولها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي معشق

إلى أن انتهى فيها إلى قوله في المُحلَّق :

نفى الذمَّ عن آل المُحلَّق جفنةٌ ... كجابية(176) السيح (177)العراقي تفهق(178)

ترى القوم فيها شارعين (179)وبينهم ... مع القوم ولدان مع الناس دردق(180)

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلَّق

---

(176) في « مفردات الراغب » : « يقال جبيت الماء في الحوض جمعته ، والحوض الجامع له جابية وجمعها جواب قال الله تعالى : « وجفان كالجوابي » اهـ.

(177) في المخطوطات الثلاث وكذا في ح : « الشيخ » بالشين المعجمة والخاء المعجمة أيضاً والرواية الراجحة في البيت : « السيح » بالسين المهملة المفتوحة وبعدها ياء بعدهما حاء مهملة ، وهو كما في « قاموس المجد » : الماء الجاري الظاهر .

(178) في « قاموس المجد » : « فهق الإناء كفرح فهقاً ويحرك امتلأ » .

(179) في « القاموس » : « شرعت الدواب في الماء شرعاً وشروعاً دخلت » والذي في ك و ح « شاعرين » وهو خطأ .

(180) في « القاموس » : « الدردق الأطفال وصغار الإبل وغيرها » وهي الرواية المعروفة وفي المخطوطات الثلاث كما في ح « ردق » وهو غلط .

رضيعيَ لبــــان ثدي أمٍ تحالفا بأسحم(181) داجٍ عَوْضُ(182) لا نتفرق
ترى الجود يجري(183) سائراً فوق جمره(184)
كما زان متن الهنـدواني رونــــق

فما أتم القصيدة إلاّ والناس يسعون إلى المحلّق يهنونه ، والأشراف يتسابقون إلى بناته ، فما باتت واحدة منهن إلاّ في عصمة رجل أفضل من أبيها بكثير .

ومن ذلك بنو أنف الناقة (185) ، كانوا يتأذون بهذا الاسم ويكرهون ذكره ، حتى تعرض بعضهم للحطيئة فأكرمه فمدحهم ، وقلب الاسم مدحاً ، وفي ذلك يقول :

سيرى أمامُ (186) فإن الأكثرين حصاً (187)
والأكرمين إذا ما ينسبون أبـــا

---

(181) يريد في ليل أسود مظلم .
(182) في مغني اللبيب : « عوض ظرف لاستغراق المستقبل مثل أبداً إلا أنه مختص بالنفي، وهو معرب إن أضيف كقولهم : لا أفعله عوض العائضين، مبني ان لم يضف وبناؤه إما على الضم كقبل أو على الكسر كأمس أو على الفتح كأين » .
(183) في ك و س و ح : يسري » بدل : « يجري » التي بالأصل .
(184) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « وجهه » وهي الرواية المعروفة .
(185) قال عنهم القلقشندي في « نهاية الأرب ، في معرفة أنساب العرب » : بنو أنف الناقة : بطن من تميم من العدنانية ، وهم بنو أنف الناقة ، واسمه جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم » . وقال عنهم ابن دريد في « الاشتقاق » : « بنو أنف الناقة ، وفيهم شرف وعدد ، وسمي بذلك لأنه أكل رأس ناقة » .
(186) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « أمامي » مع ياء الإضافة وهو غلط ، لأن اللفظ مرخم من أمامة اسم امرأة .
(187) كذا في الأصل ، ومثله في س وفي كل من ك و ح : « عطا » .

قوم إذا عــقدوا عقــــداً لجارهـــم
شدوا العناج (188)وشدوا فوقه الكَرَبا (189)

أولئك الأنف(190)والأذناب غيرهم ومن يسوي(191)بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يفتخرون <به>(192)ويتبجحون بذكره ، فهذا كله شرف متجدد (193)بسبب من الأسباب ، وقد يزداد (194)الشريف شرفاً بذلك كما وقع لهرم بن سنان المري (195)فإنه كان من سادات قومه ، ولكن أخوه خارجة بن سنان أسود منه وأشهر ، فلما وقع لزهير من المدائح ما وقع في هرم ازداد شرفاً وشهرة حتّى فاق أخاه في ذلك ، بل لا يكاد اليوم أخوه يذكر ، إلى غير هذا مما يكثُر .

ومن الثاني بنو نمير ، كــانوا من جمرات العرب (196) المستغنين

---

(188) في « أساس البلاغة » : « تقول لا بد للداء من علاج ، وللدلاء من عناج ، وهو ما تعنج به من حبل يجعل تحتها مشدوداً إلى العراقي يكون عوناً للوذم » .

(189) في « أساس البلاغة » أيضاً : «عقد مكرب ومكروب وكريب موثق ، وشد عقد الكرب وهو الحبيل الموصول بالرشاء الملوي على العراقي » .

(190) في ح : « القوم » وهو خلاف الرواية المعروفة في البيت .

(191) في ك و س و ح : « يساوي » .

(192) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(193) في س : « تجدد » .

(194) في ك و ح : « يزاد » .

(195) في ك : « المزوني » وفي ح : « المزني » وكلاهما خطأ ، فإن هرماً المذكور ليس من مزينة وإنما هو من مرة ، قال القلقشندي في « نهاية الأرب » بنو مرة بطن من بني ذبيان من العدنانية ، وهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وذبيان تقدم نسبه ، كان له من الولد غيظ قال أبو عبيد : « وفيهم العدد والشرف » ومالك وسهم وصرحة والصادر وخصيلة ، وهوعمرو ، قال أبو عبيد : ومن عقبه هرم بن سنان بن غيظ بن مرة سيدهم في الجاهلية » .

(196) قال المرصفي في « رغبة الآمل » (5 : 230) راوياً عن الليث : « الجمرة : القبيلة التي تصبر لقراع القبائل لا تحالف أحداً ولا تنضم إلى أحد » . وقال الزمخشري في =

بقوتهم(197)وعددهمعن طلب حلف،وكانوا يفتخرونبهذا الاسم ويمدون به أصواتهم إذا سئلوا ، إلى أن هجا جرير عبيد بن حصين الراعي منهم بقصيدته (198) التي يقول فيها مخاطباً له :

فغضّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت شيوخ بني نمير على الميزان ما عدلت ذبابا

فسقطوا ولم يرفعوا بعد ذلك رأساً ، حتى كانوا لا يتسمون بهذا الاسم ، فإذا قيل للواحد منهم من أنت ؟ قال : عامريّ .

ومن أظرف ما وقع في ذلك أن امرأة مرت بقوم منهم فجعلوا ينظرون إليها ويتواصفونها ، فالتفتت إليهم وقالت : قبحكم الله بني نمير ، ما امتثلتم أمر الله (199)إذ يقول : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ولا قول جرير إذ يقول :

(فغضّ الطرف إنك من نمير .... البيت)

ومن ذلك بنو العجلان ، كانوا يفتخرون بهذا الاسم لأن جدهم إنما قيل له العجلان لتعجيله القرى للضيفان حتى هجاهم النجاشي فقلب الاسم ذماً ، وفي ذلك يقول :

= « أساس البلاغة » : « تجمر بنو فلان : تجمعوا ، وجمرات العرب ثلاث كجمرات المناسك طفئت منها ثنتان : ضبة بن أد لمحالفتها الرباب ، والحارث بن كعب لمحالفتها مذحج ، وبقيت بنو نمير » . ثم انظر في الجمرات «كامل المبرد» (2 : 169 طبعة صبيح 1347) « والعقد الفريد » (3 : 367) .

(197) في ح : « بقومهم » .

(198) وهي التي مطلعها :

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت : لقد أصابا

وهي في « ديوانه » بطبعة الصاوي .

(199) في س : « قول » بدل « أمر » .

قُبَيِّلَة لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبّة خردل
ولا يردون الماء إلاّ عشية إذا صدر الوُرَّاد عن كلّ منهل
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل
وما سمي العجلانَ إلاّ لقولهم خذ القَعْبَ واحلب أيها العبد واعجل

فتنكروا من هذا الاسم ، وجعل الواحد منهم إذا سئل يقول : كعبي مخافة أن يسخر منه (200) ولهم (201) معه في ذلك قصة (202) مشهورة بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم قد يفيض شرف الإنسان حتى يستطيل على من قبله من سلفه (203) فتَحْيا رسومهم بعدما كانت دائرة ، وتعمر ربوعهم بعدما كانت غامرة ، والذروة العليا أيضاً فيمن عاد (204) شرفه على من قبله هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما مرّ شرحه .

وقد أشار إليه (205) ابن الرومي بقوله (206) :

---

(200) في ح : « به » .
(201) في ك : « وله معهم » وفي ح : « وله في ذلك معهم » .
(202) القصة تلك في « مجالس ثعلب » (ج 2 ص 363 – 364) بتحقيق عبد السلام هارون وفي « عمدة ابن رشيق » (ج 1 ص 52) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وفي « زهر الآداب » للحصري (ج 1 ص 54 – 55) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وفي « خزانة البغدادي » (ج 1 ص 232 – 333) بتحقيق عبد السلام هارون .
(203) في س : من سلف بدون الإضافة إلى الضمير .
(204) في س : « جاد » وهو تصحيف .
(205) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « له » .
(206) الأبيات من قصيدة طويلة النفس عدة أبياتها 239 بيتاً مدح بها ابن الرومي أبا الصقر إسماعيل بن بلبل وزير المعتمد الذي كان يلقب الوزير الشكور ، قال ابن الطقطقي في كتابه « الفخري في الآداب السلطانية » : « وكان أبو الصقر ينتسب إلى بني شيبان ورأيت نسبه مرفوعاً إلى شيبان بخط بعض النساب ، وقوم غمزوه وقالوا : هو دعي ، وكان =

قالوا: أبو الصقر من شيبان قلت لهم : كلاّ لعمري ولكن منه شيبان
تسمو الرجال بـاباء وآونَةٍ تسمو الرجال بأبناءٍ وتَزْدان
وكم أبٍ قد علا بابن ذُرَى حسبٍ كما علت برسول الله عدنان

وادعى هذا الوصف أبو الطيب فقال :

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي افتخرت لا بجدودي

أما شرفه هو في بابه فلا ينكر ، وأما شرف قومه به فالشعر أعذبه أكذبه ، وإلاّ فالحكم على الشيء فرع تصوره ، نعم ، كان من عادة العرب أنه إذا نبغ شاعر في قوم اعتزوا به ، واحتموا عن الشعراء ، فلو تحقق لأبي الطيب قوم لكانوا كذلك .

= ابن الرومي قد مدحه بقصيدة نونية طويلة أولها :

« أجنت لك الوصل أغصان وكثبان فيهن نوعان تفاح ورمان
غصون بان عليها الدهر فاكهة وما الفواكه مما يحمل البان »

فسمى الناس هذه القصيدة (دار البطيخ) لكثرة ما فيها من ذكر الفواكه ، وكان الموضع الذي تباع فيه الفواكه يسمى دار البطيخ ومن جملة هذه القصيدة :

« قالوا : أبو الصقر من شيبان . قلت لهم
كلا لعمري ولكن منه شيبان
كم من أب قد علا بابن له شرفاً
كما علا برسول الله عدنان »

فلما سمع أبو الصقر قوله : « قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم : كلا . . . » ظن ابن الرومي قد هجاه بهذا باطناً وأنه عرض بأنه دعي ، واشتبه على أبي الصقر الأمر فاستحكم ظنه وأعرض عنه . وتوصل ابن الرومي إلى إفهامه صورة الحال فلم يقبل في ذلك قول قائل وقيل لـه يا سبحان الله ، فانظر إلى البيت الثاني وحسن معناه فإنه معنى مخترع ما مدح أحد بمثله قبلك فلم يصغ وجزم بأن ابن الرومي هجاه وحرمه فهجاه ابن الرومي وأفحش في هجائه » .

ورجل له أصل وقديم شرف ثم لم يبنه ولم يجدده ، وهو إما أن تخفى عوامله فلم يبن ولم يهدم ، مع انه بالحقيقة من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، والمراد (207)أن يرجع إلى غمار (208)الناس فلا يجدد المآثر ،ولا يخرج إلى المعايب ، فهذا لا فضيلة له إلاّ مجرد النسب والفخر العظاميّ كما مر ، وإما أن يهدمه بملابسة ضد ما كان أولاً ، فهذا بمنزلة من هدم الدار ثم حفر البقعة أيضاً فأفسدها ، فهذا مذموم بما جنى على نفسه وبما جنى على حسبه ونسبه <و> (209)الذروة العليا في هذا الصنف اليهود والنصارى ونحوهم ، فقد هدموا أنسابهم وأحسابهم بشر الخصال ، وهو الكفر ، نسأل الله العافية .

ومن هذا النمط من يخلف آباءه الصالحين بالفسق وكثرة الرغبة في الدنيا والكبر والدعوى وغير ذلك من القبائح كما هو شأن كثير من أولاد الصالحين في< زمانتا >(210)نسأل الله العافية ، وفي هذا الصنف قيل :

لئن فخرت بآباء لهم شرف   لقد فخرت ولكن بئس ما ولدوا

وقال لبيد (211) :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلْفٍ(212)كجلد الأجرب

---

(207) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « المراد » .

(208) في « مصباح الفيومي » :
« دخلت في غمار الناس بضم الغين وفتحها أي في زحمتهم » .

(209) ما بين العلامتين ساقط في الأصل وهو في ك و س و ح ، وسياق الكلام يقتضيه .

(210) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(211) البيت من قطعة له مطلعها :
قض اللبانة ، لا أبالك ، واذهب   والحق بأسرتك الكرام الغيب
وأدخله أبو الفرج في « أغانيه » ضمن قصيدة أولها :
طرب الفؤاد وليته لم يطرب   وعناه ذكرى خلة لم تصقب

(212) فسر المبرد في « كامله » كلمة خلف في البيت فقال : « قوله : في خلف يقال : هو خلف فلان لمن يخلفه من رهطه ، وهؤلاء خلف فلان إذا قاموا مقامه من غير أهله ، وقلما يستعمل خلف إلا في الشر وأصله ما ذكرنا » .

وقال الآخر (213) :

ذهب(214) الرجال المقتدى بفعالهم　　والمنكرون لكـــل امر منكر
وبقيت في خَلْفٍ يزيّن بعضُهم　　بعضاً ليسكُت مُعْوِرٌ عن مُعْوِرِ

الرابع — قد يقال فيما ذكرنا من النسب : إنه من النسب الطويل وهو عيب ويذم (215) بضده وهو النسب القصير قال الشاعر (216) :

أنتم بنو النسب القصير ، وطولكم　　باد على الكبراء والاشراف (217)

---

(213) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي ثم الغاضري ، شاعر أموي هجاء خبيث اللسان ، كان أعرج لا يكاد يمشي بغير عصاه ، وكان إذا أراد حاجة عند الرؤساء كتب بها على عصاه ، ثم أرسل بها إلى من يريد عنده قضاءها فلا يحجب رسوله ، ولا يعود إليه بغير حاجته ، وفي شأن عصاه هذه يقول معاصره يحيى بن نوفل :

عصا حكم في الدار أول داخل　　ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية　　وهذي لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها　　ويرغب في المرضاة منها وترهب

(214) البيتان منسوبان إليه في « المؤتلف والمختلف » للآمدي ص 242 وبعدهما :

سلكوا بنيات الطريق فأصبحوا　　متنكبين عن الطريق الأكبر

(215) كذا في صلب الأصل ، ومثله في ك و س وح ، ولعل صوابه : « ويمدح » وكذلك كتبه ناسخ الأصل على الطرة .

(216) هو أبو العلاء المعري .

(217) البيت من فائيته السقطية التي عزى بها أبا الحسن الشريف الرضي وأبا القاسم الشريف المرتضى في أبيهما أبي أحمد الطاهر وقد فسره الخوارزمي في « شرحه على السقط » فقال : « هذا من قول الجمحي وقد أتاه بعضهم يستشيره في امرأة أراد التزوج بها : أقصيرة هي أم غير قصيرة ؟ فلم يفهم ذلك ، فقال الجمحي : أردت القصيرة النسب ، تعرف بأبيها وجدها ، ومما رأيته على ظهور بعض الدفاتر :

أحب من النسوان كل قصيرة　　لها نسب في الصالحين قصير

ودخل رؤبة بن العجاج على دغفل النسابة فقال دغفل : من أنت ؟ قال ابن العجاج. قال : قصرت وعرفت » .

والنسب القصير هو أن يقول : أنا فلان ابن فلان ، فيعرف لكون أبيه أو جده[الأدنى] (218) من الأعيان،والطويل هو ألاّ يعرف إلى رأس القبيلة.

والجواب أولاً أننا لم نذكر النسب افتخاراً حتّى يعرض على هذا المقياس ، وإنما ذكرناه لاحتياج (219)إليه في المصالح الدينية والدنيوية عند أهله (220) وثانياً أن كون الإنسان من الأعيان أمر إضافيّ كما <مرّ> (221) انـــه <قد يكون> (222) من أعيان عشيرته أو قومه وهو الأغلب ، وقد يكون من أعيان عمارته (223) أو إقليمه أو جيله ، وهو عزيز الوجود ، ولا شك أن شرف الإنسان واشتهاره باعتبار عشيرته أو قومه إنما يعرف فيهم ولا يضيره ألاّ يعرفه غيرهم ، لأن سادات العرب لا يعرفهم العجم ، ولا العكس ، وكذا فيما بين العرب غالباً ، وقال الشاعر (224) :

طويل النجاد رفيع العمـــــا د ساد عشيرته أمـــردا

---

(218) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(219) في ك و س و ح : « للاحتياج » بالتعريف .

(220) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : « أهلها » .

(221) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(222) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(223) أنظر ما تقدم ص 58 الحاشية رقم : 124 .

(224) هو الخنساء من أبيات شهيرة تقولها في رثاء أخيها صخر .

وقال الآخر (225) :

ليس الغبيّ بسيد في قومه   لكنّ سيد قومه المتغابي

ولم يخرج عن هذه الإضافة الملوك كما قال النابغة :

وللحارث الجفنيّ سيد قومه   ليبتغين بالجيش دار المحارب

وقالت هند (226) بنت عتبة رضي الله عنها لمن قال لها في ابنها معاوية رضي الله عنه : أرجو أن يسود قومه : ثكلته إن كان لا يسود إلاّ قومه ، وذلك أنها سمعت قبل ذلك من الكهان أنها تلد ملكاً اسمه معاوية في قصة مشهورة (227) .

---

(225) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر العباسي الشهير ، والبيت من قصيدة قالها في مدح مالك بن طوق التغلبي ومطلعها :

لو أن دهراً رد رجع جواب   أو كف من شأويه طول عتاب

والقصيدة في أربعين بيتاً وهي مودعة بديوانه .

(226) ذكرها ابن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » فقال : « هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية ، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بن حرب ، وكانت امرأة لها نفس وأنفة ، شهدت أحداً كافرة مع زوجها أبي سفيان ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه » .

(227) هي التي ذكرها السيوطي في « تأريخ الخلفاء » (ص 197 – 198) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد فقال : « أخرج الخرائطي في « الهواتف » عن حميد بن وهب قال : كانت هند بنت عتبة بن ربيعة عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا البيت ذات يوم فقام الفاكه ، وهند فيه ، ثم خرج الفاكه لبعض حاجاته ، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه ، فلما رأى المرأة ولى هارباً ، فأبصره الفاكه ، فانتهى إليها فضربها برجله وقال : من هذا الذي كان عندك ؟ قالت : ما رأيت أحداً ، ولا انتبهت حتى أنبهتني ، فقال لها : الحقي بأهلك ، وتكلم فيها الناس ، فخلا بها أبوها فقال لها : يا بنية ، إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني بذلك ، فإن يكن الرجل صادقاً دسست إليه من يقتله فتنقطع عنا القالة، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن ، قال: فحلفت له بما كانوا =

إذا تقرر هذا فالمنتسب معروف (228)النسب قصيره، بحمد الله في قومه ، وهو من صميمهم،وإنما رفعه ليعرف <على> (229)ما تشعب عنه من الفصائل والبطون ، وليعرف انقطاعه عند دخول القرى وغير ذلك من الفوائد التي مرت .

وأما ذكري لما مرّ من الكنى فلجريانها على ألسنة فضلاء مع التفاؤل ورجاء تحقق ما له معنى منها .

أما أبو علي ، وهو كنية الحسن المشهورة ، فكناني بها شيخ الإسلام

= يحلفون به في الجاهلية ، انه كاذب عليها ، فقال عتبة للفاكه : إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن ، فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة معها تأنس بهن ، فلما شارفوا البلاد تنكرت حال هند وتغير وجهها ، فقال لها أبوها : يا بنية ، إني قد أرى ما بك من تغير الحال ، وما ذاك إلا لمكروه عندك ، قالت : لا والله يا أبتاه وما ذاك لمكروه ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب ، فلا آمنه أن يسمني فيه بما يكون علي سبة في العرب ، فقال لها : إني سوف أختبره لك قبل أن ينظر في أمرك ، فصفر بفرسه حتى أدلى ، ثم أدخل في إحليله حبة من الحنطة وأوكأ عليها بسير وصبحوا الكاهن فنحر لهم وأكرمهم ، فلما تغدوا قال له عتبة : إنا قد جئناك في أمر ، وقد خبأت لك خبيئاً أختبرك به ، فانظر ما هو ؟ قال : برة في كمرة ، قال : أريد أبين من هذا ،قال : حبة من بر في إحليل مهر ، فقال عتبة : صدقت ، انظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول : انهضي حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال : انهضي غير رسحاء ولا زانية ، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية ؛ فنظر إليها الفاكه فأخذ بيدها فنترت يدها من يده وقالت : إليك ، والله لأحرصن أن يكون ذلك من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان فجاءت بمعاوية » .

(228) كذا بالأصل بدون حرف التعريف ، ومثله في س ، وكتب أكنسوس فوقه بخط يده ما لفظه : « يعني نفسه رحمه الله تعالى » ؛ أما ك و ح ففيهما : « المعروف » بحرف التعريف ولا يستقيم معه معنى الكلام .

(229) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

الإمام الهمام أستاذنا وقدوتنا أبو عبد الله سيدي محمد (230) بن ناصر الدرعي رضي الله عنه وعنا به .

وكنت وردت عليه في أعوام الستين والألف بقصد أخذ العلم ، فامتدحته بقصيدة قدمتها بين يدي نجواي ، فانبسط إليّ بحمد الله ، وافتتحنا بكتاب التسهيل (231) فلما قرأنا الخطبة دخل مسروراً فكتب إليّ :

أبا علي جزيت الخير والنعما ونلت كل المنى من ربنا قسما

يا مرحبا بك كل الرحب لابرحت قرائح الفكر منك تجتنى حكما

ولم أزل بحمد الله أتعرف بركة دعائه وإقبال قلبه إلى الآن . نسأل الله تعالى أن لا يزايلنا فضله ورحمته حتى نلقاه آمين .

وقال ابن عمنا الفاضل البارع أبو سعيد عثمان بن علي اليوسي رحمه الله من أبيات :

---

(230) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ناصر ينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب ، وينسب الدرعي لأن أجداده سكنوا درعة بداية القرن العاشر الهجري ، ولد سنة 1011 هـ فلما كان في العقد الثالث من عمره اتصل بزاوية تامكروت وتتلمذ على شيوخها ، ثم صارت إليه مشيختها ، فنسبت إليه ، وعرفت باسم الزاوية الناصرية ، وهو كان زاهداً متقشفاً سني التصوف ، مجتهداً في نشر العلم ، حريصاً على نصح المسلمين ، فقصده المريدون وكثر أتباعه وانتفع به خلق كثير ، له من المؤلفات : « فهرست شيوخه » ، والأجوبة الناصرية » ، ومنظومة فقهية تعرف « بالدرعية » ، ومنظومة رجزية في الدعاء والتوسل تعرف « بسيف النصر » ، وكانت وفاته سنة 1085 م .

(231) « التسهيل » متن شهير لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك المتوفى سنة 672 لخص فيه مسائل النحو والصرف ورتبه على ثمانين باباً جعلها لكبرى المسائل وفي ضمنها مائتان وأحد عشر فصلا جعلها للتفريعات ، وهو كان من الكتب التي تلقيت بالقبول ، والتي اعتنى بها العلماء والأساتيذ شرحاً وإقراء ، وهو ظهر سنة 1968 م في طبعة محققة قام عليها السيد محمد كامل بركات .

نفسي عشية قيل مرّ أبو عـــــلي مثل الرياح إذا تمرّ بأثأبِ (232)

ولم يزل الشيخ رضي الله عنه يكنيني بذلك إلى أن توفاه الله في رسائله ومخاطبته وعند ذكري .

وأما البواقي فكناني بها فضلاء من الإخوان في رسائلهم : ونحوت في ذلك منحى السيد خير النساج (233) وكان اسمه محمد بن إسماعيل ؛ فلما وقعت عليه المحنة (234)وألقي عليه شبهُ خير مملوك لرجل نساج فقبض عليه وأدخله ينسج ويخاطبه بهذا الاسم ، فلما كشفت عنه المحنة وخرج ترك هذا الاسم على نفسه ، فقيل له : ألا ترجع إلى اسمك ؟ فقال : ما كنت لأغير أو لأترك اسماً سماني به رجل مسلم .

---

(232) البيت فيه اقتباس من قول امرىء القيس يصف فرساً :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول : هزيز الريح مرت بأثأب

وفي شرح بيت امرىء القيس هذا يقول الأعلم الشنتمري : « يقول : إذا جرى هذا الفرس طلقتين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقاً كخفق الريح إذا مرت بأثأب ؛ وهو شجر يشبه الأثل يشتد صوت الريح فيه ،وهزيز الريح صوتها » .

(233) هو أبو الحسين خير بن عبد الله النساج من خيار الصلحاء وكبار الأولياء توفي سنة322هـ .

(234) يعني الواقعة التي أورد خبرها ابن الجوزي في « صفة الصفوة » فقال : « عن جعفر الخلدي قال : سألت خيراً النساج : أكان النسج حرفتك ؟ قال : لا ، قلت فمن أين سميت به ؟ قال : كنت عاهدت الله ألا آكل الرطب يوماً فغلبتني نفسي يوماً ، فأخذت نصف رطل ، فلما أكلت واحدة إذا رجل قد نظر إلي فقال : يا خير ، يا آبق ، هربت مني ، وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه ، فوقع علي شبهه ، فاجتمع الناس فقالوا هذا والله غلامك خير ، فبقيت متحيراً ، وعلمت بم أخذت،وعرفت جنايتي ، فحملني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلمانه ، فقالوا : يا عبد السوء ، تهرب من مولاك ، ادخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل ، فأمرني بنسج الكرباس ، فدليت رجلي على أن أعمل ، فكأني كنت أعمل من سنتين ، فبقيت معه أربعة أشهر أنسج له ، فقمت ليلة فتمسحت وقمت إلى صلاة الغد ، فسجدت وقلت في سجودي : إلهي لا أعود إلى ما فعلت ، فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني وعدت إلى صورتي التي كنت عليها ، فأطلقت فثبت على هذا الاسم » .

واعلم أن لهذا السيد في التزام هذا الاسم المذكور أوجهاً منها : أنه تسليم لأنه شاهد فعل الله تعالى ، فلما ألقى الله تعالى عليه الاسم لم يبق له اختيار في التعرض له .

ومنها : أنه يستشعر من مولاه تعالى أنه أدبه بجعله عبداً مملوكاً وتسميته باسمه ، وضربة المحبوب تستلذ . ومنها : أنه يتذكر العبودية وذلتها ، وهذه الطائفة قد صارت الذلة شرابهم ونعيمهم .

ومنها : أنه يذكر به العقوبة فيذكر الهفوة ليتحرر منها .

ومنها : أنه يبقى عليه الاسم ليبقى عليه ذكر الهفوة والعقوبة هضماً لنفسه وإرغاماً لها .

ومنها : التفاؤل بهذا اللفظ فإنه على أصله . وهو ضد الشر . وعلى أنه مخفف من التشديد فهو ذو الخير ، وكيف أترك أنا كنية كناني به رجل من أفاضل المسلمين ولا سيما إن تضمنت معنى حسناً .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[رؤيا والد المؤلف ودعوة أستاذه]

ولما كان القصد في هذا الموضوع إلى ذكر المحاضرات بنوادر الفوائد مما اتفق لي خصوصاً أو لغيري عموماً وجب أن ينخرط في سلك ذلك ما وقع في شأني حال الولادة لأنه أول الرحلة إلى هذه الدار مع ما انضاف إليه مما يكون له مصداقاً أو يرجى خيره ويذكر على وجه التبرك والتفاؤل أو التحدث بالنعم ، وفيه مسرة المحب ومساءة البغيض فأقول : إني أرجو أن أكون إن شاء الله تعالى رؤيا والدي ودعوة أستاذي ؛ أما رؤيا الوالد فاعلم أن أبي مع كونه رجلاً أمياً كان رجلاً متديناً مخالطاً لأهل الخير محباً للصالحين زوّاراً لهم ، وكان أُعْطِيَ الرؤيا الصادقة (1)وأعطي عبارتَها ، فيرى الرؤيا ويعبرها لنفسه ، فتجيء كَفَلَقِ الصبح ، وكان مما رأى وتواتر الحديث به عنه في العشيرة رحمه الله أن قال : رأيت عينيْ ماء إحداهما لي ، والآخر لعلي بن عثمان ، وهو والد ابن عمنا الأديب البارع أبي سعيد عثمان بن علي رحمه الله ، غير أن عين علي كنا نسقي بها في بلدنا وعيني خرجت إلى ناحية أخرى .

وزعموا أنه قال : وكانت العين التي هي لي أقوى ماء وأكثر فيضاً ثم فسر ذلك بمولودين ينتفع بهما .

فولد أبو سعيد المذكور فانتفع ونفع حتى مات رحمه الله ، وظهر أنه العين المذكورة لأبيه ، وولدت أنا أيضاً ، وقد كان لي أخوان أسن مني فماتا

---

(1) في ك و في ح : « الرؤيا الصالحة » .

أمين رحمهما الله ؛ فأرجو أن أكون تلك العين ، وقد اتفق خروجي عن البلد كما قال رحمه الله ، وكنت بعد ذلك حين ارتحلت في طلب العلم إلى ناحيةالسوس الأقصى غيبت عن الوالد رحمهالله أعواماً لا يدري أين أنا ؟ فلما قفلت حدثني رحمه الله فقال : لما ضقنا من غيبتك رأيت كأن الناس يتجارون خلف فرس أشهب ليقبضوه ، فجئت إليه أنا فأمسكته بلجامه ، فلما استيقظت قلت للناس : إن الحسن ابني سيأتي وأجتمع به فكان ذلك ، والفرس الأشهب عند المعبرين (2) اشتهار بشرف وذكر ، وقد حصل لي ذلك بحمد الله ، نسأل الله سبحانه أن يكمل ذلك لنا وله ولسائر الأحباب بالفوز يوم الحشر والرضوان الأكبر ، بجاه نبيّه المصطفى المبعوث إلى الأسود والأحمر ، صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحبه المجلين في كل مفخر .

وأما دعوة أستاذي ، وهو شيخ الإسلام ، وعلم الأعلام ، أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فهي تلك بعينها ، وكان من حديثي معه في ذلك أنه لما تهيأ للتشريق (3) في حجته الثانية أرسل إلي في حاجة أقضيها له مما يتعلق بسفره ذلك ، وأنا إذ ذاك بالزاوية البكرية ، فقضيت ذلك بحمد الله وسافرت به إليه حتى بلغته ، فلقيني بترحيب ، ورأيت منه بحمد الله إقبالاً خارجاً عن المعتاد حتى إنه (4) متى ذكرت ذلك (5) إلى اليوم يغشاني خجل وإشفاق على نفسي ، وأقمت معه حتى شيعته لوجهته إلى أن جاوزنا (6) سجلماسة بمرحلة ، فرجعت إلى داري ، ولما كنت ببعض

---

(2) في ح : « المفسرين » بدل : « المعبرين » .

(3) التشريق : الذهاب في جهة المشرق ، وهو عكس التغريب الذي هو الاتجاه قبل المغرب ، ومن هذا وذاك قول الشاعر :

سارت مشرقة وسرت مغرباً ... شتان بين مشرق ومغرب

(4) في ك و س و ح : « إني » . بدل : « إنه » .

(5) في ح : « ذكرته » موصولا بضمير وقع موضع اسم الإشارة .

(6) في ح : « جاوز » غير موصول بالضمير .

الطريق ألهمت الدعاء له فاتخذت الدعاء<له> (7)بعد أوراد الصبح وردا ؛ فلما قفل من الحج ذهبنا إليه لنسلم عليه ، فخلوت به<يوماً> (8)وجعلت أطلب منه وأطلب ، فقال لي رحمه الله : أما الدعاء فإني في سفرتي هذه ما دخلت مقاماً ولا مزارة ولا توجهت إلى الدعاء لأحد إلاّ جاء بك الله تعالى في لساني أولاً ، ثم <لا> (9) أدعو لك إلاّ بهذا الدعاء : اللهم اجعله عيناً يستقي منها أهل المشرق وأهل المغرب ، قال : حتّى كنت أتعجب في نفسي وأقول : سبحان الله ! بماذا استحق هذا الرجل هذا ؟

ولما صنفت القصيدة الدالية (10)في مدحه وتهنئته بالحج أدخلها إليه ولده الفقيه الناسك الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد فخرج إلي وقال : يقول لك الشيخ : جعلك الله عيناً يستقي منها (11)أهل المشرق وأهل المغرب ، وشمساً يستضيء بها أهل المشرق وأهل المغرب ، وهذا اللفظ يحتمل (12)الدعاء والخبر ، نسأل الله تعالى أن يحقق لنا [نحن] (13) وللمسلمين ذلك آمين .

---

(7) ما بين العلامتين ساقط من س .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(10) هي قصيدة من بحر الكامل طويلة النفس عارض بها دالية البوصيري التّي مطلعها :

كتب المشيب بأبيض في أسود   بفضاء ما بيني وبين الخرد

والتّي قالها في مدح أبي العباس المرسي وتعزيته بشيخه أبي الحسن الشاذلي ، ولليوسي على قصيدته هذه شرح سماه : « نيل الأماني في شرح التهاني » ، وقد طبعت القصيدة مع الشرح بمصر عام 1291 هـ .

(11) في ح : « بها » . بدل : « منها » .

(12) في س وحدها : « وهذا اللفظ يشتمل على الدعاء والخبر ويحتملهما » وهو أوفى بالمراد مما في الأصل و ك و ح .

(13) ما بين العلامتين زيادة من س .

ومن هذا ما كلمه جماعةمن فقراء(14) الغرب وأنا حاضر <معهم> (15) فقال لهم يشير إليّ : هذا شمسكم، هذا ضوءكم، وهذا كله أصرح مما حكى تاج الدين (16) بن عطاء الله عن شيخه القطب العارف أبي العباس(17) المرسي رضي الله عنهما قال : جاء الشيخ مرة من سفر . فلقيناه فدعا لي وقال : فعل الله لك(18) وفعل ، وبهاك بين خلقه <قال> (19) : ففهمت يعني من قوله وبهاك بين خلقه أني مراد بالظهور إلى الخلق .

واعلم أن مواطأة دعوة الشيخ رضي الله عنه لرؤيا الوالد، مع كونه لم يحضر لذلك ولم ينقل إليه، من عجيب الاتفاق. قد ذكرت هنا مـــا وقع في

---

(14) في ك و س : « فقهاء » بدل : « فقراء » وهو ما في صلب ح ولكن ناسخها كتب على طرتها كلمة : « فقراء » ورمز عليها بحرف الغين .

(15) ما بين العلامتين سقط من ك و س و ح .

(16) هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري المالكي الشاذلي ، صحب الشيخ أبا العباس المرسي ، وتربى عليه ، وانتفع به ، وكانت له جلالة عند الناس وهيبة في النفوس ، وكان من معارضي الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومن أشد الناس عليه ، وله تصانيف منها : « الحكم العطائية » نسبة إليه ، وهو مطبوع متداول ، ومنها : « لطائف المنن ، في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن » وهو مطبوع ، وكانت وفاة التاج سنة 709 هـ .

(17) ترجمه الشعراني في «الطبقات الكبرى» (2 : 12-18) فكان مما قال عنه : « الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي رضي الله عنه ، كان من أكابر العارفين ، وكان يقال : إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره ، وهو أجل من أخذ عنه الطريق رضي الله عنه ، ولم يضع رضي الله عنه شيئاً من الكتب ، وكان رضي الله عنه يقول : علوم هذه الطائفة علوم تحقيق ، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق ، وكذلك شيخه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لم يضع شيئاً ، وكان يقول : كتبي أصحابي ، مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وستمائة » .

(18) في س : « بك » .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

الحديث (20)عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له : يا رسول الله عليه أخبرنا عنك فقال لهم : « أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام، ورؤيا (21) أمي » .

تنبه (22)أيها الناظر ، فإياك أن يختلج بفهمك ، أو يخطر بوهمك ، أني أنزع بهذه الحكاية قصداً إلى المحاكاة، معاذ الله ، فإن درجات (23)الأنبياء لا تنبغي لغيرهم ، ولا يصل أحد إلى مزاحمتها ، فكيف بسيد الأنبياء ؟ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وعلى آله وعلى آل كل (24). ثم إياك [أيضاً] (25)أن تتوهم أن لا نسبة ولا نسب ولا شبهة ولا شبه فتقع في الغلو من الطرف الآخر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الأمُورِ أوْسَطُهَا » (26)ولا بد لهذا من تقرير فنقول :

(20) في المواهب اللدنية للقسطلاني ما لفظه: «عن شداد بن أوس أن رجلا من بني عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حقيقة أمرك ؟ فقال : « بدو شأني أني دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى وأني كنت بكر أبي وأمي » . اهـ . أراد عليه السلام قوله تعالى حكاية عن إبراهيم : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم).ثم على قوله عز وجل : (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

(21) في « صفة الصفوة » لابن الجوزي (1 : 50 – 51) ما نصه : « روى يزيد بن عبد الله ابن وهب بن زمعة عن عمته قالت : كنا نسمع أن آمنة لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما شعرت أني حملت ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء إلا أنني أنكرت رفع حيضي ، وأتاني آت وأنا بين النوم واليقظة فقال : هل شعرت أنك حملت فكأني أقول : ما أدري فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها » اهـ .

(22) في ك و س و ح جميعاً : « وتنبه » مع الواو .

(23) في ك و ح : « درجة » بالإفراد .

(24) كذا بالأصل ، ومثله في ك و ح ، أما س ففيها وحدها : « وعلى كل آل » بتقديم كلمة كل على لفظ آل .

(25) ما بين العلامتين في ك و س و ح فأضفناه .

(26) في هامش الأصل بخط ناسخه : « أوساطها » بلفظ الجمع وعليه علامة : « صح » .

إن الله جل اسمه ، وهو الذي لا مثل له ولا نظير ، ولا شبه (27)ولا وزير ، قد شرع لعباده التعلق بأسمائه الحسنى ، ثم شرع لهم أيضاً التخلق بها في الجملة حتى إذا علمنا مثلاً أن الله تعالى حليم انتهض العبد في التخلق بالحلم فيكون حليماً ، وكذا إذا علمنا أنه تعالى عليم أو وهاب أو صبور أو شكور انتهض العبد في الاتصاف بالعلم وبالجود وهكذا < حتى يكون عليماً وهاباً وهكذا> (28)ومعلوم أن حلم العبد ليس كحلم الله وهكذا ، ولكن له به نسبة هي توجب قرب العبد من الله تعالى في المعنى ، ومن هذا حديث « خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ »أي خلقه حياً عالماً قديراً ، وليس كالجمادات والحيوانات العجماوات ، وبهذا تأهل لأن يكون عبد الحضرة دونها (29).

ثم إن العباد المختارين يرضون لرضى (30)الله ، ويغضبون لغضبه ، ويشتدون لأجله ، ويلينون لأجله ، وهكذا في سائر الأحوال والأفعال ، قال تعالى في أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم : (أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) وقال أيضاً : (أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ) وهو مسايرة ومشايعة في الأفعال والأحوال ، وذلك شأن عبيد الملك ، وإذا كان هذا في حق الله تعالى ففي [حق] (31) الأنبياء أقرب وأيسر ، فلا إشكال في < صحة> (32)تعاطي أوصافهم وأخلاقهم وأفعالهم وسائر أحوالهم وإن لم تكن في ذلك مشابهة ولا مزاحمة للنبوءة ، بل اتباع

---

(27) في ك و س و ح : « ولا شبيه » .

(28) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(29) كتب أكنسوس فوق الكلمة « دونها » ما لفظه : « أي الحيوانات » يريد أن الضمير في « دونها » يرجع إلى الحيوانات .

(30) في ح : « . . . . برضى . . . . » بالباء بدل اللام ، وفيها أيضاً : « . . . بغضبه . . . » .

(31) ما بين العلامتين ساقط من المخطوطات الثلاث ، وهو وارد في ح فأضفناه : رواية عنها .

(32) ما بين العلامتين ساقط من ك وح .

واقتباس وشبه توجب لصاحبها أيضاً القرب منهم ،ولهذا قيل في الوارث (33) : إنه من كان على قدم النبي صلى الله عليه وسلم أي متحققاً في الاقتداء به قولاً وفعلاً وحالاً ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤْيَا الصالِحَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوءَةِ »فقد علم من لفظ الحديث أن الرؤيا الواقعة من غير النبي لعموم لفظ الصالح قد أخذت بنسبة من النبوءة ، فهي منها غير أنه لقلة النسبة لا تقع بها مزاحمة ، وقال الشيخ أبو يزيد (34)رضي الله عنه : مثال ما أعطي الأنبياء مثل زق مملو(35) ماء أو عسلاً ، ومثال ما أعطي الأولياء كلهم مثال قطرات تقطر من ذلك الزق ، فانظر في هذا المثال فإن القطرات هي من ماهية ما في الزق قطعاً ، ولكنها لقلتها جداً لا تقع بها مزاحمة ، ولم يزل أهل الدين من العلماء العاملين والمجاهدين السالكين والواصلين العارفين يأخذون أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من أحوال الأنبياء عموماً وحال نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصاً ، وهذا هو الشأن كله .

---

(33) لعله يريد الواحد من الورثة المذكورين في قوله عليه السلام : « العلماء ورثة الأنبياء » .

(34) ترجمه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (4 : 106 – 114) فكان مما قال فيه : « أبو يزيد البسطامي ، واسمه طيفور بن عيسى بن سروشان ، وكان سروشان مجوسياً فأسلم ، وكان لعيسى ثلاثة أولاد : أبو يزيد ، وهو أوسطهم ، وآدم ، وهو أكبرهم ، وعلي وهو أصغرهم ، وكانوا كلهم عباداً زهاداً » وترجمه الخلكاني في « الوفيات » (2 : 213) وحكى عنه ما يأتي: « سئل أبو يزيد بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟قال : ببطن جائع ، وبدن عار ، وقيل لأبي يزيد ما أشد ما لقيته في سبيل الله تعالى ؟فقال : لا يمكن وصفه ، فقيل له : ما أهون ما لقيت نفسك منك فقال : أما هذه فنعم ، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني طوعاً فمنعتها الماء سنة ، وكان يقول : «لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة » . ثم قال عنه بعد ذلك : « وله مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة ، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين » .

(35) هكذا هو في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية ، ووجهه أن الهمزة أبدلت ثم أدغمت في الواو .

وقد يقع لهم مما هو في معنى الاقتباس والإشارة والتمثيل ما يزيد على هذا كما قال الشيخ أبو مدين (36)رضي الله عنه لأبي عمرانموسى (37) ابن يدراسن الحلاّج حين توجه إليه : (فإن أمن الغرب) (38)فأنت موسى وأنا شعيب ، وإن موسى لما بلغ شعيباً أمن .

ومن هذا ما وقع له رضي الله عنه في القرآن وقد دخل عليه رجل من أهل الإنكار والمصحف بين يديه فقال للرجل : ارفع المصحف وافتحه وانظر إلى أول ورقة <منه> (39)فإذا فيها : (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الخَاسِرِينَ) .

---

(36) ذكره التادلي في « التشوف » (ص 316 – 325) فكان مما قال بشأنه : « أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري ، أصله من حصن قطنيانة من عمل إشبيلية ، ثم نزل بجاية وأقام بها إلى أن أمر بإشخاصه إلى حضرة مراكش فمات وهو متوجه إليها عام أربعة وتسعين وخمسمائة ، ودفن بالعباد خارج تلمسان ، وذكره الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبدالله الفهري فقال : كان زاهداً فاضلا عارفاً بالله تعالى قد خاض من الأحوال بحاراً ، ونال من المعارف أسراراً ، وخصوصاً مقام التوكل لا يشق فيه غباره ، ولا تجهل آثاره ، وكان مبسوطاً بالعلم ، مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم الله له بذلك ، ولقد أخبرني من أثق به ممن شهد وفاته أنه قال : رأيته عند آخر الزمن يقول : الله الحق » .

(37) ترجمه التادلي في « التشوف » (ص 330) فقال : « أبو عمران موسى بن يدراسن الحلاج ، من أصحاب أبي مدين ، وكان عبداً صالحاً ، سمعت أبا علي حسن بن محمد يقول : كان أبو عمران الحلاج حلاجاً للقطن فكان لا يأتيه أحد إلا قال له : كان من أمرك كذا وكذا، وفعلت كذا ، وقلت كذا ، فشاعت عنه هذه الأمور فخاف على نفسه وفر من فاس إلى بجاية ، فلما اجتمع مع أبي مدين شكا إليه ما قاساه من الناس فقال له أبو مدين : واسمي شعيب ، وقد أمنت فإن موسى لم يأمن حتى لقي شعيباً » .

(38) كذا كتبت هذه العبارة في الأصل على تلك الصورة من التحريف وجاءت في ك و ح كما يلي : « فراراً من الغرب » ووردت في س هكذا « فاراً من الغرب » بالغين المعجمة ، وصوبها أكنسوس على هامش مخطوطته بخط يده فجعلها : « العرب » بعين مهملة .

(39) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

ومن هذا النمط كان رضي الله عنه يقول : لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد .

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه في شأن ابن عطاء الله الفقيه جد الشيخ تاج الدين : إن النبي صلى الله عليه وسلم يوم ثقيف جاءه ملك الجبال فقال له : ما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (40)؟ فقال صلى الله عليه وسلم : <بل> (41)أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، قال فكذلك صبرنا لجد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه يعني تاج الدين إلى غير هذا مما يكثر .

فما وقع من الحكاية في الكتاب بعد أن يكون قصد به اقتباس وضرب من المناسبة يكون من شيء مما مرّ ، وإلاّ فهو استطراد للعلم وتذكير بفائدة ، وقد يقال على أنه مما مرّ ، فأين منزلتك أيهذا المتشبع بما لم يعط من درجات الشيخين المذكورين ونحوهما حتى يصح منك ما صح منهم ؟ فنقول : إذا انفصلنا من جانب (42)النبوءة بخير فقد خرجنا عن مضيق الممتنع إلى فضاء الجائز ، وهو رحب ، ومن تشبّه بقوم فهو منهم كما [قيل] (43) :

لم أكن للوصال أهلاً ولكن أنتمُ بالوصال أطمعتموني

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(40) في « معجم البلدان » لياقوت : « الأخشب من الجبال الخشن الغليظ ، ويقال : هو الذي لا يرتقى إليه ، والأخشبان جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى ، وهما واحد ، أحدهما أبو قبيس ، والآخر قعيقعان ، ويقال : بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك ، وقال ابن وهب : الأخشبان الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ، وقال السيد علي العلوي : الأخشب الشرقي أبو قبيس ، والأخشب الغربي هو المعروف بجبل الخط . . . » .

(41) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(42) في ك و س و ح : « جناب » . بدل : « جانب » .

(43) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن ك وح وهو وارد في س فأضفناه رواية عنها .

[تقلبات الدهر]

كان الشيخ الصالح أبو محمد الحسين بن أبي بكر رحمه الله ينشدنا كثيراً تحريضاً على جميل الصبر ، وتعريفاً بتقلبات الدهر ، ونحن إذ ذاك صبيان قول الشاعر :

ثمانية تجري على الناس كلهم ولا بد للإنسان يلقى الثمانيه(1)
سرور وحزن واجتماع وفرقة ويسر وعسر ثم سُقْمٌ وعافيه

ونحوه قول أبي الطيب :

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة وميْتٌ ومولود وقالٍ ووامق (2)

فهذه أحوال تعرض لابن آدم على التوارد ، لا يسلم منها في الجملة ، ولا تنحصر لبقاء العز والذل والقوة والضعف والحركة والسكون ، وغير ذلك مما لا يحصى ، وكثير منها يصلح رده إلى ما ذكر بضرب من التأول ، ولو اشتغلنا بتفصيل ذلك وشرحه لغة واصطلاحاً لطال واحتاج إلى ديوان وحده أو أكثر ، فلنقتصر على الإجمال مع الإلمام .

فالأول وهو السرور والحزن فنقول : هما مترتبان على المحابّ والمكاره ،

---

(1) للبيت رواية أخرى تقول :

ثمانية تجري على المرء دائماً وكل امرىء لا بد يلقى الثمانيه

(2) البيت من قصيدة له مطلعها :

هو البين حتّى ما تأنى الحزائق ويا قلب حتّى أنت ممن أفارق

وهي مودعة في ديوانه .

[ومن المحبوب فوات المكروه] (3)ومن المكروه فوات المحبوب ؛ والإنسان لا يخلو من أن يظفر بمحبوب فيسر به أو يفوت فيحزن ، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان صلى الله عليه وسلم يوماً في البيت يعمل عملاً فنظرت إلى وجهه صلى الله عليه وسلم ، وهو يتهلل أو كما قالت . فقلت يا رسول الله أنت والله أحق بقول أبي كبير ، تعني الهذلي (4) :

ومُبَرَّأٍ (5)من كلِّ غُبَّر (6)حيضة وفساد مرضعة وداءِ مُغْيِلِ (7)
وإذا نظرت إلى أَسِرَّة (8) وجهه برقت كبرق العارض(9) المتهلل(10)

قالت : فطرح ما في يده وأخذني وقبل ما بين عيني وقال صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ، ما سررت بشيء كسروري بك . وقد ذكر القصة في

---

(3) ما بين العلامتين زيادة من ك و ح .

(4) هو عامر بن الحليس ، شاعر مخضرم عده البعض في الصحابة وذكروا عنه أنه سأل الرسول عليه السلام أن يحل له الزنى فقال له : أتحب أن يؤتى إليك مثل ذلك فقال له : لا ، فقال صلى الله عليه وسلم : فارض لأخيك ما ترضى لنفسك .

(5) البيتان من قصيدة له في 48 بيتاً . وتجد نصها الكامل في « ديوان الهذليين » (2 : 88 - 100) .

(6) غبر الحيضة بضم أوله وفتح ثانيه مع التشديد باقيها قبل أن تطهر الحائض ، ويقال أيضاً : غبر بالضم والسكون وكذلك غبر اللبن لما يبقى منه في الضرع .

(7) يقال : أغالت المرأة ولدها وأغيلته فهي مغيل بوزن مريد ومغيل بزنةمكرم إذا أرضعته على حبل .

(8) الأسرة جمع سرار بوزن كتاب وهي الخطوط التي في الجبهة .

(9) العارض هو السحاب الذي يعرض في جهة من جهات السماء .

(10) فسر المرزوقي البيت الأول في « شرحه على حماسة أبي تمام » فقال : « والمعنى أن الأم حملت به وهي طاهر ، ليس بها بقية حيض ، ووضعته ولا داء به استصحبه من بطنها فلا يقبل علاجاً ، لأن داء البطن لا يفارق ، ولم ترضعه غيلا وهو أن تسقيه وهي حبلى » .
ثم شرح معنى البيت التالي فقال : « يقول : إذا نظرت في وجه الرجل رأيت أسارير وجهه تبرق وتشرق إشراق السحاب المتشقق بالبرق يصفه بحسن البشر وتطلق الوجه في كل حال » .

الإحياء (11)، وقال صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، وقد قدم عليه جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه فعانقه : لا أدري بمَ أُسَرّ أبفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟

وقال صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه إبراهيم : «العَيْنُ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ ، وَلا نَقُولُ إلاّ مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وإنّا بِفِرَاقِكَ يَا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ » .

ثم الإنسان في أيام دهره لا يكاد يخلو من سوء، فإن الدنيا دار بلاء ومحنة ، ولا سيما في حق المؤمن الذي هي في حقه سجن . فقد قال الله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) . وقال الله تعالى : (ألم ، أحَسِبَ النّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ) وقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ وَالأنْفُسِ وَالثّمَرَاتِ) وقال تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ في أمْوَالِكُمْ وَأنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الّذِينَ أشْرَكُوا أذىً كَثِيراً) إلى غير ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم : «أشَدُّكُمْ بَلاءً الأنْبِيَاءُ ثُمَّ الأمْثَلُ فَالأمْثَلُ » .

---

(11) هو كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة 505 هـ . قال عنه حاجي خليفة في كشف الظنون : «هو من أجل كتب المواعظ وأعظمها حتى قيل فيه : إنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب» .

وقال الشيخ أبو القاسم الجنيد(12) رضي الله عنه: أصلت [لنفسي] (13) أصلاً فلا أبالي بعده، وهو أني قدرت أن هذا العالم كله شر، ولا يلقاني منه إلا الشر، فإن لقيني الخير فنعمة مستفادة. وإلا فالأصل هو الأول.

ومن غريب ما اتفق في هذا المعنى أن بعض الملوك نظر في كتاب الحكمة(14) فإذا فيه: إن الدهر لا يخلو من المصائب، وإنه لا يصفو فيه يوم من كدر فقال: لأكذبن هذا. وأعد ليلة لسروره، وأحضر فيها كل ما يحتاج، وكانت عنده جارية حظية هي مجمع لذته، ومنتهى أنسه، فأحضرها لذلك، وأمر أن تصرف عنه الصوارف وتقطع عنه الأشغال ليتفرغ لمتعته وأنسه، ويقضي الأرب كله من هوى نفسه، فحين أمسى كان أول ما قرب للجارية العنب، فأخذت حبة وجعلتها في فيها فغصت بها، وكان ذلك آخر العهد بها.

فلم يرَ الملك أمرّ من تلك الليلة، ولا مصيبة ولا هما ولا حزناً أفظع مما

---

(12) ترجمه السلمي في «طبقات الصوفية»: (ص 156 بتحقيق نور الدين شريبة ط دار الكتاب العربي بمصر 1953 م) فقال: «الجنيد بن محمد أبو القاسم الخزاز، وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري، أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بالعراق، وكان فقيهاً تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وصحب السري السقطي، والحارث المحاسبي، ومحمد بن القصاب البغدادي، وغيرهم، وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين.

(13) ما بين العلامتين زيادة من ك وح.

(14) يبدو أن اليوسي لم يقصد أن هناك كتاباً موسوماً بهذه التسمية، ولا أن ثمة مصنفاً موضوعاً بهذا العنوان، وإنما عنى واحداً من كتب الحكمة التي تحاول تفسير الوجود بما هو عليه والكشف عن أسراره، وقد جاء في كشف الظنون ما يأتي: «علم الحكمة، وهو علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية». وعليه تكون الحكمة بهذا المعنى هي النظر في الأمور والأشياء نظراً تأملياً فلسفياً».

فيها (15)فسبحان القاهر فوق عباده ، الغالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

[مقام الشكر ومقام الصبر عند الصوفية العارفين]

هذا ومتى تأمل العبد أحواله ، واستقرأ عوارضه ، وجد لطف الله تعالى أغلب ، ونعمته عليه أوسع . قال تعالى : (اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) وقال تعالى : (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا) ، وفي الخبر : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » .

ولا يشك العاقل أن أيام البلاء أقل من أيام العافية ، وأوقات العسر أقل من أوقات اليسر وهكذا .

وقد قال الله تعالى في قصة آل فرعون : (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ) الآية . ثم لا يخلو وقت من لطف ، ولذا قال أئمة التصوف رضوان الله عليهم : العارف من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية .

ثم المؤمن كما في الحديث كله بخير ، إن أصابه الخير شكر الله تعالى فكان له خيراً ، وإن أصابه شر صبر فكان خيراً له .

---

(15) في « أغاني الأصفهاني » (15 : 143 طبعة الدار) : « نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام ومعه حبابة ، فقال : زعموا أنه لا تصفو لأحد عيشة يوماً إلى الليل إلا يكدرها شيء عليه ، وسأجرب ذلك ، ثم قال لمن معه : إذا كان غداً فلا تخبروني ولا تأتوني بكتاب ، وخلا هو وحبابة ، فأتيا بما يأكلان فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت ، فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت ، فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه ، وقالوا : قد صارت جيفة بين يديك حتى أذن لهم في غسلها ودفنها وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها ، فلما دفنت قال : أصبحت والله كما قال كثير :

فإن يسل عنك القلب أو يدع الصبا فباليأس يسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل راءني فهو قائل من اجلك : هذا هامة اليوم أو غد

فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها » .

وقال بعض العارفين : الناس كلهم في مقام الشكر . وهم يحسبون أنهم في مقام الصبر . وبيان هذا من أوجه :

الأول أن موجب الشكر وهو النعمة أغلب ، والحكم للأغلب .

الثاني أنه ما من شر وبلاء يصيب العبد إلا وفي مقدور الله تعالى من البلاء ما هو أفظع منه قد صرفه الله تعالى ، فيجب الشكر على الاقتصار على ما وقع .

الثالث ما يفيده البلاء من رياضة النفس وتشجيعها للنوائب وإخماد سَوْرَتِها والنجاة من طغيانها وما يجر إليه من البلاء ديناً ودنيا ، وتربية العقل بتعريفه تقلبات الدهر وفتح البصيرة في الأمور وهذه الأوجه عامة في المؤمن وغيره.

الرابع ما يحصل بالبلاء في الدنيا من مزيد المعرفة بالله تعالى وقهره وقوته وبطشه وفي الآخرة من الأجر العظيم .

الخامس ما يحصل للنفس من الخشوع لخالقها والانفكاك (16) عن المعصية.

السادس سلامة ثوابه من شوب الرياء وما يفسده إذ لا حظ للنفس فيه فهو خير قد دخل عليها بلا تعمل ، فالشكر عليه أحق ، إلى غير ذلك من الفوائد التي يطول تعدادها ، فمن علم ذلك كان البلاء عنده محل الشكر فصار في مقام الشكر في كل حال .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(16) في ك و س و ح جميعاً : « الانكفاف » .

[الشجرة الخضراء في المدينة الخالية : سجلماسة]

كان بسجلماسة أيام ارتحلنا إليها للقراءة زمان الصبا شجرة يقال لها الشجرة الخضراء مشهورة في تلك البلاد وفي سائر بلاد القبلة . وهي قدر الزيتونة أو السدرة الكبيرة ، وورقها يقرب من ورق السدر . وسبب شهرتها أنها غريبة الشكل دائمة الخضرة وغريبة في محلها [لأنها في البلد] (1) وليست من شجر البلد ، وهي منفردة ليس معها شجر أصلاً . وكانت نابتة خارج سور المدينة الخالية بينه وبين النهر قبالة الرصيف الذي يعبر عليه لناحية الزلاميط ، ويقال : إن ذلك باب من أبواب تلك المدينة ، والله أعلم .

ثم إن الأستاذ الفاضل أبا يزيد عبد الرحمن بن يوسف الشريف بعث إليها جماعة من الطلبة فقطعوها (2) ، وكان ذلك يوم الخميس ، وكنت جئت من ناحية المراكنة ذلك اليوم قصدا إلى سوق الخميس ، فلما بلغت إلى الشجرة وجدت الطلبة حين بلغوا إليها بقصد قطعها فقعدت حولها أنظر ، فلما انفصل أهل السافلة من السوق وكانت طريقهم كان كل من يمر فيراها تقطع يصيح ويتأسف ويقول : ما فعلت لكم المسكينة ؟ وكان أهل سجلماسة لما استغربوا أمرها يزورونها ، ولا سيما النساء ، فيكثرون <عليها> (3) من تعليق الخيوط ويطرحون الفلوس أسفلها . وربما تغالت النساء في تعظيمها والتنويه بشأنها حتى يسمينها باسم امرأة صالحة كالسيدة فاطمة ونحو ذلك ؛ فلهذا أمر

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو ثابت في سواه فأضفناه .

(2) في س وحدها : « ليقطعوها » .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

الأستاذ المذكور بقطعها وكأنه يرى أنها صارت ذات (4)أنواط كما قال الشيخ أبو العباس (5)المرسي رضي الله عنه ، فذكرناها نحن للتنبيه على ذلك ؛ فإن عوام الناس أكثروا عليها منذ عقلنا حتى كانوا ينسبون إليها من ترهات(6) الأراجف (7)نحو قولهم : قالت الشجرة الخضراء : هذا زمان السكوت ؛ من قال الحق يموت ، فليعلم الناظر أنها <إنما> (8)هي شجرة لا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، ومثلها أحق أن يقطع .

---

(4) في « معجم البلدان » لياقوت : « ذات أنواط شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهلية تأتيها كل سنة تعظيماً لها فتعلق عليها أسلحتها وتذبح عندها ، وكانت قريبة من مكة ، وذكر أنهم كانوا إذا حجوا يعلقون أرديتهم عليها ويدخلون الحرم بغير أردية تعظيماً للبيت ، ولذلك سميت ذات أنواط ، يقال ناط الشيء ينوطه نوطاً إذا علقه » . وجاء في « تفسير ابن جرير الطبري »عند قوله تعالى من سورة الأعراف : (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال : إنكم قوم تجهلون) . « حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أبا واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة ، قلت يا نبي الله : اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر ، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) إنكم ستركبون سنن الذين من قبلكم » . وضرب أبو العلاء ذات أنواط هذه مثلا في نيل الحظوة عند الناس بالمصادفة والاتفاق لا بالفضل والمزايا فقال من قصيدة في « لزومه » :

والحظ يدرك أقواماً فيرفعهم وقد ينال إلى أن يعبد الحجرا
وشرفت ذات أنواط قبائلها ولم تباين على علاتها الشجرا

(5) تقدم التعريف به ص : 87.

(6) في « التاج » : « الترهة كقبرة : الباطل كالتره كسكر ، وهو في الأصل الطريق الصغيرة المتشعبة من الجادة » .

(7) كذا بالأصل وفي غيره : « الأراجيف » بمد الجيم وهو جمع إرجاف ، وجاء في « أساس البلاغة » للزمخشري ما نصه : « أرجفوا في المدينة بكذا إذا أخبروا به على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم ، وهذا من أراجيف الغواة ، والإرجاف مقدمة الكون ، وتقول : إذا وقعت المخاويف ، كثرت الأراجيف » .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

ومن هذا نسيت شجرة (9)بيعة الرضوان حتى لم يثبت عليها الصحابة الذين كانوا تحتها فضلاً عن غيرهم ، وذلك مخافة أن تعبد .

وسمعت الفاضل الناسك البكري بن أحمد بن أبي القاسم بن مولود الجاوزي رحمه الله يحدث عن أسلافه أن شيخ المشايخ أبا القاسم الغازي رضي الله عنه ونفعنا به كان يقول لهم : <إنه> (10) نزلت عليه القطبانية تحت شجرة ببلد أجاوز ، فيقولون له : يا سيدنا لِـمَ لمْ ترنا تلك الشجرة ، فيقول : خفت أن تتركوا السبع وتعبدوا النغورة أي مغارته أي يتركونه فلا ينتفعون به ويشتغلون بالشجرة .

وكانت بقرب تاغية مقام الشيخ أبي يعزى (11)شجرة أخرى من هذا

---

(9) هي الشجرة المذكورة في قوله تعالى من سورة الفتح : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة). وفي« معجم « البلدان » لياقوت : « الشجرة المذكورة في القرآن في قوله تعالى : (إذ يبايعونك تحت الشجرة) في الحديبية ، وبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الناس يكثرون قصدها وزيارتها والتبرك بها فخشي أن تعبد كما عبدت اللات والعزى فأمر بقطعها وإعدامها فأصبح الناس فلم يروا لها أثراً » .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(11) ترجمه التادلي في « التشوف » (ص 195 – 205) فكان مما قال بشأنه : « الشيخ أبو يعزى يلنور بن ميمون قال قوم : إنه من هزميرة إيروجان،وقيل من بني صبيح من هسكورة، وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة ، ودفن بجبل إيروجان في أول شهر شوال عام اثنين وسبعين وخمسمائة ، وكان قطب عصره ، سمعت أبا علي الصواف يقول : سمعت أبا مدين يقول : رأيت أخبار الصالحين من زمان أويس القرني إلى زماننا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى ، وسمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي يقول : سمعت أبا عبد الله بن الكتاني يقول : نقلت كرامات أبي يعزى نقل تواتر ، وذكره الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري قال : لقيت الشيخ الزاهد الفاضل الرفيع آية وقته أبا يعزى يلنور وكان أعجوبة في الزمان ، وعدة للإيمان ، بلغ من مقامات اليقين مبلغاً لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين ، واشتهر عنه من الكرامات ما وقع موقع العيان ، وشهد بشهرتها الكافة والأعيان » .

المعنى وكدْسٌ (12)من أحجار يقال له :البقرة ، وكل ذلك حقيق بالإزالة . غير أن العالـِم سيفـُه لسانـُه ، وما وراء ذلك إنما هو لأهل الأمر ، ومن له قدرة على الأمر .

نعم . التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيدة لا بأس به ، وله أصل في فعل الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يدير راحلته حيث رأى النبي صلى الله عليه وسلم[أدارها] (13) ويتحرى الأماكن التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم ،وذلك مذكور في الصحيح [وفيه قيل] (14) :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
ولا تيأسا أن يمحو الله عنكما ذنوباً إذا صليتما حيث صلت(15)

ورأيت في بلاد المصامدة وخصوصاً بلاد رجراجة من هذا كثيراً بقي عندهم موروثاً خلفاً عن سلف عندما يدورون على صلحائهم زائرين ، ولما حضرت معهم في الدور في هذه السفرة التي بدأت فيها هذه الأوراق ، وذلك سنة خمس وتسعين وألف لم أوافقهم في فعل كثير مما يفعلون من ذلك مخافة أن يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك ، ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بأمور قريبة لا بأس فيها .

وفي بلاد المغرب مواضع اشتهرت بآثار الصالحين ووقع التغالي فيها،

(12) في « مصباح الفيومي » : « الكدس وزان قفل : ما يجمع من الطعام في البيدر ، وقال الأزهري الكدس جماعة الطعام ، وكذلك ما يجمع من دراهم وغيرها ، والجمع أكداس مثل قفل وأقفال » اهـ . باختصار .

(13) ما بين العلامتين سقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

(14) ما بين العلامتين إضافة من س .

(15) البيتان لكثير عزة ، وهما الأول والثالث من قصيدة في ديوانه المطبوع في بيروت بتحقيق إحسان عباس وبينهما البيت الذي يقول :

ومسا تراباً كان قد مس جلدها وبيتا وظلا حيث باتت وظلت

منها شالة في رباط سلا ، فلا يعرف لها إلاّ أنها مزارة يزورها الناس ويتبركون بمن فيها ، ولم يظهر فيها بهذا العهد إلاّ يحيى بن يونس ، وهو مشهور عند الناس ، ولا تعرف له ترجمة ، وملوك بني عبد الحق ، وهم معروفون ، ولا بأس بهم ، وكل ما يذكر فيها مما سوى ذلك ويوجد في بعض الأوراق المجعولة من الأخبار فلا يعرف له أصل ولا يعول عليه .

ومنها ميسرة في بــلاد ملوية حيث مدفن الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري ، ويقال لها تامغراوت قد اشتهرت عند الناس ، وتوجد فيها أخبار وأحاديث في الأوراق وألسنة الناس ، وسألت عن ذلك بعض أولاد الشيخ المذكور وهو الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبي طاهر عند نزولنا عليه فقال : ما ثبت عندنا في هذا الموضع إلاّ أنه كان رابطة لأسلافنا يتعبدون فيه ، فقلت له : نعم الوصف هذا ، فإن متعبد الصالحين حقيق أن يتبرك به ، فهذا أيضاً غاية ما يثبت في هذا الموضع وما وراء ذلك لا يلتفت إليه .

ومنها رباط شاكر (16) وهو مشهور ، وكان مجمعاً للصالحين من قديم ، ولا سيما في رمضان ، يفدون إليه من كل أوب ، حتى حكى صاحب التشوف (17) عن منية (18) الدكالية رضي الله عنها أنها حضرت ذات مرة في

---

(16) هو شاكر بن عبد الله الأزدي تابعي غزا مع عقبة بن نافع وعهد إليه عقبة بتعليم المصامدة الإسلام ، فأما رباطه فإنه من أقدم الربط بالمغرب ، وهو واقع بأرض أحمر على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت .

(17) هو كتاب : « التشوف ، إلى رجال التصوف » لأبي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي المعروف بابن الزيات ، والمتوفى سنة 627 هـ وهو مرجع ذو بال في تاريخ التصوف بالمغرب ، وقد اعتنى بتصحيحه المستشرق الفرنسي أدولف فور ، وصدر مطبوعاً ضمن مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية سنة 1958 م .

(18) أخبر عنها التادلي في التشوف (ص 312) فقال : « منية بنت ميمون الدكالي ، أصلها من مكناس ، ونزلت في الجانب الشرقي من مراكش ، وبه توفيت عام خمسة وتسعين وخمسمائة ، ودفنت خارج باب الدباغين ، وكانت من الأفراد ، زرتها ورأيتها عجوزاً قد اسودت من الاجتهاد ولصق جلدها بعظمها » .

رباط شاكر فقالت لبعض من معها: إنه حضر هذا العام في هذا الرباط ألف امرأة من الأولياء ، فانظر إلى عدد النساء فكيف بالرجال ! فلا شك أن هذا الموضع موضع بركة ومجمع خير ، ولكن لم نقف من أمره إلا على ما وقع في التشوف من أن شاكراً ذكر أنه من أصحاب عقبة بن نافع الفهري وأنه هنالك ، وأن يعلى بن مصلين الرجراجي بناه ،وكان يقاتل كفار برغواطة(19) ؛ وغزاهم مرات ، وأن طبله (20)هو الباقي هنالك إلى الآن ، والله أعلم . ولم يظهر فيه في العهد من مشاهد (21)الصالحين إلا أبو زكرياء (22)المليجي ؛ والله أعلم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(19) برغواطة اسم أطلق قديماً على مجموعة من قبائل مصمودة كانت في بداية الأمر تنتحل مذهب الخارجية ، ثم تنبأ منهم رجل يسمى صالحاً ، وادعى أنه المذكور بسورة التحريم في قوله تعالى : (وصالح المؤمنين) وكان ظهوره في العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة . وقد افترى صالح على الله كذباً أنه أوحى إليه بكتاب ، وسن لأتباعه شرائع يتبعونها ، وجعل لهم شعائر يتعبدون بها ، ودامت فتنة صالح حتى زمن المرابطين ، بل ان بقايا من أتباعه ظلوا موجودين إلى عهد الموحدين .

انظر في البرغواطيين : « مسالك البكري»و«بيان ابن عذاري»و«عبر ابن خلدون» و « قرطاس ابن أبي زرع » « ودائرة المعارف الإسلامية » .

(20) في ك : « طالله » .

(21) في ج : « مشاهر » بالراء ولعل « مشاهد » تصحفت منها فإن مددنا الهاء من مشاهر صارت مشاهير جمع مشهور وهو المناسب للسياق .

(22) عرف به التادلي في « التشوف » (ص: 103) فقال : « أبو زكرياء يحيى بن موسى المليجي من أهل قرية مليجة من بلاد رجراجة من تلامذة أبي عبد الله الذي بتالغت ومن أشياخ عبد الخالق بن ياسين ، ومن أكابر الأولياء يقال : إنه من الابدال ،وكان ـج في كل عام وتواترت عنه عجائب الكرامات » .

[محتالون يظهرون الصلاح ويخدعون الناس]

ومما وقع بسجلماسة قريباً من هذه القصة أنه شاع في البلد ذات ليلة أنه قد ظهر رجل في المدينة الخالية ، فأصبح الناس يهرولون إليه أفواجاً ، وخرجنا مع الناس فقائل (1) يقول : ولي (2) من أولياء الله ، وآخر يقول : صاحب الوقت ، فلما بلغنا المدينة وجدنا الخلق قد اجتمعوا من كل ناحية على ذلك الرجل حتى إن أمير البلد وهو محمد بن الشريف خرج في موكبه <حتى رآه> (3) فلما كثر الناس اشتد الزحام عليه وتعذرت رؤيته ، فدخل في قبة هناك في المقابر فأخرج كفه من طاق <في> (4) القبة فجعل الناس يقبلون الكف وينصرفون ، وكان كل من قبل الكف اكتفى ورأى أنه قضى الحاجة (5) فقبلناه وانصرفنا ، ثم بعد أيام سمعنا أنه ذهب إلى ناحية الغرفة ، وأنه سقط في بئر هنالك ومات ، فظهر أنه رجل مصاب ، وكأنه (6) يشتغل باستخدام الجان ونحو ذلك فهلك .

وإنما ذكرنا هذا ليعلم ويتنبه لمن هذا حاله ، فكم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجنون أو معتوه أو موسوس أو ملبس ، فيقع به الاغترار ، للجهلة الأغمار .

---

(1) في ح : « وقائل » .
(2) في ك و ح : « إنه من أولياء . . . » .
(3) ما بين العلامتين ساقط من الكتانية .
(4) ما بين العلامتين ساقط من الكتانية .
(5) في س : « الحاجات » بلفظ الجمع .
(6) في ك و ح : « وكان » . بدل : « كأنه » .

ما أنت أول سار غرّه قمـــــر ورائدٍ أعجبته خضرة (7)الدمَنِ

وقد يشايعه من هو على شاكلته من الحمقى ومن الفجار ، وشبه الشيء منجذب إليه (8) .

إن الطيور على أجناسها تقع (9)

فيغتّر الأغبياء بذلك إلا من عصمه الله .

وقد صعدت في أعوام الستين وألف إلى جبل من جبال هسكورة فإذا برجل نزل عليهم (10)من ناحية الغرب ، واشتهر بالفقر ، وبنى خباء له

---

(7) خضرة الدمن عبارة عن المنظر الحسن ووراءه مخبر سوء وأصله قوله عليه السلام : « إياكم وخضراء الدمن » قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت سوء » فالدمن جمع دمنة ، وهي القذر الذي تدمنه الإبل من أبوالها وأبعارها ، فربما نبت عليه نبات فجاء مخضراً رائقاً ، وإن كان منبته ما هو من السوء والفساد ، والبيت لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري صاحب المقامات ، وجاء في « وفيات الخلكاني » (3 :230) وهو يترجم المذكور ما نصه : « ويحكى أنه كان دميماً قبيح المنظر ، فجاء شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيئاً ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم الحريري ذلك منه ، فلما التمس منه أن يملي عليه قال له : اكتب :

ما أنت أول سار غره قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري إنني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

فخجل الرجل منه وانصرف » .

(8) هذا صدر بيت للمتنبي هذا عجزه :

وأشبهنا بدنيانا الطغام

وهو من ميميته التي مطلعها :

فؤاد ما تسليه المـــدام وعمر مثل ما تهب اللئام

(9) هو شطر بيت جرى مجرى الأمثال .

(10) في س : « عندهم » .

وأقبل الناس عليه بالهدايا والضيافات . وكان من أهل البلد فتى يختلف (11) إليه ويبيت عنده ، فاستراب من أمره بعض الطلبة ، فتلطف مساء ليلة حتى ولج الخباء ، فكمن في زاوية منه ، فلما عسعس الليل قام المرابط إلى الفتى فاشتغل(12) معه بالفاحشة ، نسأل الله العافية ، ثم علم أن قد علموا <به> (13) فهرب ، وبلغ الخبر إلى إخوة الفتى فتبعوه ، ولم أدر ما كان من أمره ، ومثله كثير . ومن أغرب ما وقع من هذا أيضاً بسلجماسة ما حدث به أخونا في الله الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الشريف المعروف بابن علي رضي الله عنه قال : ما لعب بإخواننا يعني أشراف سجلماسة إلاّ رجل جاءهم في البلد واتّسم باسم الصلاح ، ووقع الإقبال عليه ، فكان يأتيه الرجل فيعده بأن يبلغه (14) إلى مكة ويحج به طرفة عين ، واستمر على ذلك مدة ، ثم قام نفر من الأشراف اتفقوا على اختباره ، فكمنوا قريباً منه ، وتقدم إليه أحدهم وعنده نحو خمسين مثقالاً فقال له : يا سيدي إن هذه الصلاة تثقل علي ، فعسى أن ترفعها عني ، وأفرغ تلك الدراهم بين يديه ، وكأنه هش لذلك ، فبادره الآخرون قبل أن يستوفي كلامه وأوجعوه ضرباً وطردوه . ثم بعد مدة سافر بعضهم إلى ناحية الغرب فمر بعين ماء هنالك ، فإذا الرجل عندها يستقي قربة له منها ، وإذا هو يهودي من يهود معروفين هنالك ، نسأل الله العافية .

فالحذر مطلوب ، ولا سيما فيما نحن فيه من آخر الزمان الذي استولى فيه

---

(11) في ك : « يتردد » ومثله في صلب الفاسية ، وعلى طرتها بإزائه : « يختلف » مرموزاً عليها بخاء إشارة إلى نسخة أخرى .

(12) في ك و ح : « واشتغل » مع الواو بدل الفاء .

(13) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(14) في ك : « يوصله » بدله .

الفساد على الصلاح ، والهوى على الحق ، والبدعة على السنّة ، إلاّ من خصه الله وقليل ما هم ، [وفيه قيل] (15) :

هذا الزمان الذي كنّــا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
إن دام هــذا ولم يحدث له غير لم يبك ميتولم يفرح بمولود(16)

بل نقول : ليته يدوم ، فإنه لا يأتي زمان إلاّ والذي بعده شر منه كما في الحديث الكريم .

نعم لا بد للناس من تنفيس ، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا تنفيساً نقضي فيه ما بقي من أعمارنا في خير ، ونستعتب مما مضى ، إنه الكريم المنان .

هذا ، ولا بد مع الحذر من حسن الظن بعباد الله ، ولا سيما من ظهر عليه الخير والتغافل عن عيوب الناس .

وفي الخبر : خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله وسوء الظن بالناس ، ومن تتبع عيوب الناس تتبع الله عيوبه حتى يفضحه في قعر بيته .

فالاعتراض بلا موجب جناية ، واتباع كل ناعق غواية .

وفي كلام مولانا علي كرم الله وجهه : الناس ثلاثة : عالم ربّاني ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهَمَجٌ رَعاعٌ ، أتباع كل ناعق . فمن ثبتت استقامته ،

---

(15) ما بين العلامتين وارد في س فأضفناه رواية عنها .

(16) البيتان في العقد الفريد (2 : 34) وجاءت رواية الثاني منهما فيه هكذا :

إن دام ذا الدهر لم نحزن على أحد يموت منا ولم نفرح بمولود

وصح علمه وورعه وجب اتباعه ، ومن اتسم بالخير وجب احترامه على قدره ، والتسليم له في حاله ، ومن ألقى جلباب الحياء عن وجهه وجب لومه ، وإذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله ، ولا بد من مراعاة السلامة .

وهذا باب واسع لا يكفيه إلاّ ديوان وحده ، وإنما ذكرنا هذه الإشارة استطراداً .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[أشعار في الكرم وخدمة الضيف]

من الشعر المستملح في باب التكرم قول المقنَّع (1) الكِندي أنشده القالي (2) في النوادر (3) :

يعاتبني في الدَّين قومي وإنما ديونيَ في أشياء تكسبهم حمدا
أسدُّ به ما قد أخلّوا وضيعوا ثغورَ حقوقٍ ما أطاقوا لها سدا
وفي جفنة ما يغلق الباب دونها مكللة لحماً مدفقة (4) ثردا

(1) هو محمد بن ظفر بن عمير الكندي شاعر أموي مقل ، كان له شرف وسؤدد في عشيرته ، وكان يلقب المقنع لما ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» فقال : « كان من أجمل الناس وجهاً وأمدهم قامة ، فكان إذا كشف عن وجهه لقع أي أصيب بالعين ، فكان يتقنع دهره فسمي المقنع » .

(2) هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي المعروف بالقالي ، كان إماماً في اللغة حجة فيها ، وراوية من رواة الادب ثقة فيه ، رحل من المشرق إلى الأندلس فنال حظوة كبيرة لدى أمرائها ، ومنزلة عالية عند علمائها ، توفي سنة 356 هـ .

(3) هو كتابه الذي اشتهر باسم الأمالي ، والذي قال عنه ابن خلدون في « المقدمة » وهو يتحدث في العلم والأدب : « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي : « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وكتاب « الكامل » للمبرد ، وكتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وكتاب « النوادر » لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها » . وكتاب « الأمالي » هذا طبع ثلاث طبعات أخراها صدرت عن مطبعة السعادة سنة 1953 م .

(4) في « شرح المرزوقي على الحماسة » : « قوله : « مدفقة » أي مملوءة ، والأحسن أن يروى معه « ثُردا » بضم الثاء ويروى : « مدققة ثَردا » بفتح الثاء والمراد مثردة ثرداً دقيقاً » .

وفي فرس نهد عتيق جعلته حجاباً لبيتي ثم أخدمته (5) عبدا
وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن يأكلوا لحمي وفرتُ لحومهم وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هوُوا غيبي هويت لهم رُشدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا
وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

ونحوه قول عروة (6) بن الورد :

أيا بنت (7) عبد الله وابنة مـــالك ويا بنت ذي البردين (8) والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلا فإني لست آكله وحدي
أخاً طارقـــاً أو جار بيت فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
وكيف يسيغ المـــرء زاداً وجارُهُ خفيف المعى بادي الخصاصة والجهد
وللمـَوْتُ خير من زيـــارة باخل يلاحظ أطراف الأكيل على عمد
وإني لعبد الضيف مـــا دام ثاوياً وما فيَّ إلاّ تلك من شيمة العبد

---

(5) في « اللآلىء » : « لم يرد بقوله : « جعلته حجاباً لبيتي » أني حجبت به بيتي من ناظر ، وإنما يريد أنه نصب عينيه وأكبر همه » .
(6) الأبيات ليست في « ديوان عروة » بجميع طبعاته ، وفي مشهور الروايات أنها لحاتم الطائي .
(7) هي ماوية بنت عبد الله زوج حاتم .
(8) ذو البردين هو عامر بن أحيمر بن بهدلة وكان من خبره أنه وفد على المنذر بن ماء السماء ذات مرة فيمن يفد عليه من رؤساء العرب ، فأخرج المنذر بردين وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما ، فقام عامر فارتدى بأحدهما واتزر بالآخر وقال : العز والعدد في معد ، ثم هو في نزار ، وهو بعدهما في مضر ، ثم يكون في خندف ، فتميم ، فسعد ، فكعب ، فعوف ، ثم هو يكون في بهدلة ، فمن أنكر ذلك فلينافرني ، فلم يتكلم أحد من الحاضرين فصار بعدها يلقب ذا البردين .

وقول الآخر (9) :

لعمر أبيك الخير إني لخادم لضيفي، وإني إن ركبت لفارس(10)

لله الأمر من قبل ومن بعد

(9) هو نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي ، أو هو الهذلول بن كعب العنبري وكلاهما من شعراء الجاهلية .

(10) البيت من قطعة جاء بها المبرد في كامله ، وساق معها خبراً يقول : إن صاحب الشعر كان معرساً بامرأة ، فطرقه أضياف فقام إلى الرحى يطحن لهم بنفسه ، فأبصرته زوجه على تلك الحال فلم ترضها ، فقال يخاطبها :

تقول : وصكت صدرها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها : لا تعجبي وتبيني بلائي إذا التفت علي الفوارس

لعمر أبيك الخير إني لخادم لضيفي وإني إن ركبت لفارس

[أصناف الناس]

قال (1) معاوية رضي الله عنه [يوماً] (2) لصعصعة (3) بن صوحان وكان من البلغاء: صف لي الناس . فقال : خلق الناس (4) أخيافاً (5) ، فطائفة للعبادة ، وطائفة للتجارة ، وطائفة خطباء ، وطائفة للبأس والنجدة ، ورجرجة (6) فيما بين ذلك ، يكدرون الماء ، ويُغلُون السِّعر ويضيقون الطريق . وقال الآخر في نحو هذا :

الناس هُمْ ثلاثة فواحد ذو درقه
وذو علوم دارس كتبه ووَرَقَه
ومنفق في واجب ذهبَه ووَرِقه
ومن سواهم همج لا وَدَكٌ لا مرقه

---

(1) الخبر في « أمالي القالي » (1 : 254) .

(2) ما بين العلامتين زيادة في ك وفي س .

(3) ترجمه المرصفي في « رغبة الآمل » (7 : 138) . فقال « صعصعة بن صوحان بن حجر ، أحد بني عبد القيس ، أسلم بالنبي ولم يره ، وكان خطيباً ، لسناً ، ديناً ، فاضلا ، يعد في أصحاب علي رضي الله عنه ، وشهد حروبه ، ومات أيام معاوية .

(4) في ك و س : « أصنافاً » بدلا من « أخياف » .

(5) فسر القالي في « أماليه » (1 : 209) لفظ الأخياف بما يأتي راوياً عن اللحياني : « يقال : الناس أخياف في هذا الأمر أي مختلفون لا يستوون ، ويقال : خيفت المرأة أولادها إذا جاءت بهم أخيافاً أي مختلفين .

(6) فسر القالي في « أماليه » (1 : 254) الرجرجة فقال : « الرجرجة شرار الناس ورذالهم وأصل الرجرجة الماء الذي خالطه لعاب » .

وفي كلام مولانا علي كرّم الله وجهه لكميل بن زياد : الناس ثلاثة : عالم ربّاني ، ومتعلم على سبيل النجاة ،وهمج رعاع ، أتباع كل ناعق(7).

<وقال الآخر :

ما الناس إلاّ العارفون بربهم   وسواهم متطفل في الناس>(8)

وهذا المعنى له تفصيل وتحقيق ، والاشتغال به يطيل (9) ، ويكفي اللبيب فيه ما مرّ عند ذكر الحسب وتفصيل المزايا في الناس .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(7) قد مر هذا ص : 108 .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(9) في ح : « مطيل » بصيغة اسم الفاعل .

[أصناف بقاع الأرض]

كان شيخنا الأستاذ المشارك الفاضل الناسك أبو بكر بن الحسن التطافي ينشد <نا> (1) كثيراً في التنويه بالعلم قول القائل :

وما عرّف (2) الأرجاء إلاّ رجالها ... وإلاّ فلا فضلٌ لتُرْب على تُرْبِ

والمعنى أن القطر من الأرض وكذا المدينة والقرية تعرف وتشرف بنسبة المعروف إليها كأبي عثمان المغربي وابن عامر (3) الشامي والحسن البصري وأبي الحسن الحرالي (4) وغيرهم .

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(2) ينبغي أن يقرأ بتشديد الراء مع نصب « الأرجاء » ورفع « رجالها » لأن معنى البيت على ذلك .

(3) كذا بالأصل وفي سواه : « أبي » وليحقق .

(4) في الأصل بالواو بعد الحاء ، وهو تصحيف وفي] س : « الحدالي » بالدال وهو تصحيف كالسابق ، وفي ك و ح معاً : « الحرالي » بالراء ، وهو الصواب نسبة إلى حرالة التي قال عنها الزبيدي في « التاج » بالنص : « حرالة مشددة اللام ، أهمله الجوهري والصاغاني وأكثر أهل اللغة ، وهي بلدة بالمغرب بالقرب من مرسية ، أو قبيلة بالبربر سمي البلد بهم ، ومنهم من ضبطه بتشديد الراء وتخفيف اللام » . اه . وهو أبو الحسن علي ابن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي ، ولد بمراكش ، ونشأ بها ، وتلقى بالأندلس ، ثم رحل إلى المشرق ، كان من كبار العلماء في عصره ، وكان غاية في جودة الذهن ، وأعجوبة في استخراج الخفايا ، وكان يتصوف على طريقة الفلاسفة ، صنف في الدين والمنطق والطبيعيات ، فمن كتبه تفسيره الشهير الذي سماه « مفتاح الباب المقفل في فهم الكتاب المنزل » ، وهو لا يزال مخطوطاً ، وله « شرح على الموطأ » ، و« شرح على الشفاء » ، و« شرح على الأسماء الحسنى » ، وله كتاب « إصلاح العمل » ، لانقضاء =

واعلم أن بقاع الأرض كأفراد الإنسان ، هي كلها مشتركة في كونها أرضاً وتربة ، ثم تتفاوت في المزايا الاختصاصية ، إما من ذاتها بأن يجعلها الله منبتاً للعشب ، وهي أفضل من السبخة (5) أو مزرعة ، وهي أفضل من الكنود (6) أو سهلة . وهي أفضل من الحزن . وقد ينعكس الأمر ، أو معدناً ، وتتفاوت بحسب الجواهر المودعة فيها ، أو منبعاً للماء ، وتتفاوت بحسب المياه إلى غير ذلك من (7) مختلفات الفواكه والأشجار والأزهار وسائر المنافع ، وإما من عارض ، كأن يختصها الله تعالى بكونها محلاً لخير إما نبوءة بيته (8) كمكة ، فهي أشرف البقاع ما خلا المدينة من ثلاثة أوجه : الأول كونها محلاً لبيته ، وقبلة لعباده . والثاني كونها عمارة خليله إبراهيم عليه السلام ، الثالث كونها مولد ومبعث أشرف الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، إلى وجوه أخرى ككونها وسط الأرض <أو أرفع الأرض> (9) أو من تحتها دحيت (10)

= الأجل» ، و«السر المكتوم ، في مخاطبة النجوم» ، وهو مخطوط ، «وشمس مطالع القلوب في علم الحرف» ، وتوفي الحرالي بحماة سنة 637 هـ . وما كانت حرالة لتذكر لولا أن الحرالي كان قد سكنها ، كما أن زمخشر ما كانت لتعرف لولم يكن منها جار الله الزمخشري.

(5) في «مصباح الفيومي» : «سبخت الأرض سبخاً من باب تعب فهي سبخة بكسر الباء ، وإسكانها تخفيف ، وأسبخت بالألف لغة ، ويجمع المكسور على لفظه : سبخات مثل كلمة وكلمات ، ويجمع الساكن على سباخ مثل كلبة وكلاب ، وموضع سبخ وأرض سبخة بفتح الباء أيضاً أي ملحة» .

(6) في «صحاح الجوهري» : «كند كنوداً كفر النعمة ، فهو كنود ، وامرأة كنود ايضاً وأرض كنود : لا تنبت شيئاً» .

(7) في ح : «ومختلفات» .

(8) كذا في الأصل برسم واحد البيوت مضافاً إلى ضمير الغائب ، وفي ك و س و ح : «بينة» مؤنث البين الذي هو الواضح غير الخفي .

(9) ما بين العلامتين ساقط من س .

(10) في «أساس البلاغة» للزمخشري : «خلق الله الأرض مجتمعة ثم دحاها أي بسطها ومدها ووسعها كما يأخذ الخباز الفرزدقة فيدحوها» .

الأرض ، وكونها حراماً وغير ذلك <و> (11)لبيت المقدس قسط من هذا الفضل لأنها مأوى الأنبياء ، وكانت قبلة ، <و> (12)اختصت المدينة طيبة بكونها مُهاجَرَ أشرف الخلق ومدفنه مع أكابر أصحابه رضي الله عنهم فصارت خير[البقاع حتى مكة عند علمائنا](13)أما التربة التي تضمنت شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم فلا مثل لها في الأرض ولا في السماء قطعاً .

وإما نبوءة فتشرف (14) كل بلدة ولد فيها نبي أو بعث أو أقام أو دفن ؛ وتشتهر بذلك وتتعرف (15) كما قال صلى الله عليه وسلم يوم الطائف للغلام وقد قال له : <إنه> (16)من نينَوى (17) . « قَرْيَةُ أخي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ » وإما علم فكل قرية أيضاً أو بلدة كان فيها عالم أو كان منها فهي تشرف (18)بذلك وتتعرف كما في البيت المذكور ، وإما زهدٌ أو عبادة أو نحو ذلك أو ملك أو جود أو نجدة أو جمال أو خلق حسن أو غير ذلك حتى رخاء العيش وصحة الهواء ، فكل ذلك ونحوه يكون به الشرف والاشتهار كما يكون الاشتهار في النقصان والمذمة بأضداد ذلك . واعلم أن المولى تبارك وتعالى من لطيف حكمته وسابغ منته كما لم يُخْلِ عبْداً من عباده من فضل عاجل أو آجل ، ظاهر أو باطن ، كثير أو قليل ، كذلك لم

---

(11) ما بين العلامتين سقط من الأصل وجاء في سواه فأضفناه .

(12) ما بين العلامتين لم يرد في الأصل فأضفناه رواية عن ك و س و ح .

(13) ما بين العلامتين سقط من صلب الأصل ولكن ناسخه كتب على الطرة لحقاً هذا لفظه : « خير أو أفضل » وفي ك و س و ح : « أفضل » .

(14) في س : « تتشرف » .

(15) في ك : « وتعترف » .

(16) بين العلامتين ساقط من ك .

(17) في « معجم البلدان » : « نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو وهو قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل » .

(18) في س وحدها : « تتشرف » .

يُخيِل بقعة من بقاع الأرض من فضل ، ولم يُعْثِر بلدة من مزية يتعلل بها عُمّارُها حتى لا يتركوها ، وقد جعل الله تعالى الأهواء مختلفة ، والطباع متفاوتة ، وحبب لكل أحد ما اختصه به ، ذلك تقدير العزيز العليم الحكيم ، فتجد هذا يمدح أرضه بكثرة المياه للاتساع (19)في الشرب والطهارة والنقاوة ونحو ذلك ، وهذا يمدح أرضه بالبعد عن كثرة المياه لجودة منابتها ، وصحة هوائها ، وذهاب الوخم عنها ، وهذا يمدح أرضه بالسهولة لوجود المزارع فيها وكثرة ريفها (20)واتساع خيرها ، وهذا يمدح أرضه بكونها جبالاً لتمنعها وعزة أهلها ، وحسن مائها وهوائها وقناعتها وغير ذلك .

[و] (21)للشعراء قديماً وحديثاً في هذا ما يحسن ترداده ، ويطول إيراده ، فمن ذلك لأبي بكر (22)بن حجة الحموي يتشوق إلى بلده قوله :

بوادي حماةِ الشامِ عن أيمن الشط وحقك تطوى شُقّة الهمّ بالبسط
بلاد إذا ما ذقت كوثر مائِهـا أهيم كأني قد ثَمِلْتُ بإسفِنْطِ (23)

---

(19) في س وحدها : « للانتفاع » .

(20) كذا بالأصل ، ومثله في ك و ح ، وفي س وحدها : « ربيعها » بدل : « ريفها » والريف فسره الجوهري في « الصحاح » فقال : « الريف أرض فيها زرع وخصب ، والجمع أرياف ، رافت الماشية أي رعت الريف ، وأريفنا أي صرنا إلى الريف ، وأرافت الأرض أي أخصبت ، وأرض ريفة بتشديد الياء » .

(21) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وهو في سواه فأضفناه .

(22) هو تقي الدين أبو بكر بن علي الحموي المعروف بابن حجة بكسر الحاء ، وبالأزراري لأنه كان اشتغل في عمل الأزرار قبل أن يتأدب،ولد سنة 777 وتوفي سنة 837 هـ كان من شعراء عصره ، ومن كبار الأدباء المنشئين في وقته ، له مؤلفات منها : « خزانة الأدب » (مطبوع) « وثمرات الأوراق » (مطبوع) ، وله أشعار أودعها في مجموع سماه : « الثمرات الشهية ، في الفواكه الحموية » (مخطوط) .

(23) في « القاموس » : « الاسفنط بالكسر وتفتح الفاء المطيب من عصير العنب، وضرب من الأشربة ، أو أعلى الخمر » .

فمن يجتهد في أن في الأرض بقعة تماثلها قل : أنت مجتهد مخط
وصوّبْ حديثَيْ مائِها وهوائِها فإن أحاديث الصحيحين ما تُخطي

وللآخر في تلمسان مثل هذا :

بلد الجدار (24) ما أمرّ نواها كلِفَ الفؤاد بحبها وهواها
يا عاذلي في حبها كن عاذري يكفيك منها ماؤها وهواها

ولابن حمديس (25) الصقلي في بلده :

ذكرت صقليـة والأسى يهيج للنّفسِ تذكارها
فإن كنت أخرجت من جنة فإني أحدّث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعي أنهارها (26)

وللأعرابي (27) :

أقول لصاحبي والعيس تخدي(28) بنا بين المُنيفةِ (29) فالضمار

---

(24) فيه زحاف الوقص وهو ذهاب الثاني المتحرك من الجزء .

(25) هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المعروف ، ولد بصقلية سنة 447 وبها نشأ وتعلم ، ثم نزح عنها عندما تغلب عليها روجار ، فاتجه إلى الأندلس ، واتصل بالمعتمد بن عباد ، ثم ترامت به الأسفار حتى أدركته الوفاة بجزيرة ميورقة أو ببجاية سنة 527 هـ له ديوان طبع بتحقيق الدكتور إحسان عباس سنة 1960 .

(26) الأبيات من قصيدة له في سبعة وثلاثين بيتاً مطلعها :

قضت في الصبا النفس أوطارها وأبلغها الشيب إنذارها

وهي مودعة في ديوانه .

(27) هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيري ، شاعر بدوي مقل ، عاش على عهد الدولة الأموية ، والأبيات هذه منسوبة إليه في حماسة أبي تمام .

(28) في الأصل بخاء وذال معجمتين ، ومثله في س ، وهو تصحيف ، وفي و ك ح « تحدى » بحاء ودال مهملتين ، وهو تصحيف كذلك ، والصواب فيه « تخدي » بخاء معجمة ودال مهملة ، قال المجد في « قاموسه » : « خدى البعير والفرس خدياً وخدياناً أسرع وزج بقوائمه ، أو هو ضرب من سيرهما ، أو هو عدو الحمار ما بين آريه ومتمرغه ». أما رواية الحماسة فجاءت هكذا : « تهوي » .

(29) في « شرح المرزوقي على الحماسة » (ج 3 : 1240) : «المنيفة موضع أو هضبة مرتفعة =

تمتع من شميم عَرار (30) نجد   فما بعد العشيّة من عَرّار
ألا يا حبّذا نفحات نجــــد   ورَيّا روضه بعــد القِطار
وأهلك إذ يحلّ الحي نجداً   وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين ومــا شعرنا   بأنصاف لهنّ ولا سِرار (31)

وللآخر في تونس :

لتونِسُ تونسُ من جاءها   وتودعــه لوعة حيث سار
فيغدو ولو حلّ أرض العراق   يحن إليها حنين الحُوار (32)
ويأمل عوداً ويشتاقــه اشـ   ـتياق الفرزدق عَوْد النَّوار (33)

وللآخر في مدينة فاس :

= ومنه أناف على كذا أي أشرف ، وقولهم : مائة ونيف ، والضمار مكان أو واد منخفض يضمر السائر فيه » .

(30) في « صحاح الجوهري » : « العرار بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، الواحدة عرارة » .

(31) في « صحاح الجوهري » : « سرر الشهر بالتحريك آخر ليلة منه ، وكذلك سراره ، وهو مشتق من قولهم استسر القمر أي خفي ليلة السرار ، فربما كان ليلة وربما كان ليلتين ».

(32) في « القاموس » : « الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه » . وكتب في ك وح بالخاء المعجمة بدل الحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(33) « يقال نارت المرأة نوراً بالفتح ونواراً بالكسر إذا نفرت من الريبة ، فهي نوار بالفتح كسحاب ، وبه سميت المرأة ، والمذكورة في الشعر هي النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي ، وكان الفرزدق قد تزوجها ثم جرى عليه ما حمله على طلاقها ، وأدركته الندامة عليها فقال :

نــدمت ندامة الكسعي لما   غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنّتي فخرجت منها   كآدم حين أخرجه الضرار
وكنت كفاقىء عينيه عمداً   فأصبح ما يضيء له نهار
ولو ضنت يداي بها ونفسي   لكان علي للقدر اختيــار
وما فارقتها شبعاً ولكن   رأيت الدهر يأخذ ما يعار

يا (34) فاس حيا الله أرضك من ثرى   وسقاك من صوب الغمام المسبل

يا جنة الدنيـــا التي أربت على   عَدْن بمنظرها البهيّ الأجمل

غُرَفٌ على غُرَفٍ ويجري تحتها   ماء ألذ من الرحيق السلســـل

وكثيراً ما يقع الحنين إلى المنازل والبلدان ، من أجل من فيها من الإخوان والأخدان ، كما قال القائل :

أحب الحِمى من أجل من سكن الحِمى   ومن أجل من فيها تحب المنـــازل

وقال المجنون :

وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

وهي خصوصية في البقعة عارضة من سكانها كالذي في البيت ، فإن الميل إليها يقتضي فضلها على غيرها بالنسبة إليه ، ومن هذا <المعنى> (35) أكثر العرَب ذكر الحِمى (36) كقوله (37) :

فإن (38) كان لم يغرَض ، فإني وناقتي   بحجر إلى أهل الحِمى غَرِضان

---

(34) بالأصل « أيا » ولا يستقيم معه عروض الشعر ، وفي ك و س و ح جميعاً « يا فاس » .

(35) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(36) في « معجم البلدان » لياقوت : « الحمى بالكسر والقصر ، وأصله في اللغة الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه . وقال الأصمعي : الحمى حميان : حمى ضرية ، وحمى الربذة ، قال المؤلف : ووجدت أنا حمى فيد وحمى النير ، وحمى ذي الشرى ، وحمى النقيع ، فأما حمى ضرية فهو أشهرها وأسيرها ذكراً ، وللعرب في الحمى أشعار كثيراً ما يعنون بها حمى ضرية » .

(37) في « التاج » من مادة « غرض » : « قال الشاعر ، وهو أعرابي من بني كلاب . . . . . » ثم أنشد البيتين .

(38) كذا في المخطوطات الثلاث وهو أيضاً ما في ح وصوبه أكنسوس بخط يده على الطرة كما يلي : « فمن كان » أما « التاج » فجاءت روايته هكذا « فمن يك لم يغرض . . . . » .

تحنّ فتبدي ما بها من صبــابــة وأخفي الذي لولا الأسى (39) لقضاني (40)

الغرض المشتاق (41)، وكقول الآخر :

وإن الكثيب الفرد من جانب الحِمى إليَّ وإن لم آتــهِ لحبيــب

وكقول الآخر :

وكنت أذود العين أن ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه أذودها
خليليّ ما بالعيش عتب لوَ انّنا وجدنا لأيام الحِمى من يعيدها

وكقول الآخر :

ألا أيها الركب المجدّون هل لكم بساكن أجزاع الحمى بعدنا خُبْر ؟
فقالوا : قطعنا ذاك ليلاً وإن يكن بهبعض من تهوى فما شعر السّفْر (42)

وكقول الآخر (42م) :

---

(39) شكله أكنسوس بضم الهمزة شكل قلم وكتب عليه علامة (صح) يريد أنه جمع أسوة، وأن الشاعر يقول : لولا التأسي والتصبر لقضيت نحبي .

(40) يريد : قضى علي فعداه مباشرة .

(41) في «التاج» «الغرض الضجر والملال، والغرض أيضاً شدة النزاع نحو الشيء والشوق إليه، غرض كفرح فيهما فأما في معنى الضجر فإنه يعدى بمن يقال غرض منه غرضاً فهو غرض أي ضجر وقلق وأما الغرض بمعنى الشوق فإنه يعدى بإلى يقال : غرض إلى لقائه فهو غرض اشتاق إليه» .

(42) أوردهما القالي في أماليه (1 : 146) من رائية أبي الصخر الهذلي .

(42م) هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيري. والبيتان من شعر له في «حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي» (3 : 1215 – 1220) وكان الباعث على قوله ما حكاه ياقوت في «معجم البلدان» وهو يتكلم عن جبل البشر فقال : «كان الصمة بن عبد الله القشيري يهوى ابنة عمه، فتماكس أبوه وعمه في المهر، ولج كل واحد منهما، فتركها الصمة وانصرف إلى الشام وكتب نفسه في الجند وقال : ......» وروى المرزوقي في شرحه على الحماسة البيت الأول كما يلي : =

بكت عيني اليسرى فلما زجرتّها عن الغيّ بعد الشيب أسبلتا معا
فليست عشيات الحمى برواجع إليك ولكن خِلّ عينيك تدمعا

إلى غير ذلك .

ويكثرون أيضاً ذكر اللوى (43) كقوله :

شيب (44) أيام الفراق مفارقي وأنشزن(45) نفسي فوق حيث تكون
وقد لانَ أيــام اللوى ثمّ لم يكد من العيش شيء بعــدهنّ يلين

وكقول جرير (46) :

= بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

ثم كتب عليه قائلا : إنما قال بكت عيني اليمنى لأنه كان أعور ممتعاً بعينه اليسرى ، والعين العوراء لا تدمع ، فيقول : بكت عيني الصحيحة فاجتهدت في زجرها عن تعاطي الجهل بعد أن كنت تحلمت وتركت الصبا ، فلما تكلفت ذلك لما أقبلت العوراء تدمع معها وتبكي ، ونبه بهذا على عصيان النفس والقلب وقلة ائتمارهما له ، وأنهما إذا زجرا وردعا عن مواردهما زادا على المنكر منهما » اه .

(43) في « معجم البلدان » : « اللوى بالكسر وفتح الواو والقصر ، وهو في الأصل منقطع الرملة ، يقال : قد ألويتم إذا بلغوا منقطع الرمل ، وهو أيضاً موضع بعينه قد أكثرت الشعراء من ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما ، وهو واد من أودية بني سليم ، ويوم اللوى وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع » اه . ثم ذكر بعد ذلك : لوى طفيل ولوى النجيرة ولوى الأرطى ولوى المنجنون ولوى عيوب .

(44) كذا في المخطوطات الثلاث ، وعليه يكون فيه الخرم الذي هو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع في أول البيت ، وفي الطبعة الفاسية (وشيب) مع الواو ، وبه يسلم البيت من الخرم .

(45) في « مقاييس ابن فارس» ما نصه : « النون والشين والزاي أصل صحيح يدل على ارتفاع وعلو ، والنشز : المكان العالي المرتفع ، والنشوز : الارتفاع ، ثم استعير فقيل : نشزت المرأة استصعبت على بعلها ، وكذلك نشز بعلها جفاها وضربها » اه . وفي « تاج الزبيدي » ما لفظه : « نشزت نفسه : جاشت من فزع ، وعرق ناشز منتبر أي مرتفع : لا يزال يضرب من داء أو غيره ، وقلب ناشز : ارتفع من مكانه رعباً » .

(46) في س : « الآخر » ولم تسم جريراً .

اولا مراقبـــة العيون أرَيْنَنـــا
مُقل المها (47) وسوالف(48) الآرام(49)

هل يَنْهَيَنَك أن قتلنَ مرقشاً(50) أو ما فعلن بعروة (51) بن حزام

ذُمَّ المنـــازل بعدَ منزلةِ اللّوى والعيشَ بعـــــد أولئك الأيامِ

إلى غير ذلك .

[و] (52)أما نجد وهو ما ارتفع [من الأرض] (53)من بلادهم فأكثر من ذلك كلّه كقوله :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأي والبعد

وقول الآخر (54) :

أشاقتك البوارق والجنـــــوب ومن علوى(55)الرياحلها هبوب

---

(47) في « الصحاح » : « المها بالفتح جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية » .

(48) في « الصحاح » : « السالفة ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة » .

(49) في « الصحاح » : «الآرام الظباء الخالصة البياض الواحد رئم » .

(50) هما مرقشان : أكبر وأصغر ، فأما الأكبر فهو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة، وأما الأصغر فاسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وا لأكبر منهما عم الأصغر ، والأصغر منهما عم طرفة بن العبد صاحب المعلقة ، وكلا المرقشين كان شاعراً جاهلياً ، وكلاهما كان فارساً شجاعاً ، وكلاهما كان من عشاق العرب المتيمين .

(51) هو عروة بن حزام العذري صاحب عفراء ، وأحد المتيمين الذين قتلهم العشق ، وكانت وفاته في خلافة معاوية .

(52) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وهو في غيره فأضفناه .

(53) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

(54) الأبيات أوردها ياقوت في معجم البلدان ، وهو يتكلم عن « النير » ونسبها لمن سماه أبا هلال الأسدي .

(55) في«معجم ما استعجم» (3 : 965) ما نصه : « علوى بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده واو وياء على وزن فعلى : موضع ، وينبئك أنه من نجد قول الشاعر :

أشاقتك البوارق والجنـــوب ومن علوى الرياح لها هبوب

وفي الأصل : « غلوى » بالغين المعجمة مع ياء بآخره ، وفي ك و س و ح : « غلو » بغين معجمة وبدون ياء وذاك وهذا تصحيف .

أتتك بنفحـــة من شيح نجد تصوب(56)والعرار بها مشوب
وشمت(57) البارقات فقلت: جيدَتْ (58)
جبال البتر (59) أو مطر القليب(60)
ومن بستان إبراهيم(61)غنّت حمائم بينهـــا فنن رطيــب
فقلت لها : وقيتِ سهامَ رامٍ ورُقْط الريش مطعمها الجنوب
كما هيجت ذا حُزْنٍ غريبـــاً على أشجانهِ فبكى الغريب

وقول الآخر :

---

(56) كذا بالأصل وفي ك و س و ح جميعاً : « تضوع » وهي رواية البكري في « معجم ما استعجم » وياقوت في « معجم البلدان » .

(57) في « الصحاح » : « شمت البرق إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر » .

(58) كتب أكنسوس فوق هذه الكلمة بخط يده ما لفظه بالحرف :
« دعاء بالجود أي المطر »

(59) رسمت الكلمة في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية هكذا : « البتّر » بالباء المنقوطة بواحدة من تحت ، وبالتاء المثناة من فوق ، بعدهما راء مهملة ،والبتّر ذكره ياقوت في « معجم البلدان » فقال : « بتر أجبل من الشقيق مطلات على زبالة» . ثم أنشد فيه رجزاً وشعراً ، ثم زاد يقول : وقيل : البتّر أكثر من سبعة فراسخ عرضاً ، وطولا أكثر من عشرين فرسخاً من بلاد بني عمرو بن كلاب » . ثم أنشد فيه شعراً للقتال الكلابي ، ثم زاد فقال : « البتّر أيضاً موضع بالأندلس » . ويبدو أن الكلمة تصحفت عن النير بالنون والياء وقد جاء في « معجم البلدان » لياقوت : « النير بالكسر ثم السكون وراء بلفظ نير الثوب ، والنير في موضعين قرية ببغداد ، والنير جبل بأعلى نجد شرقيه لغني بن أعصر ، وغربيه لغاضرة ، وقال أبو هلال الأسدي ، وفيه دلا لة على أنه لغاضرة بني أسد :
أشاقتك الشمائل والجنوب . . . . .الأبيات »
وذكر البكري النير في « معجمما استعجم» فقال :« النير بكسر أوله وبالراء المهملة جبل يراه من أخذ طريق المنكدر ، وفوقه جبل يقال له نضاد النير » ثم أنشد أشعاراً ذكر فيها النير لدريد بن الصمة ولزيد الخيل ولحميد بن ثور ولتوبة بن الحمير .

(60) في « معجم ما استعجم » « القليب بفتح أوله وسكون ثانيه بعده ياء ثم باء معجمة بواحدة : موضع » .

(61) في « معجم البلدان » : « بستان إبراهيم في بلاد بني أسد » .

وما وجد أعرابية قذفت بها .... الأبيات (62)

وتقدم شيء من ذلك ، وهو كثير ، وذلك في الغالب لحسنه في نفسه هواء وماء ومنابت ومسارح ، والناس كلهم مجمعون (63) على ذكر ديار الأحباب <ومعاهد الشباب> (64) ، ولا خصوصية للعرب ، وإن كان لهم مزيد رقة .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(62) الأبيات التي لم ينصصها اليوسي كتب منها أكنسوس بيده على طرة مخطوطته بيتين ، وجاءت جملتها في طبعة فاس ، وهذا نصها رواية عنها :

ومـا وجد أعرابيـة قذفت بها	صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعـاء وخيمة	بنجد فلم يقـدر لها ما تمنت
إذا ذكرت مـاء الغضاء وطيبه	وريح الصبا من نحو نجد أرنت
بأعظم من وجد بليل وجـدته	غداة غدونا بكـرة واطمأنت
وكانت رياح تحمل الحاج بيننا	فقد بخلت تلك الرياح وضنت

(وفي الأغاني : ماء العضاه) .

(63) في ك و ح : « مجموعون » والظاهر أنه تحريف .

(64) ما بين العلامتين ساقط من ك .

[الأريحية]

أنشد في النوادر (1) لمحرز العكلي (2) :

يظلّ فؤادي شاخصاً من مكانه ... لذكر الغواني مستهاماً متيّما

إذا قلت مات الشوق مني (3) تنسمت ... به أرْيحيّاتُ الهوى فتنسما (4)

وفي البيت فائدة ، وهي أن لفظ الأريَحيّة (5) هو بسكون الراء وفتح الياء ، ووقع في شعر المولدين أيضاً ما يوافق ذلك .

* * *

مما علق بحفظي من أشعار المعاني (6) عند العرب قول الشاعر :

---

(1) تقدم التعريف بكتاب « النوادر » هذا وبصاحبه .

(2) في « النوادر » المذكور : « وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري : قال أنشدني أبي لمحرز العكلي ..... » .

(3) في ك و ح : « منا » .

(4) في ك : « فتبسما » بالباء وهو تصحيف .

(5) في « تهذيب » اللغة لأبي منصور الأزهري : « قال الأصمعي : يقال : فلان يراح للمعروف إذا أخذته أريحية وخفة ، وقال الليث : الأريحي الرجل الواسع الخلق البسيط إلى المعروف يرتاح لما طلبت إليه ويراح قلبه سروراً به ، قال : والأريحي مأخوذ من راح يراح كما يقال للصلت المنصلت أصلتي وللمجتنب أجنبي قال : والعرب تحمل كثيراً من النعت على أفعل فيصير كأنه نسبة » .

(6) أشعار المعاني واسمها الاصطلاحي « أبيات المعاني » هي ما عرف به الشهاب الخفاجي في «شفاء الغليل» نقلا عن « سفر السعادة » للسخاوي فقال بالنص : « أبيات المعاني هي في اصطلاح الأدباء ما كان باطنه يخالف ظاهره ، وإن لم يكن فيه شيء من غريب اللغة ، قاله السخاوي في « سفر السعادة » . وفي « مزهر السيوطي » : (1 : 578) « وهي (يريد =

فجنبت الجيوش أبا زنيب (7) وجاد على مسارحك السحاب

يحتمل أن يكون دعاء له (8)بالعافية والخصب ، ويحتمل أن يكون دعاء عليه (9)بالإفلاس حتى لا تقصده الجيوش ، ثم بالخصب مع ذلك لأنه أوجع لقلبه ، حيث يرى الرِّعْي (10)ولا راعية <كما> (11)قال الراجز :

أمرعت الأرض لوانَّ مالا
لو أن نوقاً لك أو جمالا
أو ثلة (12) من غنم امّا لا

= الألغاز) أنواع : ألغاز قصدتها العرب ، وألغاز قصدتها أئمة اللغة ، وأبيات لم تقصد العرب الإلغاز بها ، وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازاً ، وهي نوعان : فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها ، وأكثر أبيات المعاني من هذا النوع ، وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع مجلداً حسناً ، وكذلك ألف غيره ، وإنما سموا هذا النوع : (أبيات المعاني) لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ، ولا تفهم من أول وهلة ، وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب » .

(7) في « اللسان » : « وزنبة وزينب كلتاهما امرأة ، وأبو زنيبة كنية قال :
نكدت أبا زنيبة أن سألنا بحاجتنا ، ولم ينكد ضباب
وهو تصغير زينب بعد الترخيم ، فأما قوله بعد هذا :
فجنبت الجيوش أبا زنيب .... البيت
فإنما أراد أبا زنيبة فرخمه في غير النداء اضطراراً » .

(8) في ج : « دعا له » .

(9) في ك : « دعا له بالإفلاس » وهو خطأ لأن دعا له لا يقال في الشر .

(10) كذا بالأصل والرعي بكسر الراء وسكون العين هو ما يرعى ، قال صاحب « القاموس » : « الرعي بالكسر الكلأ ج أرعاء وبالفتح المصدر» . وفي س : « المرعى » وهو صحيح أما ك و ح ففيهما : « الراعي » وهو خطأ .

(11) ما بين العلامتين ساقط من س.

(12) في « التاج » : « الثلة بالفتح جماعة الغنم أو الكثيرة منها أو من الضأن خاصة ، وبالضم الجماعة منا ، ومنه قوله تعالى : « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » قال الزمخشري : ويقال : فلان لا يفرق بين الثلة والثلة أي بين جماعة الغنم وبين جماعة الناس » وفي ح : « ثلث » وهو تصحيف .

أي إن كنت لا تجد غيرها ، وقال الآخر :

ستبكي المخاض (13)الجرب أن مات هيثم
وكلّ البــواكي غــيرهنّ جمــود

أي إنه كان يستحييها بخلاً ، ولا ينحرها للضيفان ، فهي تبكي عليه ، ولا يبكي عليه أحد من الناس إذ لا خير فيه ، وهذا هجو ، وقد استعمل الجمود في مجرد عدم البكاء ، وكأنه لاحظ فيه المبالغة ، فإن الناس لعدم اكتراثهم بالهالك (14)أصبحوا في حقه لا يتصور منهم البكاء ولا انحدار دمع كمثل الأحجار ونحوها ، ويستعمل الجمود حيث يراد البكاء ولا تسمح العين بالدموع كقوله (15) :

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود (16)

ولذا عيب قول (17) القائل :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

---

(13) في « القاموس » : « المخاض الحوامل من النوق أو العشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر ، أو الإبل حين يرسل فيها الفحل حتى تنقطع عن الضراب ، جمع بلا واحد » .

(14) في ك و ح : « بالهلاك » .

(15) هو أبو عطاء السندي ، واسمه أفلح بن يسار ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وهو كان من شيعة الأمويين ، وكان في لسانه عجمة قبيحة .

(16) البيت من شعر له يرثي به يزيد بن عمر بن هبيرة لما قتل بواسط وبعده :

عشية راح الدافنون وشققت جيوب بأيدي مأتم وخدود
فإن تك مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود
وإنك لم تبعد على متعهــد بلى كل من تحت التراب بعيد

(17) البيت في « كتاب الصناعتين » للعسكري (ص 225) بدون نسبة ، وفي « الوساطة » للجرجاني (ص 234)« ومعاهد التنصيص » (ج 1 ص 51) وقد نسبه العباسي فيه إلى العباس بن الأحنف كذلك ، وهو في ديوانه بتحقيق عاتكة الخزرجي .

ومتى اعتبرنا بالمعنى الأول فلا عيب ، وقول الآخر(18) :

قتيلان لا تبكي المخاض عليهما   إذا شبعت من قرمل وأفان (19)

وهذا مدح ضد الأول أي إنهما كانا يهلكانها بالنحر ؛ فإذا ماتا استراحت وشبعت فلم تبك عليهما . والقرمل واحده قرملة ، وهي شجزة ضعيفة تنفضخ إذا وطئت . ومنه قولهم في المثل إذا التجأ الضعيف إلى مثله : ضعيف عاذ بقرملة . والأفاني واحده أفانية . وهي شجرة أخرى . وقول الآخر ، وهو حميد (20) بن ثور :

ولقد نظرت(21)إلىأغر مشهر   بِكْرٍ توَسَّن بالخميلة عُونا

متسم سنماتها مُتبَجّسٍ (22)   بالهدر يملأ أنفساً وعيونــــا

لقح العجاف له لسابع سبعةٍ   وشَرِبْنَ بعد تَحَلُّؤٍ فروينا

يصف السحاب وفعله وانتفاع الأرض به على طريق التمثيل ، فقوله :

---

(18) هو توبة بن مضرس بن عبد الله التميمي يلقب الخنوت بوزن السنور وانظر ترجمته في « المؤتلف والمختلف » للآمدي (91 – 92) .

(19) البيت في حماسة البحتري (ص 30) وقبله :

لبيك سناني عنتراً بعد هجمة   وسيفي مرداساً قتيل قنــــان

وجاء بعده فيها :

فإن لم أفرق منهم بين إخوة   فلا رفعت سوطي إلي بناني

(20) هو أبو المثنى حميد بن ثور بن عبد الله الهلالي من الشعراء المخضرمين الفصحاء ، عاش إلى خلافة عثمان وقيل : إنه عمر حتى أدرك خلافة عبد الملك بن مروان . طبع ديوانه بتحقيق عبد العزيز الميمني سنة 1951 م .

(21) الشعر في ديوانه (ص : 135) طبعة دار الكتب المصرية سنة 1951 م .

(22) كذا في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية بالباء الموحدة ، أما الديوان في طبعته المذكورة ففيه : متفجس بالفاء بدل الباء ، وجاء في « القاموس » « الفجس » : التكبر والتعظم كالتفجس والقهر وابتداع فعل ، ولا يكون إلا شراً ، وأفجس افتخر بالباطل » .

أغر أي سحاب فيه برق <أو>(23) أبيض ، وقوله : بكر أي لم يمطر قبل ذلك ، وقوله : توسن بالحميلة عوناً أي طرقها ليلاً وقت الوسن أي النعاس ، والحميلة رملة لينة ذات شجر (24)، والعون جمع عوان ، وهي في النساء التي كان لها زوج ، وهنا هي الأرض التي أصابها المطر قبل ، على التشبيه ، وقوله : متسنم سنماتها أي طالع على الآكام والتلال ، وأصله في الجمل يتسنم الناقة أي يعلو عليها ، وهي سَنمة أي عظيمة السنام ، مرتفعته ، قوله : متبجس أي متكبر ، بالهدر أي رعده يملأ أنفساً وعيوناً عجباً به أو رعباً منه ، قوله : لقح العجاف أي الأرضون المجدبة حملت به الماء فأنبتت العشب ، وذلك بعد تحلُّؤٍ أي امتناع من السقي لعدم المطر ، فهذا كله تمثيل ، وقول الآخر :

حلوا عن الناقة الحمراء أرحلكم   والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

إن الذئاب قد اخضرت(25) براثنها   والناس كلهم بكر إذا شبعوا

أراد بالناقة الحمراء الدهناء ، وبالجمل الأصهب الصمان (26)، كأنه

---

(23) ما بين العلامتين ساقط من ك وح والسياق يقتضي أو لأن الكلام عليه .

(24) في ك وح : « أشجار » بلفظ الجمع .

(25) خضرة البراثن كناية عن الخصب والإعشاب والاخضرار ، وإذا كانت الحال كذلك اخضرت الأقدام عند المشي على الأرض لأنها تلامس النبات المخضر فيعلق بها صبغه ، ونظيره قول الشاعر يصف قوماً أخصبوا فأشروا وبطروا :

قوم إذا اخضرت نعالهم   يتناهقون تنـــاهق الحمر

وكتب أكنسوس بخط يده على طرة مخطوطته هنا ما لفظه بالنص : « قوله : « إن الذئاب قد اخضرت براثنها » يعني جاعت وذلك لأن البراثن جمع برثن بالضم وهو الكف للإنسان والمخلب للسبع والأسد ونحوه ، إذا شبع قيل فيه : قد احمرت براثنه ، وإذا جاع قيل : قد اخضرت كما هنا ولم يشرحه المؤلف » .

(26) في الأصل : « الظمآن » وفي س « الصهان » وأصلحه أكنسوس بخط يده على طرة مخطوطته هكذا : « المضاب » وفي ك : « الصمان » وهو الصواب ، والصمان ضبطه البكري في « معجم ما استعجم » فقال : « الصمان بفتح أوله وتشديد ثانيه على وزن فعلان ». والصمان =

يقول : ارتحلوا عن السهل والجأوا إلى الجبال مخافة الغارات ، والقائل كان أسيراً فكتب إلى قومه ينذرهم . وكانت بكر لهم عدواً فهو يقول : الناس كلهم إذا شبعوا أعداء لكم كبكر فاحذروهم (27)، وهذا المعنى مذكور في قصة أخرى :

يحكى (28)أن رجلاً من بني العنبر كان أسيراً في بكر بن وائل ، فسألهم رسولاً إلى قومه فقالوا له : لا ترسل إلاّ بحضرتنا ، وكانوا أزمعوا غزو قومه . فتخوفوا أن ينذرهم . وذلك هو ما أراد هو أيضاً ، فأتوه بعبد أسود فقال له : أبلغ قومي التحية وقل لهم : ليكرموا فلان . يعني أسيراً من بكر كان عندهم ، فإن قومه لي مكرمون ، وقل لهم إن العرفج قد أدبى ، وقد شكت النساء . وامرهم أن يعروا ناقتي الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معهم حيساً ، واسألوا الحارث عن خبري ، فلما أبلغهم العبد الرسالة قالوا : جُنّ الأعورُ ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب ، ثم سرّحوا العبد ودعوا الحارث فحدثوه

= ذكره أبو منصور الأزهري في التهذيب فقال عنه : « قال شمر : قال الأصمعي : الصمان أرض غليظة دون الجبل ، قلت : وقد شتوت الصمان ورياضها شتوتين ، وهي أرض فيها غلظ وارتفاع ، قيعان واسعة وخبارى تنبت السدر ، عذية ، ورياض معشبة وإذا أخصبت الصمان رتعت العرب جمعاء ، وكانت الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة ، والحزن لبني يربوع ، والدهناء لجماعاتهم ، والصمان متاخم للدهناء » .

(27) كذلك أول القالي العبارة في « أماليه » ، وخطأه البكري فيما أول فقال في كتابه : « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (ص 18) : « لم يرد الشاعر هذا المعنى لأن الناس كلهم لم يكونوا عدواً لبني تميم ولا أقلهم ، وإنما يريد أن الناس إذا شبعوا هاجت أضغانهم وطلبوا الطوائل والترات في أعدائهم ، فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني تميم » .

(28) الحكاية في « ملاحن ابن دريد » ، وفي « عيون الأخبار » لابن قتيبة (1 : 195 – 196) وفي « أمالي القالي » (1 : 6 – 7) ، وفي « مزهر السيوطي » (1 : 568 – 569) .

بالحديث فقال : قد أنذركم ، أما قوله : العرفج (29)قد أدبى فكناية عن الرجال وأنهم استلأموا (30)أي لبسوا الدروع للغزو (31)، وقوله : شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر ، وهي جمع شكوة ، معروفة ، والحيس أراد به الأخلاط من الناس المجتمعون (32)للغزو ، لأن الحَيْسَ يجمع الأقِطَ والسمن والتمر .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(29) في كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (ص 17) : « العرفج نبت طيب الريح أغبر إلى الخضرة ، له زهرة صفراء ، ولا شوك له ، ويقال له إذا اسود عوده حتى يستبين فيه النبات : قد أقمل ، فإذا زاد قليلا قيل : قد ارقاط ، ، فإذا زاد قليلا قيل قد أدبى ، وهو حينئذ قد صلح أن يؤكل » . وكتب أكنسوس على طرة مخطوطته بخط يده ما لفظه : « العرفج شجر معروف وقوله قد أدبى أي قد امتلأ بالدبا ، وهو ولد الجراد » .

(30) في الأصل : « استاموا » وهو خطأ صوابه : « استلأموا » أي لبسوا اللأم جمع لأمة وهي الدرع .

(31) هذا التأويل أورده القالي أيضاً في « أماليه » ، وخطأه البكري فيه فقال في كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (ص 17) : « ليس في قوله : إن العرفج قد أدبى دليل على ما ذكره أبو علي رحمه الله ، ولا من عادة العرب أن تلبس الدروع إلا في حال الحرب ، وأما في بيوتها قبل الغزو فذلك غير معروف ، وإنما أراد بذلك أن يؤذنهم وقت الغزو وينبههم على التيقظ والحذر » .

(32) كذا بالأصل وفي ك : المجتمعين معرفاً منصوباً ، ومثله في ح أما س ففيها : « مجتمعين منصوباً منكراً » .

[فضل العلم]

كنت في أعوام الستين وألف مرتحلاً في طلب العلم ، فدخلت قرية في أرض دكالة ، فرأيت فيها رجلاً مسناً قد لازم المسجد منقطعاً عن الناس ، فجلست إليه مستحسناً لحاله ، وفي الحديث « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا في الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَادْنُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الحِكْمَةَ » .

فلما دنوت منه إذا هو يعظم العلم وأهله تعظيماً بالغاً ، فازددت به عجباً ، فكنت أجلس بين يديه ويحدثني ويصبرني على الغربة ، ويحضني على العلم رحمة الله عليه ، وأنشدني في شأن الغربة ملحوناً :

أنـــا الغريـــب المتوح صابر عـــلى كلّ هانا
إلى نتجرح ما نقل اح في قلب من قطعت انا

وفي نحو هذا يقول الشاعر :

إذا كنت في قوم عِداً لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب
وإن حدثتك النّفس أنك قـــادر على ما حوت أيدي الرجال فكذب(1)

---

(1) البيتان لزرافة بن سبيع الأسدي أو لخالد بن نضلة الحجواني ، أو للحارث بن سعد بن ثعلبة ، وقبلهما ثلاثة أبيات جاء بها الجواليقي في «شرحه على أدب الكاتب» لابن قتيبة ص 281 كما أوردها ابن السيد البطليوسي في « الاقتضاب» ص 379 .

وقال الآخر (2) :

لا يعدم المرء كِنّاً يستقر به وبُلغةً بين أهليهِ وأحبابه
ومن نأى عنهم قلت مهابته كالليث يحقر لما غاب عن غابه

وقال الحريري (3) :

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت

وأنشدني في مدح العلم ملحوناً :

العلم شمعـــا منـــيرا يتنـــاوله الأكياس
مـــا فوق منو ذخـــيرا يزول عن القلب الاحساس(4)

وفضل العلم وشرفه أمر أشهر من أن يذكر ، وأوضح من أن ينكر . ويكفي في ذلك النظر .

ومن غريب ما حكي أنه اتفق للفقيه الجليل الإمام ابن عرفة (5)رضي الله

---

(2) هو أبو الفتح البستي ، والبيتان منسوبان إليه في « يتيمة الثعالبي » ،وفي « زهر الآداب ».

(3) البيت أول أبيات ثلاثة للحريري أوردها في المقامة السابعة والأربعين وهي المعروفة بالحجرية .

(4) في ح : « الادناس » وفي المخطوطات الثلاث : « الاحساس » ويحتمل أن يكون صاحب الملحون عنى بها الآلام ، وهو من معاني مادة « حسس » في الفصحى وفي العامية،ومما جاء في « قاموس المجد»و « شرح المرتضى » عليه : الحس وجع يأخذ النفساء بعد الولادة أو عندها ، والحس أيضاً وجع يحرق الكبد ، وحس الحمى أولها ، وتحسحس إذا توجع وتشكى ، وحس بفتح الحاء وكسر السين كلمة تقال عند التألم . انتهى منهما بتصرف ، وما تزال عامتنا تقول : فلان محسوس لمن ظهرت عليه أعراض مرض مـــا ، وعليه فان كلمة الإحساس في الشعر الملحون ليست خطأً ولا تصحيفاً كما قد يخال فيها .

(5) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي نسبة إلى ورغمة قرية ، كان إمام تونس وعالمها لوقته ، مولده سنة 716 ووفاته سنة 803 ،له « كتاب الحدود » في التعاريف الفقهية « والمختصر الكبير » في الفقه المالكي ، و « المختصر الشامل » في علم العقائد .

عنه وكان قد مرض فأصابه غشي قال : فجاءتني طائفتان : إحداهما عن يميني وجعلوا يرجحون الإسلام ، والأخرى عن يساري وجعلوا يرجحون الكفر ، عياذاً بالله تعالى . قال : فأخذ هؤلاء يلقون شبه الكفار (6)ويلهمني الله تعالى الجواب عنها بما كنت عرفت من قواعد العقائد ، فعلمت أن العلم ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(6) في ك : « يلقنونني شبه الكفر » .

[الانزعاج عن الوطن]

خرجت في أعوام التسعين (1)وألف من حضرة مراكش حرسها الله ، وكنت إذ ذاك منزعجاً عن الوطن ، مبايناً للقطين والسكن ، فلقيت أعرابياً من هوارة ، وهم (2)حي من شبانة ، فإذا هو قد انزعج عن وطنه في السوس الأقصى ، فحدثني عن أحمد بن عبد الله بن مبارك الوقاوي أنه كان هبت له ريح (3)فحسده قومه وقالوا عنه وهو في غربته حتى خرج عن وطنه إلى وادي (4) السوس ،قال : فجئته ذات مرة وهو في غربته ، فقال لي : أين العرب وأين القوالون ؟ قال : فقلت : هم بحالهم ، لم يزالوا يقولون ، قال ثم أنشد هو ملحوناً :

إلى برك لي الزمان اركبت عليه و لى راد المولى نلقاه عراضا
برك لي مركوب ماني ضاري به ما نحسبش(5)ايامي علي مغتاضا
نصبر لأحكام المولى حتى تتقاضا

---

(1) في ك و س : « الستين » .
(2) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « وهو » وذلك خطأ .
(3) يقال : هبت ريح فلان إذا قام أمره ، وكبر شأنه ، وعلا جاهه ، قال الشاعر :
إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكون
ويقولون أيضاً بعكس ذلك : ذهبت ريح فلان ، إذا هات منزله واختلت حاله وذهب عنه العز والسلطان وفي القرآن العزيز : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .
(4) في ك و س و ح : « واد » بدون الياء .
(5) في ك وس و ح : « ما نحساب » .

قوله : مغتاضاً من الغيظ ، وأبدل من الظاء [هنا] (6) ضاداً ، وكان هذا من عجيب الاتفاق ، فإن هذا القول مناسب لأحوالنا معشر الثلاثة ؛ أعني القائل والراوي والسامع ، وقوله : (نصبر لأحكام المولى حتّى تتقاضا) هذا هو أدب العبد ، وهو الصبر لأحكام الله تعالى والسكون تحت مجاري الأقدار ، قال تعالى : « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ . . . » ، ونحوه من نصوص الكتاب والسنّة وأقوال أئمة الدين لا يحصى (7) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(6) ما بين العلامتين زيادة من ح .
(7) في ك و ح : « تحصى » بالتاء .

[الحكم التكليفي والحكم التصريفي]

واعلم أن الحكم حكمان حكم تكليفي وحكم تصريفي ، وكلاهما يجب الإذعان له والتسليم .

أما التكليفي فهو الوجوب والندب والتحريم والكراهة والإباحة التي وردت بها الشريعة المطهرة .

وأما التصريفي فهو ما قدر على العبد من غير ذلك مما يرد عليه كالغنى والفقر والعز والذل والصحة والمرض والسرور والحزن وغير ذلك. ومورد (1) الأول كلام الله تعالى أمراً ونهياً ، ومورد (2) الثاني قدرته تعالى إيجاداً وإعداماً على وفق مشيئته وعلمه ؛ وكما لا بد من قبول الأول وامتثاله فعلاً وتركاً وتلقيه بالصبر على ما فيه من المشقة على النفس ، وقد تضمحل دواعي النفس فيرتقي العبد إلى الرضى والاستلذاذ، كذلك لا بد في الثاني من تلقي محبوبه بالشكر ومكروهه بالصبر ؛ وقد تضمحل أيضاً دواعي النفس فيرتقي العبد إلى الرضى .

ثم إن كل شيء قدر على العبد فلا محالة يقدر له وقت يقع فيه لا يتقدمه ولا يتأخر عنه ، فمتى حان وقت شيء فهو بارز لا محالة خيراً <كان> (3)

---

(1) في ك وحدها : « موارد » بلفظ الجمع .

(2) في ك أيضاً : « موارد » مجموعاً .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

أو شراً لا يمكن أن لا يبرز ولا أن يبرز غيره في موضعه، فالبصير يستكن (4) حتى ينقضي بانقضاء وقته فيجمع بين راحة قلبه والأدب مع ربه ، والجاهل يقلق منه أو يروم ظهور غيره دونه فيصير أحمق الحمقاء (5)، ولا يحصل إلاّ على الشقاء .

وقال صاحب « الحكم العطائية » (6) : « ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهر الله فيه » (7)وقالوا : الوقت سيف ،

---

(4) كذا في المخطوطات الثلاث وكذا هو في الطبعة الفاسية ، وجاء في « مصباح الفيومي » من مادة سكن ما نصه بالحرف : « استكن إذا خضع وذل وتزاد الألف فيقال : استكان ، قال ابن القطاع : وهو كثير في كلام العرب قيل : هو مأخوذ من الكون وعلى هذا فوزنه افتعل ، وقيل : من الكينة وهي الحالة السيئة ، وعلى هذا فوزنه استفعل » اه .

(5) لا تتوازن القرينتان في هذه السجعة إلا بمد المقصور : (لفظ الحمقى) أو بقصر الممدود (لفظ الشقاء) والوجه الأول كان رواية المخطوطات الثلاث ، والثاني هو رواية الطبعة الفاسية .

(6) عرف بها حاجي خليفة في كشف الظنون فقال : « الحكم العطائية للشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله الاسكندراني الشاذلي المالكي المتوفى سنة 709 ، وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة ، ولما صنفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له : لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة » .

(7) كتب الشيخ أحمد زروق في شرحه على « الحكم العطائية » فيما يتعلق بكلمة ابن عطاء الله هذه ما يأتي : « الوقت هنا الزمان الذي لا يقبل غير ما أظهره الله فيه بحكم التصريف وإرادة غير ما أظهره الله فيه بالتلهف على عدم موافقته للغرض النفساني ونحوه ، والسلامة من ذلك بوجود الاستسلام ، وإنما كانت معاندة الوقت غاية الجهل لانسداد أبواب العلم وطرقه في حق صاحب هذه الحالة ، وطرق العلم ثلاثة : العقليات والشرعيات والعاديات ، فدليل جهله بالمعقولات إرادته رفع الواقع وإيقاع الممتنع ، ودليل جهله بالشرعيات اعتراضه على مولاه وإساءة أدبه معه فيما قضاه له ، وإرادته غير ما أقامه فيه من تجريد وأسباب وغيرهما ، ودليل جهله بالعاديات عدم مراعاته لحكمة الله في خلقه وسنة الله في عباده وان من أراد موافقة أغراضه أبداً أتعب نفسه بغير فائدة إذ لا يكون غالباً إلا غير ما يريده الإنسان » .

وأنشدوا (8) :

وكالسيف إن لاينته لان مسه وحَدّاه إن خاشنته خَشِنان

لله الأمر من قبل ومن بعد

(8) في « بيان الجاحظ » (2 : 171 تحقيق هارون) وقال الآخر :

كريم يغض الطرف عند حيائه ويدنو وأطراف الرماح دوان
وكالسيف إن لاينته لان متنه وحداه إن خاشنته خشنان

والبيت الثاني في ديوان بشار جمع وتحقيق بدر الدين العلوي ، وهو في « حماسة البحتري » ص 111 غير منسوب .

[النفس والشيطان]

وأنشدني أبو القاسم بن بوعتل الشباني (1) ثم الزراري لبعض الأعراب ملحوناً :

يـــا راسي عيبـــك بـــان والى عيبو في وجهو ما يصيب ايدسو
قـــالوا علة ابن آدم شيطـــان وانـــا نقول علة ابن آدم نفسو
قبل لا يزيغ إبليس اش يكون ابليسو

فانظر إلى هذا الأعرابي كيف غاص على معنى كبير وهو أن نفس الإنسان سبب هلاكه بإذن الله تعالى إلاّ من عصمه الله ، وكيف وقع على حجة برهانية وقياس منظوم في النفس ، وتقريره أن تقول : لو كان كل زائغ إنما يزيغ بشيطان لكان إبليس حين زاغ إنما زاغ بإبليس آخر ، والتالي باطل للزوم التسلسل فالمقدم مثله .

ونحو هذا في الاستدلال ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أبطل العدوى بمعنى أنه لا تأثير فيها لغير الله تعالى فقال له الأعرابي : ما بالنا نرى الإبل تكون في الرمل كأنها (2) الظباء ، فيدخلها جمل أجرب فتجرب كلها ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « فَمَنْ أعْدَى الأوَّلَ » ؟ أي لو كان جمل إنما يأتيه هذا البلاء من آخر قبله لزم التسلسل ، وهو باطل ، فلا بد أن ينتهي الأمر إلى بعير يصيبه البلاء من عند الله بلا سبب هذه العدوى فيعلم عند ذلك

(1) في ك و ح : « الشيباني » .
(2) في ك و ح و س : « كالظباء » .

أن الله تعالى هو الفاعل المختار ، يفعل الشيء عند الشيء ، وهو قادر أن يفعله بلا شيء ولا عند شيء ، سبحانه عما يشركون .

واعلم أن ما ذكره هذا الأعرابي في ملحونه من أن علة الإنسان نفسه صحيح ، وعزله الشيطان عن (3) ذلك غير صحيح إن أراد أنه لا مدخل له ، وإن أراد أنه غير مستقل بالإضرار لمشاركة النفس له أو أن ضرر النفس هو الأعظم لأنها المباشرة والشيطان متسبب فصحيح ، وتقرير هذه الجملة باختصار : إن كلاً من النفس والشيطان مضر بالعبد فهما متظاهران على العبد كما قال [بعضهم] (4) وقد ضم إليهما الدنيا والهوى :

إني بليت بـــأربع يرمينـــي	بالنبل عن قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى	يا رب أنت على الخلاص قدير

وسبب ذلك أن الآدمي لما أبدعه الله تعالى بقدرته مؤتلفاً من الأخلاط (5) ذا مزاج جعله سبحانه بباهر حكمته وسابق مشيئته مفتقراً عادة في بقاء وجوده الشخصي إلى القوام (6) وهو الغذاء بالطعام والشراب وفي بقاء وجوده النوعي

---

(3) في س : « من » . بدلا من : « عن » .

(4) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

(5) الأخلاط جمع خلط بكسر الخاء وسكون اللام ، وهي الطبائع الأربع التي هي : المرة الصفراء ، والمرة السوداء ، والدم ، والبلغم ، وهي التي كان عليها مبنى الطب القديم ، فإذا اعتدلت في الجسم وكان كل منها بمقداره صلح الجسد ، فإذا اختلت بالنقصان أو بالزيادة اعتل الجسد ونزلت به الأدواء ، وإليها أيضاً كانت تنسب الأخلاق والسجايا ، فكان منها الصفراوي ، والسوداوي ، والدموي ، والبلغمي ، حتى قال بعضهم في ممدوحه : كان صفراوي الذكاء ، سوداوي الرأي ، دموي المزاج ، بلغمي الأناة .

(6) في « مصباح الفيومي » : « قام بالأمر يقوم به قياماً فهو قوام وقائم ، واستقام الأمر ، وهذا قوامه بالفتح والكسر ، وتقلب الواو ياء جوازاً مع الكسرة أي عماده الذي يقوم به وينتظم ، ومنهم من يقتصر على الكسر ، والقوام بالكسر ما يقيم الإنسان من القوت والقوام بالفتح العدل والاعتدال » .

إلى التوالد بواسطة [النكاح (7) ؛فطبع فيه عند ذلك شهوة الأكل وشهوة النكاح]و [لو] (8)لم يكن ذلك طبعاً لافتقر إلى داع آخر فيتسلسل ، أو يبقى فاتراً عن ذلك فيهلك شخصاً أو نوعاً ؛ فسبحان المدبر الحكيم .

ثم لما كانت الشهوتان أعني الأكل والنكاح لا تحصلان إلاّ من مادة ، وهي المال وبه يحصل المأكول ، والنساء وبهن يحصل النكاح المؤدي الى التناسل المذكور ،والنساء لا يحصلن إلاّ بالمال أيضاً ،طبع الله تعالى فيه حب المال وحب النساء وكل ما يستعان به في ذلك الباب من صحة وقدرة وجاه ؛ وذلك هو مجموع الدنيا ؛ فكانت الدنيا محبوبة طبعاً للحكمة المذكورة ، وكان ميل النفس إلى شيء من هذه المحبوبات بمقتضى الشهوتين المذكورتين ، وهو المعبر عنه بالهوى طبعاً في الإنسان،وكل ذلك في أصله رحمة من الله تعالى للإنسان كما ترى ، إذ لولا ذلك لم يستمر له وجود .

ثم جعل الله تعالى العبد متأثراً بالعوارض في بدنه وفي ماله وفي حريمه ونحو ذلك فافتقر إلى احتماء عن ذلك ودفاع فطبع فيه الغضب وهو أيضاً رحمة منه تعالى ؛ إذ لولا هو لم ينتهض للدفع عن نفسه ولا حريمه ولا ماله ولا جاره ولا غير ذلك ولا لتغيير منكر ولا نحو ذلك .

ثم إن النفس لما كان فيها ذلك طبعاً استعدت لأن تتقاضاه من كل وجه <طلباً> (9)لحصول المرام على التمام فتأكل مثلاً وتبالغ ولا تقتصر على القدر المحتاج ، ولا تتنزه عن الزائد المضر ، وتشرب كذلك وتنكح ، ثم لا تبالي من أي وجه حصل ذلك أمن مأذون فيه أم محرم ، لأن سعيها طبعي لا شرعي ، وكذا في غضبها ودفاعها ، فمتى تركت وذلك أضرت بالعبد

(7) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو في ك و س و ح فأضفناه .
(8) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه رواية عن سواه .
(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

عاجلاً بحصول الأمراض وإتلاف الأموال في الشهوات وانهتاك(10)الأعراض والمروءات وكثرة اللجاج والعدوان والهلاك والبوار ،وآجلاً بالتعريض (11) لطول الحساب ، وأليم العقاب ، عند وجوب التكليف ، وهذه هي المضرة المنسوبة للنفس ، فخلق الله تعالى العقل ليكون محتسباً عليها حتى تكون فيما ذكر من الشهوة والغضب تابعة لإشارة العقل أخذاً وتركاً ، وأودع الله تعالى في العقل إدراك المصالح والمفاسد والمنافع والمضار حتى يعلم ما يشير به أمراً ونهياً ليجري الأمر على السداد ، فلا يقع قصور عن المراد . ولا التعدي إلى ما يوجب الفساد .

ثم لما كان العقل أيضاً معرضاً للخطأ وللقصور عن كثير من المصالح وللجهل بكثير من المدارك ولا سيما المغيبات لأنالنقصان شأن المخلوق (12) افتقر هو أيضاً إلى مؤيد إما إلهام من الله تعالى وإما عقل آخر أكمل كما في حال التربية وتلقين الحكمة ، وإمّا وحي سماوي وهو أكمل ، فأنزلت الأحكام وشرعت الشرائع ، وانتسبت الأحكام إليها عند أهل الحق لا إلى العقل فصار العقل مؤيداً للشرع ومتأيداً به .

ثم إن إبليس اللعين عندما وقع له من الخزي والطرد مع صفي الله آدم عليه السلام ما وقع صار عدواً له حسوداً حقوداً وكنذا لذريته إلى يوم القيامة ، قال تعالى : « يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ » وقال تعالى : <« إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ » وقال تعالى : « إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ »> (13) وقال تعالى : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ » إلى

---

(10) كذا في الأصل وفي سواه : «وانتهاك» .

(11) كذا بالأصل وفي سواه : «بالتفريط » وهو تصحيف كما يظهر من سياق الكلام .

(12) في ك وحدها : « الخلق » . بدل : « المخلوق » .

(13) ما بين العلامتين سقط من ك و س و ح .

غير ذلك . فكان دأبه السعي في مضرة الآدمي كما يسعى كل عدو في مضرة عدوه ، ولم يجد إلى مضرته سبيلاً أيسر ولا سبباً أنجح من أن يأتيه من قبل النفس وطريق الطبع فيزين له ما طبع عليه من الشهوات ، ويسوّل له كل قبيح ، قال تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشاءِ) فحصل اتفاق بين النفس والشيطان على مضرة الآدمي ، غير أن المقصد مختلف . فإن النفس لم تكن منها المضرة عن قصد وعداوة ، كيف ولا أحب إلى كل أحد من نفسه ؟ بل جهلاً وغلطاً . وذلك أنها أدركت ما في طبعها من الشهوات الحاضرة فاستحسنته ، وظنت أن ذلك هو كمال صاحبها إذا ناله ، فجاء الشيطان فأغراها بما استحسنت . وزين لها ما ظنت . فاعتقدته نصيحاً ، واتخذته خليلاً . تلبي دعوته ، وتجيب رغبته ، فأُتِيَ الإنسان منها ، وتمكن منه عدوُّه من طريقها ، فصارت من هذه الوجه عدوة بل أكبر الأعداء .

وأما الشيطان لعنه الله فهو يفعل ما يفعل عن عداوة وقصد إضرار ، فإنه لما خاب من رحمة الله وطرد عن بابه ، نسأل الله العافية ، أراد أن يسعى في خيبة الآدمي وبعده عن الله وحرمانه من نعيم الجنة باتباع الدنيا وغرورها والإكباب على شهواتها .

واعلم أن الشيطان لشدة عداوته للإنسان ليس له غرض في اتباع الإنسان للشهوات وتمتعه باللذات . بل لو أمكنه أن يسعى في حرمانه دائماً فلا ينال لذة عاجلة ولا آجلة ، ولا يحصل على منفعة في الدنيا ولا في الآخرة لكان ذلك هو منيته ورغبته ، وهو مقتضى العداوة وثمرة الحسد ، إلاّ أنه لما لم يمكنه ذلك لفيضان رحمة الله تعالى على عباده وسبوغ نعمه عليهم رأى أن يرتكب به أعظم الضررين فيستزله (14) عن أعظم الحظين بل الحظ الذي هو الحظ ، وهو الأخروي ، ويستهويه إلى الحظ الدنيوي ، ورأى أنه إذا

(14) كذا في الأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : «فيستنزله» .

خاب عن (15)النفيس الباقي واستبدله بالخسيس الفاني فقد خاب ، والأمر كذلك . فإن ما في الدنيا لو كان نفيساً وهو بصدد الانقطاع لم يلتفت إليه ، فكيف وهو مع ذلك خسيس <مشوب> (16)متكدر . بل لو كان نعيم الآخرة النفيس ينقطع لوجب ألاّ يلتفت إليه ، إذ النفس إنما تجد النعمة ما دامت متناولة لها ، فإذا انقطعت عنها تكدرت كالصبي الراضع (17)متى صرف الثدي عن فيه صاح .

وما مثال النفس في ذلك إلاّ مثال المرأة في قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُنَّ يَكْفُرْنَ العَشِيرَ . وَإِنَّكَ لَوْ أَحْسَنْتَ إلى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ » . فقد تحصل من هذا أن النفس مضرة بالإنسان من وجهين :

أحدهما <أنها> (18)تميل طبعاً إلى الشهوات وتخلد إلى الرعونات (19) .

الثاني أنها مسلك الشيطان إلى الإنسان كما مرّ ، وإن الشيطان مضر للإنسان أبداً بوسوسته وتزيينه للنفس .

وهذه كلها أسباب جعلية اقتضتها الحكمة ، والنافع والضار بالحقيقة هو الله تعالى ، وتبين أن النفس تابعة للشيطان في مضرة الإنسان سفهاً منها وغلطاً ، لا عداوة ، ولسان حالها ينشد قول القائل (20) :

وخلتهم سهامـــاً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي

---

(15) في ك و س و ح : « من » . بدل : « عن » .
(16) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(17) في س وحدها : « الرضيع » .
(18) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(19) في « تعريفات الجرجاني » ما نصه : « الرعونة الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها »
(20) أي في الأصدقاء المماذقين والمصانعين .

[الخاطر النفساني والخاطر الشيطاني]

ومن أجل ما ذكرنا بين النفس والشيطان من اختلاف الوجه ، وتباين المقصد فرق أئمة التصوف رضوان الله عليهم بين الخاطر النفساني والخاطر الشيطاني بعد اشتراكهما في الحض على السوء في الجملة ، وهو أن الخاطر إذا تقاضى معصية مثلاً بعينها فإن أصر على ذلك فهو نفساني ، وإن جعل يتحول من معصية إلى أخرى فهو شيطاني . ووجه ذلك أن النفس إنما تطلب المعصية بمقتضى طبعها فيها من حيث إنها شهوة لا غير ، فلا تريد أن تنفك (21)عنها حتى تنالها بعينها .

وأما الشيطان فليس طلبه من الإنسان أن ينال شهوة ومتعة من حيث التنعم بها فإنه عدو ، بل من حيث إنها معصية موجبة للعقاب ، فمتى دعاه إلى واحدة وتعسرت أو تلكأ عليه فيها دعاه إلى أخرى لقيامها مقامها في المقصود ، وهو حصول الإثم واستحقاق النار ، نعوذ بالله تعالى من شره .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(21) في ح : « تنكف » .

[الحقيقة والشريعة]

خطر لي ذات ليلة بيت للملك الضليل امرىء القيس بن حجر فوجدته قد احتوى على مقتضى الشريعة الظاهرة والباطنة، وتضمن كل ما تحصل عن (1) دواوين أئمة الدين وأقاويل الصوفية ، فقضيت العجب من ذلك ؛ وعلمت أن الله تعالى من باهر قدرته وعجيب حكمته يبرز الحكمة على لسان من شاء وإن لم يكن من أهلها ، كما قال بعض السلف حين سمع بعض الولاة نطق بحكمة : خذوها من قلب خَرِبٍ . وتبينت إشارة قوله صلى الله عليه وسلم : « الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ » أي فحقه أن يتلقفها ممن وجدها عنده ، وإن لم يكن مرضياً كما يأخذ ضالته من الدنيا كذلك ، وتبينت صدق قوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً »، وقول الحكماء (2) الأولين : أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد : على قلوب اليونان ، وأيدي أهل الصين ، وألسنة العرب ، والبيت المذكور هو قوله :

الله أنجح ما طلبت بــــه والبر خير حقيبة الرحل (3)

---

(1) في ح « من » بدل : « عن » .

(2) في ك : « الشعراء » وهو خطأ .

(3) في ح « الرجل » بالجيم وهو تصحيف ، والبيت من قصيدته التي مطلعها :

حي الحمول بجانب العزل إذ لا يلائم شكلها شكلي

وقبله :

أقبلت مقتصــداً وراجعني حلمي وسدد للنـــدى فعلي

وبعده :

ومن الطريقـــة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل

وهي في ديوانه المطبوع في سلسلة الذخائر برقم 24 بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

فالشطر الأول قد احتوى على الحقيقة كلها . وهي باطن الشريعة . فإن معناه أن ما طلبته بالله فأنت منجح فيه . وهو كما قال في « الحكم العطائية » : « ما تعسر مطلب أنت طالبه بربك ،وما تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك » (4) ومعلوم أنك لست تروم ذلك إلاّ وأنت تعرف الله تعالى وأنه حق لا شريك له ، وأنه هو الفاعل المدبر النافع الضار . ثم تنفي (5)عن نفسك وعن حولها وقوتها وتدبيرها واختيارها وتبغي (6)بربك . وهذا هو سر العبودية ، وهو الكنز الذي يحوم حوله المريدون ، ويعنو إليه السالكون ، وهو المشار إليه في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ » ، وهذا هو كلية الأمر ، ولا حاجة إلى التطويل . والشطر الثاني قد تضمن الشريعة كلها ، وهي أن البر خير ما تحمّله العبد وادخره ، أي

---

(4) شرح الشيخ زروق حكمة ابن عطاء الله هذه فقال : « الطلب بالله تعالى هو : الاستناد إليه في تيسير المطلب وعلامته ثلاثة : التفويض في المراد ، والتوكل في التحصيل ، والاستقامة في التوجه ؛ فإذا تمت هذه فالمطلب متيسر سواء وجد المراد أو لم يوجد ، لأن المقصود تبريد حرقة الاحتياج ، ولا بقاء لها مع التفويض ، لأن عاقبته الرضا في الوجود والعدم ، والطلب بالنفس هو الاستناد إليها في تحصيل المراد ، وعلاماته ثلاثة : حب الموافقة من غير تفويض ، واعتماد الأسباب من غير توكل ، والتهور في وجه التحصيل دون تقوى ولا استقامة ، وكلها عائدة بالضرر في الوجود والعدم ، فالطلب وإن تيسر بها صورة فهو حرمان في الحقيقة ، لما فيه من نسيان الشكر ، ومفارقة الحق ، والاعتماد على الخلق ، قال في « التنوير » : « وما أدخلك الله فيه تولى إعانتك عليه ، وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه ، « وقل رب أدخلني مدخل صدق » فالمدخل الصدق أن تدخل بنفسك والمخرج الصدق أيضاً كذلك » انتهى . وبحسب هذا فالرجوع إلى الله علامة الربح والرجوع إلى النفس علامة الخسران » .

(5 و 6) كذا في الأصل المطبوع عليه،وفي ك و س وح : « تفنى » . وبعده « وتبقى » وهما أنسب معنى وأقوم تعبيراً .

والفجور شر ما تحمّله. ويدخل في البر بر العبد مع ربه بطاعته له قولاً وفعلاً واعتقاداً ، وكذا مع من أوجب الله تعالى طاعته من نبي وأمير ومالك ووالد ونحوهم ، وبره مع الناس بالإحسان فعلاً وقولاً وخلقاً ؛ وهو مجموع ما يطلب شرعاً ولا حاجة إلى التطويل .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[أبيات الحكمة والتمثيل]

واعلم أن البيت قد اشتمل على مثلين مستقلين كما رأيت . فرأيت أن أستطرد هنا من أبيات الحكمة والتمثيل نبذة صالحة يقع بها الإمتاع ، ويحصل الانتفاع ، فمن ذلك قول لبيد :

أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللهَ بَاطِلُ   وكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحالَةَ زَائِلُ (1)

واعلم أن هذا البيت مع كونه في غاية الحكمة وكونه قد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك كما ورد في الحديث : « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ قَوْلُ (2) لَبِيدٍ : أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا . . . . البيت »، يسأل عنه فيقال مثلاً في المصراع الأول : إن معرفة الله تعالى وشرعه ودينه وأنبياءه ونحو ذلك داخل فيما جعله باطلاً وليس بباطل ، وفي الثاني : إن نعيم الآخرة غير زائل فيلزم انتقاض الكليتين .

والجواب عن الأول من وجهين : أحدهما أن المراد ما سوى الله تعالى وما انضاف إليه ، كما وقع في الحديث : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلاَّ ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاَهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ » وهذا واضح .

---

(1) البيت من قصيدة له شهيرة مطلعها :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول   أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

وهي مودعة بديوانه .

(2) في ك و ح : « كلمة » بدلا من : « قول » .

فإن صفات الله تعالى لا تدخل في الباطل لانضيافها إلى الذات وشمول الأسم لها ، فكذلك كل مُنضاف .

الثاني أن هذا كلام في الحقائق ، ولا شك أن الله تعالى هو قديم واجب الوجود ، فهو حق ثابت . والعالم كله محدث ، فهو باطل لا ثبوت له من ذاته لكن بإثبات الله تعالى ، وهذا الوجه أيضاً واضح لا شبهة فيه ، والموجودات كلها متى اعتبرت إضافتها وتعلقها بالله تعالى كانت حقاً به ، وهي باطلة بحسب ذاتها (3)ومنها ما هو حق باعتبارين أعني بهذا التعلق وبإثبات الله له شرعاً كما في الوجه الأول ، وهو مع ذلك باعتبار ذاته ، ولا تنافي في شيء من ذلك ، فافهم .

والجواب عن الثاني من ثلاثة أوجه :

الأول أن المراد نعيم الدنيا ، لأنه هو المعروف المشاهد ، لا سيما في حق هذا القائل ، فإنه كان حين قوله ذلك جاهلياً ، لا ذكر للآخرة عنده ، فإن قيل : من لك بأنه إذ ذاك جاهلي ؟ ولعله قال هذا بعد الإسلام ، قلت : قد استفاض في شأنه أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتاً واحداً ، وهو قوله :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي   حتى لبست من الإسلام سربالا

على أنه لو كان بعد الإسلام لكان إرادة الدنيوي في غاية الوضوح (4) ، إذ المراد تهوين أمر الدنيا والتنفير عنها والتزهيد فيها كما وقع ذلك في كلام كثير من أهل الإسلام .

---

(3) في ك و س وح : « ذواتها » بلفظ الجمع .
(4) في ك و ح : « الإيضاح » .

الثاني أن يكون أيضاً كلاماً في الحقائق . فإن النعيم كله ممكن حادث . فهو بصدد الزوال والفناء فعلاً أو قوة ، وما بقي منه إنما بقي بإبقاء الله تعالى لا بذاته .

الثالث أن يراد أن كل نعيم ناله العبد وتنعم به فهو زائل عنه قطعاً بالشخص ، وإنما تتجدد (5) أمثاله، وهذا قدر مشترك بين الدنيوي والأخروي، قال النبي صلى الله عليه وسلم في متاع الدنيا : « وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ » .

وقال تعالى في نعيم الآخرة : (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) . وقول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العُرْفُ بين الله والناس(6)

وقول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً   ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وكان صلى الله عليه وسلم ينشده أحياناً استحساناً فيقول : ويأتيك من لم تزوده بالأخبار ، ويقول : « هُمَا سَوَاءٌ » أي التركيبان ، يعني في المعنى . فيقول أبو بكر رضي الله عنه : أشهد أنك رسول الله ، قال تعالى : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ » (7) .

---

(5) في ك وس : « تجدد » بتاء واحدة .

(6) البيت من قصيدته السينية التي مدح بها بغيض بن عامر بن شماس وهجا فيها الزبرقان بن بدر ، وهي مودعة بديوانه (52 – 55) .

(7) في كتاب « أراجيز العرب للسيد توفيق البكري : « قال الحربي ما معناه : وبلغني أنه جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز ضربان : المنهوك والمشطور ، فالمنهوك كقوله في رواية البراء : إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء يوم حنين يقول :
=

وقول النابغة :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّــــهُ على شعثٍ،أي الرجالِ المهذب(8)؟

وقول امرىء القيس :

وإنك لم يفخر عليك كفــاخر ضعيف ولم يغلبْك مثلمغلَّبِ (9)

[وأخذه (10) أبو تمام فقال :

وضعيفة فإذا أصابت قدرة قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء](11)

= (أنا النبـي لا كذب) (أنا ابن عبد المطلب)

والمشطور كقوله في رواية جندب : إنه صلى الله عليه وسلم دميت إصبعه فقال :

(هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله مـــا لقيت)

قال الحربي : فأما القصيدة من الشعر فلم يبلغني أنه أنشد بيتاً كاملا على وزنه ، إنما كان ينشد الصدر أو العجز ، فإن أنشده لم يقمه على وزنه ، إنما أنشد صدر بيت لبيد :

(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)

وسكت عن عجزه ، وهو :

(وكل نعيم لا محالة زائل)

وأنشد عجز بيت طرفة :

(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)

وصدره :

(ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا)

(8) البيت من قصيدة له في 28 بيتاً مطلعها :

أرسما جديداً من سعاد تجنب عفت روضة الأجداد منها فيثقب

وهي في ديوانه بتحقيق شكري فيصل طبعة دار الفكر ببيروت .

(9) البيت من قصيدة له في 55 بيتاً مطلعها :

خليلي مرا بي على أم جندب نقض لبانات الفؤاد المعذب

(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو في ك و س وح جميعاً .

(11) البيت من قصيدته التي مطلعها : =

وقول (12) زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفِرْهُ ومن لا يتق الشتم يشتم

وأخوات هذا البيت في ميميته مثله ، وهي مشهورة لا نطيل بها (13).

غيره (14) :

(15) لذي الحلم قبلَ اليوم ما تُقرَعُ (16) العصا
وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاّ ليعلما

= قدك اتئب أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

والبيت شرحه التبريزي بقوله : يقول : « الخمر على شدتها ضعيفة ليس لها بطش ، فإذا أكثر منها قتلت». وقوله : « كذلك قدرة الضعفاء يعني أن الضعيف يعمل الشيء بفرق فهو لا يبقي مخافة أن يعطف عليه فلا يكون له فضل في المقاومة » .

(12) في ك و س و ح : « وقال » .

(13) في ك و ح : « بذكرها » .

(14) هو جرير بن عبد المسيح الضبعي الشاعر الجاهلي المشهور الذي يلقب بالمتلمس والذي تضرب بصحيفته الأمثال .

(15) البيت من قصيدة مطلعها :

تعيرني أمي رجال ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرما

وهي مودعة بالمجموعة الشعرية التي تعرف باسم « الأصمعيات » .

(16) قرع العصا كناية عن تنبيه المخطىء ليقلع عن التمادي في الخطأ ، وليتدارك ما فاته من الصواب ، قال المرزوقي في شرحه « على حماسة أبي تمام » وهو يفسر قول الحارث بن وعلة الذهلي :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذي الحلم :

« وزعمتم أن الأمر والشأن لا عقول لنا ، فإن كان الأمر على ما زعمتم فنبهونا أنتم ، فإن عامر بن الظرب حكم العرب كان يقرع له العصا فينبه لما كان يزيغ في الحكم لكبرته وسنه ، وذو الحلم الذي قرع له العصا مختلف فيه ، فتدعيه اليمن وتقول : هو عمرو بن حممة الدوسي ، وتدعيه مضر فتقول : هو عامر بن الظرب العدواني ، وتدعيه ربيعة فتقول : هو قيس بن خالد الشيباني » .

وقوله (17) :

قليلُ المـــال تصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد (18)

غيره (19) :

العبـــد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه الملامه (20)

وقول عبد الله بن معاوية (21) :

---

(17) هو المتلمس أيضاً .

(18) البيت من قطعة له وقبله :

وأعلم علم حـق غير ظن وتقوى الله من خير العتـاد
لحفظ المال خير من بغاه وسير في البـلاد بغير زاد

(19) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، شاعر أموي شهير ، توفي سنة 69 هـ .

(20) البيت من قصيدة له مطلعها :

أصرمت حبلك من أمـامه من بعد أيـام برامـة

وهي في ديوانه بتحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح . بيروت 1975 .

(5) في « بيان الجاحظ» :

«قال يزيد بن مفرغ :

العبـد يقرع بالعصـا والحر تكفيه المـلامه

قالوا : أخذه من قول الصلتان الفهمي :

العبـد يقرع بالعصـا والحر تكفيه الاشـاره

وقال مالك بن الريب :

العبـد يقرع بـالعصا والحر يكفيـه الوعيد

وقال آخر :

والدهـر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعالـه
والمرء يكسب مـاله بالشح يورثـه الكلاله
والعبـد يقرع بـالعصا والحر تكفيه المقالـه»

(21) لقد مر التعريف به (ص : 65) في الحاشية رقم : 163 فراجعه .

فعين الرضى عن كلِ عيب كليلةٌ ولكنّ عين السخط تبدي المساويا (22)

وقول القُطامي (23) :

قد يدرك المتــأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل (24)

وقوله (25) :

والناس من يلق خيراً قائلون لــه ما يشتهي،ولأمّ المخطىء الهَبَلُ (26)

وسبقه إلى الأول عدي(27) بن زيد في قوله :

---

(22) في « ثمار القلوب » للثعالبي (ص 261 مطبعة الظاهر بالقاهرة سنة 1326 هـ) : « عين الرضا – أول من ذكر عين الرضا في شعره عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبـي طالب حيث قال في الفضيل بن السائب ، وأرسل البيت الرابع مثلا :

رأيت فضيلا كان شيئاً ملففاً فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
ولست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا»

(23) هو عمير بن شييم التغلبـي ، يعرف بالقطامي (بضم القاف وفتحها) كان نصرانياً ثم أسلم ، شاعر أموي من المجيدين ، توفي سنة 101 هـ وله ديوان شعر مطبوع .

(24) البيت من قصيدة له شهيرة مطلعها :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

(25) يعني القطامي السابق .

(26) هو أيضاً من القصيدة المذكورة آنفاً .

(27) هو عدي بن زيد بن حماد العبادي نسبة إلى العباد بكسر العين وهم أخلاط من العرب تدينوا بالنصرانية ونعتوا أنفسهم بالعباد ، كان عدي ترجمان أبرويز وكاتبه بالعربية ، وكان هو الذي أشار عليه بتولية النعمان بن المنذر ملكاً على العرب ، ثم فسد ما بينه وبين النعمان فسجنه وبقي في سجنه حتى مات سنة 587 م .

قد يدرك المبطىء مــن حظــه والخير قد يسبق جهد الحريص (28)

وقول عمرو(29) بن براقة :

فما هداك إلى أرض كعالمها ولا أعانك في عزم كعزام

وقول عبد الله (30) بن همام :

وساع مع السلطان ليس بحارس (31) ومحترس من مثله وهو حارس (32)

وقول عبيد بن الأبرص :

الخير يبقى وإن طال الزمان بـــه والشر أخبث ما أوعيت في زاد (33)

---

(28) البيت من قصيدة له مطلعها :

أبلغ خليلي عبد هند فــلا زلت قريباً من سواد الخصوص

(29) اختلفت المخطوطات الثلاث في ذكر اسم هذا الشاعر واسم أبيه ، فكان اسمه في بعضها عمر وفي بعضها الآخر عمراً ، وجاء اسم أبيه مرة براقة ، ومرة زرافة ، والصحيح في اسمه أنه عمرو بسكون الميم ، والصواب في اسم أبيه براقة لا زرافة وقد عرف به وبنسبه الآمدي في « المؤتلف والمختلف » ص 88 فقال : « عمرو بن براقة الهمداني ، ثم الفهمي ، وبراقة امه فيما أحسب ، وهو عمرو بن منبه بن شهر ، شجاع فاتك شاعر ، وهو القائل :

تقول سليمى لا تعرض لتلفة وليلك من ليل الصعاليك نائم

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم »

(30) ذكره الجمحي في «طبقاته» فقال بشأنه : « كان عبد الله بن همام رجلا له جاه عند السلطان ووصلة بهم ، وكان سرياً في نفسه ، وله همة تسمو به ،وكان عند آل حرب مكيناًحظياً فيهم ، وهو الذي حدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية » .

(31) كذا بالأصل وفي ك و س و ح« بناصح » .

(32) البيت في « عيون الأخبار » (1 : 57) وقبله :

أقلي علي اللوم يا أم مالك وذمي زماناً ساد فيه الفلافس

(33) البيت من قصيدة له مطلعها :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي لآل أسماء لم يلمم لميعــاد

والبيت ينسب أيضاً لطرفة ، وهو في ديوانه بطبعة داري صادر وبيروت سنة 1961 م .

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ربّ حلم أضاعه عدم المـــا ل وجهل غطى عليه النعيم (34)

وزعموا أن حسان بينما هو في أُطُمِـه (35)، وذلك في الجاهلية ، إذ قام في جوف الليل فصاح : يا للخزرج (36) فجاؤوا وقد فزعوا ، فقالوا : مالك يا ابن الفريعة (37) قال : بيت قلته فخفت أن أموت قبل أن أصبح فيذهب ضيعة ، خذوه عني ، فقالوا : وما قلت ؟ فأنشد البيت المذكور :

وقول أبي ذؤيب (38) .

والنّفس راغبـــة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع (39)

---

(34) البيت من قصيدة له قالها في يوم أحد يهجو بها ابن الزبعرى وبني مخزوم مطلعها :

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم

وهي مثبتة في ديوانه ص 81 – 92 بتحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين .

(35) في الأصل : « أطمة » بتاء تأنيث وهو خطأ صوابه : « أطمه » مضافاً إلى ضمير الغائب ، وهو الذي في ك و س و ح ، والأطم فسره المجد في « قاموسه » فقال : « الأطم بضمة وبضمتين القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح ج آطام وأطوم » .

(36) كذا بالأصل وهو ما في س وفي ك و ح « با لخزرج » .

(37) في المخطوطات الثلاث وفي ح : « الفرعية » ، وهو خطأ صوابه « الفريعة » بالتصغير ، وهي أمه ، وهي الفريعة بنت خنيس بن لوذان بن عبد ود الخزرجية، وهو نسب نفسه إليها في شعر قال فيه :

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعـــة أضحى بيضة البلد

(38) هو خويلد بن خالد بن محرث الهذلي ، من المخضرمين الفحول ، أسلم ولم ير الرسول عليه السلام .

(39) البيت من قصيدة له في سبعين بيتاً مطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهي القصيدة الأولى في « ديوان الهذليين » ، وهي أيضاً من قصائد المجموعة الشعرية المعروفة « بالمفضليات » .

وقول زهير :

وهل ينبت الخطّيُّ إلاّ وشيجه　　وتغرس إلاّ في منابتها النخل

غيره (40) :

أرى كل عود نابتاً في أرومةٍ　　أبى منبت العيدان أن يتغيّرا

وقول بشار :

تأتي المقيمَ وما سعى حـــاجـــاتُه　　عدّد الحصا ويخيب سعي الطالب (41)

غيره :

متى ما تقد بالباطل الحقّ يَأبَهُ　　وإن قدت بالحقّ الرواسي تنقد

وقول عبيد :

من يسأل النـــاس يحرمـــوه　　وسائل اللهِ لا يخيب (42)

---

(40) هو نهشل بن حري (بفتح الحاء فراء مشددة مكسورة بعدهما ياء كياء النسبة) : شاعر مخضرم والبيت في « حماسة البحتري » وبعده :

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن　　لآباء سوء يلقهم حيـــث سيرا

أبوك هناب سارق الضيف برده　　وجدي يا حجاج فارس شمرا

(41) البيت من قصيدة له غزلية مطلعها :

خفض على عقب الزمان العاقب　　ليس النجاح من الحريص الناصب

وهي في ديوانه بتحقيق محمد الطاهر بن عاشور .

(42) البيت من قصيدته التي مطلعها :

أقفر من أهله ملحوب　　فالقطبيات فـــالذنوب

انظرها في ديوانه وفي « جمهرة أشعار العرب » للقرشي ضمن القصائد المجمهرات .

غيره :

يفرّ جبـــان القوم عن أمّ نفسهِ ويحمي شجاع القومِ من لا يناسبه

<ويرزق(43)معروف الجواد عدوُّه ويُحرَمُ معروفَ البخيل أقاربُه>

فهذا كله ونحوه مشتمل على مثلين كبيت امرىء القيس ، وقد يكون مثلاً واحداً كقول طرفة :

رأيت القوافي يتَّلِجْنَ مَوالجـــاً تضايق عنها أن تولجها الإبر (44)

< وهو معنى (45) قول الأخطل : والقول ينفذُ ما لا تنفذ الإبر> (46)

وقول علقمة (47) :

---

(43) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(44) البيت واحد من ثلاثة أبيات واردة بديوانه في طبعة داري صادر وبيروت 1961 م .

(45) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(46) هو عجز بيت هذا صدره :

حتّى استكانوا وهم منّي على مضض

وقبله :

بني أميـــة قد ناضلت دونكم أبناء قوم هم آووا وهم نصروا

أفحمت عنكم بني النجار قد علمت عليا معد وكانوا طالما هدروا

وهو من رائيته الشهيرة التّي مطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير

(47) في « المؤتلف والمختلف » للآمدي : (ص 227) : « علقمة في الشعراء جماعة ليسوا ممن أعتمد ذكره ، ولكن أذكر علقمة الفحل وعلقمة الخصي، وهما من ربيعة الجوع، =

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب(48)

وهو لامرىء القيس في قوله :

أراهن لا يُحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا(49)

ومنه قول الأعشى :

وأرى الغواني لا يواصلن امرءاً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

وقول أبي تمام :

أشهى الرجال من النّساء مواقعاً من كان أشبههم بهنّ خدودا(50)

وقول علقمة بن عبدة (51) :

وكل قوم وإن عزوا وإن كثروا عديدهم(52)بأثافي الدهر مرجوم

= فأما علقمة الفحل فهو علقمة بن عبدة بن ناشرة . . . الشاعر المشهور ، أحد شعراء الجاهلية ، ويقال له: الفحل من أجل آخر يقال له : علقمة الخصي ...» . وفي « رغبة الآمل » للمرصفي : (1 : 22) : « تلقب بالفحل يوم عارض أمرأ القيس بشعره فغلبه ، وكل شاعر غلب من هاجاه من الشعراء يلقب بالفحل كذلك » .

(48) البيت من قصيدة له مدح بها الحارث بن جبلة الغساني توسلا إلى فك أخ له كان أسيراً عنده مطلعها :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

وهي في ديوانه بتحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب دار الكتاب العربي بحلب 1969 م .

(49) البيت من قصيدته التي مطلعها :

ألما على الربع القديم بعسعسا كأني أنادي أو أكلم أخرسا

(50) البيت من قصيدته التي مطلعها :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئي بذاك شهيدا

(51) البيتان من قصيدته التي مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

وهي مودعة في ديوانه .

(52) كذا بالأصل ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : « عزيزهم » بزايين .

وكل حصن وإن طالت سلامته على دعائمه لا بدّ مهدوم

وقول الآخر :

[ومـــا رزق الإنسان مثل منيـــة أراحت من الدنيا ولم تُخزِ في القبر](53)

وقول ابن حازم (54) :

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل (55)

ومثله قول منصور (56) النمري :

ما كنت أوفي شبابي حق غرته (57) حتى مضى فإذا الدنيا له تبع (58)

---

(53) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو في ك مكتوباً على طرتها بخط ناسخها وورد كذلك في ح على طرتها .

(54) هو أبو جعفر محمد بن حازم بن عمرو الباهلي ، شاعر عباسي اشتهر بمقطعاته الجياد التي قال بشأنها :

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي إلى المعنى وعلمي بالصواب
وإيجازي بمختصر قـريب حذفت به الفضول من الجواب
فأبعثهن أربعـــة وخمساً مثقفـــة بألفاظ عـذاب
وهن إذا وسمت بهن قوماً كأطواق الحمائم في الرقاب

وانظر فيه مجلة المورد العراقية المجلد السادس العدد 2 سنة 1976 م .

(55) البيت من قصيدة له أولها :

ولى الشباب فخل الدمع ينهمل فقد الشباب بيوم المرء متصل

(56) هو منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري ، يكنى أبا الفضل ، شاعر عباسي من فحول المحدثين ، كان يتظاهر بولائه للعباسيين وهو شيعي في الباطن .

(57) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « عزته » بعين وزاي .

(58) البيت من قصيدة له مطلعها :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

وقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواهُ بخزّان(59)

ونحوه :

إذا ضاق صدر المرء عن كتم سره(60) فصدر الذي يُستودعُ السر أضيق(61)

وقوله (62) :

إذا جاوز الإثنين سرّ فإنّه ببثٍّ(63) وإفشاء الحديث قمين (64)

وقد قيل : الاثنان هنا الشفتان ، وقول طرفة :

---

(59) البيت من قصيدته التي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان

(60) كذا بالأصل وفي ك و س وح« عن سر نفسه » .

(61) في « كشكول العاملي » (1 : 339 بتحقيق الزاوي) : « قال الأحنف بن قيس : يضيق صدر الرجل بسره ، فإذا حدث به قال : اكتمه علي ، وأنشد :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق »

(62) هو أبو يزيد قيس بن الحطيم بن عدي الأوسي ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(63) في الأصل بصيغة المضارع مبنياً للمجهول وفي ك و س و ح : « ببث » بصيغة المصدر مجروراً بالباء .

(64) البيت من قصيدة له في أحد عشر بيتاً ، وهي في ديوانه بتحقيق ناصر الدين الأسد وهاك البيت في سياقه :

أجود بمضنون التلاد ، وإنني بسرك عمن سالني لضنين

إذا جاوز الاثنين سر فإنه بنشر وتكثير الحديث قمين

وإن ضيع الإخوان سراً فإنني كتوم لأسرار العشير أمين

يكون له عندي إذا ما ضمنته مقر بسوداء الفؤاد كنين

وإن لسان المرء ما لم يكن له حَصَاةٌ على عوراته لدليل (65)

الحصاة : العقل وهو إشارة إلى قول الحكماء : لسان العاقل من وراء عقله ، ولسان الأحمق على العكس ، وقول الخنساء رحمها الله :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي (66)

وقول الآخر (67) :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تُقْبِل (68)

وغيره (69) :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

غيره (70) :

---

(65) البيت من قصيدة في ديوانه قالها في هجو عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد .

(66) قبله :

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل مغيب شمس

وبعده :

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

(67) هو معن بن أوس بن نصر المزني ، من فحول الشعراء المخضرمين ، له ديوان شعر مطبوع .

(68) البيت من شعر له يخاطب فيه صديقاً له وقبله :

وكنت إذا ما صاحب رام ظنّتي وبدل سوءاً بالذي كنت أفعل

قلبت له ظهر المجن فلم أدم على ذاك إلا ريثما أتحول

والشعر الذي منه البيت من مختارات أبي تمام في « الحماسة » .

(69) هو طرفة بن العبد والبيت من قسم الحكم في معلقته .

(70) البيت لكعب بن زهير المزني ، وينسب تارة لأبيه زهير ، وهو وارد في « عيون الأخبار » (1 : 231) وفي « الشعر والشعراء » (1 : 100) وفي « غرر الخصائص » ص 103 طبعة بولاق) وهو مودع في فائت الديوان (طبعة دار الكتب المصرية ص 275) والبيت واحد من ثلاثة أبيات هذه جملتها : =

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل

غيره (71) :

كل امرىء راجع يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

ونحوه :

ومن يبتدع ما ليس من سُوس نفسه يدعْه ويغلبْه على النفس خِيمُها (71م)

السوس والخيم : الطبيعة .

ونحوه :

إنّ التخلّق يأتي دونه الخُلُقُ (72)

= وليس لمن لم يركب الهول بغيـة وليس لرحل حطه الله حامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل
فأصبحت إما نال عرضك جاهل سفيه وإمـا نلت ما لا تحاول

(71) هو حرثان بن محرث من عدوان فينسب العدواني ، ويلقب بذي الإصبع ، لأن حية نهشت إصبعه فقطعها . شاعر جاهلي له ديوان طبع سنة 1973 بتحقيق محمد على العدواني ومحمد نايف الدليمي . والبيت من قصيدة له طويلة مطلعها :

يا من لقلب طويل البث محزون أمسى تذكر ريا أم هارون

أوردها القالي بأماليه (ج 1 ص 252) .

(71م) في « كامل المبرد » : وأنشدتني أم الهيثم الكلابية : ومن يتخذ خيماً . . . البيت » وفي « رغبة الآمل » (1 : 90) « نسبه بعض الناس لسليمان بن المهاجر » . وهو في « عيون الأخبار » (3 : 5) غير منسوب ، وجاء أيضاً في « العقد الفريد » (3 : 3) غير منسوب ، وورد كذلك في لسان العرب (مادة خيم) .

(72) صدره في « حماسة أبي تمام » :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله

وجاء صدره في « زهر الآداب » للحصري كما يلي :

ارجع إلى خلقك المعروف وارض به

ونسبه أبو تمام لسالم بن وابصة الأسدي ، أما الحصري فنسبه للعرجي .

وقد يكون المثل جزءاً لبيت كهذا (73) ، ونحوه للنابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مطلب(74)

وقوله :

لمبلغك الواشي أغش وأكذب (75)

وقول دريد (76) :

متبذلاً (77) تبدو محاسنه (78)   يضع الهِناءَ مواضع النقبِ (79)

وقول الصَّلَتان (80) العَبْدي :

---

(73) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « هكذا » .

(74) هو من بائيته التي تقدمت الإشارة إليها عن قريب .

(75) هو من البائية أيضاً وصدره :

لئن كنت قد بلغت عني خيانة

(76) هو أبو قرة دريد بن الصمة بن الحارث من جشم ، فارس مذكور ، وشاعر مشهور ، وأحد المعمرين ، ومن أهل الرأي والحصافة في الجاهلية ، قتل مشركاً في غزوة حنين .

(77) في الأصل و ك و س و ح : « مبتدلا » صوابه : « متبذلا » .

(78) البيت من قطعة له أوردها القالي وخبراً معها في أماليه (2 : 157) فقال « خرجت تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد فهنأت ذوداً لها جربى ، ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ، ودريد يراها ولا تراه فقال دريد :

حيوا تماضر واربعوا صحبي   وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به   كاليوم طالي أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه   يضع الهناء مواضع النقب

(79) في « أساس البلاغة » : « ظهرت بالبعير نقبة، وهي أول الجرب ، وفلان يضع الهناء مواضع النقب إذا كان ماهراً مصيباً » .

(80) هو قثم بن خبية العبدي ، شاعر أموي مشهور .

نروح ونغدو لحـــاجــاتنـــا وحاجات من عاش لا تنقضي (81)

وقول الآخر :

تدس إلى العطار سلعـــة بيتهـــا وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر (82)

وقول زهير :

لهم في الذاهبين أروم صـــدق وكان لكل ذي حسب أروم (83)

وقوله :

كذلك خيمُهم ولكل قوم إذا مستهم الضراء خيم (84)

وقول الآخر (85) :

---

(81) البيت من شعر له سائر وقبله :

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ر كر الغداة ومر العشي

إذا ليلة هزمت يومهـــا أتى بعد ذلك يوم فتي

وبعده :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

(82) في «كامل المبرد» : « نظر شيخ من الأعراب إلى امرأة تتصنع وهي عجوز فقال :

عجوز ترجي أن تكون فتية وقد لحب الجنبان واحـــدودب الظهر

تـــدس إلى العطار سلعة بيتها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وما غرني الا خضاب بكفهـــا وكحل بعينيها وأثوابها الصفر

وجاءوا بها قبل المحاق بليلـــــة فكان محاقاً كله ذلك الشهر »

(83) البيت من قصيدة له مطلعها :

لمن طلل برامـــة لا يريم عفا وخلا له عهد قديم

وهي بديوانه في طبعة دار الكتب المصرية .

(84) البيت من القصيدة السالفة كذلك ، وهو السادس عشر فيها والأخير منها .

(85) هو الأخنس بن كعب الجهني .

تسائل عن حصين كلَّ ركـب　　　وعند جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقين(86)

وهذه الأنواع لا يأتي عليها الحصر ، وإنما أردنا (87) بعضاً من مختار ذلك ومشهوره ، وما تركناه أكثر ، وقد يشتمل البيت على ثلاثة أمثال أو أربعة ، وهو قليل بالنسبة إلى غيره ، فمن ذلك قول زهير :

وفي الحلم إذعان(88) وفي العفو دُربة　　　وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق

غيره :

العلم(89) يجلو العمى ، والجهل مهلكة　　　واللاعب الرفل(90) الأذيال مكذوب

---

(86) كان من خبر هذا البيت أن فاتكاً من العرب هو الحصين بن عمرو الكلابي ، أو هو الحصين بن سبع الغطفاني التقى بفاتك آخر هو الأخنس بن كعب الجهني فاتفقا على أن يسلبا كل من لقياه كائناً من كان ، وكان كلاهما لا يأمن صاحبه على نفسه ، حتى إذا أمكنت الفرصة الأخنس من حصين قتله ، ثم سار فإذا هو بامرأة تنشد الحصين فقال :

وكم من ضيغم ورد هموس　　　أبي شبلين مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعضب　　　فأضحى بالفلاة له سكون
وأضحت عرسه ولها عليه　　　بعيد هدوء ليلتهـا رنين
كصخرة إذ تسائل في مراح　　　وأنمار وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب　　　وعند جهينة الخبر اليقين

والبيت يضرب مثلا في معرفة الأمر على حقيقته ، وانظر تفصيل القول في المثل « بالأغاني » (14 : 2 طبعة الدار) و « مجمع الأمثال » للميداني (1 : 464) .

(87) كذا بالأصل ومثله في س وجاء في ك و ح : « أوردنا » وهو أليق .

(88) كذا بالاصل ومثله في ك و س و ح وفي رواية الديوان : « إدهان » وهو المداراة والمصانعة والبيت من قصيدة له أولها :

ويوم تلافيت الصبا أن يفوتني　　　برحب الفروج ذي محال موثق

(89) في ح : « الحلم » .

(90) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « الرافل » .

وقول صالح(91) :

كل آت لا بد آت وذو الجهـ ـل معنى والهم والغم فضل

وقولي من قصيدة :

فلا تهتبل للحادثات ولا تثق بما وهبت يوماً فموهوبها معرى
مقربها مقصى ومرفوعها لقى(92) ومنهلها مظما ومكسوها معرى

وقولي فيها :

وإن أبصروا بالمملق اهتزأوا به ومدوا إليه طرفهم نظراً شزرا
وقالوا بغيض إن نأى ومتى دنا يقولوا ثقيل مبرم (أدبر الفقرا) (93)
فإن غاب لم يفقد ، وإن عل لم يعد وإن مات لم يشهد ، وإن ضاف لم يقرا

وهذا الباب لا ينحصر ،وقد أودعنا منه (كتاب الأمثال والحكم) (94) قدراً صالحاً ، ولنقتصر على هذا القدر هنا خوف الملل .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(91) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله ، شاعر حكيم متفلسف ، اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة فقتله سنة 171 وله ديوان شعر جمعه وحققه عبد الله الخطيب وطبع ببغداد سنة 1967 م .

(92) في « مصباح الفيومي » : « اللقى مثل العصا الشيء الملقى المطروح ، وكانوا إذا أتوا البيت للطواف قالوا : لا نطوف في ثياب عصينا فيها الله ، فيلقونها وتسمى اللقى ثم أطلق على كل شيء مطروح » .

(93) كذا بالأصل ومثله في ك و س و ح .

(94) عنوانه الكامل هكذا : « زهر الأكم ، في الأمثال والحكم » . وهو من كتب اليوسي غير المطبوعة ، وهو يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط ، وبمكتبة القرويين بفاس ، وبدار الكتب المصرية ، وبالمكتبة الوطنية بباريس ، وفي هذه الأيام يشتغل الدكتوران : محمد حجي ومحمد الأخضر في تحقيقه ، وقد صدر جزؤه الأول بتحقيقهما في منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب .

[روايات المؤلف عن محمد الحاج الدلائي]

حدثني الرئيس الأجلّ أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي رحمه الله قال : لما نزلنا في طلعتنا إلى الحجاز بمصر المحروسة خرج للقائنا الفقيه النبيه أبو العباس أحمد بن محمد المقري قال : وكنت أعرفه عند والدي لم يشب ، فوجدته قد شاب ، فقلت له : شبت يا سيدي فاستضحك ثم قال :

شيبتني غرندل ويحـــار وبحار فيهـــا اللبيب يحار

قال : وحدث أنهم كانوا ركبوا بحر سويس فهال بهم مدة من نحو ستة أشهر ، وهم يدورون دوراناً ، وأنه ألف في تلك المدة موضوعاً في علم الهيئة وسارت به الركبان ، فلما خرج من البحر وتصفحه وجد فيه الخطأ الفاحش ، وقد فات تداركه ، وذلك مما (1)وقع له من الهول . قال : وإذا هو قد خرج معه برجل (2)ضرير البصر فقال : هذا الضرير من أعاجيب الزمان في بديهة الشعر ، فألْقِ عليه أي بيت شئت يأت عليه ارتجالاً بما شئت من الشعر ، ثم عهْدُه به أن يقوله فلا يبقى شيء منه في حفظه ، فأتيتكم به لتشاهدوا من عجائب هذه البلاد ونوادرها وتذهبوا بخبر ذلك إلى بلادكم قال : فاقترحوا مني بيتاً (3)يقول عليه ، فحضر في لساني بيت ابن الفارض :

---

(1) في ك و ح : « لما » .
(2) في ح : « رجل » بدون حرف الجر .
(3) في ك و ح : « شيئاً » .

سائقَ الأظعان يطوي البيدَ طيّ مسرعاً عرِّج على كثبان طيْ (4)

قال : فذكرته فاندفع (5)على هذا الروي مع صعوبته حتّى أتى بنحو مائة بيت ارتجالاً .

قلت وهذا غريب ، فإن هذا القدر كله يعز وقوعه من العرب المطبوعين فكيف بالمولدين ؟ فكيف بآخر الزمان الذي غلبت فيه العجمة على الألسن ؟ ولكن رب الأولين والآخرين واحد ، تبارك الله أحسن الخالقين !

وحدثني أن الفقيه أبا العباس المذكور كان أيام مقامهبمصر قد اتخذ (6) رجلاً عنده بنفقتهوكسوتهوما يحتاج على أن يكون كلما أصبح ذهب يقتّري(7)

---

(4) البيت مطلع قصيدته اليائية التي ضمنها معاني صوفية في أسلوب غزلي رمزي ، وهي في مائة وإحدى وخمسين قافية ، وهي مودعة في ديوانه ، وعليها شروح مستقلة ، ومن أخبارها ما حكاه رشيد بن غالب في شرحه على ديوان « ابن الفارض » فقال : « كان السلطان الملك الكامل رحمه الله يحب أهل العلم ويحاضرهم في مجلس مختص بهم ، وكان يميل إلى فن الأدب ، فتذاكروا يوماً في أصعب القوافي ، فقال السلطان : من أصعبها الياء الساكنة ، فمن كان منكم يحفظ شيئاً منها فليذكره ، فتذاكروا في ذلك فلم يتجاوز أحد منهم عشرة أبيات فقال السلطان : أنا أحفظ منها خمسين بيتاً قصيدة واحدة وذكرها ، فاستحسن الجماعة ذلك منه ، فقال القاضي شرف الدين كاتب سره : أنا أحفظ منها مائة وخمسين بيتاً قصيدة واحدة ، فقال السلطان : يا شرف الدين جمعت في خزانتي أكثر دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام ، وأنا أحب هذه القافية فلم أجد فيها أكثر من الذي ذكرته لكم ، فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرت ، فأنشده قصيدة الشيخ اليائية التي مطلعها : « سائق الأظعان » .

(5) في ك و ح : « فانطلق » .

(6) في س : « أخذ » .

(7) في « تاج العروس » « قرا البلاد يقروها إذا تتبعها ، يخرج من أرض إلى أرض ، ينظر أحوالها وأمرها ، وقراها قرياً كذلك واوي ويائي ، كاقتراها واستقراها » وفي الأصل يقترىء بالهمز ، وهو خطأ .

البلد أسواقاً ومساجد ورحاباً وأزقة ، وكل ما رأى من أمر واقع أو سمع يُريحُه عليه بالليل فيقصه عليه .

قلت : وهذا اعتناء (8) بالأخبار والنوادر والتواريخ .

وقد كان نحو هذا لشيخ مشايخنا (9) أبي عبد الله محمد (10) العربي (11) ابن أبي المحاسن يوسف الفاسي ، فكان من دأبه أنه متى لقي إنساناً يسأله من أي بلد (12) هو ؟ فإذا أخبره قال : من عندكم من أهل العلم ؟ من عندكم من أهل الصلاح ؟ ومن الأعيان ؟ فإذا أخبره بشيء من ذلك كله سجله ، وهذا الاعتناء بالأخبار والوقائع (13) والمسانيد ضعيف جداً في المغاربة ، فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية ، وفيما سوى ذلك لا همة لهم .

وكان أبو عبد الله المذكور يذكر في كتابه « مرآة المحاسن » (14) أنه كم في المغرب من فاضل ضاع من قلة اعتنائهم ، وهو كذلك .

وقد سألت شيخنا الأستاذ أبا عبد الله ابن ناصر رحمه الله ورضي عنه

---

(8) في ك : « اعتبار » .

(9) في ح : « شيخنا » بالإفراد .

(10) انظر ترجمته بقلمه في كتابه : « مرآة المحاسن » الآتي ذكره (ص 159 – 164) .

(11) قال في « مرآة المحاسن » (ص 160) وهو يترجم نفسه : « ولقبت بالعربي وكثيراً ما تسكن العامة الراء من العربي » .

(12) في س : « من أي البلاد هو » .

(13) في ك : « الواقع » .

(14) هو كتاب « مرآة المحاسن ، من أخبار الشيخ أبي المحاسن » ، لمحمد العربي المذكور آنفاً ، ترجم فيه والده أبا المحاسن يوسف الفاسي ، فعرف بسيرته ، وذكر من يتصل به بأبوة أو بنوة أو أخوة ممن اشتهر بعلم أو صلاح ، كما عرف فيه بأصحابه والمنتفعين به ، وهو مطبوع على الحجر بفاس عام 1324 هـ .

يوماً عن السند في بعض ما كنت آخذه عنه فقال لي : إنا لم تكن لنا رواية في هذا ، وما كنا نعتني بذلك . قال : وقد قضيت العجب من المشارقة واعتنائهم بأمثال (15) هذا حتى إني لما دخلت مصر كان كل من يأخذ عني عهد الشاذلية (16) يكتب الورد والرواية والزمان والمكان الذي وقع فيه ذلك .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(15) في ك و ح : « بمثل » بالإفراد .

(16) هي الطائفة الصوفية المنتمية إلى القطب أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الشاذلي ، وعنها قال السيد شمس الدين أبو محمود الحنفي فيما حكاه عنه الشيخ مرتضى في تاج العروس بمادة (شذل) فقال : « اختصت الشاذلية بثلاثة أشياء لم تكن لأحد قبلهم ولا بعدهم : الأول أنهم مختارون من اللوح المحفوظ ، الثاني أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو ، الثالث أن القطب منهم دائماً وأبداً إلى يوم القيامة » .

[منافسة علماء مصر لأحمد المقري]

رجعنا إلى الحديث الأول قال : ووجدت (1)الفقيه أبا العباس المذكور قد وقع بينه وبين طلبة العلم من أهل مصر شحناء عظيمة ، وحدث أن سببها اتفاق غريب ، وهو أنه حضر ذات يوم سوق الكتب وهو إذ ذاك لم يعرف . فوقع في يده سِفْرٌ من تفسير غريب ، ففتح على <تفسير>(2)سورة النور ، فإذا هو قد تعرض لمسألة فقهية غريبة ، وذكر فيها اختلافاً وتفصيلاً وتحقيقاً . فحفظ ذلك كله على الفور ، وكان رجلاً حافظاً ، ثم اتفق عن قريب أن اجتمع علماء البلد في دعوة وحضر معهم ، فلما استقر بهم المجلس إذا (3)سائل في يده بطاقة يسأل عن تلك المسألة نفسها ، فدفعت للأول من أكابر أهل المجلس ، فنظر فكأنه لم يحضره فيها ما يقول ، فدفعها لمن يليه ، ثم دفعها الآخر للآخر وهكذا حتى بلغت أبا العباس المذكور . فلما تناولها استدعى الدواة فكتب عليها الجواب بنحو (4) ما حفظ ، فجعلوا ينظرون إليه متعجبين ، فلما فرغ تعاطوها فقالوا : من ذكر هذا ؟ فقال لهم : ذكره فلان في تفسير سورة النور ، فالتمسوا التفسير فإذا الأمر كما ذكر ، فدخلهم من (5) ذلك ما هو شأن النفوس .

---

(1) في س : « وجدت » بدون الواو .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(3) في ك : « إذ » بدل : « إذا » .

(4) كذا في الأصل ، ومثله في س ، وفي ك و ح : نحو بدون الباء .

(5) في ك : « في » موضع من .

قلت : وليس هذا ببدع . فما زال هذا الجنس يتحاملون على من توسموا فيه شفوفاً عليهم ، أو مزاحمة في رتبة أو حظ إلاّ من عصمه الله . وقليل ما هم .

كضرائر الحسناء قلن لوجهها   حسداً وبغضاً انه لدَميمُ (6)

وقد أفتى بعض الفقهاء أنه لا تقبل شهادة بعضهم على بعض لهذا المعنى ، ولا شك أنه <ليس> (7) على العموم . ولكنه شائع معلوم .

فمن ذلك ما وقع للإمام سيبويه مع أهل الكوفة . وقصته مشهورة (8).

---

(6) قبل هذا البيت بيت هو الآتي عن قريب ، والبيتان منسوبان لأبي الأسود الدؤلي ، ودميم في البيت بدال مهملة لأنه من الدمامة التي هي قباحة الصورة ، وكتب في ك و ح بذال معجمة وهو تصحيف .

(7) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح ولا بد منه لأن الكلام يختل بدونه .

(8) أشار إلى المسألة النحوية التي تلقب بالزنبورية ، والتي ذكرها ابن هشام في « مغنيه » فقال : « مسألة : قالت العرب : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي ، وقالوا أيضاً : فإذا هو إياها ، وهذا الوجه الذي أنكره سيبويه لما سأله الكسائي ، وكان من خبرهما أن سيبويه قدم على البرامكة ، فعزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما ، فجعل لذلك يوماً ، فلما حضر سيبويه قال له الكسائي : تسألني أو أسألك ، فقال له سيبويه : سل أنت ، فسأله عن هذا المثال ، فقال سيبويه : فإذا هو هي ، ولا يجوز النصب ، وسأله عن أمثال ذلك فقال له : كل ذلك بالرفع ، فقال الكسائي : العرب ترفع كل ذلك وتنصب ، فقال يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ، فقال له الكسائي : هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون ، فأحضروا فوافقوا الكسائي ، فاستكان سيبويه ، فخرج إلى فارس ولم يعد إلى البصرة » . وكان أحد أدباء الأندلس سأل أبا الحجاج يوسف بن سليمان النحوي الشنتمري المعروف بالأعلم عن المسألة الزنبورية هذه فأجابه جواباً فيه بيان لها وتفصيل فيها ، وقد أودعه المقري في « نفحه » (ج 5 ص 217 – 244 بتحقيق محمد محيي الدين) فانظره هناك ، وقد ذكر حازم القرطاجني هذه الحكاية في منظومته النحوية فقال وأحسن :

والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذا   إذا عنت فجأة الأمر الذي دهما =

وما وقع لسيف الدين (9)الآمدي مع أهل مصر ، فإنه لما برز عليهم في العلوم أنكروه ونسبوه إلى الأهواء ، وكتبوا عليه رسماً بذلك ، فكانوا يدفعونه بعضهم لبعض ليوقعوا فيه الشهادة على ذلك ، فكانوا يشهدون حتّى انتهى إلى بعض من وفقه الله وعصمه فوقع تحت الشهادات (10) .

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعــداء له وخصوم

وقد تناهى به ذلك حتّى خرج من مصر (11) .

وما وقع للفقيه محمد بن تومرت المعروف بالمهدي إمام الموحدين ، فإنه دخل مدينة مراكش مَقْفَلَهُ من المشرق ، فحرّك العلوم العقلية ، وكانوا أهل بادية لا يعرفون ذلك ، فقالوا : هذا أدخل علينا علوم الفلاسفة ، ووشّوا به إلى اللمتوني حتّى كان من أمره ما كان .

= وربما نصبوا للحال بعد إذا وربما رفعوا من بعدها ربمــا
فإن توالى ضميران اكتسى بهما وجه الحقيقة من إشكاله غمما
لذاك أعيت على الأفهام مسألة أهدت إلى سيبويه الحتف والغمما
قد كانت العقرب العوجاء أحسبها قدماً أشد من الزنبور وقع حما
وفي الجواب عليها هل إذا هو هي أو هل إذا هو إياها قد اختصما
وغاظ عمراً علي في حكومتــه يا ليته لم يكن في أمره حكما
كغيظ عمرو علياً في حكومته يا ليته لم يكن في أمره حكما
قضت عليه بغير الحق طائفــة حتّى قضى هدراً ما بينهم هدما
والغبن في العلم أشجى محنة علمت وأبرح الناس شجواً عالم هضما

(9) هو أبو الحسن علي بن أبي علي محمد بن سالم الثعلبي الآمدي الملقب بسيف الدين ، الفقيه الأصولي النظـــار ، كان حنبلي المذهب ثم تشفع ، واشتغل بعلوم المعقول وتمهر فيها ، له نحو العشرين تصنيفاً منها في أصول الدين والفقه والخلاف والمنطق والحكمة. توفي سنة 631 هـ .

(10) في ك : « الشهادة » بالإفراد .

(11) انظر واقعة الآمدي مع علماء مصر في « وفيات الخلكاني » (2 : 455 تحقيق محمد محيي الدين) وفيه أنهم اتهموه بانحلال العقيدة ، وأنهم أفتوا فيه بما يبيح دمه .

و<مثله>(12)ما وقع للإمام أبي الفضل (13)بن النحوي حين دخل سجلماسة فجعل يدرس أصول الدين وأصول الفقه ، فمر به عبد الله بن بسام أحد رؤساء البلد فقال : ما العلم الذي يدرسه (14)هذا ؟ فأخبروه ، وكانوا قد اقتصروا على علم (15)الرأي فقال : هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها ، وأمر بإخراجه ، فقام أبو الفضل ثم قال [له] (16) : أمتَّ العلمَ أماتك الله ههنا ، قالوا : وكانت عادة أهل البلد أن يعقدوا الأنكحة في المسجد ، فاستحضروا ابن بسام لعقد نكاح صبيحةَ اليوم الثاني من ذلك اليوم ، فخرج سَحَراً وقعد في المكان المذكور ، فمرت عليه جماعة من ملوانة إحدى قبائل صنهاجة فقتلوه برماحهم ، وارتحل أبو الفضل إلى مدينة فاس فتسلط عليه القاضي ابن دبوس ولقي منه ما لقي من ابن بسام ، فدعا عليه أيضاً فهلك ، ولما رجع إلى وطنه القلعة واشتغل بالتقشف تسلط عليه ابن عصمة أيضاً فقيه البلد بالإذاية .

وهذا النوع أعني الفقهاء ولا سيما أرباب المناصب منهم كالقضاة لم يزالوا متسلطين على أهل الدين كما وقع لهذا ، وكما وقع للقاضي ابن الأسود

---

(12) ما بين العلامتين ساقط من ك ومن ح .

(13) هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري المعروف بابن النحوي . فقيه أصولي نظار ، وصوفي رباني اشتهر بأنه مجاب الدعوة حتى كان الناس يتعوذون من دعوته ، وهو نـاظم القصيدة الجيمية المعروفـة باسم « المنفرجة » التي جرب الناس نفعها واعتقدوا بركتها لمن دعا بها . توفي سنة 513 هـ .

(14) في ك : « يقرؤه » ومثله في ح وفي س « يقرئه » .

(15) في ك : « علوم » بالجمع وكذا في ح .

(16) ما بين العلامتين زيادة جاءت في ك وفي ح .

مع الإمام العارف أبي العباس بن العريف (17)ولابن[أبي] (18) البراء مع القطب الجامع أبي الحسن الشاذلي (19)وكلهم قد أخذهم الله بذنوبهم في

---

(17) عرف به التادلي في « التشوف » ص 76 فقال : « أبو العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف ، ذكره ابن بشكوال فقال : كان متناهياً في الفضل والدين ، منقطعاً إلى الخير ، وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويقصدونه فيحمدون صحبته ، وسعي به إلى السلطان فأمر بإشخاصه إلى حضرة مراكش فوصلها ، وتوفي بها ليلة الجمعة صدر الليل ودفن بها يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة » . ثم حكى واقعته مع ابن الأسود فقال : « ذكر أن القاضي ابن الأسود كان في المرية فوفد على علي بن يوسف بمراكش فسعى بابن العريف عنده وخوفه منه غاية التخويف،فكتب علي إلى عامل المرية يأمره بإشخاصه إلى مراكش ، فأمر به العامل فأدخل في القارب ليخرج به في البحر إلى سبتة ، فأشار القاضي على العامل بتكبيله بعد خروجه في المركب ، فبعث إليه من يقيده فأدركه رسول العامل وهو في البحر لم يخرج منه بعد فكبله ، وذهب راجعاً في البحر إلى المرية ، فقال ابن العريف روعنا روعه الله ، فلقيه العدو في البحر فحمله أسيراً ، فلما وصل ابن العريف إلى سبتة وافاه رسول السلطان بالأمان وبتسريحه وحل قيوده ، فقال ابن العريف : كنت أريد ألا يعرفني السلطان ، وقد عرفني الآن ، فلا بد من رؤيته ، فوصل إلى مراكش فأقبل عليه السلطان وأكرمه وأمره أن يعرض عليه حوائجه فقال له : ليس لي حاجة إلا أن أخلى أذهب حيث شئت ، فأذن له في ذلك ، فلما رأى القاضي ما حصل له من الحظوة لديه سأل عن أحب الطعام إليه فقيل له : الباذنجان فصنعه وعمل فيه السم ، واحتال عليه إلى أن أكله ، فمات رحمه الله ، ودفن في قرب الجامع القديم الذي بوسط مراكش في روضة القاضي موسى بن حماد الصنهاجي ، فلما علم السلطان بما كان من ابن أسود في جانب ابن العريف قال : لأعذبنه ولأسمنه كما فعل بابن العريف ، فبعثه إلى السوس الأقصى ، وأمر أن يسقى سماً هنالك فامتثل ما أمر به فمات هناك » .

(18) ما بين العلامتين سقط من الأصل وهو في ك و س و ح فأضفناه رواية عنها .

(19) هو الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الإدريسي الشاذلي نسبة إلى شاذلة من قرى إفريقية نسب إليها لأنه تعبد بها فترة من حياته ، توفي عام 656 هـ وقد جعله زروق في « قواعده » واحداً من أصحاب الاتجاهات الكبرى في التصوف فقال : « تعدد وجوه الحسن يقضي بتعدد الاستحسان ، وحصول الحسن لكل مستحسن ، فمن ثم كان لكل فريق طريق ، فللعامي تصوف حوته كتب المحاسبي ومن نحا نحوه ، وللفقيه تصوف رامه ابن الحاج في « مدخله » ، وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربي في « سراجه » ، وللعابد تصوف دار عليه الغزالي في « منهاجه »، وللمتريض تصوف نبه عليه القشيري في =

الدنيا قبل الآخرة . نسأل الله تعالى العصمة من اتباع الهوى ، ونعوذ بالله أن نظلم أو نظلم ، إنه الحفيظ الرحيم .

وحدثني الحاج المذكور أيضاً قال : دخلنا مكة شرفها الله فدخلت ذات يوم المسجد الحرام فإذا هو غاص بأهله والناس مزدحمون فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : جنازة ولد توفي للشيخ يوسف الوفائي وكان حاضراً في تلك الحجة . قال : وكنت أعرفه ، فجئت إليه لأعزيه في مصيبته ، فاستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلت عليه وهو مع أصحابه فإذا هو يتحدث وهو في غاية ما يكون من البسط والسرور ، قال : فجلست أمامه وقلت : أعظم الله أجرك فأنكر علي غاية الإنكار وقال : أمثلك يقول هذا ؟ وقد طالما كنت أتمنى أن يجعل الله <جسدي في هذه البقاع المشرفة ، واليوم قد جعل الله >(20)بعضي فيها . فله الحمد وله الشكر ،أو كلاماً هذ معناه رحمه الله ورضي عنه، [و] (21)إنما أذكر مثل هذه القصة للاعتبار والائتساء .

وحدثنا أيضاً قال : بتنا عند الفقيه الشيخ علي (22)الأجهوري برسم زيارة ، فبات ليله على النظر في كتب العلم ، وهو يشرب الدخان ، فكان

= « رسالته » ، وللناسك تصوف حواه « القوت والاحياء » ، وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه ، وللمنطقي تصوف نحا إليه ابن سبعين في تآليفه ، وللطبائعي تصوف جاء به البوني في أسراره ، وللأصولي تصوف قام الشاذلي بتحقيقه » .

(20) ما بين العلامتين ساقط من س .

(21) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو في سواه فأضفناه .

(22) هو نور الدين أبو الإرشاد علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري ، من أهل مصر ، فقيه محدث ، كانت وفاته بمصر سنة 1066 من بين مؤلفاته رسالة بالعنوان التالي : « غاية البيان ، في إباحة الدخان » توجد مخطوطة .

له صاحب يعمر له الدواة حتّى إذ فرغت عمر أخرى ، ويرى حلْيتّه .

قال : وكان الشيخ إبراهيم (23)اللقاني معاصره وبلديه يفتّي بحرْمته .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(23) هو برهان الدين أبو الامداد إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني نسبة إلى لقانة من أرض مصر ، عالم متصوف كانت وفاته سنة 1041 هـ .

[قضاء الحاجات عند الصلحاء]

وكان يحدثنا عن أسلافه أن ثلاثة من صلحاء الغرب (1) قد جرب عندهم قضاء الحاجات :

الشيخ عبد السلام بن مشيش، والشيخ أبو يعزى <يلنور> (2)والشيخ أبو سلهام ، غير أنهم اختلفوا ، فالأول في أمور (3)الآخرة ، والثالث في أمور الدنيا ، وأبو يعزى في الكل ، نفعنا الله بهم وبأمثالهم .

وقد ذكر غيره كالشيخ زروق أن هؤلاء الثلاثة أبا يعزى وأبا العباس السبتي ;أبا مدين قد وقع الانتفاع بهم بعد الموت ، وهذا بحسب ما اشتهر وانتشر ، وإلا فالانتفاع واقع بأولياء الله كثيراً في كل أرض .

وقد شاهدت المولى إدريس بن إدريس رضي الله عنه أيام مقامي بمدينة فاس تـرْياقاً مجرباً في كل ما أنزل به من حاجة .

وحدثونا في درعة عن الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم أنه كان يقول لهم : إن سيدي أبا القاسم الشيخ وهو معروف هنالك يقضى عنده ما يقضى عند الشيخ أبي يعزى .

---

(1) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك وح ففيهما : « المغرب » .

(2) ما بين العلامتين سقط من ك .

(3) في ك : « أمر » بالإفراد .

وحدثني بمدينة مراكش الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي بكر الهشتوكي قال : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أني دخلت مقام الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سليمان الجزولي ، فإذا هو جالس وهو يقول، من كانت له إلى الله حاجة فليأتنا ، قال فلما أصبحت وكان أمير الوقت قد بعث إلى أهل المدينة أن يعطوا الرماة ، وشق عليهم ذلك كثيراً ، وكان قوم قد ذهبوا إليه وعزموا (4) أن يسعوا في أذايتي ، فجئت إليه فقلت : إنك قلت كذا ، وها أنا ذا قد جئت في هاتين الحاجتين ، قال : فقضى الله الحاجتين معاً .

وحدثني أيضاً الأخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد الهشتوكي قال : بلغني عن الفقيه سيدي عبد الواحد الشريف أنه حدث أصحابه فقال لهم : كنا خرجنا ونحن نفر ثلاثة لزيارة الشيخ عبد الخالق (5) بن ياسين الدغوغي، فلما كنا ببعض الطريق قلنا : تعالوا فليذكر كل واحد منكم حاجته التي يريدها ، قال : فأما أنا فقلت لهم : إني أريد كرسي جامع المواسين ، وأما الثاني فقال : أريد أن أتولى الحكومة في البلد ، وأما الثالث فقال : أريد محبة الله تعالى . قال : فزرنا ، فأما أنا وصاحبي فقد تولينا ما طلبنا ، وأما الآخر فبخروجه من مقام الشيخ تحرك وفغر فاه واستقبل البرية ، فكان ذاك آخر العهد به ، وقد قضى الله الحاجات كلها .

وكانت أهلي أيام كنا بالزاوية البكرية قد تراخت عنها الولادة ، فدخلها من ذلك غم عظيم ، فأصبحت ذات يوم فأخبرت أنها رأت أنها ذهبت إلى

---

(4) كذا في الأصل ، ومثله في ح أما ك و س ففيهما : « زعموا » .

(5) عرف به التادلي في « التشوف » (ص 205 وما بعدها) فكان مما قال عنه : « أبو محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوغي تلميذ أبي زكرياء المليجي ، صحب أبا عبد الله بن امغار ، وأبا شعيب ، وكان من الأفراد ، صاحب علم وعمل ، توفي ببلده بسبت بني دغوغ من عمل مراكش عام أحد وسبعين وخمسمائة » .

مقام سيدي أبي علي الغجاتي . <فقالت فوجدته جالساً وأنا في غايـــة العطش> (6)فإذا حوله عين يرشح منها ماء قليلٌ . لا يغني . فقلت : يا سيدي ما هذا ؟ جئت إليك عطشى رجاء أن أشرب ، أفأرجع كما جئت ؟ قال : لا ، إن الماء ثَمَّ . انبشي يخرج، فقالت (7) :فنبشت بيدي فخرج الماء وشربت حتى رويت ، وطلبت مني أن نزوره وأن نطعم عنده طعاماً ففعلنا ، فولد ولدنا محمد الكبير أصلحه الله وأمتع به (8) .

ولما نزلنا (9)بالزاوية المرةَ الثانيةَ مَقْفَلَنَا من حضرة مراكش كانت لنا بُنَيَّةٌ عجزت عن النهوض وهي في سن من يمشي ، فظنناها مقعَدَةً ، فذهب بها الخدم إليه وزورها فقامت بالفور على رجلها (10)تمشي ، وأمثال هذه الأمور لو تتبعنا منها ما رأينا وما سمعنا لملأنا بها الدواوين .

نعم رأيت لبعضهم أن الولي إذا مات انقطع تصرفه من الكون ، وما يحصل لزائره مثلاً إنما يحصل له على يد قطب (11)الوقت بحسب درجة ذلك الولي ، والله تعالى أعلم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(6) ما بين العلامتين ساقط من س .
(7) كذا بالأصل وفي سواه : « قالت » بدون الفاء .
(8) في س : « انتفع » بدل : « أمتع » والظاهر أنه تحريف .
(9) في ك و ح : « نزلت » بضمير الواحد .
(10) في ح وحدها : « رجليها » بالتثنية .
(11) في « كتاب التعريفات » للشريف الجرجاني ما نصه : « القطب ، وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسري في الكون وأعيانه الظاهرة والباطنة سريان =

. . . .

= الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية العادلة مادة الحياة لا من حيث إنسانيته ، وحكم جبريل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية ، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها ، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها » . وفي « كتاب التشوف » للتادلي ص 56 ما ملخصه : الغوث يكون واحداً في الزمان ، وقبله ثلاثة هم المختارون ، ودونهم سبعة هم العرفاء ، وتحتهم عشرة هم النقباء ، وبعدهم أربعون هم الأوتاد ، وخلفهم سبعون هم النجباء ، ومن ورائهم ثلثمائة هم الأولياء، ثم سائر الخلق ، فإذا مات الغوث نقل واحد من المختارين فجعل غوثاً ، ونقل من العشرة إلى الثلاثة ، ومن الأربعين إلى العشرة ، ومن السبعين إلى الأربعين ، ومن الثلثمائة إلى السبعين ، ومن سائر الخلق إلى الثلثمائة ، ثم هكذا دواليك إلى يوم القيامة .

[الحرة تكفي وتغني]

وكان أيضاً رحمه الله كثيراً ما ينشدنا <لبعضهم> (1) :

إذا لم يكن في منزل المرء حرة تدبر أمراً نابه فهو ضائع

وقوله في البيت حرة يحتمل أن يريد بها ضد الأمة لأن الحرائر مظنة العقل والتجربة والغناء (2)والكفاية، والظاهر أن المراد أخص <من ذلك>(3) وهي الكاملة الحرية ، كما يقال لكامل الرجولية : فلان رجل ، وذلك أن ليس كل حرة تكفي وتغني (4)، بل رب أمة لبيبة أقوم من حرة ، فالمرأة الصالحة الكيِّسة الصيِّنة هي التي تراد .

وفي الحديث : « تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا وَمَالِهَا . فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ » [تَرِبَتْ يَمِينُكَ] (5) .

وفي الحديث أيضاً : « الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ » .

---

(1) ما بين العلاميتن ساقط من ك .

(2) بفتح الغين والمد وهو النفع والإجداء ، وكتب في ك و ح بالقصر ، وهو خطأ ، وفي « صحاح الجوهري » ما نصه : « الغَناء بالفتح النفع ، والغِناء بالكسر من السماع ، والغنى مقصوراً : اليسار » .

(3) ما بين العلامتين سقط من ك و ح .

(4) في « مصباح الفيومي »ما لفظه : «أغنيتعنك بالألف مغنى فلان ومغناته إذا أجزأت عنه وقمت مقامه ، وحكى الأزهري : ما أغنى فلان شيئاً أي لم ينفع في مهم ولم يكف مئونة » .

(5) ما بين العلامتين رواية عن س .

وفي الحديث : « إنَّ المَرْأةَ الصَّالحةَ بَيْنَ النِّساءِ كالغُرابِ الأعْصَمِ (6) بَيْنَ الغِرْبانِ » وذلك لعزة من تستكمل المعتبر من الأوصاف ، أو لعزة الدين فيهن ، فإنهن ناقصات عقل ودين .

وروي عن نبي الله داود أنه قال لابنه سليمان عليهما السلام : يا بني ، إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك ، وإن مثل المرأة السوء كالحِمْل الثقيل على الشيخ الكبير .

وعن أمير المؤمنين عمر (7) رضي الله عنه : النساء ثلاث : امرأة عاقلة مسلمة عفيفة هينة لينة ودود ولود ، تعين أهلها على الدهر ، ولا تعين الدهر على أهلها ، وقليلاً ما تجدها ، وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك ، وأخرى غُلّ قمل يجعله (8) الله في عنق من يشاء ، ثم إذ شاء أن ينزعه نزعه .

وقوله غل قمل تمثيل ، وأصله أن الأسير مثلاً يجعل عليه الغُلّ فيبقى حتى إذا طال قَمِلَ أي دخله القمل فيأكله القمل في عنقه ولا يمكنه أن يزيل القمل منه ولا أن يزحزح الغُلّ من محله (9) ما لم يحل <من> (10) أصله ، فيلقى من ذلك عذاباً لازماً ، وكذلك (11) المرأة إذا كانت سيئة الأخلاق أو

---

(6) في « صحاح الجوهري » ما لفظه : « والغراب الأعصم الذي في جناحه ريشة بيضاء لأن جناح الطائر بمنزلة اليد له ، ويقال : هذا كقولهم : الأبلق العقوق ، وبيض الأنوق لكل شيء يعز وجوده » . وكتبت الكلمة في ك و ح هكذا : « الأعظم » بالظاء المشالة، وهو تصحيف .

(7) في ك و ح : « علي » بدل « عمر » .

(8) في ك و ح : « يجعلها » .

(9) في س : « من عنقه » .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(11) في س : « وكذا » بدل : « وكذلك » .

ذميمة (12) الخلقة أو جمعتهما فالرجل يتأذى منها أذىً عظيماً لازماً ، ما لم يطلقها ، فالمرأة إذا كانت جميلة حسنة الشباب مليحة ألفها الطبع وشربتها (13) النفس ، فكان سيئها حسناً ، وذنبها مغفوراً ، كما قال أبو فراس (14) :

يعُد عليّ الواشياتُ ذنوبـَه ومن أين للوجه المليح ذنوب

ولا بد مع ذلك من كفاية بيتها ، فإذا جمعت الحسن والدين والكفاية فهي الحرة المعدودة ، والضالّة المنشودة ، وفي أمر النساء كلام يكثر (15) ، لا يفي به إلاّ تصنيف مستقل ، وهذا القدر يكفي في هذا المحل .

<وكان (16) يقول كثيراً : لا تواكل (17) من لا يواكل ، ولا تجالس من لا يجانس> .

---

(12) كذا هو في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه : « دميمة » بدال مهملة ، قال الفيومي في « مصباحه » : « دم الرجل يدم من بابـي ضرب وتعب ، ومن باب قرب لغة ، فيقال : دممت تدم ومثله لببت تلب وشررت تشر من الشر ، ولا يكاد يوجد لها رابع في المضاعف ، دمامة بالفتح قبح منظره وصغر جسمه ، وكأنه مأخوذ من الدمة بالكسر وهي القملة أو النملة الصغيرة ، فهو دميم والجمع دمام مثل كريم وكرام ، والمرأة دميمة ، والجمع دمائم ، والذال المعجمة هنا تصحيف » انتهى كلام الفيومي بنصه .

(13) كذا هو في الأصل ، أما ك و ح ففيهما : « تشربتها » :

(14) البيت واحد من أبيات أربعة واردة بديوانه المطبوع في بيروت وقبله :

أساء فزادته الإساءة حظوة حبيب على ما كان منه حبيب

وهذا البيت الذي أوردناه مع البيت الذي أورده اليوسي جاءا في « شرح الشريشي على المقامات» (1 : 184) وهما فيه منسوبان لأبـي نواس وهما لايوجدان في ديوانه المطبوع بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي .

(15) كذا في الأصل وفي ك و س و ح : « كثير » .

(16) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح.

(17) رسمت الكلمة في الأصل أولا وثانياً بواو ، وكذا جاء رسمها في مخطوطة أكنسوس ، وفي =

وكان يقول في حديثه بما سمع ممن لقي : إن الولي الصالح سيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرار (18)المعروف بالتباع كان يقول لأصحابه ، وهم سيدي سعيد بن عبد المنعم المناني الحاحي ، <وسيدي علي بن إبراهيم البوزيدي التادلاوي> (19) وسيدي رحال المعروف بالكوش : سعيد فقيهكم ، وعلي عابدكم ، ورحال مجذوبكم ، والغزواني سلطانكم ، نفعنا الله بجميعهم آمين .

وسمعته يحدث عن والده سيدي محمد بن أبي بكر أن شيخه سيدي محمد ابن أبي القاسم المعروف بالشرقي التادلاوي كان وقع بينه وبين ولده سيدي الغزواني كلام وعتاب إلى أن قال الولد : أنت ترزقني؟ فقال الشيخ نعم أنا أرزقك ، فأعظم الناس هذا الكلام ، قال :فقال الوالد(20) : لا شيء في هذا ، فإن الشيخ هو القطب في الوقت ، والقطب تجري الأرزاق على يده ، فصح بهذه الإضافة أن يكون رازقاً .

لله الأمر من قبل ومن بعد

= « الصحاح » من مادة : « أكل » ما نصه : « آكلته إيكالا أطعمته ، وآكلته مؤاكلة أي أكلت معه ، فصار أفعلت وفاعلت على صورة واحدة ، ولا تقل واكلته بالواو » . وفي « الصحاح » أيضاً من مادة : « وكل » ما لفظه : « واكلت فلاناً مواكلة إذا اتكلت عليه واتكل هو عليك » .

(18) في الأصل : « الحراري » بياء بعد الراء وفي غيره : « الحرار » بدونها ، وهو الصواب ، وفي هذه النسبة يقول مؤلف « ممتع الأسماع » ، وهو يترجم عن المذكور : « الشيخ أبو محمد وأبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار ، عرف به وبالتباع ؛ والحرار نسبة إلى صناعة الحرير إذ كانت حرفته في أول أمره » .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) كذا بالأصل ، ومثله في س ؛ أما ك و ح ففيهما « الولد » .

[شيخ الدلاء عند عبد الله بن حسون في سلا]

وحدث عنه أيضاً قال : قدمت على الولي الصالح سيدي عبد الله بن حسون دفين سلا ، فقعدت إلى جنبه وقد مد رجليه ، والأعراب يتساقطون عليه يقبلون يديه ورجليه ، قال : فخطر ببالي أنه كيف أطلق هذا الرجل نفسه للناس هكذا ؟ فلم يتم الخاطر إلاّ وقد قال : أيها الناس ، رجل قيل له من مس لحمك لم تمسه النار ، أو لم تأكله النار ، أو نحو هذا فيبخل(1) بلحمه على المسلمين ؟ قال : فلما سمعت كلامه وعلمت أنه على خاطري تكلم تبت إلى الله تعالى في نفسي ، فجعلت إذا مد إليه أحد كاغدا (2)وكان يكتب الحروز ، تلقفته من يده ، وناولته الشيخ وقبلت يده ، < فإذا كتبه أخذته منه وقبلت يده> (3)، فيحصل لي في كل حرز تقبيلتان ، قال : ورأيت عنده أموراً أشكلت علي :

منها أنه يؤتى بالثياب هدية وصدقة فيأمر بها فترمى في بيت وتبقى كذلك يأكلها السوس .

ومنها أنه كل يوم يصبح عليه أهل الآلات فيضربون عليه .

قلت : أما الثياب فالذي يظهر في أمرها أنه إما غيبة حصلت للشيخ عنها،

---

(1) كذا بالأصل ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما « أفيبخل » مسبوقاً بهمزة الاستفهام .

(2) في « مصباح الفيومي » : « الكاغد بفتح الغين وبالدال المهملة وربما قيل بالذال المعجمة وهو معرب » .

(3) ما بين العلامتين ساقط من س .

وليس ذلك بمستنكر في أمثاله من المستهترين (4) في ذكره ، وإما خارج مخرج القلنسوة التي رمى بها الإمام الشبلي (5) في النار ، ومائة الدينار التي رمى بها في دجلة . وتأويل ذلك معروف عند أهل الطريق لانطيل به (6) .

<وأما أمر الآلات فإما أنه كان يستفيد من تلك الأصوات أسراراً ومعاني> (7) ، ونظيره ما حكى الإمام أبو بكر (8) بن العربي في سراج (9)

---

(4) كذا في الأصل ، وهو جمع مستهتر من استهتر بالشيء إذا كان مولعاً به سادراً فيه من غير مبالاة ، وينبغي أن يقرأ بصيغة اسم المفعول ، قال الجوهري في « صحاحه » : « فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه » اهـ . وقال الزمخشري في « الأساس » : « هو مهتر به ومستهتر به : مفتون به ذاهب العقل ، وقد أهتر بفلانة واستهتر بها » اهـ . وفي ضبطه يقول أبو الفرج بن الجوزي في كتابه « تقويم اللسان » : « تقول : « استهتر فلان بكذا بضم التاء الأولى وكسر الثانية على ما لم يسم فاعله ، والعامة تفتح التاءين وهو خطأ » اهـ . وأراد أن الشيخ يستغرق في ذكر الله ويذهب عقله فيه حتى يذهل عن كل شيء كما تكون عليه حال المستهترين بالملاذ والشهوات ، وتصحفت الكلمة في س بالمستهزئين فأصلحها أكنسوس على طرته بمثل ما جاء في الأصل : أما ك و ح ففيهما : « المشتهرين » من الاشتهار لا من الاستهتار ويبدو أنه غير صالح بالسياق .

(5) اختلف في اسمه فقيل : هو دلف بن جعفر وقيل : دلف بن جحدر وقيل : جحدر بن دلف ، ويقال : إن اسمه جعفر بن يونس عرف بأبي بكر الشبلي ، من أعلام الصوفية وكبار الزهاد توفي سنة 334 هـ .

(6) يقول الشيخ زروق في إحدى قواعده : « يعذر الواجد بحالة لا يملك نفسه فيها ، وله حكم المجنون في حاله بسقوط اعتبار أفعاله ، وينتفي جواز الاقتداء به ، كتواجد النوري في قيامه للسيف إيثاراً ، وإلا فهو إعانة على قتل نفسه ، وكحالة أبي حمزة في بقائه في البئر ، وكحالة الشبلي في حلق لحيته ، وإلقائه المال في البحر عند شعوره ببخله ؛ إلى غير ذلك مما لا يوافق الشرع من ظاهر أعمالهم » .

(7) ما بين العلامتين ساقط من س .

(8) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الإشبيلي الشهير بابن العربي (468 – 543 هـ) أحد العلماء الأعلام ، له مؤلفات تنيف على الثلاثين .

(9) نسبه إليه طاش كبرى زاده في « مفتاح السعادة » (2 : 523) وحاجي خليفة في « كشف =

المريدين عن الشيخ أبي الفضل الجوهري أنه بات بجواره ذات ليلة أصحاب الآلات فشغلوه عن ورده بما هم عليه من لهوهموباطلهم، فلما أصبح وجلس في مجلسه قال : إنه بات بجوارنا البارحة قوم ملأوا مسامعنا علماً وحكمة ، قال أولهم : لي لي لي ، فقال الآخر لي ولك لي ولك ، فقال الآخر كذا ، ومثل ذلك بمتناظرين ، وجعل يقرر ذلك حتى قضى المجلس كله بأنواع من الحكم واللطائف والأسرار ، وهذا من أعجب ما يتحف الله به أولياءه ، فقد غيّبَهُ الله عن صورتها الباطلة وأشهده سره الباطن فيها .

وفي كل شيء له آيـــــة تدل على أنه واحد (10)

وإما أن ذلك يوافق حالة له جمالية تحضر في الوقت ، ومن هذا المنبع يقع الطرب وما يشهد من حالات أهل الوجد .

وإما أنه يكون قطباً فتناسبه النوبة الملوكية .

وقـــل لملوك الأرض تجهد جهدها فذا المُلْكُ ملْكٌ لا يباع ولا يهدى

لله الأمر من قبل ومن بعد

= الظنون » ، والمقري في «نفح الطيب» (2 : 242) ، وهو الذي عناه زروق في « قواعده » إذ قال : « . . . للعامي تصوف حوته كتب المحاسبي ، وللفقيه تصوف رامه ابن الحاج في « مدخله » وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربي في « سراجه » . . . » .

(10) البيت لأبي العتاهية ، وهو الآخر من أبيات خمسة في ديوانه المطبوع ببيروت ، وقبله :

ألا إننا كلنـــا بــــائد وأي بني آدم خـــالد
وبدؤهم كـــان من ربهم وكل إلى ربـــه عائد
فيـــا عجباً كيف يعصى الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كـــل تحريكـــة وفي كل تسكينة شاهـــد

[محمد الشرقي شيخ تادلا]

ونحو هذا ما يحكى (1)عن سيدي محمد الشرقي التادلاوي وأنه لما وقع له الظهور بعث إليه السلطان أحمد المنصور نفراً من خواصه يختبرون أمره ، فأضمر (2) كل واحد منهم حاجة ، فأحدهم قال : تركت جارية لي مريضة وأريد أن يخبرني بأمرها ، وقال الآخر :أشتهي خبزاً خالصاً ودلاعة (3) وذلك في غير مكان وغير إبان ، فلما انتهوا إليه خرج إليهم في لباس رفيع فقال بعضهم : هذا لباس الملوك فكيف يكون هذا ولياً ؟ فلما استقر المجلس بهم قال للمتكلم : أنا قطب وقتي ، وهذا هو اللباس اللائق بي (4)أو نحو هذا ، وأخبر الآخر عن جاريته وأنها عوفيت ، وكان رجل قد خبأ له دلاعة من الصيف ، فأتاه بها ذلك اليوم ، واستحضر خبزاً على الوصف فقال للمشتهي : تطلبت ما لا يكون فها هو ذا قد جاء الله به .

وحدث أيضاً أن بعض الناس ممن كان مملقاً دوام حياته ذهب إلى سيدي محمد الشرقي المذكور فاشتكى إليه الفقر فقال له : اذهب فقد رفع الله عنك الفقر ، قال : فذكر ذلك للوالد رحمه الله يعني سيدي محمد ابن أبي بكر . فقال : كلام الشيخ لا مطعن فيه ، ولكن يا عجباً أين يذهب الفقر عن فلان ؟

---

(1) في س وحدها : « يحكون » .

(2) في ح : « فأظهر » وهو تصحيف .

(3) في « تاج العروس » ما نصه : « الدلاع كرمان : نبت وأيضاً : البطيخ الشامي بلغة المغرب ، الواحدة بهاء ، وفي تواريخهم : سم مولاي إدريس في دلاعة » .

(4) في ح : « لي » . بدل : « بي » .

فهذا لا بد له من مخرج ، قال فلم يلبث ذلك الرجل أن مات عاجلاً ، فكان ذلك هو ارتفاع الفقر عنه واستراحته منه .

قلت : ومن معنى هذه (5)ما حدثوا عن بعض صلحاء مراكش القرباء العهد أنه جاءه إنسان فقال له : يا سيدي إن الصلاة تثقل علي ، فعسى أن ترفعها عني فقال له <على الفور> (6) <قم> (7)قد رفعها الله عنك ، فلم يقم إلاّ مجنوناً خارجاً عن التكليف ، والله على كل شيء قدير .

وقد شهدت (8)أنا بعض الناس ممن كان ذا رياسة ودنيا فنكب وذهب ماله كتب معي كتاباً إلى أستاذنا الإمام ابن ناصر رضي الله عنه يشكو عليه بما نابه وما تخوف من العيلة والضيعة ، فأجابه الأستاذ بكتاب وفيه : فلا تخشى (9)الفقر ، فاتفق أن مات ذلك الرجل عن قريب ، فكان ذلك راحته مما خاف .

لله الأمر من قبل ومن بعد .

---

(5) كذا في الأصل ، ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : « هذا » مذكراً .
(6) ما بين العلامتين ساقط من س .
(7) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(8) في ح وحدها : « شاهدت » .
(9) كذا بالأصل ، ومثله في س ، والوجه فيه إن جاء رواية أن تكون لا قبله نافية ، ورسم في ك و ح : « تخش » بحذف الآخر على أن لا قبله ناهية .

[القاف المعقودة]

حدثني الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن المرابط الدلائي قال : كنت مع والدي رحمه الله ، وأظنه قال في درب الحجاز نزولاً ، فإذا بعجوز أعرابية مرت بنا (1) وقد رفعت عقيرتها (2) وهي تقول :

حج الحجيج وناقتي معگولة   يا رب يا مولاي حل عگالهـــا

بقاف معقودة على ما هو لغة العرب اليوم ، قال : فقام أبي يهرول وراءها عجباً بما سمع من كلام العرب في غير زمانه .

والظاهر أنها أرادت بالناقة نفسها ، وأنها لم تنشرح لهذا الأمر ، أو أرادت تمثيل حالها في عدم التحرك بحال الناقة المعقولة أو حال من ناقة معقولة .

ومثل هذه اللغة ما حدثني الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري قال : حج بعض الأشراف فلما وقف على الروضة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام قال :

---

(1) في ك : « بهما » .

(2) في « التاج » : « العقيرة ما عقرت من صيد أو غيره فعيلة بمعنى مفعولة ، والعقيرة صوت المغني إذا غنى ، والعقيرة صوت الباكي إذا بكى ، والعقيرة صوت القارىء إذا قرأ ، وقيل : إن أصله أن رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقيل رفع عقيرته » .

إن گيل زرتم بمـــا رجعتم ؟ يا أكرم الرسل (3)ما نگولُ ؟

بالقاف المعقودة ، فسمع من الروضة بتلك اللغة :

گولوا رجعنا بكلّ خير واجتمع الفرع والأصول

لله الأمر من قبل ومن بعد

(3) في ح : « الخلق » بدل : « الرسل » .

[الكسكسون والتداوي بالشيء المعتاد]

وجدت في بعض التقاييد لبعضهم ما معناه: لو رأى أرسطو قدر البرنس(1) في اللباس، والكسكسون (2) في الطعام، والحلق بالموسى، لاعترف للبربر بحكمة التدبير الدنيوي وأن لهم قصب السبق في ذلك ، انتهى .

وقد كتبت الكسكسون بالنون على ما وجدته مكتوباً خلاف ما ينطق به الناس ، وبالنون ، حدثنا الرئيس الأجلّ أبو عبد الله محمد الحاج المتقدم الذكر قال : ذهب رجلان فاضلان من بلاد المغرب ، وأظنه قال : أخوان ، فدخلا بلاد الشام ، فمرض أحدهما وطال به المرض حتى يئسوا منه ، فرأى الآخر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : أطعموه الكسكسون بهذه العبارة . قال : فاستصنعوه له فأكله فبرىء ، وهذا إما خصوصية لهذا الطعام ، أو

---

(1) في الأصل « البرس » وهو خطأ ، وفي ك و س « البرنوس » بالواو بين النون والسين ، وفي الطبعة الفاسية « البرنس » بدون واو وفي « اللسان » : « البرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به دراعة كان أو ممطراً أوجبة ، وفي حديث عمر رضي الله عنه : سقط البرنس عن رأسي ، الجوهري : البرنس قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام ، وقد تبرنس الرجل إذا لبسه ، قال : وهو من البرس بكسر الباء : القطن والنون زائدة ، وقيل إنه غير عربي » ، ومثله في « التاج » ولم يذكر كلاهما « البرنوس بمد النون » .

(2) في « تذكرة الانطاكي » ما نصه : « كسكسو : اسم بالمغرب لما يرطب من الدقيق بنحو السمن ويفتل مستديراً ثم يعطى فوار الماء ويعرق بأمراق اللحم ، وأجوده المأخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تفويره ، وهو جيد الخلط كثير الغذاء ، إذا أكل بالعسل أو السكر سمن الأبدان القضيفة ، وولد الدم الجيد ، وينبغي لمن به الريح ألا يأكله بخضر ولا بدون العسل ، وللمحرور أن يأكله بالخضر ، ولا يكثر من دهنه ، ومتى أكل على الشبع ولد السدد والتخم » .

بذكره صلى الله عليه وسلم ، فيثبت له الشرف ، ويستدرك بذلك ما فاته من كونه لم يأكله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وإما من باب ما تقرر من أن دواء الجسم عادته .

وقد دخلنا مدينة فاس – حرسها الله – عام (3) تسع وسبعين وألف فأصابني إسهال مفرط ، وطال <بي> (4) وكان الطبيب يعتني بأمري ، فلم يترك دواء يستحسنه إلاّ صنعه (5) لي ، فلما لم يفد ذلك أرسل في غيبة مني إلى عيالي يقول لهم : انظروا إن كان <ثم> (6) من الطعام ما يعتاده في بلده فأطعموه ، فذكروا الأقط (7) واصطنعوا عليه طعاماً فأكلته فعافاني الله تعالى .

وقد أصابني مرة أخرى ذلك فدخلت على السلطان رشيد ابن الشريف ، وكان يكرمني ويجلني ، فرأى تغيراً في وجهي ، فسألني فأخبرته فقال : وماذا صنعت من علاج ؟ فقلت له : إن الطبيب يصنع لي شراب (8) الريحان . فتضاحك ثم (9) قال : سبحان الله ! ما لنا ولشرب الريحان ؟ وأين عهدناه (10) ؟

---

(3) في س : « سنة » .

(4) ما بين العلامتين ساقط من س .

(5) في س : « وصنعه » مع الواو .

(6) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(7) في « مصباح الفيومي » : « الأقط » يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل ، وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها » .

(8) في « تذكرة الأنطاكي » : « الأشربة من التراكيب القديمة المعتبرة ، والقانون في طبخها أن يؤخذ الماء مما له ماء كالليمون ، وعصارة ما ليس له ماء كالحماض ، ويطبخ ما صلب كالتفاح » ثم ذكر أصنافاً من الأشربة دون أن يذكر فيها شراب الريحان الذي تسمى به أنواع كثيرة من الأحباق .

(9) في ك : فقال » .

(10) كذا بالأصل ومثله في س و ك ، لكن ناسخ ك عاد فجعلها « عهدته » في الطرة ، وفي ح « عهدته » بضمير المفرد .

خذ سويق (11)الشعير واخلطه (12)بالماء فذلك دواؤه ، ثم ضحك فقال : هذه مثل قصة العمراني الشريف ، بات في ملوية عند بني فلان فجعل يقول : أعندكم شيء من شراب (13) رمانتين ؟

وهذا أعني التداوي بالشيء المعتاد ، ولو في الأعراق (14)أمر شهير واضح ، وقد ذكره ابن الحاج (15)رضي الله عنه في « المدخل » (16)وذكر قصة الملك النصراني الذي مرض فأعيا الأطباء علاجه حتى جاء بعض أهل الخبرة فسأل أمه وقال : إن أردت أن يعافى ابنك فاصدقيني عنه ، فقالت : نعم ، كان أبوه عقيماً ، فلما خفت ذهاب ملكهم مكنت أعرابياً كان عندنا من نفسي ، فهو أبو الملك ، فقال الرجل على الفور : علي بحوار (17)فجيء

---

(11) في « تذكرة الأنطاكي : « سويق : في الحبوب يراد به ما جود تحميصه وطحنه ثم غسل دفعة بماء حار وأخرى ببارد ليزول ما اكتسبه في القلي من اليبس والحرارة ، وغاية أسوقة الحبوب قوت المنقطمين وسكون اللهب والعطش والحميات ، وسويق الشعير غاية في غالب أمراض الأطفال ، وفي الفواكه ما جفف وسحق بعد قليه ، وغايته قطع الإسهال المزمن والحرارة والحرقة والخشونة وطغيان الدم خصوصاً سويق النبق والتفاح » .

(12) في ك و س : « واختلطه » وهو خطأ .

(13) في « تذكرة الأنطاكي » : « شراب الرمان الحامض يسكن المرار ويقوي المعدة ويقطع الإسهال والدم » .

(14) جمع عرق بكسر العين وسكون الراء ،وهو أصل الشيء وما يقوم عليه ، وأراد به أصوله من الآباء والأجداد .

(15) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري التلمساني المالكي الشهير بابن الحاج الفاسي من العلماء العاملين توفي سنة 737 هـ .

(16) هو « كتاب المدخل » ، أو « مدخل الشرع الشريف » كشف فيه عن المناكر والبدع التي يأتيها الناس متساهلين مترخصين وقد طبع « المدخل» بالإسكندرية في ثلاثة أجزاء عام 1291 هـ ثم طبع ثانية عام 1320 هـ .

(17) في « القاموس » ما نصه : « الحوار بالضم وقد يكسر ولد الناقة ساعة تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه » .

به وذبح وشوي قدامه وهو يشم رائحته ، فكان ذلك بإذن الله تعالى سبب برئه .

وهذا من العجب ، فإن هذا الملك الظاهر أنه ما أكل قط لحم الجمل ، وإنما العروق نزعته (18) فكيف بمن اعتاد أكل الطعام وربا عليه جسمه .

ومن أظرف ما وقع في هذا ما حدثني به الطبيب المذكور ، وهو الفاضل أبو عبد الله محمد الدراق (19) الفاسي ، قال : <كنت> (20) دخلت طنجة بقصد ملاقاة الأطباء ورؤية الشخص الذي صوّروه لتعلّم التشريح معاينةً ، قال : فكان بعض أطباء الروم هنالك يعجب من أكلنا الكسكسون المذكور ويضحك منا ويقول : إنما تأكلون العجين في بطونكم ، قال : فبينما نحن كذلك إذ دخلت عليه يوماً فوجدته عند رأس مريض محموم شديد الحمى وهو يسقيه الخمر ، قال : فقلت له : ما هذا الذي تصنع أنت ؟ وأي مناسبة بين الخمر والحمى والكل في غاية الحرارة ؟ فقال : إنها لن تضره لاعتياده لها ، فإنه قد كان يرضعها من ثدي أمه ، وهو طفل صغير ، قال فقلت له : سبحان الله ! ونحن هكذا كنّا نرضع ما تنكر من الكسكسون من ثدي أمهاتنا ونحن صغار ، فأي شيء يضرنا ؟ فقال : صدقت ، ولم يجد ما يقول .

ومن هذا المعنى اختلفت طباع (21) الناس في الطعام باختلاف الإلف والعادة ، فكلّ يستمرىء ما يألفه من الطعام ويشتهيه ويعاف الآخر ، قال

---

(18) أراد أنه أشبه أصوله وعاد بأحواله إليها وضرب إليها بالشبه، وجاء في الأثر : « انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس » .

(19) كذا في المخطوطات الثلاث ، وهو ما في الطبعة الفاسية أي بألف ولام فدال فراء بعدها ألف فقاف في الآخر هكذا : « الدراق » والمعروف فيه « أدرق » بهمزة مفتوحة بعدها دال مفتوحة مخففة من بعدهما راء مشددة فألف فقاف ؛ وليحرر ما يصح فيه .

(20) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(21) كذا في الأصل ، ومثله في س ، أما ك ففيها : « طبائع » وهو ما في صلب ح .

صلى الله عليه وسلم في الضب : « إِنَّهُ لَيْسَ بِأَرْضِ قَوْمِي فَتَجِدُنِي أَعَافُهُ » (22). فعلل ذلك بكونه ليس في أرضه .

ودخلت في أعوام الستين وألف مدينة مراكش عند رحلتي في طلب العلم وأنا إذ ذاك صغير السن ، فخرجت يوماً إلى الرحبة أنظر <إلى> (23) المداحين ، فوقفت على رجل مسن عليه حلقة عظيمة ، وإذا هو مشتغل بحكاية الأمور المضحكة <للناس> (24) . فكان أول ما قرع سمعي منه أن قال : إجتمع الفاسي والمراكشي والعربي والبربري والدراوي فقالوا : تعالوا فليذكر كل منا ما يشتهي من الطعام ، ثم ذكر ما تمناه كل واحد بلغة بلده ، وما يناسب بلده ، ولا أدري أكان ذلك في الوجود أم شيء قدره ، وهو كذلك <يكون> (25) ، وحاصله أن الفاسي تمنى مرق الحمام ، ولا يبغي الزحام ، والمراكشي تمنى الخالص واللحم الغنمي ، والعربي تمنى البركوكش بالحليب والزبد ، والبربري تمنى عصيدة انلي وهو صنف من الذرة (26)

---

(22) في موطأ الإمام مالك ما نصه : « حدثني مالك عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد الله بن عباس عن خالد بن الوليد بن المغيرة أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأتي بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة : أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريد أن يأكل منه ، فقيل : هو ضب يا رسول الله ، فرفع يده فقلت : أحرام هو يا رسول الله ؟ فقال : لا . ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه ، قال خالد : فاجترته فأكلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر » .

(23) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(24) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(25) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(26) في ك و س و ح : « الدرة » بدال مهملة وهو تصحيف .

بالزيت . والدراوي تمنى تمر الفقوس في تجمدرت (27)وهو موضع بدرعة يكون فيه تمر فاخر ،مع حريرة أمه زهراء ، وحاصله تمر جيد وحريرة .

ولو عرضت هذه الحريرة على العربي لم يشربها إلاّ من فاقة ، إذ لا يعتادها مع الاختيار ، ولو عرضت العصيدة على الفاسي لارتعدت فرائصه من رؤيتها ، وهكذا .

وأغرب شيء وقع في أمر الاعتياد ما حكي في جارية الملك الهندي مع الاسكندر <فإن الاسكندر> (28)لما دوّخ الملوك واستولى على الأقاليم احتال بعض ملوك الهند في هلاكه ، وكانت عنده جارية بديعة الحسن كاملة الأوصاف ، فجعل يغذيها بالسموم ، ويتلطف لها حتّى اعتادت ذلك ، ثم تناهت إلى أن تطبعت بذلك وصارت مسمومة ، فأهداها للإسكندر ، وقصد بذلك أن يمسها فيهلك ، وهذا غريب .

وقد ذكر الأطباء هذه الحكاية فاستغربوا شأنها ، وقد ذكرنا في اختلاف البلدان مع اختلاف طبائع الناس بها فيما مر ما يقرب من هذا المعنى ويرشحه .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(27) رسمت الكلمة في الأصل بتاء مثناة من فوق ، بعدها جيم منقوطة بثلاث من فوق ، فميم ، فدال ، فراء ، فتاء مبسوطة في الآخر ، ومثله في ح ، ولكن الجيم فيها نقطت بواحدة من أسفل ، فأما ك و س ففيهما « تمجدرت »بتقديم الميم على الجيم ، والجيم في كبثلاث من تحت ، وهي في س بواحدة من أسفل ، ثم ليحرر ما يصح فيه .

(28) ما بين العلامتين سقط من س .

[الدنيا وما فيها عرض زائل]

من كلامهم : ما أدري أسلم أو (1)ودع ،وهو <مذكور> (2) في قِصَرِ الزيارة ، ونحوه قولهم : ما سلم حتى ودع ، وقال فيه الشاعر (3) :

بأبي من زارني مكتتما خائفاً من كلّ حسٍّ (4)جزعا
حَذِراً نَمّ عليه نُورُه(5) كيف يُخفي الليل بدراً طلعا
رصد الخلوة (6) حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
كابد الأهوال في زورته ثمّ ما سلم حتى ودعا

وقال العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم ؟ فقرنّا وداعهم بالسؤال
ما أناخوا حتى ارتحلنا فما نفْـ ـرِقُ بين النزول والتّرحال

وقال محمد بن أمية الكاتب :

---

(1) فيك : « أم » .
(2) ما بين العلامتين ساقط من س .
(3) هو أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم المعروف بالعكوك (بفتح العين والكاف بعدهما واو مشددة مفتوحة) من فحول الشعراء في العهد العباسي ، مات مقتولا سنة 213 هـ والشعر نسبه إليه الخلكاني في « وفياته » (3 : 35) .
(4) رواية ابن خلكان : «شيء » .
(5) رواية ابن خلكان : « حسنه » .
(6) في ح : « الغفلة » ومثله عند ابن خلكان .

يا فراقاً أتى بعقب فــراق | واتفاقاً جرى بغير اتفــاق
حين حطت ركابهم لتــلاق | زفت العيس منهم لانطلاق
إن نفسي بالشام إذ أنت فيها | ليس نفسي نفسي التي بالعراق
أشتهي أن ترى فؤادي فتدري | كيف وجدي بكم وكيف احتراقي

وقال الحسين (7) بن الضحاك :

بأبي زور تلفت لـــــه | فتنفست عليه الصُّعَدا (8)
بينما أضْحكُ مسروراً به | إذ تقطعت عليــه كمدا

وكنت خرجت ذات مرة لزيارة أقاربي فلقيت أختاً لي ، فبنفس ما سلمت عليّ جعلت تبكي ، فقلت لها : ما يبكيك ؟ أليس هذا وقت سرور (9) وفرح ؟ فقالت : ذكرت يوم فراقك ، فقلت في ذلك :

---

(7) بالأصل «الحسن» وهو كذلك في ك و س و ح ، ولعل الصواب فيه الحسين بلفظ التصغير ، وهو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي ، شاعر عباسي عرف بلقب الخليع ، وبشأنه يقول ابن المعتز في كتابه « طبقات الشعراء » : « هو أحد المفتنين في الشعر ، جيد المدح ، جيد الغزل ، جيد الهجو ، كثير المجون ، صاحب جد وهزل ، وهو عندهم في بحار أبي نواس ، بل هو أنقى شعراً وأقل تخليطاً منه» . وقال عنه الخلكاني في « وفياته » : « اتصل في مجالس الخلفاء إلى ما لم يتصل إليه إلا إسحاق بن إبراهيم الموصلي النديم ، فإنه قاربه في ذلك أو ساواه ، وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته ، وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين وقد قارب مائة سنة » .

(8) في « اللسان » : « الصعداء بالضم والمد تنفس ممدود ، وتصعد النفس صعب مخرجه ، وهو الصعداء ، وقيل : هو النفس إلى فوق ممدود وقيل : هو النفس بتوجع ، وهو يتنفس الصعداء ويتنفس صعداً » . وبعض كتابنا اليوم يستعمل العبارة المذكورة بمعنى انفراج الغم وزوال الكرب ، فتصبح على عكس ما كان يراد منها في العربية الصحيحة .

(9) كذا بالأصل وهو ما في ك و س أما ح ففيها : « وبرور » بدل : « وفرح » .

ومحزونة بالبين طال بها الجوى علينا وشوق بالجوانح لداغ (10)
تبيت وجفنـاها يباريهما الحيـا وما تحت جنبيها من الفرش لداغ (11)
إلى أن تسخى الدهر بالوصل بيننـا ولاح ضياء للمسرات بـزاغ
فلما انقضى التسليم ما بيننا بكت وفاض لها دمع من العين نشاغ (12)
فقلت : ألم يأنِ السرور ولم يـدر شراب للقيان الأحباء سواغ
فقالت : تذكرت الفراق غداً فذا لقلبي عن تلك المسرات صداغ (13)
فيـا لك من حزن يباري مسرة بسهمين كل في المناضل (14) بلاغ

---

(10) كذا بالأصل وشكلها الناسخ بفتح اللام فكانت صيغة مبالغة من اللدغ الذي هو العض بالفم والأنياب وفي ك : « لذاغ » ، بذال معجمة وهو تصحيف لأن الذال والغين المعجمتين لا يتجاوران في اللسان العربي قال صاحب « التاج » من مادة « لدغ » « قال شيخنا : واللدغ للحارات كالنار ونحوها ، ومن جوز إعجام الذال مع الغين المعجمة في معناه فقد وهم لما علم أن الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة عربيـة » وفي س لداغ كالذي في الأصل ولكن أكنسوس كتب على الطرة بخط يده إصلاحاً هذه عبارته : « لواغ – يقال : لاغه إذا لزمه » فلداغ عنده بالدال تصحيف من لواغ بالواو .

(11) شكل ناسخ الأصل اللام من لداغ هذه بالضم شكل قلم ، وأراد بذلك أن يبين للقارىء أن قافية البيت الأول تختلف عن قافية البيت الثاني لفظاً ومعنى فيكون الشعر سالماً من الإيطاء ، أما لدغ على ما شكله الناسخ فقد فسره الزبيدي في التاج « فقال : « قال ابن عباد : اللداغ كزنار الشوك وطرفه المحدد » . وهم يقولون فيمن ينبو به الفراش كأنه ينام على الشوك ، وفي معنى ذلك ما قال النابغة :

فبت كأن العائدات فرشن لي هراساً به يعلى فراشي ويقشب

(12) كتب أكنسوس على طرة مخطوطته بخط يده : « نشغ الماء إذا سال » . وفي « التاج : « نشغ الماء في الأرض كمنع سال » .

(13) في طرة س بخط أكنسوس ما نصه : « يقال صادغه إذا عارضه » . وفي « اللسان » « صدغه عن الأمر يصدغه صدغاً صرفه يقال : ما صدغك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه وردك » وصداغ هنا فعال من ذلك .

(14) كذا بالأصل ومثله في ك و ح أما س ففيها وحدها : « المناظر » بدل المناضل .

ويـــا لك من نعمى ببؤسى مشوبة   كماشاب محضاًبالدمالمور (15) نساغ (16)
بل الشر في الدنيا على المرء صائل   لجوج عليه الدهر والخير رواغ
على أن لطف الله للعسر دامــغ   كما الحق منه للأباطيل (17) دماغ

واعلم أن أمور الدنيا مشوبة خيرها بشرها ، وحلوها بمرها ، ثم هي متبدلة <متغيرة> (18) لا تكاد تثبت في حد ، ولا تقف على مركز ، وحكمة ذلك شيئان :

أحدهما أن الدنيا لما جعلت مقدمة للآخرة يقع فيها الاستعداد لدخول الجنة والنجاة من النار جعلت مظهراً لما هنالك من نعيم وعذاب ، ودالة عليه ، ومذكرة له ، وقاضية بالترغيب والتنفير ، فلم تجعل خيراً محضاً ، وإلاّ نسي العذاب ، ولا شراً محضاً ، وإلاّ نسي النعيم ، وأيضاً جعلت دالة على أوصاف الرب المنشىء لها ، سبحانه ، من جمال وجلال لتحصل المعرفة لعباده ، وهذا كله كلام واسع الذيل لو بسطناه ، والإشارة تكفي .

الثاني أنها حادثة حادث ما فيها ، وشأن الحادث أن يتبدل من عدم إلى وجود ، ومن وجود إلى عدم ، ذاتاً وصفة وحالاً ، ومكاناً وزماناً ، فلزم

---

(15) كذا بالأصل وهو ما في ك و س أما ح ففيها : « النزر » بدل المور وكتب أكنسوس في طرة س بخط يده ما نصه : « مار الدم جرى موراً كأنه وصفه بالمصدر مبالغة كزيد عدل » .

(16) في المخطوطات الثلاث وفي ح : « نشاغ » بشين معجمة وهو على ما يبدو تصحيف صوابه : « نساغ » بسين مهملة وكذلك رآه أكنسوس فكتب بخط يده على طرة مخطوطته ما نصه : « نساغ – يقال نسغ اللبن بالماء إذا مذقه » . وفي « مقاييس ابن فارس » : « النون والسين والغين أصل يدل على غرز شيء بشيء ، ونسغ الخبزة غرزها بريش الطائر ، ونسغت الواشمة اليد بالإبرة ، ثم يقولون : نسغت الدابة برجلي ليثور ، ثم يتوسعون فيه فيقولون : « نسغت اللبن بالماء مذقته » .

(17) كذا بالأصل ومثله في ك و س وفي ح وحدها : الأباطل » بدون الياء .

(18) ما بين العلامتين ساقط من ك .

من ذلك التحول من عز إلى ذل . ومن غنى إلى فقر ، ومن اجتماع إلى افتراق . ومن ارتفاع إلى اتضاع . ومن سرور إلى حزن ، ومن صحة إلى سقم ، وبالعكس في الجميع إلى غير ذلك .

وفي الحديث : كانت العضباء . وهي ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ، معروفة لا تسبق . فجاء أعرابي على قعودٍ (19)فسبقها ، فقالوا ، سبقت العضباء . وشق ذلك على المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنّ اللهَ لَنْ (20) يَرْفَعَ شَيْئاً مِنَ الدّنْيَا إلاّ وَضَعَهُ » .

وقد جاء رجل إلى بعض الوزراء فقال له : إني رأيتك فيما يرى النائم طالعاً على رأس نخلة أو شجرة ، ورأيت فلاناً يعني وزيراً آخر كان يساميه في المرتبة أنه شرع في الطلوع ولم يصل بعد إلى أعلاها ، وأراد بذلك أن يبشر الوزير ليستجديه (21)فقال له الوزير ، وكان ذا فطنة : يا أخي اذهب إلى فلان ليعطيك ، فإنه في الزيادة ، وأما أنا فقد انتهيت ، وليس بعده إلاّ الانحطاط .

---

(19) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « القعود ذكر القلاص ، وهو الشاب ، قيل سمي بذلك لأن ظهره اقتعد ، والجمع قعدان بالكسر » .

(20) كذا في الأصل ، ومثله في ح ، أما ك و س ففيهما : « لم » بدل : « لن » .

(21) في الأصل «ليستجذيه» بذال معجمة ، وكتب على طرتها ما لفظه وخطه « عله بالزاي ليستجزيه : اللهم إلا إذا كان من الجذوى » . (كذا بالذال المعجمة وبألف التأنيث المقصورة) ، وهذا الذي في الأصل هو الذي في مخطوطة أكنسوس ، ومن العجيب أنه كتب عليه بخط يده علامة « صح » وفي الكتانية : « ليستجزيه » بالزاي أما الفاسية ففيها : « ليستجديه » بدال مهملة أي يطلب جدواه وهو الذي طبعنا عليه .

وقد أذكرتني [هذه الحكاية] (22)حكاية أبي عبد الله (23) وزير المهدي ، وكان متمكناً في منزلته عنده ، ثم إن الخليفة زاره في داره ذات مرة ، وكانت زيارة الخليفة لخواصه في عرفهم ليس فوقها درجة تطلب ، فلما همّ بالانصراف أخذ الوزير يدفع (24)له من نفائس الذخائر ما يليق بتجهيزه ، ثم جعل يبكي . فقال الخليفة : ما يبكيك ؟ لقد علمت أن فيك بخلاً تسميه حزماً ، فإن كان بك ما أعطيت أعفيناك منه . فقال أبو عبد الله : والله ما بكيت للمال . وللدنيا كلها أحقرُ شيء في حقك ، ولكن علمت أن زيارتك لي درجة ليس فوقها درجة ترام ، فأخاف الآن من السقوط . فلما رأى ذلك أشفق وأعطاه من العهود والمواثيق أن لا يغدر به . ولا يسمع فيه قول قائل ما (25)اطمأن به . فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى سعوا فيه . فنكب . وقصته (26)مشهورة ، والعامة يقولون :

---

(22) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

(23) هو يعقوب بن داوود بن عمر بن عثمان بن طهمان السلمي ، كان أبوه داوود كاتباً لنصر بن سيار عامل خراسان في أواخر الدولة الأموية ، وكتب هو لإبراهيم بن عبدالله ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي الذي خرج هو وإخوته على دولة بني العباس ، حتى إذا كانت خلافة المهدي تقرب يعقوب هذا منه ، فنال عنده حظوة ، وكبرت منزلته حتى اتخذه أخاً له . وكتب بذلك كتاباً يعلم فيه أنه آخى بينه وبين يعقوب ، ففي ذلك يقول سلم الخاسر :

قل للإمام الذي جاءت خلافته ... تهدى إليه بحق غير مردود
نعم القرين على التقوى أعنت به ... أخوك في الله يعقوب بن داوود

ثم استوزره وفوض إليه شئونه ووكل إليه كل هام من أمور الخلافة، وأقبل هو على متعه وملذاته ، فقال في ذلك بشار يحرض عليه :

بني أمية هبوا طال نومكم ... إن الخليفة يعقوب بن داوود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناي والعود

(24) في ك : « يرفع » بالراء .

(25) في ح : « فأطمأن » وهو تحريف .

(26) ذكر القصة ابن الطقطقى في كتابه المسمى « بالفخري في الآداب السلطانية » فقال : =

ثلاثة ليس لهـــا أمـــان البحر والسلطان والزمان

وفي هذا المعنى الذي نحن فيه قيل (27) :

توقى البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان وهي كوامل

وإذا كانت الدنيا وما فيها عرضاً زائلاً لا ثبات له فلا ينبغي لعاقل أن يتبجح بخيرها ولا أن يجزع من شرها . بل إذا كان حلوها تتوقع بعده المرارة ومرها ترجى (28) بعده الحلاوة فقد صار حلوها مراً <ومرها حلواً> (29) وإذا كان المفروح به منها لا يبقى فهو بصدد أن يكون محزوناً عليه قل أو كثر . فكثرة الفرح بها إذن مقدمة كثرة الحزن . فلا ينبغي أن يتلفت إليه. وقال الشاعر :

= « حدث يعقوب بن داوود قال : «استدعاني المهدي يوماً وهو في مجلس في وسط بستان ، وبين يديه جارية ، فقال : « كيف ترى هذا المجلس ؟ قلت : في غاية الحسن ، فهنأ الله أمير المؤمنين ، قال : فهو لك وجميع ما فيه ، وهذه الجارية ، فدعوت له ، قال : ولي إليك حاجة، قلت : أنا عبدك الطائع ، فدفع لي رجلا علوياً وقال : أحب أن تكفيني أمره ، فقلت : السمع والطاعة ، ثم نقل جميع ما كان بالمجلس إلى منزلي والجارية أيضاً ، فمن شدة سروري بالجارية جعلتها في موضع قريب من مجلسي ، وأدخلت العلوي إلي وخاطبته فقال لي : تلقى الله بدمي وأنا ابن علي وابن فاطمة ؟ فقلت : لا والله ، خذ هذا المال وانج بنفسك ، والجارية تسمع كل ذلك ، فأرسلت دسيساً أعلمه بالقصة ، فأرسل المهدي وشحن الدروب بالرجال حتى حصل على العلوي وجعله في بيت قريب من مجلسه ، ثم استدعاني فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قلت : قد أراح الله منه ، قال : مات؟ قلت : نعم ، قال : بالله ، قلت: إي والله ، فقال لبعض الخدم : اخرج إلينا من في هذا البيت ، فأخرج العلوي فقال : قد حل دمك ، احملوه إلى المطبق . . . » وانظر بقية القصة في « الفخري » (ص 137 – 138) وانظرها أيضاً في « وفيات الخلكاني » (6 : 22 – 23) .

(27) البيت لأبي العلاء المعري من قصيدته السقطية التي مطلعها :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقـــدام وحزم ونائل

(28) في ح : « ترجع » بدل : « ترجى » .

(29) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

على قدر ما أولعت بالشيء حزنه ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

وقال الآخر (30) .

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا
فإن صلاح المرء يرجع كله فساداً إذا الإنسان جاز بهالحدا

وفي « الحكم العطائية (31) : ليقلّ ما تفرح به يقل ما تحزن عليه (32) وذكر شارحها ابن عباد (33) رضي الله عنه أنه حمل لبعض الملوك قدح من فيروزج (34) مرصع بالجواهر لم يُرَ له نظير ، ففرح الملك به فرحاً شديداً ،

---

(30) في « ثمار القلوب » للثعالبي : « قال بعض الفلاسفة : القنية ينبوع الأحزان ، وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره ألا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا »

(31) تقدم التعريف بها .

(32) كتب الشيخ زروق في شرحه على الحكم بإزائه ما نصه : « وليكثر ما تفرح به يكثر ما تحزن عليه ، لأن الحزن بالفقدان على قدر الفرح بالوجدان » .

(33) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي نسبة ، الرندي مولداً ، المالكي مذهباً ، الشاذلي طريقة ، ولد برندة سنة 733 هـ وارتحل إلى تلمسان وطنجة وسلا ، وبها لقي ولي الله ابن عاشر المرسي فلازمه وأخذ عنه ، وتلقى منه الطريقة الشاذلية ، ثم ارتحل بعد وفاته إلى فاس فأقام بها وتولى إمامة القرويين وخطبته وبقي بها إلى وفاته التي كانت سنة 792 هـ . أما شرحه عليها فاسمه : « غيث المواهب العلية ، في شرح الحكم العطائية » وهو مطبوع ، وآخر طبعاته تلك التي صدرت عن مطبعة السعادة بالقاهرة في جزأين بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف سنة 1970 م .

(34) تكلم عنه ابن الأكفاني في كتابه « نخب الذخائر ، في أحوال الجواهر » فقال : « القول على الفيروزج : « اسمه بالفارسية « النصر » ولذا يسمى حجر الغلبة ، ويسمى أيضاً : « حجر العين » لأن حامله يدفع عنه شرها ، والمشهور عنه أنه يدفع الصواعق ، وهو حجر =

فقال لبعض الحكماء عنده : كيف ترى هذا ؟ فقال : أراه مصيبة وفقراً ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : إن انكسر مصيبة [لا جبر لها] (35)وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجد مثله ، وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر ، فاتفق أن انكسر القدح يوماً فعظمت مصيبة الملك فيه وقال : صدق الحكيم ، ليته لم يحمل إلينا (36) ، وقال الشاعر (37) :

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره　　فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة　　وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وفي « الحكم » أيضاً : إن أردت أن لا تعزل فلا تتولَّ ولاية لا تدوم لك . وهذا صادق في الولاية نفسها ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم فيها : « نِعْمَتِ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ » وفي غيرها من كل ما يتناوله الإنسان من الدنيا زائداً على قدر الضرورة أو يصحبه من أهلها ، فكل ذلك لا يخلو من علاقة بالنفس ، ثم هو لا يدوم إما أن تفارقه أو يفارقك ، فمآله إلى الحسرة والأسف .

= أزرق أصلب من اللازورد ، يجلب من أعمال نيسابور ، وكلما كان أرطب فهو أجود ، قال أبو الريحان : أعظم ما وجد من الفيروزج وزن مائة درهم ، ولم يوجد من الخالص منه غير المختلط بشيء غيره إلا وزن خمسة دراهم ، وبلغت قيمته مائة دينار ، قال ابن زهر : إن الملوك تعظم هذا الحجر لأنه يدفع القتل عن صاحبه ، ولم ير في يد قتيل قط ، ولا في يد غريق ، وإذا شرب منه نفع لدغة العقرب » .

(35) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن ك فأضفناه رواية عن س و ح .

(36) هذه الحكاية التي أوردها اليوسي هنا توجد بالنص في « غيث المواهب العلية » ، بطبعته المشار إليها قبلا (ج 2 ص 117) .

(37) في مجالس ثعلب (1 : 209) بتحقيق عبد السلام هارون : « أنشدنا أبو العباس قال : أنشدنا عبد الله بن شبيب :

فمن يحمد الدنيا حسن بلائها　　. . . . . البيتين » .

والبيتان في « شرح الشريشي على المقامات » (1 : 86) بدون نسبة .

وكنت في سفرتي إلى السوس الأقصى لقيني فقير من شبانة فصحبني أياماً قلائل وأنس بي ، فلما بلغنا المحل ودعته فرأيته يبكي على فراقي ، وسمعته يقول : لا تعرف أحداً، ويكرر هذا الكلام ، أي إذا كنت أيها العاقل تعلم أن الذي دخل في قلبك سوف تفارقه فيتألم قلبك عليه فلا تسع في دخول أحد فيه بمعرفتك له ، ولا تعرف أحداً ، واترك قلبك خالياً مستريحاً .

رأى الأمر يُفضي إلى آخرٍ فصير آخره أوّلا(38)

وهذا كله من واد واحد والكلام فيه يتسع .

نعم إن أمكنك أن تدخل في قلبك من لا يخشى عليه الزوال والهلاك والفناء فافعل ، وليس ذلك إلاّ الحق تعالى ، فمن أحبه فهو جدير أن يدوم محبوبه ، ومن أنس به فهو جدير أن يدوم أنسه، ومن استعز به دام عزه ، ومن استغنى به دام غناه ، كما قيل :

ليكن بربّك عز نفْـ سك يستقرّ ويثبت
وإن اعتززت بمن يمو ت فإن عزّك ميت

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(38) البيت لمحمود بن حسن الوراق شاعر الحكم والمواعظ وقبله :

يمثل ذو اللب في نفسه مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه لما كان في نفسه مثلا
رأى الهم يفضي إلى آخر فصير آخره أولا

والأبيات في « عيون الأخبار » (3 : 53) .

[المقامة « الحافظة »]

دخلت مدينة فاس – حرسها الله تعالى – سنة تسع وسبعين وألف ، إذ خربت الزاوية البكرية ، فأقبلت طلبة العلم للأخذ عني ، وتخلفت جماعة من المشاهير ، وهم أو جلهم محتاجون إلى المجلس، وكأنهم غلبهم ما هو المألوف من الطبع الآدمي في أمثالهم ، وكنت آنست ذلك فيهم ، فاتفق أن خرجنا لزيارة صلحاء الساحل ، فلما انتهينا إلى مقام الشيخ أبي سلهام جلسنا على شاطىء البحر :

في عشيّ كـأنّما اختلستـه ... من نعيم الفردوس نفحة لطف
قد قطفنا به جَنَى جَنَّتَي أنـ ... ـس وعلم أشهى اجتذاب وقطف
وارتضعنا ألذ من كأس وصل ... بعد هجر من ذي وداد وعطف
ولقد كان في الحشا جذوةُ الوجـ ... ـد فكان منهُ لذلك مطف

فحصل للنفس ارتياح وانبساط ، وتجدد لها عزم ونشاط ، فكتبت ارتجالاً ما صورته :

حافظة لما انقدح في الفكرة (1)من الشعر ، أذكره بحسب ما اتفق غثاً

---

(1) كذا هو في الأصل بهاء التأنيث ، ومثله في س ، وهو ما في صلب ك ، ولكن ناسخها كتب على طرتها : « الفكر » بدون هاء التانيث ، وكتب فوقه خاء علامة على أنه رواية نسخة أخرى ، أماح ففيها : « الفكر » مذكراً ، وبه تستقيم أولى سجعات المقامة الحافظة .

وسميناً ، <ورخيصاً وثميناً> (2)وجداً وهزلاً ، وصدقاً وإزْلاً (3).
حتى إذا آن لمضروبه (4)الترويج ، وبلغت بناته أوان التزويج ، دفع الخالص الإبريز ،وأحظيت(5)الحسان بالتبريز ، وكان الردي (6)أولى أن يكسر أو يعطل ، والدميمة (7)منه أحق أن تُوأدَ أو تعضل (8)، هذا وليت شعري : ماذا أكتب اليوم ؟ وقد ضاع أكثر شعري :

ليالي كان القلب في موكب الهوى على متن يعبوب(9)من اللهو سابق
وكان الشباب الغضّ فينانَ مُورقاً فكانت رياض الغيّ أزهى الحدائق

وللنّفسُ إذ ذاك أقدر على القيل والقال ، وأعرف بالسحر الحلال ، فكنت إذ ذاك أقول الفذ (10)والنتفة والقصيدة عن نشاط إلى القول وارتياح

---

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) في « صحاح الجوهري » ما نصه : « الإزل بالكسر الكذب ، وأنشد يعقوب :

يقولون إزل حب ليلى وودها وقد كذبوا ما في مودتها إزل

(4) في « اللسان » ما لفظه : « ضرب الدرهم يضربه طبعه ، وهذا درهم ضرب الأمير ، ودرهم ضرب ، وصفوه بالمصدر ، ووضعوه موضع الصفة ، كقولهم : ماء سكب وغور » اهـ . منه. وكان المكان الذي تطبع فيه الدراهم والدنانير يسمى دار الضرب .

(5) في ك و س : « أحضيت بضاد ساقطة ، وهو تصحيف .

(6) في « المصباح » : « ردؤ الشيء بالهمز رداءة فهو رديء على فعيل أي وضيع خسيس ، وردا يردو من باب علا لغة، فهو ردي بالتثقيل » اهـ. والرديء أو الردي من الدراهم والدنانير المغشوش أو السيء الضرب ، وهو خلاف الجيد ، قال الشاعر :

دراهمنا كلها جيد فلا تحبسنا بتنقــادها

(7) في المخطوطات الثلاث : « الذميمة » بذال معجمة ، وهو تصحيف صوابه بالمهملة ، والدميمة : القبيحة المنظر الصغيرة الجسم .

(8) في « المصباح » : « عضل الرجل حرمته عضلا من بابي قتل وضرب منعها التزويج » .

(9) كتب فوقه أكنسوس بخط يده ما لفظه : « فرس حسن الجري » .

(10) أي البيت الواحد المفرد ، ويسمى أيضاً يتيماً ، وفي كتاب « إعجاز القرآن » للباقلاني (ص 256 – 257 بتحقيق أحمد صقر) ما نصه : « سمعت إسماعيل بن عباد يقول : =

ثم أدع ذلك يذهب مدرج الرياح، ولم أستفق للتقييد، إلا وقد كدت أراهق (11) التفنيد (12) ويقصر من وسواس النفس باطله . ويعرى أفراس الصبا ورواحله (13) .

والقلب يرجو أن ترق شفاره　　وتطول في سبل الهدى أسفاره
ويبين عن شرك الغرور نواره　　وتلوح في رتب العلى أنواره
فيقل في سوق الصبا أوطاره　　ويشط عن وطن الهوى أقطاره

ولعمري إن النفس عند هذا أحق أن يجدّ في طلب الجد جدُّها ، ويقف عند الأهم حدّها ، فتبعد عن قول الشعر بمراحل ، وعن سبل اللهو التي هي له أفراس ورواحل ، ولكن للنفس فرطات ، ولا بد لها أحياناً من سقطات . فمن ذلك قولي :

= سمعت أبا بكر بن مقسم يقول : سمعت ثعلباً يقول: سمعت سلمة يقول : سمعت الفراء يقول : العرب تسمي البيت الواحد يتيماً ، وكذلك يقال : الدرة اليتيمة لانفرادها ، فإذا بلغ البيتين والثلاثة فهو نتفة ، وإلى العشرة يسمى قطعة ، وإذا بلغ العشرين استحق أن يسمى قصيداً » .

(11) في « القاموس » : « رهقه كفرح غشيه ولحقه ، أو دنا منه ، سواء أخذه أولم يأخذه ، ورهاق مائة كغراب وكتاب زهاؤها ، وراهق الغلام قارب الحلم » .

(12) في « أساس البلاغة » : : « فلان مفند ومفند إذا أنكر عقله من هرم وخلط في كلامه ، وقد أفنده الهرم ، وقد فنده صاحبه إذا ضعف رأيه » .

(13) الفقرتان مقتبستان من قول زهير بن أبـي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله　　وعري أفراس الصبـا ورواحله

قال الأعلم الشنتمري في شرح الديوان يوضح معنى قوله : « وعري أفراس الصبا ورواحله » وقوله : « وعري أفراس الصبا » هذا مثل ضربه أي ترك الصبا وركوب الباطل ، وتقدير لفظه : «عري أفراس ورواحل كنت أركبها في الصبا وطلب اللهو » والبيت من شواهد البلاغيين في باب الاستعارة .

ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمي ولا عرفوا جلالة منصبي
لو أنصفوا لصبوا إليّ كما صبا راعي سنين إلى الغمام الصيِّبِ (14)

ثم أثبت في هذه الحافظة ما وقع لي من الشعر في ذلك العهد، وهو مجموع في الديوان (15) فلا حاجة إلى الإطالة به هنا، وإنما الغرض ذكر هذين البيتين الواقعين على السبب الذي ذكرنا قبل، وأظن (16) أن البحتري وقع له شبه هذا الشعر في ذم بغداد، ولكني لم أقف عليه بعد، ولم يطرق سمعي حين قلت ذلك وإنما رأيت بعد ذلك أبا العلاء المعري أشار إلى ذلك منتقداً عليه حيث قال (17) :

ذمّ الوليدُ ولم أذمُم جوارَكمُ وقال ما أنصفت بغداد حُوشيتا
فإن لقيت الوليد والنوى (18) قُذُف (19) يوم القيامة لم أعدُمْه تبكيتا

---

(14) على طرة الطبعة الفاسية ما لفظه بالحرف : « أجابه العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي بقوله :
بل أنصفت فاس ومن إنصافها أبداً سقوط المدعي والمعجب »

(15) منه نسخ خطية بالخزانة العامة بالرباط، وصدرت له طبعة على الحجر بفاس.

(16) الأمر على ما ظنه الشيخ اليوسي من أن للبحتري شعراً ذم فيه بغداد، وإليه أشار أبو العلاء في بيتيه الآتيين، وهو خاطب به علي بن يحيى المنجم، وهو قصيد من ثلاثة عشر بيتاً، وهو مودع بديوانه، وفيه يقول :
ما أنصفت بغداد حين توحشت لنزيلها وهي المحـل الآنس
لم يرع لي حق القرابـة طيء فيها ولا حق الصداقة فارس

(17) البيتان من قصيدة سقطية في واحد وخمسين بيتاً، خاطب بها أبو العلاء صديقه أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي في شأن جزء من أشعار تنوخ كان أبو القاسم قد أعاره أبا العلاء، فأعجله السفر حين علم بمرض أمه عن رده إليه، فكتب إليه في الموضوع بهذه التائية التي مطلعها :
هات الحديث عن الزوراء أو هيتا وموقد النار لا تكري بتكريتا

(18) النوى ما ينتويه الإنسان من سفر قريب أو بعيد.

(19) يقال : نوى قذف محركاً بفتحتين وبضمتين أيضاً إذا كانت بعيدة، كأنها تقذف بالمسافرين خارج أوطانهم.

فلما رأيت هذا نبهت بهذا الكلام لئلاّ أنسب إلى الأخذ (20)، فإن وقع شيء فمن توافق (21)الخواطر، وفي البيت الثاني تلميح إلى قول الأعرابي في حسن الحديث :

وحديثها كالقطـــر يسمعه راعي سنين تتابعت جدبـــا
فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من فرح هَيَا رَبّا

وإنما استسهلت ، وأستغفر الله ، التمدح والافتخار لأن ذلك مباح في الشعر ، مسلوك في سائر الأعصار والأمصار .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(20) كتب أكنسوس فوقه بخط يده ما لفظه : « يعني السرقة » .
(21) في الطبعة الفاسية : « تواقع » . بدل : « توافق » .

[الحسَد والحساد]

وما ذكر من عدم الإنصاف سببه الكبر والحسد ، وهما الداء العضال الذي هلك به إبليس ، نسأل الله العافية ، وذلك معجون في طينة الآدمي ومبتلى به إلاّ من طهره الله من أصفيائه ، وقليل ما هم .

ولم يزل ذو الفضل محسوداً ، وكلما كثُر الفضل كثُر الحساد ، فوجود الحساد دليل على وجود الفضل ، وعدمهم على عدمه ، فإذا قيل للشخص : كثَّر الله حسادك كان دعاء له ، وإذا قيل : قلل الله حسادك كان دعاء عليه .

وقد أكثر الشعراء من هذا المعنى قال الكميت (1) الأسدي :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مـــا بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظاً بمـــا يجد
أنا الذي يجدوني في صـــدورهم ... لا أرتقي صدَراً منها ولا أرِدُ (2)

---

(1) الأكامت الشعراء المعروفون ثلاثة ، وهم الكميت بن ثعلبة بن نوفل ، والكميت بن معروف ، والكميت بن زيد بن الأخنس صاحب القصائد المعروفة بالهاشميات ، وهم جميعاً من بني أسد بن خزيمة، وانظر في التعريف بهم « كتاب المؤتلف والمختلف» للآمدي ص 257.

(2) الأبيات الثلاثة من مختار أبي تمام في « حماسته » ، وهي في « عيون الأخبار » (2 : 11) وفي « أمالي القالي » (2 : 194) وهي في المصادر الثلاثة غير منسوبة .

وأنشد أبو علي الحاتمي (3) في « حلية المحاضرة » (4) بدل البيت الأخير (5) :

لا يبعــد الله حسادي فــإنهــم أشر عندي من اللائي لها الودد (6)

والظاهر أن قوله : (أشر) تصحيف من الكاتب وإنما هو : (أحب) .

وقال عروة بن أذينة (7) :

لا يبعد الله حسادي وزادهم حتى يموتوا بداء غير مكنون
إني رأيتهم في كل منزلــةٍ أجل فقداً من اللائي (8) أحبوني

وقال نصر بن سيار (9) :

---

(3) هو أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، أديب ناقد وكاتب شاعر ، توفي سنة 388هـ .

(4) ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » فقال : « « حلية المحاضرة في صناعة الشعر » لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي المتوفى سنة 388 هـ وهو في مجلدين يشتمل على آداب كثيرة » والحلية طبعت بعناية هلال ناجي سنة 1978 م . ثم بعناية د . جعفر الكتاني 1979 .

(5) في ك و ح : « الآخر » وهو تحريف .

(6) الود بتثليث الواو مع الإدغام الحب ، وقد فكه الشاعر ضرورة نظير ما فعله قعنب بن أم صاحب في قوله :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقي أني أجود لأقوام وإن ضننوا

وكما فعل أبو النجم إذ قال :

الحمــد لله العلي الأجلــل الواسع الفضل الوهوب المجزل

(7) هو أبو عامر عروة بن أذينة بن الحارث بن مالك ، شاعر غزل ، ومحدث فقيه ، وهو عند المحدثين ثبت موثوق ، وممن روى عنه مالك بن أنس . توفي في حدود 130 هـ .

(8) في « صحاح الجوهري » : « واللاؤون جمع الذي من غير لفظه بمعنى الذين وفيه ثلاث لغات : اللاؤون في الرفع واللائين في الخفض والنصب واللاءو بلا نون واللائي بإثبات الياء في كل حال يستوي فيه الرجال والنساء » . وفي « تاج العروس » مادة « لتى » : « قال ابن سيدة : ورأيت كثيراً استعمل اللائي لجماعة الرجال فقال :

أبى لكم أن تقصروا ونفوتكم بسيل من اللائي تعادون شامل »

(9) قال عنه الجاحظ في « البيان والتبيين : « ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار أحد بني ليث =

إني نشأت وحسّادي ذوو عدد ياذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن يحسدوني على ما بي وما بهم فمثل ما بي لعمري جر لي الحسدا (10)

وقال معن بن زائدة (11) :

إني حسدت فزاد الله في حسّدي لا عاش من عاش يوماً غير محسود
ما يحسد المرء إلاّ من فضائله بالعلم والظرف أو بالبأس والجود (12)

وقال أبو نواس :

دعيني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير (13)

وقال الأول (14) :

= ابن بكر صاحب خراسان ، وهو يعد في أصحاب الولايات ، وفي الحروب ، وفي التدبير ، وفي العقل وشدة الرأي » . وهو الذي كتب إلى مروان آخر خلفاء الأمويين بالأبيات المشهورة ينذره :

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام
فقلت من التعجب : ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام

(10) البيتان من قطعة له قالها يوم وقعة الشعب التي كانت بين الجنيد بن عبد الرحمن وخاقان الترك ، ونصها في « تاريخ الطبري » مع حوادث سنة 112 هـ .

(11) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني ، الشجاع الجواد الذي كثرت فيه مدائح الشعراء ، وقصده الراغبون ، خدم الدولتين الأموية والعباسية وتوفي مقتالا سنة 151 هـ .

(12) البيتان منسوبان إليه في « زهر الآداب » (1 : 246 طبعة محيي الدين عبد الحميد) .

(13) البيت من رائيته الشهيرة في مدح الخصيب ، ومطلعها :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

وهي مودعة في ديوانه .

(14) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الشهير ، والبيتان من قصيدة له في ديوانه ، مطلعها :

هل في تذكر أيام الصبا فند أم هل لما فات من أيامه ردد

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم   قوم بأوّلهم أو مجـــدهم قعدوا
محسَّدون على ما كان من كرَم (15)   لا ينقص(16)الله عنهم ما له حُسدوا

وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلـــةٍ   طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرفِ العود(17)

واعلم أن هذا الشعر ونحوه يخيل استحسان الحاسد واستحباب وجوده بل كثرته ، ولم يزل الناس يكرهونه ويتخوفون منه، ويستعيذون من شره . وقال تعالى (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) فقد يقف القاصر على هذا فيحار . ولا يدري ما يختار ، وفصل القضية في ذلك أن وجود الحاسد . كما مر ، دليل على وجود الفضل ، وذلك لما عرف (18)أن الحسد هو حب زوال ما ظهر على الغير من خير (19) ،إما ديني أو دنيوي ، حسي أو معنوي، عاجل أو آجل ، حقي أوادعائي (20)فلزم من وجود الحسد وجود الخير .

ثم إن الحاسد إذا أحب زوال الخير فهو لا محالة يسعى في زواله ، أو في

---

(15) رواية الديوان : « من نعم » .
(16) في الديوان : « لا ينزع » .
(17) البيتان من قصيدة له في مدح أحمد بن أبي دواد مطلعها :
أرأيت أي سوالف وخدود   عنت لنا بين اللوى فزرود
وهي مودعة في ديوانه بتحقيق محمد عبده عزام .
(18) في ك و س : « عرفت » .
(19) في ح وحدها : « خير ما » وما في رواية ح نكرة وصف بها خير ، أو هي زائدة للتوكيد ، نظير ما جاء في قوله تعالى : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » وفي المخطوطات الثلاث : « إما » .
(20) في ك : « دعائي » .

إلحاق مضرة تذهب <بها> (21)طلاوة ذلك الخير ،ما لم يحجزه حاجز ، وهذه مضرة تتوقع من الحاسد ، فالحاسد خبيث شرير مضر .

إذا علم هذا فمن استحب وجود الحاسد فلم يحبه لذاته ، بل أحب ما يقارنه من الخير ، لا من حيث إنه محسود عليه به من حيث كونه خيراً ، وإلاّ فيود الإنسان أن لو أعطي الخير وأعفي من الحساد ، فإن ذلك أهنأ لعيشه ، وأروح لقلبه ، وأبعد له عن الاذاية والهول ، ولم تَجْرِ حكمة الله تعالى غالباً بذلك ، إذ نعم الدنيا مشوبة بالنقم ، وصفوها مشوب بكدر ، فأمام كل عين قذى ، وعلى كل خير أذى ، فلما لم يكن بد من وجود الحاسد غالباً ، كان وجوده مبشراً بالخير معلماً بالنعمة ، فيفرح بوجوده لذلك لا لذاته .

ومثاله في ذلك الذباب الواقع على الطعام ، والفار الناقب على المخزن (22) فإنهما دليلان على الخير من حيث ذلك ، حتى إنه يكنى عن البيت الخالي عن الخير بأنه لا تطور (23)فيه فارة ، فمن أحب وجود الذباب ووجود الفار فلم يحبهما (24)لذاتهما ، فإنهما مؤذيان مكروهان ، بل لما يقارنهما من الخير ، ولو وجد الإنسان الخير مع السلامة عنهما كان هو (25)الغنم البارد البارد ، ولم تجر بذلك الحكمة .

---

(21) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(22) في ك و س : « المخزون » .
(23) في لسان العرب لابن منظور : « طوار الدار ما كان ممتداً معها من الفناء ، والطورة فناء الدار وفلان لا يطورني أي لا يقرب طواري ، وفلان يطور بفلان يحوم حوله ويدنو منه ، وطار حول الشيء طوراً وطوراناً حام ، والعرب تقول : ما بالدار طوري ولا دوري أي أحد » . وفي ك و س : « تدور » أما ح ففيها : « تصور » .
(24) في س : « يحببهما » بفك الإدغام .
(25) في ك : « المغنم » .

وبلغني أن ناساً من الجند قدموا من بلاد (26)السودان أيام السلطان أحمد لمنصور . وقاسوا في تلك الفيافي ما هو المعهود فيها من العناء وشظف العيش ، فلما لحقوا بقرية من قرى السوس الأقصى خرج منها نفر من اليهود ، فحين بصر بهم الجندي قال : مرحباً بوجوه الخير ، فاليهود بغضاء عند كل مسلم ، ومع ذلك استبشر بهم الجندي التفاتاً منه إلى النعمةالتي تقارنهم ،إذ لا يزايلون غالباً الحاضرة ، ومحل الخصب والرفاهية ، وهكذا الحاسد .

وقد يكون في وجود الحاسد نعمة ولذة أخرى للمحسود إذا وقي شره ، فإنه ينعم هو والحاسد يحترق على عينيه ، وهو يزداد ظهوراً وشفوفاً ، فيلتذ باحتراقه وإقصاره عنه وشفوفه عليه ، ومن كره الحاسد فإنما كرهه لذاته ، إذ هو منغص بما يبدو من أقواله وأفعاله ، ولما يتوقع من شره وضرره ، ولا شك أنه محذور ، ولذا أمر بالتعوذ منه بالله تعالى ، ولا دواء له إلاّ هي مع الصبر اعلى ما يرى ويسمع ، وبذلك ينعكس على الحاسد البلاء فيموت غماً ، قال تعالى : (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) وقال الشاعر (27) :

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتلــه
فــالنار تــأكل نفسها إن لم تجد مــا تأكلــه

فائدة : من ابتلي بالحسد لشخص فعلاجه بإذن الله أن يكلف نفسه السعي في زيادة الخير على المحسود ولو بالدعاء له بذلك ، فإنه إذا لازم ذلك ولو تكلفا سيثيبه الله تعالى من فضله انسلال السخيمة من قلبه وسلامة الصدر ،فإن

---

(26) في ك : « بلد » بالإفراد .
(27) هو عبد الله بن المعتز الأمير العباسي المعروف ، والبيتان واردان في ديوانه المطبوع بدار بيروت .

بقي شيء فليغمه (28)في صدره مع كراهته ولا يظهره ولا يسع في مقتضاه بقول ولا فعل فذلك غاية ما يطلب منه والله الموفق (29) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(28) في ح : « فليبقه » .

(29) كتب بهامش الأصل وبخط ناسخه ما يأتي بالنص الحرفي التام: « في الأصل الذي نقل منه المنقول بطرة ما نصه : « وقد كتب من خطالوالد رحمه الله أيام حياته :

إذا ما شئت إرغام الأعادي بلا سيف يسل ولا سنان

فزد من مكرماتك فهي أعدى على الأعداء من نوب الزمان »

وفي الطبعة الفاسية بالصلب منها ما يأتي بنصه : «وكتبث من خطه أكرمه الله ورأيت إلحاقهاهنا :

إذا ما شئت إرغام الأعادي بلا سيف . . . . . . البيتين »

وفي طرة الطبعة الفاسية ما نصه : « التاء (يعني في قوله : وكتبت) ضمير الناسخ وهو ولد المؤلف سيدي محمد » .

[كلمة الإخلاص وتغالي فقهاء سجلماسة في فهمها وتفهيمها للعوام]

كنت في أعوام السبعين وألف قصدت إلى زيارة شيخنا البركة ، وقدوتنا في السكون والحركة ، أبي عبد الله محمد بن ناصر — سقى الله ثراه — فمررت ببلد سجلماسة فوجدت فتنة ثارت بين الطلبة فيها في معنى كلمة الإخلاص ، فكان بعض الطلبة قرر فيها ما وقع في كلام الشيخ السنوسي من أن المنفي هو المثل المقدر . فأنكر عليه بعض من لهم الرياسة في النوازل الفقهية ، وفصل الأحكام الشرعية ، وليس لهم نفاذ (1) في العلوم النظرية ، وأخذوه بنحو ما أخذوا به الشيخ الهبطي في مشاجرته المشهورة مع أهل عصره . حتى امتحنوه بالسياط ، فجعلت أقرر لأولئك المنكرين الكلمة بوجه يقرب بين (2) المآخذين ، ويصلح بين الخصمين ، فلم يفهموا ذلك ، وصمموا (3) على ما طرق أسماعهم من أن الهبطي أخطأ في هذه المسألة وضل ضلالاً مبيناً ، ثم وقعت هذه الفتنة <أيضاً> (4) بمدينة مراكش عن قريب <من هذه> (5) بين طلبتها

---

(1) كذا بالأصل وفي ك : « نفوذاً » وكلاهما مصدر للفعل نفذ نقول : نفذ السهم ينفذ من باب قعد إذا خرق الرمية وخرج منها ؛ والمعنى : التمكن من تلك العلوم والتعمق فيها وفي س و ح معاً : « نفاد » بالدال المهملة ، وهو تصحيف .

(2) في ح : « من » بدل : « بين » .

(3) في س : « صمتوا » . بدل : « صمموا » .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(5) ما بين العلامتين ساقط من ك .

حتى ضلل بعضهم بعضاً ، فمن<أجل> (6) ذلك ألفت كتاب « مناهج (7) الخلاص ، من كلمة الإخلاص » ، كما نبهت على ذلك في خطبته ، فجاء بحمد الله كافياً في الغرض ، شافياً للمرض .

ثم رجعت في زورة أخرى بعد هذه فمررت أيضاً بسجلماسة فوجدت فتنة أبشع من هذه وأشنع وقعت لهؤلاء مع عوام المسلمين <ثم مع المسلمين> (8) كافة ، عامة وخاصة ، وذلك أنهم نظروا في كلام من حرض من الأئمة على النظر في علم التوحيد ، وحذر من الجهل فيه ومن التقليد ، فجعلوا يسألون <الناس> (9) عما يعتقدون ، ويكلفونهم الجواب والإبانة عن الصواب ، فربما (10) عثروا على قاصر العبارة عما في قلبه ، أو متلجلج اللسان لدهش ناله ، أو جاهل بشيء مما يقدح في العقيدة أو يظنونه قادحاً وإن لم يقدح ، فيشنعون عليه الجهل والكفر ، ثم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس ، وجعلوا يقررون العقائد للعوام ، فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر ، وشاع عندهم أن من لم يعرف معنى لا إله إلا الله أي النفي والإثبات على التقرير الذي يقرره العلماء فهو كافر ، فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم ، وهول كبير ، فلما دخلت البلد جاءني الناس أفواجاً يشتكون من هذا <الأمر> (11) وأن ليس كل أحد يبلغ إلى فهم تقارير العلماء فأقول لهم : إن الله تعالى إنما تعبدكم باعتقاد الحق

---

(6) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(7) كذا بالأصل بلفظ الجمع ، ومثله في ح أما ك و س ففيهما : « منهاج » بالإفراد ، ويسمى أيضاً « مشرب العام والخاص ، من كلمة الإخلاص ، » والكتاب طبع على الحجر بفاس عام 1327 هـ .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(9) ما بين العلامتين ساقط من س .

(10) في ك : « فلما » بدله ولا يستقيم مع السياق .

(11) ما بين العلامتين ساقط من ح .

في أنفسكم ، أفلا تشهدون أن الله تعالى حق موجود ؟ فيقولون : بلى ، أفلا تعلمون أنه واحد في ملكه لا شريك له ولا إله معه وكل معبود سواه باطل ؟ فيقولون : بلى ، هذ كله يقين عندنا لا نشك فيه ولا نرتاب ، فأقول لهم : هذا هو معنى كلمة الإخلاص المطلوب منكم اعتقاده ، سواء عرفتموه من لفظها أو لا . فإن الكلمة عربية ، والأعجمي لا حظ له في دلالتها، وإنما حسبه أن يترجم له مضمونها فيعتقده، وكذا العقائد كلها المطلوب اعتقادها بالمعنى ، ولا يشترط فهم ألفاظها التي يعبر [بها] (12)عنها في كتب العلماء ، ولا إدراك حدودها ورسومها التي تعرف بها . فإن فهم هذه العبارات والإحاطة بهذه الحقائق والتقريرات علم آخر لم يكلف به العوام ، فإذا أجبتهم بذلك انطلقوا مسرورين حامدين شاكرين ، ثم جاءني رئيس هذه الفتنة وسألني عن مسائل في هذا المنحى فأجبته ، ثم تقدمت إليه بالنصيحة وقلت له : إن أكثر النحل (13)وجل الطوائف الضالة إنما خرجت في هذا العلم ، فإن أردت نفع الناس فقرر لهم العقائد بالقدر الذي يبلغون ، وحدث الناس بما يفهمون ، كما في الحديث الكريم (14) ودع عنك هذه الامتحانات والتدقيقات (15) والتشنيعات التي لم تجْرِ بها سنة أهل الدين في عصر من الأعصار ، فإذا هو قد أشرب ذلك وتمكن فيه التظاهر به ، وإذا تمييزه قد

(12) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وهو في غيره فأضفناه .

(13) هو بكسر أوله وفتح ثانيه جمع نحلة بكسر فسكون ، وفي « تاج الزبيدي » ما لفظه : « النحلة بالكسر الدعوى ، ومنه الانتحال وهو ادعاء ما لا أصل له » . وفي « صحاح الجوهري » : « فلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه » . وتطلق النحلة على المذهب الباطل في الدين ، وفي علوم الإسلام علم يسمى علم الملل والنحل أو علم مقالات الفرق وهو الذي عرفه مؤلف « مفتـاح السعادة » (1 : 322) فقال : « هو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية» اهـ ومن أشهر كتبه وأعرفها « كتاب الفصل ، في الملل والنحل » لابن حزم ، وكتاب « الملل والنحل » للشهرستاني .

(14) يريد قوله عليه السلام : « حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله » .

(15) في ح وحدها : « التوقيفات » والظاهر أنه تصحيف .

نقص (16)عما كنت أعرف منه قبل ذلك ، نسأل الله العافية ، فتمادى على ذلك وأصفقت (17)عليه العوام حتّى سمعوا مقالته فيهم ، وجعل يتغالى في تقرير العقائد وبيان وجوه المخالفة ونحوها على التفصيل بما لا حاجة إليه حتّى يقع في ذكر ما هو سوء الأدب في حقه تعالى ، وما لا يستطيع كل من في قلبه رائحة من عظمة الله تعالى أن يفوه به ، ويحضر مجلسه أوباش الأعراب من جراوة (18)ونحوها ، فإذا رجعوا إلى قومهم ذهبوا بتلك المقالات وجعلوا يلقون على أمثالهم من الرعاع الأسئلة من هذا المنحى فيقولون لهم : أين بات الله ؟ وأين يُصبح ؟ وأين يظل ؟ وأين هو ؟ <وكيف هو>(19) ؟ إلى ما هو أبشع من ذلك مما لا أذكره ، وقد نبهت على طرف من هذا المعنى في كتابي المذكور ، ثم أشاعوا أن عوام المسلمين لا تؤكل ذبائحهم ولا يناكحون مخافة أن يكونوا لم يعرفوا التوحيد ، فحدثني الفقيه المشارك الصالح أبو عبد الله مبارك بن محمد العنبري الغرفي (20)— رحمه الله — أن أعرابياً من هؤلاء(21)الشيعة جاء مع قوم من بلد توات فكانوا إذا طبخوا زادهم وفيه الخليع (22)

---

(16) كذا في الأصل وفي سواه : « انتقص » .

(17) في « أساس البلاغة » : « أصفقوا على أمر واحد : اجتمعوا عليه » .

(18) نقطت الجيم في س بثلاث نقط من فوق .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) في ح وحدها : « العربي » . بدل : « الغرفي » .

(21) كذا في الأصل ، وفي غيره : « هذه » بدله .

(22) في « إصلاح المنطق » لابن السكيت ص 15 ما نصه : « القرف شيء من جلود يعمل فيه الخلع ، والخلع أن يؤخذ لحم الجزور فيطبخ بشحمها ثم يجعل فيه توابل ثم يفرغ في هذا الجلد » اهـ . وذكره أبو العلاء الخلع في عينيته السقطية التي ودع بها بغداد فقال :

فليت حمامي حم لي في بلادكم   وجالت رمامي في رياحكم النسع

وليت قلاصاً ملعراق خلعنـــي   جعلن ، ولم يفعلن ذاك ، من الخلع

وفسر التبريزي في شرحه على السقط الخلع فقال : « الخلع أن ينحر الجزور ويطبخ لحمها بشحمها ويطرح فيها توابل ثم تفرغ في جلد فيأكلونه في أسفارهم».وفي « تاج العروس » =

يمتنع (23)من الأكل معهم ويقول : إن الجزار الذي ذبح هـذه البهيمة لا ندري أيعرف التوحيد أم لا ؟ ولما دخل البلد جيء بطعام عليه لحم وجماعة من الأشراف حضور فدعوه للأكل فامتنع وقال : إن العبد الذي ذبح تلك الذبيحة لا ندري أيعرف التوحيد أو لا ؟ فقالوا له : ما ذبحها عبد ، وإنما ذبحها المولى فلان الشريف (24)منهم فامتنع أيضاً وبات طاوياً . ثم لم يقفوا في هذا بل لما انتهكوا حرمة عوام المسلمين ابتلاهم الله بانتهاك حرمة خاصتهم أيضاً ، فتناولوا فقهاء وقتهم ووقعوا في أهل العلم والدين ومن هم على سنن المهتدين ، وضللوهم إذ لم يضللوا العامة ، فوقع لهم قريب مما وقع للكميلية (25)

= ما لفظه : « الخلع لحم يطبخ بالتوابل ثم يجعل في القرف ، وهو وعاء من جلد كما في « الصحاح » ، أو هو القديد المشوي ويقال : بل القديد يشوى فيجعل في وعاء بإهالته ، قاله الليث ، وقال الزمخشري : هو اللحم يخلع عظمه ثم يطبخ ويبزر ويجعل في الجلد ويتزود به في الأسفار » . وفي « مستدرك التاج على القاموس » من مادة (خلع) ما لفظه : « الخليع اللحم تخلع عظامه ويبزر ويرفع » (كذا) .

(23) في س : « يتمنع » .

(24) كذا بالأصل بحرف التعريف ومثله في ك و ح أما س ففيها : « لشريف » مع اللام الجارة وهو أوفق بالسياق .

(25) كذا هو في المخطوطات الثلاث ، ومثله في الطبعة الفاسية ، والصواب فيه الكاملية نسبة إلى أبي كامل ، وإليك ما قال الزبيدي في « تاج العروس » (8 : 104) عن نسبة الكاملية والكميلية معاً : « والكاملية شر الروافض نسبوا لرئيسهم أبي كامل القائل بتكفير الصحابة بترك نصرة علي وتكفير علي بترك طلب حقه ، ووقع للقاضي عياض في « الشفاء » : الكميلية من الروافض ، قالوا بتكفير جميع الأئمة بعد موته صلى الله عليه وسلم ، قال الخفاجي في شرحه هكذا وقع ، والصواب الكاملية ووفق بينهما بأنهم صغروا كاملا على كميل ونسبوا إليه على خلاف القياس ، تصغير تحقير ، فهو بضم الكاف وقيل بفتحها نسبة إلى كميل كقبيل بمعنى كامل وهو بعيد ، وعن هذه الطائفة يقول الشهرستاني في « الملل والنحل » (1 : 291 – 292) : « الكاملية أصحاب أبي كامل أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علي عليه السلام ، وطعن في علي أيضاً بتركه طلب حقه ، وكان يقول : الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص ، وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون إمامة ، وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة ، وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت» .

من الروافض (26) فإنهم كفروا الصحابـــة حيث لم يقدموا علياً — كرم الله وجهه — ثم كفروا علياً حيث لم ينازعهم في حقه ؛ وكان أهل البلد أتبعوني وأنا في الطريق سؤالاً فيما هو من حكم الذبائح ونحوها في بطاقة فأجبتهم بما علم من دين الإسلام أن كل من تشهد شهادة الحق فإنه تؤكل ذبيحته ، وتحل مناكحته ، ويدفن في مقابر المسلمين ما لم يظهر منه ما يخالف ظاهره ونحو هذا الكلام ، فلما بلغ إلى أولئك قالوا : سبحان الله ! كنا نعرف فلاناً (27)من العلماء ، ثم هو يقتصر على مثل هذا الكلام ويكتفي [به] (28)فلم يقع كلامي منهم موقعاً حيث اقتصرت على الحاجة وما هو الحق ولم أتعد إلى ما يشتغلون به من الفضول والضلال ، وكانوا قبل هذه الفتنة تلمذوا (29)لشيخنا الإمام ابن ناصر — رضي الله عنه — وأخذوا عهده . فلما لم يشتغل بما اشتغلوا به أنكروا عليه حتى وقعوا فيما يؤتى به إليهمن الهدايا والصدقات ، وفيما يذكره للفقراء من كلام الإمام الثعالبي ، فإنه كان يحكي بسنده إلى الثعالبي أنه قال : من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة

---

(26) في « التاج » مع قريب من الاختصار : «الروافض كل جند تركوا قائدهم وانصرفوا ، والرافضة فرقة منهم ، والنسبة إليهم رافضي ، والرافضة أيضاً فرقة من الشيعة كانوا بايعوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى وقال : كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما ، فتركوه ورفضوه ، فسموا رافضة ، والنسبة رافضي ، والرفض بالكسر معتقد الرافضة» .

(27) في ح : « نعرف انه » بدل الكناية عنه بفلان .

(28) ما بين العلامتين سقط من الأصل وهو في سواه فأضفناه .

(29) شكلت هذه الكلمة في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية بتشديد الميم شكل قلم ، وذلك خطأ صوابه : « تلمذوا » بسكون اللام وفتح الميم مع التخفيف ، يقال تلمذ له وتتلمذ إذا كان له تلميذاً فتخرج عليه في علم أو صناعة ، قال العلامة عبد القادر بن عمر البغدادي صاحب خزانة الأدب في رسالته المسماة برسالة التلميذ والمطبوعة في سلسلة «نوادر المخطوطات » بمجموعتها الثانية ما نصه : « وقول الناس تلمذ له وتلمذ منه بتشديد الميم خطأ لأنهم توهموا أن التاء زائدة ، وليس كذلك » . وكلمة تلميذ التي اشتق منها تلمذ وتتلمذ كلمة سامية الأصل ؛ ولها صيغ في السريانية والعبرية والآرامية والحبشية والأكدية تدور على معاني التعليم والتربية والإرشاد ، ولها في العربية نفس المعاني التي لها في تلك اللغات .

بشرط أن يقول كل لمن رأى أشهد أني رأيتك فيشهد له . فكان الشيخ رضي الله عنه يذكر ذلك على طريق الترجية ، ولئلا يفوت المسلمين ذلك الخير إن حققه الله تعالى ، فقالوا : هذا يوقع الناس في الأمن وفي الإعراض عن تعلم التوحيد مع أنه لا وثوق(30) به فإن أمور المنامات لا تنضبط ولا يعول عليها ، ثم برئوا من صحبته وكتبوا في ذلك كراسة ، فقيض (31) الله لها الشاب اللبيب الفاضل أبا العباس أحمد بن محمد بن السيد الشريف الحسني — رحمه الله ورحم سلفه — فتكلم عليها بما نقض أباطيلها عروة عروة ، فلما انتهى إلى براءتهم من الشيخ كتب عليها ما معناه : إن هذه السلسلة المباركة الفاضلة يعني سلسلة الشيخ رضي الله عنه هي أمنع جناباً وأطهر (32) ساحة من أن يبقى فيها أمثالكم ، فطهرها الله منكم ، وقد اشتعلت فتنتهم حتى كادت تخرج إلى الآفاق كلها ، ثم أطفأها الله تعالى بفضله فجاء طاعون عام تسعين وألف فاجتث (33) شجرتهم من فوق الأرض فلم يبق لها قرار .

فائدة : أما السلسلة التي أشرنا إليها عن الإمام الثعالبي فإن شيخنا الإمام ابن ناصر — رضي الله عنه — يحدث بها عن شيخه الفقيه الصالح سيدي علي ابن يوسف الدرعي عن شيخه سيدي عبد الرحمن بن محمد من بني مهرة(34) عن سيدي محمد بن محمد بن ناصر من أهل الرقيبة (35) عن سيدي عبد الكبير

(30) في س : « لا يوثق به » .
(31) في الأصل : «فقيظ» بظاء مشالة ، ومثله في ك ، وهو تصحيف صوابه « قيض » بضاد ساقطة كما هو في س و ح .
(32) في س : « أظهر » بظاء مشالة والظاهر أنه تصحيف .
(33) كذا بالأصل ، ومثله في ح ، أما ك و س ففيهما : « اجتثت » معه تاء تأنيث فينبغي أن تقرأ الفعل على هذا الرواية بالبناء للمجهول .
(34) رسمت الكلمة في س : « مهيرة » بياء بين الهاء والراء .
(35) نقطت القاف في ك بثلاث من فوق .

وهو جد سيدي عبد الرحمن المذكور عن القطب الكبير سيدي عبد الرحمن الثعالبي أنه قال رضي الله عنه : من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة . وفي سلسلة كل واحد يقول لصاحبه : أشهد أني رأيتك ، وقد رأيت والحمد لله الإمام ابن ناصر وأشهدته على ذلك ، حققه الله لنا وللإخوان آمين .

واعلم أن مثل هذا يذكر على طريق الرجاء كما أشرنا إليه ، وهو أمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع ، وذلك أن فضل الله عظيم لا يحد بمقياس وأولياء الله تعالى أبواب يخرج منها هذا الفضل ، ولهم مكانة عند ربهم الكريم المتفضل ، فأي شيء يستبعد في أن يعطي (36) بعضهم الشفاعة في قرنه أو أكثر ، أو أن من مسه لم تمسه النار كما في قصة ابن حسون ، أو أن من رآه دخل الجنة ، أو أن من رأى من رآه ، إلى سبعة أو أكثر ، هذا كله قريب .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في خبره عن أويس (37) القرني – رضي الله عنه – أنه يشفع في مثل أو عدد ربيعة ومضر (38) .

وحدثني الثقة أن نفراً من أصحاب ابن مبارك التستاوتي دخلوا على سيدي محمد الشرقي فقال لهم : أيها الفقراء ، ما الذي قال ابن مبارك ؟ فقالوا له : قد قال : أهل زماني محسوبون عليّ أو في ذمّتي أو نحو ذلك ، فقال سيدي محمد الشرقي : اشهدوا علينا إنا من أهل زمان ابن مبارك ، فانظر إلى هذا

---

(36) في س : « يمنح » . بدل : « يعطي » .

(37) هو أويس بن عامر القرني (بفتح القاف والراء) نسبة إلى قرن ، وهي بطن من مراد ، من زهاد التابعين وأتقيائهم ، استشهد مع علي في صفين .

(38) في « ميزان الاعتدال » للذهبي (ج 1 ص 281) : « قال أبو صالح حدثنا الليث ، حدثني المقبري ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليشفعن رجل من أمتي في أكثر من مضر ، قال أبو بكر : يا رسول الله إن تميماً من مضر قال : ليشفعن رجل من أمتي لأكثر من تميم ومن مضر وإنه أويس القرني » .

الإنصاف وهذا التسليم ، فكذا يجب التسليم لمن وقع منه شيء من هذا من أهل الصلاح والدين ، ويظن به الخير ويحصل الرجاء ولا يوجب ذلك أمناً من مكر الله والاستغناء عما يجب تعلمه أو العمل به ، بل التكليف باق بحاله ، والخوف والرجاء بحالهما .

وقد شاع عند هذه الطائفة الغازية أن الشيخ قد أخذ من الله تعالى عهداً أن لا يسوق إليه إلا المقبول ، ولم يوجب لهم ذلك أماناً ولا غروراً إلا أن يشذ(39) جاهل فلا التفات إليه .

وأما الهدية من الأخ في الله فهي مباحة في الجملة . بل هي محسوبة في الفقه من وجوه الحلال ، فإن عرض عارض في المعطى أو في وجه الإعطاء فالآخذ أعرف بما يأتي وما يذر .

ثم أحوال الصوفية في قبول الفتوح مختلفة تبعاً لما اقتضته الواردات (40) ، والتحفظ عن الآفات . وهي في كل من الأخذ والترك كما قال الأستاذ السري (41) للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما : احذر آفة الرد كما تحذر آفة الأخذ ، وكل من عرف بصحة العلم والعمل ومتانة الديانة كشيخنا المذكور فأمره موكول إلى دينه ، ولا سبيل إلى الانتقاد عليه ، والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(39) في ك و ح : « يشد » بدال مهملة وهو تصحيف .

(40) في « تعريفات الشريف الجرجاني » ما نصه : « الوارد كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد » .

(41) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » (ص 48 – 55) فقال : « سري بن المغلس السقطي ، كنيته أبو الحسن ، يقال : إنه خال الجنيد ، صحب معروفاً الكرخي ، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد ، وحقائق الأحوال ، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته ، مات سري السقطي سنة إحدى وخمسين ومائتين » .

[العدوى والطيرة]

كنت ذات مرة اشتريت رمكة (1) من رجل صحراوي أسود شديد السواد ، فظهر فيها عيب وتعذر إثبات قدمه لترد ، فأدّى الأمر إلى موتها منه وتلف الثمن . فأقبل رجل من قومي والمشترى (2)منه عندي ونحن نتكلم في المسألة ، فلما بصر بالمشترى منه قال : سبحان الله ! كنت أعجب من أين جاء هذا الخسران ؟ فإذا أنت تعامل الغِرْبان (3) ، ألم تعلم أنا لا نعامل مثل هذا حتّى إنا لا نزجر الكلب الأسود عنا إذا مرّ بنا لئلاّ يقع خطاب منا إليه فكيف بغيره ؟ وجعل يتأسف من خسران الثمن ومن معاملة ذلك الشخص ، وجعلت أنا أضحك من عظمة الدنيا في عينيه ومن تحكيمه الأمور العادية ، وكان قومنا – كما قال – يفرون من السواد فلا يلبسون ثوباً أسود ولا يركبون فرساً أدهم وهكذا .

واعلم أن هذه الأمور العادية يضل فيها العامة والقاصرون من الخاصة ، أما العامة فإنهم إذا رأوا شيئاً عند شيء نسبوه إلى ذلك الشيء وغفلوا عن الله تعالى ولم يعلموا أن الله تعالى هو الفاعل وحده ولا تأثير لشيء من الكائنات بحال ، فوقعوا في الشرك وفاتهم التوحيد ، وأما القاصرون من الخاصة المعتقدين لانفراد المولى تعالى بالفعل وأن لا شريك له فإنهم يجرون على هذا المعنى وينكرون حكمة الله تعالى في أرضه وسمائه ، فإذا قيل لهم : إن هذا

---

(1) في « التاج » : « الرمكة محركة الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل » .

(2) في ح : « والبائع » .

(3) في « اللسان » : « أغربة العرب سودانهم شبهوا بالأغربة في لونهم » .

الشيء يكون عند وجود هذا السبب قالوا : هذا لا معوّل عليه ، فإن السبب لا تأثير له ، ووجوده وعدمه سواء . وهذا أيضاً جهل عظيم ، فإن الله تعالى كما أنه قادر مريد لا شريك له كذلك هو حكيم يفعل أشياء عند أشياء ويرتب أسباباً ومسببات حكمةً منه تعالى ورفقاً بعباده في تأنيس نفوسهم بالأسباب المشهودة . فإن الإيمان بالغيب وانتظاره عسير عليها وابتلاء لهم ليتميز من انخرقت له الحجب فأبصر الحق ، ومن حجب بها فتاه في أودية الضلال . نسأل الله تعالى العافية . ألا ترى إلى ما جعل تعالى لعامة الخلق من الشبع عند الأكل والري عند الشرب ، والتدفي عند اللبس ، والراحة عند الركوب ، واللذة المخصوصة عند الوقاع ، وهكذا مما لا يحصى ، وكل ذلك يجوز من الله تعالى أن يخلقه بلا شيء ، فهل ينكر أحد من العقلاء هذه الحكمة فيقول مثلاً : إن الطعام لكونه لا تأثير له وجوده وعدمه سواء، ويستجهل من يأكل ليشبع ، وكذا ما جعله الله تعالى من المنفعة في الأدوية والعقاقير وما لها من الخواص . وألهم ذلك الأطباء وأهل التجاريب ، فهل ينكر أحد ذلك ؟ وكذا ما نحن فيه من كل أمر جرت العادة بوجود شيء عنده فلا ينكر بل يعتقد حكمة من الله تعالى مع صحة التوحيد ، وهو أن لا ينسب إليه أثراً أكثر من أن وجوده سبب لبروز القضاء الأزلي عنده لا به ، فمن نسب إلى شيء دون الله تعالى تأثيراً في وجود شيء أو عدمه فهو مشرك ، ومن أنكر الحكمة المودعة في قوالب الكائنات فهو جاهل أعمى البصيرة ، ولو لم يكن إلاّ جموده عن إدراك ما جرت به العادات وأفصحت به التجريبات لكان أمراً سهلاً ، ولكنه إنكار لحكمة المولى سبحانه وبديع تصرفه في الكائنات الدال على إحاطة العلم والمشيئة بالمصالح والمنافع والمضار وعظمة الملك ، فهو ينظر بإحدى العينين دون الأخرى ، فمتى حكم التجريب مثلاً بأن يوماً من الأيام لا يسعد بحاجة من سافر فيه أو تزوج أو أخذ في سبب من الأسباب أو أنه يسعد فلا نبادر إذا سمعنا ذلك بإنكاره ، ونقول قد أشرك مع الله تعالى ، بل لا بأس بالاعتراف بذلك واعتباره عادة مع سلامة العقيدة من نسبة التأثير

لليوم أو غيره من سائر الكائنات ، والناس في نحو هذا ثلاثة : شخص يعتبره أخذاً وتركاً مع الغفلة عن الله تعالى ، إما مع نسبة التأثير إلى السبب وهم المشركون ، وإما بلا نسبة ولكن استغراقاً في الركون إلى الأسباب والالتفات إلى الأغيار ، وهو من الغافلين ، وشخص لا يعتبره أصلاً استغراقاً في التوحيد والتوكل على الله تعالى والفناء عن الأسباب لا إنكاراً للحكمة ، وهذا لا بأس به ، وإذا صح توكله وتجرده عن الأسباب فذلك سبب لنجاته بفضل الله تعالى من مقتضيات العادة حتى إنه لو ألقم الحية رجله لم تضره ، فإنه لما خرق العادة على نفسه بحسمها عن المألوفات وتجريدها عن الرعونات خرق الله تعالى له العادة بإعفائه عن جري العادات وما تقتضيه بإذن الله الأسباب الحادثات ؛ وشخص يعتبر ذلك تأدباً مع الله تعالى في مراعاة الحكمة الجارية مع صحة العقيدة وصحة التوكل على الله تعالى عند الأسباب لا على الأسباب وهذا هو الكامل .

وكان صلى الله عليه وسلم يعالج ويستعمل الرُّقي وقد يكون من ذلك ما هو خفي يكون اعتباره تعمقاً في الأسباب فيترك ، وجعل بعض الأئمة من هذا نهيه صلى الله عليه وسلم الأمة عن الكي مع الاعتراف له بأنه من الأسباب .

إذا علم هذا كله فكل ما ورد من نصوص الشريعة وأقوال أهل الدين وفعلهم يتنزل على هذا ، وبما قررنا يعرف عذر من اعتبر شيئاً من ذلك وعذر من لم يعتبر .

وفي الحديث : « لا عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ » فالحق عندنا في تأويله <أنه> (4)إثبات لانفراد المولى جل وعز بكل التأثير ، وأن لا تأثير لشيء مما يتوهم العرب أنه مؤثر ، لا في باب العَدْوى ولا في باب الطِّيَرَة ،

(4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

لا أنه نفي لما جرت العادة بوجوده عند ذلك بإذن الله تعالى ، وهذا هو الجمع بين التوحيد والحكمة ، وهو جمع بين الحقيقة والشريعة في المعنى ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ » وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ(5) عَلَى مُصِحٍّ » أي ذو الإبل المريضة على ذي الإبل الصحيحة يحتمل معنيين : أحدهما <أنه> (6) سدّ للذريعة بمعنى أنه يترك ذلك مخافة أن يقع شيء <بإذن الله> (7) فيظن من وقع له أو غيره أنه ناشيء عن ذلك السبب فيقع في الشرك ، الثاني أنه إثبات لما جرت به العادة من حكمة الله تعالى كما قررنا ، فيعتبر ذلك شرعاً ولو لم يكن إلاّ تنزهاً عن تغيير القلوب واذاية الناس .

وفي الحديث أيضاً : « اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ » وهو يحتمل أموراً :

الأول : [اطلبوا الخير] (8) عند الناس الحسان الوجوه فإن الخير مقرون بهم ، وهذا من نمط ما نحن فيه .

الثاني : اطلبوا الخير منهم فإنه (9) يصدر عنهم الخير بإذن الله تعالى ،

---

(5) في « صحاح الجوهري » : « أمرض الرجل إذا وقع في ماله العاهة » وفيه أيضاً : « أصح القوم فهم مصحون إذا كانت قد أصابت أموالهم عاهة ثم ارتفعت » .

(6) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(7) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(8) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وهو في سواه فأضفناه .

(9) في ك و س و ح : « فإنهم » بضمير الجمع .

إذ حسن الخَلْق عنوان حُسْنِ الخُلُق كما تقرر في الفِراسَة الحكمية (10) وهو قريب مما قبله .

الثالث : اطلبوا الخير عندهم ومنهم ، فإن النفس تنبسط (11) إليهم وتتمتع برؤيتهم . وفي الحكمة : اعتمد (12) بحوائجك إلى الصباح الوجوه ، فإن حسن الصورة أول نعمة تلقاك من الرجل .

الرابع : اطلبوا الخير أي الرزق عند الوجوه المُستحسنة [شرعاً] (13) كالبيع والتجارة والقراض والهبة والصدقة وسائر الوجوه الحِلّيّة دون السرقة والغصْب والخيانة ونحو ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إذَا أَبْرَدْتُمْ إلَيَّ بَرِيداً فَأَبْرِدُوهُ حَسَنَ الوَجْهِ حَسَنَ الاسْمِ » وهو أيضاً يحتمل أنه لمجرد النظر أو لزائد على ذلك . ولهذا بعث الله الأنبياء ولا سيما نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة .

وفي ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه : كان يتجنب أهل العاهات

---

(10) في « مفتاح السعادة » (1 : 333 – 334) ما نصه بشيء من الاختصار : « علم الفراسة علم يتعرف فيه أخلاق الإنسان من أحواله الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء ، واعلم أن الفراسة قسمان : أحدهما ما يحصل بالتجربة إذ التجربة دلت على أن بعضاً من الأمور الظاهرة يدل على الأخلاق الباطنة ، وهكذا وجده الحكماء ، وهو من فروع الحكمة الطبيعية ، وثانيهما الفراسة الشرعية الحاصلة بنور اليقين بواسطة تزكية النفس ، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » .

(11) في الأصل : « تبسط » وفي سواه : « تنبسط » وهو أصلح ، فطبعنا عليه .

(12) في الأصل « اعتبر » وفي غيره : « اعتمد » فاخترنا « اعتمد » على : « اعتبر » لأنه الذي يليق بالسياق .

(13) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو في سواه فأضفناه .

والناقصين خلقة . وكان يقول : احذروا الأعور <والأحول> (14) [والأعرج] (15)والأحدب .والأشقر (16)، والكوسج(17)، وكل من به عاهة في بدنه فإن فيه التّوى (18)ومعاشرته عسيرة .

ومن غريب ما وقع له في ذلك أمران : الأول أنه حكى أنه بعث رجلاً من أصحابه ذات مرة ليشتري له نوعاً من العنب معروفاً ، قال الرجل : فذهبت فلم أجده إلاّ عند رجل من هذا الجنس ،إما أشقر أو أزرق (19) قال : فأتيته به ، فلما طرحت الطبق بين يدي الإمام قال : أين وجدت هذا ؟ قلت : عند فلان ، وكان يعرفه ، فقال : اردد إليه عنبه ، قال : فقلت : يا أبا عبد الله ، إن لم ترد أن تأكله أكله غيرك ، فقال : ما أحب أن تتم المعاملة بيننا وبينه ، فانظر في هذا ، ولا تظن أن الإمام به حب الثمن يسترده ولا يتصدق بالعنب ، كلاّ ، فإن جوده قد طبق الآفاق ، وهو الذي وضع بين

---

(14) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(15) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه .

(16) في « مقاييس ابن فارس » : « الشقرة من الألوان في الناس حمرة تعلو البياض » .

(17) في « شفاء الغليل » للخفاجي : « كوسج معرب كوسه : بمعنى ناقص الشعر ، وقيل ناقص الأسنان ، واشتقوا منه فعلا فقالوا : من طالت لحيته تكوسج عقله » .

(18) في « مصباح الفيومي » : « التوى وزان الحصى وقد يمد الهلاك » وكتبت الكلمة في س بالمثلثة وهو تصحيف .

(19) في « التاج للزبيدي » : « الزرقة خضرة في سواد العين ، وقيل : هو أن يتغشى سوادها بياض » . وفي « الكشاف » عند قوله تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » : « الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم ، وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : أسود الكبد أصهب السبال ، أزرق العين » . وفي الحديث : « يدخل عليكم رجل ينظر بعيني شيطان فدخل رجل أزرق العين » وقال الآخر يهجو :

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وقال الشماخ في أبي لؤلؤة قاتل عمر :

وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفي سبنتى أزرق العين مطرق

يديه عشرة آلاف خارج مكة ، فكل من سلم عليه يعطيه حتى لم يقم إلاّ وقد فرغت . وإنما الحامل له على ما قال ألا تمّ المعاملة بينه وبينه ، والظاهر من القصة أن الرجل المبعوث قد اشترى العنب شراء(20) بَتّـاً ، وهو العادة في مثل ذلك ، ففسخ العقدة إن لم يكن فضلاً من البائع إنما هو أن يدعي أنه من مثل ذلك الشخص عيب ، وهذا نهاية هذا الأمر ، وليس بعجب ، فقد حكي عن بعض القضاة من السلف أنه رد فرساً على بائعه بشية(21) قد عيبت فيه(21م) .

الثاني أنه حكي عنه أنه كان في بعض أسفاره مر برجل من هذا الجنس ، فقام الرجل إليه ورحب به ترحيباً بالغاً ، واستدعاه للنزول والتضييف (22) بغاية الاستحثاث ، فنزل رضي الله عنه فبالغ الرجل في ضيافته وإكرامه مع غاية التأديب معه وتبجيله والبر به ، فلما رأى الإمام ذلك قال في نفسه : سبحان الله ! <مثل هذا> (23) الخير لا يصدر عن مثل هذا الشخص بما تقرر من الحكمة في أمثاله ، وهذا الإنسان ينقض القاعدة علينا ، فاغتمّ لذلك وبات مغموماً متحيراً (24) فلما أصبح وتهيأ للرحيل لم يشعر إلاّ وقد ناوله الرجل

---

(20) أي لا رجعة فيه ، وكتب في س بمثلثة ، وهو تصحيف .

(21) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « الشية العلامة ، وأصلها وشية ، والجمع شيات مثل عدات ، وهي في ألوان البهائم سواد في بياض أو بالعكس » .

(21م) لعله يريد تلك الشية التي تسمى الهقعة ، وهي دائرة تكون بزور الفرس ، فينعت بالمهقوع ، ويقال عنه إنه لا يكاد يسبق ، وقد كان كذلك حتى لمزه الشاعر بقوله :

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت حليلته وازداد حراً عجانها

فعادت تلك الشية عيبا وسبة في الخيل .

وفي معيار الونشريسي أن قاضياً رد فرساً مهقوعاً على بائعه لذلك ، فقيل له : إن الشاعر قد تكذب على المهقوع فقال : هو شيء قد ظنه الناس وتسخطوه ، فأصبح في حكم العيب .

(22) في ك : « والتضيف » .

(23) ما بين العلامتين ساقط من س .

(24) في س : « محير أ » .

سجِلاً فيه مكتوب كل ما أكل وكل ما انتفع به عنده ، مقوماً بقيمة مضاعفة وقال له : ادفع لي ما أكلت . وإذا هو رجل صاحب مكر واحتيال على الناس بالضيافة ليتجر فيهم . فعند ذلك سُرِّيَ عن الإمام رضي الله ، وعلم أن القاعدة لم تنخرم ، فوزن له ذلك عن طيب نفس وسرور بصحة القاعدة ، انظر الأمثال الحديثة (25) .

ودخل الشعبي (26) سوق الرقيق فقالوا له : هل من حاجة ؟ فقال : حاجتي صورة حسنة أتنعم بها ، يلتذ بها قلبي ، وتعينني على عبادة ربي ،

---

(25) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، وفي س : « الحادثة » وفي الطبعة الفاسية : « الحديثية » بياء النسبة ، وهو الصواب فيما يظهر ، ويبدو أن اليوسي يعني كتاباً معيناً في الأمثال الحديثية ، وقد فتشنا الفهارس بحثاً عما ألف في الأمثال الحديثية فوقفنا على الكتب التالية : 1 – «كتاب الأمثال السائرة عن رسول الله » لأبي عروبة الحسين بن محمد الحراني المتوفى سنة 318 هـ وهو يوجد مخطوطاً بتركيا ، وقد ذكره أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي المتوفىسنة 575هـ في « فهرسة ما رواه عن شيوخه ص 176 . 2 – « كتاب أمثال الحديث المروية عن رسول الله » لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة 360 هـ ذكره ابن خير في « فهرسة ما رواه عن شيوخه » ص 180 وهو يوجد مخطوطاً بفيض الله وبالإسكوريال ، وقد طبع محققاً بعناية أمة الكريم القرشية بحيدراباد سنة 1968 م . 3 – «كتاب الأمثال » (خاص بالأمثال النبوية) لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري الأصفهاني المتوفى سنة 369 وهو يوجد مخطوطاً بامبروزيانا . ويمكن أن يكون كتاب الأمثال الحديثية الذي أحال عليه اليوسي واحداً من هذه الكتب الثلاثة .

(26) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار ، وذو كبار قيل من أقيال اليمن ، الشعبي قال ابن الإثير في « اللباب » عن نسبته هذه : « الشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفي آخرها ياء موحدة – هذه النسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان » . وقال عنه الخلكاني في « وفياته » : « هو كوفي تابعي جليل القدر ، وافر العلم ، قال الزهري : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام ، ويقال : إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ». توفي الشعبي سنة 104 هـ .

وكأنه يتذكر ما عنده والتشويق إليه . وأدام [النظام] (27)النظر إلى جارية حسنة فقال مولاها : لم ؟ فقال : مالي لا أتأمل منها ما أحل الله ، وفيه دليل على حكمة الله واشتياق إلى ما وعد الله .

وقال الراجز :

ثلاثة تجلو عن القلب الحزن   الماء والخضرة والوجه الحسن

وقال إسحاق (28) الموصلي :

لا أشرب الراح إلاّ من يدي رشأٍ   تقبيل راحته أشهى من الراح (29)

ولا بد من التنبيه في هذا الباب (30)لأمور : منها أن هذه الأسباب

---

(27) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو وارد في ك و ح فأضفناه رواية عنهما ، والنظام ترجمه ابن نباتة في « سرح العيون » فقال عنه (ص 226) : « هو إبراهيم بن سيار بن هانىء البصري المعروف بالنظام ، ويكنى أبا إسحاق ، شيخ من كبار المعتزلة ، وأئمتهم ، متقدم في العلوم ، شديد الغوص على المعاني، اطلع على كثير من كتب الفلاسفة، ومال في كلامهم إلى الطبيعيين منهم . والإلهيين فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل ، وخلطها بكلام المعتزلة ، وانفرد بها عنهم ، وكان مذهبه مذهب السوفسطائية ، وتوفي النظام سنة 221 وله من العمر ست وثلاثون سنة ، وله كلام حسن وشعر رقيق » .

(28) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي المغني البارع ابن المغني البارع توفي سنة 235 هـ .

(29) البيت واحد من أبيات ثلاثة أوردها أبو الفرج في « أغانيه » ، ومعها حكاية ، فقال : « أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني حماد بن إسحاق قال : كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلما جلسوا للشراب جعل الغلمان يسقون من حضر ، وجاء غلام قبيح الوجه إلى أبي بقدح نبيذ فلم يأخذه ، ورآه إسحاق فقال له : لم لا تشرب ؟ فكتب إليه أبي :

أصبح نديمك أقداحاً تسلسلها   من الشمول وأتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته   بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا أشرب الراح إلا من يدي رشأ   تقبيل راحته أشهى من الراح

انظر تمام الحكاية في « الأغاني » (ج 5 ص 330 طبعة الدار) .

(30) في ح : « ولا بد في هذا الباب من التنبه » .

الحكميّة قسمان : قسم ظاهر ، وهو ما يرجع إلى قوام الإنسان في معاشه غذاء ودواء،مباشرة أو بواسطة قريبة أو بعيدة كما في التمثيل ببعضه،وقسم خفي ، وهو ما لم يصل إلى تلك المنزلة بذاته ، وإن كان له بها مساس ، فالأول لا ينكر على من يتعاطاه لوضوحه ، والثاني هو الذي يقع فيه الإنكار كما مرّ كل ذلك .

ومنها أن الأمر العاديّ كما أنه لا تأثير فيه إلاّ لله تعالى كذلك لا ارتباط فيه عقلاً . وإنما هو أمر يجعله الله تعالى وتستمر عادته تعالى به اختياراً منه ، ومتى أراد أن يخرقه خرقه . كما شوهد ذلك في معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، وسحرة (31)السحرة ، فكل ذلك خرق من الله تعالى لحكمة كما أجراه أولاً لحكمة (32) : وقد أخرج (33) أهل الحيرة السم القاتل للسيد خالد بن الوليد رضي الله عنه طمعاً منهم في أن يقتلوه ، فلما علم به أخذه فسمى الله تعالى وأكله ، ولم يضره شيئاً ولا يحصى كم من عابد بقي حياً بلا طعام ولا شراب .

---

(31) في « التاج » : « سحره يسحره سحراً وسحراً وسحرة ».

(32) في ك : « لحكمته كما أجراه أولا بحكمته » .

(33) ملخص الخبر أن أحد المتفاوضين مع خالد رضي الله عنه على الصلح في افتتاح الحيرة ، وهو عمرو بن عبد المسيح بن قيس من آل بقيلة كان قد أحضر معه سماً لينتحر به إذا رأى من خالد ما يكرهه ، فكان أن اكتشف خالد السم الذي معه ، فسأله فيه فقال : « خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت ، فكان الموت أحب إلي من مكروه أدخله على قومي ، فقال خالد : إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها « فتناول السم وقال : « باسم الله خير الأسماء ، رب الأرض والسماء ، الذي لا يضر مع اسمه داء ، الرحمن الرحيم » ثم ابتلعه ، والبقيلي يرى ، فلم يضره السم شيئاً . انظر الخبر مفصلا في « تاريخ الطبري » ضمن حوادث السنة 12 « والكامل » في التاريخ لابن الأثير في حوادث السنة 12 كذلك .

ولما حاصر المعتصم عمورية نهاه المنجمون أن يتقدم لقتالهم في ذلك اليوم. فلما بلغ ذلك بعض أهل الدين في عسكره دخل عليه فقال له :

دع النجومَ لطرقيٍّ يعيش بهـــا   وقم لوقتك وانهض أيها الملك
إن النبي وأصحابَ النبي نهـــوا   عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

فنهض إليهم لوقته ففتح عليه .

وأصل هذا ما في الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إثر سماء وقعت : « أَتَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَاكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ . وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا فَذَاكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ » وهذا هو الذي قررناه قَبْلُ من تحقيق التوحيد وليس فيه إنكار العادة الجارية .

والنوء عند العرب أن يطلع نجم . وقيل : أن يغرب . وهو الأصح <فيقع وهكذا> (34) وقد أجرى الله تعالى عند طلوع النجوم وعند غروبها وعنـــد اقتران بعضها ببعض أموراً كثيرة في المملكة اختباراً منه تعالى ، ونبه إليها من شاء من عباده فحصل لهم علـــم الأنواء ، وعلـــم الاقترانات(35) وسائر علم التنجيم ، وهي كلها عادات جارية بإذن الله

---

(34) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(35) في كتاب « مفتاح السعادة » لطاش كبري زاده (1 : 386) ، « علم القرانات : اعلم أن القران هو اجتماع كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد ، ويبحث في هذا العلم على الأحكام الجارية في هذا العالم بسبب قران السبعة كلها أو بعضها في درجة واحدة من برج معين ، واعلم أن أرباب النجوم زعموا أن الكواكب السبعة كانت مقترنة في أول الميزان في مبدأ العالم ، ثم تفرقت ، فمتى اجتمعت في برج واحد يكون سبباً لحادث عظيم كحدوث طوفان عظيم ، أو تبديل ملة أو دولة ، حسب تفاوت القرانات في البروج وفي قران الكل أو البعض » .

تعالى . والمتنبهون إليها المعتبرون لها منهم من آمن ومنهم من كفر . والمقياسُ الحديثُ السابقُ على ما مرّ من تفصيل أحوال الناس .

ومنها انه قد يعد من هذا الباب ما ليس منه مما يرجع إلى مجرد تخيلات ووساويس ، ولم يظهر فيه حكمة منوطة (36)ولا عادة صحيحة جارية ، وأكثره يكون بتسلط شياطين يعبثون بمن يتوهم ذلك ، فلا يلتفت إلى هذا النوع بوجه من الوجوه ، ولا سيما إن أبطل سنة وعارض حكماً شرعياً كالذي يقول : إني جربت أني متى أعرت أو سلفت أو تصدقت أو أضفت ضيفاً تصيبني مضرة ، فهذه شيطانية .

وقد حكي عن بعض الناس أنهم ما يذبحون الضحية ، وأنهم متى ذبحوها أصابتهم مصيبة ، فلما اعتادوا ذلك تركوها ، فتمادوا على هذا الضلال حتى انتهى الأمر إلى رجل منهم موفّق فقال : والله لا أترك السنة ولأضحيَنّ ، فلما ضحى يبِسَتْ يده اليمنى فقالوا : هذا الذي حذرناك ، فقال : لا أبالي ، فلما أتت الضحية من قابل ضحّى أيضاً فيبست يده الأخرى ، فلما ضحى الثالثة يبست رجله ، ولما ضحى الرابعة يبست رجله الأخرى ، ولما ضحى الخامسة انطلق ولم يبق به باس <وانقطعت تلك العادة الباطلة> (37)وتبين أنه شيطان يعبث بهم ويفسد عليهم دينهم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(36) في ك : « منطوية » .

(37) ما بين العلامتين ساقط من ك .

[تأملات المؤلف في النعيم والعذاب]

كنت في هذه السفرة التي كتبت فيها هذه الأوراق سافرت زمن البرد ، فلما انفصلت من البلد قلت :

أيــا رب البرايا يــا رحيم ويا مولى العطايــا يا حفيظ
أجرنا من عذابك وامتحان تجيش النفس منه أو تفيظ
ومن وعثاء في سفر وسوء ومن صُرَدٍ (1) وسائر ما يغيظ

يقال فاظت نفسه إذا مات ، والوعثاء بعين مهملة وثاء مثلثة المشقة ، فلما أمسينا وضعت بين أيدينا فاكهة الشتاء (2) فنعمنا بها ، فلما رأيت ذلك قلت : سبحان من جعل رحمته في عذابه أي النار ، وجعل عذابه في رحمته أي المطر ، ثم نظمت هذا المعنى فقلت :

سبحان من يقدر أن يرحما بما بــه يعذب المجرما
وأن يعــذب بمــا يرحم العبــد به يوماً إذا أنعمــا
فظهر اقتــــداره واعتلى في كلّ أمر شأنه واستمى

---

(1) الصرد بوزن الجعل طائر ضخم الرأس ، كبير المنقار ، قوي البرثن ، يصيد العصافير ، ويأوي إلى أعالي الأشجار ورؤوس القلاع ، وهو شرس كثير النفور والعرب تتطير بصوته وتتشاءم من شخصه .

(2) هي النار قال الشاعر :

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيــاً فليصطل

وظهرت حكمته في الـــذي ركب في الدنيا وما أحكما
فمـرُّها لم يخل من حلوهـــا وحلوها قـــد أشرك العلقما

في أبيات أخرى أنسيتها (3)الآن ، وتقرير هذا المعنى من وجهين :
أحدهما أن هذه الأمور التي يباشرها الإنسان ذات وجهين : نافع وضار ، ألا ترى أن النار مثلاً تدفىء من البرد وتحرق . والمطر مثلاً ينبت الزرع والنوار ، ويخلف المياه الغزار ، ولكن يخرب الديار . ويقطع المسافر عن التسيار ، وهكذا ، والحكمة في ذلك التركيب المشار إليه في الدنيا لما مرّ من الدلالة على ما في الآخرة من النعيم والعذاب والترغيب والترهيب وغير ذلك مما يطول تتبعه .

ثانيهما أن كل ما هو نافع فالله تعالى قادر أن يجعله ضاراً وبالعكس ، وذلك لما تقرر في العقيدة من أن ما يوجد في هذه الحوادث من الفوائد والخواص ليس ناشئاً عنها لا باختيار ولا علة ولا طبع . بل عن الفاعل المختار تعالى بقدرته ومشيئته ، وليس ثم ارتباط عقلي ، فيجوز وجود ذلك وعدمه ، فلله تعالى أن يجعل النار مثلاً محرقة مرة ، ثم يجعلها غير محرقة ، وأن يجعل الخبز مثلاً مقتاتاً ثم يجعله غير مقتات كالحجر ، وهكذا ، ولكن أجرى الله تعالى عادته بما وقع لما مر من الحكمة وكثيراً ما يخرق ذلك وقد مر كل ذلك .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(3) في ك وفي س وكذا في ج : « نسيتها » .

[انهزام الدلائيين في معركة بطن الرمان]

كان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر قد ملك الغرب سنين عديدة ، واتسع هو وأولاده وإخوته (1)وبنو عمه في الدنيا ، فلما قام الشريف السلطان رشيد بن الشريف ولقي جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم وذلك أوائل المحرم فاتح سنة تسع وسبعين وألف فدخلنا عليه وكان لم يحضر في المعركة لعجزه من كبر سنّه فإذا بالفَلّ يدخلون فدخل عليه أولاده وإخوته وأظهروا جزعاً شديداً وضيقاً عظيماً ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم :ما هذا ؟ إن قال لكم حسبكم فحسبكم ، يريد الله تعالى ، وهذا كلام عجيب ، وإليه يساق الحديث ، والمعنى : إن قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين ، والإشارة بهذا إلى أن الله تعالى وضع في الدنيا مائدة لعباده وجعلها دُوَلاً كما قال تعالى : « وَتِلْكَ الأيّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاسِ » فكل من جلس على هذه المائدة وتناول منها ما قسم له فلا بد أن يقام عنها (2)بالموت أو العزل ليجلس غيره ، ولا تدوم لأحد ، بل لا يقام عنها من أقيم غالباً إلاّ بمرارة وعنف ، ولذا (3)قال صلى الله عليه وسلم : <في الولاية> (4)؛ نِعْمَتِ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ » .

ثم من الناس من لم يشعر بهذا المعنى ولم يتنبه له ، فهو يسعى إليها عجباً

---

(1) في ك : « وإخوانه » .

(2) في ح : « منها » .

(3) في ح : « وكذا » .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ح .

بأوائل زبرجها وانخداعاً بظاهر زينتها ، كما قيل (5) :

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت (6) وشب ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطا تنكّر لونها وتغيرت(7) مكروهة للشمّ والتقبيل

ومن الناس من علم ذلك وتنبه له ، ثم من هؤلاء من نفعه الله بعمله فأوجب له أحوالاً محمودة إما قبل ولوجها بالزهد فيها والفرار عنها علماً بغايتها ديناً وتقوى أو حزماً في الدنيا ، وإما بعد الولوج بالتعفف والعدل والإحسان والرفق ومجانبة البغي والجور إما ديناً أيضاً وحذاراً (8)من المطالبة في الآخرة ، وإما حزماً دنيوياً وحذاراً من اختلالها واضمحلالها .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(5) نسبت هذه الأبيات لامرىء القيس برواية ابن النحاس، وهي بديوانه في طبعة الذخائر رقم24.
(6) رواية الديوان : « استعرت » .
(7) رواية الديوان :

« شمطاء جزت رأسها وتنكرت »

(8) في ح : « وحذراً » .

[دوام الملك بالعدل واضمحلاله بالجور]

وقد حكي عن فرعون – لعنه الله – أنه دخل عليه بعض أشياعه بمال عظيم فوضعه بين يديه فقال له : من أين هذا ؟ فأخبره أن بعض القرى من أعمالهم كان لهم ماء فتبطل ، وأنه قد أذن لهم في إحيائه وإجرائه على هذا المال ، فقال له فرعون : الماء ماؤهم وقد أجروه ، ففيم يدفعون المال ؟ هذا ظلم وجور ، والملك لا يستقر على الجور ، فاردد إلى الناس أموالهم .

قال بعض أئمتنا : فانظروا ، يا معشر المسلمين ، هذا كافر لا يلتفت إلى الدار الآخرة ، ثم حافظ بالعدل على دنياه فقط ، فكيف بمن يدعي الدين ثم لا يلتفت إلى العدل ولا يحافظ على دين ولا دنيا .

قلت : وقد قال الحكماء : إن الملك يستقر ويستقيم مع الكفر ولا يستقيم مع الجور ، والعلة فيه (1) أن الملوك هم خلفاء الله تعالى على عباده مؤمنهم وكافرهم ، غير أن المؤمن خليفة في الطرفين ، والكافر في الدنيا فقط ، والملك هو نظام العالم ، والعدل <هو> (2) روحه ، فمتى ذهب العدل اختل النظام ووقع الفساد في العالم، ولذلك قال أرسطوطاليس(3) في <ضوابطه> (4) :

---

(1) في ح : « في ذلك » .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) هو الفيلسوف اليوناني الشهير (384 – 322 ق . م) الملقب عند المسلمين بالمعلم الأول ، والذي كان الحجة الموثوق بها طوال العصور الوسطى ، تتلمذ على أفلاطون ، واتخذه فيليب ملك مقدونيا مربياً لابنه الإسكندر ، وأنشأ اللوكيون الذي ما يزال اسمه يطلق على معاهد التعليم الثانوي ، ألف أرسطو كتباً في شتى المواضيع ، وترجم العرب طائفة من كتبه إلى لغتهم .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

العالم (5) بستان سياجه أي حائطه الدولة ، الدولة سلطان تحيا به (6) السنة . السنة سياسة يسوسها الملك ، الملك راع يعضده الجيش (7) الجيش أعوان يكفلهم المال ، المال رزق تجمعه الرعية ، الرعية عبيد تعبدهم (8) العدل ، العدل مألوف وهو حياة (9) العالم .

ومن كلام الفرس : لا ملك إلاّ برجال ، ولا رجال إلاّ بمال ، ولا مال إلاّ بعمارة ، ولا عمارة إلاّ بعدل (10) .

---

(5) وردت هذه الكلم الثماني في « كتاب السياسة » المنسوب لأرسطو والموجود مخطوطاً بمكتبة سوهاج برقم 167 تاريخ ثم جاءت في كتاب « طبقات الأطباء والحكماء » لأبي داوود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل والمتوفى سنة 366 هـ (ص 26 مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1955 بتحقيق فؤاد سيد) ومعها التعقيب التالي : « وهي كلمات فلسفية سياسية كل كلمة منها متعلقة بما قبلها ويفسرها ما بعدها ، وكذلك آخرها متعلق بأولها » . وجاء بها ابن أبي أصيبعة في « طبقاته » (ج 1 ص 101 – 102 طبعة دار الفكر ببيروت) ومعها الخبر التالي : « وأمر أرسطوطاليس عند موته أن يدفن ويبنى عليه بيت مثمن يكتب في جملة جهاته ثمان كلمات جامعات لجميع الأمور التي بها مصلحة الناس » ثم سردها ابن أصيبعة ، وذكرها الخلدوني في « مقدمته » (ص 30 – 31 طبعة محمد عاطف) ثم أعقبها بقوله : « فهذه ثمان كلمات حكمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت أعجازها على صدورها واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها » . وأودعها اليوسي في نصيحته إلى المولى إسماعيل العلوي سلطان المغرب ، وتجد نص النصيحة في استقصاء الناصري (ج 7 ص 82 – 86 طبعة دار الكتاب بالبيضاء 1956 م) .

(6) في طبقات ابن جلجل : « تحجبه السنة » وفي نصيحة اليوسي : « تعضده السنة » .

(7) في المقدمة الخلدونية » : « الملك نظام يعضده الجند » .

(8) في « طبقات ابن جلجل » : « يتعبدهم » وفي « طبقات ابن أبي أصيبعة » : « يستملكهم » وفي « المقدمة الخلدونية » : « يكنفهم » وفي « نصيحة اليوسي للمولى إسماعيل » « يقودهم » .

(9) في « طبقات ابن جلجل » : « وهو صلاح العالم » وفي « طبقات ابن أبي أصيبعة : « العدل ألفة بها صلاح العالم » وفي « المقدمة الخلدونية » : « وبه قوام العالم » وفي نصيحة اليوسي : « وبه صلاح العالم » .

(10) في ك : « بالعدل » معرفاً .

وقال الإمام علي – كرم الله وجهه – : الدين أس ، والملك حارس ، وما لا أس له مهدوم (11) .

وفي الحديث : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إذَا صَلُحَا صَلُحَ النَّاسُ : الأمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ » .

وقال أبو بكر – رضي الله عنه – : لا يصلح هذا الأمر إلا شدة في غير عنف . ولين في غير ضعف .

وقال عمر – رضي الله عنه – : لا يقيم هذا الأمر إلا رجل يخاف الله في الناس . ولا يخاف الناس في الله .

وقال عمرو بن العاص : – رضي الله عنه – إمام عادل (12)خير من مطر وابل . وأسد حطوم ، خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم ، خير من فتنة تدوم .

وفي أمثالهم : إذا رغب السلطان عن العدل ، رغبت الرعية عن الطاعة .

ولم يزل الحازمون (13)من أهل الدين يهربون منها ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّا لاَ نُوَلِّي أمْرَنَا هَذَا مَن سَألَهُ أوْ مَنْ أرَادَهُ » إما رعياً للغالب من أنه لا يطلبه إلا شهواني أو مضيع للحزم ، وإما استناناً ليتبع عند غلبة الشهوة وضعف الديانة كأزمنتنا هذه .

---

(11) كتب ناسخ الكنانية بإزائه ما نصه بالحرف التام : « تمامه : ومن ليس له حارس فضائع » .

(12) في س و ح : « عدل » ولا ستقيم به السجعة .

(13) في س : « قوم » . بدل : « الحازمون » .

وقال أبو عمر (14) بن عبد البر : تكلم يوماً معاوية — رضي الله عنه — فقال : أما أبو بكر فهرب عنها وهربت عنه ، وأما عمر فأقبلت إليه وهرب عنها ، وأما عثمان فأصاب منها وأصابت منه ، وأما أنا فداستني ودُستها ، قال أبو عمر : وأما علي فأصابت منه ولم يصب منها ، قلت : إن أبا بكر هرب عنها من أول مرة ، وقد قال يوم السقيفة ووضع يديه (15) على عمر وأبي عبيدة : بايعوا أحد هذين الرجلين ، قال عمر : فلم أكره مما قال غيرها ، فهما هاربان منها .

وقال عمر — رضي الله عنه — بعد ذلك في قصته (16) مع أويس القرني

---

(14) هو الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (368 – 463 هـ عالم الأندلس الكبير ، ومؤلف « التمهيد ، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» و «الاستيعاب ، في طبقات الأصحاب » و«جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله » و«بهجة المجالس وأنس المجالس » وكتب أخرى زهاء الثلاثين .

(15) في س وحدها : « يده » بالإفراد .

(16) قصة عمر مع أويس أوردها ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (3 : 44 – 48) ، وها هي رواية عنه ببعض تصرف وقليل اختصار : «عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء ، الأخفياء ، الأبرار ، الشعثة رؤوسهم ، المغبرة وجوههم ، الخمصة بطونهم ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم . . . قالوا : كيف لنا برجل منهم ؟ قال : ذاك أويس القرني ، قالوا : وما أويس القرني ؟ قال : أشهل ، ذو صهوبة ، بعيد ما بين المنكبين ، معتدل القامة ، آدم شديد الأدمة ، ضارب بذقنه إلى صدره ، رام ببصره إلى موضع سجوده ، واضع يمينه على شماله ، يتلو القرآن ويبكي على نفسه . . . لو أقسم على الله لأبره . . . يا عمر ، يا علي ، إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما » انتهى بلفظه ، ثم طلبه عمر حتى لقيه في السنة التي قتل فيها يرعى إبلا لقومه الذين حجوا في تلك السنة فأراد عمر أن يعطيه من عطائه وكسوة من فضل ثيابه فامتنع أن يقبل منه ، وقال ما لفظه : « عرفني ما أصنعُ بالنفقة وما أصنع بالكسوة » أما ترى علي إزاراً من صوف ، ورداء من صوف ، متى تراني أخرقهما ؟ أما ترى أن نعلي مخصوفتان ؟ متى تراني أبليهما ؟ إني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلهما ؟ يا أمير المؤمنين ، إن بين يدي ويديك عقبة كئوداً لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول ، فأخفف رحمك الله » فعند ذلك قال عمر كلمته التي حكاها عنه اليوسي هنا .

من يأخذها بما فيها ؟ يا ليت عمر لم تلده أمه ، وقال في آخر رمق : يا ليتني تخلصت منها كفافاً (17) لا لي ولا عليّ ، هذا مع استقامته وعدله الشهير ، حتى صار يضرب به المثل في متابعة الحق ، وقد شهد له صلى الله عليه وسلم بذلك في الحديث (18) المشهور ، وقال له أيضاً : « مَا سَلَكْتَ فَجّاً إلاّ سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجّاً غَيْرَ فَجّكَ » فكيف يكون حال من لم يبلغ أدنى من هذه المرتبة ولا قارب ، وهو يتبجح بالولاية ، ويستبشر بنيل الدرجة بها عند الله تعالى .

وقال علي – كرم الله وجهه – : يا بيضاء (19) ويا صفراء غري غيري ولا تغريني .

وكل من تعرض لها من السلف فإما انتهاضاً لنصح المسلمين من نفسه بإقامة الحق لئلاّ يضيع ، وإما نزعة بشرية حركها سبب من الأسباب ، أما على الثاني فلا يقتدى به ، وأما على الأول فيقتدى من بلغ مقامه في التمكين والقوة والنزاهة ، وفي مثل زمانه الصالح الذي لم يزل فيه الدين طرياً ، والحق

---

(17) في « صحاح الجوهري » : « كفاف الشيء بالفتح مثله وقيسه ، والكفاف أيضاً من الرزق القوت ، وهو ما كف عن الناس أي أغنى » . وفي «أساس البلاغة » : « نفقته الكفاف : ليس فيها فضل ، وليتني أنجو منه كفافاً لا لي ولا علي ، وفلان لحمه كفاف أديمه : إذا ملأ جلده » .

(18) أخرج الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » . وأخرج ابن ماجة والحاكم عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به » . وأخرج الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحق بعدي مع عمر حيث كان » .

(19) عن النهاية في غريب الحديث والأثر من مادة : «صفر » ما نصه : « صالح أهل خيبر على الصفراء والبيضاء والحلقة أي الذهب والفضة والدروع ، ومنه حديث علي رضي الله عنه : يا صفراء اصفري ويا بيضاء ابيضي ، يريد الذهب والفضة » .

جلياً ، والأعوان عليه قائمين . وهيهات ذلك في آخر الزمان الذي غلب فيه حب الدنيا واستولى سلطان الهوى على الناس . فلا ترى إلاّ حرصاً (20)على الجمع والمنع . ولا ترى إلاّ نفاقاً ومداهنة وملقاً . فالمرء فيه لا يعدل بالسلامة شيئاً ، ومن له بوجودها إن لم يكن له من المولى تعالى لطف ظاهر .

وقد أنذر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الزمان ، وحض(21) فيه على تجنب أمور العامة . وإيثار السلامة . فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً ، وَهَوًى مُتَّبَعاً . وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيِّصَةِ نَفْسِكَ » .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(20) في س : « حريصاً » .

(21) في س : « حظ » بظاء مشالة وهو تصحيف .

[وسواس المهدوية]

فمن انتهض اليوم للانتصاب رَوْماً منه لإقامة الحق وإنصاف (1) المظلوم من الظالم فهو مغرور ، ولعل ذلك لا يتأتى له كما ينبغي في بيته < فضلا عن قريته > (2) فضلاً عن البلد ، فضلاً عن الإقليم ، وقد يسمع فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بمصالح المسلمين ودرجة الإمام العادل ، وذلك كله حق ، ولكن أين يتأتى ؟ فيتحرك المسكين لاقتناص الأجر والظفر بعلي (3) الدرجات فلا يفطن إلاّ وقد وقع به العشاء على سرحان (4) ، وربما حان فيمن حان (5) ، وقد يكون ذلك ، وهو الأغلب ، دسيسة دنيوية ،

---

(1) في س : « وانتصاف » .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) في س : « بأعلى » .

(4) في « مجمع الأمثال » للميداني (1 : 241) : « سقط العشاء به على سرحان ، قال أبو عبيد : أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله ، وقال الأصمعي ، أصله أن دابة خرجت تطلب العشاء فلقيها ذئب فأكلها ، وقال ابن الأعرابي : أصل هذا أن رجلا من غني يقال له سرحان بن هزلة ، كان بطلا فاتكاً يتقيه الناس ، فقال رجل يوماً : والله لأرعين أبلي هذا الوادي ولا أخاف سرحان بن هزلة ، فورد بإبله ذلك الوادي فوجد به سرحان وهجم عليه فقتله وأخذ إبله وقال :

أبلغ نصيحة أن راعي أهلها ... سقط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على متقمر ... طلق اليدين معـاود لطعان

يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف » .

(5) أي هلك فيمن هلك .

ونزغة شيطانية، وقد يقع في [بعض] (6) هذه المهاوي بعض أبناء الطريق (7) يحسدهم الشيطان على باب الله والتفرغ للحضور بين يديه وتجنب المعاصي التي هي أقرب شيء إلى الغفران برحمة الله، فلا يزال بهم حتى يضمهم إليه ويجاوز بهم مزالق من كانوا يتبعونه إلى هاوية من يتبعهم كما قال الشاعر:

وكنت امرءاً من جند إبليس (8) فانتهى   بيَ الأمر حتى صار إبليس من جندي

نسأل الله العافية. فيجد الواحد قوة إيمانية في قلبه أو حالة جمالية (9) واردة. فيوهمه ذلك أنه قوي على أن يصدع بالحق، وربما أوهمه ذلك أنه هو الحقيق بذلك دون غيره، أو أنه هو المهدي المنتظر، فيتحرك على طمع أن ينقاد له الأمر وينقاد له أبناء الزمان، ويحفر فيُكدي (10)، ولا

---

(6) ما بين العلامتين زيادة من ح.

(7) في «تعريفات الشريف الجرجاني» ما نصه: «الطريق عند اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها، فإن تتبع الرخص سبب لتنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريق» وجاء فيها أيضاً ما لفظه: «الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات».

(8) في «ثمار القلوب» للثعالبي (ص 54): «جند إبليس – يقال ذلك للمجان والخلعاء قال الشاعر:

وكنت فتى . . . . البيت»

ومثله في آكام المرجان للشبلي (ص 84) وفي شفاء الغليل للخفاجي (ص 65)، والبيت بعده بيت آخر يقول:

فلو مات قبلي كنت أحسنت بعده   طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

(9) في «تعريفات الجرجاني»: «الجلال من الصفات ما يتعلق بالقهر والغضب». وفيه أيضاً: «الجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللطف».

(10) في «أساس البلاغة» ما لفظه: «أكدى الحافر بلغ الكدية، وهي صلابة الأرض، فمنعته، كقولهم: أجبل الحافر. ومن المجاز: أكدى الرجل أخفق ولم يظفر بحاجته».

يعيد ولا يبدي ، ثم يصير أشقر إن تقدم نُحِر ، وإن تأخر عُقِر (11) ، فلا يسعه على زعمه إلاّ فتح أبواب التأويلات والترخصات ، وإسعاف الناس بعد أن قام ليتبعوه ، ومن هنالك يهدم الدين عوض ما قام ليبنيه ، ويخفض الحق مكان ما انتهض ليعليه ، فإياك وإياك .

إذا أرخى الخمول عليك ذيلاً فنم في ظله ليلاً طويلا (12)

وقد رأينا في وقتنا هذا من استولت عليه هذه الوساويس حتى وقع في شبه صاحب المانلخويا (13) بحيث لو اطلع الناس على ما هو فيه رموه في

---

(11) في « مجمع الأمثال : » كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر فجعل يقول : أشقر ، إن تتقدم تنحر ، وإن تتأخر تعقر ، يقول : إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك ، وإن أسرعت فتأخرت منهزماً أتوك من ورائك فعقروك » .

(12) في الطبعة الفاسية :

إذا أرخى الخمول عليك ذيلا فنم في ظله نلت الفلاحا
فمن لم يسأل الجيران عنـه ولا عن حاله فقد استراحا

(13) كذا بالأصل ، وفي ك و ح « المانلوخيا » أما س ففيها « المنالوخيا » وكتب أكنسوس على طرة مخطوطته في شرحها ما نصه : « لفظة يونانية معناها الجنون واختلاط الفكر » اهـ والكلمة مزيج من كلمتين ترجمتهما : « المرة السوداء » والكلمة قد رسمت في كتب الطب العربية بأشكال مختلفة ، فهي مرة : « المالنخوليـا » ومرة أخرى « المالنخونيـة » وجاءت على رسم آخر هو « الملخونيا » واشتقوا منها فعلا هو « تملخن » إذا ظهرت عليه وجعلوا منها وصفاً هو «الملخوني» واسمها الطبي اليوم هو « النوروستانيا » والمبتلى بها يصاب باضطراب عقلي معه حزن وكآبة ، وتعتريه وساوس وتوهمات كاذبة ويكون متلكىء الإرادة خائر العزيمة ، ماتات التفكير ، وقد يصحبها اختلال هضمي وصداع .

المارستان (14) ، ولكن ستر الله تعالى يغطي على عبيده (15) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(14) في « التاج » : « المارستان بفتح الراء : دار المرضى ، وهو معرب ، نقله الجوهري عن يعقوب ، قلت : وأصله بيمارستان بكسر الموحدة وسكون الياء بعدها وكسر الراء ومعناه دار المرضى كما قاله يعقوب ، قال : بيمار عندهم هو المريض وأستان بالضم المأوى كما حققه موبذ السري ، ثم خفف فحذفت الهمزة ، ولما حصل التركيب أسقطوا الباء والياء عند التعريب » .

(15) كذا بالأصل ، ومثله في ح ، أما ك ففيها : « عباده » وأما س ففيها : « عبده » بالإفراد .

[مهدوية أحمد بن أبي محلى]

وممن ابتلي بهذا قريباً أحمد بن عبد الله بن أبي محلى ،وكان صاحب (1) ابن مبارك التستاوتي (2)في الطريق حتى حصل له نصيب (3)من الذوق ، وألف فيها كتباً تدل على ذلك ، ثم نزعت به هذه النزعة ، فحدثونا أنه في أول أمره كان معاشراً لابن أبي بكر الدلائي المتقدم الذكر ، وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت ، فقال لابن أبي بكر ذات ليلة : هل لك في أن نخرج غداً إلى الناس فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر ، فلما أصبحا خرجا ، فأما ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شَعَثَهُ بالحلق ، وأقام صلاته وأوراده في أوقاتها ،وأما ابن أبي محلى فتقدم لما هم بهمن الحسبة (4) فوقع في شر وخصام أدّاه إلى فوات الصلاة عن الوقت ولم يحصل على طائل ، فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر : أما أنا فقد قضيت مآربي ، وحفظت

---

(1) في ك و س : « صحب » ثلاثياً .

(2) في س : « التستاوي » .

(3) في ك : « حتى حصل نصيباً من الذوق » .

(4) في «كتاب الأحكام السلطانية » للماوردي : « الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وهذا وإن صح من كل مسلم فالفرق فيه بين المتطوع والمحتسب من تسعة أوجه : أحدها أن فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية، وفرضه على غيره داخل في فروض الكفاية.والثاني أن قيام المحتسب من حقوق نصرته الذي لا يجوز أن يتشاغل عنه ، وقيام المتطوع به من نوافل عمله الذي يجوز أن يتشاغل عنه بغيره ... الخ » .

ديني . وانقلبت في سلامة وصفاء ؛ ومن أتى منكراً فالله <هو >(5) حسيبهُ أو نحو هذا ، وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه . ثم لم ينته إلى أن ذهب إلى بلاد (6)القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر ، وأنه بصدد الجهاد ، فاستخف قلوب العوام واتبعوه ، فدخل بلد سجلماسة وهزم عنه والي الملوك السعدية واستولى عليه ، ثم أخرجهم من درعة ، ثم تبعهم إلى حضرة مراكش ، وفيها زيدان بن أحمد المنصور فهزمه . وأخرجه منها ؛ وذهب فاستغاث بأهل السوس الأقصى فخرجوا إلى ابن أبي محلى فقتلوه وهزموا عسكره شذر مذر (7) فكان آخر العهد به ، ورجع زيدان إلى ملكه . وحدثونا أنه كان ذات يوم عند أستاذه ابن مبارك قبل ذلك فورد عليه وارد حال فتحرك وجعل يقول : أنا سلطان ، أنا سلطان ، فقال له الأستاذ : يا أحمد <هب أنك تكون سلطاناً> (8) (إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) .

وفي يوم آخر وقع للفقراء سماع فتحرك وجعل يقول : أنا سلطان ، أنا سلطان ، فتحرك فقير آخر في ناحية وجعل يقول : ثلاث سنين غير ربع ، ثلاث سنين غير ربع ، وهذه هي مدة ملكه، <وقد رمزوا له ذلك>(9) فقالوا : قام طيشاً ، ومات كبشاً ، أي قام في تسعة عشر بعد ألف ، ومات في اثنين وعشرين بعدها . وزعموا أن إخوانه من الفقراء ذهبوا إليه حين دخل مراكش برسم زيارته وتهنئته ، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهنئونه

---

(5) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح.

(6) في س : « بلد » بالإفراد .

(7) في « صحاح الجوهري » من مادة : « شذر » ما لفظه : « تفرقوا شذر مذر ، وشذر مذر ، إذا ذهبوا في كل وجه » . وفيه من مادة : « مذر » ما نصه : « يقال تفرقت إبله شذر مذر وشذر مذر : إذا تفرقت في كل وجه ، ومذر إتباع » .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

ويفرحون له بما حاز من الملك . وفيهم رجل ساكت لا يتكلم . فقال : ما شأنك(10)لا تتكلم ؟ وألح عليه في الكلام ، فقال له الرجل : أنت اليوم سلطان ، فإن أمنتني على أن أقول الحق قلته ، فقال له : أنت آمن فقل ، فقال : إن الكرة التي يلعب بها يتبعها المائتان وأكثر من خلفها ، وينكسر الناس وينجرحون ، وقد يموتون ، ويكثر الصياح والهول ، فإذا فتشت لم توجد [بداخلها] (11)إلا شراويط أي خرقاً بالية ملفوفة ، فلما سمع ابن أبي محلى هذا المثال وفهمه بكى وقال : رمنا أن نحيي (12) الدين فأتلفناه .

واعلم أن هذه الدعوى أعني دعوى الفاطمية بلوى قديمة كما أشار إلى ذلك بعض الأئمة ، وكان الشيعة ادعوا ذلك لزيد (13) بن علي ، فلما قام على هشام ظفر به يوسف (14) بن عمر فصلبه ، فقال بعض شعراء بني مروان يخاطب الشيعة :

---

(10) في ح « انك » ، بدل « ما شأنك » .

(11) ما بين العلامتين زيادة من س .

(12) كذا في الأصل وفي سواه « نجبر » بدله .

(13) ترجمه الكتبي في « الفوات » فقال : «زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين الهاشمي ، وفد على هشام بن عبد الملك فرأى منه جفوة ، فكانت سبب خروجه وطلبه الخلافة ، فظفر به يوسف بن عمر الثقفي فقتله وصلبه سنة ثلاث وعشرين ، وله أربع وأربعون سنة ، ولم يزل مصلوباً إلى سنة ست وعشرين ، وقيل : كانوا يوجهون وجهه إلى جهة العراق فيصبح وقد دار إلى القبلة مراراً ، ونسجت العنكبوت على عورته ، وكان قد صلب عريان ، وقال الموكل بخشبته : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقف على الخشبة وقال : هكذا يصنعون بولدي من بعدي ، قتلوك قتلهم الله وصلبوك صلبهم الله ، فخرج هذا في الناس ، فكتب يوسف بن عمر إلى هشام أن عجل إلى العراق ، فقد فتنوا فكتب إليه هشام : أن أحرقه بالنار» .

(14) هو أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمد الثقفي ابن ابن عم الحجاج ، وأمير العراق من قبل هشام . قال عنه ابن عساكر : « كان يسلك طرائق ابن عم أبيه الحجاج بن يوسف في الصرامة والشدة في الأمور ، وأخذ الناس بالمشاق » . وكان يوسف مضرب المثل في =

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة   ولم نر مهدياً على الجذع يصلب(15)

لله الأمر من قبل ومن بعد

= الحمق والتيه ، وفي ذلك يقول حمزة الأصفهاني في كتابه « الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة » « وأما قولهم : أتيه من أحمق ثقيف فمن التيه الذي هو الصلف ، وأحمق ثقيف هو يوسف ابن عمر ، وكان أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك ، وكان أحمق وأتيه عربي أمر ونهى في دولة الإسلام » . توفي مقتولا سنة 127 هـ .

(15) في « كامل المبرد » (3 : 236) : « يروى أن شاعراً لبني أمية قال معارضاً للشيع في تسميتهم زيداً المهدي ، والشاعر هو الأعور الكلبي : صلبنا لكم زيداً .. . البيت » .

[المهدي ابن تومرت وأتباعه]

وأول من تظاهر بهذا جداً ببلاد المغرب <فيما علمنا> (1)مهدي الموحدين ، وهو أبو عبد الله محمد بن تومرت السوسي ، وكان رجلاً فقيهاً ، له رحلة إلى المشرق ولقي (2)فيها المشايخ كالإمام الغزالي رضي الله عنه ، فلما قفل إلى المغرب لقي في طريقه عبد المؤمن بن علي قد ارتحل في طلب العلم وهو شاب صغير ، وكان عنده فيما يقال علم من علم الحدثان (3)فلما بصر به توسم فيه أنه صاحب الأمر فقال له : اذهب معي وأنا أعلمك ما تشاء من العلوم ، فصحبه عبد المؤمن في دخوله إلى المغرب (4) ، فلما وصلوا إلى حضرة

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من س .

(2) في ك و ح : « لقي » بدون الواو .

(3) عنى بالحدثان ما فسره الخلدوني في « المقدمة » فقال : « من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم ، وعلم ما يحدث لهم من حياة ، وموت ، وخير ، وشر ، سيما الحوادث العامة ، كمعرفة ما بقي من الدنيا ، ومعرفة مدد الدول ، ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك ، ولقد نجد في المدن صنفاً من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلهم بحرص الناس عليه ، فيتنصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب ، والجاه ، والمعاش ، والمعاشرة ، والعداوة ، وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ، ويسمونه المنجم ، وطرق بالحصى والحبوب ، ويسمونه الحاسب ، ونظر في المرايا والمياه ، ويسمونه ضارب المندل ، وأكثر من يتطلع إلى ذلك الأمراء والملوك في آماد دولتهم ، وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه ، أو دولة يحدثون أنفسهم بها ، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ، ومدة بقاء الدولة ، وعدد الملوك فيها ، والتعرض لأسمائهم ، ويسمى مثل ذلك الحدثان » .

(4) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك و ج ففيهما « الغرب » .

مراكش – حرسها الله – وجدوا فيها آخر (5) المرابطين . ووجدوا أمورهم مختلفة (6) كما هو المعهود في أذناب الدول . فدخل ابن تومرت وأظهر شيئاً مما حمل من العلوم العقلية ، فأنكر أهل البلد ذلك ، وكانوا إذ ذاك أهل بادية . فوشوا به إلى صاحب الوقت ، فاستدعى وناظر حتى ظهر عليهم ، فخلى السلطان سبيله ، وبقي في البلد ، ثم جعل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وشاع ذلك ، فأنهوا أمره ثانياً إلى السلطان وأغروه به ، فأمر بإخراجه فخرج إلى تلك الجبال وجعل يدعو إلى الدين ، وأقبل عليه الناس . ثم تظاهر بأنه هو المهدي ، فلما اجتمع إليه الناس حضهم (7) على إعلاء الدين ، وجهاد المفسدين ، فتقدم بهم إلى مراكش ، وجرت بينهم وبين المرابطين حروب شديدة مات في خلالها بعد أن أوصى بعبد المؤمن وهيأ الأمر له ، فولي عبد المؤمن واستوسق (8) الأمر له ، ولولده من بعده ، وهم أتباع المهدي مع كل من يشايعهم في أنه هو المهدي من الطائفة التومرتية (9) ، وقد أنكر الفقهاء عليهم ذلك وضللوهم . ولا شك في ضلالهم في ذلك عند كل من يعترف بوجود المهدي في آخر الزمان .

وقد ألف بعد ذلك الجلال السيوطي كتابه : « العرف الوردي ، في

---

(5) كتب أكنسوس هنا بإزائه على طرة مخطوطته بخط يده ما نصه باللفظ التام : « هذا غير ظاهر ، لأن الذي قام عليه هو الثاني في الدولة أو الثالث ، وهو علي بن يوسف ، وذلك أول الدولة وأوان شبابها وقوتها » اهـ .

(6) كذا بالأصل ، ومثله في ك أما س و ح ففيهما : « مختلة » وهو الأليق بسياق الكلام .

(7) في س : « حظهم » بالظاء المشالة ، وهو ظاهر التصحيف .

(8) كذا بالأصل ، ومثله في س ومعناه اجتمع وانتظم وتهيأ ، قال الزبيدي في « التاج » : استوسقوا : استجمعوا وانضموا ، وفي حديث النجاشي : « واستوسق عليه أمر الحبشة » أي اجتمعوا على طاعته واستقر الملك فيه ، ووسق الإبل فاستوسقت أي طردها فأطاعت واستوسق لك الأمر أمكنك » . وفي ك و ح : « استوثق » بالثاء المثلثة بدل السين وهو تصحيف .

(9) في الأصل : « التومرية » بسقوط التاء قبل ياء النسبة .

أخبار المهدي » (10)و « الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف » (11)وبسط القول في ذلك بما فيه غنية من أن المهدي متأخر حتى يكون في آخر الزمان لوقت خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأنه ليس هو ابن تومرت ولا أمثاله من كل من يدعي ذلك إلى زماننا .

وكنت لا أحسب أن للطائفة التومرتية (12)في دعواهم أزيد من مجرد الدعوى وتقليد شيخهم <المذكور> (13)فكان من غريب الاتفاق أني منذ نظرت في كتب التصوف وقع في يدي كتابان في هذا العلم ينسبان لأبي زيد

---

(10) كذا بالأصل ، وكذلك في الفاسية، أما الكتانية فجاء الاسم فيها هكذا : « الماوردي ، في أخبار المهدي » وأما س فالتسمية فيها كما يلي : « الوردي ، في أخبار المهدي » وهو رسالة في المهدي المنتظر ، وما ورد في شأنه من الأحاديث والآثار والأخبار ، قال السيوطي في أولها : هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي ، لخصت فيه الأربعين التي جمعها الحافظ أبو نعيم وزدت عليه ما فاته ، وهي مطبوعة ضمن كتابه المسمى بالحاوي ، في الفتاوي .

(11) هو رسالة قال السيوطي في أولها : « وبعد فقد وقع السؤال عن الحديث المشتهر على ألسنة الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره ألف سنة ، وأنا أجيب بأنه باطل لا أصل له ، ثم جاءني رجل في شهر ربيع الأول من هذه السنة وهي سنة 898 ومعه ورقة بخطه ذكر أنه نقلها من فتيا أفتى بها بعض أكابر العلماء ممن أدركته بالسن ، فيها أنه اعتمد مقتضى هذا الحديث ، وأنه يقع في المائة العاشرة خروج المهدي والدجال ونزول عيسى وسائر الأشراط وينفخ في الصور النفخة الأولى وتمضي الأربعون سنة التي بين النفختين وينفخ نفخة البعث قبل تمام الألف ، فاستبعدت صدور هذا الكلام من قبل هذا العالم المشار إليه ، وكرهت أن أصرح برده تأدباً معه فقلت : هذا شيء لا أعرفه فحاولني هذا السائل تحرير المقال في ذلك فلم أبلغه مقصوده ،فقصدني القاصدون في كشفه ،وسألني الوار دون أن أحبر فيه مؤلفاً يزدان بوصفه ، فأجبتهم إلى ما سألوا ، وشرعت لهم منهلا فإن شاءوا علوا وإن شاءوا نهلوا ، وسميته : «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف » والرسالة مطبوعة ضمن « الحاوي للفتاوي » .

(12) عاد الناسخ فكتب التومرتية ثانياً بدون التاء التي قبل ياء النسبة .

(13) ما بين العلامتين ساقط من ك .

عبد الرحمن (14)اللجائي ، أحدهما « قطب العارفين » ، والآخر « شمائل الخصوص » ، فكنت أستحسنهما (15) مـــع العلم من نفسهما أن مؤلفهما ليس من فحول العلماء ، ولكن ما فيهما حسن المسلك ، سهل المدرك ، فكنت أتمنى زيارة المؤلف لاعتقادي أنه من أهل الطريق ، وكنت إذا ارتحلت لزيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش – رضي الله عنه – أسال عنه فأجده بعيداً عني حتى إذا كان الحصار على مدينة فاس – حرسها الله – حين قتلوا القائد زيدان خرجت منها وأخذت على جبل بني زروال ، فإذا بجبل لجاية قريباً مني ، فأجمعت زيارته وتركت الركب (16) وانخزلت (17)إليه في نفر من أصحابي ،فصعدنا الجبل إليه،وإذا هم يسمونه سيدي عبد الرحمن التراري(18) فلما وصلنا إلى مقامه خرج إلينا أولاده<فأنزلونا> (19)وأكرموا مثوانا ، فلما اطمأن بنا المنزل وزرنا قالوا : هل لك في أن نخرج إليك كتب الشيخ لتراها ، فقلت : نعم ، فأخرجوا الكتابين المذكورين ، فلما رأيتهما سررت بهما واستدللت بذلك على أنه هو ذاك ، وأنه هو المؤلف لهما ، وأخرجوا كتاباً ثالثاً مجلداً ضخماً ففتحته فإذا هو يسميه « المقصد الأسنى ، في المهدي الأقنى » (20)، فلما رأيت ذلك ظننت أنه يتكلم في المهدي المنتظر على نحو

---

(14) كتب ناسخ الكتانية هنا بخطه على الطرة ما نصه بالحرف : « سيدي عبد الرحمن هذا ليس هو الشريف سيدي عبد الرحمن اللجائي أيضاً فإن كلا منهما بلجاية أحدهما في جهة منها ، والآخر في جهة ، فتفطن لهذا الفرق لأن الشريف عرف به غير واحد ، وذكره بالشريف خلاف هذا ، والله أعلم ، انظر « تحفة الأكابر » .

(15) في الفاسية : « استحسنتهما » .

(16) في س : « المركب » .

(17) في « أساس البلاغة » : « أقدم على الأمر ثم انخزل عنه أي ارتد وضعف ، وانخزل عن جواب ما قلت له : « وفي س : « انخدل » بدال مهملة بدل الزاي وهو تصحيف .

(18) في س : « المازري » . بدل : « التراري » .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) في س : « المقصود » .

ما تكلم عليه الأئمة وإذا هو يخرج أحاديث لعبد الرزاق (21)ويذكر حساباً يتضمن ظهوره إثر المائة الخامسة ، وإذا هو يصفه ويذكر أحواله ، وإذا كلامه في ابن تومرت المذكور ، وإذا هو من الطائفة التومرتية (22) ، وذكر في أثناء الكتاب المذكور أنه امتحن على يد قضاة الوقت في ذلك حتى دعي إلى فاس ثم إلى مراكش ، وانه أنقذه الله من المحنة ورجع إلى بلده سالماً ، فلما رأيت ذلك استضحكت في نفسي وقلت كما قال أبو علي الفارسي حين وجد الياء منقوطة (23) : ضاعت خطواتنا ، واستعجلت القيام ، والخروج عن ذلك المقام ، ولم أنتظر ما يضعون من طعام ، وتخلصت بالاعتذار ، بأصحابي الذين خلفت بعدي في الدار ، ولما فصلنا عنهم تأملت فقلت : حصل العلم بأن هذا الرجل من تلك الطائفة ، والعلم بأن تلك الطائفة قد كان فيها من يحتج لدعواهم الباطلة من أهل العلم ، وهاتان فائدتان غريبتان ، فلم تضع الخطوات مع أن الخطب سهل ، والمجتهد مصيب مأجور ، أو مخطىء معذور.

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(21) هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن شافع الحميري (126 - 211 هـ)شيعي معتدل ، من رجال الحديث والتفسير ، له كتاب المصنف في الحديث .

(22) كتبت التومرتية في الأصل بدون التاء للمرة الثالثة .

(23) لم نوفق إلى معرفة حكاية الياء المنقوطة هذه وما جرى فيها لأبي علي الفارسي بعد الكد في التفتيش عنها بالمظان من كتب العربية ، وكتب الرسم والنقط ، وكتب القرءات ، وكذا في كتب التراجم التي ذكرت أخبار أبي علي ، وانتهينا إلى أن ضاعت خطواتنا في التفتيش بدورنا ، فليعذرنا القارىء في أن لم نبين له ذلك الأمر ، وعسى أن يكون عنده علم بما جهلناه وعجزنا فيه .

[الرياسة والشهرة]

وإذ قد ألممنا بذكر الرياسة والشهرة وضديهما ، وذلك مما يبتلى به العام والخاص مع إشكاله والتباسه إلاّ على البصير ، فلنشر إلى شرح ذلك باختصار حتى يكون الإنسان منه على محجة واضحة في رشده وغيه ، واستقامته وانحرافه في سعيه .

فاعلم أن في كل من الرياسة والشهرة وعدم ذلك شهوة للنفس ونفرة ، ومصلحة في الدين والدنيا أو مفسدة ، فمن أُلهِم المصلحة في الرياسة أو في الشهرة وسلم من المفسدة ومن الشهوة وأصاب الإمكان فقد حصل على الشرف في الدارين ، وفي مثله يقال : المؤمنون أو المتقون بخير فكيف بإمامهم ! وإن لم يتوفر له ذلك فإن اتفقت له المصلحة والإمكان أصبح كالسراج يضيء للناس وهو يحترق (1)وفيه يقال : إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وإن اتفقت له المفسدة والإمكان أصبح من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وفي أمره ورد : « إنَّ هَذَا الأمْرَ يَكُونُ نُبُوءَةً ثُمَّ خِلافَةً ثُمَّ مُلْكاً ثُمَّ عُتُوّاً وَفَسَاداً في الأرْضِ » ، وهو الموجود اليوم ، وكثير من الحمقى في زماننا يشتكون الجور ويطلبون العدل ، ولم يدروا أن الجور قد مضى مع الملوك بعدما مضى العدل مع الخلفاء ، ولم يبق إلاّ الفساد ، فيا ليت

(1) فيه اقتباس من قول العباس بن الأحنف :

أحرم منكم بما أقول وقد ... نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت ... تضيء للناس وهي تحترق

الناس وقف لهم الأمر في الجور فيعيشوا ، وإن لم يتفق له الإمكان فهو الفضيحة إن أبدى صفحة عنقه ، والغم والوسواس إن شرق بريقه .

أما إن لم يلهم المصلحة وإنما جمحت به الشهوة أو قصد المفسدة فلا سؤال عليه .

أما شهوة الناس في الرياسة مثلاً فواضحة لما مر غير مرة من تعشقها لصفات الألوهية . ولذا يقال : دعوى فرعون الألوهية في ضمير كل أحد مع تعشق ما يتوهم من ثمرات ذلك من التنعم والترفه والاحتواء على الدنيا وأهلها . ونفرتها عن ذلك بتوقع ما فيه عادة من المتاعب والمعاطب وإيثار راحة القلب والبدن ، وتشتعل الشهوة وتتقوى بعلو الهمة في الدنيا وقوة الحرص وشهامة النفس وتضعف بضعف ذلك ، ومصلحة ذلك في الدنيا إطفاء الفتن ، وإخماد الإحن ، وقمع البغاة ، وإغاثة ملهوف ، وإنصاف مظلوم ، وتهدين السبل ، كما قال عبد الله بن مبارك (2) رضي الله عنه :

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل   وكان أضعفُنا نَهْباً لأقوانا

وجباية الأموال وتحصينها وقسم الأرزاق على أهلها إلى غير ذلك ، وفي الدين إقامة الصلاة والزكاة والجهاد ونشر العلم وكفاية أهله ونحو ذلك . وفي مطلق الشهرة في الدنيا السعي في مصالح الناس والمسادة (3)بينهم وغير ذلك ، وفي الدين نصح المستنصحين ، وتعليم المتعلمين ، وهداية الضالين ، وتربية

---

(2) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي الحنظلي . محدث صوفي مؤرخ ، ألف كتباً كثيرة في مواضيع مختلفة ، ولد سنة 118 هـ وتوفي سنة 181 هـ . ترجمته في « معارف ابن قتيبة ، و « حلية أبي نعيم » ،و«تاريخ بغداد» للخطيب ، و« تذكرة الحفاظ » للذهبي ، و«شذرات ابن العماد» .

(3) في س : « والمساواة » .

المريدين ، وغير ذلك ، وفي حديث الهداية (4)يقول صلى الله عليه وسلم لعلي – كرم الله وجهه – : « لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » . والمفسدة في ذلك في الجملة ظلم العباد ، والسعي في الأرض بالفساد ، وتضييع الحقوق ، وإظهار العقوق ، وإضلال الناس ، والتحريف والإلباس ، وشهوة النفس في الخمول والضعة إيثار الراحة والسلامة كما مر في مقابله :

وقائلة مالي أراك مجانباً أموراً وفيها للتجارة مربح ؟
فقلت لها : مالي بربحك حاجة فنحن أناس بالسلامة نفرح

ونفرتها عنها لعدم الحظ السابق ، والمصلحة في ذلك بانتفاء المفسدة التي في المقابل ، وذلك كله واضح ، فقد تبين ما هو حظ النفس في البابين، فقد تدعو إلى جانبٍ موهِمةً أنها تريد استحصال مصلحته والتخلص من المفسدة في مقابله ، وهي إنما تريد حظها الطبعي منه ، والشيطان يحثها إلى ذلك طلباً لحصول المفسدة التي فيه وفوات المصلحة التي في المقابل ، وعلى البصير الحازم أن يزُمَّ نفسه بزمام التقوى ، ويزنها بميزان العدل، وينتقدها بسراج الهدى ، ويصفيها من بهرج (5) الهوى .

فإذا دعته مثلاً إلى طلب الرياسة والقيام بالأمر موهمة أنها تريد جمع الكلمة وإقامة الشريعة وبسط العدل وكف الظلم ونحو ذلك فلا يثق بها في هذه الدعوى حتى يمتحنها فإنها تدعي أنها لم ترد متعة الدنيا وإنما طلبت استحصال الأجر والدرجة عند الله تعالى فيكفيك في امتحانها شيئان :

---

(4) في ع وفي س : وفي حديث « الراية » .

(5) في « أساس البلاغة » للزمخشري : « درهم بهرج ومتبهرج : رديء الفضة ، ومن المجاز : كلام بهرج ، وعمل بهرج ، وكذلك كل موصوف بالرداءة ، وبهرج بهم الطريق إذا أخذ بهم في غير المحجة » .

أحدهما أن تعاقدها فيما تدعو إليه بأن تقوم‌فيه أشعث أغبر لا تنال (6) مما يناله من دخل ذلك من أهل الدنيا عادة من مطعوم ولا ملبوس ولا مركوب ولا منكوح ولا مسكون ولا عظمة ، وأنك تكون كواحد من الناس لا تتميز عنهم إلا بما تحملت من المشاق والمتاعب والهموم في مصالحهم كما كان حال الخلفاء — رضي الله عنهم — حتى إنك لو كنت في رفاهية قبل ذلك تركتها شغلاً عنها كما كان فعل عمر بن عبد العزيز — رضي الله عنه — فقد حكي أنه قبل الخلافة اشتريت له حلة بنحو أربعين أو سبعين ألفاً فجسّها فقال : ما أحسنها لولا خشونة فيها ! ولما ولي الأمر اشتريت له حلة بنحو أربعة دوانق (7)فجسها فقال : ما أحسنها لولا لينها ! فقيل له ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن نفسي ذوّاقة تواقة كلما ذاقت مكانة تشوقت (8)إلى غيرها ، فلما حصلت الخلافة تاقت إلى ما عند الله تعالى . وسمع البكاء بداره حين ولي ، فدخل مسلمة بن عبد الملك إلى أخته فاطمة زوجة أمير المؤمنين فسألها عن ذلك فأخبرته أن أمير المؤمنين دخل عليهن فقال : إني قد شغلني عنكن ما نزل بي ،يعني من الخلافة ، فمن أحبت منكن أن تصبر على ذلك فلتصبر — رضي الله عنه ، وجعلنا في حماه .

ولما انعقد له الأمر وكان قد تعب فيه هم بأن يَقِيلَ فذهب ليدخل الدار ، فقال له ابنه عبد الملك بن عمر — رضي الله عنهما — : ما تريد أن تفعل يا أبت ؟ فقال له : يا بني إني قد سهرت من هذا الهم ، فأردت أن أصيب راحة ، فقال له : وأين حقوق الناس ؟ فقال : يا بني إلى الظهر ، فقال : يا أبت ومن لك بأن تعيش إلى الظهر ؟ فأخذه وقبل ما بين عينيه وقال : الحمد لله الذي خلق مني من يعينني على ديني ، فترك القيلولة ، وخرج إلى الناس

---

(6) في ك : « لا تبالي بما يناله » .

(7) في س : « أربعين دانقاً » .

(8) في ك و س : « تشوفت » .

وقال : من كانت له مظلمة فليأتنا . وجعل يرد على الناس ضياعهم وأموالهم وينصفهم مما وقع عليهم من الظلم قبله .

هكذا هكذا وإلاّ فـلا لا   طرق الجد غير طرق المزاح

ومن هذا سئل إمامنا مالك — رضي الله عنه — أيقاتل عن الإمام ؟ قال : إن كان كعمر بن عبد العزيز فنعم ؛ وإلا فدعه ينتقم الله من الظالم بالظالم حتى ينتقم من الجميع .

فإذا عرضت على نفسك هذا الشرط فتنبه إليها . فإن انشرحت له بأول عارض فعسى أن تصدق . وإن رأيت في أديمها انكماشاً ما فهي كذابة تريد أن تتذرع بتسويلتها الباطلة إلى اقتناص اللذات ، والانهماك في الشهوات ، ولا تغترّ بانشراح يظهر منها ثانيَ حالٍ لأنه يكون متكلفاً احتيالاً .

الثاني أن تقدر أن لو ظهر غيرك في الوجود ممن يقوم بهذا الأمر مثل ما ترجو أو أفضل هل تكتفي بذلك وتحمد الله تعالى على ما كفاك مئونة ما تريد أم لا . فإن اكتفيت بذلك وعلمت أن المراد انتفاع المسلمين وصلاحهم ، وقد حصل بلا مشقة منك فقد تصدق ، وإن وجدت نفسك مع ذلك مصرة على طلب ذلك متنكدة (9)من فواته فاعلم أنها كاذبة إنما تطلب حقها (10) ، فإن زعمت أنها إنما طلبت الفوز بدرجة ذلك عند الله تعالى وإنما تنكدت من فواتها فاعرض عليها أنه لو حصل ذلك أو أرفع منه وهي بين يدي الله تعالى في خلوتها مراقبة له لهجة بذكره سارحة في رياض المعارف ليلاً ونهاراً هل تطلب

---

(9) في ح : « متكدرة » .

(10) في ك وفي س وكذا في ح : « حظها » بدل حقها التي في الأصل .

هذه الحطة ؟ فإن قالت إذن لا حاجة لي بها إذ أصبت الغنيمة الباردة ووقعت على الدر النفيس فعسى أن تكون صادقة ، وإن أصرت على الطلب فهي كاذبة . هذا على أن دسائس النفس أدق شيء وأغمضه (11)فقد تسخو بالحظوظ الحسية كلها حتّى تتوهم أنها صادقة وإنما تريد حظوظاً معنوية مثل الصيت والذكر في الدنيا على ما وقع للرهبان ، نسأل الله السلامة من شرها .

ثم إن ألفيتها صادقة مع الامتحانات،وما أغرب وجود ذلك !،فانظر حينئذ في الإمكان ، فإن القيام بذلك متوقف عادة على أمور كالعقل والقوة والعدد والعدة والمال والإخوان والأعوان . فإن تيسر ذلك فمن علامة الإذن التيسيرُ،ولا يكاد يتفق ذلك ، ولا سيما فيما نحن فيه من آخر الزمان الذي قل خيره وكثر شره ، وإن اتفق فلا يكاد يتفق إلاّ بعد فتن ومفاسد لا يقوم بها ما يرجى من مصلحة ، فلا يصل إلى الطاعة على زعمه إلاّ بعد اقتحام معاص عظام ، وما أشبهه حينئذ بما شاع في ألسنة المتطببين من أنه لا يكون الرجل طبيباً حتّى يعمل مقبرة،أي ممن يقتله بعلاجه الفاسد، فلا كانت هذه الصنعة ولا كان صاحبها ، ولكن الناس مبتلون مقودون بسلاسل القدر ، لينتظم أمر الدنيا على حسب ما شاء الحكيم العليم ، نسأله سبحانه أن يصرفنا فيما فيه رضاه ، وكذا ما نحن فيه ، وإن لم تر إمكاناً أصلاً أو لم تره على مقتضى (12)المصلحة الشرعية فخل عنها ، واعلم أنك لست من أهلها .

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـــــا واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي (13)

---

(11) لقد أحسن أبو الطيب المتنبي التعبير عن بعد غور النفس وعما يكتن فيها من الخفايا مما لا يكاد يعرف أو يشعر به فقال في إيجاز بليغ :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

(12) في ك : على « قدر » المصلحة .

(13) البيت للحطيئة في سينيته التي هجا بها الزبرقان بن بدر ولها خبر معروف مشهور .

ودع غمار العلى للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلل (14)

ولا تغتر بصلاح نيتك وتمنيك الخير وتظن أنك تعطى لا محالة ما تتمنى فهيهات !

ما كل ما يتمنى المرء يدركـــــه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن (15)

واعلم أنك متى رمت النهوض إلى هذا الأمر بلا عُدّته تكون كالمجبوب يروم أن يتزوج ليولد له ولد صالح يدعو له أو ليكثّر الأمة المحمدية بنسله ، فهذا أحمق مبين ، وحسبه أن يحتسب على الله تعالى نيته الصالحة فعسى أن يعطى بها خيراً ، وفي الحديث : « نِيَّةُ المُؤْمِنِ أبْلَغُ (16) مِنْ عَمَلِهِ » وفي الحديث : « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً » وكذا أنت في هذا كله .

وانظر إلى الملك الذي أشرف على تَلٍّ ونظر إلى جنوده تحته فأعجبوه ، فتمنى أن لو كان حاضراً مع النبي صلى الله عليه وسلم لينصره ، فرحمه الله تعالى بفضله على هذه النية ، فَانْوِ أنت أيضاً أن لو كانت لك قوة على إظهار

---

(14) البيت من لامية العجم للطغرائي ، وجاء البيت في ك وفي س وكذا في ح هكذا :

ودع غمار العلى للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن باليأس

وقد تلفق على هذه الرواية من بيت الحطيئة وبيت الطغرائي شعر جاء على غرار واحد في رويه وسياقه المعنوي ، وبها تداخل البيتان أحدهما مع الآخر حتى صارا كأنهما كلام واحد نظمه شاعر واحد .

(15) البيت للمتنبي من نونيته التي مطلعها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وهي في ديوانه .

(16) في ح : « خير » بدل : « أبلغ » .

الشريعة وإحياء السنة وإخماد البدعة وحسم الباطل وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإقامة ميزان العدل وإصلاح العباد والبلاد ، فعسى أن تنال بهذه النية خيراً ، وقف ههنا وطب نفساً عما وراءه ، فلا تلج تلك المضايق ولا تتبع تلك الطرائق ، وإذا فهمت الدسيسة في هذا القسم فافهمها في غيره والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[الكشف والمكاشفة عند الصوفية]

حدثنا شيخنا العلاّمة أبو بكر بن الحسن التطافي رحمه الله <قال : دخلت على شيخنا العلاّمة أبي بكر بن الحسين التطافي رحمه الله> (1)قال : دخلت على شيخنا العلاّمة الزاهد أبي محمد عبد الله <بن علي> (2)بن طاهر الحسني رضي الله عنه يوماً وهو إذ ذاك بقرية أولاد الحاج من بلد مضغرة(3) فقال لي : إن بني يفوس وهم قرية من الخنق وقع بينهم قتال قال : فقلت : يا سيدي أجاء أحد من هنالك ؟ قال : لا ، ولكن أخبرني بذلك قلبي ، وقلبي لا يكذب علي ، فقد (4)جربته ، وكان بينه وبين هؤلاء مرحلة ، قال : فجاء الخبر بعد ذلك بوقوع الأمر كما أخبر به .

وقد رأيت أن أثبت في هذا المعنى كلاماً تتميماً للفائدة كما هو سبيل هذا الكتاب كله ، وأنا أبرأ إلى السامع من نفسي ، فلا يتوهم أني من أهل هذا المضمار وأني (5) خبرت عن وجدان ، وتكلمت عن ذوق ، وبينت عن مشاهدة ، كلا ، وإنما أقرر شيئاً أتعقله فهماً ، أو شيئاً وجدته في كتبهم مشروحاً ، ولا أدعي أنه ليس في حكمة الله البالغة ، وموهبته السابغة ، أزيد من ذلك ، بل أذكر ما انتهى إليه فهمي فأقول :

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح ، وظاهر أنه تكرار من ناسخ الأصل .
(2) ما بين العلامتين ساقط من س .
(3) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « مدغرة » بالدال .
(4) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « قد » ليس معها فاء .
(5) في ك وحدها : « وإنما » وهو تحريف .

إن الغيب المدعى الاطلاع عليه . وهو ما لا يعلمه عامة الناس قسمان : قسم متقرر في نفسه ، وللعقول وصول إليه ، وقد يدركه بعض العقول دون بعض ، وذلك كصفات الله تعالى وأسمائه ، وحكمته في أرضه وسمائه ، وأحكام (6)المعاد وغير ذلك ، وكذا كل علم مستنبط في الأصول والفروع وغير ذلك ، فهذا اطلاع صحيح ، ولكن لا يسمى في الاصطلاح كشفاً ، نعم هو الكشف الصحيح النافع ، وسنشير إليه آخر الترجمة إن شاء الله .

وقسم مرجعه الموهبة ، و<لكن> (7) لا مجال فيه للعقول ، ويكون إما بلا تقدم سبب يناسبه كحال مجذوب (8)لم يجر له سلوك ، وحال نائم كذلك ، وإما مع تقدم سبب من رياضة وتصفية أو طلب مثلاً . ثم هذا القسم إما أن يكون مناماً أو شبه منام بوجود غيبة أو يقظة .

أما المنام فيكون إما بمشاهدة الأمر على ما هو <عليه>(9) وهي الرؤيا المستغنية عن التعبير ، وإما بمشاهدة مثاله ، وهي الرؤيا التي تعبر ، وإما بسماع خطاب أو آية أو قراءتها ونحو ذلك، ولا حاجة إلى بيان حقيقة الرؤيا لأن ذلك مستوفى في علم التعبير .

---

(6) في س : « وحكمة » بدله .

(7) ما بين العلامتين إضافة من ك .

(8) في « تعريفات الشريف الجرجاني » : « المجذوب من اصطفاه الحق لنفسه واصطفاه بحضرة أنسه ، وأطلعه بجناب قدسه ، ففاز بجميع المقامات والمراتب ، بلا كلفة المكاسب والمتاعب » وفي « لطائف المنن » لابن عطاء الله : « لا تظنن أن المجذوب لا طريق له ، بل له طريق طوتها عناية الله ، فسلكها إلى الله مسرعاً عجلا ، وكثيراً ما تسمع عند مراجعة المنتسبين للطريق أن السالك أتم من المجذوب ، لأن السالك عرف الطريق وما يوصل إليه ، والمجذوب ليس كذلك بناء منهم على أن المجذوب لا طريق له ، وليس الأمر كما زعموا ، فإن المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه ، ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه ، وإنما فاته متاعبها وطول أمدها ، والمجذوب كمن طويت له الأرض إلى مكة ، والسالك كالسائر إليها على أكوار المطايا » .

(9) ما بين العلامتين إضافة من ك .

وأما الغيبة فأن يشاهد فيها شيء أيضاً أو مثاله أو يسمع الخطاب أو نحو ذلك ، وكون المشاهدة حينئذ بالعين الباصرة أو بعين القلب أمر محتمل ، ولا حاجة إلى التعرض لتحقيقه فإنه لا يتعلق به غرض .

وأما اليقظة فبأن يرى الشيء بعينه إن كان مما يرى أو مثاله ، أو يراه بقلبه إما بأن يتجلى له كرؤية البصر أو يخطر فيه أنه كذا ، أو يحدث به ، وقد يرى الشيء مكتوباً في اللوح المحفوظ أو في الصحف المستنسخة يقظة أو غيبة أو مناماً أو مكتوباً على صفحة جدار أو على جبين السائل أو غير ذلك ، وقد يفهم ذلك من صوت يسمعه أو فعل أو حال يراه لغيره أو لنفسه أو نحو ذلك ، فهذا النوع كله هو الذي يراد بالكشف والمكاشفة في عرف الناس ، وقد يختص ذلك بالقسم الثاني والثالث أو بالثالث فقط .

ولما كان أمراً معشوقاً للإنسان وذلك من وجهين :

أحدهما من حيث كونه علماً ، والعلم هو غذاء (10) الروح ، وكلما كان أغرب ، كان أشهى وأعجب .

ثانيهما من حيث كونه غيباً ، والعلم به من أوصاف الربوبية ، والعبد مرتاح (11) إلى ذلك كارتياحه إلى القدرة والعلو ، فكان للناس ولوع بذلك وتشوف (12) إليه لما ذكرنا وتشوف إلى من يظهر عليه شيء منه لاستلذاذ الغرائب ، واستعظام العجائب ، واستنجاح المآرب ، حتى إن العامة مُطبِقون على جعل ذلك آية لثبوت ولاية الولي من غير تعريج على المستقيم منه والسقيم ، وكذا صاحبه في نفسه ، فنشأ من ذلك كله لعوام المتوجهين شغف به وحرص

---

(10) في س : « غداء » بدال مهملة .
(11) في ح : « يرتاح » .
(12) في ك : « تشوق » بالقاف .

عليه لأول قدمٍ . فكثرت فيه الدعوى . وعمت به البلوى . والتبست السبل بالمنهاج ، وغطى على شمس الخصوصية دخان (13) الاستدراج (14) . رأينا (15) أن ننبه على وجوه الغلط في الأوجه السالفة بقدر ما حضر في الفكر ليتأتى للإنسان التحرز من مغالطة نفسه ومغالطة غيره له ، [والله أعلم] (16) وسمعت الشيخ أبا عبد الله ابن ناصر – رحمه الله – يقول : قال سيدي أحمد ابن إبراهيم – رحمه الله – : لا تكونوا كذابين ولا يلعب بكم الكذابون .

فنقول : أما ما يكون من جهة المنام فيمكن الغلط فيه من جهات :

منها أن لا يضبط [أمور] (17) نفسه ، فإن أمور النوم قلما تنضبط ، فيتوهم أنه رأى صورة الشيء أو المثال (18) الدال عليه أو خوطب به أو نحو ذلك والأمر بخلافه (19).

ومنها أن يرى صورته لكونها حاضرة في خياله ، فإن من أكثر تصور الشيء لشغفه به أو لاستغرابه أو للخوف منه أو عليه ربما تخيله بذلك السبب ، ولا حاصل لذلك كما في قصة الذي بشر الملك بطول العمر وأنه بقي في عمره أربعون سنة وأن أمارة ذلك أن يرى في الليلة القابلة كذا لصورة غريبة صورها

---

(13) في ك : «سلطان» بدل : «دخان» .

(14) في «تعريفات الشريف الجرجاني» : «الاستدراج أن يجعل الله العبد مقبول الحاجة وقتاً فوقتاً إلى أقصى عمره للابتدال بالبلاء والعذاب ، وقيل : الإهانة بالنظر إلى المال» اهـ . وفي «كليات أبي البقاء» : «الاستدراج أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده ، فيزداد كل يوم بعداً من الله تعالى» اهـ .

(15) كتب ناسخ الكتانية على الطرة بإزائه ما لفظه : «جواب : لما كان أمراً . . .» .

(16) ما بين العلامتين إضافة من س .

(17) ما بين العلامتين إضافة من ح .

(18) في س : «المقال» بدل : «المثال» .

(19) في ك : «على» بدل الباء .

له . فظل الملك يقلب (20) تلك الصورة في وهمه . فلما أمسى رآها فأصبح مصدقاً بكلام ذلك الشخص (21) فنال الحظوة منه (22) وهو كذاب . وما زال العامة يقولون : إن فلاناً يحلم بفلان أي لخوف منه أو لمحبته . فيكثر ذكره نهاراً ويحلم به ليلاً .

ومنها أن يرى مثالاً فيعبره بذلك ويخطىء في العبارة ويبني على الخطأ . وقد لا يذكر المنامة بل يقتصر على تفسيرها على زعمه إما حُسْنَ ظن بنفسه أن الأمر هو ذلك . وإما إيهاماً للناس <أنه> (23) إنما أخبر عن مشاهدة لا عن منام ليعد من الأولياء أهل الكشف ، فإن المنامات لا تختص (24) بهؤلاء بل تقع لسائر الناس حتى الكفرة ، ولذا وقع الحديث : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ . . . » (25) وفي الحديث أيضاً : « إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ » (26).

ومنها أن يسمع خطاباً في منامه ولا يدري ممن سمعه فيبني عليه ظناً منه أنه من الله تعالى أو من ثقة <من> (27) عباده ، وإنما هو من شيطان يلعب

---

(20) في س : « يطلب » بدل : « يقلب » .
(21) في س : « الرجل » بدله .
(22) في ح : « عنده » .
(23) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(24) في س : « لا تنحصر » .
(25) تمامه : « . . . جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » والحديث في « صحيحي البخاري ومسلم » وهو أيضاً في « صحيح الترمذي » ، وفي « سنن ابن ماجه » ، وفي « مسند ابن حنبل » ، وفي « مسند الدارمي » .
(26) الحديث في « صحيحي البخاري ومسلم » ، وعند الترمذي وابن ماجه ، وفي « مسند الدارمي ».
(27) ما بين العلامتين ساقط من ك .

به ، وكذا قد يكون كل ما ذكر شيطانياً ، فقد صح أن « الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ » (28) .

وقد يرى الشخص المخاطب فيظنه من أولياء الله أو فلاناً بعينه منهم ، وإنما هو شيطان تراءى به ،وقد يسمعه من ولي من الأولياء ويبني عليه فيخرج <خطأ> (29)فإن الولي غير معصوم من مثل هذا ، وإذا جاز على الولي الوقوع في هفوة من كبائر الذنوب عمداً بلا اضطرار (30)فكيف بالخطأ ؟ وسنذكر بعدُ وجوهاً من الخطأ في الكشف ، و <قد> (31)يكون ذلك من الولي تصرفاً في المملكة بتولية أو عزل أو نحو ذلك فينقض عليه ذلك غيره من أهل الحل والعقد بعدما حمله السامع وتحدث به ، وقد يحضر أول كلام من مجلس الصالحين في أمر ثم يفوته آخره وهو بخلاف ما سمع إلى غير ذلك .

واعلم أن مواقع صدق الرؤيا وشروط اعتبارها مشروحة في فنها ، وإنما قصدنا الإشارة إلى بعض ما يقع للناس مما ينبغي التحرز (32)منه .

وأمّا ما يرجع إلى حال الغيبة فيمكن أيضاً أن يقع فيها الخطأ بتلاعب الخيال أو تلاعب الشيطان تَرائِياً وإلقاءً ، وقد تكون <غيبته> (33)بوارد رباني أو شيطاني ، وذلك مشروح في محله عند أهله .

واعلم أنه في كل من المنام والغيبة يمكن أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

(28) الحديث في « صحيح البخاري ومسلم » ، وهو في «سنن أبي داوود» والترمذي ، وابن ماجه ، وفي « موطأ مالك » ، وفي « مسندي ابن حنبل والدارمي » .

(29) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(30) كذا بالأصل وفي غيره : « بلا إصرار » .

(31) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(32) في ك : « التحذر » بدل : « التحرز » .

(33) ما بين العلامتين ساقط من ح .

ثم يسمع في تلك الحالة كلاماً يظنه من النبي صلى الله عليه وسلم سمعه ، وهو إنما سمعه من ناحية أخرى فيبني على ذلك ويغتر به ويغر من سمعه ، وكون الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم لا يوجب امتناع أن يحضر الشيطان في ناحية ، ولا أن يتكلم هو أو إنسي (34)آخر فيطرق ذلك أذن السامع وهو في حالته يعسر عليه الضبط فيظنه ما ذكرنا ، إذا فهمت هذا فمن حدثك بأمر سماعاً من النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ونحوه فلا تعول عليه ولا بد ، ولو كان المحدث صدوقاً ، بل حتى يبرز ، ثم إذا أخلف ذلك فلا تحكم ولا بد بأن المحدث متحلِّم كاذب ، بل قد يكون صادقاً في وقوع الرؤيا وإنما غلط فيما سمع فافهم ،وما اشتهر في كلام الناس من <ان> (35) الرؤيا التي يحضر فيها النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا حق لا حلم يسلم في الرؤيا نفسها لا فيما وراء ذلك من كلام وخطاب مثلاً ، وإذا أمكن هذا في جانب النبوءة ففي الأولياء أقرب وأولى .

وأما ما يكون في اليقظة فيمكن فيه أيضاً الغلط في رؤية البصر بأن يكون المرئي خيالاً لا حاصل له كما يقع ذلك للمحموم وصاحب المَيْدِ (36) وراكب البحر ونحوهم ، وفي رؤية القلب كذلك وفي الخاطر بأن يكون شيطانياً أو مجرد حديث نفس أو قوة رجاء وظن أو نحو ذلك ، إذا علمت

---

(34) في س : « إنسان » بدل : « إنسي » .

(35) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(36) جاء في « تاج العروس » ما نصه باختصار : « ماد الرجل يميد فهو مائد : أصابه غثيان وحيرة ودوار من سكر أو ركوب بحر ، وروى أبو الهيثم : المائد الذي يركب البحر فتغثى نفسه من نتن ماء البحر حتى يدار به ويكاد يغشى عليه فيقال : ماد به البحر يميد به ميداً ، وقال الفراء : سمعت العرب تقول : الميدى الذين أصابهم الميد من الدوار ، وفي حديث أم حرام : « المائد في البحر له أجر شهيد » هو الذي يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج » .

هذا فاعلم أن الواجب على الإنسان في حق نفسه أن لا يغتر وأن يتهم رأيه ، وفي حق غيره أن لا ينخدع لكل مبطل ولا يسيء الظن بكل مسلم ، وفي هذا غموض لا يقوم به إلاّ اللبيب الموفق، ولا بد من شرح هذا<كله> (37) بعون الله وتوفيقه (38) .

فأما (39)الإنسان في خاصة نفسه ففي باب الرؤيا إن رأى ما يكره فليتعوذ بالله كما جاء في السنة المطهرة وليقل : اللهم إني أعوذ بك من شر ما رأيت أن يضرني في ديني ودنياي فإنها لن تضره،وإن رأى ما يحب فهي(40) مبشرة ، وفي الحديث : « ذَهَبَتِ النُّبُوءَةُ،وَبَقِيَتِ المُبَشِّرَاتُ » (41) ومع ذلك لا يغتر لما ذكرنا قبل ولهذا يقال : الرؤيا تسر ولا تغر .

وأما تحدثه بذلك فإن كان يتقي (42)فيه فتنة أو غروراً أو عجباً لنفسه أو نحو ذلك فليكتم ذلك ولا يلتفت إليه،وإن لم يكن به <بأس> (43)لنفسه ولا غيره فليذكرها إن شاء <الله> (44)بصورتها لا استغناء بمضمونها على زعمه ، فإن خرجت على المراد فذاك ، وإلاّ بقي بريء الساحة ، وقد يعرض ما يقتضي ذكرها كاستدعاء أستاذه ذلك منه ، وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا أصبح يقول : « مَنْ رَأى رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا » أو أن يكون في ذلك للإخوان سرور ومزيد ، وكان الشيخ أبو مهدي الدغوغي — رحمه الله—

---

(37) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(38) في ح : « وقوته » بدله .

(39) في ح : « فإن » بدل : « فأما » والظاهر أنه تحريف .

(40) في س : « فإنها» بدل : « فهي » .

(41) الحديث عند الترمذي وابن ماجه ، وفي « مسندي ابن حنبل والدارمي » .

(42) في ك : « يبتغي » بدل : « يتقي » والظاهر أنه تحريف .

(43) ما بين العلامتين ساقط من س .

(44) ما بين العلامتين ثابت بالأصل ساقط من غيره .

يقول : لا تكتموا عن إخوانكم ما تشهدونه من الكرامات فإن ذلك يحبب إليهم طاعة الله تعالى . غير أن هذا مزلقة للنفس . فالحذر الحذر ، والعاقل لا يعدل بالسلامة لنفسه شيئاً .

وأما في باب الغيبة فلا اختيار له <في حالتها كما لا اختيار له> (45) في حالة النوم ، ولكن بعد السكون يجب عليه أن يتحرز في حق نفسه وفي الإفشاء للغير كما في النوم وأكثر لأنها ملْعَبَة للشيطان إلاّ من عُصِم ، وليتحرز قبل ذلك من الوقوع في ذلك بتصحيح التقوى . وترك الدعوى ، ومجانبة المخلطين والشاطحين (46) المدعين .

وقد نقل (47) الشيخ أبو العباس زروق – رضي الله عنه – أن من اعتاد من نفسه الغيبة عند السماع أنه لا يحل له تعاطيه لأن حفظ العقل واجب . وبهذا تعلم حال متفقرة (48) الوقت في طلبهم الحمرة ، وما مثالهم إلاّ مثال سفيه مسافر وبين يديه قُطّاعٌ ومعه خفير يحميه منهم فدسوا إليه من أغراه بقتل ذلك الخفير أو طرده عن نفسه ، وذلك ليستمكنوا (49) منه بلا مدافع ، ففعل ذلك أو سعى في فعله سَفَهاً منه لقلة معرفته بمصالح نفسه ومكايد عدوه .

وهكذا المريدُ خفيرُه من تلبيس الشياطين (50) عقلُه مع توفيق الله تعالى ،

---

(45) ما بين العلامتين ساقط من س .

(46) في ك : « الشطاحين » بدله .

(47) لعله أراد ما جاء في كتابه : « قواعد التصوف » ضمن القاعدة 139 وذلك حيث يقول : « حفظ العقول واجب لحفظ الأموال والأعراض ، فمن ثم قيل بمنع السماع باتفاق في حق من علم غلبة عقله به . . . » .

(48) في ك : « مفتقرة » بتقديم الفاء على التاء وهو ظاهر التحريف .

(49) في ح : « ليتمكنوا » .

(50) كذا بالأصل وفي غيره : « الشيطان » بالإفراد .

فإذا ذهب <عنه> (51) استمكن منه وهو يطلب (52) ذلك ويحرص عليه لأنه رأى أو سمع أهل الشرا ب الصافي من أولياء الله تعالى ورأى ما يطلعون عليه من المغيبات وما يدركون من الحقائق وما يتصرفون في المملكة من التصرف. وما يقع (53) للخلق من الإقبال عليهم والتنويه بهم ، فيشتهي المسكين تلك الحالة لذلك ولا يدري أن أولئك لم يكونوا أهل شهادات (54) مثله ، ولا نالوا ذلك بحولهم [واحتيالهم] (55) ولا قوتهم ، ولا بالترّهات التي يشتغل بها هو ، وإنما اختصهم الله بموهبته (56) وأهّلهم لحضرته من غير تدبير منهم ولا اختيار . ولو كان لهم اختيار لاختاروا البقاء في خدمته وأن لا يغيبوا عنها لحظة ، فإن أدب العبد وشرفه إنما هو في خدمة مولاه لقيامه فيها بحق سيده لا بحظ نفسه . وما مثال من يطلب الخروج عن ذلك بالولَه والسكر إلاّ مثال عبد نصبه سيده لخدمته وهو يريد الإباق (57) عنها أو يريد أن يتركها اختياراً منه ليدخل إلى مجلس سيده ، فما أحقه في الحالتين بالعصا تأديباً أو طرداً (58) نسأل الله تعالى العافية ، نعم ما مر من أنه لا ينبغي له تعاطي السماع مثلاً إنما هو ما دام اختياره معه ، وأما المغلوب فلا حكم عليه ، وبهذا يجمع بين ما نذكر وبين ما يقع للصوفية في باب السماع وباب الوجد .

---

(51) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(52) في ك : « يصف » بدله وهو ظاهر الخطأ .
(53) في س : « وقع » بلفظ الماضي .
(54) كذا بالأصل وفي غيره : « شهوات » وهو الموافق لمعنى الكلام وسياقه .
(55) ما بين العلامتين زيادة من ح .
(56) في ك : «مواهبه» بلفظ الجمع .
(57) في « مصباح الفيومي» ما نصه : « أبق العبد أبقا من بابي تعب وقتل في لغة ، والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيده من غير خوف ولا كد عمل ، هكذا قيده في العين ، وقال الأزهري : الابق هروب العبد من سيده والإباق بالكسر اسم منه » .
(58) كذا بصلب الأصل ، وفي طرته بخط ناسخه : « بالطرد » وعليه حرف خاء رمزاً إلى رواية نسخة أخرى وفي غير الأصل : « أو بالطرد » .

وبلغنا أن جماعة قدموا على سيدي محمد الشرقي التادلاوي (59) المتقدم الذكر فخرج إليهم وتحرك سماع فلم يشعروا به إلاّ وهو في وسطه يتواجد <و> (60) ليس عليه إلاّ القميص ، فقال بعض الجالسين لآخر سراً : هذا رجل خفيف ، فإذا هو على الفور تكلم على خواطرهم فقال :

الله الله يـــا الله   الله الله يـــا لطيف

الحب يهز الرجال   لا والله ماني خفيف

ومن هذا قول القطب العارف الشيخ أبي مدين رضي الله عنه : [حيث قال] (61) :

فقل للذي ينهى عن الوجد أهلَه   إذا لم تذق معنا (62) شراب الهوى دعنا

<إلى أن قال> (63) :

فإنا إذا طبنا و طابت عقولنا (64)   وخامرنا خمر العشيق (65) تهتكنا

فلا تلم السَّكران في حال سكره   فقد رفع التكليف في سُكرنا عنا

والأبيات مشهورة ، غير أن هذه الغلبة لا يتحققها الجهال ولا ينتظرونها ،

---

(59) كذا بالأصل ، وفي غيره : « التدلاوي » بسقوط الألف بعد التاء .

(60) ما بين العلامتين ساقط من س .

(61) ما بين العلامتين زيادة من س .

(62) كذا هو مرسوم بالأصل ، ومثله في الفاسية ، أما ك و س فكتب فيهما هكذا : « معنى » .

(63) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح.

(64) في الفاسية : « نفوسنا » بدله .

(65) كذا بالأصل ، وفي صلب ك : « العتيق» وكتب ناسخها على طرتها ما لفظه : « الغرام هو المحفوظ على الألسنة » فأما س و ح ففيهما : « الغرام » .

نعم استدعاء حال يرجى عنه رقّةُ القلب وانشراح الصدر وذهاب جساوة (66) النفس ورعونتها بلا زائد مع صحة القصد لا ينبغي أن ينكر ، بل يلتحق بما أذن فيه شرعاً ، بل حضّ عليه مما يفيد رقة القلب وخشوعاً وتذكير الآخرة كحضور مجالس الذكر وقراءة القرآن <بالتدبر> (67) وزيارة القبور والمسح على رؤوس اليتامى ونحو ذلك .

وقد انجرّ بنا الكلام إلى ما لا حاجة بنا إليه في هذا المحل لكثرة أبوابه واتساع شعابه . فلنرجع إلى ما نحن فيه فنقول :

وأما في حال اليقظة فليحذر أيضاً من الغلط في رؤيته كما مر وفي خاطره فلا يثق بكل ما يرد عليه في قلبه <في نفسه> (68) فضلاً عن أن يخبر به الناس ، وليفرض ذلك الوارد كأنه شخص مجهول ورد عليه من سفر فأخبره بأمر وقع في بلد آخر فلا يثق به وهو لا يعرف صدقه من كذبه (69) ، ولا يخبر أحداً بخبره حتى ينظر ، ولو وثق به وحدث الناس بكلامه دخل في مضمون : « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » . بل حتى ينظر <هل> (70) صدق ما أخبر به ، ثم إن صدق فأخبره (71)

---

(66) كذا بالأصل ، وفي « صحاح الجوهري» من مادة « جسو » ما عبارته : « جسا ضد لطف وجست اليد وغيرها جسواً يبست ، وجسا الشيخ جسواً بلغ غاية السن ، والماء جمد » وفي ك و ح : « قساوة » ، وفي س : « جسارة » .

(67) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(68) ما بين العلامتين ساقط من الطبعة الفاسية وهو ثابت في المخطوطات الثلاث ، ويبدو من السياق أن لا حاجة إليه .

(69) في الفاسية : « وكذبه » بدل : « من كذبه » .

(70) ما بين العلامتين ساقط من س .

(71) في س : « فأخبر به » بدل : « فأخبره » .

كرة(72) أخرى فلا يثق به أيضاً لأنه قد يتفق للكاذب الصدق مرة أو أكثر ، ثم إن صدق فأخبره أيضاً فكذلك حتى يحصل <له> (73) اليقين بالتكرار والقرائن أنه صدوق ، فعند ذلك يثق به فيقول : حدثني الثقة ، وهكذا خاطر القلب ، وهيهات تحقق ذلك فيه بمجرد هذا . فإن الشخص في المثال يكون معروفاً بعينه ، فإذا ثبت له وصف من الصدق عرف به ، أما الخاطر القلبي فمتى يعرف أن هذا الذي أخبره الآن هو الذي صدق قبله (74) وهو يعلم أن القلب ميدان للربّاني والملكي والشيطاني والنفساني (75) فلعل هذا شيطاني أو نفساني ، نعم إن كان من جنس من قال : كنت بواباً على قلبي ثلاثين أو أربعين سنة ، فمتى تحرك خاطر سوء صرفته عنه فعسى أن يثق بما حصل في قلبه ، وكذا إن علم من ربه أنه أعطى الخاطر أو تجريب صادق من أهله في قلبه كما مرّ أو مع ربه أنه يعلمه بما يحدث في المملكة .

وقد روي أن امرأة من تلامذة الشيخ السري — رضي الله عنه — أرسلت ابناً لها في حاجة فوقع في النهر وغرق ، فبلغ الخبر إلى الشيخ قبلها <فقال للجنيد : قم بنا إليها فأتياها فجعل الشيخ يكلمها في مقام الصبر> (76) فقالت : ما أردت بهذا يا أستاذ ؟ فقال : إن ابنك من أمره كذا أي مات ، فقالت : ابني ؟ ما كان الله ليفعل ذلك . ثم ذهبت تهرول إلى الماء فنادت يا فلان فقال : لبيك وخرج إليها يسعى ، فنظر السري إلى الجنيد وقال : ما هذا ؟ فقال : إن أذن الشيخ تكلمت ، قال : تكلم ، فقال : هذه امرأة محافظة على ما لله

---

(72) كذا في صلب الأصل ، وفي طرته بخط ناسخه: « مرة » عليه خاء إشارة إلى رواية نسخة أخرى ، وفي ك : « كرة » أما ك و س ففيهما : « مرة » .

(73) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(74) في س : « قلبه » بدله وهو ظاهر التحريف .

(75) في س : « والنفسي » بدله .

(76) ما بين العلامتين سقط من ح .

عليها ، ومن شأن من كان كذلك أن لا يُحدِثَ الله أمراً حتى يعلمه ، فلما لم يعلمها الله علمت أنه لم يكن .

ولذا قال بعض المشايخ للتلامذة : أيكم إذا أراد الله أن يحدث شيئاً في المملكة أعلمه إياه ؟ قالوا : لا أحدَ مِنّا ، فقال : ابكوا على قلوب لا تجد من الله شيئاً أو نحو ذلك ، وقد شهد الذوق أنه ما يتفق ذلك عادة على استقامة إلاّ بعد صفاء المداخل (77) كلها ، فيعم ما يتصل بمعدته من مطعوم ، وبأذنه من مسموع وبعينه (78)من مَرئيٍّ وبلسانه من مقُول وبعقله من معقول ، وهكذا في سائر الجوارح . أما المخلط فلا يشرب إلا كدراً . ولا يثق أيضاً بما يقع (79) له من التجلي في باطنه ، فإن كل ما (80) سوى الأنبياء عليهم السلام معرض للخطأ والغلط . وقد يتجلى الشيء بتمامه وقد ينتقص .

وضرب <الإمام> (81)حجة الإسلام في الإحياء لذلك مثلاً وهو أن القلب في مطالعته اللوح المحفوظ بواسطة التجلي يكون كما لو كان بينك وبين جدار أو إنسان أو متاع ستر مرخىً ، فإذا انسدل لم تر شيئاً من ذلك الجدار ونحوه وقد تهب ريح فتحركه وترفعه حتى ترى الجدار بتمامه ، وقد ترفعه حتى ترى بعض الجدار فترسله ولا ترى الباقي أو ترسله قبل أن تبين (82) ما رأيت وهكذا .

قلت : ومن ثَمَّ يقع لأهل الفراسة من الصالحين اختلال أو نقصان فيظن

---

(77) كذا بالأصل ، ومثله في ح أما ك و س ففيهما : « الداوخل » .
(78) في س : « عينيه » بلفظ التثنية .
(79) في س : « وقع» بلفظ الماضي .
(80) كذا بالأصل ، وفي غيره : « من » بدل : « ما » .
(81) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(82) في ك وحدها : « يتبين » .

بهم الكذب ، وإنما يؤتون من عدم تمام التجلي كما ذكرنا أو من غلط في فهم خطاب أو نحو ذلك ، وذلك مشهور .

وقد حدثونا عن صلحاء تادلا أنه لما قام على السلطان أحمد المنصور ابن أخيه أو ابن عمه الناصر قال سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي : إن الناصر يدخل تادلا بمعنى دخول الملك ، فلما بلغ الخبر إلى سيدي محمد الشرقي قال : مسكين بابا أحمد رأى رأس الناصر قد دخل تادلا فظنها(83) الناصر يدخل ، فكان الأمر كذلك أنه هزم في نواحي تازا ثم قطع رأسه وجلب إلى مراكش فدخل تادلا في طريقه .

وعن صلحاء سلا أن رجلاً من رؤساء البحر جاء إلى سيدي علي أبي الشكاوي فشاوره على السفر في البحر فقال له : لا تفعل ، وإن فعلت فلا تربح مالك ولا نفسك ، وخرج من عنده فأتى سيدي عبد الله بن حسون فشاوره فقال له : سافر تسلم وتغنم . فسافر فاتفق عند دخولهم البحر أن أسرهم الروم فذهبوا بهم إلى أن لقوا بعض سفن المسلمين فوقع بينهم قتال فظهر المسلمون ، فاستمكن هؤلاء من سفينتهم التي أسرتهم فقبضوا عليها وغنموها ورجعوا سالمين غانمين ، ومثل هذا من أحوالهم كثير .

وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني أنه لا ينبغي لمن يطالع ألواح المحو والإثبات أن يتكلم ، وإنما يتكلم من يطالع اللوح بنفسه،وذلك لأن (84) ما في اللوح لا يتبدل بخلاف الصحف فإنه يقع فيها التبديل كما قال تعالى : « يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ » فقد يخبر بما فيها ثم يمحوه الله تعالى فيختلف خبره و(85)يدخل وهناً على الحرقة وتهمة بالكذب والدعوى .

---

(83) في ك وحدها : « فظنه » بتذكير الضمير .
(84) في س : « وذلك أن . . . » بدون اللام .
(85) في ح : « أو » بدل الواو .

وذكر في صلحاء مصر في وقته أن فلاناً منهم كان يتكلم عن اللوح فكان كل ما يقول يحتفظ به ، وفلاناً كان يتكلم عن الألواح فكان ربما يخبر بالشيء ولا يقع ، والظاهر أن حكاية الشيخ عبد القادر – رضي الله عنه – من هذا المعنى ،وذلك أن رجلاً من التجار شاور بعض المشايخ وأظنه الشيخ الدباس(86) على السفر فقال له : لا تفعل فإنك إن سافرت تقتل وينهب مالك ، فلقي الرجل الشيخ عبد القادر فكلمه (87) فقال له :سافر ولا بأس عليك ، فسافر الرجل فلما كان ببعض الطريق طرح بضاعته ثم قام فنسيها وتنحى إلى مكان آخر فنام فرأى في منامه أن قد خرج عليهم اللصوص فقتلوه ونهبوا أموالهم ، فاستيقظ مذعوراً ، وإذا به أثر الدم كأنه أثر الطعنة التي رآها في منامه ، ثم ذكر بضاعته فهرول إلى الموضع الذي نسيها فيه فإذا هي سالمة ، فأخذها ورجع إلى أهله سالماً < بماله > (88) ،فلما دخل لقي الشيخ الأول فقال له ذلك الشيخ : يا ولدي ، الشيخ عبد القادر محبوب طاب من الله تعالى كذا وكذا مدة أن يرد القتل مناماً والنهب نسياناً <ففعل> (89)فهذه الحكاية مع عبارة هذا الشيخ إذا سمعها الجاهل يتوهم أن الله تعالى قضى في أزلـه على هذا الشخص أن يقتل في هذه السفرة ويذهب ماله وأنه أطلع الشيخ على ذلك فأخبر به ثم تبدل ذلك بدعاء الشيخ عبد القادر ، وذلك باطل لا يكون ، فإن علم الله تعالى لا يتبدل ، وما قضى في أزله وهو المعبر عنه باللوح المحفوظ لا يتحول ، وإنما ذلك يخرج على ما ذكرنا من المحو والإثبات ، وهو أن يظهر

---

(86) عرف به الشعراني في « الطبقات الكبرى » فقال : « الشيخ حماد بن مسلم الدباس رضي الله عنه هو أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق ، انتهت إليه رياسة تربية المريدين ، وانعقد عليه الإجماع في الكشف عن مخفيات الموارد ، وانتمى إليه معظم مشايخ بغداد وصوفيتهم في وقته ، وهو أحد من صحب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وأثنى عليه وروى كراماته ».

(87) في س : « وكلمه » .

(88) ما بين العلامتين ساقط من س .

(89) ما بين العلامتين ساقط من ك .

الله تعالى القتل والنهب ويطلع عليه الشيخ المذكور ويكون قد قضى في علمه أنّ ذلك منام لا حقيقة ، وأن دعاء عبد القادر منوط به ، فلما دعا برز ما علمه الله تعالى أنه يكون وقضاه ، وهو الصحيح ، وإظهار المعنى الآخر يكون لحكمة يعلمها الله تعالى كصدور الدعاء والتضرع من الشيخ عبد القادر في هذه الصورة وظهور شفوف منزلته وحظوته عند ربه ، وهكذا يفهم كل ما يشبه هذا مما يقع من الكرامات أو (90) المعجزات .

واعلم أن كل ما أشرنا إليه من التحذيرات <وقررنا من التحرزات> (91) إنما هو في حال المريدين وعوام المتوجهين المعرّضين للغلط والزّلق ، وأما العارفون الكاملون وإن كانوا أيضاً غير معصومين ولا مستغنين عن التحفظ فلا حديث لنا عنهم (92) لأنهم أعرف بأحوالهم فيما يأتون (93) ويذرون ، وما يبدون وما يكتمون ، وتوصية أمثالنا لهم حماقة وسوء أدب .

وأما الإنسان في حق غيره فهو بين إحدى ثلاث : إما شيء يصدق به لمعرفته له بالبصيرة أو تقليد من يثق به من أستاذ أو نحوه فيقبله ، وإما شيء تنكره الشريعة أو الحقيقة أو العقل فينكر بالشروط المقررة في إنكار المنكر في الفقه وفي التصوف مع حسن الظن في الباطن ، وإما شيء محتمل <فيسلم> (94) لا ينكر ولا يتبع ، ولا تتم هذه الجملة إلاّ بسلامة الصدر للمسلمين وحُسن الظن بهم وتغافل عن مساويهم مع فطنة (95) ويقظة ومعرفة بالزمان وأهله ؛ والمؤمن كيس فطن ثلثاه تغافل (96) ، ويقال : اللبيب العاقل هو الفطن

---

(90) في ك : « والمعجزات » بالواو بدل : « أو » .

(91) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(92) في ك : « معهم » بدل : « عنهم » .

(93) في الأصل : « يوتون » ومثله في الكتانية وفي س و ح : « يأتون » وهو الأوفق بسياق الكلام .

(94) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(95) في س : « فطانة » بدله .

(96) في ك و س : « غفلة » بدله .

المتغافل . أما (97)الزمان فلا تسأل عنه . وقد مرّ في الحديث : « صِنْفَانِ إِذَا صَلُحَا صَلَحَ النَّاسُ ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ : الأُمَرَاءُ وَالعُلَمَاءُ » وقد فسدا معاً (98) وإلى الله المشتكى .

وكان الأمر يصلح بأئمة العدل ، وفقه الفقهاء ، وأدب الصوفية ، وقد فسد هؤلاء الثلاثة بالجور والمداهنة والبدعة ففسد الدين بهم أولاً والدنيا ثانياً كما قيل :

وهل أفسد الدين إلاّ الملوك وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تغل في البيع أثمانها
لقد وقع القوم في جيفة يبين لذي العقل إنتانها (99)

وقيل :

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يُصلحُ المِلْحَ إذا المِلحُ فسد ؟

والمراد بالقراء الفقهاء ، وبهم يصلح ما فسد كما يصلح الطعام بالملح ، فإذا فسدوا تعذر الصلاح .

أما التصوف فقد كان شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد في زمانه يقول رضي الله عنه :

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقه

الأبيات المعروفة (100)فما بالك بزماننا ؟ فقد صارت هذه المخرقة

---

(97) في ك و ح : « وأما » مع الواو .
(98) في ح : « جميعاً » بدله .
(99) في س : « إنثانها » بمثلثة وهو تصحيف .
(100) أتمها ناسخ الكتانية بخطه على الطرة هكذا :

صار التصوف ركوة وسجادة ومزلقه
صار التصوف صيحة وتواجداً أو مطبقه
كذبتك نفسك ليس ذي سنن الطريق الملحقه

مخرقة ، ولم يزل الخلق (101) ينقص إلى (102) الآن .

وقد قيل قبل هذا بزمان (103) : دعوى عريضة ، وضعف ظاهر ، أما اليوم فالدعوى من وراء حجاب .

وقد طرق أسماع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفحول القادرية والشاذلية — رضي الله عنهم — وكلام أرباب الأحوال في كل زمان فتعشقت النفوس ذلك ، وأذعن له الجمهور ،وفاضوا بالتشبه بهم ، فما شئت أن تلقى جاهلاً مسرفاً على نفسه لم يعرف بعد(104)ظاهر الشريعة فضلاً عن أن يعمل <به> (105)فضلا عن أن يخلص إلى الباطن فضلاً عن أن يكون صاحب حال فضلاً عن أن يكون صاحب مقام إلاّ وجدته يصول ويقول ، وينابذ المنقول والمعقول ، وأكثر ذلك في أبناء الفقراء يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه ويستتبع (106)أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا فيقول : خدام أبي < وزريبة أبي > (107) ويضرب عليهم كمغرم السلطان ، ولا يقبل أن يحبوا أحداً في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره ، وإذا رأى من خرج يطلب دينه أو من يدله على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك في نفسه وماله وقد يقع <له> (108)عليه شيء من

---

(101) في الكتانية : « الناس » بدله .
(102) في غير الأصل : « حتى » بدل : « إلى » .
(103) في الكتانية : « الزمان » بدل : « بزمان » .
(104) في س : « بعض » بدل : « بعد » .
(105) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .
(106) في س : « يتبع » بدله .
(107) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(108) ما بين العلامتين ساقط من ك .

المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه إلى نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالاً ؛ يخترق لهم من الخرافات والأمور المعتادات ما يدعيه سيرة وديناً يستهويهم به ثم يضمن لهم الجنة على مساوىء أعمالهم والشفاعة يوم الحشر ويقبض على لحمة ذراعه فيقول للجاهل مثله : أنت من هذه اللاحمة ، فيكتفي جهال العوام بذلك ويبقون في خدمته ولداً عن والد قائلين : نحن خدام الدار الفلانية ، وفي زريبة فلان لا نخرج عنها ، وكذا وجدنا آباءنا ، وهذا هو الضلال المبين ، وهؤلاء قطاع العباد عن الله وعن دينه داخلون في شبه ما قال النبي صلى الله عليه وسلم في ملوك السوء وخصوصاً [في] (109)بني أمية ، ففي الحديث : « إذَا بَلَغَ بَنُو أبي العَاصي ثَلاثِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا عِبَادَ اللهِ خَوَلاً (110)وَمَالَ اللهِ دُوَلاً (111).... الحديث » . ولم يعلم الجهال أنهم كيف يكونون من لحمة ذراعه بمجرد دعواه إذا لم يجعلهم الله تعالى منها ؟ وبعد أن يجعلهم كيف يغترون بذلك قبل أن يعلموا أين مصير (112)تلك اللاحمة ؟ ولعله النار ، وماذا ينفعهم اجتماعهم في النار ؟ نعوذ بالله من البوار ، قال تعالى : « وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ اليَوْمَ إذْ ظَلَمْتُمْ أنَّكُمْ في العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ » فالناس عند الله ثلاثة : مقبول مقبول له ، ومقبول غير مقبول له ، ومردود ، فالمردود لم ينج بنفسه فكيف ينجو الناس على (113)يده ؟ والمقبول لنفسه غايته نفسه ، والمقبول المقبول لـــه التكلم في الغير هو الذي

(109) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه .

(110) في « أساس البلاغة » ما لفظه : « لفلان خيل وخول أي حشم جمع خائل ، يقال فلان خائل قال أي راعيه ومصلحه ، وفلان تخدم بني فلان واستخولهم أي اتخذهم خولا » .

(111) في « المصباح » : « تداول القوم الشيء تداولا وهو حصوله في يد هذا تارة وفي يد هذا أخرى ، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها ، وجمع المفتوح دول بالكسر مثل قصعة وقصع ، وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف ، ومنهم من يقول الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب » .

(112) كذا بالأصل ، وفي غيره : « تصير » .

(113) في س : « عن » بدله .

يرجى الانتفاع به بإذن الله تعالى ، إما في العموم أو في الخصوص كثيراً أو قليلاً ، فهذا المدعي الذي يتألّى (114)على الله تعالى ويغر عباده ما يُدريه أي الثلاث (115)هو ؟ فإن كان مردوداً فيا ويله ، وإن كان مقبولاً في خاصة نفسه فما له وللناس ؟ وإن كان مقبولاً له الشفاعة فلا يدري أفي كل هؤلاء أم في بعضهم أم في غيرهم ؟ فحقه أن يدع الناس ويبكي على نفسه حتى يرى (116)أين هي ،وإن قوي رجاؤه حيناً في الله لنفسه أو لغيره فليقل : إن قبلني الله وقبل لي ، نسأل الله التوفيق .

وأما ما نحن فيه من ادعاء الاطلاع على الغيب والتظاهر بالكشف والتصرف في الوجود فهو الكثير في زماننا في المنتسبين دعوى منهم وتشبعاً بما لم يعطوا إلاّ من عصمه الله وقليل ما هم ، فمنهم من يستند إلى مجرد خيالات منامية ويتأولها لنفسه ويحكم بها كما مرّ ، ومنهم من يحكم ظناً وخَرْصاً(117) و <ثم> (118)لا يبالي بالفضيحة ولا ينتهي عن غيه ، فإذا اتفق صدقه مرة اتخذ ذلك حجة واتخذه له جهال العوام فيقولون والله لقد سمعنا منه كلاماً حقاً ، فصاروا في ذلك كأصحاب الكهان من جاهلية العرب ، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم عنهم بأن الرِّئي (119)من الجن يخطف الكلمة من الملك

---

(114) في « أساس البلاغة » للزمخشري من مادة : « ألو » ما لفظه :«تألى على الله إذا حلف ليغفرن الله له » .

(115) كذا في الأصل ، ومثله في سواه ، وهو خطأ صوابه : « الثلاثة » بهاء التأنيث ليطابق ما تقدم من قوله : « الناس ثلاثة . . . » .

(116) كذا بالأصل ، ومثله في ح ، أما ك و س ففيهما : « يدري » .

(117) في « القاموس » « الخرص » : الحزر والكذب وكل قول بالظن .

(118) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(119) بوزن : « غني » ويجوز فيه كسر الأول ، وهو صديق الإنسي من الجن ، قال الزمخشري في « أساس البلاغة » : « مع فلان رئي ورئي : جني يريه كهانة وطبا ، ويلقي على لسانه شعراً » .

فيقرها في أذن وليّه من الإنس ثم يخلط معها مائة كذبة فيقول الناس : ألم يخبرنا يوم كذا بكذا فكان حقاً للكلمة التي تلقفها من الجني ، وهكذا المذكورون، وترى الواحد منهم يخبر بأمر أو يعد قضاء حاجة لوقت فإن اتفق صدق ذلك بمصادفة قوله للقضاء الأزلي تبجح (120) بذلك ورعَد على الناس وبَرَق ، وإن كذب اكفهر في وجوه الناس وتنكر ، أو تغيب أياماً حتى ينسى ذلك فيعود إلى ترّهاته ، وما مثاله في ذلك إلاّ مثال امرأة أيّم عندها عدة بنات مشهورة (121) بالملاحة ولكنهن بغايا فاسدات (122) كما قال ذو الرمة :

على وجه ميّ مَسْحةٌ من ملاحة ... وتحت الثياب العار لو كان باديا (123)

فجعلت تنوه بذكرهن وتستميل إليهن قلوب السفهاء أمثالهن حتى اشتهر أن عند فلانة البنات الحسان ، فجاء مغرور فخطب إليها فأنكحته واحدة منهن فانقلب جذلان (124) لا يبالي ما أنفق ولا ما أهدى منشداً بلسان حاله :

ومن طلب الحسناء لم يغله المهر (125)

---

(120) في الأصل : « يتبجح » بصيغة المضارع ، وهو لا يساير سياق الكلام .

(121) كذا بالمخطوطات الثلاث ، وفي الفاسية : « مشهورات » بلفظ الجمع .

(122) كذا في المخطوطات الثلاث وفي الفاسية : « مفسدات » .

(123) حكى ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » فقال : « مكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وتسمع شعره ، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه ، فلما رأته رأت رجلا دميماً أسود وكانت من أجمل النساء قالت : واسوأتاه وابؤساه فقال ذو الرمة :

على وجه مي مسحة من ملاحة ... وتحت الثياب الشين لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طعمه ... ولو كان لون الماء أبيض صافيا
فيا ضيعة الشعر الذي لج فانقضى ... بمي ولم أملك ضلال فؤاديا

(124) في س و ح : « جدلان » بدال مهملة وهو تصحيف .

(125) هو عجز بيت هذا صدره :

تهون علينا في المعالي نفوسنا

وهو لأبي فراس الحمداني من قصيدته التي مطلعها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ... أما للهوى نهي عليك ولا أمر

وجعلت للدخول موعـداً فلما دخل أخفق فأصبح بئساً (126) خاسر الصفقة ، وحين أحست العجوز بذلك تنكرت وتغيبت حتّى نسي ذلك فرجعت تذكر بناتها أيضاً فيجيء أحمق آخر خاطباً فإذا قال له النصحاء ويحك أليس لك فيما وقع لفلان مع هذه الفاجرة عبرة ؟ يقول من فرط شغفه بما سمع من الحسن : ذلك أمر قد يتفق ، ولعله في تلك البنت فقط لا في غيرها ، فيتقدم ويقع له كما وقع للآخر ، ثم يجيء مغرور آخر لا علم له بما كان وهكذا إلى أن يتفق لواحد أن يجد الأمر كما يحب فتخرج وتطيل لسانها وتقول : من عنده في الوجود مثل بناتي ؟ ويقول الناس : والله إن فلاناً لقد تزوج منها بنتاً فوجدها كما يحب وتذهب تلك المساوي كلها في هذه الحسنة الواحدة ، فما أظرف هؤلاء الحمقى إذ يحكمون بأن الحسنات وإن قلّت يذهبن السيئات وإن كثرت ، وهكذا الفقير المدعي يتظاهر بإخبارات وتصرفات هي حسنة لذيذة عند العوام لموافقتها لشهواتهم وحاجاتهم وهي فاسدة لبطلانها وانبنائها على غير أساس ، فإذا ظهر كذبه في الواحدة قالوا : سبحان الفاعل لما يشاء ، والقادر يحنث عبد القادر ، وبهذا أيضاً يعتذر هو .

وكنت تحدثت مع بعض الأصحاب في هذا المنزع فقلت لهم : إن المدعين لا يدخلون في الإسلام حتّى يفتضحوا فاستعجبوا من ذلك وسألوا عن تأويله فقلت لهم : إن المدعي حين تهيج له الظنون الكاذبة والوساويس الباطلة يحكم بوقوع أمور ولا يذكر الله تعالى ولا يعرج على مشيئته وسعة علمه وعظيم قهره ، حتّى إذا افتضح ببطلان ما قال رجع إلى الحق وجعل يقول : الأمر أمر الله والحكم حكمه ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

---

(126) كذا في الأصل بدون الألف وفي سواه « البائس » والظاهر أنه الصواب ، وهو الذي يتفق مع السياق ، وفي «التاج» : « بئس الرجل كسمع يبأس بؤساً بالضم وبأساً وبئيساً كأمير وبؤيى وبئسى بالضم والكسر إذا افتقر واشتدت حاجته ، فهو بائس ، والبائس : المبتلى ، والبائس أيضاً النازل به بلية أو عدم يرحم لما به » انتهى باختصار .

فهلا تلا حاميمَ قبل التقدم (127)

ومنهم من يتظاهر بالوجد والسكر ويقول ما يقول في ذلك ، فإذا كذب وليم يقول : والله ما أدري <حين تكلمت> (128)ما أقول ، ومالي اختيار ، ويظن أنه يتخلص بهذا من الملامة ، وهيهات ذلك ! فإنه إن كان نطقهُ عن عمْد (129)فهو افتراء للكذب ، وإلاّ فالشيطان يلعب به ترقيصاً وضرباً واستنطاقاً ، وناهيك بها نقيصة (130).

ودخل ذات مرة عليّ الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد الصالح بن المعطي وأنا إذ ذاك بمدينة مراكش حرسها الله ومعه رجل أسود من ناحية المشرق ، فتحدث الأسود وقال : إنه من وادي (131)العباس ، وزعم أنه كان ذهب

---

(127) دو عجز بيت هذا صدره :

يذكرني حاميم والرمح شاجر

والبيت من شعر قاله الأشعث بن قيس يوم الجمل بعد قتله محمد بن طلحة ، وكان من خبر ذلك أن محمد بن طلحة كان مع أبيه في يوم الجمل ، وكان علي قد نهى أصحابه عن قتله لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان إذا حمل عليه الواحد من أصحاب علي يحتمي منه ويقول : نشدتك الله بحاميم لما فيها من قوله تعالى :(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) حتّى حمل عليه الأشعث بن قيس فتوسل إليه بها فلم يكف عنه بل حمل عليه فقتله ثم قال :

وأشعث قوام بـــآيات ربـــــه	قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
تناولت بالرمح الطويـــل ثيابه	فخر صريعـــاً لليدين وللفـــــم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً	عليـــاً ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرني حاميم والرمح شاجـــر	فهلا تلا حاميم قبـــل التقدم ؟

(128) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(129) في ح : « عمل » وهو تصحيف ظاهر .

(130) في س : « ناقصة » وهو تحريف .

(131) كذا بالأصل ، ومثله في ك وح ، وقد فتشنا معاجم البلدان فلم نقف على موضع بذلك الاسم ، أما س ففيها : « من ولد العباس » والظاهر أنه الصواب .

إلى بغداد زائراً للشيخ عبد القادر رضي الله عنه . وأنه بقي في مقامه(132) أياماً ، وأنه رآه فاستتابه ثم أمره بالتوجه إلى شيخ(133)من أهل الوقت في نهر تيِرا (134) يقال له أبو عبدالله ، وأن بين بغداد وبين ذلك البلد نحو عشرين مرحلة ، كلها قفار معاطش (135)لا يعمرها إلاّ الحيات والثعابين ، وأنه قال له : إنك ستبلغ في ثلاث ولا ترى بأساً ، فبلغ في ذلك سالماً ، وأنه بقي عند الشيخ الآخر أياماً فرده إلى بغداد وبلغها في ذلك أيضاً ، وأنه أمره الشيخ عبد القادر بالتوجه إلى بلاد المغرب لزيارة الصالحين ، فلما رأيت ذلك طمعت أن تكون له رائحة . وكانت لي حاجة فأردت استنجاده فيها . فحركت الصالح وكانت تعتّريه هزّة (136)فتحرك وصاح ، فلما تحرك <تحرك> (137) ذلك الرجل وكثُر اضطرابه وزعيقه <ثُم> (138) وعد بالحاجة لأمد قريب ، وزعم أن الشيخ عبد القادر هو الحاكم بذلك ، فلم يلبث أن حل الأجل ولم يقع ذلك ، وروجع فلم يوجد عنده(139) حاصل ، فعلم أن الشيطان استفزّه . فقلت للصالح ارتجالاً مطايبة ونصحاً :

أين الذي قد قال يا صالح ... من هو عندَ زعمه صالح
وإذ بدا ما قــاله زائفــــاً ... فهو لعمري الكاذب الطالح

---

(132) في ح : « منامه » وهو تصحيف فيهما يظهر من السياق .

(133) في ك و ح : « الشيخ » بالتعريف .

(134) في « معجم البلدان » لياقوت : « نهر تيرى بكسر التاء المثناة من فوقها وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور : بلد من نواحي الأهواز حفره أردشير الأصغر ابن بابك ، وله ذكر في أخبار الفتوح والخوارج» .

(135) في « التاج » : « المعاطش : الأراضي التي لا ماء بها ، الواحدة معطشة » . وفي غير الأصل : « معاطيش » بالياء .

(136) في « صحاح الجوهري » : « الهزة بالكسر : النشاط والارتياح » .

(137) ما بن العلامتين ساقط من ح .

(138) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(139) في ك : « له » بدل : « عنده » .

يلعب شيطـــان به جهرةً فهو إلى وسواسه جـــانح
يحسبه القطب الذي يـــدعي والقطب لا يكذب يا صالح
فانصحه كي يقلع (140) عن غيه فحسبه المنتهـــج الواضح
تقوى(141) الإله واعتصام به في سنة والعمل الصالـــح
هذا لعمري غنيـــة المغتني وذا لعمري المتجر الرابـــح
يأيهـــا النـــاس اعلموا انما عبد الإله الظـــافر الناجح
من يعبـــد المولى ويعنى بما يعنيــــه لا وانٍ ولا مازح
ولا أخو دعوى ولا مفـــتر ولا بمرتع الهوى سارح
ولا عنود عن سبيـــل التقى يوماً ولا عن الهدى جانح(142)
والمرء لا يجني سوى غـــرسه غادٍ إليـــه كسْبُهُ رائح
وهو لما يعتض (143) في نفسه من مـــأرب يقتاده كادح
والطبع مـــلاك زمام الفتى وسيره (144) بسره بـــائح
والصدق سيف صارم حدُّهُ كشّافُ كل معوص فاتح
وكل من أسر مكتومـــــة فوجههـــا في وجهه لائح

---

(140) في الطبعة الفاسية : « يقنام » بدله .
(141) كتب أكنسوس فوقه بخطه ما لفظه :
« بدل من المنتهج » .
(142) كذا بالأصل ، وفي غيره : « جامح » . بالميم .
(143) كذا بالمخطوطات الثلاث ، وكذا هو في الطبعة الفاسية .
(144) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، وفي ح : « وسيره بسيره » أما المخطوطة الكنسوسية ففيها : « وسره بسره » وكتب بإزائه على الطرة ما نصه : « السر الأول مفرد الأسرار ، وهي الخطوط في الكف والوجه ، ويقال للواحد منها أيضاً سرر ، وقد يضمان فيقال : سر وسرر ، وأما السر الثاني فواحد الأسرار التي هي الضمائر المكتومة ، وهذا كقولهم ، ما في السرائر على الأسرة يلوح ، أي اسرار الوجه تبوح بأسرار القلب ، وذلك ظاهر ، والله أعلم » .

إن تلكُ نوراً فهو منها مُضي أو ظلمة فهو بهـا كالح

ومن يرُمْ نيل المنى بالمنى (145) فهو عن الفوز بهـا نازح

ومن يخم (146) عنها ولا يقتحم أبوابها فهو امرؤ دالح (147)

ومـا على المرء سوى جده وجهـده وربـه المانح

وقد انحصرت دعاويهم في الحدثان (148) الكوائن ومآرب الناس ، ولم يرتقوا إلى ما فوق ذلك لجهلهم ، فاشتغلوا بما يطلبه العوام من الأمور المذكورة ، وذلك لو فتح لهم دون ما فوقه لكان أمراً تافهاً لا يلتفت إليه ذو همة ، فإن أولياء الله تعالى يكشف لهم عن الذات والصفات والأسماء كشفاً لا تبلغه العقول ، وعن ملكوت السماوات والأرض وعن العرش والكرسي والجنة والنار والملك والروح وغير ذلك ، فمن لم يبلغ ذلك واطلع (149)

---

(145) كتب أكنسوس بإزائه على طرة مخطوطته ما لفظه : « المنى الأول جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان ، أي يترجاه ، وأما الثاني فهو أيضاً جمع منية وهي الكذبة ، لأنه يقال : تمنى إذا كذب ، هذا ما يؤخذ من ظاهر « القاموس » ، فالمعنى : ومن يرد إدراك مقاصده بالأكاذيب فهو بعيد عن الظفر بتلك المقاصد ، والله أعلم » .

(146) في « الصحاح » : « خام عنه يخيم خيمومة أي جبن » وفي الطبعة الفاسية «يحم» بالحاء والظاهر أنه تصحيف .

(147) في «التاج» : « دلح الرجل كمنع يدلح دلحاً مشى بحمله منقبض الخطو غير منبسطه ، لثقله عليه ، وكذا البعير إذا مر به مثقلا » .

(148) يريد بالحدثان التنبؤ بما يتشوف الناس إليه من معرفة أمور المعاش والكسب والجاه والصحة والمرض والموت والحياة ، وكذا ما يتطلعون إليه من معرفة الأمور العامة كقيام الدول وسقوطها ومدد بقائها وكحدوث الحروب والطواعين ووقوع الكوارث الطبيعية من الجدوب والطوفانات والزلازل ، ويوجد في الناس من ينتصبون للتنبؤ والقول في تلك الشئون متوسلين في التعرف عليها بوسائل مختلفة ويعرفون بأصحاب علم الحدثان ، وسبق أن نقلنا نصاً عن مقدمة ابن خلدون في شأنهم .

(149) في الأصل : « ولا اطلع » ولا أشك أن « لا » لغو وأن كتابتها سهو من الناسخ .

على كون المسافر يقدم غداً <وفلان يتولى> (150)وفلان ينعزل . وفلان يتزوج ونحو ذلك وفرح به كان بمنزلة من دخل سوقاً فيها صيارفة الذهب والفضة والجوهر والياقوت وباعة الحرير وسائر البزّ والعبيد والخيل والإبل <والبر> (151) والأرز فوقع على بائع نبق فاشترى منه النبق وذهب <به> (152)فرحاً وقال إنه قد تسوق <كما تسوق> (153)الناس، ولا ريب أن ما ذهب به يفرح الصبيان به ومن لا عقل له من النسوان ، وكذلك الكوائن يفرح بها صبيان العقول (154) وكل من لم يبلغ مبلغ الرجال من عوام الناس .

ومنهم من يستخدم جنيّاً فيأتيه بخبر الناس وخبر من يَرِد عليه مثلاً وما أتى به من الهدية وما وقع له في (155)الطريق فيخبر بذلك قبل مجيئه ويخبره إذا ورد فلا يشك العوام أنه كشف ربّاني وأنه من أولياء الله . وقد يكون من أعداء الله ، كما أخبرونا عن رجل ممن تصدر للمشيخة والناس مقبلون (156)عليه فأتى رجل إلى مسجده فجلس في زاوية منه فإذا بالمرابط قد دخل فنظر يميناً وشمالاً فلما لم يرَ أحداً رفع ثوبه وجعل يبول في المسجد يميناً وشمالاً حتى نجسه فحينئذ خرجت جنّيّة فمثلت (157)بين يديه فقال لها : أي شيء جئتني به ؟ فقالت : ذهبت إلى قبيلة (158)بني فلان فلم أزل

---

(150) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(151) ما بين العلامتين ساقط من س .
(152) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(153) ما بين العلامتين ساقط من س .
(154) في س : « العقل » بالإفراد .
(155) في ح : « على » بدل : « في » .
(156) في س : « يقبلون » بصيغة المضارع .
(157) في س : « فتمثلت » .
(158) كذا في الأصل وحده ، وفي سواه : « قبيل » بدون هاء التأنيث .

حرضهم على الزيارة حتّى اتفقوا وجمعوا من الهدية كذا [وكذا](159) وهم خارجون يوم كذا ، فخرج المرابط إلى مجلسه فقال : تهيئوا لبني فلان فإنهم قادمون عليكم بهدية كذا ، فلما قدموا قالوا : قد أخبرنا الشيخ بكم وبما جئتم به منذ يوم كذا ، فهذا — والعياذ بالله — كافر ، والكرامات تحسب له.

ومنهم من يستند إلى التنجيم وعلم الاقترانات (160) وإلى خط الرمل أو نيروجات (161)أخرى تشبهه .

ومنهم من يحتال احتيالاً فإذا قدم الوفود مثلاً دسّ إليهم من يسألهم فيقولون : قد اطلع الشيخ على أحوالنا، وقد يحتال في ساعته فينظر مثلاً إلى من بين يديه ثم يبتسم أو يحرك رأسه أو يقول : سبحان الله أو لا إله إلاّ الله ويكون ذلك الشخص قد خطر له شيء فيقول : ما فعل الشيخ هذا إلاّ على ما في قلبي ، ويفهم من ذلك إمّا تعجباً وإمّا إنكاراً وإما استحساناً ، ويعده مطلعاً على ذلك وهو لم يطلع ، وقد يتكلم على ما في خاطر السامع صريحاً فلا

---

(159) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(160) في « مفتاح السعادة » : (2 : 386) ما نصه ببعض اختصار : « اعلم أن القران هو اجتماع كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد ويبحث في هذا العلم عن الأحكام الجارية في هذا العالم بسبب قران السبعة كلها أو بعضها في درجة واحدة من برج معين ، واعلم أن أرباب النجوم زعموا أن الكواكب السبعة كانت مقترنة في أول الميزان في مبدأ العالم ثم تفرقت ، فمتى اجتمعوا في برج واحد يكون سبباً لحادث عظيم كحدوث طوفان أو تبدل ملة أو دولة كغلبـــة الإسكندر وجنكيزخان وتيمور وأمثالهم حسب تفاوت القرانات في البروج وفي قران الكل أو البعض » .

(161) في « مفتاح السعادة » (1 : 365) ما نصه : « علم النيرنجات وهو معرب نيرنك وهو التمويه والتخييل وهو إظهار غرائب الامتزاجات بين القوة الفاعلة والمنفعلة وبالجملة مؤلفة بين العالم الأكبر والأصغر لصدور آثار مطلوبة من الحب والبغض والإقبال والإعراض وأمثال ذلك وبكتابات مخصوصة مؤلفة من الروحانيات المبثوثة في العالم وإن كانت مجهولة الدلالات فكأنها أرقام وحروف للأوائل وخواصها مجهولة اللمية معروفة الإنية وفيه كتاب « غاية الحكيم » للمجريطي وكتاب « أسرار الشمس والقمر » لابن وحشية » .

يشك السامع في أنه كشف ، ويكون إنما خطر له ذلك اتفاقاً حين خطر للآخر كما يقع الحافر على الحافر ، فتكلم عليه ولا اطلاع له ، وقد يتكلم <بكلام> (162) في غرض فيحمله السامع على أنه إشارة إلى ما في قلبه أو حاجته وإنه كوشف بذلك ، وأكثر ما يحكى من هذا النوع في أهل الزمان إنما هو من أحد هذه المداخل احتيال من المتبوع أو جهل من التابع . والعوام يستنطقون من لا ينطق ويفسدون من لم يفسد ، فهم الشياطين في زي المؤمنين ، وما بالك بشيطان في زيّ محب ، وإن استعذت منه عاداك ، ووقع فيك في الغيب بالإذاية زيادة على ما فعل في الحضور ، فهو شر من الشيطان الآخر بكثير ، فكن منهم على حذر كما قيل (163) :

فخف أبناء جنسك واخش منهم كما تخشى الضراغم والسَّبنْتَى (164)
وخالِطهم وزَايِلْهُمْ حِذاراً وكن كالسامريّ (165) إذا لَمَسْتَا

(162) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(163) القائل هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الألبيري المتوفى سنة 460 هـ والبيتان من قصيدة له زهدية في 112 بيتاً ، وهي في ديوانه المطبوع ببيروت سنة 1976 بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية .

(164) في « التاج » : « السبنتى» : الجريء المقدم من كل شيء ، والياء للإلحاق لا للتأنيث ، ألا ترى أن الهاء تلحقه والتنوين ، يقال : سبنتاة ، والسبنّى النمر ، ويشبه أن يكون سمي به لجرأته ، وقيل : السبنّى الأسد ، والأنثى بالهاء ، قال الشماخ يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

جزى الله خيراً من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكف سبنّى أزرق العين مطرق »

انتهى باختصار .

(165) هو موسى بن ظفر السامري نسبة إلى السامرة قبيلة من بني إسرائيل أو إلى السامرة قوم من الإسرائيليين كانوا يخالفونهم في أشياء من الدين ، وكان السامري هذا من المنافقين ومن عبدة البقر ، وهو الذي صاغ العجل من الحلي ودعا بني إسرائيل لعبادته عندما غاب عنهم موسى لميعاد ربه ، فلما رجع موسى إليهم ووجدهم في الفتنة قال للسامري فيما أخبر به القرآن : « . . . اذهب فإن لك في الحياة أن تقول : لا مساس » وفي تفسير ذلك يقول =

واعلم أن أشرف ما يكاشف به العبد ما يرجع إلى معبوده تعالى من معرفته وما له من الجلال والجمال ومن أسماء علية ، وصفات سنية ، كما مرّ ، ثم ما يرجع إلى حكمته في مملكته ، ثم ما يرجع إلى أحكامه من معرفة ما تعبّدَ به عباده أصلاً وفرعاً وكل علم يعين على ذلك .

وقد وقع في كلام الشيخ الصالح أبي عبد الله السنوسي – رضي الله عنه – حين تكلم على مذهب أهل السنة في أفعال الحيوان وأنهم أطلعهم الله على المعنى الجامع بين الحقيقة والشريعة وجنبهم جانبي القدر والجبر ذلك (166) فقال : هـــذا هو الكشف الذي ينبغي أن يسمى كشفاً لا ما يبتلى به الجاهلون من أحلام (167) شيطانية يتوهمونها (168) كرامات ، وهي استدراجات أو نحو هذا من الكلام . فهذه الجملة كلها <كلما> (169) يزداد فيها العبد ازداد كمالاً لأنه أمر مطلوب منه الاطلاع عليه فطلبه قُربة ، وحصوله درَجة ، ووجوده منفعة ، وأما ما خرج عن هذا من جزئيات الكون التي هي متعلقات القضاء والقدر ولا يتعلق بها حكم فليست مطلوبة من العبد إذا أخفيت (170) عنه ، فأدبه أن لا يشتغل بها شغلاً بالله تعالى وبما لله تعالى عليه ، فإن رزقه الله معرفته وشغله بما له عليه وغطى عنه مملكته وتركه كذلك حتى يلقاه موفوراً فقد أسبغ عليه النعمة . وحماه من جميع موارد النقمة ، وإن

= الزمخشري في كشافه : « عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أعظم منها وأوحش ، وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعاً كلياً وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته ، وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً ، وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس ، فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح : لا مساس » .

(166) كتب أكنسوس فوقه بخط يده : « كذا » .

(167) في ك : « أحكام » بدل : « أحلام » .

(168) في س : « ويتوهمونها » مع الواو .

(169) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(170) في س : « خفيت » .

أطلعه على شيء من ذلك فليعلم أن ذلك لا جدوى له في باب العبودية . وإنما فيه أمر واحد وهو أن الكرامة كلها في الجملة إن صحت دليل على صدق من ظهرت عليه <وعلامة على الخصوصية> (171)وتثبيت لقدم [من] (172) أريد تثبيته في الطريق مع ما ينضاف إلى ذلك من الشكر ومن الرجاء والخوف ؛ وفيها مع ذلك من المخاطرة خوف الركون والمساكنة لها والمكر . كما قيل إنها خدع من الحق للمتوجهين ليقفوا على الحد الذي أريد بهم ولا يجاوزوا إلى مقام لم يكن لهم ، وذلك فيمن أريد بذلك ، نسأل الله العافية ، فحق العبد التسليم والاعتناء بحقوق الله والإعراض عن حظوظه ، وإن طلب شيئاً من ذلك طلبه بإذن (173)ليصير من الحقوق ؛ كما أنه أيضاً لا يهرب منها إلا بأدب لئلا يصير الهرب من الحظوظ .

وهذا الكلام ربما يحتاج إلى تفسير غير أنا نقتصر فقد خرجنا أوكدنا نخرج عما نحن فيه و « مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ » (174) .

واعلم أن ما ذكر من أحوال المدعين على وجه النصح لهم ولمن يغتر (175) بهم إنما أردنا تخليده في بطون الأوراق ليقع عليه الخواص أهل الأدب والفقه الذين يضعون الهناء (176)موضع النقب فيعطون كلّ ذي حق حقه مع حفظ

---

(171) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(172) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وحده فأضفناه .

(173) في ح : « بأدب » بدل : « بإذن » .

(174) ما بين القوسين نص حديث رواه الترمذي في « سننه » ومالك في « موطئه » وابن حنبل في « مسنده » .

(175) في ح : « اغتر » بلفظ الماضي .

(176) في « صحاح الجوهري » ما لفظه : « هنأت البعير أهنؤه إذا طليته بالهناء وهو القطران » .
وفيه أيضاً ما عبارته : « النقبة بالضم أول ما يبدو من الجرب قطعاً متفرقة ، وجمعه نقب »
وجاء في « أساس البلاغة » للزمخشري : « فلان يضع الهناء مواضع النقب إذا كان ماهراً =

الحُرْمَة وإقامةحق النسبة كما أشرنا إليه في صدر هذا الكلام ، ولم نرد أن نفتح الباب لكل جامد على الظاهر أو خبيث جريء على أهل النسبة مسقط للحرمة فيتخذ مثالب المنتسبين إلى الله تعالى فاكهة ويمزق (177)أديمهم في مجالس السفهاء حتى يدخل الوهن على النسبة والطعن في الحرقة (178)فيُزْري العُرْيانُ باللابس ، ويحترق الرطب باليابس .

وليعلم الجاهل(179)الجمود(180)أن « هذه الأمَّة المُطَهَّرَة المُشَرَّفَة كَالْمَطَرِ لا يُدْرَى أوَّلُهَا خَيْرٌ أمْ آخِرُهَا » (181). و « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْهَا ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُم مَنْ خَالَفَهُمْ » (182) كما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، ففي كل زمان سادة ، وفي كل قطر قادة ، فكم من طالع في الدين كالشمس ، وإن لم يبصره العُمْيُ والعُمْشُ ، وكم من محبوب يرفل في حلل الأنس والادلال ، ويرتضع (183)كؤوس الجمال والإجلال (184)لو تحمّل الشفاعة في قرنين

= مصيباً » . وحكى القالي في « أماليه » (2 : 157) فقال : « خرجت تماضر بنت عمرو ابن الحارث بن الشريد فهنأت ذوداً لها جربى ثم نفضت عنها ثيابها واغتسلت ودريد يراها ولا تراه فقال دريد :

حيوا تماضر واربعوا صحبي — وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به — كاليوم هانىء أينق جــــرب
متبــــذلا تبدو محـــــاسنه — يضع الهناء مــــواضع النقب »

(177) في س : « يخرق » بدل : « يمزق » .
(178) كذا بالأصل وفي غيره : « الحرمة » .
(179) في غير الأصل : « الجهول » .
(180) في ح : « الجامد » .
(181) ما بين القوسين عبارة حديث أورده الترمذي في « صحيحه » .
(182) ما بين القوسين حديث وارد في « صحيح البخاري » وفي « سنن أبي داوود والترمذي وابن ماجه » وفي « مسندي ابن حنبل والدارمي » .
(183) في ح : « يرضع » .
(184) في ح : «الجلال » .

قبيلاً فقبيلاً (185) لكان ذلك في جنب (186) حظوته من مولاه قليلاً ، وكم من ولي أرخى عليه الخمول ذيلاً ، وصار نهاره في أعين أبناء الدهر ليلاً ، فأصبح من ضنائن (187) الله بين أوليائه ، يلعب بالدهر كما لعب الدهر بأبنائه .

وقال أبو نواس (188) :

تستّرت من دهري بظل جناحه	فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني ما درت	وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقال الآخر فيهم :

لله تحت قبــــــاب العز طائفة	أخفاهم في رداء الفقــر إجلالا
هم السلاطين في أطمار (189) مسكنةٍ	جرّوا على فلَك الخضراء (190) أذيالا

---

(185) في ك : « قبيلا » بدون الفاء .

(186) في س : « جانب » .

(187) في س : « منار الله » بدل : « من ضنائن الله » .

(188) البيتان من قصيدة له مطلعها :

لمن طلل لم أشجه وشجاني	وهاج الهوى أو هاجه لأوان

وقبله :

أخذت بحبـل من حبال محمد	أمنت به من نائب الحدثــان

والقصيدة بديوانه في نشرة أحمد عبد المجيد الغزالي .

(189) في « مصباح الفيومي » : « الطمر الثوب الخلق ، والجمع أطمار مثل حمل وأحمال »

(190) الخضراء من أسماء السماء .

غُبْرٌ ملابسُهم شم معاطسهم (191) استعبدوا من ملوك الأرض أقيالا (192)
هذي المكارم لا قعبان (193) من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا
هذي المناقب لا ثوبان من عدنٍ خيطا قميصاً فعادا بعد أسمالا (194)

والبيت الرابع لأمية (195) بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن ، وهو مشهور . وكم من راكع ساجد ، أو متورع زاهدٍ ، لا يدنيه الجاهل من ساحة المتقربين ، لكونه لم يرَ عليه سيما العارفين ، ولا بهجة المحبين ، ولم يدرِ أن الزهر ألوان ، والتمر صنوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ ، والعبيد كلهم عبيد الحضرة ،

---

(191) في « مصباح الفيومي » : « الشمم ارتفاع الأنف ، وهو مصدر من باب تعب ، فالرجل أشم والمرأة شماء ، والجمع شم مثل أحمر وحمراء وحمر » . وفيه أيضاً : « المعطس وزان المجلس الأنف » . وقوله : « شم معاطسهم » كناية عن العز والشرف وعلو الشأن .

(192) في « صحاح الجوهري » من مادة : « قول » ما لفظه : « القيل ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم ، وأصله قيل بالتشديد ، كأنه الذي له قول أي ينفذ قوله والجمع أقوال وأقيال أيضاً » .

(193) في « مصباح الفيومي » : « القعب إناء ضخم كالقصعة » .

(194) في «مصباح الجوهري» : « السمل : الخلق من الثياب يقال : ثوب أسمال كما قالوا : رمح أقصاد وبرمة أعشار » .

(195) هو أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي قال القتيبي بشأنه في « الشعر والشعراء» « قد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل ، ورغب عن عبادة الأوثان ، وكان يخبر أن نبياً يبعث قد أظل زمانه ، ويؤمل أن يكون ذلك النبي ، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصته كفر حسداً له ، ولما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » ، والبيت من قصيدة له تتألف من 13 بيتاً ، وهي في ديوانه بتحقيق عبد الحفيظ السطلي ومطلعها :

ليطلب الثأر أمثال ابن ذي يزن ريم في البحر بالأعداء أحوالا

وفي « الشعر والشعراء » لابن قتيبة أن القصيدة لوالده أبي الصلت .

من ممسك الكأس إلى مشتري الحضرة . غير أنه لكل حد مرسوم « وَمَا مِنَّا إلاّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ » ، فعليك بحسن الظن وسلامة الصدر للمسلمين ، وحفظ الحرمة لأهل الدين . والتغافل في عين الحذر ، والتبصر فيما تأتي وما تذر ، والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[إطعام الطعام في الزوايا]

حدثني الأخ الصالح الفاضل أبو عبد الله محمد الصغير بن أبي عمرو (1) المراكشي رحمه الله ورحم سلفه قال : أخبرني الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي أن شيخ المشايخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني لم يكن في وقته يطعم في زاويته ، فقالوا له في ذلك فقال : نحن أردنا انتفاع المسلمين،فإذا قمت أنا وبناتي وتعبنا واحترقنا فيطعام المريد الزائر فأي نفع يحصل له ؟

وفي المعنى أيضاً كلام يتشعب ، ونحن نختصر منه قدراً صالحاً إن شاء الله فنقول :

إن الزاوية المشتهر اسمها اليوم عند أهل الطريق من إطعام الطعام للوافدين والمساكين والملازمين على الدوام حتى صارت عند العوام كأنها من الفروض أو (2) الشروط لا يعلم لها من حيث خصوصها أصل ، ولا يجري لها ذكر في الكتاب ولا السنّة ، وإنما مرجعها إلى القِرى وإكرام الضيف ، ولا شك أنه مأمورٌ به، ففي الحديث : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » ولكنه أمر مشترك بين جميع المؤمنين ، لا يختص بالصوفي ولا القدوة ، وإن كان هؤلاء أحق بمنازلة (3) كل <خلق> (4) محمود ،

---

(1) في س : « عمر » بصيغة المعدول .

(2) في ح : « والشروط » بالواو بدل أو .

(3) كذا في المخطوطات الثلاث ، وهو ما في الطبعة الفاسية كذلك ، ولا معنى له في سياق الكلام . والنزل بضمتين وبضم فسكون : ما يهيأ للضيف ، وكنا في نزالة فلان أي في ضيافته .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

وكان صلى الله عليه وسلم يقري الضيف ويحض أصحابه على ذلك وربما ورد الضيوف فيذهب ببعضهم ويذهب أصحابه بالباقي ويقول : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ وَاحِدٌ فَلْيَذْهَبْ بِثَانٍ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ » وهكذا ، وكان عنده أصحاب الصُّفة (5): نحو أربعين (6)رجلاً ، وهم أضياف الإسلام ، وكان إذا أتته صدقة دفعها إليهم ، وإذا أتته هدية أخذ منها معهم ، وربما يدخل إلى داره حتى إذا لم يجد شيئاً دفع الضيف إلى غيره ،ولا شك أن هذا كله يكون أصلاً للإطعام(7) في الجملة من غير اختصاص بكيفية ولا بدوام ولا تعميم (8)للناس مع أنه صلى الله عليه وسلم اجتمعت له أحوال الظاهر والباطن والولاية والخلافة ، فمن حاله [الشريف] (9)يستمد الموفق من كل صنف ، ثم كان الخلفاء بعده يطعمون على حسب سيرتهم المعلومة ، ثم الملوك بعد ذلك .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(5) كتب عنهم النووي في كتابه : « تهذيب الأسماء واللغات » (ج 1 من القسم الثاني ص 177 – 178) يقول : « أصحاب الصفة زهاد من الصحابة رضي الله عنهم ، وهم الفقراء الغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت لهم في آخره صفة ، وهي مكان مقتطع من المسجد مظلل عليه ، يبيتون فيه ، ويأوون إليه ، قاله إبراهيم الحربي ، والقاضي عياض ، وأصله من صفة البيت وهو شيء كالظلة قدامه ، وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عريفهم حين هاجروا ، وكانوا يقلون ويكثرون ، ففي وقت كانوا سبعين ، وفي وقت كانوا غير ذلك ، وقد بلغوا أربعمائة كما ذكره القرطبي في تفسير سورة النور ، ومثله في الكشاف في سورة البقرة عند قوله تعالى : (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » فيزيدون بمن يقدم عليهم،وينقصون بمن يموت أو يسافر أو يتزوج » .

(6) في س : « أربعين » .

(7) في ك : « للطعام » .

(8) في س : « ولا بتعميم الناس » بجر التعميم بالباء وإضافته للفظ الناس .

(9) ما بين العلامتين زيادة من ح وكتبه ناسخ ك لحقاً بطرتها .

[الزاوية والرباط]

ولما ظهرت الصوفية لم يعرف من حالهم وجود هذه الزاوية والقيام بكل وارد من الجنس وغير الجنس كما هو اليوم ، بل كانوا — رضي الله عنهم — مَعنيّين (1) بما يعنيهم ، فمنهم المنقبض عن الناس شغلاً بحاله ، ومنهم المخالط ينتفع الناس منه بعلومه ومعارفه وآدابه ، وقد يكون منهم من يستقر بين أظهر الناس ، ومنهم من يكون سائحاً إنما يلفى في الخلوات والفلوات ، وقد يكون منهم من يكون أصحابه هم الذين يقومون بمئونته ، أو يسأل قدر قوته ، فكان أبو جعفر الحداد ، وهو من أكابر المشايخ يخرج بين العشائين فيسأل من الديار حتى يحصل على القدر المحتاج في ليلته ، فيرجع ، قالوا : وكان له قدم في التوكل معروف ، ولم يُزْرِ به ذلك عند أحد ، نعم تكون لهم رباطات فيكون (2) فيها المتجردون من أصحابهم للعبادة كشبه حال أهل الصُّفة (3) وذكر اليافعي رحمه الله في ذلك حكاية عن الإمام<أبي بكر> (4) الشبلي — رضي الله عنه — قال : كان عنده في رباطه نحو أربعين مريداً يعبدون ويعيشون بالفتوح ، وانه اتفق له (5) ذات مرة أن لم يفتح عليهم بشيء ، حتى ضاقوا ، فخرج الشيخ إليهم فحدثهم في مقام التوكل ، وحضهم (6) على

(1) في س : « مقيمين » وهو تصحيف .

(2) كذا بالأصل ، وفي سواه : « يكون » بدون الفاء .

(3) في س : « الصوفية » وأصلحها أكنسوس على طرة مخطوطته : « الصفة » .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ك ، والشبلي تقدمت ترجمته .

(5) كذا في الأصل ، وفي سواه : « لهم » .

(6) في س : « حظهم » بظاء مشالة ، وهو تصحيف .

الصبر ، ثم ذهب عنهم ، فبقُوا بعده (7) أياماً أُخر لم يأتهم شيء ، فلحقتهم الضرورة ، فلما كان ذلك خرج إليهم فقال لهم : إن الله تعالى أمرنا بالتوكل ورخص لنا في الأسباب ، فتسببوا ، ففعلوا ذلك ، وخرج الواحد منهم إلى البلد وجعل يجول في الأسواق والمجامع من غير أن يسأل أحداً وإنما يعرض نفسه لما (8) يفتح الله تعالى من رزق ، فلم يفتح عليه بشيء (9) حتى انتهى إلى طبيب نصراني قد حلق الناس عليه ، وهو يصف لهم الأدوية ، فجلس بين يديه ، ومد إليه يده ليجس نبضه (10) بلا كلام ، فجس الطبيب يده فقال له : أنا أعرف مرضك وأعرف دواءه ، ثم قال لغلام له : عليَّ برطل من الشواء ، مع خبز وحلواء ، فأحضر الغلام ذلك ، فقال الطبيب للفقير : أنت جائع ، وهذا دواؤك . فقال الفقير : إن كنت صادقاً فمن ورائي أربعون (11) كلهم بهذا المرض . فقال الطبيب لأصحابه : أحضروا من هذا الطعام ما يكفي أربعين ، فأحضروا ذلك ، فأمر الطبيب من يحمله ، وأمر الفقير أن يمشي معهم إلى أصحابـه ، فلما خرجوا تبعهم الطبيب مستخفياً ليعلم أصدق الفقير أم لا ؟ فأدخلوا ذلك إلى الرباط واستدعوا الشيخ فخرج إليهم . فوضعوا (12) الطعام بين يديه فقال : ما هذا ؟ فقص عليه الفقير القصة على وجهها فقال لهم : أفترضون أن تأكلوا طعام رجل (13) من غير أن تكافئوه ؟ فقالوا : كيف نكافئه يا أستاذ ؟ فقال : تدعون له (14) ، فأخذوا

---

(7) في ك : « عنده » بدل : « بعده » ولا شيء منهما في ح .
(8) في ك و ح : « بما » بدل : « لما » .
(9) في ك : « شيء » بدون جار .
(10) صحفت هذه الكلمة في س هكذا : « بنبطه » .
(11) في الفاسية : « فإن ورائي أربعون » وهو ملحون .
(12) في ك : « ووضعوا » بواو بدل الفاء .
(13) كذا بالأصل وفي سواه : « الرجل » بالتعريف .
(14) في ح : « إليه » وهو تحريف .

في الدعاء له ، والطبيب في كل ذلك ينظر إليهم من طاق ، فلما رأى صدق القول ، ورأى حالهم من المحافظة على الحقوق ، وارتفاع هممهم مع غاية الحاجة من غير (15)أن يتناولوا الطعام قبل المكافأة (16)ألقى الله تعالى الإيمان في قلبه ، فدخل عليهم وقال للشيخ : مدّ يدك ، وتشهد شهادة الحق ودخل في صحبتهم فصار من الصوفية ، ولله الحمد ، فانظر أيها الناظر في حكمة المولى المتفضل كيف أمسك عن أوليائه الرزق ليخرجوا إلى الخلق فيصطادوا هذا الولي الروميّ حين حان أوان الوصال والخروج من سجن القطيعة إلى حضرة مولاه ، فسبحان من يقرب من يشاء، وهو ذو الفضل العظيم ، وإنما هي السابقة « وكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه » (17)فكم من ولي لله تعالى في وسطه زنّار (18) ، وكم من كافر يؤذن فوق المنار ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية ، ويظهر من القصة أن هؤلاء الفقراء يأتيهم الفتوح لرباطهم ، لا أن <الطعام> (19)يخرج لهم من دار الشيخ كما جرى في عرف اليوم ، بل قد أشركوا (20) الشيخ في طعامهم في هذه القصة .

---

(15) كذا في صلب الأصل ، وفي طرته بخط ناسخه : « عن أن يتناولوا . . . » وعليه خاء إشارة إلى أنه رواية نسخة أخرى ، وفي س مثل ما في هذه الطرة ، أماح ففيها : « على أن يتناولوا . . . » وجاء في ك : « عن غير أن يتتناولوا . . . » .

(16) في المخطوطات الثلاث وفي ح : « المكافات » فأصلحناه .

(17) ما بين العلامتين عبارة حديث تقف عليه في بابي القدر والتوحيد من « صحيح البخاري » ، وتجده في باب القدر من « صحيح مسلم » ، وهو عند أبي داوود وابن ماجه وابن حنبل وبينهم في بعض ألفاظه اختلاف .

(18) الزنار بوزن التفاح : ما يشده النصراني والمجوسي على وسطه ، وتزنر النصراني : شد الزنار على وسطه ، وزنّره غيره بالتشديد : ألبسه إياه ، وفي « شفاء الغليل » للخفاجي ما نصه : « الزنار اشتقاقه من الزنر ، وهو الدقة ، وهو عربي ، وقيل معرب لأنه لا يجتمع في العربية نون وراء .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) في س : « اشتركوا » .

وكان بعد ذلك الشيخ يوسف (21)العجمي فيما حكي من سيرته يخرج الواحد من أصحابه ويذهب بدابة معه فيسأل النهار كله إلى الليل وما اجتمع يأتي به إلى الفقراء ، وبذلك يعيشون ، وصورة السؤال أن يقف بباب الدار والحانوت فيقول : الله ، ويمد بها صوته حتّى يكاد يغشى عليه ويسقط ، قالوا : وكانوا يتناوبون في الخروج بينهم وبين الشيخ ، يخرج الخارج يوماً لأنفسهم ويوماً للشيخ ، فكان الخارج لهم يأتي بالدابة موقرة(22)لحماً وخبزاً وجبناً (23)وبصلاً وغير ذلك ، وفي يوم الشيخ إنما يأتي بكسيرات يأكلها فقير واحد فقالوا له في ذلك فقال : أنتم بشريتكم باقية ، فبينكم وبين الخلق ارتباط ، فيعطونكم ، وأنا بشريتي قد فنيت حتّى لا تكاد<ترى> (24) فليس بيني وبين التجار والسوقة (25)وأبناء الدنيا (26) كبير مجانسة <قالوا> (27) :وكان يأمر بإغلاق باب الزاوية<طول النهار> (28) لا يفتح لأحد إلاّ للصلاة وإذا دق أحد يقول للنقيب : اذهب وانظر من شق

---

(21) ترجمه الشعراني في «الطبقات الكبرى» (2 : 60 – 61) فكان مما قال عنه : « سيدي يوسف العجمي الكوراني – رضي الله عنه – هو أول من أحيا طريقة الشيخ الجنيد – رضي الله عنه – بمصر بعد اندراسها ، وكان ذا طريقة عجيبة في الانقطاع والتسليك ، وله التلامذة الكثيرة ، وعدة زوايا ، وأخذ العهد ولبس الخرقة على الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني ، وعن الشيخ بدر الدين حسن الشمشيري ، وتلقن الذكر ، وهو لا إله إلا الله عليهما ، وهي سلسلة الشيخ الجنيد ،وأبرز بمصر الكرامات والخوارق ، وتوفي في زاويته بالقرافة الصغرى سنة ثمان وستين وسبعمائة » .

(22) في ك : « موقورة » وهو خطأ .

(23) في ح : « وحبا » بدل : « جبنا » .

(24) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(25) في « مصباح الفيومي » : « السوقة عند العرب خلاف الملك ، وتطلق السوقة على الواحد والمثنى والمجموع ، وربما جمعت على سوق مثل غرفة وغرف » .

(26) في ك : « الزمان » بدل : « الدنيا » .

(27) ما بين العلامتين ساقط من س .

(28) ما بين العلامتين ساقط من ح .

الباب فإن كان معه شيء من الفتوح للفقراء فافتح له،وإلاّ فهي زيارات فشارات (29)فقال بعض الناس في ذلك ، فقال الشيخ : أعز ما عند الفقير وقته ، وأعز ما عند أبناء الدنيا مالهم ، إن بذلوه لنا بذلنا لهم وقتنا .

وقد شاع اليوم إقامة الصوفية الزوايا بإطعام الطعام ، ولا سيما في بلادنا المغربية ، وخصوصاً في البوادي ، وما يكون من فتوح يأتي إلى يد الشيخ ، وهو ينفق فيه على المجاورين والواردين ، وهذا قد كان فيهم من قديم ، ففي ترجمة الشيخ أبي يعزى (30)أن الناس [كانوا] (31)يأتون إليه من كل بلد ، فيطعمهم من عنده ، ويعلف دوابهم ، وأن الفتوح كانت تأتيه من إخوانه في الله تعالى فينفقها على زائريه (32)وأن أهل القرى القريبة منه كانوا يضيفون الواصلين لزيارة أبي يعزى ويتبركون بهم ، فلما مات أبو يعزى رِيءَ (33)في النوم وهو يطير في الهواء (34)فقيل له: بم نلت ما نلت ؟ فقال : بإطعام الطعام .

ويحكى عن الشيخ أبي محمد عبد الخالق (35)بن ياسين الدغوغي أنه كان

---

(29) كذا هو في الأصل « بفاء فشين معجمة بعدها ألف فراء فألف فتاء مبسوطة » كأنه جمع فشار كغراب بمعنى الهذيان ، ويستعمله عوام بعض البلاد العربية اليوم بمعنى التعظم والتباهي والتظاهر بالغنى وسعة الحال ، والكلمة مولدة لا أصل لها في العربية ، قال الزبيدي في « التاج » : « الفشار كغراب الذي تستعمله العامة بمعنى الهذيان ، وكذا التفشير ليس من كلام العرب ، وإنما هو من استعمال العامة » . وكتب في ك و س « بشارات » بالباء أما س فجاءت فيها الكلمة على هذه الصورة : « بشرايات » وشكله أكنسوس بكسر الباء وفتح الشين شكل قلم وكتب فوقه علامة : « صح » كأنه جعله جمع شراء .

(30) تقدم التعريف به .

(31) ما بين العلامتين زيادة من ك و ح.

(32) في ح : « زواره » بدله .

(33) كذا هو في المخطوطات الثلاث ، وكذا هو في الفاسية ، وهو مقلوب « رئي » .

(34) في س و ح : « الهوى » وهو تحريف .

(35) تقدمت ترجمته .

يقول : طلبنا التوفيق زماناً فأخطأناه ، فإذا هو في إطعام الطعام (36) وقد اشتهر ذلك اليوم حتّى إن عوام البادية يرون ذلك كأنه شرط فيمن انتصب للزيارة أو تصدّى (37) للمشيخة،ويعدون قوة ذلك وتيسره من كراماته ، ولا يبالون بمن لم يروا ذلك على يده ، فوقع في ذلك منافع عظام وآفات جسام .

وأهل الزوايا مختلفون ، منهم من يطعم الناس من مال أبيه (38)أو من كد يمينه من غير أن يدخل عليه فتوح أصلاً ، فهذا أقرب الناس إلى السلامة وأبعد عن الشبهة ، وهو منتفع بحصول الأجر فيما أنفق ، وفي سد خلة (39) المحتاج ، وفي ترغيب الناس في الخير بما يحصل لهم من الميل الطبعي (40)، وفي اجتماع أهل الخير عنده ، وفي تعاونهم على البر ، وتعلم العلم والأدب والمعرفة ، وتربية الخير ، وإحياء مراسم الطريق ، وتكثير سواد أهله ، وغير ذلك من الوجوه المستحسنة ، والمصالح المتبينة ، وينتفع الناس معه بما ذكر وبحسن (41)الظن به وبالطريق وبأهلها وبسلامتهم من كل ما يقابل ذلك من الآفات ، إن كانت <لا> (42)تأتيه الفتوح فذاك ، وإن كانت تأتيه ويردها فلا شك أنها حالة رفيعة ، ولكن لا بد أن يحذر آفة الرد كما يحذر آفة الأخذ ، ولاسيما في الردعلى إخوانه وأتباعه .

ومن الآفات المشاهدة اليوم في ذلك أن الشح عياذاً بالله قد غلب على الناس

---

(36) حكى التادلي في « التشوف » (ص 206) فقال : « سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن موسى المزرجي يقول : سمعت الفقيه أبا محمد يسكر بن موسى يقول : قال أبو محمد عبد الخالق بن ياسين : طلبنا التوفيق زماناً فأخطأناه فإذا هو في اطعام الطعام » .

(37) في س وحدها : « تصدر » بالراء .

(38) في ك : « الله » بدل : « أبيه » .

(39) في « مصباح الفيومي » : « الخلة بالفتح : الفقر والحاجة » .

(40) في ح : « الطبيعي » .

(41) في ك : « يحسن » بصيغة المضارع .

(42) ما بين العلامتين ساقط من ح .

ولا سيما فيما هو لله خالصاً ، إذ لا باعث عليه من النفس ، فتجد الفقير يثقل عليه أن يتصدق بدرهم لمسكين محتاج ويتيم وأرملة ، ويخف عليه أن يحمل الدينار والدينارين إلى دار شيخه ، وذلك إما لبواعث شهوانية كطلب الأعواض(43) العاجلة أو مساعفة الغير أو المراياة (44)أو نحو ذلك ، وإما تصريف من الله تعالى وتسخير في هذا الوجه،ثم إن رد عليه شيخه ذلك وأغلق عليه بابه انغلقت عليه أبواب الخير والنفقة ، فبأي وجه يرتاض في صفة البخل حتى يتخلى منها ؟ <أو> (45)بمجرد الموعظة والتذكير من شيخه من غير أن ينازلها بالفعل ؟ وهيهات منه ذلك ! وإذا كان كذلك كان شيخه قد غشه في تربيته له ولو أنه قبض منه ذلك وأنفقه له في وجوه الخير كان أعود عليه وأرجى لاعتياده ذلك في جهات أخرى ، ولحصول نور ينتفع به ، نَعَمِ الأمْرُ مُخْطِر (46). والناس فيه ثلاثة :

رجل طالب دنيا آكلٌ بدينه ، يقبض لنفسه شهوة ، فهذا فاسد مفسد ، وربما انتفع معه من أنفق لله تعالى « إنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ » (47).

---

(43) كذا بالأصل ومثله في الفاسية ، أما ك و س ففيهما : « الأغراض » .

(44) كذا في المخطوطات الثلاث ، ومثله في الطبعة الفاسية ، يريد المراءاة فقلب الهمزة ياء ؛ قال الجوهري « في صحاحه » : « يقال راءى فلان الناس يرائيهم مراءاة ورياءهم مراياة على القلب .» اهـ . والمراءاة أن تعمل العمل تريد أن يراه الناس ولا تقصد به وجه الله .

(45) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية ، والهمزة فيه همزة استفهام وليست بعضاً من أو العاطفة .

(46) في « فائق الزمخشري » : « أخطر لي فلان وأخطرت له : إذا تراهنا ، وهو من الخطر بمعنى الغرر » . وفي « مصباح الفيومي » : « بادية مخطرة كأنها أخطرت المسافر فجعلته خطراً بين السلامة والتلف » . وقول اليوسي : « الأمر مخطر » بصيغة اسم الفاعل من المعنى الذي في « الفائق والمصباح » .

(47) ما بين القوسين عبارة حديث ورد في «الصحيحين » و«مسند ابن حنبل ومسند الدارمي ».

ورجل صادق في حاله ، غير كامل في تصرفه ، يخشى العطب في الأخذ ، ويؤثر جانب السلامة ، فهذا سالم في نفسه ، ولا ربح معه للناس من هذا الوجه .

ورجل كامل قد تضلع (48)من العلم والحال ، فهذا حقه الأخذ لحق الغير نصحاً له وإعانة له على الخير ، اللهم إلاّ أن يعرض ما يمنع كاطلاعه على اختلاف قصد المتصدق أو فساد في المال أو نحو ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من أصحابه ما يأتون به من النفقة إعانة لهم على الخير ، وتزكية لهم عن الأخلاق المذمومة ، ونفعاً للمسلمين بما أنفقوا وإلاّ فهو صلى الله عليه وسلم أغنى الخلق ظاهراً وباطناً ، وقد عرض عليه أن تجعل له الجبال ذهباً ينفق منها فلم يرض ، وقد لا يقبل لعوارض ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في آخر الأمر : « هَمَمْتُ ألاّ أقْبَلَ إلاّ مِنْ قُرَشِيٍّ أو ثَقَفِيٍّ أوْ دَوْسِيٍّ » والكامل من المشايخ له مدخل في ذلك .

ومنهم من يطعم من الفتوح أو من الأمرين ، فإن استقام أخذه وتصرفه فهو ينتفع بما مر في الأول ، وإن كان لا يبلغ في أجر النفقة مبلغ من أنفق في (49) كد يمينه ، وعرق جبينه ، وبمعاونة الناس على الخير ، وإدخال السرور عليهم في (50)الأخذ ، وتربية أحوالهم المحمودة ، وتزكيتهم من المذمومة ، وبالسلامة من الأنفة (51)والاشتهار بالنزاهة المتوقع في الأول، وبتيسر (52) رزقه في خلال ذلك ليتفرغ للعبادة ، إلى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية ، وينتفع الناس معه بما مر ، والمنفقون بذلك مع حصول أجر ما أنفقوا ، والتخلي

---

(48) في س : « تظلع » بالظاء المشالة ، وهو تصحيف .
(49) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « من » بدله .
(50) كذا في الأصل ، وفي غيره : « بالأخذ » .
(51) في ك : « الآفة » بدل : « الأنفة » .
(52) في ح وحدها : « بتيسير » .

والتحلي (53) كما مرّ ،وغير ذلك ، ومن سوى هذين الشخصين من كل من يستظهر بالخرقة ويتجر باللقمة فلا عبرة به ، وقد ينتفع المنفق كما مر إن سلم من أتباعه على زيغه والسقوط في مهاوي بدعته ، وهذا كله في الإطعام والإنفاق جملة .

وأما أكل المريد لطعام شيخه والنزول في مثواه وافتراش فراشه وغير ذلك من الانتفاعات فقد يسلم في ذلك وقد يحصل له انتفاع زيادة على السلامة كحصول بركة ونور في قلبه أو رحمة من الله تعالى بذلك ، وقد جاءت امرأة من لكتاوة (54)إلى دار أشياخنا(55) ،وأظنه في حياة سيدي أحمد بن إبراهيم بقصد الزيارة فأكلت من طعام الزاوية ثم رجعت إلى بلدها وبقيت أياماً فماتت فريئت (56)بعد موتها فقيل لها : ما فعل الله بك ؟ فقالت : رحمني بالطعام الذي أكلت من الزاوية .

وقد يتضرر المريد بذلك من جهات منها أن يتشوف إلى ذلك أو إلى المزية فيه فيفسد قصده ، ويختل حاله ، ومنها أن يستشعر شيخه منه أحياناً ثقلاً في ذلك لما يقتضيه الطبع البشري ، فينفر (57) منه ،وفي ذلك ضرره (58)، وقد تذهب زيارته وخدمته في بطنه ، وذلك هو الخسران (59)المبين ، ومن ذلك

---

(53) في ك و س : « التجلي » بالجيم .

(54) كذا بالأصل ، ومثله في الفاسية ، ورسمت الكلمة في ك هكذا : « الكتاوة » ، وكتبت في س : « بكتاوة » بالباء ، وجاء في طرة الأصل بخط ناسخه ما لفظه بالحرف : « موضع بأسفل وادي درعة » .

(55) في ك وحدها : « شيخنا » بالإفراد .

(56) كذا في المخطوطات الثلاث ، ومثله في ح ، وهو مقلوب : « رئيت » .

(57) في س وحدها : « فيفر » .

(58) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : « ضرورة » وظاهر أنه تحريف .

(59) في ك وحدها : « الضلال » بدله .

وقع ما ذكر في صدر هذه الترجمة للشيخ أحمد بن يوسف من ترك الإطعام كما قال ، وقد يدخل عليه في ذلك من مزاحمة الإخوان والواردين الشغل والفتنة والشحناء والتدابر والتقاطع وغير ذلك .

وقد حدثونا عن شيخ شيوخنا سيدي عبد الله بن حسين(60)الرقي—رضي الله عنه — أنه <كان> (61)إذا ذهب مع الفقراء لزيارة شيخهم سيدي أحمد بن علي يأخذ معه زاداً تحت إبطه فإذا وصلوا إلى زاوية الشيخ انفرد عنهم ودخل المسجد (62)واشتغل بحاله واقتات من زاده فلا جَرَمَ [ان] (63) كان هو الذي أنجح(64) وأفلح .

هذا ولا يخلو شيء من مصالح وآفات ، والمعصوم من عصمه الله ، والموفق من وفقه الله ، والورع من ورعه الله ، فلا يمكن الاعتراض على من أكل ، ولا من ترك ، ولا من أطعم ، ولا من ترك ، ولا من اشتهر ، ولا من اختفى ، اللهم إلاّ <على> (65)من كان في تربيته على يده بوجهه ، فمن عرف فليتبع ، ومن جهل فليسلم ، والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقية في محلها بشرطها .

وبلغني أن الفقيه الصالح سيدي الصغير ابن المنيار مر ذات مرة بسيدي محمد بن أبي بكر الدلائي فأخرج إليه الطعام من الزاوية فلم يأكله فبلغ ذلك

---

(60) كذا بالأصل ، ومثله في ح ، أما ك ففيها : « حسون » وأما س ففيها : « أحسين » .
(61) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .
(62) في ح : « ودخل زاوية الشيخ » بدل : « ودخل المسجد » .
(63) ما بين العلامتين زيادة من ك .
(64) في « صحاح الجوهري » ما لفظه : « أنجح الرجل : صار ذا نجح ، فهو منجح من قوم مناجح ومناجيح ، وما أفلح فلان ولا أنجح » .
(65) ما بين العلامتين ساقط من ك .

ابن أبي بكر فذكر ذلك وكأنه اعتل بما يقع من خدمة الناس في الحصاد والدرس، فقال له ابن أبي بكر : أيما أفضل أنت أم جدك ؟ يعني سيدي علي بن إبراهيم ، وقد جاءه بنو موسى بسبعمائة منجل ليحصدوا ، فلما رأى عددهم قال لهم : بخلتمونا يا بني موسى ، فقال له سيدي الصغير : جدي أعرف بحاله وأقدر على ما يفعل (66) ،وأنا أتصرف بمقتضى حالي أو نحو هذا <من> (67) الكلام .

وقد يكون للولي حال مع الله تعالى فيسأل الناس ويأخذ من الله تعالى لا من الناس ، ويتصرف بالله وفي الله ، ولا يصح الاعتراض عليه لاستقامته .

وقد قيل للإمام الجنيد (68) :إن النوري (69) يسأل الناس فقال : دعوه في حاله ، ولكن هاتوا الميزان فوزن قدراً من الدراهم ، ثم أخذ قبضة من الدراهم بغير وزن فقذفها علىالموزون وقال لصاحبه:اذهب بذلك المجموع [إليه] (70)فلما بلغ النوري قال <النوري> (71) : <هات> (72)

---

(66) في ح : « ما لا يفعل » ولا شك أن « لا » فيه لغو لا معنى له .

(67) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(68) سبق التعريف به .

(69) ترجمه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص 164 – 169) فقال : أبو الحسين النوري ، واسمه أحمد بن محمد ، وقيل : محمد بن محمد ، بغدادي النشأة والمولد ، خراساني الأصل ، يعرف بابن البغوي ، سمعت محمد بن الحسن بن خالد يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : كان أبو الحسين خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها : بغشور ، لذلك يعرف بابن البغوي، وكان من أجل مشايخ القوم وعلمائهم ، ولم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاما ، توفي سنة خمس وتسعين ومائتين » . وفي س : « النووي » بواوين ، وأصلحه أكنسوس على الطرة بالنوري .

(70) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(71) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(72) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

الميزان، فوزن (73) القدر الموزون ورده (74) وأخذ الباقي ، فقال له الحامل : كنت عجبت من فعل الجنيد وأنه كيف خلط الموزون بغير الموزون ، فأي فائدة للوزن ؟ وفعلك هذا أعجب ، فما هذا ؟ فقال له النوري : إن الجنيد رجل حكيم ، وإنه أحب أن يأخذ الحبل بطرفيه ، فوزن قدراً لنفسه وجعل الآخر لله تعالى ، ونحن قد أخذنا ما لله (75) تعالى ، فلما رجع الرسول إلى الجنيد بكى وقال : أخذ ماله ورد علينا مالنا ، فتبين بذلك أنه يأخذ ما لله من الله عن بصيرة صادقة فلا بأس <عليه> (76) [بذلك] (77) والله الموفق <و> (78) المعين .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(73) رسمت الكلمة في الفاسية ناقصة ومصحفة هكذا : « فوق » بسقوط الزاي وإبدال النون قافاً .

(74) في س : « فرده » بالفاء بدل الواو .

(75) في ح : « بالله » .

(76) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(77) ما بين العلامتين إضافة من ح .

(78) ما بين العلامتين ساقط من س .

[ميل القلوب ونفرتها]

كان بعض الطلبة (1)من أصحابنا في قرية ، وكانت القرية قرية سوء ، وأهلها كذلك ، ثم إن بعض الأصحاب رام لوم ذلك الطالب على الاستقرار فيها فقال له : كيف تبقى في تلك القرية وهي كيت وكيت (2)يعدد عليه مساويها ؟ فقال الطالب : أحمد الله وأشكره ، فلما قال ذلك استحمقه اللائم وازداد في الإنكار عليه وانه كيف يحمد على هذا ، فقال له الطالب : قد رأيت كلّ ما ترون من مساويها ،وعلمت منها ما تعلمون أو (3)أكثر ، ومع ذلك فأجد قلبي غير نفور عنها<فأحمد الله تعالى إذ قضى عليّ الاستقرار فيها ولم ينفر قلبي عنها> (4)فلو أنه تعالىقضى عليّ بها وكرهها لي وأنا لا أجد بداً منها بحكم القضاء فما ترون يكون عيشي عند ذلك ؟ فلما قرر هذا المعنى وجدوه معنى لطيفاً تنبه إليه وسلموا له .

وشرح ذلك باختصار أن الله تعالى أودع في طبع الآدمي ميلاً إلى شيء ونفوراً عن شيء ، ويسمى الأول ملائماً ، إما حسياً كالشراب والطعام واللباس والنكاح<في الجملة ونحو ذلك> (5)وإما معنوياً <كالعز>(6)

---

(1) في ك : « حدثنا بعض الطلبة . . . » .

(2) في « تاج العروس » : « كان من الأمر كيت وكيت بالفتح ويكسر آخرهما ، وهي كناية عن القصة أو الأحدوثة » .

(3) في ك : « وأكثر » بالواو بدل أو .

(4) ما بين العلامتين ساقط من س .

(5) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(6) ما بين العلامتين ساقط من ح . وفي س : « كالحسن » بدلا منه .

والجاه والراحة والصحة والعافية ونحو ذلك . ويسمى الثاني منافراً إما حسياً أيضاً كالعَذِرة والبول والدم والميتة والشوك والجرح والضرب والسجن والقيد ونحو ذلك ،وإما معنوياً كالذل والمهانة والعجز والضيم والغم والحزن ونحو ذلك .

ثم إن الأعيان الموجودة في الدنيا كالأموال المكتسبة وغيرها من الحيوانات العجماوات والجمادات مثل الأمكنة والأزمنة والجهات والقرناء(7) والأصحاب ونحو ذلك منها ما يكون من القسم الأول ملائماً لمقارنته للملائم كالأنعام لما فيها من الأكل والشرب والركوب والحمل والزينة، والرباع لما فيها من الاشتغال(8) بأنواعه ، والنساء في الجملة لما فيهن من الاستمتاع ، وسائر الانتفاع ، وعلى الخصوص فيمن وجد ذلك فيه حقيقة أو توهماً ، وكذا في سائر ما ينفع له ، ولذا قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ الخ . ومنها ما يكون من القسم الثاني منافراً لمقارنته للمنافر كالسباع والحيات والعقارب والأعداء ونحو ذلك ، وكذا الأمكنة والأزمنة والجهات تكون ملائمة إذا كانت ظرفاً للملائم ، ومنافرة إذا صارت (9) ظرفاً للمنافر ، وهذا هو الأمر المعتاد ، وقد تخرق هذه العادة في شخص فيجعل في قلبه ميل إلى غير ملائم أو نفرة عن غير المنافر إما بسبب كالسحر ونحوه ، أو بمحض الحكم الأزلي ، ولا بد أن يتوهمه في نفسه ملائماً في تلك الحالة أو منافراً ، فلا تنتقض العادة الجارية ، ثم إن الله تعالى قدر على العبد قبل إيجاده < كل > (10) ما يلقاه من هذه الأشياء ، فإن قدر عليه أن يلقى الملائم فعندما يلقاه ينعم من جهتين : إحداهما وجود الانتفاع الذي فيه كما قررنا ، والأخرى أنس

---

(7) في س : « الندماء » بدل : « القرناء » .

(8) كذا بالأصل وفي غيره : « الاستغلال » وهو المناسب لسياق الكلام .

(9) في س : « كانت » بدله.

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك .

قلبه به فيكون كما قال عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – : إذا وافق الحق الهوى فهو العسل والزبد ، وإن قدر عليه أن يلقى المنافر فهو عندما يلقاه يعذب من جهتين ، وهما التضرر الظاهر ، والتألم الباطن بالكراهة ، وهذان القسمان في الملائم والمنافر الحقيقيين (11) ، وهما واضحان جاريان على المعتاد ، ووراءهما أربعة أقسام فيما يرجع إلى القلب من الميل والنفرة :

الأول أن يقضى عليه بعدم ملاقاة الملائم ولا يخلق في قلبه ميل إليه كحال المجانين أو تخلق له كراهيته .

الثاني أن يقضى عليه بملاقاة المنافر ولا تخلق في قلبه نفرة عنه أو يخلق له الميل إليه ، وفي كلا القسمين تقع السلامة من العذاب وإن لم يحصل نعيم أو يحصل نعيم موهوم أو خسيس تابع لخسة عقل صاحبه أو ضعف حسه كالصبي الذي يأكل التراب ، ومن القسم الثاني قصة صاحب القرية المذكور (12).

الثالث أن يبتلى بالميل إلى شيء ومحبته بحكم القضاء ملائماً أو غير ملائم ولا يقضى له بملاقاته .

الرابع : أن يبتلى بالنفرة عن شيء وكراهته بحكم القضاء منافراً أو غير منافر ويقضى عليه بملاقاته ، وفي كلا القسمين يقع العذاب والمحنة بالنظر إلى الباطن . وإلى الأول يشير المجنون في قوله :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

وكأنه يقول : لو قضاها لي أي الرب سبحانه بأن أتزوجها حين ابتلاني

(11) في س : « الحقيقين » .
(12) في ك و ح : « المذكورة » .

بحبها لنعمت ولو لم يبتلني بحبها حين قضاها لغيري أن يتزوجها لاسترحت . فلا أنا بحصولها في يدي ولا أنا بخروجها من قلبي فهذا هو العذاب المبين(13) . وإلى القسمين معاً يشير <الآخر في قوله> (14) :

من لم يعش بين أقوام يسر بهم   فعيشه أبـــــداً همٌّ وأحـــزان
وأخبث العيش ما للنفس فيه أذى   خُضْرُ الجنان مع الأعداء نيران
وأطيب العيش ما للنفس فيه هوى   سَمّ(15)الخياط(16)مع الأحباب ميدان

وحاصله تحكيم القلب وأنه المرجع في النعيم والعــذاب . ولا عبرة بالمحسوس إلاّ بما فيه من التأدية إلى ما في القلب ، وإلى هذا المعنى يشير الصوفية في النعيم والعذاب الموعود في الدار الآخرة كما قال في الحكم (17) : النعيم وإن تنوعت مظاهره . . . إنما هو لشهوده واقترابه ، والعذاب وإن تنوعت مظاهره . . . إنما هو بوجود حجابه . فسبب العذاب وجود الحجاب (18). وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم .

وإلى هذا المعنى يرجع كل ما يذكر من الحنين إلى الأوطان النائية ، والبكاء على المراسم الخالية ، وذكر الأحباب النازحة ، والأيام الصالحة ، ومن مرارة الفراق ، ولوعة (19)الاشتياق ، وما قيل في ذلك يملأ الأرض ، ويفوت الطول والعرض ، كقول الأول :

---

(13) في ح : « فهذا سوء العذاب المبين » .
(14) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(15) السم بتثليث السين ثقب الإبرة .
(16) في « مصباح الفيومي » ما لفظه : « المخيط والخياط ما يخاط به ، وزان لحاف وملحف وإزار ومئزر » .
(17) يريد الحكم العطائية وقد تقدم التعريف بها وبصاحبها .
(18) في ك و س : « الحساب » بدل : «الحجاب» وهو تصحيف .
(19) في الكتانية : « ولوع » بدون الهاء .

وكل مصيبات الزمـــان رأيتها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وكتب (20) المهدي وهو بمكة إلى الخيزران :

نحن في أفضل السرور ولكن ليس إلاّ بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير بل إن قدرتم أن تطيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته :

قد أتانا الذي وصفت من الشوْ ق فكدنا وما فعلنا نطــير
ليت أن الريــاح كن يؤديـ ن إليكم ما قد يجن الضمير
لم أزل صبة فإن كنت بعدي في سرور فدام ذاك السرور

وقال أبو تمام (21) :

لو حار مرتاد المنية لم يجــد إلاّ الفراق على النفوس دليلا

وقال أبو الطيب (22) :

---

(20) في و س : « وكقول » بدل : « وكتب » .

(21) البيت من قصيدة له مدح بها نوح بن عمرو السكسكي مطلعها :

يوم الفراق لقد خلقت طويلا لم تبق لي جلــداً ولا معقولا

وبعده البيت ، وبعدهما :

قالوا الرحيل فما شككت بأنها نفس عن الدنيا تريــد رحيلا

وهي في ثلاثين بيتاً ، وهي في ديوانه بتحقيق محمد عبده عزام ضمن سلسلة الذخائر .

(22) البيت من قصيدة له في مدح سعيد بن كلاب الطائي ، وأولها :

أحيا وأيسر ما لاقيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا
والوجد يقوى كما يقوى النوى أبداً والصبر ينحل في جسمي كما نحلا

وبعدهما البيت الذي أورده اليوسي .

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت   لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

[(23)وقال أحمد بن رجاء الكاتب : أخذ مني تميم بن المعز جارية كنت أحبها وتحبني فأحضرها (24)ليلة في منادمته فنام فأخذت العود وغنت عليه صوتاً حزيناً من قلب قريح وهو :

لا كان يوم الفراق يومـــا   لم يبق للمقلتين نومـــا
شتت مني ومنـــك شمـــلا   فساء قومـــاً وسر قومـــا
يا قوم من لي بوصل ريم (25)   يسومني في الغرام سوما (26)
ما لامني الناس فيه إلاّ (27)   بكيت كيما أزاد لومـــا

فأفاق المعز مع فراغها ورأى دمعها يسيل فقال : ما شأنك ؟ فأمسكت هيبة له ، فقال لها : إن صدقتني لأبلغنك أملك ، فأخبرته بما كنا عليه فأحسن إليها وردها إلي وألحقني بخاصة ندمائه ، وقال ابن ميادة (28) :

---

(23) ما بين المعقفين ساقط من الأصل ومن س ، وأثبته ناسخ الكتانية على ورقة إضافية وكتب بإزائه ما لفظه : « بقي هنا نحو الورقة كما في نسخة غير هذه ، وهو المرقوم بالورقة الملتصقة يمنته » . وهو وارد بالطبعة الفاسية .

(24) كذا في الكتانية وفي الطبعة الفاسية « فأحضرهما » مع الضمير المثنى وهو خطأ ظاهر .

(25) الرئم بالكسر مهموزاً وبالياء بدلا من الهمزة : الظبي الخالص البياض .

(26) يقال : سامه الذل يسومه سوماً إذا أوقعه عليه وأرهقه به .

(27) رواية الكتانية لهذا الشطر جاءت هكذا :

(ما لامني فيه الناس إلا)

ولا يستقيم العروض على هذه الرواية .

(28) هو الرماح بن أبرد بن ثوبان ، وميادة أمه ، شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، قال عنه ابن المعتز في « الطبقات » : « كان ابن ميادة جيد الغزل ، ونمطه نمط الأعراب الفصحاء ، وكان مطبوعـــاً » . وكان سبب قوله لهذا الشعر ما حكاه أبو الفرج في « أغانيه » (2 : 270) فقال : « كان الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة ينسب بأم جحدر بنت حسان المرية إحدى نساء بني جذيمة فحلف أبوها ليخرجنها إلى رجل=

ألا ليت شعري هل يحلن أهلها   وأهلك روضات ببطن اللوى خضرا

وهل تأتينّ الريح تدرج موهناً(29)   برياك تعروري(30) بها بلداً قفرا

بريح خزامى الريح بات معانقـاً

فروع الأقاح تهضب(31) الطل والقطرا(32)

ألا ليتني ألقاك يـا أم جحدر   قريباً فأما الصبر عنك فلا صبرا

وقال أبو العتاهية (33) :

أمسى ببغداد ظبي لست أذكره   إلاّ بكيت إذا ما ذكره خطرا

إن المحب إذا شطت منازلـه   عن الحبيب بكى أو حن أو ذكرا

وقال آخر (34) :

أقول لصاحبي والعيس تخدي   بنا بين المُنيفة فـالضِّمَار

= من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد ، فقدم عليه رجل من الشام فزوجه إياها فلقي عليها ابن ميادة شدة ، فلما خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميادة يقول :

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر   . . . . الأبيات »

(29) في « صحاح الجوهري » : « الوهن نحو من نصف الليل ، والموهن مثله ، قال الأصمعي هو حين يدبر الليل ، وقد أوهنا : صرنا في تلك الساعة » .

(30) هو من قولهم : اعروری الفرس إذا ركبه عرياً من غير سرج ، نظيره قول تأبط شراً :

يظل بموماة ويمسي بغيرهـا   جحيشاً ويعروري ظهور المهالك

(31) يقال : هضبت السماء القوم هضباً إذا مطرتهم مطراً شديداً قالت أم حسان المرية :

فيا حبذا نجد وطيب ترابه   إذا هضبته بالعشي هواضبه

(32) في الكتانية : « المطر » بدل : « القطر » وهو خطأ .

(33) البيتان من قطعة له في ديوانه تمامها بعدهما :

يا رب ليل طويل بت أرقبـه   حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا

ما كنت أحسب إلا مذ ذكرتكم   إن المضاجع مما تنبت الإبرا

والليل أطول من يوم الحساب على   عين الشجي إذا ما نومه نفـرا

(34) هو الصمة بن عبد الله القشيري ، وقد سبق التعريف به مع شرح غريب شعره هذا .

تمتع من شميم عَرار نجـــد فما بعدَ العشية من عَرار
ألا يا حبذا نفحات نجــــــد وريا روضه بعد القِطار
وأهلك إذ يَحل الحيّ نَجْداً وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنــــا بأنصاف لهنّ ولا سِرار

وقال الآخر :

سقى الله أياماً لنا قد تتابعت وسقياً لعصر العامرية من عصر
ليالي أعطيت البِطالة مِقْوَدي تمر الليالي والشهور ولا أدري

وللإمام سليمان الكلاعي (35) — رضي الله عنه — :

أحن إلى نجد ومن حل في نجد وماذا الذي يغني حنينيَ أو يجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا محبهم رهن الصبابة والوجد
وضاقت عليّ الأرض حتى كأنها وشاح بخصْرٍ أو سِوار على زَند
إلى الله أشكو ما ألاقي من الجوى وبعض الذي لاقيته من جوى يُردي
فراق أخلاء وصــد أحبةٍ كأن صروف الدهر كانت على وعد
ليالي نجني الأنس من شجر المنى ونقطف زهر الوصل من شجر الصد

وقال الآخر :

---

(35) هو بفتح الكاف وتخفيف اللام نسبة إلى بني كلاع وهم حي من حمير من القحطانية ، والكلاعي هذا ترجمه ابن العماد في « شذراته» في وفيات سنة 634 فكان مما قال بشأنه : « أبو الربيع الكلاعي سليمان بن موسى بن سالم البلنسي الحافظ الكبير الثقة صاحب التصانيف وبقية أعلام الأثر بالأندلس ، كان بصيراً بالحديث ، عارفاً بالجرح والتعديل ، مع الاستبحار في الأدب والبلاغة، وكان فرداً في إنشاء الرسائل ، مجيداً في النظم ، خطيباً مفوهاً . . . » .

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة على شعب بوان(36) أفاق من الكرب
وألهاه بطن كالحرير لطـــافةً ومطّرد يجري من البارد العذب
فبــالله يا ريح الجنوب تحملي إلى شعب بوان سلام فتى صب] (37)

ولا ينحصر هذا الفن والاشتغال به يطيل .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(36) في « معجم البلدان » لياقوت : « بوان بالفتح وتشديد الواو وألف ونون في ثلاثة مواضع أشهرها ذكراً شعب بوان الذي بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا » وقد أورد ياقوت هذه الأبيات في « معجم البلدان » وهو يتكلم عن شعب بوان ، وزاد بين الثاني والثالث منها بيتاً يقول :

وطيب ثمار في رياض أريضة على قرب أغصان جناها على قرب

(37) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها آنفاً .

[حنين المؤلف إلى الزاوية الدلائية]

وكنت لما نزلت بخلفون على أم ربيع ذكرت من كان معنا في الزاوية الدلائية من المعارف والأحباب، وكانوا يومئذ قد شرقوا لناحية تلمسان فقلت:

سلام على الإحباب غير مضيع لذي شرف ذكراً ولا لوضيع
سلام محب لا يزال أخـــا هوى إلى جلة قد شرقوا ونـــزوع
ومن يسأل الركبان عني فـــإنني حللت ببيتي حول أم ربيـــع
فألفيتـــه يحكي زفيري (1) زفيره بقلب كقلبي (2) بالفراق صديع
ويسعدني في عبرتي غـــير أنـــه يخالفني في مهبط وطلـــوع
فتجري إلى مَهْفى (3) الجنوب دموعه وتجري إلى مَهْفى الشمال دموعي

ولما كنت بمدينة مراكش – حرسها الله تعالى – [سنة ثلاث وتسعين وألف] (4) وقد بقيت الأملاك في خلفون والكتب وما معها في مكناسة

---

(1) كذا بالأصل مع ياء المتكلم وسقطت الياء من ك و س و ح.
(2) في ح: «كقلب» بدون ياء المتكلم.
(3) المهفى ظرف ميمي من هفا الشيء يهفو إذا ذهب في خفة وسرعة، قال ابن فارس في «مقاييسه»: «الهاء والفاء والحرف المعتل أصل يدل على ذهاب شيء في خفة وسرعة، وهفا الشيء في الهواء يهفو إذا ذهب كالصوفة ونحوها، وهفا الظليم عدا، وهفا القلب في أثر الشيء، وهفا الإنسان إذا زل وذهب عن الصواب». وفي س و ح: «مهف» بدون الألف المقصورة، وهو خطأ ظاهر، وفي الكتانية: «مهب» ولا يستقيم معه العروض.
(4) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح.

وبقيت (5) العلائق في جبال فازاز والقبيلة في ملوية <قلت> (6) :

تشتت قلبي في البلاد فقسمة ... بمراكش منه على رجل طائر
وأخرى بخلفون وأخرى مقيمة ... بمكناسة الزيتون حول الدفاتر
وأخرى بفازاز وأخرى تجزأت ... بملوية الأنهار بين العشائر
وأخرى بذاك الغرب بين أحبتي ... بأهل البوادي منهم والحواضر
فيا رب فاجمعها فإنك قادر ... عليها ومـــا غير الإله بقادر
ويا رب فاجعلها (7) بأوطانها فما ... عُبَيدك للبين المشت بصابر
لك الفضل والإحسان بدءاً وآخراً ... وإني لما أوليتني جِدٌّ شاكر
فمُنَّ بإنعام وجُد لي بحاجتي ... ورفق (8) بقلب للهموم مسامر
فمالي إلاّ بابك الرحب ملجأ ... وما طلب الحاجات منك بضائر
ومالي إلاّ جودك الجمّ شافع ... وحسبي بفيض منه أغزر وافر
وصفوتك المبعوث للناس رحمة ... بشيراً شفيعاً مظهراً بالبشائر
صلاة وتسليم عليه مدى المدى ... وعترته (9) والصحب أهل البصائر

وجرى يوماً ذكر البيتين اللذين أنشدهما (10) سيدنا بلال — رضي الله عنه — وهما قوله :

---

(5) في الكتانية : « وبقية » .

(6) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(7) في الكتانية : « فاجمعها » بدله .

(8) كذا في المخطوطات الثلاث ، وكذا هو في الفاسية .

(9) في « أساس البلاغة » للزمخشري ما لفظه : « عترة النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب ، وكل عمود تفرعت منه الشعب فهو عترة ، وأغصان الشجرة عترتها عمود الشجرة ، وفي العين : عترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه دنيا ؛ وفي حديث أبي بكر : « نحن عترة عترة رسول الله وبيضته التي تفقأت عنه » . وفي س : « عثرة » بمثلثة وهو تصحيف .

(10) في « العقد الفريد » (5 : 281 — 282) ما نصه : « لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم =

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلـــة بواد وحولي إذخر (11) وجليل (12)
وهل أردن يوماً مياه مَجَنَّة (13) وهل يبدون لي شامة (14) وطفيل (15)

فهاج لي إلى الأوطان اشتياق ، فقلت على نحو هذا المساق :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلـــة بسهب الشنين (16) أو بسهب بني ورا

= وهاجر أصحابه مسهم وباء المدينة فمرض أبو بكر وبلال ، قالت عائشة: فدخلت عليهما فقلت : يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت : وكان بلال إذا أقلعت عنه يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليـــل
وهل أردن يوماً ميـــاه مجنـــة وهل يبدون لي شامة وطفيل »

(11) في « مصباح الفيومي » : «الإذخر بكسر الهمزة والخاء نبات معروف ذكي الريح وإذا جف ابيض » .

(12) في « مصباح الجوهري » : « الجليل : الثمام ، وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت ، والواحدة جليلة والجمع جلائل » .

(13) في « معجم ما استعجم » للبكري: « مجنة بفتح أوله وثانيه بعده نون مشددة قال أبو الفتح يحتمل أن تسمى مجنة ببساتين تتصل بها وهي الجنان وأن تكون فعلة من مجن يمجن ، سميت بذلك لأن ضرباً من المجون كان بها ، هذا ما توجبه صنعة علم العربية ، فأما لأي الأمرين وجبت التسمية بهذا فطريقه الخبر » . وفيه أيضاً : « مجنة على بريد من مكة ، وهي لكنانة وبأرضها شامة وطفيل مشرفان عليها » .

(14) في « معجم البلدان » لياقوت : « شامة بلفظ الشامة وهو اللون المخالف لما يجاوره بشرط أن يكون قليلا في كثير : جبل قرب مكة يجاوره آخر يقال له طفيل ، وفيهما يقول بلال بن حمامة ، وقد هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتوى المدينة :

ألا ليت شعري . . . . البيتين »

(15) في « معجم البلدان » أيضاً : « طفيل بفتح أوله وكسر ثانيه وآخره لام من الطفل بالتحريك ، وهو ما بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب ، كأن هذا الجبل يحجب الشمس ، وشامة وطفيل جبلان على نحو من عشرة فراسخ من مكة » .

(16) في س : « السنين » بسين مهملة .

وهل تعبرن نهر العبيـــد ركائبي   وهل تتركن داياً وأدواءَها (17) ورا

وهل أردن عسلوج يوماً فأشربن   مياهاً به(19) يحكي(18) رحيقاً وكوثرا

وهل تمرحن خيلي بذروة آمنــاً   وبُطنانها(20) من قبل أن يحفر الثرى

وهل أكحلن يوماً جفوني بنظرة   إلى الأرزات الفارعات فتبصرا

وهل أدفعن جيش الهموم ببسطة   مع الحي في تلك الديار فتقصرا(21)

ونهر العبيد <هو> (22) وادي العبيد المعروف ، ومدينة داي هي المعروفة اليوم بالصومعة في تادلا . وإنما قال أدواؤها أي أمراضها لأنها كثيرة الأمراض والوخم .

ومن غريب ما اتفق لي في هذا البلد أني مررت به حين سافرت إلى ناحية مراكش في طلب العلم فأصابتني الحمى منه ، وذلك أول حمى أصابتني في عمري ثم بقيت في تلك النواحي عدة سنين فلما رجعت ومررت به أصابتني أيضاً ، وكأنها كانت تنتظرني ، ولذا كان (23) من جملة التمني أن أترك هذه البلدة وأمراضها ورائي بالمجاوزة إلى وطني .

---

(17) في ح وحدها : « وأدواؤها » .

(18) في ك : « بها » .

(19) في س و ح : « تحكي » بالتاء .

(20) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س : ، ويقرأ بضم الباء ، وهو جمع بطن ونظيره : ظهر وظهران وعبد وعبدان ، وفي « صحاح الجوهري » : « البطنان جمع البطن وهو الغامض من الأرض » . وفي الطبعة الفاسية : « وبطنا بها » وشكله طابعوها بالتنوين لأنهم توهموه مفرداً ، وتوهموا ما بعده جاراً ومجروراً .

(21) هو مضارع أقصر عنه إذا أمسك عنه مع القدرة عليه ، وهو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الاستفهام ، وفاعله جيش الهموم ، ونطقه بالتاء لأن لفظ الجيش اكتسب معنى التأنيث من المضاف إليه الذي هو الهموم .

(22) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(23) في س « كانت » بتاء التأنيث .

وكنا ذات مرة في بساتين خارج الحضرة المراكشية . ثم سرينا (24)ليلة لقصد زيارة بعض الصالحين وركبت فرساً ، فلما استويت<عليه> (25) وبرد الليل وكنت أستحب السرى فانبسطت نفسي وتمنيت أن لو كنت على أعتق من ذلك الفرس ، وذكرت الأوطان فقلت ارتجالاً أو شبه ارتجال :

يا سرية لو كنت أسريها (26) عـلى
نهد (27) أغر (28) محجل (29) يعبوب (30)

ينسابُ من تحتي كأن ذميلــه (31) جريان مــاء في الصفا مصبوب
ما بين خلاد فخوخات (32) إلى نهر الرمال فمقطع فجبوب (33)

---

(24) كذا في المخطوطات الثلاث ، وفي الفاسية : « سرنا » من السير .

(25) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

(26) في الكتانية : « أسيرها » ولا يستقيم به العروض ولا معنى الكلام .

(27) في « صحاح الجوهري » : « فرس نهد أي جسيم مشرف تقول منه : نهد الفرس بالضم نهودة » .

(28) في «صحاح الجوهري » : « الغرة بالضم بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم ، يقال : فرس أغر » .

(29) في « مصباح الفيومي » : « فرس محجل وهو الذي ابيضت قوائمه وجاوز البياض الأرساغ إلى نصف الوظيف أو نحو ذلك وذلك موضع التحجيل فيه » .

(30) في « أساس البلاغة » للزمخشري : « يقال للفرس العداء : يعبوب ، وأصله من الجدول اليعبوب وهو الشديد الجرية ، يفعول من العباب » .

(31) في « التاج » : « الذميل كأمير السير اللين ما كان ، نقله الأزهري ، أو فوق العنق ، قال أبو عبيدة إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ، ثم الرسيم » . وفي الكنسوسية « دئيلة » وكتب أكنسوس فوقه بخطه ما لفظه : « مشية في نشاط » وكتب على الطرة بازائه ما عبارته : « لعله اسم مصدر ولم يذكره بهذه الصيغة في « القاموس » وإنما ذكر له مصدرين كالنصر والفرح » . وفي « القاموس »ما نصه : « دأل كمنع دألا ويحرك وكجمزى وهو مشية فيها ضعف أو عدو متقارب أو مشي نشيط» .

(32) في الفاسية : « بخوخاب » مع الباء بدل الفاء .

(33) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « مجبوب » مبدوءاً بميم مفعول بدل الفاء العاطفة .

فإذا فصلت(34) من السلام(35) عليكمُ وهفت صباً في الجو ذات هبوب
فهناك تنشقني الحجاز وشيحه وتم عرفاً من شذا محبوب (36)
صلى الإله عليه (37) ما وكف الحيا
في الروض(38) من وبل ومن شؤبوب(39)

وعلى الأماجد آله وصحابه ما حنّ محبوب إلى محبوب
يا رب أنت رجاؤنا في نيْل ما نرجو فكن لعبيدك المربوب
لا رب نرجوه سواك أممكن وجدان آلهة لنا وربوب ؟
فامنن علينا واسقنا إنا لفي ظمأ على شحط النوى وذبوب(40)
واجمع بصفوتك الأجلة شملنا مع إخوة ومعارف وحبوب (41)
واختم لنا معهم بدين قيم بتعلق وتشوّق مشبوب
فالدين والخيرات أعود مقتنى أبداً لكل مشمر ملبوب (42)

---

(34) في « القاموس » : « فصل من البلد فصولا : خرج منه » .

(35) شكله ناسخ الأصل بضم الميم شكل قلم وكتب بخطه إزاءه على الطرة ما لفظه : « اسم موضع » وهو يعني أن عبارة « السلام عليكم » ليست تحية بل هي علم على موضع بعينه .

(36) رسم أكنسوس بخطه ياء نفس بآخر هذه الكلمة وكتب فوقها بخطه عبارة (صلى الله عليه وسلم).

(37) في الفاسية : « صلى عليه الله » .

(38) في الكتانية : « الأرض » بدل : « الروض » .

(39) في « التاج » : « الشؤبوب بالضم لما تقرر أنه ليس في كلامهم فعلول بالفتح : الدفعة من المطر ، أولا يقال للمطر شؤبوب إلا وفيه برد ، وعن أبي زيد الشؤبوب المطر يصيب المكان ويخطىء الآخر » .

(40) في « التاج » : « ذب الغدير يذب جف في آخر الحر ، وذبت شفته تذب ذباً وذبباً محركة وذبوباً يبست وجفت ، وذبلت عطشاً ، وذب لسانه كذلك » .

(41) في « التاج » : « الحب بالكسر الحبيب مثل خدن وخدين والأنثى حبة ، وجمع الحب بالكسر أحباب وحبان وحبوب » .

(42) كتب أكنسوس فوقه بخطه ما عبارته : « له لب أي عقل » . وفي « التاج » : « رجل ملبوب أي موصوف بالعقل واللب ، قاله الليث » .

وجرى <يوماً> (43) ذكر قصيدة ابن الخطيب التي أولها (44) :

سلا هل لديها من مخبرة خبر   وهل أعشب الوادي ونم به الزهر

فسما أيضاً شوق وحزن ، وعاود الفؤاد ذكر الوطن والسكن(45) فقلت :

شم (46) برقها أعلى (47) أجارع (48) ذي أضا (49)
وكفت فأترعت الجداول والأضا (50)

واحجب عليّ وميضه فلقد حشا   وسط الحشا جمر الغضا لما أضا

فكأنّه مذ لاح في تلك الربا   ما بين أحشائي حسام منتضى

ما زال يذكرني معاهد جيرتي   وعشيرتي ومعارفي مذ أومضا

[هذا على أن لست قط بمغفل   لعهودهم ما حان منها أو مضى](51)

---

(43) ما بين العلامتين ساقط من الكتانية .

(44) هي قصيدة في 75 بيتاً أنشدها ابن الخطيب أبا سالم المريني يمدحه فيها ويدعوه إلى نصرة الغني بالله في استعادة ملكه المغصوب ، وقد أوردها المقري بتمامها في نفحه (7 : 14 – 18) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(45) كتب أكنسوس بإزائه على طرة مخطوطته ما لفظه : « هو ما يأوي إليه المرء من زوجة ونحوها » .

(46) في « الصحاح » : « شمت البرق إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر » .

(47) الهمزة هنا للاستفهام ، وعلى حرف جر ، وليس هو « أعلى » خلاف « أسفل » وفي الكتانية : « على » بدون الهمزة .

(48) في « أساس البلاغة » للزمخشري : «بتنا بالأجرع وبالجرعاء ، ونزلوا بالأجارع ، وهي أرضون حزنة يعلوها رمل » .

(49) كذا بالأصل منكراً وفي و ك و س و ح : « الأضا » بحرف التعريف ، وكتب فوقه أكنسوس بخطه ما لفظه : « موضع » . ولم نجده في معاجم البلدان التي فتشناها .

(50) في «التاج»: « الأضاة كحصاة الغدير كما في « الصحاح» ، وفي المحكم : الماء المستنقع من سيل وغيره ، وفي «التهذيب» الأضاة غدير صغير ،ج أضوات بالتحريك ، ويقال أضيات كحصيات ، وأضا مقصور مثل قناة وقنا وإضاء بالكسر والمد » .

(51) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه رواية عن غيره .

أم (52) ساقها لجيوب(53) ذروة سحرة

فسقى بها قيصومها (54) والعرمضا (55)

وأدار فوق نجودها كاس الحيــا

وهناً فأصبح كل نشز (56) مبرِضا(57)

<خلعت (58) أكف السحب أردية الكلا

ومطارف الزهر النضير على الفضا> (59)

وأفاضت الغدران حتى عـــاقرت

أيدي الروابي الشم جريال (60) الفضا (61)

ما شئت من روض تراه مُذهبـــا فيها ومن روض تراه مفضّضا

---

(52) كتب أكنسوس بخطه حذاءه على الطرة ما عبارته : « معادل قوله : أعلى الأجارع الخ ... » .

(53) في « التاج » : « جيب الأرض مدخلها والجمع جيوب قال ذو الرمة :

طواها إلى حيزومها وانطوت لها جيوب الفيافي حزنهـا ورماﻟﻬا »

(54) في « اللسان » : «قال أبو حنيفة : القيصوم من الذكور ، ومن الأمرار ، وهو طيب الرائحة من رياحين البر ولورقه هدب ، وله نوارة صفراء ، وهي تنهض على ساق وتطول » .

(55) في « القاموس » : « العرمض كجعفر وزبرج من شجر العضاه أو كجعفر صغار السدر والأراك ، ومن كل الشجر ما لا يعظم أبداً ، والطحلب » .

(56) في « مصباح الفيومي » ما لفظه : « النشز بفتحتين المرتفع من الأرض والسكون لغة » .

(57) في « القاموس » : « البارض أول ما تخرج الأرض من نبت قبل أن تتبين أجناسه ، وأبرضت الأرض كثر بارضها » .

(58) ما بين العلامتين ساقط من الكتانية .

(59) كتب أكنسوس بإزائه على الطرة ما لفظه : « هذا بفتح الفاء المكان المتسع » .

(60) كذا بالأصل ومثله في ح أما ك و س ففيهما جريان بالنون ، وجاء في « صحاح الجوهري » من مادة « جرل » ما لفظه : الجريال صبغ أحمر ، وجريال الذهب حمرته ، والجريال الخمر ، وهو دون السلاف في الجودة ، ويقال جريال الخمر لونها » اهـ . وفيه أيضاً من مادة « جرن » : « والجريان لغة في الجريال » اهـ .

(61) كتب أكنسوس بإزائه على الطرة ما لفظه : « هذا لعله بكسر الفاء ففي القاموس الفضاء ككساء الماء الجاري على الأرض » .

بلد صحبت العيش فيه أخضرا نضراً ووجهَ الدهر أزهرَ أبيضا
درت علي به الأماني (62) حُفَّلاً وهمَتْ عليَّ غيوث بر فُيَّضا
ولبست فضفاض النباهة سابغاً وركبت صهوة كل فضل رَيِّضا (63)
وأسمتُ سرحي في المطايب مُمْرِعاً ورميت صيدي في المآرب معرضا (64)
في فتية قد كان شربي فيهم صفو الوداد وكل خُلُقٍ مرتضى
تَخِذوا المروءة والسماحة والندا والبر والإكرام ديناً مقتضى
وتألفوا كالماء والصهباء في كأس وكلٌّ ذو سجايا ترتضى

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(62) في الفاسية « الرغائب » بدل : « الأماني » .

(63) بوزن سيد وهو فيعل من راض الدابة يروضها إذا علمها السير وذللها ، وهو في الأصل ريوض فقلبت الواو فيه ياء وأدغمت في الياء ، والريض فسر معانيه صاحب « اللسان » فقال من مادة : « روض » ما لفظه باختصار وتقديم وتأخير : الريض من الدواب الذي لم يقبل الرياضة ، ولم يمهر المشية ، ولم يذل لراكبه، ابن سيده : والريض من الدواب ضد الذلول ، والذكر والأنثى في ذلك سواء ، قال : وهو عندي على وجه التفاؤل لأنها إنما تسمى بذلك قبل أن تمهر الرياضة ، وكذلك غلام ريض ، وقصيدة ريضة القوافي إذا كانت صعبة لم تقتضب قوافيها الشعراء ، وأمر ريض إذا لم يحكم تدبيره» اهـ. وعليه يكون اليوسي قد وصف نفسه بأنه لم يكتمل بعد في الفضل ولم يبلغ فيه المبالغ العالية ، ويكون عجز البيت قد ناقض صدره فيما قصد إليه من الافتخار .

(64) كتب أكنسوس بإزائه على الطرة ما عبارته : «اسم فاعل من أعرض الظبي إذا أمكنك من عرضه عند رميه ، فهو هنا حال من صيدي والله أعلم » .

[الاعتزال عن الخلق طلباً للسلامة]

حدثني الأخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن مسعود العيسوي العرفاوي قال : سافرت إلى بلاد القبلة ذات مرة فمررت بالمرابط الخير أبي عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي فدخلت لأزوره فلما خرج قعد مني قريباً ثم أنشدني <متمثلاً> (1) قول الشاعر :

جفوت أناساً كنت آلف وصلهم ... وما بالجفا عند الضرورة من باس

فلا تعذلوني في الجفاء فإنني ... وجدت جميع الشر في خلطة الناس

والمراد من الشعر ومن التمثل (2)به الاعتزال عن الخلق طلباً للسلامة لا ما يفهم من لفظ الجفاء ، وفي الحديث : « خَيْرُ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ يُخِيفُ العَدُوَّ وَيُخِيفُونَهُ وَفِي رِوَايَةٍ : حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ » . والذي يليه رجل معتزل في شِعْبٍ (3)من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس .

وعن أمير المؤمنين عمر — رضي الله عنه — قال : الطمع فقر ، واليأس غنى ، والعزلة راحة من جليس السوء ، وقرين الصدق خير من الوحدة .

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(2) في ك وح : « التمثيل » .

(3) في « مصباح الفيومي » : « الشعب بالكسر الطريق ، وقيل : الطريق في الجبل . والجمع شعاب » .

وقال أبو الدرداء (4)– رضي الله عنه – : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه (5) .

وقال بعض الأئمة : العزلة عن الناس توفر العرض ، وتبقي الجلالة ، وترفع مئونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستر الفاقة .

وقد أولع الشعراء قديماً وحديثاً من هذا المعنى بالتبرم بالناس والاستيحاش من الخلق وذم الزمان وأهله ، فمن ذلك قول (6) أبي العتاهية :

بَرِمْتُ بالناس وأخلاقهم فصرت أستأنس بالوحده
ما أكثر الناس لعمري وما أقلهم في حاصل العِدّه

---

(4) هو أبو الدرداء عويمر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي ، صحابي ، أسلم يوم بدر ، وشهد أحداً ، ولي قضاء دمشق ، ومات عام 32 هـ . وكان يميل عن الدنيا ويزهد الناس فيها بمواعظ مؤثرة بليغة ، وهو قد قال عن نفسه : « كنت تاجراً قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث محمد زاولت التجارة والعبادة فلم يجتمعا ، فأخذت في العبادة وتركت التجارة » .

(5) في « صفة الصفوة » لابن الجوزي (1 : 637 – 638) : « عن يحيى بن سعيد قال : قال أبو الدرداء : « أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه فأصبحوا شوكاً لا ورقة فيه إن نقدتهم نقدوك ، وإن تركتهم لا يتركوك ، قالوا : فكيف نصنع » قال : تقرضهم من عرضك ليوم فقرك » .

(6) في « أغاني الأصفهاني » (4 : 37 – 38) : « شاور رجل أبا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه فقال : انقش عليه : لعنة الله على الناس ، وأنشد :

برمت بالناس وأخلاقهم . . . . البيتين »

وفيه أيضاً (4 : 105 – 106) ما نصه : « أخبرني ابن أبي العتاهية أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس لزم بيته وقطع الناس ، فذكره الرشيد فعرف خبره فقال : قولوا له : صرت زير نساء وحلس بيت فكتب إليه أبو العتاهية :

برمت بالناس . . . . البيتين »

ونحوه قول الآخر (7) :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم والله يعلم أني لم أقل فَنَدا
إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقول الآخر :

مخالط الناس في الدنيا على خطر وفي بلاء وصفو شِيبَ بالكدر
كراكب البحر إن تسلم حُشاشته فليس يسلم من خوف ومن حذر

وقول الآخر :

قد لزمت السكون من غير عيّ ولزمت الفراش من غير عله
وهجرت الإخوان لما أتاني عنهم كل خصلة مضمحله

وقول الآخر :

إن بني دهرنا أفاع ليس لمن ساوَرَتْ طبيبُ
فلا يكن فيك بعد هذا لواحد منهم نصيب

---

(7) هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، ودعبل لقب عليه ، والدعبل بكسرتين الناقة القوية والناقة الشارف ، واسمه الحسن وقيل : عبد الرحمان وقيل : محمد ، وكنيته أبو علي وهي الأشهر ، ويكنى أبا جعفر كذلك ، ولد سنة 148 وتوفي سنة 246 كان دعبل شاعراً رافضياً هجاء ، لم يسلم من لسانه أحد من كبراء عصره ، وفيه وفي معاصره ابن الرومي يقول أبو العلاء في « لزومه » :

لو نطق الدهر هجا أهله كأنه الرومي أو دعبل

والبيتان في ديوانه بتحقيق عبد الصاحب الدجيلي ، وهما منسوبان إليه في « العقد الفريد » ، وفي شرح « الشريشي على المقامات» ، وفي « مخلاة العاملي » ، وهما في « شرح نهج البلاغة» وفي « الخصائص » بدون نسبة .

وقول الآخر ويعزى (8) للإمام الشافعي – رضي الله عنه – :

ليت السباع لنا كانت مجاورة   وليتنا لا نرى مما نرى أحدا
إن السباع لتهدا في مرابضها   والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا
فاهرب بنفسك واستأنس بوحدتها   تعش سليماً إذا ما كنت منفردا

وقول طرفة بن العبد :

كل خليـــل كنت خاللته   لا ترك الله له واضحه (9)
كلهمُ أروغ مـــن ثعلب   ما أشبه الليلة بالبارحه (10)

وقول امرىء القيس :

كذلك جدي ما أصاحب صاحباً   من الناس إلاّ خانني وتغيرا

وقول الآخر (11) :

وزهدني في الناس معرفتي بهم   وطول اختباري صاحباً بعد صاحب

---

(8) الأبيات منسوبة إليه في « طبقات الشافعية » للسبكي (ج 1 ص 160) بإسناد يقول : « وبه إلى أبي نعيم قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن القاسم البروجردي قال : أملى علينا الزبير بن عبد الواحد الحافظ قال : حدثني أبو بكر محمد بن مطر قال : سمعت الربيع يقول : سمعت الشافعي يقول :
ليت الكلاب لنا كانت مجاورة   . . . . الأبيات »

(9) في « صحاح الجوهري » : « الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك قال طرفة :
كل خليل . . . . البيت »

(10) في « أمثال الميداني » : « ما أشبه الليلة بالبارحة . . . يضرب في تساوي الناس في الشر والخديعة . . . وإنما خص البارحة لقربها منها فكأنه قال : ما أشبه الليلة بالليلة يعني أنهم في اللؤم من نصاب واحد » .

(11) هو المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، نسبها إليه الشريشي في «شرحه على المقامات» : (ج 2 ص 134) .

فلم تُرِني الأيام خلا تسرني مباديه إلاّ خانني في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع مُلِمّةٍ من الدهر إلاّ كان إحدى المصائب

[وقال (12) أبو فراس (13) :

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ومن أين للحر الكريم صِحاب
وقد صار هذا الناس إلاّ أقلهم ذئاباً على أجسادهنّ ثياب

وقال محمد (14) بن تميم :

لك الخير كم صاحبت في الناس صاحباً فما نالني منه سوى الهم والعنا
وجربت أبناء الزمان فلم أجـــد فتى منهم عند المضيق ولا أنـــا

وقول الآخر :

دَعِ الإخوان إنْ لم تلقَ منهـــم صفاء واستعِنْ واستغْنِ باللهْ (15)

---

(12) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وقد كتبه ناسخ الكتانية على ورقة مضافة وكتب بإزائه على الطرة ما نصه : «ينقص هنا نحو الورقة كما في نسخة أخرى وقد كتب والحمد لله حسبما تراه » اهـ. وكتب أيضاً على الطرة معه ما لفظه : « انظر التقييدة بمنته بعد هذا متصلا به كما وجد في نسخة غير هذه والله أعلم بصحة هذه أو تلك » اهـ .

(13) البيتان في قصيدته التي مطلعها :

أما لجميل عندكن ثواب وما لمسيء عندكن متاب

والقصيدة في 45 بيتاً وهي مودعة في ديوانه .

(14) ترجمه محمد النيفر في « عنوان الأريب » فقال : « أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم ، من أمراء افريقية جال في بلاد افريقية لطلب العلم فكان من أخذ عنهم نيفاً وعشرين ومائة شيخ ، وكتب بيده كثيراً ، وكان حافظاً لمذهب مالك ، وغلب عليه الحديث ومعرفة الرجال، وصنف كثيراً من التآليف المفيدة منها « طبقات علماء افريقية » ، وكتاب « عباد افريقية » ، وكان شاعراً مجيداً ، وتوفي سنة 333 هـ » .

(15) قصر مد اللام في لفظ الجلالة ضرورة كما فعل الآخر فقال :

ألا لا بارك الله في سهيـــل إذا ما الله بارك في الرجـــال

أليس المرء مـن مـاء وطـين وأي صفا لهـاتيك الجبلّه

ومثله :

ومن يكُ أصلهُ مـاء وطيناً بعيد من جبِلّتِه الصفاء

ونحوه :

لا تثق مـن آدمـيّ في وداد بصفـاء
كيف ترجو منه صفْواً وهو من طين ومـاء

وقال أبو العلاء (16) :

جربت أهلي وأصحابي فما تركت ليَ التجاربُ في ود امرىء غرضا

وقول أبي الطيب (17) :

إذا ما الناس جربهم لبيب فإني قـد أكلتهم وذاقا
فلم أرَ وُدَّهم إلاّ خداعـاً ولم أرَ دينهم إلاّ نفاقـا

وأنشد (18) أيضاً :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

---

(16) البيت من قصيدة سقطية عدة أبياتها اثنا عشر بيتاً .

(17) البيت من قصيدته التي مطلعها :

أيدري الربع أي دم أراقا وأي قلوب هذا الركب شاقا

والقصيدة واردة في ديوانه .

(18) يقع البيت ضمن قصيدته التي أولها :

أقـل فعـالي بله أكثره مجد وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد

والقصيدة مثبتة في الديوان .

قيل إنه لما تنبأ قيل له : ما معجزتك ؟ قال : قولي . . . وأنشد البيت :

وقول الآخر :

تصفحت أبناء الزمان فلم أجـد سوى من غدا واللؤم حشو ثيابه
فجردت من سيف القناعة مُرْهَفاً قطعت رجائي منهم بذُبابه (19)
فـلا ذا يراني واقفاً في طريقه ولا ذا يراني واقفاً عند بابـه

وقول الآخر :

أردت من الدنيا صديقاً مؤاتيـاً وفياً بما أرضاه يرضى وينشرح
فإذ لم أجد أغضيت عن كل كائن وقلت لقلبي قد خلا الكون فاسترح

وقال غيره :

ألام على التفرد كل حين ولي فيما ألام عليهِ عـذر
وكل أذى فمصبور عليـه وليس على قرين السوء صبر

وقال محمد بن تميم :

من كان يرغب في حياة فؤاده وصفائه فلينأ عن هذا الورى
فالماء يصفو إن نأى فإذا دنـا منهم تغير لونه وتكدرا

وقول الآخر :

كن من الناس جانبا وارض بالله صاحبا
قلِّبِ الناس كيف شئـ ـت تجـدهم عقاربا

---

(19) في « صحاح الجوهري » : « ذباب السيف طرفه الذي يضرب به » .

وأما (20) أبو العلاء المعري فقد سلى نفسه عن عماه بقوله :

قالوا العمى منظر قبيـــح   قلت بفقـــدانكم يهون
والله ما في الوجود شيء   تأسى على فقده العيون] (21)

وقال غيره :

الناس داء دفين لا دواء له   تحير العقل فيهم فهو منذهل
إن كنت منبسطاً رأوك مسخرة   أو كنت منقبضاً قالوا به ثقل
وإن تخـــالطهم قالوا به طمع   وإن تجانبهم قالوا به ملـــل
وإن تعففت عن أبوابهم كرماً   قالوا غنيّ وإن تسألهم بخلوا

ونحوه قول الآخر :

لا تُعِـدَّنَّ للزمان صديقاً   وأعِـدّ الزمان للأصدقاء

وقول الآخر :

ورب أخٍ ناديتـــه لملمـــة   فألفيته منها أجلّ وأعظما

وقول الآخر :

وإخـــوان تخـــذتهم دروعاً   فكانوهـــا ولكن للأعادي
وخلتهم سهـــامـــاً صائباتٍ   فكانوهـــا ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب   لقد صدقوا ولكن من ودادي

---

(20) في الطبعة الفاسية : « وقال » بدل : « وأما » ولا يستقيم معها سياق الكلام .
(21) هنا تنتهي الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً ، ثم وجدنا بعدها اختلافاً بين المخطوطات الثلاث بالزيادة والنقصان وبالتقديم والتأخير وكذا وجدنا اختلافاً بينها وبين الطبعة الفاسية فأثبتنا جميع ما ورد هناك وهنالك ؛ ولكن بدون تقيد منا بأي ترتيب .

وقالوا قــد سعينا كل سعي لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقال الآخر :

لقاء الناس ليس يفيد شيئــاً سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلــل من لقاء الناس إلاّ لأخذ العلم أو إصلاح حال

وقول الآخر :

لا تعرفنْ أحداً فلست بواجد أحداً أضر عليك ممن تعرف

وقول الآخر :

وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي أفتش عن هــذا الورى وأكشف
فما إن عرفت الناس إلاّ ذممتهم جزى الله بالخيرات من لست أعرف

ومثله قول الآخر :

جزى الله بالخيرات من ليس بيننا ولا بينــه ود ولا متعــــرف
فما نــالني ضيم ولا مسّني أذى من الناس إلاّ من فتى كنت أعرف

ويقال: كتب رجل من أهل الري على بابه جزى الله خيراً من لا يعرفنا ولا نعرفه ولا جزى الله أصدقاءنا خيراً فإنا لم نُؤتَ إلاّ منهم .

وينسب للإمام الغزالي – رضي الله عنه – أيام سياحته :

قد كنت عبداً والهوى مالكي فصرت حراً والهوى خادمي
وصرت بــالوحدة مستــأنساً من شر أصناف بني آدم
ما في اختلاط الناس خير ولا ذو الجهل في الأشياء كالعالم
يا لائمي في تركهم جاهلاً عذري منقوش على خاتمي

قالوا وكان نقش خاتمه : (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) .

وقول الآخر :

من أحسن الظنّ بأعدائه   تجرَّع الهمّ بلا كاس

قال بعضهم : لو كنت ناظماً لهذا البيت لقلت : من أحسن الظن بأحبابه ولا أقول بأعدائه .

واعلم <أن تبرم>(22) الناس بالناس واستيحاش بعضهم من بعض واستنقاص البعض للبعض هو أن الإنسان لما فيه من سبعية مؤذ بالطبع من يلقاه إما بيده أو بلسانه شتماً أو نميمة أو غيبة . وكل من يتأذى منه يستوحش منه ويستنقصه . ولما فيه من الشهوة يتقاضى حظوظه ويضايق عليها غيره لاتساع الشهوة وضيق الدنيا فيثور البغض والحسد وسائر الشر . ثم قد يطمع أن يستحصل حظوظه أو بعضها من الغير . والغير في شغل عنه بحظوظه فيستنقصه . ومن الأول ينشأ العجب بالغنى واحتقار الفقير . ومن الثاني ينشأ عدم الوفاء بالوعد والعهد ، وذلك أن الإنسان ليس له على التحقيق اختيار . أما باطناً فلأنه في قبضة الله تعالى ، وكيف يتأتى وفاء أو عقد أو حل للعبد دون سيده ؟ وأما ظاهراً فلأنه أسير شهوته وسمير نهمته ، وقد قلت في وصف طباع الناس من قصيدة :

ألم ترَ أن الدهر حبلى أنيّة (23)   ولادتها يوماً وإن لم تكن تدري

(22) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(23) أي توشك أن تضع ، لأن حملها قد تم تمامه ، والصيغة فعيلة من أنى يأني أنياً كرمى يرمي أي دنا وقرب وحضر ، فهو أني بوزن غني ، والبيت يشبه قول الآخر :

والليالي كما رأيت حبالى   مقربات يلدن كل عجيب

وهو في معنى قولهم : « الدهر حبلى لا يدرى ما تلد » . وكتب أكنسوس إزاءه في مخطوطته ما عبارته : « فعيلة من أنى أي قرب مبالغة في القرب » . وتصحفت الكلمة في الفاسية هكذا : « أنينة » .

فمن منَحٍ تُسلي ومن محَنٍ تُسي نتائجها صغرى على المرء أو كبرى
ولا تأمنَنْ أبنـاءه إن تحببـوا إليك فمن يُشبه أبـاه فقد برا
وكل بني دهر فـأشباه دهرهم على ما قضى الله الحكيم وما أجرى
متى ما ارتجوا رَغباء(24) منك تقربوا إليك وأبدوا خالص الود والبرا
وأخفوا ذميماً كان فيك وأظهروا جميلاً وقالوا ذومحاسن لا تمرى(25)
فذلك أحرى أن يجلوا وينصتوا إليك رشاداً كان قولك أو ثبرا (26)
وإن لم يرجّوا منك خيراً رأيتهم جفاء وإعراضاً يولّونك الظّهْرا
وينثون(27) عنك المزريات (28) وإن رأوا جميلاً أعاروه الغشاوة والوَقْرا
فلا تُصْغ سمعاً للذي ذم منهـم ولا للذي أبدى الجميل وإن أطرى
فإن بني الدنيـا عبيدُ هَواهمُ على مركز الأهواء دَورتهم طُرّا
وإنّ هواهم حيث ترتقب الغنى وليس هواهم حيث ترتقب الفقرا
إذا ما رأوا ذا الوفر لاذوا بذيله وإن لم ينالوا من سحائبه قطرا
وإنْ بصروا بـالمملق اهتزءوا به ومدوا إليه طرفهم نظراً شزرا

---

(24) في « مصباح الفيومي » : « رغبت في الشيء إذا أردته رغباً بفتح الغين وسكونها ورغبى بضم الراء وفتحها ورغباء بالفتح والمد » .

(25) أي لا تجحد .

(26) في « القاموس » : « الثبر الحبس والمنع والصرف عن الأمر واللعن والطرد » . وأراد به هنا الضلال الذي هو خلاف الرشاد .

(27) في المخطوطات الثلاثة وفي الطبعة الفاسية أيضاً : « يثنون » بتقديم الثاء المثلثة على النون ، وهو تصحيف صوابه ينثون بنون فمثلثة بعدها أي يشيعون ويذيعون ، قال صاحب القاموس : « نثا الحديث حدث به وأشاعه والنثا ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء » .

(28) كذا بالأصل ، وفي غيره بدله : « المنديات » جمع منديـة ، والمندية فسرها صاحب « القاموس » فقال : « المندية كمحسنة : الكلمة يندى لها الجبين » .

وقالوا بغيض إن نأى ومتى دنا يقولوا ثقيل مبرم أدبر الفقْرا (29)
فإن غاب لم يفقد ، وإن علّ لم يُعَدْ وإن مات لم يشهد وإن ضاف لم يقرا
وفي اللهِ للمَرْءِ اللبيب كفـــاية عن الناس والمحروم من حرم الأجرا

لله الأمر من قبل ومن بعد

(29) كتب أكنسوس على طرته بخطه تفسير هذه العبارة فقال ما لفظه : « يعني أحدث في فقر الظهر دبراً لشدة ثقله والله أعلم » .

[ذم المعاصرين ومدح المتقدمين]

واعلم أن هذا الطبع مركوز في طينة الآدمي منذ كان غير مخصوص بأهل زمان دون زمان ، وإن كانت بعض الأزمنة يخصها (1) الله بغير ما يكون في غيرها من خير أو شر <لعارض> (2) غير أن الناس لما دهتهم هذه الداهية من تأذي بعضهم ببعض وعدم الظفر بالغرض من الغير جعل كل يستنقص أهل وقته لمشاهدة البلاء وعدم الجدوى فيهم ويمدح من مضى ، أما من لم يدركه فلتوهمه أنه على (3) خلاف من رأى وأما من أدركه فلانقطاع شره ووقوع الاستراحة منه مع بقاء بعض الجدوى في الوهم ونزوع النفس إلى الإلف المألوف فلا تسمع إلاّ فسد الزمان وذهب الناس، فمن ذلك قول (4) بشار :

فسد الزمان وساد فيه المقرف (5) وجرى مع الطرف (6) الحمار الموكف (7)

---

(1) في س : « يخصصها » .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) في س : « على أنه خلاف ما رأى » .

(4) لا يوجد في ديوانه الذي جمعه وحققه السيد بدر الدين العلوي .

(5) في « نهاية ابن الأثير » : « المقرف من الخيل الهجين وهو الذي أمه برذونة ، وأبوه عربي ، وقيل بالعكس » اهـ . وفي « مستدرك التاج على القاموس » من مادة : « قرف » ما لفظه : « المقرف كمحسن : النذل الخسيس » .

(6) في « صحاح الجوهري » : « قال الأصمعي : الطرف بالكسر الكريم من الخيل يقال : فرس طرف من خيل طروف وقال أبو زيد : هو نعت للذكور خاصة » .

(7) في « القاموس » : « إكاف الحمار ككتاب وغراب ووكافه برذعته وآكف الحمار إيكافاً شده عليه » .

وقول الآخر :

ألا ذهب التكرّم والوفـــاء ... وباد رجاله وبقى الغُثاء

وأسلمني الزمـــان إلى أناس ... كأمثال الذئاب لهم عُواء

صديق كلمـــا استغنيت عنهم ... وأعداء إذا نـــزل البلاء

أقول ولا ألام على مقـــالي ... على الإخوان كلهم العفاء

وقول الآخر :

ذهب الذين إذا رأوني مقبلاً ... هشوا وقالوا مرحباً بالمقبل

وبقيت في خلْفٍ كأن حديثهم ... ولغ الكلاب تهارشت في منهل

وقول الآخر :

ذهب الـــذين أحبهم ... وبقيت فيمن لا أحبه

إذ لا يزال كريم قو ... مٍ فيهم كلب يسبه

وقال منصور (8) الفقيه :

يا زمـــاناً ألبس الأحـ ... رار ذلاً ومهـــانهْ

لست عندي بزمـــان ... إنمـــا أنت زمانَه (9)

---

(8) نسب البيتان في معجم الأدباء (ج 19 : ص 9 طبعة دار المأمون) لأبي الحسن محمد بن محمد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك الشاعر ، وبعدهما فيه :

كيف نرجو منك خيراً ... والعلى فيك مهـــانه

أجنون مـــا نـــراه ... منك يبـــدو أم مجـــانـــه

(9) في « مصباح الفيومي » ما لفظه : « زمن الشخص زمناً وزمانة فهو زمن من باب تعب وهو مرض يدوم زماناً طويلا والقوم زمنى مثل مرضى » .

وقول الآخر :

مضى دهر السماح فلا سماح ولا يرجى لدى أحـــد فلاح
رأيت الناس قد مسخوا كلاباً فليس لديهم إلاّ النبـــاح
وأضحى الظرف عندهم قبيحاً ولا والله إنهم القبـــاح
سلام أهـــل ابليـــد عليكم فإن البين أوشكه الرواح
نروح فنستريح اليوم منكم ومن أمثالكم قـــد يستراح
إذا ما الحر هان بأرض قوم فليس عليـــه في هرب جناح

وقول الآخر :

مضى الجود والإحسان واجتث أهله وأخمد نيران الندى والمكـــارم
وصرت إلى ضرب من الناس آخر يرون العلى والمجد جمع الدراهم
كـــأنهم كانوا جميعـــاً تعاقدوا على اللؤم والإمساك في صلب آدم

[وللإمام (10) الشافعي — رضي الله عنه — :

صديق ليس ينفع يوم باس قريب من عـــدو في القياس
وما يبقى الصديق بكل عصر ولا الإخوان إلاّ للتـــآسي
عمرت الدهر متلمساً بجهدي أخا ثقة فأكداني التماسي
تنكرت البلاد عـــليّ حتى كأن أنـــاسها ليسوا بناس

وقال غيره :

(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية لحقاً على طرتها ، وكتب معه العبارة التالية : « بقي يخص هنا نحو نصف ورقة » . وهو وارد في الطبعة الفاسية فأثبتناه رواية عنهما .

هـــذا زمـــان تجاهل وتسامـــح ... وتغافل عن أهلـــه فسد الورى
فإذا سمعت فكن كـــأنك ما سمعـ ... ـت وإن رأيت فكن كأنك ما ترى
واجهـــد بنفسك في التخلص منهم ... فعساك تنجو إن نجوت وما أرى
أو لا فكن في قعر بيتك لا ترى ... إن كنت ترغب في النجاة وبالحرى (11)

وقال أيضاً :

عم الفساد جميع النـــاس ويحهم ... يا ليت شعريَ مـــاذا بعد ينتظر
إن وعدُوا أخلفوا أو حدثوا كذبوا ... أو عهدوا غدروا أو خاصموا فجروا
أو ائتمنتهم خانوا فكن رجـــلاً ... منهم على حذر قد ينفع الحذر

وقال غيره :

ما في زمانك هذا من تصاحبـــه ... ولا صديق إذ خان الزمان وفى
فعش فريداً ولا تركن إلى أحـــد ... فقد نصحتك نصحاً بالغاً وكفى

وقال الأرجاني (12) :

تطلعت في يومَيْ رخـــاء وشدة ... وناديت في الأحياء هل من مساعد

---

(11) في « صحاح الجوهري » ما نصه مع قليل اختصار : « يحدث الرجل الرجل فيقول : بالحرى أن يكون كذا ، ويقال : هو حرى أن يفعل بالفتح أي خليق وجدير ، ولا يثنى ولا يجمع ، وإذا قلت : هو حر بكسر الراء وحري على فعيل ثنيت وجمعت فقلت : هما حريان وهم حريون وأحرياء ، وهي حرية وهن حريات ، ومنه اشتق التحري في الأشياء وهو طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن » .

(12) هو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني نسبة إلى أرجان بفتح الهمزة بعدها راء مهملة مشددة مفتوحة وهي كورة من كور الأهواز . فقيه شاعر توفي عام 544 هـ، والبيتان من قصيدة طويلة قالها في مدح المستظهر العباسي ، وهي في ديوانه المطبوع سنة 1979 ضمن سلسلة « كتب التراث » التي تصدر بالجمهورية العراقية .

فلم أرَ فيما ساءني غــير شامت ولم أرَ فيما سرني غــير حاسد

وقال غيره :

خبرت بني الأيــام طراً فلم أجد صديقاً صَدُوقاً مسعداً في النوائب
وأصفيتهم منّي الودادَ فقــابلوا صفاء ودادي بالقَذى والشوائب
وما اخترت منهم صاحباً وارتضيته وأحمدته في فعلــه والعواقب

وقال آخر (13) :

نحن والله في زمـــان غشوم لو رأينــاه في المنــام فزعنا
أصبح الناس فيــه من سوء حال حقّ من مات منهم أن يهنّا](14)

وقول الآخر :

أنعى إليك خــلال الخير قاطبــة لم يبقَ منهنّ إلاّ دارس العلم
أنعى إليك مواساة الصديق ومــا قد كان يرعى من الأخلاق(15) والذمم
أين الوفاء الذي قد كان يعرفــه قوم لقوم وأين الحفــظ للحُرم
أين الجميل(16) الذي قد كان يلبسه أهل الوفاء وأهل الفضل والكرم
أيسر وأنت صديق الناس كلهم ثمّ ابلُ سرّهم (17) في حالة العدم

---

(13) هو أبو الحسن محمد بن لنكك المتقدم ذكره آنفاً ، والبيتان منسوبان إليه في معجم الأدباء لياقوت (ج 19 ص 7 .)

(14) هنا انتهت الإضافة المنبه عليها سابقاً .

(15) في ك : « الإخوان » بدله .

(16) في ك : « الجمال » بدله .

(17) في ك : « شرهم » بالشين المعجمة .

فإن وجدت صديقاً عند نائبـــة فلست من طرقات الحزم في أمم (18)
لمـــا أناخ عليّ الدهر كلكله (19) وخانني كـــل ذي ود وذي رحم
ناديت مـــا فعل الأحرار كلهم أهل الندى والهدى والبعد في الهمم
قالوا حدا بهم ريب الزمان فسل أجداثهم عنهم تخبرك عن رمم (20)

وقول لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

وتمثلت به أم المؤمنين عائشة (21)– رضي الله عنها – ثم قالت : وكيف لو أدرك لبيد زماننا ؟ فقال عروة : كيف لو أدركت عائشة زماننا ؟

ولما بلغ ابن عباس قول عائشة هذا قال : رحم الله لبيداً ورحم الله عائشة ، لقد أصيب باليمن سهم (22) في خزائن عاد كأطول ما يكون من رماحكم

---

(18) في « صحاح الجوهري » : « الأمم بين القريب والبعيد والأمم الشيء اليسير ويقال : أخذت ذلك من أمم أي من قرب » .

(19) أناخ الجمل إذا أبركه والكلكل الصدر ، ويقولون : أناخ عليه الدهر بكلكله إذا أنزل به النوائب قال الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أنـــاخ بآخرينا

(20) في « صحاح الجوهري » : « الرمة بالكسر العظام البالية ، والجمع رمم ورمام تقول منه : رم العظم يرم بالكسر رمة أي بلى فهو رميم » .

(21) كتب أكنسوس عليه بطرة مخطوطه ما عبارته بالحرف التام : « سبحان الله هذا من العجب انظر كيف طبع الله الناس على ذم زمانهم كيفما كان ، فإن زمان سيدتنا عائشة رضي الله عنها – لا محالة – أفضل من زمان لبيد الذي قال فيه الشعر ، وهو زمان الجاهلية لأنه لم يقل هذا الشعر بعدما أسلم ، فكيف تقول هذا رضي الله عنها إلا أن تقول ذلك في وقت الفتن التي أدركتها في آخر عمرها وذلك شيء يسير بالنسبة إلى ما رأته من الخيرات في زمان النبوءة وزمان العمرين وما لا يحصى من البركات والكرامات والله تعالى أعلم » .

(22) في ح : « معهم » بدل « سهم » وهو تحريف ظاهر .

هذه مفـوَّق (23) مـَرِيش (24) مكتوب عليه : [هذا] (25) :

ألا هل إلى أبيات منقطع اللوى لوى (26) الرمل من قبل الممات معاد (27)
بلاد بها كنـا وكنا منَ اهلهـا إذِ الناس ناس والبلاد بـلاد

أي فهذا العاديّ <في زمانه> (28) يستنقص زمانه ويشير إلى أن الناس الأفاضل قد مضوا وأن الأرض تغيرت فكيف حال زمان لبيد ومن بعده كزمان عائشة .

وقد تحصل من هذا ما قررنا في صدر الكلام <من> (29) أن الدنيا لم تزل هكذا ، والناس هم الناس منذ خلقوا ، [ولقد أحسن القائل :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى لـلأوائل التقديمـا
إن هذا القـديم كان جديداً وسيبقى هذا الجديد قديما] (30)

فالأكمل للإنسان التسليم بل الرضى بوقته فإنه بذلك يفوز بالأدب مع الله تعالى الحكيم العليم الذي هو رب الأولين والآخرين ويفوز بشكره وحمده وبراحة قلبه والسلامة من التشوف والتطلع وسلامة الصدر لأهل زمانه والقيام

---

(23) الفوق بوزن البوق موضع الوتّر من السهم ، وفوقت السهم تفويقاً جعلت له فوقاً فهو مفوق .
(24) في « الصحاح » : « الريش بالفتح مصدر رشت السهم إذا ألصقت عليه الريش فهو مريش » .
(25) ما بين العلامتين زيادة من س .
(26) كتب أكنسوس فوقه ما لفظه : « بدل من اللوى قبله » .
(27) كتب عليه أكنسوس بخطه ما عبارته : « مبتدأ خبره تقدم في الجار والمجرور في قوله إلى أبيات » .
(28) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(29) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(30) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية لحقاً على الطرة ، وهو وارد في الطبعة الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

بحقوقهم واعتقاد الخير في أهله والانتفاع بهم ورؤية المحاسن الوقتية والتغافل عن المساوي وغير ذلك .

ولقد منح الله تعالى الصحابة الزمان الفاضل ، فكانوا يذكرون ما مضى لهم في الأزمنة السالفة من صنوف الشر من عبادة الأوثان وارتكاب القبائح والجهد الجهيد فيحمدون الله تعالى ويشكرونه ، وهكذا ينبغي للمؤمن أن ينظر إلى ما منحه الله تعالى من الخير في زمانه ديناً ودنيا وإلى ما أنجاه الله تعالى <منه> (31)من الشرور الحالية والماضية فيحمد الله على ذلك .

وقد جرت على لساني في هذا المعنى أبيات فقلت <مناقضاً لما تقدم من الأشعار> (32) :

نحمد الله وقتُنـــا وقتُ خير بذَّ (33) ما قبله من الأوقات
غير وقت النبي صلى عليـــه الـ له والصحب والتُّلاة (34)الهداة
ديننـــا سالم من البدع العُمـ ي وعشنا بطيِّب الأقوات
لم نكن كالشُّراة (35) تغشى المعاصي لتفوز بالخلد في الغُرُفات

---

(31) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(32) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(33) كتب أكنسوس فوقه ما لفظه : « أي فاق وغلب ، وهو بالذال المعجمة » .

(34) كتب أكنسوس بإزائه على الطرة ما عبارته : « هو بالتاء المثناة جمع تال كالهداة جمع هاد » وصحفت هذه الكلمة في ك و ح هكذا : « الثلاث » .

(35) في « مصباح الفيومي » : « شريت المتاع أشريه إذا أخذته بثمن أو أعطيته بثمن ، فهو من الأضداد ، وإنما ساغ أن يكون الشرى من الأضداد لأن المتبايعين تبايعا الثمن والمثمن ، وكل من العوضين مبيع من جانب ومشري من جانب ، والفاعل شار والجمع شراة مثل قاض وقضاة ، وتسمى الخوارج شراة لأنهم زعموا أنهم شروا أنفسهم بالجنة لأنهم فارقوا أئمة الجور » .

ضيعوا الدين بالمروق (36) ودنيا هم بوقع الظّبات (37) في السبدات (38)

لا ولا كالجبري (39) والقدري (40) النجـ ـس ولا سائر الجفاة الغواة

والذي قد نلقى من المُرّ في الدنـ ـيا عسى أن نرقى به درجات

وبنو الدهر هم بنو الدهر قِدْمـاً هم نبات ينمو بـإثر نبات

والطباع الطباع لست ترى فيـ ـها نُبُوّاً ولا اختلاف الصفات

ومن اختصه الإلـه بخير فهو فيه من دارج (41) أو آت

نعم لا بأس بذكر الماضي من صلحاء الإخوان ، والحنين إلى الأوطان ، وإن ذلك يعد من حسن العهد . وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخلت عليه امرأة فأكرمها وقال : « إنّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أيّامَ خَدِيجَةَ ، وإنّ حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإيمَانِ » .

---

(36) في « المصباح » أيضاً : « مرق السهم من الرمية مروقاً من باب قعد خرج منه من غير مدخله ومنه قيل : مرق من الدين مروقاً أيضاً إذا خرج منه » .

(37) في « المصباح » كذلك : « الظبة بالتخفيف حد السيف والجمع ظبات وظبون جبراً لما نقص ولامها محذوفة : يقال : إنها واو لأنه يقال : ظبوت ومعناه دعوت » .

(38) كذا هو في الأصل بدال ، ومثله في الكتانية ، ولم نقف عليه في المعاجم التي فتشناها ، وفي س و ح : « السبرات » بالراء وكتب أكنسوس بإزائه على طرة مخطوطته « الحروب » تفسيراً لها ، وطالعنا مادة « سبر » في المعاجم فلم نجد فيها أن « السبرات » تأتي بمعنى الحروب .

(39) في « تعريفات الشريف الجرجاني » : « الجبرية : هو من الجبر وهو إسناد فعل العبد إلى الله ، والجبرية اثنان : متوسطة تثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية ، وخالصة لا تثبت كالجهمية » .

(40) في « تعريفات الجرجاني » أيضاً : « القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى » اهـ . وينبغي أن يقرأ القدري بتخفيف ياء النسب ، وكذلك ينبغي أن يقرأ النجس بفتح النون أو بكسرها مع سكون الجيم وذلك ليتزن بهذين الضبطين عروض الشعر .

(41) في ك و س و ح : « سالف » بدل : « دارج » وكتب ناسخ الأصل على الطرة « سالف » وعليه خاء رمزاً إلى أنه رواية نسخة أخرى .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ما غِرْتُ على امرأة ما غِرت على خديجة ، وذلك من كثرة ما كان يذكرها صلى الله عليه وسلم .

وقيل لبعض الحكماء : بِمَ تعرف وفاء الرجل وذمام (42)عهده دون تجربة واختبار ؟ فقال بحنينه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى إخوانه ، وتلهفه على ما مضى من زمانه .

وعن الأصمعي قال : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وذِمام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه . وتشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه

وكان (43)سيدنا بلال – رضي الله عنه – ينشد :

ألا ليت شعري هل أبيتَنَّ ليلـــــة بوادٍ وحولي إذْخِر وجليــل
وهل أردنْ يومـــاً ميـــاه مَجَنَّةٍ وهل يبدون لي شامة وطَفيل

وقد تقدم شيء من هذا قبل .

وقال أبو العباس بن العريف (44) – رضي الله عنه – :

ما زلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم لحظي وسمعي ونطقي إذ هم أنسي
حلوا الفؤاد فما أندى ولو قطنوا (45) صخراً لجاد بمـــاء منه منبجس

---

(42) في « مصباح الفيومي » : « الذمام بالكسر ما يذم الرجل على إضاعته العهد ، والذمام أيضاً الحرمة » اهـ . وفي س : « الدمام » بدال مهملة وهو تصحيف .

(43) في الطبعة الفاسية : « ومن هذا المعنى كان سيدنا بلال ينشد :
ألا ليت شعري .... البيتين »

(44) تقدم التعريف به ، والأبيات أوردها التادلي في « التشوف » (ص 97) منسوبة إليه .

(45) في « التشوف » : « وطنوا » بدل : « قطنوا » .

وفي الحشا نزلوا والوهم يجرحهم فكيف قروا(46) على أذكى من القبس
لأنهضنّ إلى حشري بحبهـــــم لا بارك الله فيمن خانهم فنسي

[(47) وقال غيره :

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن
فليعجب الناس مني أن لي بدنـــاً لا روح فيه ولي روح بلا بـــدن

وقال آخر :

راحوا فباتت راحتي من راحتي صفرا وأضحى حبهم لي راحا
فتحوا على قلبي الهموم وأغلقوا باب السرور وضيعوا المفتاحـــا

وقال غيره (48) :

يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه هل من سبيل إلى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفوني وهي دامية ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

وقال غيره :

ليكفكم ما فيكم من جوى ألقى فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقا
وحرمة ودي لا سئمت هواكم ولا رمت لي منه فكاكاً ولا عتقا
سأزجر قلباً رام في الحب سلوة وأهجره إن لم يمت فيكم عشقا

---

(46) في الأصل «قدوا» بالدال وهو تصحيف صوابه ما كتبناه رواية عن ك و ح أما س ففيها «مروا» .

(47) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وأورده ناسخ الكتانية لحقاً على الطرة وكتب معه ما عبارته : «بقي هنا نحو نصف ورقة» . وهو وارد في الطبعة الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

(48) البيتان منسوبان لابن الفارض ، وهما في ديوانه المطبوع بدار صادر سنة 1962 م .

وقال غيره :

ما ناح في أعلى الغصون الهزار   إلاّ تشوقت لتلك الديار

ولا سرى من نحوكم بـــارق   إلاّ وأجريت الدموع الغزار

واأسفي أين زمان الحمى ؟   وأين هاتيك الليالي القصار ؟

واحر قلبي فمتى نلتقـــــي   وتنطفي من داخل القلب نار

وأنظر الأحباب قد واصلوا   ويأخذ الوصل من الهجر ثار

أقول للنفس ابشري باللقـــا   قد واصل الحب وقر القرار](49)

وذكر في التشوف عن أبي شعيب (50) السارية – رضي الله عنه – قال : كان إذا وقف على قبر شيخه أبي علي (51) المسطاسي يقول: أي رجل دفن ههنا ! ما رأيت مثله وأنشد :

أسفاً لأيـــام وإخوان مضوا   ومنازل فـــارقتها مغلوبـــا

قلبت قلبي جمرة من بعدهم   ولبست عيشي بعدهم مقلوبا (52)

طالبت بعدهم الزمان بمثلهم   فأجابني هيهات لا مطلوبا

وحكي أيضاً عن أبي عمران (53) الهسكوري الأسود أنه كان لا ترقأ له

(49) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها آنفاً .

(50) ترجمه التادلي في « التشوف » (ص 166 وما بعدها) فكان مما قال بشأنه : « أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي ، من أهل بلد آزمور ومن أشياخ أبي يعزى ، ويقال : إنه من الأبدال ، قدم مراكش بعد عام أحد وأربعين وخمسمائة ، ومات بآزمور عام أحد وستين وخمسمائة ، وكان إذا وقف في صلاته يطيل القيام فلذلك سمي أيوب السارية » .

(51) عرف به التادلي في « التشوف » (ص 123) فقال : « أبو علي منصور بن إبراهيم المسطاسي ، كبير الشأن من أهل العلم والعمل ، مات بآزمور عام أربعين وخمسمائة وهو من أشياخ أبي شعيب السارية » اهـ . وتحرفت نسبته في الكتانية والفاسية بالبسطامي .

(52) جاءت رواية البيت في « التشوف » (ص 123) هكذا :

يا ليت قلبي جمرة من بعدهم   يا ليت عيشي بعدهم مقلوبـــا

ورواية اليوسي للبيت أصح تركيباً وأسد معنى .

(53) قال عنه التادلي في « تشوفه »: « أبو عمران الهسكوري الأسود، من أهل الجانب الشرقي =

دمعة ، فربما سئل عن كثرة بكائه فيقول : إنما أبكي على فقد من أدركته من الإخوان في الله عز وجل .

وحكى أيضاً عن أبي جعفر (54) الأسود صاحب تاغزوت أنه كان يقول : أدركت ببلاد تادلا ثلثمائة وسبعين رجلاً صالحاً كلهم يزارون . وأنشد :

فــآهاً من الربع الذي غير البلى وواهــاً من القوم الــذين تفرقوا
أصون تراب الأرض كانوا حلولها وأحذر من مري عليهــا وأفرق
ولم يبق عندي للهوى غير أنني إذا الركب مروا بي على الدار أشهق

تنبيه على حكم ما وقع من استنقاص الزمان واستنقاص أهله وسبهما بحسب النظر الشرعي أصلاً وفرعاً : فأما الزمان ويقال أيضاً الدهر فجرت عادة الشعراء وغيرهم قديماً وحديثاً بالتشكي منه والتبرم به ونسبة الإذاية والجور إليه ، وقد يكون فيهم من يعتقد ظاهر ذلك<وهو مشرك ، وقد يكون من لا يعتقد ذلك لكونه موحداً>(55) بل إما غفلة وجرياً على أسلوب من قبله من التعبير وإما مجازاً بطريق المقارنة لما يقع فيه من الأحداث والكوائن ، والفاعل هو الله تعالى . فلا معنى حينئذ للتشكي منه ولا لسبه ولا استنقاصه فإن ذلك سوء أدب مع الله تعالى من جهتين :

إحداهما أنه هو المتصرف في الكل ، ولذا ورد في الخبر : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » (56) أي ما ترونه فالله تعالى هو فاعله .

= من مراكش ، وبه مات في عام التسعين وخمسمائة ، ودفن برابطة الغار بخارج باب أغمات وكان عبداً صالحاً» .

(54) قال عنه التادلي في « تشوفه » : « أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجي الأسود الساكن بتاغزوت على واد وانسيفن من بلاد تادلا ، وبها مات عام ثمانية وستمائة وكان عبداً صالحاً » .

(55) ما بين العلامتين ساقط من س .

(56) كذا نصه في « مسند ابن حنبل » ، أما روايته في «البخاري ومسلم وأبي داوود » فجاءت هكذا : « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر » .

ثانيهما أنه يجب على المؤمن اعتقاد أن كل ما برز (57)في كل زمان من التصرفات فذلك هو الصالح في ذلك الوقت الجاري على الحكمة سواء لاءم الطباع أو لا ، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل بالله تعالى جاهل بحكمته وقدرته ، ولو ولي وال بلدة لم يتصرف فيها إلاّ بالحكمة والمصلحة إلاّ ما خرج عن علمه وطوقه ، والله تبارك وتعالى عليم حكيم ، قاهر فوق عباده ، غالب على أمره لا يتعالى عن قدرته مقدور ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة .

ثم الزمان بمعزل عن العيب والنقص ، فإنما (58)ذلك في الناس ، وما يقع منهم أو يقع لهم فهم أحق بالانتقاص كما قيل :

يقول أناسٌ دهر سوء ليعذروا   وهم عيبه عندي ولا عيب للدهر

وأما استنقاص أهل الزمان كما (59)مرّ فلا شك أنه لا يحرم إذ لا يدخل في الغيبة المحرمة حيث لا يكون التعيين .

وقد استشعر محيي الدين ابن العربي (60)في رسالة القدس (61)ذلك

---

(57) في س : « يبرز » بصيغة المضارع .

(58) كذا بالأصل وفي سواه : « وإنما » .

(59) كذا بالأصل وفي غيره : « على » بدل : « كما » .

(60) في « تاج العروس » من مادة « عرب » ما نصه ببعض التصرف : « وابن العربي بالألف واللام هو القاضي أبو بكر المالكي عالم الأندلس وصاحب « بغية الأحوذي » ، وابن عربي بلا لام محركة هو العارف بالله المحقق محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي ، وهذا الفرق الذي ذكره هو الذي سمعناه من أفواه الثقات غير أني رأيت في جزء من أجزاء الحديث على هامشه طباق فيه سماع لابن عربي بخطه ، وقد ذكر آخر السماع : وكتبه محمد ابن علي بن محمد بن محمد بن العربي الطائي هكذا بالألف واللام ، وكذا في نسخة من فتوحاته على ما نقله شيخنا ، ثم قال : وهذا اصطلح عليه الناس وقد أولوه قلت : وفي التبصير : كلاهما ابن عربي من غير اللام » .

(61) يريد رسالته التي سماها : « رسالة القدس ، في محاسبة النفس » ذكرها خليفة في « كشف الظنون » فقال بشأنها : « الرسالة القدسية » للشيخ الإمام محيي الدين محمد بن علي بن محمد =

حيث وقع في متصوفة زمانه فأجاب بنحو ذلك ونزع (62) بما وقع لعائشة – رضي الله عنها – من ذم أهل زمانها كما مرّ وغيرها من أهل الدين ، ولكن الأولى الإمساك عن ذلك لما قررنا قبلُ ، ولأنه لا يكاد يحصل من ذلك طائل غير إتعاب المرء قلبه ولسانه وتعرضه لمثل ذلك .

ومن ظنّ ممن يعاني الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا (63)

نعم ذكر ما يقع منهم من المناكر بالتنصيص بقصد الاحتّراز مع الإنصاف كما فعل أبو العباس زروق في النصح الأنفع (64) ، وفي عمدة المريد (65)

= ابن عربي الحاتمي الطائي ، أولها : من العبد الضعيف إلى وليه وأخيه ركن الدين الوثيق أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهدوي نزيل تونس بذكر النصائح العجيبة والوصايا الغريبة ، وقال في آخرها : كتب إليكم وليكم بهذه الرسالة من مكة المكرمة في ربيع الأول سنة 600 » اهـ منه . والرسالة انتقد فيها متصوفة زمانه من المدعين الذين تزيوا بزي أهل الطريق وليسوا منهم كما انتقد أيضاً فقهاءه الذين تكالبوا على الدنيا وطلبوا علم الفقه للرياء والسمعة ، وفيها يقول : « وأما الأصول التي استندت إليها في ذلك (يريد استنقاص أهل الزمان) فكثيرة جداً روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه يوم فتح مكة في القرن الفاضل لما فقد عقد من عنق بعض أهله تأوه وقال : ارتفعت الأمانة اليوم من بين الناس ، وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان ، والأصل الآخر بينته عائشة رضي الله عنها لما نظرت إلى زمانها وأهله ولما هم فيه من البخل والمذام تأوهت وقالت : يرحم الله لبيداً حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

والرسالة طبعت على الحجر بمصر سنة 1280 هـ ثم أعيد طبعها بدمشق عام 1384 هـ .

(62) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، وهو ما في صلب س ولكن أكنسوس كتب على طرة مخطوطته : « نوزع » أما الطبعة الفاسية ففيها : « نازع » .

(63) البيت من قصيدة للخنساء وقبله :

وخيل تكدس بالدارعين وتحت العجاجة يجمزن جمزا
جززنا نواصي فرسانها وكانوا يظنون أن لن تجزا

(64) اسمه الكامل كما في الابتهاج للشيخ أحمد بابا التنبكتي هكذا :

« النصح الأنفع والجنة ، للمعتصم من البدع بالسنة »

(65) عنوانه التام كما في « ابتهاج التنبكتي » كالتالي : « عمدة المريد الصادق من أسباب المقت ، =

نافع مفيد غير أنه صعب مفتقر إلى تحقيق في المدارك وتضلع في العلوم وتجربة تامة ، فإن الأمور قليل منها ما يكون أمراً حقيقياً يذم من كل وجه أو يمدح ، وأكثرها إضافي اعتباري يختلف باختلاف الأشخاص والمقاصد والأزمنة والأمكنة والأحوال فافهم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

= في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت » : بين فيه البدع التي وقع فيها متصوفة زمانه وبناه على مائة فصل وكتب بين يديه مقدمة هذا نصها :«يقول مؤلف هذا الكتاب العبد الفقير إلى رحمة مولاه تعالى أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي ثم الفاسي عرف بزروق غفر الله له آمين : ليعلم الناظر في هذا الكتاب والمتأمل لما فيه من حق وصواب أنا لم نقصد به المضرة على الناس ولا القدح فيهم ، ولا الاشتغال بمساويهم ولا إظهار عثرتهم ولا أردنا الاستظهار بالمزيد عليهم ، وإنما قصدنا التحذير من الوقوع فيما حذرنا منه والتحرير لما نبهنا عليه ليكون عدة للصادق في دينه وإعانة للمحقق في يقينه ، ورحمة للمسكين في حاله ، فمن قصده لشيء مما قصدنا به فالله المسئول في إعانته ونفعه ، ومن قصده لغير ذلك فالله المسئول في إتلافه عنه ومنعه ، وأن يعمى عنه من يريده لهتك أستار الناس أو يريده إظهاراً للبس والالتباس ، ومن قصده لذلك فالله حسيبه وسائله والمستوفي الانتقام منه لأن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ، والمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ويعلم الله لولا الشفقة على بعض الإخوان الصادقين ما كتبت منه حرفاً مع ما أخذ الله على من علم شيئاً أن يبينه و لايكتمه ، وما ورد في سكوت العالم عن ظهور البدع مع ما انضم إلى ذلك من أسباب خاصة وعامة ، وعلى الله المعتمد في عموم النفع به وأن يجعله رحمة وبركة حيثما حل ، ثم أرغب لمن كتبه أن يكتب هذه المقدمة في ضمن نسخته لنبرأ من جهل الجاهلين ، وعلى الله توليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله عن سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً » . نقلا بالنص الحرفي التام عن مخطوطة بمكتبة سيدي أحمد أكنسوس أحد شيوخ العلم والتربية بمراكش فرغ من كتابتها ناسخها أحمد بن عبد الرحمان الجرمكي سنة 1006 هـ .

[مداراة الناس صدقة]

مما اتفق لي وينتظم في سلك الملح مع تضمن فائدة أني كنت خرجت من مدينة فاس – حرسها الله تعالى – أيام الحصار ، وأتينا على جبل بني زروال ، ومعي جموع من الناس من طلبة وفقراء وتجار ، فوافينا (1)به رجلاً من أهل محبتنا ، فكان يتصرف لي في أموري وفي أمور من معي من الناس بحسب تفقدهم وإنزالهم منازلهم ، وربما نتردد (2)في أمر كيف يكون إنفاذه (3) فيريد أن يكشف لي عن رأيه في ذلك فيدنو مني ويناجيني ، وكان ساقط الأسنان ، لا يكاد يفهم كلامه ، وكان مع ذلك كلام أهل تلك البلاد منغلقاً عنا لا نكاد نفهمه ، ثم يخفت بصوته لئلاّ يسمعه من حضر ، فيتكلم ولا أكاد أسمع من كلامه حرفاً واحداً ، حتى إذا فرغ من حديثه رفع رأسه إلي وقال : هكذا يكون الكلام مفصحاً بها ، فكنت في هذا أباسط أصحابي فأقول لهم : إن هذه الجملة الأخيرة من كلامه وقع فيها حكم بطريق القصر ، وهو موقوف على أشياء قبله لم يحصل واحد منها ، الأول سماع اللفظ فإنه مقدمة الفهم ، الثاني معرفة الوضع فإنه شرط ، الثالث فهم الألفاظ مفردة ، الرابع فهم التركيب ، الخامس فهم النسبة تصوراً ، السادس فهم الحكم مطلقاً <أي من غير قصر> (4)السابع فهمه مقصوراً ، ثم إن الأخير أعني

---

(1) في ك و س : « فوفينا » وهو خطأ .

(2) في ك : « تردد » بلفظ الماضي وفي ح : « يتردد » .

(3) في س : « إنفاده » بدال مهملة وهو تصحيف .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ح .

الحصر (5) محتاج إلى دليل لأنه بسبيل المنع . ولم يحصل شيء من ذلك كله . وما توقف على ما لم يحصل فهو غير حاصل، ثم إني مع ذلك أستبشر عند حديثه، وربما أحرك رأسي موهماً أني قد حصلته ، وأني قد استصوبت رأيه . وذلك أنه لم يمكني في الوقت غير ذلك ، فإني إن راجعته ليبين لم يبين إلاّ بخفية كما فعل أولاً ، فلا يحصل طائل . وقد علمت أن ليس في عدم تبين مقاصده مهمٌّ (6) يفوت ، لأن كل ما ينحو إليه من الرأي ويتشوف إليه من المصلحة فعندي بحمد الله ما يكفي فيه . فكنت أساهله وأتركه بحاله رفقاً به وجبراً لخاطره وتقللاً من الشغب (7) وعندي في هذا النحو مذهب ، وأرى كثيراً من الناس يَنْبُون عنه، وللتنبيه عليه مع التمليح (8) السابق سطرت هذه القصة، وذلك أني أتغافل عما لا حاجة إليه ، ولا أتتبع ما فيه تكلف ولا تدعو الضرورة إليه ، وإن ذلك عندي هو أسلم وأبعد عما يخشى من ارتكاب الفضول أحياناً، وتجاوز الحدّ أحياناً، وإحراج الصدر (9) أحياناً <واستثارة الشر أحياناً> (10) وأقرب إلى مكارم الأخلاق ، وأدخل في المداراة المطلوبة ، وأبعد عن الملاحاة المذمومة .

وفي الحديث : « مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ » وفي حديث آخر : « رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الإيمَانِ بِاللهِ التَوَدُّدُ إلى النَّاسِ » وفي خبر آخر : « التَوَدُّدُ إلى النَّاسِ نِصْفُ العَقْلِ . وَحُسْنُ التَدْبِيرِ نِصْفُ المَعِيشَةِ . وَمَا

---

(5) كذا بالأصل ، ومثله في س و ح ، أما ك فقد كتب في صلبها : « الحصر » وفي طرتها بإزائه : « القصر » .

(6) في ح : « فهم » والظاهر أنه تصحيف .

(7) في س وحدها : « التشغب » .

(8) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، أما س و ح ففيهما : « التلميح » .

(9) في س و ح : « الصدور » بلفظ الجمع .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ح .

عـَالَ مَنِ اقْتَصَدَ » وقال الشاعر (11) :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه   وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهداً كل عثْرة   يجدها ولا يسلم له الدّهر صاحب

وقال الآخر :

أغمض عيني عن صديقي تغافلاً   كأني لما يأتي من الأمر جاهل
ومـا بي جهل غير أن خليقتي   تطيق احتمال الكرهِ فيما تحاول

ونحوه قول (12) الآخر :

أغمض للصديق عن المساوي   مخافة أن أعيش بلا صديق

[(13) وقال غيره (14) :

إذا كنت في كلّ الأمور معاتباً   صديقك لا تلقى الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فـإنه   مقارف ذنب مـرة ومجـانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى   ظمِئت وأي الناس تصفو مشاربه؟
ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها ؟   كفى المرء نبلاً أن تُعَدّ معايبه

وقال غيره :

---

(11) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي صاحب عزة ، والبيتان من قصيدة له في ديوانه المطبوع بتحقيق إحسان عباس .

(12) البيت في عيون الأخبار (3 : 16) غير منسوب .

(13) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية لحقاً على طرتها ، وهو وارد في الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

(14) هو بشار بن برد ، والأبيات من شعره السائر ، وهي من قصيدة طويلة النفس تجدها في ديوانه المطبوع بتحقيق محمد الطاهر عاشور .

إذا مـــا الصديق أسا مرة وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعلـــــه فلم ينسني الآخر الأولا

وقال غيره (15) :

وأغفر عوراء (16)الكريم ادّخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرّما

وقال غيره :

احرص على حفظ القلوب من الأذى فرجوعها بعـــد التنـــافر يعسر
إنّ القلوب إذا تنـــافر وُدّهـــا مثل الزجاجة كسرها لا يجبر (17)]

وعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ، وتكون في العبد ولا تكون في سيده ، يقسمها [الله] (18) لمن أحب : صدق الحديث ، ومداراة الناس ، وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمم (19)للجار ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وقرى الضيف ، والوفاء بالعهد ، ورأسهن كلهن الحياء .

---

(15) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي الجواد المشهور ، والبيت من قصيدة له في الكرم ومحاسن الأخلاق ، وهي مودعة في ديوانه .
(16) العوراء : الكلمة القبيحة يقول : إني أغضي عن الشريف إذا فرطت منه الكلمة السيئة ، حفاظاً على صداقته ، أما اللئيم فإني أنزه نفسي عن مشاتمته .
(17) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً .
(18) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه رواية عن سواه .
(19) في الأصل، «التدمم» بالمهملة وفي سواه : «التذمم» وجاء في «لسان ابن منظور» ما نصه بالحرف : « في الحديث : خلال المكارم كذا وكذا ، والتذمم للصاحب ، وهو أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه » اهـ .

] و(20) وقال الشاعر (21) :

أحب مكارم الأخلاق جهدي   وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلماً   وشر الناس من يهوى السِّبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه   ومن حقر الرجال فلن يهابا

وقال غيره (22) :

ولقد أمر على اللئيم يسبني   فأجوز ثم أقول : لا يعنيني

وقال غيره :

إن المكارم أخلاق مطهرة   فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها   والجود خامسها والعرف ساديها(23)

---

(20) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية على طرتها لحقاً ، وهو وارد في الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

(21) هو الحسن بن رجاء ، والأبيات نسبت إليه في « العقد الفريد » (2 :284) وبعدها فيه بيت يقول :

ومن قضت الرجال له حقوقاً   ولم يقض الحقوق فما أصابا

(22) هو عميرة بن جابر الحنفي ، والبيت منسوب إليه في « حماسة البحتري » ص 171 وفيها بعده بيت ثان يقول :

غضبان ممتلىء علي إهابه   إني وجدك رغمه يرضيني

(23) جاء في كتاب : « ضرائر الشعر » لأبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز (ص 240) ما نصه : « ومما يجوز له (يريد الشاعر) أن يقول في الثالث : ثالي فيبدل إذا احتاج إلى ذلك ، وكذا في سائر أسماء العدد المشتقة من أفعالها » اهـ . وفي كتاب « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر » للسيد محمود شكري الآلوسي (ص 150 – 151) ما نصه : «باب الإبدال باب واسع من أبواب التصريف ، ونحن نذكر ههنا ما أبدل منها للضرورة واختص بالشعر ، فمن ذلك إبدال السين ياء ، قال الشاعر :

إذا ما عد أربعة فسال   فزوجك خامس وأبوك سادي

أي أبوك سادس ، والفسال جمع فسل وهو اللئيم ، وقال آخر :

بويزل أعوام أذاعت بخمسة   وتعتدني إن لم يق الله ساديا

أي سادساً » اهـ .

والبر سابعها والصبر ثامنهـــا والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلاّ حين أعصيها
والعين تعلم في عيني محدثها من كان من حزبها أو من أعاديها

وقال غيره :

اترك مكاشفة الصديق إذا غطى على هفواته ستر] (24)

وفي الحكمة : اللبيب العاقل ، هو الفطن المتغافل ، وفي قوله تعالى : (عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) مشرب في هذا المعنى ، ويقال : ما استقصى كريم قط ، وفي الحديث : « لَمَّا أُسْرِيَ بِي كَانَ أَوَّلَ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي أَنْ قال : إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الأَوْثَانِ ، وَشُرْبَ الخَمْرِ ، وَمُلاحَاةَ الرِّجَالِ » وفي حديث آخر : «احْذَرُوا جِدَالَ كُلِّ مَفْتُونٍ ، فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ حُجَّتَهُ إلى انْقِطَاعِ مُدَّتِهِ » وقال الشاعر (25) :

إني محضتك يا كدام نصيحتي فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فـدعهما خلقان لا أرضاهما لصديق

وقال الآخر (26) :

اترك مكاشفة الصديق إذا غطى على هفواته ستر

وهذا باب واسع مشهور ، وفيما ذكرنا منه كفاية .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(24) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً .

(25) هو مسعر بن كدام ، والبيتان منسوبان إليه في« عيون الأخبار» (1 : 319) وبعدها فيه:

ولقـد بلوتهما فلم أحمدهما لمجاور جـــار ولا لرفيق

وهما في « حماسة البحتري » ، وفي « الظرف والظرفاء » للوشاء .

(26) تقدم هذا البيت في الإضافة السابقة .

[استقراء المؤلف لهجة ريفية]

من جملة ما اتفق لي في هذه السفرة إلى جبال (1) الزبيب وسفرات (2) أخرى لزيارة الشيخ عبدالسلام بن مشيش رضي الله عنه أني سمعت لغة لأهل تلك الجبال: يكسرون آخر الموقوف عليه استقراء فتتبعتها فوجدتها لها ضابط، وقد رأيت غيرهم من أهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه على غير وجه(3) وينسبون إليهم ما لا يقولون جهلاً منهم بضوابطها (4)، فإنهم لا يكسرون إلا الفتحة بعدها ألف، أما الألف المقصورة كالدنيا، أو أو الممدودة كالسماء والطلباء والشرفاء، والأصلية كالماء، أو المقلوبة عن هاء التأنيث في مجرى العرف كالبقرة والشجرة والصفحة فإن العوام من غيرهم يقولون في الوقف على هذه : البقرا والشجرا بألف، وهؤلاء يكسرون فيقولون : البقري والشجري وتنقلب الألف ياء، وهذا كله في الوقف فإن وصلوا نطقوا بالألف كغيرهم، وإن لم يكن الفتح ولا الألف كالشجر والبقر مراداً به الجنس وقفوا بالسكون كغيرهم، وإني لما تأملت ذلك من كلامهم وحققته في أقرب مدة اتضح عندي معنى الاستقراء في نحو هذا بالمشاهدة، وعلمت كيف كان أئمة العربية القدماء يستقرئون النحو واللغة من أفواه العرب ويضبطون لغة كل قبيلة في ذلك، وتبين أن ذلك أمر صحيح بيّن، وللتنبيه

---

(1) جبال الزبيب ويقال أيضاً : جبل الزبيب هي جبال بني زروال شمال مدينة فاس، سميت بذلك لكثرة كرومها.

(2) في س : «سفرة» بلفظ الإفراد.

(3) كذا بالأصل، ومثله في ح، أما ك وس ففيهما : «وجهه» مضافاً إلى الضمير.

(4) في ح : «بضوابطه» مذكر الضمير.

على هذا حكيت هذه القصة ؛ فلا يقل(5) جاهل : ما لنا ولهذه اللغة ؟ فلتعرف أو لا تعرف ؛ هذا مع أن معرفة الشيء خير من جهله ؛ فالجاهل بالشيء أعمى فيه وفي ظلمة عنه ، والعالم به بصير به وفي نور فيه ، (وَهَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى وَالبَصِيرُ أمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) والعلم <ذخر>(6) يجده صاحبه عاجلاً أو آجلاً ، وحجة ينتصر بها في الخطوب [أيضاً](7).

لله الأمر من قبل ومن بعد

(5) في ك و س : « يقول » وعليه تكون لا نافية لا ناهية .

(6) ما بين العلامتين ساقط من س .

(7) ما بين العلامتين زيادة من س .



لصاحبها : الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) – الحمراء ، بناية الأسود
تلفون : Tel: 009611-350331 / خليوي : Cellulair: 009613-638535
فاكس : Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P. 113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم : 18/ 500 / 9 / 2006

الطباعة : دار صادر ـ بيروت ـ لبنان



MUḤĀḌARĀT FI AL-ADAB

Par

AL-ḤASAN AL YŪSĪ

Texte établi par

MOḤAMMED ḤAJJĪ AḤMED AL-SHARQĀWI IQBĀL

Vol. I



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

المحاضرات

في اللغة والادب



المُحاضَرات

في الأدَب واللّغَة

تأليف

الحسَن اليُوسي

(المتوفى عام ١١٠٢ هـ)

الجزء الثاني

تحقيق وشرح

مُحمّد حجّي   أحمد الشرقاوي إقبال



دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى 1982 م
الطبعة الثانية 2006 م

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787-113 بيروت

[مناظرة المؤلف لشيخه المرابط الدلائي]

ومما اتفق لي في هذا أني كنت قدمت في أعوام الستين وألف من رحلتي في طلب العلم ، وكنت إذ ذاك شاباً ، فدخلت الزاوية البكرية ، فوجدت شيخنا أبا عبد الله محمد بن محمد المرابط — رحمه الله — قد جمع خطباً (1)وعظية وتقدم إلى أهل الوقت في بلده ليكتبوا عليها تقريظاً ، فكتب كل ما قدر له من نثر ونظم ، فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضاً فوقع في مكتوبي لفظة القطائف <اللطائف> (2)فاعترض علي ورام تبكيتي وقال: إنا لا نعرف القطائف(3) إلاّ هذه المفروشات (4) ،فقلت له إن القطائف هنا جمع قطيفة بمعنى مقطوفة ،

---

(1) في ك : « خطبة » بالإفراد .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) في « الصحاح » : « والقطيفة دثار مخمل والجمع قطائف وقطف أيضاً مثل صحيفة وصحف ». وفي « التاج » : « قال بعضهم : هي كساء مربع غليظ له خمل ووبر » . وفي«ثمار القلوب للثعالبي»: « قطيفة المساكين هي الشمس ، يسميها فقراء العرب في الشتاء قطيفة المساكين » . وفي « كامل المبرد » : «نظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة فقال : يا هذا إني لأرى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك » .

(4) في ك : « المفروشة » .

فقال : هو صحيح في اللغة ولكن الأدباء لهم الاختيار وعندهم ألفاظ يستعملونها مخصوصة ، فلا يرتكب عندهم كل ما يقع في اللغة ، فقلت له حينئذ : هذا أبو محمد الحريري يقول في « مقاماته » (5) :

فـــلا تعذلوني بعدمـــا قد شرحته على أن منعتم في اقتطاف القطائف(6)
على أن ما زودتم من فكاهة (7) ألذ من الحلوى لدى كل عارف

فتلون وجهه — رحمه الله — وخجل ولم يراجعني بكلمة ، فلولا معرفة المقامات واستحضار هذا البيت لأخجلني عوض ما كنت أخجلته ، والشيء يذكر بالشيء (8) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(5) البيتان في مقامته الثامنة عشرة ، وهي المعروفة بالمقامة السنجارية .
(6) قال الشريشي في « شرحه على المقامات » (2 : 131) وهو يفسر البيتين : « القطائف هي ما يجنى من الثمار يريد بها الحلوى التي حرمهم أكلها » . وفي«التاج»: « وأما القطائف المأكولة فإنها لا تعرفها العرب ، أو قيل لها ذلك لما عليها من نحو خمل القطائف الملبوسة ، وفي « التهذيب » : «القطائف طعام يسوى من الدقيق المرق بالماء شبهت بخمائل القطائف التي تفترش » . وفي القطائف المأكولة يقول علي بن يحيى المنجم :

قطـــائف محشوة بـــاللوز والسكر المـــاذي حشو الموز
تسبح في آذي دهـــن اللوز سررت لمـــا وقعت في حوزي
سرور عباس بوصل فوز

(7) في س : « فاكهة » وهو خطأ .
(8) كذا في المخطوطات الثلاث وفي ح : « والشيء بالشيء يذكر » .

[تنقل المؤلف في طلب العلم بالجنوب]

كنت أيام طلب العلم في بلاد القبلة(1) <حتى>(2) أخذت بطرف من العربية ، فحدث لي انتقال إلى ناحية مراكش ، وذلك في دولة السلطان محمد (3) الشيخ ، فأخذت في فنون أخرى كالأصول والمنطق والكلام ، وتركت العربية ، ثم إني دخلت السوس الأقصى واتصلت بشيخنا أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الرسموكي رحمه الله ، فوجدت أهل تلك البلاد يشتغلون بتصريف الأفعال ويستحضرون معها النصوص من الخلاصة ونحوها ، فحضرت معهم فإذا أبيات الخلاصة تشذ عن فكري لطول العهد بها ، فلما رأيت ذلك أحببت أن أحدث عهداً بها فقلت للطلبة : من أحب أن يسمع الخلاصة فليأتني ، فشرعنا فيها ،وكنا نجلس إليها بعد العشاء الآخرة(4) بساعة <أو أكثر> (5)

---

(1) تسمى جهة الجنوب في إصطلاح المغاربة قبلة ، وقد بين الأستاذ محمد الفاسي وجه هذه التسمية في أحد هوامشه على رحلة ابن مليح بصفحة 106 فقال : « القبلة في اصطلاح المغاربة هي الجنوب ، لأن العرب الذين فتحوا المغرب كان أكثرهم من أهل الشام ، والقبلة جنوبهم ، فاطلقوا على جهة الجنوب لفظة القبلة ، وتبعهم أهل المغرب رغم أن قبلتنا هي الشرق ، والجوف في اصطلاح المغاربة هو الشمال » .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) يقصد محمد الشيخ السعدي الأصغر المتوفى سنة 1063 هـ / 1653 م .

(4) في ك وفي س : « الآخر » بالتذكير ، وفي ح : « الأخيرة » .

(5) ما بين العلامتين ساقط من ك .

فنقطع الليل كله في المجلس . وأنقل كل ما في شرح (6) المرادي (7) بأكمل التقرير والتحرير ، وختمناها في نحو شهر وعشر ليال ، وفي الليلة التي ختمناها نمت فرأيت فيما يرى النائم كأن العذرة تخرج من جوفي على فمي كحالة (8) القيء متصلة حتى انفصلت عني فلما انتبهت وقع في فكري أن ذلك هو الجهل بذلك الكتاب أو ذلك العلم خرج عني ، فسرني ذلك ، وفهمت من تصوير ذلك بصورة النجاسة أن الجهل قبيح وأن العلم كله حسن محتاج [إليه] (9) ، فإنه إما مقصود لذاته فيما تعبد به العبد ، وإما معين على ذلك نوع إعانة ، فمتى صلحت النية كان الجميع قربة وعبادة . ولقد حدثونا عن بعض الفقهاء ممن كان يواصل أشياخنا رحم الله الجميع وكان يدرس للطلبة الكتب المتداولة في الفقه والنحو والكلام وغير ذلك من الفنون أنه توفي وأنه ريء (10) بعد موته وسئل عما فعل الله به فأخبر أنه أثيب على كل كتاب من تلك الكتب بحمد الله ، وذلك لصلاح نيته .

وقد كنت دخلت يوماً على أستاذنا الإمام أبي عبد الله بن ناصر — رضي الله عنه — وكان يوم جمعة فوجدته في روضة الأشياخ ، وإذا هو يقرىء لأولاده

---

(6) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون وهو يتكلم عن ألفية ابن مالك في النحو ويعرف بما كتب عليها من الشروح والحواشي فقال : « ومن الشروح المشهورة شرح الشيخ شمس الدين حسن بن القاسم المرادي المعروف بابن أم قاسم المرادي المتوفى سنة 739 هـ أوله : الحمد لله والشكر له » .

(7) المرادي هذا ذكره ابن العماد في الشذرات فقال : « بدر الدين بن الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المولد النحوي اللغوي الفقيه المالكي البارع المعروف بابن أم القاسم ، وهي جدته أم أبيه ، صنف وتفنن وأجاد ، وله شرح التسهيل وشرح المفصل وشرح الألفية ، وكان تقياً صالحاً » .

(8) في س : « كهيئة » .

(9) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(10) لغة مقلوبة من : « رئي » .

« ديوان الشعراء الستة » (11)ويطرر على النسخة ما يحتاج من شرح الغريب ونحو ذلك ، فقلت في نفسي : هذا يوم الجمعة يعتنى فيه بالإقبال على العبادة لشفوف فضله ، وهذه الروضة موضع ذكر واعتبار ، والشيخ – رضي الله عنه – أعرف ، عنده النهاية في كل ذلك ، فعلمت أن ذلك إنما كان لصلاح النية وصحة الإخلاص وذهاب الهوى ، فكان كل ذلك عبادة أياً كان وفي أي موضع كان ، ولهذا يقول أئمة الدين : إن علامة من يأخذ في العلم لله تعالى أن <لو> (12)قيل له غدا تموت لم يطرح الكتاب من يده أي لكونه دخله بوجه صحيح ، ولو كان أخذه فيه بالهوى لفر عند الإحساس بالموت عنه (13)إلى الصحيح ، وهكذا في جميع التصرفات .

ولهذا كان بعض مشايخ الصوفية من ناحية العراق أخذ يبذر أرضاً فمر به بعض الاولياء طائراً في الهواء ، وذلك في عشية ليلة عرفة فقال له الأول : إلى أين تريد ؟ فقال : إلى الحج ، فهل لك فيه ؟ فقال : اني نويت أن أحرث هذه الأرض ، وامتنع من الذهاب إلى الحج ، وذلك لأنه دخل في هذا العمل

---

(11) هو عنوان مجموعة شعرية تحتوي أشعار ستة من فحول الجاهليين هم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة ، وعلى هذه المجموعة شرح لأبي الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري المعروف بالأعلم ، وشرح الأعلم هذا ذكره ابن خير « بفهرسته » في جملة ما رواه عن شيوخه ، ومنه مخطوطة بالمكتبة الشنقيطية ، وأخرى بالمكتبة التيمورية ، وعلى المجموعة شرح آخر من عمل أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي البلوي ذكره أيضاً ابن خير في « فهرسته » بين ما رواه عن أشياخه ، ومن شرح البطليوسي هذا مخطوطة بمكتبة فيض الله باستانبول .

(12) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(13) في ك : « منه » .

بنيةٍ صحيحة فلم يكن ليتركه ، وفي الحديث الصحيح : « إنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » . وقال تعالى : (وَلا تُبْطِلُوا أعْمَالَكُمْ) وفي الحديث الآخر : « يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ وَفِيهِم أسْوَاقُهُمْ ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ وَيُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى نِيَّاتِهِمْ » .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[تأخير الصلاة]

حدثني الأخ الفاضل أبو الحسن علي بن أحمد الرماني قال : كان سيدي محمد الشرقي التادلاوي يوماً مع جماعة من إخوانه فحان وقت الصلاة فجاء المؤذن يؤذنه بالصلاة فتغافل عنه ، ثم رجع (1)إليه ثانياً وثالثاً ، فلما ضاق الأمر بالمؤذن شرع في إقامة الصلاة من غير إذن ، فقال له الشيخ : ما أعجلك ! إن الصلاة تقضى أو تدرك ، ومجلس الإخوان لا يقضى .

قلت : وهذا يذهب به العوام ويرتكبون ظاهره ، وتأخير الصلاة عن وقتها لا يجوز لشيء من الأشغال أو الفضائل إلاّ العجز (2)، وما لا يجوز لا يفعله الولي اللهم إلاّ مغلوباً بوارد ،ولا يقتدى به في تلك الحالة(3) مع أن الموفق محفوظ ، أما التأخير عن أول الوقت مثلاً فقد يكون لأمر مهم أو فضيلة تربو (4) ،ومحل العذر أو الترخص في السفر أو نحوه معلوم .

وحدثونا عن سيدي عبد الله بن<عمرو> (5) المضغري (6)أنه ارتحل إلى مليانة لقصد ملاقاة الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي

---

(1) في ك : « جاء » .
(2) كذا في الأصل وفي ك و س و ح : « إلا لعجز » .
(3) في ك : « الحال » بدون هاء التأنيث .
(4) كذا بالأصل ، ومثله في ح أما ك و س ففيهما : « ترجى » .
(5) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .
(6) كذا بالأصل وهو ما في س وفي ح وكذلك هو في صلب ك ولكنه أصلح بالمدغري بالدال على الطرة منها ، وليحرر .

والأخذ عنه ، فوافى البلد وقت صلاة العصر ، وقد كان صلى ، فلما انتهى إلى زاوية الشيخ سأل عنه فقيل له : إنه لم يصل العصر <بعد> (7) فأنكر ذلك وقال : إن هذا الرجل لم يحافظ على أول الوقت ، وانصرف عنه ، وذهب إلى سيدي عبد العزيز القسمطيني فأخذ عنه — نفع الله بالجميع (8) —.

وقد صار ذلك التأخير الذي وقع للشيخ سبباً لانصراف الآخر عنه حيث لم يسبق القدر بأن يكون من أصحابه وإلاّ فللناس أعذار .

ومن الملح في تأخير الصلاة أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن سودة قاضي مدينة فاس — رحمه الله — كان يؤم بجامع القرويين وكان يؤخر صلاة الصبح تأخيراً مفرطاً ، فحدثني بعض الأصحاب قال : لقيت صبياً من أهل فاس <إذ ذاك> (9) فسألته عن صلاة الصبح في القرويين هل أدركها ؟ فقال لي : والله لا تمشي إليها إلاّ بالمظلة ، يعني التي تجعل على الرأس اتقاء الشمس ، وهذا إفراط في المبالغة .

ومما اتفق في هذا الإنكار ولكن في العكس ، وهو التقديم ومزاحمة الوقت ، حدثونا عن الفقيه الصالح أبي عبد الله سيدي محمد بن سعيد الميرغتي (10) أنه ورد على شيخنا وأستاذنا ومفيدنا الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي — رحم الله الجميع ونفعنا بهم — فكان المؤذن إذا أذن <المغرب> (11) ينكر عليه ويقول له استعجلت : فلما أكثر في ذلك وانتهى الأمر إلى الشيخ خرج إليه فسار معه إلى صومعة الجامع الكبير وذلك في عشي النهار ، فجاسا

---

(7) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(8) في ح : « بجميعهم » .

(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(10) كذا بالأصل ومثله في ح أما ك ففيها : المرغيثي ، وجاء في س : المرغيتي وليحرر .

(11) ما بين العلامتين ساقط من ك .

بأعلى الصومعة يتحدثان والمؤذن الذي كان ينكر عليه في مسجد الحلوة بعيداً عنهما بنحو مد البصر ، وبقيا في حديثهما حتى غربت الشمس وأقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقال الشيخ للفقيه المذكور : أقد (12)تبين الوقت ؟ قال نعم ، وبفور كلامه قال مؤذن الحلوة : الله أكبر ، وجعل يؤذن فعجب الفقيه من هذا الاتفاق الغريب ، وعلم أن الأذان كل يوم كان على الصحة ، فلم يعد إلى الإنكار .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(12) كذا في الأصل بحرف الاستفهام ، وسقط هذا الاستفهام من ك و س.

[أبو بكر الدلائي يكرم العكاكزة مداراة لهم]

حدثني الأستاذ المقرىء الفاضل أبو عبد الله الشرقي بن أبي بكر عن والده سيدي أبي بكر أنه كان ذات مرة هربت العكاكزة (1)أولاد عبد الحق بن المنزول من بلادهم فنزلوا بساحته وهم جياع ، ووجدوا زرع زاويته محصوداً مجموعاً فقال لهم : ادرسوا وكلوا ، فقام إليه ولده الكبير أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر فأنكر ذلك وقال : إن هؤلاء فساق أو كفار ، ثم هم ظلام محاربون (2)فكيف تعينهم وتبيح لهم زرع المساكين ؟ فقال أبوه : إني أريد أن أتخذ عندهم يداً فإذا استلبوا مسكيناً يوماً <ما> (3)وجاء إليّ يشتكي

---

(1) العكاكزة أو العكازيون نسبة إلى العكاز كرمان ، وهو عصا ذات زج في الأسفل يتوكأ عليها ، فيقال إنهم نسبوا إليها لأنهم جعلوها لهم شعاراً ، أو لأنهم قلدوا في اتخاذها الطائفة التومرتية التي كان مهديها يحمل عكازة في أسفاره ، ويعرفون أيضاً بالطائفة اليوسفية لأن أحمد بن عبد الله المنزولي رأس فتنتهم كان قبل ضلالته تتلمذ على الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ، فنسبوا إليه دعوى ، وهو منهم براء ، والعكاكزة جماعة ضالة خرجت عن الإسلام بإنكار الرسالة المحمدية ، وقالت بإباحة الفروج وحلية الميتة ولحم الخنزير ، وأحلت دماء المسلمين وأموالهم ، وكان ظهورهم في العهد السعدي ، ثم استشرى فسادهم إثر وفاة المنصور ، وظهر لهم أتباع في جهات عدة من أرض المغرب ، ولليوسي تأليف فيهم يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة ضمن مجموع ، واقرأ عنهم في كتاب « الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين »للدكتور محمد حجي (1 : 237 – 240) طبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سلسلة التاريخ (2) .

(2) يريد أهل الحرابة من أهل الفساد الذين يشهرون السلاح ويقطعون الطريق وينهبون الأموال ويخيفون السابلة وهم الذين ذكرهم الله فقال : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

كتبت إليهم كتاباً فلا بد أن يراعوا هذا الخير فيردون عليه متاعته فأنا (4) إنما فعلت هذا لحق المساكين .

قلت ولعل هذا هو نظر ولده المذكور في المسعود بن عبد الحق ، فإنه كان يدنيه حتى إنه كثيراً ما يكون أول داخل عليه وآخر خارج حتى إن الفقيه النحوي الحافظ أبا عبد الله محمد بن أبي بكر الإسحاقي الجراني (5) وكان ابن أبي بكر يجفوه كان يقول :

وإنمـــا دنيـــاك بالسعود   وإن شككت انظر إلى مسعود

وحدثونا عن مسعود هذا أنه <كان> (6) يحضر مع الناس مجلس البخاري فاحتالوا عليه يوماً حتى أوقعوا نقطة مداد على رجله ، فلما رجع من الغد لحظوها فإذا هي بحالها فعلموا أنه لم يكن يصلي ، أو يصلي بغير طهارة ، وهذا الذي فعله المرابط المذكور داخل في باب الرفق والمداراة .

ونحو منه ما حكى المواق (7) في سنن المهتدين (8) عن شيخه ابن سراج

---

(4) في ك وحدها : « فإني » بدل : « أنا » .

(5) كذا في الأصل بجيم منقوطة بثلاث من أسفل ، وكذا هو في صلب الكتانية ، ولكن ناسخها كتب بخطه على الطرة : « الحمراني » وعليها خاء إشارة إلى أنها رواية نسخة أخرى ، وأما س ففيها : « الجراني » بجيم منقوطة بواحدة من تحت ، وأما الفاسية ففيها : « الحمراني » وليحرر ما يصح فيه .

(6) ما بين العلامتين إضافة من ك .

(7) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي الشهير بالمواق بفتح الميم وتشديد الواو ، كان عالم غرناطة وفقيهها وقاضيها وخطيبهـا لوقته توفي سنة 897 هـ .

(8) هو كتاب مزج فيه بين الفقه والتصوف والأخلاق وأقام مبناه على قول الله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق با لخيرات بإذن الله) ورتبه على تسع مقامات صعوداً ، وهبوطاً ، وهو قد قال في فاتحته : «وأنا أذكر إن شاء الله أدب هذه الأصناف الثلاثة ، وأتكلم عليها في تسع مقامات =

عن الشيخ الزيات ببلش (9) وكانت بيد بعض الرؤساء من الملوك النصريين (10) وكان هذا الرئيس يأتي حلقة الشيخ المذكور فيتزحزح له الشيخ ويرحب به فكان بعض الطلبة يجد في نفسه من ذلك فبينا (11) ذلك الطالب يجيء من قريته بشِقصٍ (12) حرير في يده أخذه له الشرط (13) فجاء إلى الشيخ وشكا له، فأمر الشيخ مؤذناً أتى الرئيس، فما كان أسرع [أن] (14) أتى الرئيس على

= بعضها أعلى من بعض، أبدأ بالمقام التاسع، ثم أتدلى منه إلى المقام الذي بعده إلى المقام الأول، ثم أرتقي منه إلى المقام الثاني ثم إلى الثالث ثم كذلك إلى التاسع. أبدأ به وبه أختم، واسمي كتابي هذا سنن المهتدين، في مقامات الدين». طبع سنن المهتدين على الحجر بفاس سنة 1314 هـ.

(9) في «معجم البلدان» لياقوت: «بلش بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة بلد بالأندلس» ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي من أهل الصلاح والعلم «ذكره ابن الفرضي» وفي «تاج العروس»: «بلش كبقم حصن بالمغرب إليه ينسب قاضيه محمد بن الصعتر الشاعر، نقل عنه أثير الدين أبو حيان شيئاً من شعره بالموضع المذكور، كذا في «وفيات الصفدي» رحمه الله تعالى».

(10) في الأصل وفي س: «البصريين» بالباء وهو تصحيف صوابه «النصريين» بالنون كما هو في ك و ح.

(11) كذا في الأصل، ومثله في س و ح أما ك ففيها: «بينما».

(12) صحفت هذه الكلمة في الأصل فكانت فيه: «بشخص» بخاء معجمة بدل القاف، فأصلحناها بما جاء في ك و س و ح، والشقص فسره الفيومي في «مصباحه» فقال: «الشقص الطائفة من الشيء والجمع أشقاص مثل حمل وأحمال».

(13) كذا في الأصل، ومثله في س، أما ك و ح ففيهما معاً «الشرطي» بياء النسبة، وهاك ما جاء في ضبط الشرط والشرطي: قال الزمخشري في «أساس البلاغة»: «هؤلاء شرطة الحرب، لأول كتيبة تحضر، ومنه صاحب الشرطة، والصواب في الشرطي سكون الراء نسبة إلى الشرطة والتحريك خطأ لأنه نسب إلى الشرط الذي هو جمع» وقال الفيومي في «مصباحه»: «الشرطة وزان غرفة، وفتح الراء مثال رطبة، لغة قليلة، وصاحب الشرطة يعني الحاكم، والشرطة بالسكون والفتح أيضاً الجند، والجمع شرط مثل رطب، والشرط على لفظ الجمع أعوان السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها، الواحدة شرطة مثل غرف جمع غرفة، وإذا نسب إلى هذا قيل شرطي بالسكون رداً إلى واحده».

(14) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك، وجاء في ح بدله: «حتى».

الرئيس على عادته ، وتزحزح له الشيخ وجلس ، ثم بعد الفراغ من المجلس وإرادِ (15) القيام قال الشيخ :أنت أرسلت في هذا ؟ وأخزج الحرير فقال : نعم ، هو لهذا الطالب<فقال الرئيس للطالب : خذ يا حبيبي متاعك وانصرف فقام الشيخ> (16)وقال لذلك الطالب :يا زبلح (17)لمثل هذا<هو> (18) ذلك التزحزح (19) .

وحدث عن إمامنا مالك رضي الله عنه <انه> (20) قيل له: تترك الجماعة والجمعة وإذا دعاك السلطان أسرعت إليه فقال : لو لم أفعل هذا لم ترَ بهذه البلدة سنة قائمة .

ومن هذا القبيل ما كان فعل الإمام العلاّمة القاضي إسماعيل بن حماد ، فقد روي أنه دخل عليه عبدون بن صاعد الوزير ، وكان نصرانياً ، فقام له ورحب به ورأى ممن حضر من العدول وغيرهم إنكاراً لذلك فلما خرج قال لهم : قد رأيت إنكاركم ، وقد قال الله تعالى : (لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ في الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ) . وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين . وهو سفير بيننا وبين المعتضد ؛ وهذا من البر . فسكت الجماعة ، وهذا كله داخل في أبواب سد الذرائع (21) وفتحها .

---

(15) كذا بالأصل ، ومثله في س ، ولعله حذف الياء على مثال ما جاء في قوله تعالى : (وإقام الصلاة) أما ح ففيها : « إرادة » بصيغة المصدر كاملة الأحرف .

(16) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(17) الزبلح الأحمق على ما فسره دوزي في تكملة المعاجم العربية .

(18) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(19) الحكاية هذه واردة بالملزمة رقم 8 صحيفة 4 من « سنن المهتدين »في طبعته المشار إليها سابقاً .

(20) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(21) في س : « الدرائع » بدال مهملة وهو تصحيف .

واعلم أن الذريعة هي المدخل إلى الشيء ، فإن كان الشيء خيراً فحقها أن تفتح ، وإن كان شراً فحقها أن تسد ، وتقرير هذا المعنى أن المراد السبب المفضي إلى السبب إفضاء عقلياً أو إفضاء عادياً كلياً أو أكثرياً أو حالياً بحيث إن من سعى في استحصال الأول هو ساع في استحصال الثاني بالتبع ، ثم الإفضاء إما أن يكون ذهنياً فقط ، كما في الفرضيات ، أو خارجياً فقط ، كما في الاتفاقيات . أو ذهنياً خارجياً ، وهو الأكثر ، ومتى اعتبر مجرد الربط ولو جزئياً فالذهني أعم مطلقاً ، ثم الطرفان قد يكونان جائزين نحو : لو جاءني زيد أكرمته ، وقد يكونان واجبين نحو : لو كان الله تعالى عالماً كان حياً أي لكنه عالم فهو حي ، وقد يكونان مستحيلين عقلاً نحو : لو وجد شريك لله تعالى لمانعه على (22) الفعل ، وهذان المثالان معاً من قسم ما هو ذهني فقط ، لانه لا تصح (23)السببية الخارجية (24)في شيء من الواجب ولا المستحيل . وقد يكونان مستحيلين عادة نحو : لو وجدت في الأرض جبال من ذهب لاستغنى الناس كلهم في الدنيا ، ولو طار زيد إلى السماء لرأى معمور الأرض كله في مرة ، ثم الجائزان عقلاً قد يكونان مطلوبين معاً شرعاً ، إما وجوباً أو ندباً . كفعل الطواف وفعل السعي بعده ، وتلاوة القرآن وسجود التلاوة معه ، ونحو ذلك ، ولا إشكال فيه ، وقد يكون الثاني هو المطلوب بالذات، فيستتبع الأول كقتل النفس قصاصاً ، فيستتبع ما تزهق به الروح من حز الرقبة ونحوه ، وذبح الضحية فيستتبع ما تحصل به الذكاة شرعاً من قطع الحلقوم والأوداج ، ويعرف هذا القسم في أصول الفقه بالمقدمة ، وعندهم فيه اختلاف مشهور ،هنالك ، وقد ينعكس <الأمر> (25) فيكون المطلوب شرعاً هو الأول فقط كصلة الرحم المفضية بإذن الله إلى سعة

(22) في ك : « عن » بدل : « على » .
(23) في ك : « لا تصلح » بدله .
(24) في ك : « الخارجة » .
(25) ما بين العلامتين ساقط من ك .

الرزق والبركة في العمر على ما ورد به الوعد الصادق ، وكالإسلام المفضي إلى سلامة الدماء والأموال ، وكالإخلاص فيه المفضي إلى نور الوجه وانبساط الروح ، وهذا القسم داخل فيه العبادات كلها بحسب ما تفضي إليه من الثواب عليها ، غير أن ما كان من هذه الثمار دنيوياً كالذي صدرنا به فيجب ألاّ يقصد عند عمل العبادة ، والإ فات الإخلاص ، وما كان أخروياً فلا بأس أن يقصد في مقام الإسلام ، وقد يكونان منهيين معاً كتزوج الخامسة ووطئها وشراء الخمر وشربها ، فيتركـــان معاً ، وقد يكون الأول مباحـــاً بذاته شرعياً ، والثاني حراماً ، فيحرم الأول تبعاً إذا اعتبر الإفضاء كبيع السيف من قاطع الطريق مع العلم به وكبناء (26) الدار لتكون ماخوراً (27) أو معصرة خمر ، وغير ذلك مما يكثر ، وهو داخل في سد الذرائع المتفق عليه ، فإن لم يكن الإفضاء معتبراً ، وذلك عند كون الأول مهماً في نفسه ، والثاني غير مقصود لم يمنع ، كغرس الأعناب في الدنيا مع أنه يؤدي إلى عصر الخمر وشربها ، وكالخروج في ضروريات العيش ودخول الأسواق مع أنه قد يؤدي إلى رؤية أجنبية أو وقوع في خصام أو قتال أو معاملة ممنوعة ، فهذا ونحوه من الذرائع التي لا يراعى سدها عند أحد ، وقد يتعين شيء من ذلك جزئياً فيجب أن يعطى حكماً جزئياً ، وقد يكون الأول حراماً ويكون الثاني مباحاً في ذاته فيحرم أيضاً إذا اعتبر الإفضاء كما حرم أصله ، وذلك كمزاناة الرجل المرأة على أن تسكنه دارها أو تنفق عليه ، وكذا العكس إلاّ ما أباحته الضرورة ، ويكفي في هذا القسم ترك الأول امتثالاً فيبطل الثاني وقد يكون الأول خلاف الأولى . فإن أفضى فعله إلى مصلحة يضمحل فساده في جنبها

---

(26) في ك : « كبيع » بدله .

(27) في « تاج الزبيدي » ما نصه : « الماخور بيت الريبة ، ومجمع أهل الفسق والفساد ، ومجلس الخمارين ، ومن يلي ذلك البيت ويقود إليه أيضاً يسمى ماخوراً ، معرب « مي خور » أي شارب الخمر ، فيكون تسمية المحل به مجازاً ، أو عربية من مخرت السفينة إذا أقبلت وأدبرت سمي لتردد الناس إليه فهو مجاز أيضاً ج مواخر ومواخير » .

أو تركه إلى مفسدة يكون التحرز عنها أهم ارتكب لأجل ذلك لا لذاته ، ومن الأول ما صدرنا به هذه الترجمة من فعل القاضي إسماعيل مع النصراني ، وكذا فعل المرابط المذكور . وهذا في المعنى <فيه> (28)جلب مصلحة ودرء مفسدة هي الشحناء والبغض وما ينشأ عنه ، ففيه فتح الذريعة من وجه ، <وسدّها من وجه> (29) ،ومن الثاني مسألة الشيخ عز الدين حيث ترخص في القيام لأهل المناصب جبراً لقلوبهم ، وتوقياً من الشحناء والتدابر والتقاطع المنهي عنه . وفيه الاعتباران أيضاً . فالباب واحد . وقد يكون الأول مطلوباً وجوباً أو ندباً في ذاته . ولكنه يفضي إلى مفسدة ينهى عن ارتكابها فيترك ، وذلك كالخروج لطلب الماء للطهارة المفضي إلى تلف النفس بالسباع ، أو المال بالسرقة ونحو ذلك مما لا يأتي عليه الحصر ، وتوجيهه أن درء المفسدة أهم من جلب المصلحة . أو الحكم الأول أعني الوجوب أو الندب مقيد بالشرط في أصله . فإذا انتفى انتفى . والثاني يبحث فيه بأنه أي موجب لهذا القيد فلا بد أن يرجع الأول إلى الوجه الأول وهو أمر مجمل يتداولـــه الناس <أبداً> (30)فلا بد من البحث عن وجهه وأنه كيف كان درء المفسدة أهم ، وفي تحريره طول . ويكفينا فهمه في المثال المذكور فنقول : لو خرج للماء ليحافظ على الطهارة المائية فافترسه الأسد ضاعت حياته وذهبت (31) الصلاة،والطهارة مائية وتُرابية فعبادة الله التي يريد (32)أن يجودها أتلفها رأساً فكان الاكتفاء بطرف وهو التراب واتقاء المفسدة أولى من جلب المصلحة المؤدي إلى ضياع الكل وهكذا في سائر الأنواع .

---

(28) ما بين العلامتين ساقط من س .

(29) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(30) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(31) في ك : « ضاعت » .

(32) في ح : « أراد » .

ولعلك تخرج بهذا التقرير عما يهجس في نفوس الجهلة عند سماع تلك الأحكام من توهم أن النفوس والأموال والأعراض ونحوها مقصودة بالأثرة على دين الله تعالى ، كلاّ ،وإنما ذلك <كله> (33) محافظة على دين الله تعالى ، فإنه لا بقاء له مع هلاكها ، فافهم .

وينخرط في هذا القسم ما منع من سَبّ الكفار كفاحاً (34)حذاراً من أن يسبّوا الله تعالى ودينه ، قال تعالى : (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) والتقاسيم لا تنحصر فيما قررنا ، ولكن فيما ذكرنا تنبيه على ما وراءه .

واعلم أن كل ما تقرر فيها باعتبار الحكم الشرعي محافظة على التقوى يتقرّر نحوه باعتبار المحاسن العادية محافظة على المروءة ، وذلك ملتحق بالدين أيضاً ولا حاجة إلى تتبع التفاصيل ، والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(33) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(34) أي وجهاً لوجه ، قال الجوهري في « صحاحه » : « كافحوهم إذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس ولا غيره » . وقال الزمخشري في « أساسه » : « كافحه : لاقاه مواجهة عن مفاجأة ، ولقيته كفاحاً ، وكافحوهم في الحرب : ضاربوهم تلقاء الوجوه » .

[استحلاء الطاعات سموم قاتلة]

حدثني بعض الفقراء عن شيخ له من أهل العصر المتصدر لصحبة المريدين أنه بينما هو جالس في محله جاء فقير غريب ، وأظنه قال : من <ناحية> (1)السوس الأقصى ، فلما قرب منه تكلم لبعض من كان حاضراً بلسانه البربري فقال له : قل لذلك <الرجل يعني> (2)الشيخ المذكور : أما بقيت في الدنيا مصابيح يقتبس الضوء منها ؟ فبلغ الرجل لذلك الشيخ (3) فقال الشيخ :قل له : قد بقيت ، ولكن من جاء يقتبس أتى بفتيلة مبلولة ، فقال الفقير : قل له : ما معنى بللها ؟ فقال الشيخ : قل له : لا أقل من أن يطلب أو يترجى الولاية ، فقال : فوضع الفقير يده على جبهته ساعة ثم انصرف من هنالك ، فلما رأيت الفقير الذي حدثني تبجح (4) بهذا الكلام الصادر من شيخه وجعله من التنبيهات المهمة (5)للسالك ، وكنت جاريته كلاماً في استحلاء الطاعة فقال : إن تلك الحلاوة علة ، وعلمت أنه أيضاً قد بنى على ذلك وأنهم سمعوا نحو قول الواسطي (6)رحمه الله : « استحلاء

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) في ح : « فبلغ الرجل ذلك للشيخ » .

(4) في ك و س : « يتبجح » بصيغة المضارع .

(5) في ك : « المهمات » بلفظ الجمع .

(6) الواسطي نسبة إلى واسط ، وهو اسم جعل علماً على بضعة عشر موضعاً أشهرها واسط العراق التي بناها الحجاج ، وينسب بالواسطي نفر من الصوفية معروفون ، ولعل المعني هنا الواسطي الذي ترجمه أبو عبد الرحمان السلمي في « طبقاته » (ص 302 – 306) فكان مما قال بشأنه : «أبو بكر الواسطي، واسمه محمد بن موسى، وأصله من فرغانة، =

الطاعات سموم قاتلة (7) فأردت أن أنبّه على غلط يخشى في هذا الأمر ، فأقول وبالله التوفيق :

إن كلاً من الكلام الواقع للواسطي والواقع من هذا الشيخ صحيح في نفسه ، وهو تحقيق في بابه ، وعند أربابه ، أما إلقاؤه لعوام المتوجهين فغلط في التربية ، إما جهلاً وقصوراً ، وإما تمويهاً وتظاهراً بالنهايات . أما حديث الولاية فمن وجهين :

الأول أن التدريج معتبر عند الناس ، وهو حكمة الله تعالى البالغة الجارية في الناميات الحسيات والمعنويات ، ثم ارتكاب أخف الضررين مطلوب شرعاً ، فلو رأينا مثلاً كافراً مضراً بالمسلمين وتعذر قطع ضرره بالسيف فإنا إذا أمكننا أن نستنزله عن الضرر بسبب <من> (8) موعظة أو مال أو حظ ما فعلنا ذلك ، ورأيناه إذا (9) نزل عن ذلك أفضل من غيره ، وإلى هذا الفضل إشارة حديث : « أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ » ولو أمكن أن نستدرجه إلى الإسلام ولو بحظ من دفع مال أو إظهار حفاوة مثلاً

= وكان يعرف بابن الفرغاني ، من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسن النوري ، وهو من علماء مشايخ القوم ، لم يتكلم أحد في أصول التصوف بمثل ما تكلم هو ، وكان عالماً بالأصول وعلوم الظاهر ، دخل خراسان ، واستوطن كورة مرو ، ومات بها بعد العشرين وثلثمائة » .

(7) كتب ابن عطاء الله السكندري في « لطائف المنن »(ص 152) على كلمة الواسطي هذه يقول : « قال الواسطي : « استحلاء الطاعات سموم قاتلة » وصدق رضي الله عنه ، وأقل ما في ذلك أنك إذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائماً فيها ، متطلباً لحلاوتها ، فيفوتها صدق الإخلاص في نهوضك لها ، وتحت دوامها لا قياماً بالوفاء ، ولكن لما وجدت فيه من الحلاوة والمتعة ، فيكون في الظاهر قائماً لله ، وفي الباطن إنما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا ، فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك » .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(9) في ك : « ان » بدل «إذا » .

لفعلنا ذلك ، وهو التأليف الذي جاءت به الشريعة ، ورأيناه إذا أسلم ولو مع شوب الحظ أفضل ممن بقي على الكفر المحض ولا نلزمه في هذه الحالة الإخلاص وحقائق الإيمان لأنا نرجو أن سيعاشر المؤمنين (10)ويعاين محاسن الإسلام فلا يزال يتمكن ويصفو ،وهكذا وقع لكثير ممن أسلم أوّلاً رغبة في المعاش واستحلاء للغنائم ، أو هرباً من الجلاء والسيف .

ثم المسلم إذا كان مسرفاً على نفسه وأمكننا أن نستجرّه (11) إلى ترك المعاصي والتنزه عن الفسق فعلى هذا النمط (12)ولو تاب إلى الله تعالى وأقلع عن الشهوات الدنيوية طلباً لما أعد الله تعالى في الدار الآخرة من النعيم الذي لا يوازيه نعيم الدنيا ولا يدانيه ، وكان لا يجد من نفسه في الحال نزوعاً عن اللذائذ العاجلة إلاّ بما يمنيها به من اللذائذ التي هي أشرف وأنفس فإنا نساعده على هذه العزمة(13) ولا نذمه بأنه انتقل من حظ إلى حظ ، ولا نطالبه بارتفاع الهمة <إلى الحضرة> (14)والتخلي عن الدارين ، فإن هذا لم يكن بعد من أهل هذا الشأن ، وأن النفس بحَوج مصرّة على حظوظها الحسية ، وإنما تنزل عنها بالطمع فيما هو من جنسها وأشرف منها إلاّ من خصه الله تعالى .

وقد قال صاحب (15)« القواعد » : « ما جبلت عليه النفوس فلا يصح

---

(10) في س : « المسلمين » بدله .

(11) في ك و ح : « نستجيره » والظاهر أنه تحريف

(12) في س : « فعلى هذا الحد » .

(13) في طرة الأصل بإزائه : « العزيمة » عليها خاء إشارة إلى أنها رواية نسخة أخرى .

(14) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(15) هو الشيخ أحمد زروق ، « والقواعد » كتاب له قال في أوله بعد التحميد : « . . . وبعد فالقصد بهذا المختصر وفصوله تمهيد قواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ، ويصل الأصول والفقه بالحقيقة . . . » . قعد فيه مائتين وسبع عشرة قاعدة في علم التصوف ، وهو مطبوع متداول .

انتفاؤه عنها ، بل ضعفه وقوته فيها ، وتحويله عن مقصد لغيره ، كالطمع لتعلق القلب بما عند الله تعالى توكلاً عليه ورجاء فيه والحرص على الدار الآخرة بدلاً من الدنيا . . . » إلى آخر كلامه (16) فلو ألزمنا هذا عزل النفس عن الحظوظ وتجريد القلب للحقيقة أوشك أن تحيص (17) نفسه حيصة وهي لم تزل قوية ، فيعود من حيث جاء ، ولعلك تفهم بهذا سر امتلاء كتاب الله تعالى بذكر الجنة وما فيها من الحور والقصور والغلمان والأنهار ، فإن الدعاء بمثل هذا هو مشرب النفس ، وهو حال عامة الخلق ، والله تعـــالى أعلم بمصالح عباده .

ثم إذا ترفع (18) المريد عن هذه الحالة واشرأبَّ إلى ما وصل إليه العارفون، وانتهض لسلوك هذا المسلك والاشتغال بعمله من العزلة والصمت والجوع والسهر فلو توسمنا (19) فيه التشوف إلى حصول الوصول ، أو الولاية ، أو المعرفة ، أو الفتح ، أو القرب ، أو نحو ذلك فلا ينبغي أيضاً أن نعالجه بالتحقيق ونطالبه بالعبودية والفناء عن الأغيار من أول وهلة ، بل نرخي له العنان حتى يتمكن في الرياضة وتنقاد نفسه ويقشعر جلده وقلبه لذكر الله ، فعند ذلك تسهُلُ إشالته (20) مع السابقة والتوفيق إما على لسان شيخ ناصح (21) أو أخ

---

(16) هذا أول كلامه في القاعدة التاسعة والسبعين بعد المائة ، وهذه بقية كلامه فيها بالنص : « . . . والبخل فيما حرم ومنع ، والكبر على مستحقه ، ولرفع الهمة عن المخلوقين حتى يتلاشى في همته جميع المقدورات فضلا عن المخلوقات والحسد للغبطة ، والغضب لله سبحانه حيث أمر ، والحقد على من لا نسبة له من الله إعراضاً ، والتعزز على الدنيا وأهلها ، والانتصار للحق عند تعينه إلى غير ذلك والله أعلم » .

(17) الحيص : الحيد والرجوع والروغان والتخلف والتلدد وهو النفور أيضاً قال الجوهري في «صحاحه» : «حاص يحيص حيصاً وحيوصاً ومحيصاً ومحاصاً وحيصاناً أي عدل وحاد» اهـ، وفي تاج العروس : « دابة حيوص كصبور : نفور تعدل عما يريده صاحبها » .

(18) كذا بالأصل وفي غيره : « ارتفع » بدله .

(19) في ح وحدها : « توهمنا » بدل : « توسمنا » .

(20) يقال : شال بالشيء يشول به شولا وأشاله يشيله إشالة إذا رفعه وأعلاه .

(21) في ك : « ناصر » بدلا من : « ناصح » .

صالح أو بعض من ينصره الله به كما وقع للشيخ أبي(22)الحسن رضي الله عنه حيث قال : كنت أنا وصاحب لي في مغارة نتعبد ونقول : غداً يفتح علينا ، وهكذا وطال علينا الأمر ، فبينما نحن كذلك يوماً دخل علينا رجل من باب المغارة فسلم فرددنا عليه ثم قلنا له : من أنت ؟ فقال : عبد الملك ، فعلمنا أنه من أولياء الله ، فقلنا له : كيف أنت ؟ فقال كالمنكر علينا : كيف أنت ؟ كيف أنت ؟ كيف حال من يقول : غداً يفتح علي فلا فتح ولا فلاح ، ولا دين ولا دنيا ، يا نفس لم لا تعبدين الله مخلصة له الدين ، قال الشيخ : فعلمنا من أين أتينا (23)ورجعنا على أنفسنا باللوم ، وقلت :يا نفس ، أي شيء أنت حتى تطلبي ما تطلبين أو كلاماً هذا معناه ، فقال فجاء الله تعالى بالفتح أو موهبة من الله تعالى بلا واسطة سبب ، وما ذلك على الله بعزيز .

وبالجملة فدواعي النفس صعبة الانفصال عن الإنسان،ومع ذلك فهي (24) معينة في بابها « إنَّ اللهَ يؤيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ » (25)،ومتى وافق الحق الهوى فزبد وعسل .

ثم <إن> (26)التجرد العام ، والصفاء التام ، عزيز الوجود ، ومن ثم قال الشيخ أبو العباس بن العريف (27)رحمه الله : علق العباد بالأعمال ، والمريدون بالأحوال ، والعارفون بالهمم ، فالأعمال للجزاء ، والأحوال للكرامات ،والهمم للوصول ، والكل عمى وتابيس، إلى أن قال : وإنما يبدو الحق عند اضمحلال الرسم ، وما سوى الله حجاب عنه ، فهذا مقام التحقيق ؛

(22) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الإدريسي إمام الطائفة الشاذلية وقد ترجمناه سابقاً.
(23) في المخطوطات الثلاث وكذا في الفاسية : « أوتينا » وهو خطأ صوابه ما كتبناه .
(24) كذا بالأصل وفي غيره : « هي » بدون الفاء .
(25) ما بين القوسين عبارة حديث ورد في « الصحيحين»وفي « مسند ابن حنبل »و«مسند الدارمي ».
(26) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(27) تقدم التعريف به .

ولكن لمن أهل له وبلغه ، وليس للمرء أن يلزم به المريد بأول قدم ، ولا أن يطمع بحصوله لكل متوجه ، ولا أن من لم يحصل له فليس من أهل الطريق ، < كلا > (28)لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله .

والرَّبّاني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، وما على العبد إلاّ تعاطي الأسباب ، وعلى الله فتح الباب ، وهو موهبة وخصوصية من الحق لا تنال بمقياس ، فمن أراد الله تعالى توصيله طوى عنه مسائف (29) نفسه ، ومحا عنه وهمَه ، فإذا هو عند ربه ومن أراد أن يمادَّه في ميدان أوهامه بقي فيها بقاء بني إسرائيل في التيه .

أما ترى إلى قول الشيخ عبد السلام بن مشيش في برد الرضا والتسليم : أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله تعالى : فنقول : نعم ، ثم لو جرد عن تلك الحلاوة لأوشك أن يشتغل بذلك التجريد عن الله تعالى ما دام يلاحظه ، فإن كل ما سوى الله حجاب عنه ، ثم هكذا في التجرد عن التجرد والفناء عن الفناء إلى ما لا يتناهى حتى يقطع الله تعالى ذلك بموهبته لمن اختصه من عباده .

---

(28) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(29) جمع مسافة ، وهي البعد ، والقياس أن تكون «مساوف» بالواو ، لأنها من ساف يسوف سوفاً ، قال صاحب «الصحاح» : «سفت الشيء أسوفه إذا شممته ، والمسافة البعد ، وأصلها من الشم ، وكان الدليل إذا كان في فلاة أخذ التراب فشمه ليعلم أعلى قصد هو أم على جور ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سموا البعد مسافة» أ هـ ، منه .وجاء في «أساس البلاغة» للزمخشري قوله : «ومن المجاز : كم مسافة هذه الأرض ؟ وبيننا مسافة عشرين يوماً ، وبينهم مساوف ومراحل ، جمع مسافة قال ذو الرمة :

فقام إلى حرف طواها بطية ... بها كل لماع بعيد المساوف

وأما الوجه الثاني فإن هذا الكلام يوهم قلوب عوام المريدين أن الولاية لا تطلب رأساً ، وأن المريد متى طلب من الله تعالى أن يرزقه الولاية أو الفتح أو المعرفة أو القرب أو الوصول أو نحوها ، أو تشوف (30)إلى شيء من ذلك فهو معلول السلوك . أو هالك مقطوع ، وهذا غلط وجهل ، كيف والعبد مأذون له أبداً أن يسأل مولاه ويطلبه في حوائجه من أدناها كشراك النعل فإنه إن لم ييسره لم يتيسر إلى أعلاها كرضاه ، فإذا طلب من مولاه أن يرزقه ما رزق أولياءه (31)في الدنيا والآخرة فأي حرَج عليه في ذلك إذا وقف على حدود الأدب ؟ وإنما حذر الناس من العلل والصوارف ، وذلك أن يكون الباعث له على الانتهاض إلى السلوك والاشتغال بالعبادة إنما هو حصول الولاية مثلاً ، فإنه حينئذ يفوته الاخلاص في عبادته فيفسد أمره ، ويكون ما يرجو من الولاية مثلاً شاغلاً لفكره وسره عن الله تعالى .

فأما من عرف الحق وأن العبد يعمل تعبداً والمولى يعطي تفضلاً لا غير وانتهض على ذلك الوجه يعبد الله تعالى امتثالاً لأمره ، وأداء لحق ربوبيته جهد الاستطاعة ، وعكف بسرّه على مولاه ثم طلب الولاية مع ذلك تراميا على باب مولاه وسيده ورجاء للنيل من مائدته الموضوعة للخيار فلا بأس عليه ، ولا مذمة تلحقه ، ولا علة تدخل عليه ما دام على هذه الحال .

نعم الناس في أمر الطلب والدعاء لا في هذه ولا في غيرها صنفان : <صنف> (32)يسلم ويفوض ولا يطلب ،<وصنف يطلب> (33) وذلك <بسبب> (34) اختلاف المشارب وتباين الشهادات ، فمن أشهده الله تعالى كونه عبداً مملوكاً مكفولاً بعين مولاه وفي حياطته لم يبق له دعاء

---

(30) كذا في الأصل ، ومثله في ح ، أما ك و س ففيهما : « تشوق » بالقاف .

(31) العبارة في الفاسية جاءت هكذا : « أن يرزقه الولاية في الدنيا والآخرة » .

(32) ما بين العلامتين ساقط من س .

(33) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(34) ما بين العلامتين ساقط من س .

ولا طلب ، بل التوكل والتسليم وانتظار القسمة السابقة ، وله في هذا مشارب ، فقد يلاحظ حياطة المولى وكفالته فيستغني ؛ وقد يلاحظ انبرام القسمة وأن الدعاء لا يزيد فيها ولا ينقص فيمسك ، وقد يلاحظ علم الله تعالى وقدرته وجوده فيستحيي ، إذ لا ينبه إلاّ غافل ، ولا يستنهض إلاّ عاجز (35)ولا يستعطف إلاّ بخيل ، إلى غير هذا من الواردات ، وقد يلاحظ إساءته وتقصيره في الخدمة فيستحيي أن يطلب ،ومن أشهده الله تعالى <كونه> (36) عبداً فقيراً محتاجاً إلى سيده لا يستغني عنه لحظة ؛ وقد أذن له في رفع حوائجه إليه فليس إلاّ الدعاء والطلب ، وله في ذلك أيضاً مشارب ، فتارة يسترسل مع وصفه من الافتقار واللجأ إلى مولاه ، وتارة يرى تعاطي ذلك وإظهاره هو اللائق بالعبودية . وتارة يلاحظ امتثال أمر الله تعالى حيث طلب من عباده أن يدعوه . وذلك كله من غير التفات إلى حاجة تقضى ولا ثمرة غير ما حصل له من التعبد والمناجاة والتذلل بين يدي الملك الجليل ، وناهيك بذلك ثمرة <مع> (37)ما يرجى أن يستتبعه ذلك من رضوان الله تعالى ، وهو نهاية السول (38) وغاية المأمول، وهذا كله لمعرفته بأن القسمة قد سبقت لا تزداد ولا تنقص ، ومحال أن يكون الدعاء اللاحق ، سبباً للعطاء السابق ، فلم يبق إلاّ أن الدعاء عبادة وتأدب مع الرب تعالى ، والرب يفعل ما يشاء [ويحكم ما يريد] (39) ، وقد يلاحظ أن من جملة ما يقضي ترتب بروز العطاء على الدعاء ، وأن الاشتغال بالدعاء سبب كسائر الأسباب فينتهض لإقامة الحكمة في تعاطي الأسباب وامتثال أمر الله تعالى في ذلك إذ أقيم <فيه> (40)وهذا

---

(35) في الفاسية : « عاجل » بدله ، وهو ظاهر الخط .

(36) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(37) ما بين العلامتين ساقط من ك و س.

(38) في ك : « السؤال » بدل : « السول » الذي تستقيم به السجعة .

(39) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(40) ما بين العلامتين ساقط من ح .

الوجه هو الذي يظهر من أحوال من يتحرى أوقات الاستجابة وأسبابها من الصالحين ، والأوجه كلها حسنة لا يخرج المتلبّس بشيء منها عن الخصوصية ، نسأل الله تعالى أن يمنحنا حسن الأدب بمنه .

ثم الداعي أيضاً له حالتان ، لأنه إما أن يشهد حال نفسه من الإساءة والتقصير والخساسة (41) الذاتية والذلة والمهانة فلا يدعو إلاّ بما يناسب ذلك من العفو والمغفرة والنجاة من النار والإقالة واللطف ونحو ذلك ، وفي هذه الحالة قال القائل : تجرأت البارحة فسألت الجنة ، وقال الآخر : سبحان الله متى خرجنا من النار حتى نطلب الجنة ،وإما أن يشهد وصف ربه من الكرم والجود والفضل ، أو يشهد أنه عبد للملك العظيم ، ويلاحظ نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « إذَا سَألْتُمْ اللهَ فَأعْظِمُوا المَسْألَةَ ، فَإنَّ اللهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ » فيدعو بما يناسب ذلك من الجنة والدرجة العلية ، والرضوان والمعرفة ، والمحبة والقرب والولاية ، ونحو ذلك ، ولا شك أن الحالة الأولى هي أنسبُ بالعبد في هذه الدار وأسلم له ، ولكنه بيد الله تعالى يتصرف ويتلون بحسب سابق المشيئة .

وأما الحلاوة فمن جهة ما ذكرنا من التدريج ، فإنا نود أن لو وجد المسرف حلاوة للطاعة وتبعها حتى يترك فسقه ويتمرن على العبادة ، فعسى أن ينقله الله إلى حالة أخرى أرفع ، وقد تكلمنا فيما لسنا من أهله وتعدينا طورنا ، فنستغفر الله تعالى .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(41) في الفاسية : « الخسارة » بالراء والظاهر أنه تصحيف .

[تدبر العقل في أسرار الكون]

اعلم أن الله جل اسمه بلطيف حكمته وبديع صنعته خلق العقل وجعل غذاءه العلوم والمعارف ، ويسر له الاستعداد من الموجودات قال تعالى : (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) وقال تعالى : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم) فما من شيء يبرز في الوجود من السماء والأرض وما بينهما إلاّ ويمكن أن يكون للعقل فيه غذاء بحصول علم أو علوم ، ويختلف ذلك باختلاف العقول فطنة وجموداً أولاً ، وباختلاف مواهب الله تعالى وفتوحه ثانياً ، ويجري ذلك في الجواهر والأعراض وما لها من الكميات والكيفيات والهيئات ، فمن رزقه الله تعالى فطنة استفاد من الأمور ما يستغربه أهل الجمود (1).

ومن هذا ما وقع للحكماء في البرهان وفي الفلسفة وفي الهندسة وفي أنواع الصنائع والحرف وأصناف الحيل وضروب الغرائب في الأفعال والأقوال ، ومن رزقه الله تعالى فهماً من لدنه ونوراً كان أقوى وأكثر ، حتى لا يكاد يطير طائر إلاّ استفاد من طيرانه ،أو يصر (2) باب إلاّ استفاد من صريره ، أو يتكلم متكلم إلاّ استفاد من كلامه ، ما لم يرده المتكلم ولم يخطر له ببال ، وهذا مشهور عند أهل الطريق من العارفين والمحبين والمريدين الصادقين (3) رضي الله عنهم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(1) في ك : « الجحود » .

(2) في ح : « يضرب » .

(3) في ك و س : « الصديقين » وفي ح : « والصديقين » بالعطف .

[تذوق الصوفية معاني الأبيات والإشارات وتأويلها حسب المقامات]

وقد قال أبو نواس في ممدوحه :

تغطيت عن دهري بظـــل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيـــام عني ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني (1)

فكان هذا مشرباً عندهم في حق أهل كهف الإيواء من الأصفياء الأخفياء رضي الله عنهم ، وهو واضح .

وقال أيضاً في الخمريات :

إذا العشرون من شعبان ولّت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بـــأقداح صغار فقد ضاق الزمان على(2)الصغار

فصار عندهم موعظة في الإكثار من العمل الصالح والتشمير للتزود للمعاد ، ولا سيما عند إيناس قرب الأجل ، وخشية فوات الأمل . وقال أيضاً:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالّتي كانت هي الداء (3)

---

(1) قد مر تخريج البيتين .
(2) كذا في المخطوطات الثلاث وفي ح : « عن » بدل « على » .
(3) البيت مطلع قصيدة في ديوانه وبعده :
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء
ومنها البيت المشهور :
فقل لمن يدعي في العلم معرفة حفظت شيئاً وغـــابت عنك أشياء

فصارت مشرباً للمحبين أهل الشوق والذوق ، رضي الله عنهم .

وفي مناقب الشيخ أبي الحسن الشاذلي (4)رضي الله عنه ، أنه في مسيره إلى المشرق ، وكان في محفّته ، فكان فتيان ذات يوم يمشيان تحته في ظلها ثم جعلا يتحدثان ، فقال أحدهما <للآخر> (5) : يا فلان مالي أرى فلاناً يسيء إليك وأنت تتحمل منه ؟ فقال له : والله ما كان ذلك مني إلاّ لأنه (6) من بلدي فكنت كما قال القائل :

رأى المجنون في البيداء كلباً   فجلله من الإحسان ذيـلا
فلاموه على مـا كان منه   وقالوا : لِمْ أنلت الكلب نيلا
فقال : دعوا الملام فإن عيني   رأتـه مرة في حي ليلى

فسمعه الشيخ فتواجد وجعل يقول :

فقال : دعوا الملام . . . . . البيت .

ويكرره ثم خلع غفارته (7) ورمى بها إلى الفتى المنشد فقال له : أنت أولى بها يا بني .

وفي « لطائف المنن » (8) : أنشد إنسان بحضرة الشيخ مكين الدين الأسمر

---

(4) تقدمت ترجمته .
(5) ما بين العلامتين ساقط من ك و س.
(6) في ك و س و ح : « أنه » بدون اللام .
(7) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : غفاريته .
(8) هو كتاب « لطائف المنن ، في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن » ، تأليف الشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709 هـ. وهو مطبوع .

– رضي الله عنه – قول القائل (9) :

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني   لما انتظرت لشرب الراح إفطارا
الراح شيء شريف أنت شاربــه   فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا

فأنكر بعض الحاضرين على المنشد وقال له : لا يجوز إنشاد مثل هذا الشعر فقال الشيخ للمنشد : أنشد فإن هذا – <يعني> (10) المنكر– رجل محجوب .

وفي أبيات عبد الصمد (11) بن المعَذَّل (12) المشهورة حيث يقول :

يا بديع الدل والغنج   لك سلطان على المهج
إن بيتــاً أنت ساكنه   غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا   يوم يأتي الناس بالحجج

مشرب عظيم لهم أيضاً .

وقد سمع صوفي هذا البيت من جارية فتواجد وصاح ولم يزل كذلك حتى مات .

[(13) ومن أجلّ ما يذكر في هذا الباب وأعذبه ما ذكره الشطيبي في

(9) هو أبو نواس الحسن بن هانيء الشاعر العباسي الشهير .
(10) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(11) من شعراء الدولة العباسية ولد بالبصرة ونشأ بها وتوفي حوالى سنة 240 هـ .
(12) ضبطه القاضي عياض في المدارك وهو يترجم أخاه أحمد بن المعذل الفقيه المالكي فقال : « وأبوه المعذل بن غيلان بذال معجمة مفتوحة مشددة كذا ضبطه الدارقطني وغيره » .
(13) ما بين المعقوفين غير ثابت في الأصل ولا في مخطوطة أكنسوس، وهو مثبت في الطبعة الفاسية، وهو قد كتب على هامش المخطوطة الكتانية بغير خط الناسخ . وكتب على هامش الطبعة الفاسية بشأن هذا الخبر ما يــأتي : « نص ابن حجر الهيثمي وغيره على أن هذه القضية موضوعة » . وكتب على حاشية المخطوطة الكتانية بشأنه أيضاً ما نصه : «اعلم أنهم قالوا في هذا الحديث : لو صح لكان أصلا للصوفية في هذا الباب » .

« أذكاره » قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الصفة رضي الله عنهم ومعه ابن عباس فوجدهم يتناشدون الشعر فيما بينهم ، فلما رأوه أمسكوا إجلالا له صلى الله عليه وسلم ، فلما استقر جالساً قال صلى الله عليه وسلم: هل فيكم من ينشدنا شيئاً من الشعر ؟ قالوا: نعم يا رسول الله صلى الله عليك، ثم أنشأ بعضهم :

في كل صبح وكل إشراق　　تبكي جفوني بدمع مشتاق
قد لسعت حية الهوى كبدي　　فلا طبيب لهـا ولا راق
إلاّ الحبيب الذي شغفت به　　فعنده رؤيتي ودرياقي (14)

فتواجد صلى الله عليه وسلم حتّى سقط رداؤه عن جسده فأعطاه أهلَ الصفة وكانوا أربعين رجلاً فقطعه عليهم أربعين قطعة صلى الله عليه وسلم] .

وهذا النوع لا يحصى ، وفيه يطيب لهم السماع ، ويقع الوجد عند الاستماع ، وإنما أردت أن ننبه (15)فيه حيث انجذب الحديث إليه(16) على معنى إيقاظاً وإمتاعاً .

فاعلم أن فهم المعنى عند سماع لفظ القائل (17) يكون على وجهتين : أحدهما أن يكون لدلالة اللفظ المسموع عليه (18)في الخارج إما حقيقة وإما مجازاً ، إما لغة وإما عرفاً .

---

(14) الدرياق بالكسر ويقال الترياق بالتاء دواء مركب يستعمل في دفع أذى السموم .
(15) كذا هو بالنون في الأصل ، ومثله في ك و س ، وفي ح وحدها : «أنبه » وهو يتساوق مع قوله : « أردت» قبله .
(16) في س : « فيه » بدل : « إليه » .
(17) في ح : « الغافل » وهو بلا شك تصحيف .
(18) في ك : « إليه » بدل « عليه » .

ثانيهما أن يكون كذلك في وهم السامع ولا حاصل له في الخارج ، فتحصل له الفائدة بحسب ما طرق وهمه .

أما الوجه الثاني فهو بحسب الخارج في حكم السماع من غير اللفظ كصرير الباب وصوت الطائر . ومثاله ما ذكر التاج ابن عطاء الله أن ثلاثة نفر سمعوا <صائحاً> (19)يقول : « يا سعتر بري » فسبق إلى فهم واحد منهم أن الصائح يقول « اسْعَ تَرَ بِرّي » < وفهم الآخر أنه يقول : « السّاعَةَ تَرَى بِرّي> (20)وفهم الآخر أنه يقول : « يا سَعَةَ بِرّي » ، وكان سماع الثلاثة جميعاً من الحق تعالى إلاّ أن كل واحد فهم على حسب حاله .

أما الأول فكان سالكاً مبتدئاً ، فورد عليه الأمر بالسعي والجد مع ما يفيد تنشيطه (21)من الترجية (22)برؤية البر بكسر الباء ، وهو الإحسان والتفضّل من الله تعالى .

وأما الثاني فكان سالكاً تطاول به السير ، فورد عليه التنفيس والتبشير برؤية البر الساعة .

وأما الثالث فكان واصلاً <قد> (23)شاهد الفضل فورد عليه الخطاب على وفق شهوده بأن بر الله تعالى ما أوسعه ! فهذه فهوم اختلفت وفصلت من إلقاء الله تعالى عليها ما فهمت (24)بسبب مجرد مناسبة ما في اللفظ المسموع

---

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) ما بين العلامتين سقط من الكتانية ، وكتب ناسخ الكتانية بخط يده على الطرة بإزائه ما لفظه بالحرف : « بقي الثالث ولم يذكره في نسخة أخرى » .

(21) في ح : « تقسيطه » بقاف وسين وهو بلا شك تصحيف .

(22) في ك : « التوجيه » وهو تحريف .

(23) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(24) في ك وحدها : « فهمته » موصولا بالضمير .

وإن لم يكن طبقاً (25) لها لا إفراداً ولا تركيباً ولا حقيقة ولا مجازاً ، فإن القائل إنما أراد السعتر المعروف البري بفتح الباء ، أي غير البستاني ، فسبحان اللطيف الخبير .

وأما الوجه الأول فهو الكثير المشهور ، وذلك أن يسمع لفظ (26) مشترك أريد به معنى فيفهم معنى آخر من معانيه ، أو حقيقة أريد به معناه فيفهم مجازه ، وقد يتعدد الفهم بحسب الاحتمال الواقع في التركيب وفي الضمائر ونحو ذلك .

ولا بد أن نورد من ذلك أمثلة يتضح بها ما قررنا ليكون مأخذاً في هذا الباب ، ومصباحاً يستضيء به ذوو الألباب .

فمن ذلك ما وردت عليه فهوم الناس قبلنا كما مرّ من الأبيات ، فنشير إلى مأخذ الفهم منه ، ومن ذلك ما يسنح للخاطر الآن ، فأما أبيات أبي نواس فهي كلها واضحة في إشاراتها (27) ، وكذلك أبيات الفتى ، فإن ليلى عبارة عن المحبوب <عند> (28) السامع إما خالقاً وإما مخلوقاً واحداً أو جماعة كأهل الله وطائفة المحبين والمنتسبين ، أو المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو سنته (29) ، أو نحو ذلك مما يخطر في (30) البال ، وأما أبيات مكين الدين فالراح فيها عند السامع هنا هي الخمرة الربانية القلبية ، وهي لطف من الله تعالى ونور يرد على القلب فاستعاروا له اسم الخمر للشبه الواقع في اللـذة والانفعال ، وهو الصهباء <أيضاً> (31) وبعد البيتين :

---

(25) في ك وحدها : « مطابقاً » .
(26) في ك و ح : « اللفظ المشترك » بالتعريف .
(27) في ك : « إشارتها » بالإفراد .
(28) ما بين العلامتين ساقط من س .
(29) في ك و ح : « سنة » بدون إضافة إلى الضمير .
(30) في س : « بالبال » .
(31) ما بين العلامتين ساقط من ك .

يا من يلوم على صهباء صافية (32) خذ الجنان ودعني أسكن النارا

أي خذ جنان الشهوة وراحة النفس ودعني أسكن نار الشوق ، فافهم ، والأوزار يفهم منها أعباء المحبة والشوق وما يتحمله أصحاب ذلك .

وقد وقع لي ذكر لهذا المعنى في أبيات من قصيدة طويلة وهي :

فلولا هوى نجد وطيب نسيمها وريح خزاماها (33) إذا ساوق الفجرا
وعذب فرات سلسبيل سخت به أكف الغوادي في حدائقها غمْرا (34)
ومشمولة (35) صهباء ما قَطّ شابَها
بِراوُوقه (36) الحاني (37) ولا حلت القِدْرا (38)
بها هامت الأرواح من قبل خلقنا ومن بعد ما كنّا وإذ نبلغ الحشرا

---

(32) في ح : « أشربها » بدل : « صافية » .

(33) في « مصباح الفيومي » : « الخزامى بألف التأنيث من نبات البادية ، قال الفارابي : وهو خيري البر ، وقال الأزهري : بقلة طيبة الرائحة ، لها نور كنور البنفسج » .

(34) هو بفتح الغين الماء الذي يعلو الأشياء ويغمرها .

(35) في « الصحاح » غدير مشمول : تضربه ريح الشمال حتى يبرد ، ومنه قيل للخمر : مشمولة إذا كانت باردة الطعم » .

(36) في « الصحاح » : « راق الشراب يروق روقاً أي صفا وروقته أنا ترويقاً والراووق المصفاة » .

(37) الحاني بتخفيف الياء ، وأصله الحاني بتشديدها نسبة إلى الحانة ، وهي دكان الخمار ، أو هو منسوب إلى الحانوت ، قال صاحب « التاج » من مادة « حنت » : « والنسبة إلى الحانوت حاني وحانوي ، قال الفراء : ولم يقولوا حانوتي ، قال ابن سيده : وهذا نسب شاذ البتة ، لا أشذ منه ، لأن حانوت صحيح وحاني وحانوي معتل » .

(38) يريد أنها ليست من الطبيخ بل هي خمر عتقت في الدنان تعتيقاً .

فكم ولّهتْ فكر ابن عيسى (39) ومالك (40)

وكم أطربت سهلاً (41) وكم شغلت (42) بشرا (43)

إذا ما تحساها الفتى لم يخف بهـا جُناحاً ولكن يرتجي عندها برا

تحمّلُه الأوزارَ غـيرَ مـذمّم بأعبائها العظمى ولم يحمِلِ الوِزْرا

وتـبرد غـلاّت الحشا وتشبُّهـا

أواراً (44) وتعطي الرشد والسفه الحجرا (45)

وتورثه قبضاً (46) وبسطاً وفرقة وجمعاً ونسيـاناً وتورثُه ذكرا

---

(39) يريد أبا يزيد طيفور بن عيسى بن آدم البسطامي الزاهد المشهور المتوفى سنة 261 هـ .

(40) نظن ظناً أنه أراد بمالك أبا يحيى مالك بن دينار البصري ، وكان عالماً ورعاً ، غلب عليه خوف الله عز وجل والخشية منه سبحانه وتعالى ، وكان غاية في هضم النفس والزراية عليها ، قال عن نفسه : « إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف » . وقال « لو وقف ملك بباب المسجد وقال يخرج شر من في المسجد لبادرتكم إليه».وقال له رجل يوماً : «يا مرائي ، فقال: « متى عرفت اسمي ما عرف اسمي غيرك » وقال : « لولا أني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أدان كما يصنع بالعبد الآبق » . توفي مالك سنة 131 هـ .

(41) ترجمه السلمي في « طبقاته» (ص 206 – 211) فكان مما قال فيه : « سهل بن عبد الله ابن يونس بن عيسى التستري ، وكنيته أبو محمد أحد أئمة القوم وعلمائهم ، والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص ، وعيوب الأفعال. توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين » .

(42) في س : « أشغلت » بصيغة الرباعي وفي ح : « شغفت » بدل شغلت وأشغلت .

(43) هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمان بن عطاء المروروزي،من كبار الصالحين ، وأعيان الأتقياء ، ومشاهير الزهاد ، والملقب بالحافي ، وكان سبب اللقب أنه طلب من إسكاف شسعاً لإحدى نعليه فرده وقال : ما أكثر كلفتكم على الناس فألقى بشر بالنعل وأقسم على أن يمشي حافياً مدى الحياة ، وكانت وفاته سنة 226 هـ .

(44) الأوار كغراب : حر النار ، وهو أيضاً حر الشمس ، وشدة العطش .

(45) الحجر بكسر الحاء : العقل .

(46) في « تعريفات الشريف الجرجاني» ما نصه : « القبض والبسط هما حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء ، فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن ، والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل ، مكروه أو محبوب ، والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت ، يغلب على قلب العارف من وارد غيبي » .

فلولا رجاء الفوز منا بشربة
تداوي عقابيل (47) الهوى والجوى المُغْرى
لكانت أكف البين تصدع بالجوى زجاجة أحشائي فلا أملك الجبرا

فكل ما في هذه الأبيات من ذكر الصهباء وكذا نجد وريح الخزامى والعذب والفرات كل ذلك استعارات ، وجرى الشعر على أسلوب العرب في الحنين إلى نجد ومنابته ، وهو ما ارتفع (48) من بلادهم ، وكل أحد نجده ما توجه إليه ، وإن لا يرتفع حساً فهو مرتفع معنى فافهم .

وأما أبيات ابن المعذل فالبيت فيها عند السامع هو القلب ، والساكن فيه هو الحق تعالى شهوداً وحضوراً .

وفي الحديث القدسي : « لَمْ يَسَعْنِي أَرْضِي وَلا سَمَائِي ، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ » . والوجه وجهه ، والضمائر تعود إليه ، وهاهنا مزلقة تقشعر منها الرؤوس ، وتشمئز النفوس .

حكى الإمام الرازي (49) – رحمه الله – في كتاب « الإشارات في التعبير » ، قال : أخبرنا أحمد بن أبي عمرو الصوفي بمكة – حرسها الله –

---

(47) في « اللسان » : « العقابيل بقايا العلة والعداوة والعشق ، وقيل هو الذي يخرج على الشفتين غب الحمى ، الواحدة منها جميعاً عقبولة وعقبول » .
(48) كذا بالأصل ، ومثله في الطبعة الفاسية ، وجاء في ك : « وما يرتفع » وجاء في س : « ولا يرتفع » وكل ذلك لا يفصح عن معنى مبين .
(49) المنسوبون إلى الري من أهل العلم والتقوى خلق كثير ، ولم نتبين أيهم هذا الذي وصفه الشيخ اليوسي بالإمام ، ولم نتعرف كذلك على الكتاب الذي نسبه إليه بعد التفتيش عنه في فهارس الكتب ومعاجم المصنفات .

قال :أخبرني أبو بكر الطوسي ، قال : قال عثمان الأحول تلميذ الخراز (50) – رضي الله عنه – : بات عندي أبو سعيد ، فلما مضى بعض الليل صاح بي : يا عثمان ، قم أسرج ، فقمت وأسرجت ، فقال لي : ويحك رأيت الساعة كأني في الآخرة والقيامة قد قامت ، فنوديت فوقفت بين يدي الله تعالى وأنا أرتعد ، لم يبق علي شعرة إلاّ وقد قامت ، فقال [جل وعلا] (51) :أنت الذي تشير إليّ في السماع وإلى سلمى وبثينة ، لولا أني أعلم أنك صادق في ذلك لعذبتك عذاباً لم أعذب به أحداً من العالمين ،انتهى .فنعوذ بالله من جسارة ، تؤدي إلى خسارة . وقد وقع في هذا الخطر ابن الفـــارض ، وابن سبعين والششتري وأضرابهم (52) ، وهو باب ضنْك ، وللعبد في مطرح النعال ، سعة عن جناب الكبير المتعال .

وقد يكون السامع في فهمه أخف حالاً من المعبر ، فإن الفهم أقرب إلى

---

(50) رسمت الكلمة في الأصل هكذا : « الحراز » بالحاء المهملة وزاي في الآخر ، وكتب في ك وح « الحرار » بالحاء المهملة ورائين مهملتين ، والصواب فيها : « الخراز » بالخاء المعجمة والراء المهملة ، وزاي في الآخر وهو الذي في س ، والخراز ترجمه السلمي في « طبقات الصوفية »(ص 228) فقال : « أبو سعيد الخراز واسمه أحمد بن عيسى ، وهو من أهل بغداد ، وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم ، قيل : إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين » .

(51) ما بين العلامتين إضافة من ك و ح .

(52) كتب الشيخ زروق في «قواعده » ما نصه : « حذر الناصحون من « تلبيس ابن الجوزي ، وفتوحات الحاتمي» ، بل كل كتبه أو جلها ، كابن سبعين ، وابن الفارض ، وابن حلا ، وابن سوذكين ، والعفيف التلمساني ، والأيكي العجمي ، والأسود الأقطع ، وأبي إسحاق التجيبي ، والششتري ، ومواضع من « الإحياء » للغزالي جعلها في المهلكات منه ، والنفخ والتسوية له » ، والمضنون به على غير أهله ، ومعراج السالكين له ، والمنقذ من الضلال » ، ومواضع من « قوتالقلوب» لأبي طالب المكي ، وكتب السهروردي ونحوهم فلزم الحذر من شوارد الغلط ، لا تجنب الجملة ، ومعاداة العلم » .

الغلبة ، والتعبير أقرب إلى الاختيار ، ومثال ما سنح في فكري مما حضر (53) لي الآن قول امرىء القيس :

[الله أنجح ما طلبت بـــــه والبِرّ خير حقيبـــة الرحل

وتقدم شرحه] (54) وقوله :

أرانا موضعين لحتم غيـــب ونسحر (55) بالطعام وبالشراب

الأبيات (56) ، فإن هذه القطعة موعظة عظيمة في ذكر الآخرة والزهد في الدنيا وإن لم يقصد نفس ذلك المعنى ، ويزيد العاقل فيقول : هذا رجل

---

(53) في س و ح : « خطر » بالطاء .

(54) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(55) في المخطوطات الثلاث « ونسخر » ومثله في الفاسية .

(56) في طرة الكتانية بخط ناسخها ما يأتي بالنص : « وبعده كما أحال عليه حسبما هو مثبوت في نسخة أخرى :

عصـــافير وذبـــان ودود وأجرأ من مجلحـــة الذئاب

وكل مكارم الأخلاق صارت إليه همتي وبـــه اكتسابي

فبعض اللوم عـــاذلتي فإني ستكفيني التجـــارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبـــابي

ونفسي سوف يسلبها وجرمي فيعلقني وشيكـــاً بالتراب

ألم أنض المطي بكـــل خرق أمق الطول لمـــاع السراب

واركب في اللهـــام المجر حتى أنال مآكل القحم الرغاب

وقد طوفت في الآفـــاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

أبعد الحارث الملك ابن عمرو وبعد الخير حجر ذي القباب

أرجي من صروف الدهر ليناً ولم تغفل عن الصم الهضاب

وأعلم أنني عمـــا قريـــب سأنشب في شبا ظفر وناب

كما لاقى أبي حجر وجدي ولا أنسى قتيـــلا بالكلاب

وجاء نص الشعر أيضاً في الطبعة الفاسية .

دهري (57) <كان> (58) لا يؤمن بيوم الحساب ، قد مقت الدنيا لمجرد ما رأى من الانتقال عنها إلى الفناء ، فكيف لا يمقتها من يؤمن بالجنة وأن الدنيا لا تساوي شيئاً إذا قيست إليها ولا تزن عند الله جناح بعوضة ، وان الاشتغال بها <يعوق> (59) عن الملك العظيم ،والنعيم المقيم ، ويعرض للحساب الشديد والعذاب الأليم ، وقوله :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجـــد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

فإن العابد يفهم منه أنه لو كان يسعى لمعيشة الدنيا الخسيسة الفانية لكفاهُ أدنى شيء ، ولكنه يسعى للملك العظيم ، في دار النعيم ، وهو المجد حقاً ، فليس إلاّ الجدّ والاجتهاد ، ومسامرة النوافل والأوراد ، والعارف يفهم منه أنه(60) لو كان يسعى لمجرد التنعم (61) في الجنة لكفاه إقامة الرسم الشرعي ، والوقوف عند الحد المرعي ، ولكنه يسعى للوصول والنظرة ، والحضور والحضرة ، فليس إلاّ زيادة الاعتناء بصفاء الأسرار ، والفناء عن الأغيار ، وقوله :

تنورّتها من أذرِعاتٍ وأهلُها بيثربَ أدنى دارِها نظر عال

فإن المريد قد يفهم منه <أن> (62) الضمير للحقيقة ، وأهلها بيثرب

---

(57) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « وينسب الرجل الذي يقول بقدم الدهر ولا يؤمن بالبعث دهري بالفتح على القياس ، وأما الرجل المسن إذا نسب إلى الدهر فيقال : دهري بالضم على غير قياس » .

(58) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(59) ما بين العلامتين ساقط من س .

(60) كذا بالأصل وفي سواه : « أن » بدله .

(61) في ح وحدها : « التنعيم » .

(62) ما بين العلامتين ساقط من س .

وهم (63) محمد وأصحابه صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة (64) أجمعين ؛ وكون نيل ذلك من أذرعات وهو موضع بالشام <مناسب ، لأن الشام> (65) مكان مرتفع باعتبار الغور . وليس يبلغ السالك ذلك إلاّ بعد بلوغ المنزلة الرفيعة <من الاستقامة والطهارة ومن الهمة> (66) الرفيعة فإن العبد يفتح له على قدر همته وبنظره العالي يقرب الفتح بإذن الله تعالى . بل النظر العالي وهو ما يكون إلى الحق دون شيء دونه هو كلية الأمر وعماده ، رزقنا الله منه قسطاً وافراً بمنه آمين .

وقول عنترة :

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي   حتّى يواري جارتي مأواها
إني امرؤ سمح الخليقة ماجد   لا أتبع النفس اللّجوجَ هواها

فإن هذا في باب العفة والتحلي بمكارم الأخلاق في الجملة صريح ، وباعتبار الرياضة والمطلوب من التحلية والتخلية عند السالكين إشارة ، وهي كافية في المقصود ، لأن مخالفة الهوى هو ملاك الأمر كله ؛ ومثل هذا لا ينحصر في شعر العرب <فقلما يخلو بيت أوَ أبيات من معنى أو معان فإن الحكمة قد أنزلت على ألسنة العرب> (67) .

وقد قال الله تعالى في الشعراء : ﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ ومثل ذلك في كلام المولدين ، وقد تقدم من شعر أبي نواس ، وقال أبو الطيب :

---

(63) في الكتانية : « وهو » .
(64) كذا بالأصل وفي سواه : « أصحابه » .
(65) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(66) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(67) ما بين العلامتين ساقط من ك .

لك يا منازل في القلوب منـــازل   أقفرت أنت وهنّ منكِ أواهلُ

فإنه يفهم منه سوى مقصود الشاعر أمور :

منها أن المنازل هي مظاهر الكائنات كلها ، والقلوب قلوب أرباب الاعتبار والاستبصار ، فيقول إن لهذه الحوادث في قلوبهم منزلة من الحدوث والافتقار إلى الفاعل المختار يتعرفون بها وجود الله تعالى وما له من الصفات [الجلية] (68)والأسماء العلية فهي مقفرة داثرة فانية . والقلوب عامرة منها بالتوحيد ، أو منزلة من التقلب في مظاهر التصريف يتعرفون منها ما لله تعالى من الجلال والجمال والعظمة والكبرياء والقهر والبطش والفضل والرحمة والحلم ، وبالجملة فالكائنات مرتع لأرباب الاستدلال وأرباب الكمال وَ (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) ، أو القلوب قلوب أهل الغفلة وحب الدنيا ، فيقول إن لهذه الحوادث منزلة في قلوبهم محبة لها وتعظيماً ، وقد أقفرت هي فلا تنفع ولا حاصل لها ولا بقاء ، وقلوبهم عامرة بها مفتونة بالنظر <إليها> (69)والكدح (70) عليها ويكون الكلام تقبيحاً للدنيا ونعياً (71)على محبيها .

ومنها أن المنازل منازل السّائرين في السلوك أو مقامات الواصلين ، والقلوب قلوب المتوجهين فيقول : إن لهذه المنازل أو المقامات في قلوبهم

---

(68) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

(69) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(70) في ك : « الكد » بدل : « الكدح » .

(71) تصحفت هذه الكلمة في الأصل وفي س و ح فكانت فيها : « نعيماً» وصحفت في ك تصحيفاً آخر فكانت : « تصميماً » ولا معنى لهما في سياق الكلام ، والظاهر أن الصواب فيها : « نعياً » مصدر نعى عليه فعله إذا عابه عليه ، وذكره به في الناس ، قال الجوهري في « الصحاح » : « فلان ينعى على فلان ذنوبه أي يظهرها ويشهرها » . وفي « أساس البلاغة » للزمخشري : « من المجاز : نعى عليه هفواته إذا شهره بها » .

مكاناً من المحبة لها والاغتباط وحب الاقتداء بأهلها فيها ، وقد أقفرت هي بذهاب أهلها . بانتقاص الزمان ، فإن الإمام الجنيد كان يقول في زمانه الفاضل : إن هذا العلم قد طوي بساطه منذ زمان . وإنما يتكلم الناس في حواشيه ، أو كلاماً بمعناه . فما بالك بزمان كل من يسمع هذا الشعر إلى يوم القيامة ، أو القلوب عامرة بالمحبة والاشتياق من سماع أخبارها ومطالعتها في الدفاتر ، أو عامرة بالمعارف والأسرار من مطالعتها وسماعها ، فإنه عند ذكر الصالحين تتنزل (72) الرحمة (73) في القلوب ، أو من الاقتداء بما فيها والنسج على منوالها ، وهو ظاهر ، وقد يفهم من المنازل مواضعهم التي كانوا يتعبدون فيها من المساجد والرباطات <والخلوات> (74) والبراري التي دفنوا فيها والتقرير على حسب ما قبله ، وكنت أشرت إلى شيء من هذا الغرض في أبيات من قصيدة طويلة ، وهي :

يا (75) قمريَّ البان نح حزناً على زمن ... مضى بقوم من الأبرار أمجاد

وسل بنعمان (76) عنهم بعد خيف منىً ... وبالمحصَّب (77) يوم الهيد والهاد (78)

---

(72) في ك و س : « تنزل » .

(73) في س و ح : « الرحمات » .

(74) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(75) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « القمري من الفواخت منسوب إلى طير قمر ، وقمر ، إما جمع أقمر مثل أحمر وحمر ، وإما جمع قمري مثل روم ورومي ، والأنثى قمرية والجمع قماري » .

(76) نعمان بفتح فسكون اسم لعدة مواضع أعرفها نعمان الأراك ، وهو واد بين مكة والطائف .

(77) بصيغة المفعول مثقلا ، وهو موضع بين مكة ومنى ، والمحصب أيضاً موضع رمي الجمار .

(78) في « اللسان » : « هاده الشيء هيدا وهاداً أفزعه وكربه ، وما يهيده ذلك أي ما يكترث له ولا يزعجه ، وما له هيد ولا هاد أي حركة قال ابن هرمة :

ثم استقامت له الأعناق طائعة ... فما يقال له : هيد ولا هاد

وجاء في « معجم البلدان » لياقوت : « أيام هيد أيام موتان كانت في الجاهلية في الدهر الأول قيل : مات فيها اثنا عشر ألفاً ، هكذا ذكره العمراني في أسماء الأماكن ، ولا أدري ما معناه » .

واهتف بلبنان بعد القدس مصطرخاً وباللّكام (79) نداء الهائم الصادي
ولا تدع غائراً من كلّ أوديــة ولا تدع شامخاً من كلّ أطواد
فتلك أوطان أحبابي وإن نزحــوا عن مقلتي فهم بالقلب شُهّادي
فإن ظفرت بمن يهديك نحوهــم فقد ظفرت بكنز غــير نفاد
وإن شممْت شذا أخبارهم عَبِقاً أبهى من النور في بطحاء مقلاد (80)
فتلك غُنْيَةُ نفس عاقها قـــدر أن تدرك المُنيــة العظمى بتشهاد

وقد اتفقت لبيت أبي الطيب المذكور حكاية لطيفة تذكر في [باب] (81) الأذكياء ، وهي أن أبا العلاء المعري كان يعتني بشعر المتنبي ، ويستجيده ، حتى حكي عنه أنه قال : أنا الذي يعني أبو الطيب بقوله (82) :

---

(79) كذا بالأصل ، واللكام ذكره ياقوت في « معجم البلدان » فقال : « اللكام بالضم وتشديد الكاف ، ويروى بتخفيفها ، وهو الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور » . وفي س و ح : « الأكام » قال ياقوت في « معجم البلدان : « الأكام – هكذا وجدته بخط بعض الفضلاء ، ولا أدري أأراد جبل اللكام أم غيره إلا أنه قال : جبل ثغور المصيصة ، واللكام متصل به ، ولا شك في أنهما جبل واحد ، لأن الجبال في موضع تسمى باسم ، وتسمى في موضع آخر باسم آخر ، وإن كان الجميع جبلا واحداً ، قال أحمد ابن الطيب : ويكون امتداد جبل اللكام نحو ثلاثين فرسخاً ، وعرضه ثلاثة فراسخ ، وفيه حصون ورستاق واسع » اهـ . وتصحف اللفظ في ك فكان : « الكلام » .

(80) شكل أ كنسوس آخر « بطحاء » بالفتح شكل قلم ، وكتب فوق كلمة « مقلاد » من لفظه : « صفة لبطحاء » وهو غير ظاهر ، وقد بحثنا في معاجم الأمكنة عن لفظ مقلاد فلم نعثر عليه ، وفتشنا في معاجم اللغة عن معنى يطابقه في سياق الشعر فلم نظفر به .

(81) كلمة باب ساقطة من المخطوطات الثلاث ، وهي واردة في الطبعة الفاسية فأضفناها إلى الكلام لحاجته إليها .

(82) هو صدر بيت هذا عجزه :

وأسمعت كلماتي من به صمم

والبيت من قصيدته التي مطلعها :

واحر قلبــاه ممن قلبــه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

أنا الذي ينظر (83) الأعمى إلى أدبي

ثم إنه حضر يوماً مجلس الأمير (84) فتكلم الأمير حتى وقع في أبي الطيب وغض منه بعض الغض ، فأراد المعري أن ينافح عن أبي الطيب فقال : أيها الأمير يكفيك من أبي الطيب قوله :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

ففطن الأمير وقال لأصحابه : أتدرون ما يقول الأعمى ؟ إنه يشير إلى قوله في أثناء هذه القصيدة :

وإذا أتتك مذمتي (85) من ناقص فهي الشهادة لي بـــأني كامل

خذوا برجله ، فجر أبو العلاء حتى خرج . فانظر إلى لطافة هذه الأذهان ، وكيف تلطف هذا بالإشارة ، وكيف وقع عليها الآخر !

ونحوها ما وقع للكسائي ، وكان وعده الرشيد صلة ثم غفل عنه ، فاتفق أن سايره يوماً إلى أن مروا بموضع فقال : يا أمير المؤمنين هذا منزل عاتكة الذي يقول فيه الشاعر (86) :

---

(83) كذا في المخطوطات الثلاث والرواية المعروفة : « نظر » بصيغة الماضي .

(84) المعروف أن الحكاية كانت بين المعري وبين الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي العلوي ، وكذلك حكاها ياقوت في معجم الأدباء وهو يترجم أبا العلاء .

(85) في الأصل : « مذمة » وكذا في المخطوطة الكتانية والرواية الصحيحة إضافتها إلى ياء المتكلم لأن الكلام يجري على ذلك .

(86) هو عبد الله بن محمد بن عاصم الأنصاري الملقب بالأحوص شاعر أموي يجيد في الغزل والفخر والمديح ، واتهم عند الوليد بن عبد الملك بأمر شنيع فأمر بتغريبه إلى جزيرة من أرض اليمن فكانت وفاته بها عام 105 هـ .

يا بيت عاتكة التي (87) أتعزل (88) حـــذر العـــدا وبه الفؤاد موكل

فتعجب الرشيد من مفاتحة الكسائي له بالكلام ، ولم يكن ذلك أدباً مع الملوك ، ثم نظر فإذا هو يشير إلى قول الشاعر في أثناء القصيدة :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل

ففهم ذلك وأمر له بالصلة (89) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(87) صوابه الذي .

(88) في المخطوطات الثلاث وكذا في الطبعة الفاسية : « أتغزل » بالغين المعجمة وهو تصحيف صوابه أتعزل بالعين المهملة أي أتجنب .

(89) الحكاية مروية عن المنصور العباسي في « كتاب الأغاني » للأصفهاني وكتاب « أخبار الأذكياء » لابن الجوزي وكتاب « زهر الآداب للحصري « ونهاية الأرب » للنويري « ومستطرف الأبشيهي » ، ونصها في « زهر الآداب » : « لما دخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع : ابغني رجلا عاقلا عالماً بالمدينة ليقفني على دورها ، فقد بعد عهدي بديار قومي ، فالتمس له الربيع فتى من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يبتدىء بإخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان وأوفى معنى، فأعجب المنصور به ، وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجازه فاجتاز بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين : هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص :

يا بيت عاتكة الذي أتعزل . . . . البيت »

ففكر المنصور في قوله وقال : : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتاً بيتاً حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فقال : يا ربيع هـــل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ قال : أخرته عنه — لعلة ذكرها الربيع — فقال : عجله له مضاعفاً ، وهذا ألطف تعريض من الرجل وحسن فهم من المنصور » .

[انتقاد أحد القضاة للمؤلف والرد عليه]

خطر لي الآن كلام فأردت أن أنبه عليه [و] (1)على طرف منه فإن شرحه بطيل (2)وذلك أنا بعد وفاة الأستاذ المحقق السني أبي عبد الله بن ناصر رضي الله عنه لم نزل نسعى في نفع الناس بتعليم ما يحتاجون من دينهم وما يحتاجون من أوراد النوافل والأذكار التي يتزودون بها لمعادهم ويتحببون بها ويتقربون إلى ربهم عاملين في ذلك على وجه المؤاخاة والمعاونة على البر والنصيحة لا على وجه المشيخة ، وعلى وجه التعليم والإرشاد لا على وجه التربية ، ثم إنه جرى من ذلك ما عادته أن يجري من كلام منكر أو متنصح ، فأخبرني بعض أصحابي أنه جرى كلام بينه وبين <بعض> (3)القضاة المتصدرين للدرس (4)فتكلم له القاضي في شأني وقال له على وجه النصيحة فيما زعم : ما ألجأ فلاناً إلى تلقين الأوراد ؟ فهل رأيتم مريداً بشروط الإرادة قط ؟ فلما حدثني بذلك قلت له : هلا قلت له : أما أنا لم نرَ مريداً كذلك <فهو كذلك> (5)وكيف نراه إلا أن يتداركنا الله برحمته ؟

وقد كان الشيخ أبو العباس زروق يحكي عن شيخه أبي العباس أحمد

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو في ك و ح فأضفناه .

(2) كذا بالأصل ومثله في س وأصلحه أكنسوس على طرة مخطوطته: « يطول » أما ك و ح ففيهما : « يطول » .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(4) كذا بالأصل ومثله في س و ح أما ك ففيها : « للتدريس » .

(5) ما بين العلامتين ساقط من س ومن ك .

ابن عقبة الحضرمي رضي الله عنهما أنه كان يقول <لهم> (6) : لو فتشتم من أقصى مشارق الأرض إلى أقصى (7)مغاربها على مريد صادق في أحواله لم تجدوه فكيف بالعارف الكامل ؟ ومع ذلك فانتقاص الزمان وانتقاص أهله لا يوجب انقطاع الدين ولا ارتفاع النصيحة ، فإن هذا النقص سارٍ (8) في الدين وفي العقول وفي الأقوات (9)وفي الإمامة الكبرى والصغرى وفي النصيحة وغير ذلك ، وهو قضاء جار أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قبل كونه في الأحاديث الكثيرة ، وإليه يشير القائل :

هذا الزمان الذي كنّا نحـــاذره   في قول كعب وفي قول ابن مسعود
إن دام هذا ولم يحدث له غـــير   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

هذا وياليته دام ، فإنه لا يزيد الأمر إلاّ شدة والخير إلاّ إدبارا حتى ينقرض انقراضاً غير أن المعتبر في كل زمان ما هو فيه ، وحكم الله تعالى جار في كل بحسب حاله ، والدين مستمر ، والحق ظاهر حتى يأتي أمر الله .

ثم يلزمك أيها الناصح في هذا مثل ما يلزمنا ، وما كان جوابك هو جوابنا ؛ فإنك تصدرت للتعليم فهل رأيت بعينيك متعلماً على شروط التعليم المعتبرة ؟ أو هل رأيت في نفسك شروط المعلم ؟ <فلا بد أن تعرض على نفسك شروط المعلم> (10)وعلى من يجلس إليك شروط المتعلم ، فإن تجد ذلك صحيحاً ظاهراً أو(11)باطناً فتصدر ، وإن وجدته مختلاً فكيف يحل لك أن تتصدر ،

---

(6) ما بين العلامتين ساقط من س .
(7) في س : « من أقصى مشارق الأرض ومغاربها » .
(8) في ك : « سائر » .
(9) في س : « الأوقات » .
(10) ما بين العلامتين ساقط من ك ومن ح .
(11) في ك و س و ح : « وباطناً » مع الواو لامع أو .

وارتفاع الشرط يوجب ارتفاع المشروط ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تُؤْتُوا الحِكْمَةَ غَيْرَ أهْلِهَا فتَظْلمُوها » فإن أجاب بأنه ارتكب أخف (12) الضررين أو أن العلم أمنع جانباً من أن يصل إلى غير أهله أو نحو ذلك فهو جوابنا بعينه ، والله الموفق المسئول أن يتجاوز (13) عنّا بعفوه ويتغمدنا برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(12) في ك : « أحد الضررين » .

(13) في ح : « يتجاوز » .

[باب في ملح من الأدب]

رأيت أن ألم بملح من الأدب تتميماً للكتاب ، وإمتاعاً لذوي الألباب ، فإن النفس ملول والأذن مجاجة ، وفي التلون والانتقال تطييب لها وتنشيط كما قيل (1) :

لا يصلح النفس إن كانت مدبرة إلاّ التنقل من حال إلى حال

وذلك كله مما يصلح للمحاضرات ويوافق شرط الكتاب ، ويعد من الآداب .

وقد قال الحسن بن سهل (2) :

---

(1) قائله أبو العتاهية من قصيدة في ديوانه ، وفي « مروج الذهب » للمسعودي (4 : 17) : « قال أبو العتاهية : وجه إلي المأمون يوماً فصرت إليه فألفيته مطرقاً متفكراً مغموماً ، فأحجمت عن الدنو إليه وهو على تلك الحال ، فرفع رأسه وأشار بيده : أن ادن فدنوت ، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال : يا إسماعيل ، شأن النفس الملل وحب الاستطراف والأنس بالوحدة كما تأنس بالألفة قلت : أجل يا أمير المؤمنين ولي في هذا بيت شعر قال : وما هو ؟ قلت :

لا يصلح النفس إذ كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال

قال : أحسنت ، زدني قلت : لا أقدر على ذلك وآنسته بقية يومه » .

(2) مقالة الحسن بن سهل هذه واردة في « زهر الآداب » للحصري (1 : 155) تحقيق البجاوي بنصها تقريباً ، وفي « طبقات الشعرا » لابن المعتز (ص 386 بتحقيق عبد الستار فراج في سلسلة الذخائر برقم 20) هكذا : « حدثني ابن بكار قال : قال مصعب الموسوس : العلوم عشرة : ثلاثة كسروية ، وثلاثة يونانية ، وثلاثة عربية ، وواحد عفى على الجميع ، أما الكسروية فالعدد ، والشطرنج ، والصولجان ، وأما اليونانية فالهندسة ، والطب ، والنجوم ، وأما العربية فالنحو ، والفقه ، والشعر ، وأما الذي عفى على الجميع فأخبار المحدثين وأيامهم »

الآداب عشرة : ثلاثة شهرجانية(3) وهي ضرب العود ، ولعب الشطرنج ، والصوالج، وثلاثة أنوشروانية ، وهي : الطب ، والهندسة ، والفروسية ؛ وثلاثة عربية ، وهي : الشعر والنسب وأيام الناس ، والعاشرة مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجلس ، وهذا عام .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إني لأستجم نفسي من الباطل ليكون أقوى لها على الحق . وقال الشاعر (4) :

عجباً ممن تناهت حالـــه وكفـــاه الله ذلات الطلـــب
كيف لا يقسم شطري عمره بـــين حـــالين نعيم وأدب
مرة جـــداً وأخرى لعبـــاً فإذا مـــا غسق الليل انتصب
فقضى الدنيـــا نهاراً حقه وقضى لله ليـــلاً ما يجب

---

(3) قوله : شهرجانية أي فارسية ، نسبة إلى الشهرج ، مفرد الشهارج وهم الوجوه والأعيان عند الفرس . وفي طرة س بخط أكنسوس تفسير لهذه الكلمة هذه عبارته بالنص : «نسبة الى رجل اسمه شهرجان» .

(4) هو أبو الفتح محمود بن محمد المعروف بكشاجم ، شاعر كاتب ، توفي سنة 350 هـ والقطعة بتمامها واردة في « زهر الآداب » للحصري ونصها الكامل رواية عنه :

عجباً من تناهت حـــاله وكفاه الله ذلات الطلـــب
كيف لا يقسم شطري عمره بين حالين : نعيم وأدب
ساعة يمتـــع فيهـــا نفسه من غـــذاء وشراب منتخب
ودنو مـــن دمى هن لـــه حين يشتاق إلى اللعب لعـــب
فـــإذا مـــا نال من ذا حظه فحديث ونشيـــد وكتـــب
مرة جـــد وأخرى راحة فإذا مـــا غسق الليل انتصب
فقضى الدنيـــا نهـــاراً حقها وقضى لله ليلا مـــا وجب
تلك أقسام متى يعمـــل بها دهره يسعد ويرشد ويصب

وفي هذا إشارة إلى ما روي في حكمة آل داوود عليه السلام : لا ينبغي للعاقل أن يخلي نفسه من أربع : عدة لمعاد ، وإصلاح لمعاش ، وفكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده ، ولذة في غير محرّم يستعين بها على الحالات الثلاث . وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلاّ حقاً ، وكان أصحابه يتناشدون ويفيضون في الأنساب وأيام الناس ولا ينكر عليهم ، وذلك كله مشهور .

وقيل لسعيد بن المسيب : إن قوماً من <أهل> (5)العراق لا يرون إنشاد الشعر فقال : نسكوا نسكاً أعجمياً (6) .

وقيل لابن سيرين : إن قوماً يرون إنشاد الشعر ينقض الوضوء فأنشد :

لقد أصبحت عرْسُ الفرزدق ناشزاً ولو رضيت رمح استه لاستقرت (7)

ثم قام يصلي ، وقيل بل أنشد :

نبئت أن فتـــاة كنت أخطبهـــا عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

---

(5) ما بين العلامتين ساقط من س .

(6) في س : « عجيباً » وهو تصحيف .

(7) في « طبقات الشعراء » لابن سلام : « تزوج الفرزدق النوار ابنة أعين فادعت عليه طلاقاً ونازعته حتى قدمت على ابن الزبير في خلافته ، وتبعها فلجأت إلى أم هاشم بنت منظور بن زبان امرأة ابن الزبير ، ولجأ الفرزدق إلى حمزة وأمه تماضر بنت منظور ، فكان حمزة إذا أصلح شيئاً من أمر الفرزدق قلبت أم هاشم رأي عبد الله إلى النوار ، فقال الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك متزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فبلغ ذلك ابن الزبير فلقي الفرزدق فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال :

ألا أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً . . . . البيت »

والبيت لجعفر بن الزبير » انتهى باختصار . والبيت ينسب أيضاً لجرير وهو وارد بديوانه في طبعة الصاوي .

وقيل لأبي السائب (8)المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب فقال : أما من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

وكان فضلاء هذهالأمة يروون (9)الشعر ويقولونه (10) أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان مصروفاً عنه قول الشعر سداً للذريعة ، وتنزيهاً عن النقيصة، ونفياً للتهمة ، قال الله تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وأما غيره صلى الله عليه وسلم فلا محذور عليه في إنشاد الشعر رواية وقولاً ، فإن الشعر من جملة الكلام ، نعم إذا كثر ذلك حتى ألهاه عن ذكر الله فهو مذموم ، ولا خصوصية في هذا الشعر .

فمما يروى لأبي بكر رضي الله عنه قوله :

تعدون قتلى (11) في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راءٍ وشاهد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة (12) لما أوقد الحربَ واقد

ومما يروى لعمر رضي الله عنه قوله :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته إلاّ الإله ويودي المال والولد

---

(8) في « زهر الآداب » للحصري (1 : 167) بتحقيق البجاوي : « وكان أبو السائب غزير الأدب، كثير الطرب ،وله فكاهات مذكورة ، وأخبار مشهورة ، واسم أبي السائب عبد الله ، وكان أشراف أهل المدينة يستظرفونه ويقدمونه لشرف منصبه وحلاوة ظرفه » .

(9) في ك و ح : « يرون » وهو خطأ .

(10) في « التاج » « مادة ودق » : قال الشعبي : « كان أبو بكر شاعراً ، وكان عمر شاعراً ، وكان عثمان شاعراً ، وكان علي أشعر الثلاثة ، ونقله أبو عمر بن عبد البر في ترجمة مسطح ابن أثاثة وذكر مثله جماعة » .

(11) كذا بالأصل ومثله في س وهو جمع قتيل وفي ك و ح : « قتلا » .

(12) في « معجم ما استعجم » للبكري : « نخلة على لفظ واحد النخل موضع على ليلة من مكة » .

لم تُغْنِ عن هرمز يومــاً خزانته ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الريــاح له ... والجن والإنس فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلهــا ... من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بــلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ومما يروى لعثمان رضي الله عنه قوله :

تفنى اللذاذة ممّن نال صفوتهــا ... من الحرام ويبقى الإثم والعــار
تبقى عواقب سوء من مغبتها (13) ... لا خير في لذة من بعدها النار

ومما ينسب إلى علي كرم الله وجهه :

محمــــد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمّي
وجعفر الذي يمسي ويضحي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكَني وعرسي (14) ... منوط لحمها(15) بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منهــا ... فمن هذا له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طــراً ... غلاماً ما بلغت أوان حلْمي
وصليت الصلاة وكنت رِدْءاً (16) ... فمن ذا يدعي يوماً كيومي
وأوجب لي الولاء معاً عليكم ... رسول الله يوم غدير خم(17)

---

(13) في ح : « مغيبها » وهو تصحيف .
(14) في ح : « عرشي » بالشين وهو تصحيف .
(15) في ح : « حبها » بدل : « لحمها » .
(16) في « أساس البلاغة » للزمخشري : « هو رده له : ينصره ويشد عضده ، وردأته وأردأته على عدوه وضيعته أعنته وترادءوا تعاونوا ، ويقال : ترادءوا ولا تداروءا » .
(17) قال البكري في « معجم ما استعجم » : « غدير خم بضم أوله وتشديد ثانيه » . وفي « معجم البلدان » لياقوت: « خم اسم موضع غدير خم، وخم في اللغة قفص الدجاج » . وجاء =

وغدير خم بضم الخاء موضع بين الحرمين .

ومن شعره أيضاً وقيل : لم يثبت عنه غيره (18) :

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتي لهم بذاتِ وَدْقَيْنِ لا يعفو لها أثر

وذات ودقين الداهية (19) .

= في « معجم البلدان » أيضاً : « قال الزمخشري : خم اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة ، وذكر صاحب المشارق أن خم اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها » . وتكلم عنه عرام بن الأصبغ في كتاب أسماء جبال تهامة فقال : « ودون الجحفة على ميل غدير خم ، وواديه يصب في البحر لا ينبت غير المرخ والثمام والأراك والعشر ، وغدير خم هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء أبداً من ماء المطر ، وبه أناس من خزاعة وكنانة غير كثير » . وروى البكري في « معجم ما استعجم » فقال : « وبغدير خم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وذلك منصرفه من حجة الوداع » .

(18) في « تاج العروس » للزبيدي عند مادة « ودق » : « قال أبو عثمان المازني النحوي : لم يصح عندنا أنه رضي الله عنه تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين ، وهكذا نقله المرزباني في تاريخ النحاة عن يونس : ما صح عندنا ولا بلغنا أنه قال شعراً إلا هذين البيتين كذا في شرح شواهد المغني في بحث كل ، وصوبه الزمخشري رحمه الله ، قال شيخنا : ولعل سند ذلك قوي لديهم وإلا فقد ورد عنه : أنا الذي سمتني أمي حيدره « الأبيات » . وتواتر عنه : محمد النبي أخي وصهري « الابيات » وغير ذلك مما شاع وكثر بحيث إن النفوس لا تطمئن إلى أنه لم يقل غير هذين البيتين » .

(19) في « تاج العروس » للزبيدي عند مادة « ودق » : « ومن المجاز ذات ودقين من أسماء الداهية ويقال : أيضاً ذات روقين بالراء كأنها ذات وجهين ، وفي الصحاح : أي ذات وجهين ، كأنما جاء من وجهين ، ويقال : ذات ودقين من صفة الطعنة ، وقيل : من صفة السحابة يقال : سحابة ذات ودقين أي ذات مطرتين شديدتين شبهت بها الحرب الشديدة فقيل : حرب ذات ودقين وقيل : هو من الوداق : الحرص على طلب الفحل لأن الحرب توصف باللقاح وقيل : هو من صفات الحيات ، وداهية ذات ودقين وذات روقين إذا كانت عظيمة » .

ومما يروى لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله :

إن كنت تعلم أن الله يا عمر ... يرى ويسمع ما تأتي وما تذر
وأنت في غفلة عن ذاك تركب مــا ... عنه نهاك فأين الخوف والحذر
<تجاهر الله إقداماً عليه ومن ... حثالةالناس تستحيي وتستتر> (20)
فانظر لنفسك يا مسكين في مهل ... ما دام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها ... لله درُّك مــاذا تستر الحُفَرَ
ففيهم لك يــا مغرور موعظــة ... وفيهم لك يا مغرور (21) معتبر

فهؤلاء الأئمة المقتدى بأقوالهم وأفعالهم <وأحوالهم> (22) .

وقد وقع ذلك لأكابر العلماء من أهل الدين كثيراً شهيراً ، ومنهم من كان غزير المادة في الشعر مديد الباع فيه كعبيد (23) الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أحد الفقهاء السبعة (24) بالمدينة حتى كان ابن المسيب إذا لقيه

---

(20) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(21) في ح : « يا مسكين » .
(22) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(23) قال عنه صاحب « العقد الفريد » (5 : 284) : « ومن شعراء التابعين عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة ، وله يقول سعيد بن المسيب : أنت الفقيه الشاعر ، فقال : لا بد للمصدور أن ينفث يعني أنه من كان في صدره زكام فلا بد من أن ينفث زكمة صدره يريد أن كل من اختلج في صدره شيء من شعر أو غيره ظهر على لسانه » .
(24) قال عنهم الخلكاني في وفياته : (1 : 254) : « هؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد ، وعنهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا ، وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخصوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم صارت إليهم وشهروا بها ، وقد كان في عصرهم جماعة من العلماء التابعين ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة » . وقد جمع أسماءهم بعض العلماء في بيتين فقال : =

يقول له : مرحباً بالفقيه الشاعر فيقول عبيد الله : لا بد للمصدور أن ينفث ، فمن قوله :

كتمتَ الهوى حتى أضرّ بك الكتم ... ولامك أقوام ولومهم ظلم
ونمّ عليك الكاشحون وقبلهم ... عليك الهوى قد نم لو ينفع النم
وزادك إغراء بها طول بخلها ... عليك وأبلى لحم أعظمك الهم
وأصبحت كالنهدي(25) إذ مات حسرة ... على اثر هند أو كمن سقي السم(26)

وكأنه أراد : من سقيه السم فحذف الضمير .

= ألا كل من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسماً ... سعيد أبا بكر سليمان خارجه

انظر تراجمهم في «وفيات الخلكاني» «1 : 253 – 254) و (2 : 4) و (2 : 117 – 120) و (2 : 135 – 136) و (2 : 300 – 301) و (2 : 418 – 421) و (3 : 224) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(25) بالأصل «كالمندي» ومثله في ح ، وهو خطأ صوابه : «كالنهدي» بتقديم النون على الهاء كما جاء في ك و س وكذلك هو في «أمالي القالي» : والنهدي نسبة إلى بني نهد وهم بطن من قضاعة ، واسمه عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب ، وهو شاعر جاهلي ، وهو كان أحد المحبين الذين هلكوا عشقاً ، وهو الذي ذكره المجنون في قوله :

فما وجدت وجدي بها أم واحد ... ولا وجد النهدي وجدي على هند
ولا وجد العذري عروة في الهوى ... كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

وذكره البحتري أيضاً فقال :

فلو تمكن الشكوى لخبرك البكا ... حقيقة ما عندي وإن جل ما عندي
هوى لا جميل في بثينة ناله ... بمثلي ولا عبد بن عجلان في هند

ثم انظر أخباره في «تزيين الأسواق» للأنطاكي ص 75 – 78 .

(26) روى بعدها القالي في أماليه (2 : 20) ثلاثة أبيات تقول :

ألا من لنفس لا تموت فينقضي ... شقاها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت إتيان الحبيب تأثماً ... ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فذق هجرها قد كنت تزعم أنه ... رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

ووردت امرأة جميلة مع ابن <لها> (27) صغير <المدينة>(28) فخطبت وكان ممن خطبها عبيد الله فقال فيها معرضاً ببقية الفقهاء السبعة :

أحبك حباً لا يحبك مثلـــــه   قريب ولا في العالمين بعيد

أحبك حباً لو علمت ببعضه   لجُدْتِ ولم يصعب عليك شديد

وحبك يا أم الوليـــد متيمي   شهيدي أبو بكر وذاك شهيد

ويعلم وجدي قاسم بن محمد   وعروة ما ألقى بكم وسعيد

ويعلم ما أخفي سليمان كله   وخارجة يبدي بنـــا ويعيـــد

متى تسألي عما أقول تخبري (29)   فللحب عندي طارف وتليد

ويحكى أنه لقيه بعد هذا سعيد بن المسيب يوماً فقال له : أما إنك قد أمنت (30) أن تسألنا ، ولو سألتنا ما شهدْنا لك بزور ، وهذا من فكاهة(31) أهل الحجاز ولطافتهم رضي الله عنهم .

وكان الإمام الشافعي – رضي الله عنه – وهو القائل مخبراً عن غزارة عنصره في ذلك :

ولولا الشعر بالفقهاء يزري   لكنت اليوم أشعرَ من لبيد

فمن قوله :

---

(27) ما بين العلامتين زيادة من ح .
(28) ما بين العلامتين ساقط من س .
(29) في ك و ح « فتخبري » .
(30) في ح : « أملت » .
(31) في ك : « فاكهة » ومثله في س وأصلحه أكنسوس بقلمه على طرة مخطوطته على مثال ما في الأصل .

مـــاذا يخبر ضيـــف بيتك أهلــه ؟
إن سيل : (32) كيف مَرَاده(33) ومعاجه (34) ؟

أيقول : جاورت الفرات ولم أنل رِفداً إليه(35) وقد طغت أمواجه
ورقيت في درج(36) العلى فتضاءلت عما أريد شعاره (37) وفجاجه ؟
ولتخبرنّ خصـــاصتي بتملقـــي والماء يخبر عن قذاه (38) زجاجه
عنـــدي يواقيت القريض ودُرُّه وعليّ إكليل الكلام وتاجـــه
تُرْبي على روض الرّبى أزهاره ويرق في نادي الندى ديباجه
والشاعر المِنطيق(39) أسودُ سالخ(40) والشعر منـــه لعـــابه ومُجاجه
وعداوة الشعراء داء مُعضِـــل ولقد يهون على الكريم علاجه

والظاهر أنه قال هذا قبل اشتغاله بالفقه ، فإنه لم يشتغل به حتّى كان في البادية وتوسع في العربية والشعر .

---

(32) يريد : إن سئل فخفف الهمزة وكسر السين وفي ح : إن يسأل ، ولا يستقيم معه العروض .
(33) المراد بفتح الميم المكان الذي ترود فيه الراعية أي تختلف فيه مقبلة ومدبرة ، ورادت الإبل ترود رياداً ، ورادت المرأة اختلفت إلى بيوت جاراتها ، والرائد الذي يرود الكلا أي يطلبه ويبحث أين يوجد .
(34) في « اللسان » : « يقال عاج بالمكان وعوج أي أقام ، وقيل : عاج به أي عطف عليه ، وقال وألم به ومر عليه » .
(35) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « لديه » وهو الأليق بالسياق .
(36) في ك : « طلب » بدل : « درج » .
(37) كذا بالأصل ، وهو ما في ك و س و ح ، والرواية المعروفة : شعابه بالباء جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق مطلقاً أو الطريق في الجبل خاصة .
(38) في ح : « قراه » وهو تصحيف ، والقذى بوزن الحصى ما يسقط في العين والشراب من الأوساخ .
(39) المنطيق بوزن المسكين : البليغ .
(40) السالخ: الأسود من الحيات ، وأسود سالخ غير مضاف لأنه يسلخ جلده كل سنة .

ويحكى عن أبي القاسم بن الأزرق الشاعر أنه قال : جئت الشافعي يوما فقلت : يا أبا عبد الله لك الفقه تفوز بفوائده ، ولنا الشعر ، فأردت مداخلتنا فيه ، فإما أفردتنا بالشعر ، وإما أشركتنا في الفقه، وقد أتيت بأبيات إن أتيت بمثلها تبت عن الشعر ، وإن عجزت تبت عنه ، فقال : هات ، فأنشدته :

مـــا همتي إلاّ مقارعة العــدا ... خَلَقَ (41) الزمان وهمتي لم تخلَق

والناس أعينهم إلى سلب الفتى ... لا يسألون عن الحجا والأَوْلَقِ (42)

لكنّ من رُزِق الحجا حُرِم الغنى ... هذان (43) مفترقان أي تفرق

لو كان بالحِيَل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطــار السماء تعلقي

فقال الشافعي : أنا أقول خيراً منه وأنشد مرتجلاً (44) :

إنّ الذي رُزِقَ اليسارَ ولم ينــلْ ... حمداً ولا أجراً لغيرُ موفّق

فالجَدّ يدني كل شيء (45) شاسع ... والجَدّ يفتح كل باب مغلق

فإذا سمعت بأن مجدوداً حــوى ... عوداً فأثمر في يديه فحقــق

وإذا سمعت بــأن محروماً أتــى ... ماء ليشربه فغاص (46) فصدّق

وأحــقّ خلق اللهِ بــالهمّ امرؤ ... ذو همة يبلى برزق ضيــق

ومن الدليــل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

---

(41) هو من الخلوقة بمعنى البلى ، وفي «القاموس»: « خلق الثوب كنصر وكرم وسمع خلوقة وخلقاً محركة : بلي ، والخلق محركة البالي للمذكر والمؤنث ج خلقان ، وثوب أخلاق إذا كانت الخلوقة فيه كله » .

(42) في « أساس البلاغة » : « به أولق : شيء من جنون وألق فهو مألوق » .

(43) في ك و س و ح : « ضدان » .

(44) في ك و س و ح : « ثم أنشد ارتجالا .

(45) في ح : « أمر » .

(46) كذا هو في الأصل بصاد مهملة ، ومثله في ك أما س و ح ففيهما : « غاض » بالضاد المعجمة .

[(47) وقال أبو سعيد المكي : سمعت الشافعي رضي الله عنه ينشد :

رأيت منى نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها عرض المهامه والقفر
ووالله مـا أدري أللفقر والغنى أقـاد إليها أم أقاد إلى قبري

وكان ينشد رضي الله عنه :

يا لهف نفسي على مـال أفرقه على الفريقين (48)من أهل المروآت
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

وقال يونس (49) بن عبد الأعلى : كان الشافعي يتمثل :

إذا أصبحت عندك قوت يوم فخلِّ الهم عني يا سعيد
ولم تخطر هموم غـد ببالي لأن غداً له رزق جـديد
أسلم إن أراد الله أمـراً وأترك ما أريد لما يريـد

توفي رضي الله عنه بمصر آخر يوم من رجب سنة سبع ومائتين ، قال الربيع (50) : لما دفناه رأينا هلال شعبان، وعاش أربعاً وخمسين سنة] (51)

---

(47) ما بين المعقفين ساقط من الأصل ومن س ، واستدركه ناسخ الكتانية لحقاً على طرتها ، وهو وارد في الفاسية فأضفناه نقلا عنهما .

(48) الرواية المعروفة : « المقلين » جمع مقل وهو الفقير .

(49) هو أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدفي المصري ، من أصحاب الإمام الشافعي ، أكثر من الأخذ عنه ، وواظب على ملازمته ، كان فقيهاً محدثاً مقرئاً أخبارياً توفي سنة 264 هـ .

(50) هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داوود الأزدي المصري ، أحد أصحاب الإمام الشافعي توفي سنة 256 هـ .

(51) ههنا انتهى اللحق الذي أضفناه رواية عن ك و ح.

وكان القاضي عبد الوهاب (52) بن نصر الفقيه المالكي رضي الله عنه ، وفيه (53) يقول أبو العلاء المعري حين مر بهم متوجهاً إلى مصر :

والمالكيُّ ابن نصرٍ زار في سفر بلادنا فحمِدنا النأيَ والسَّفرا
إذا تكلّم أحيا مالكاً جدلاً ويُنشرُ الملك الضليل (54) إن شعرا

فمن قوله يتغزل ويوري بالمسائل الفقهية :

ونائمة قبّلتها فتنبّهت فقالت : تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها : إني لثمتك غاصباً وما حكموا في غاصب بسوى الرد
خذيها وكفي لي عن اثم(55) ظلامتي وإن أنت لم ترضي فألف من العد
فقالت : قصاص يشهد العقل أنه على كبد الجاني ألذ من الشهد
فباتت يميني وهي هميان (56) خصرها وباتت يساري وهي واسطة(57) العقد

---

(52) ذ كر الخلكاني نسبه في « وفياته » (2 : 387) فقال : « أبو محمد عبد الوهاب بن علي ابن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق الثعلبي البغدادي الفقيه المالكي ، وهو من ذرية مالك بن طوق الثعلبي صاحب الرحبة » . انتهت إليه رياسة المذهب المالكي في زمانه ، وكان جيد النظر ، حسن العبارة ، وألف مصنفات حساناً ، وكان أيضاً متأدباً شاعراً ، وكانت وفاته سنة 422 .

(53) يعني القاضي عبد الوهاب ، والبيتان من قصيدة سقطية عدة أبياتها 15 بيتاً .

(54) الضليل بوزن السكيت الكثير الضلال وهو أيضاً لقب امرىء القيس بن حجر الكندي لقب به لأنه أضل ملك أبيه .

(55) في « وفيات الأعيان » : « أثيم ظلامة » ومثله في شذرات ابن العماد .

(56) الهميان بكسر أوله وسكون ثانيه يعني شيئين : أحدهما فسره الفيومي في « مصباحه » فقال : « الهميان كيس تجعل فيه النفقة ، ويشد على الوسط ، وجمعه همايين ، قال الأزهري : وهو معرب دخيل في كلامهم ، ووزنه فعيال ، وعكس بعضهم فجعل الياء أصلا والنون زائدة فوزنه فعلان » اهـ . والآخر بينه الزبيدي في « تاجه » فقال : « الهميان بالكسر شداد السراويل ، كذا في المحكم ، قال ابن دريد : أحسبه فارسياً معرباً ، ومثله لابن الجواليقي ، وقال أبو الهيثم : الهميان المنطقة ، كن يشددن بها أحقيهن » اهـ . وهذا الشيء الأخير ما أراده القاضي عبد الوهاب القاضي في شعره .

(57) يقول : إنه منطقها بيمينه وطوقها بيساره .

وقالت : ألم أخبر بأنك زاهــد فقلت لها : ما زلت أزهد في الزهد

وينسب إليه قوله (58) :

تملكت يـــا مهجتي مهجتي وأسهرت يا ناظري ناظري
وما كان ذا أمــلي يا ملول ولا خطر الهجر في خاطري
فجد بالوصال فدتك النفوس فلست على الهجر بـــالقادر
أيـــا غائباً حاضراً في الفؤاد سلام على الغـــائب الحاضر

[وله أيضاً رحمه الله :

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ولم يعلموا جاراً هنـــاك ينغص

(58) في « كتاب التعريف بالقاضي عياض » لأبي عبد الله محمد بن عياض ص 66 بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة ما نصه : « أنا القاضي أبو بكر بن العربي فيما أذن فيه لي ولأبي رحمة الله على الجميع ، قال : قال لي أبو بكر الصقلي : قال لي أبو بكر بن البر : قلت للقاضي عبد الوهاب : أنت القائل :

تملكت يا مهجتي مهجتي .... الأبيات»

« فقال لي : يا أبا بكر تلك أخبار الصبا. هذه الحكاية نقلتها من خط أبي الوليد الدباغ ، والشعر في كتاب « اليتيمة » للوأواء ، والله أعلم بالصواب » . وفي « برنامج شيوخ الرعيني » (ص 136 – 137) وهو يذكر أبا جعفر أحمد بن عبد المجيد الحجري : « أنشدني – رحمه الله – وكتبه لي بخطه قال : أنشدني ابن الفخار ، أنشدني ابن العربي ، أنشدني أبو بكر محمد بن سابق الصقلي قال : قال لي أبو بكر بن البر : أتيت القاضي أبا محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بالمسجد الجامع بمصر فقلت له : يا سيدنا الإمام أنت القائل :

تملكت يا مهجتي مهجتي .... الأبيات »

فقال : يا أبا بكر دع هذا فإنه كان في أيام الصبا . وقد حدث غير واحد من المشيخة بالحكاية عن القاضي أبي بكر العربي حسبما سردتها » . وبعض هذا الشعر منسوب في « يتيمة الثعالبي » (1 : 242) للوأواء الدمشقي الشاعر ، ثم انظر بعد ذلك « ديوان الوأواء » ص 99 طبعة دمشق 1950 م .

فقلت لهم : كفوا الملام فـــإنما بجيرانها تغلو الديار وترخص] (59)

ولفقهاء العدوة من ذلك ما يطلع بدراً لائحاً ، ويسطع زهراً فائحاً ، وتتهاداه الحور ، وتتحلى منه النحور ، [(60) وتتبع ذلك يطيل،ونلم من ذلك بالقليل ، إذ لا بد لهذا الكتاب ، أن يأخذ من كل لباب ، فمن ذلك قول الفقيه القاضي أبي الوليد الباجي (61) رحمه الله في معنى الزهد :

إذا كنت أعلم علماً يقينـــاً بأن جميع حياتي كساعه
فلمْ لا أكون ضنيناً بهـــا وأجعلها في صلاح وطاعه (62)

ومن ذلك قول محمد (63) بن سماك صاحب الأحكام يصف الروض :

---

(59) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو وارد في الطبعة الفاسية وعلى طرة ك بخط ناسخها فأضفناه رواية عنهما .

(60) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ، وهو ثابت في الطبعة الفاسية ، وأورده ناسخ المخطوطة الكتانية نقلا عن مخطوطة غير التي انتسخ عنها ، وكتبه بقلم دقيق على ورقة مضافة ، ونبه على ذلك بعبارة تقول بالنص الحرفي التام : « انظر الورقة الملتصقة بمنته ، فإن ما فيها متصل حسبما في نسخة غير هذه » .

(61) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد المالكي الباجي نسبة إلى باجة الأندلس ، أحد الأئمة الأعلام . كان فقيهاً أصولياً محدثاً ، متقن المعارف ، جيد القريحة ، محققاً نظاراً ، وكان حسن السمت وقوراً مهيباً ، وكان من وراء ذلك شاعراً فصيحاً مطبوعاً ، وله تآليف جليلة في الأصول والفقه والحديث ، وكانت وفاته سنة 474 هـ .

(62) البيتان منسوبان إليه في « مدارك عياض ، ووفيات الخلكاني ، وديباج ابن فرحون » .

(63) كذا هو في الطبعة الفاسية ، وهو غلط صوابه : أبو محمد عبد الله ، وبشأنه يقول الفتح في قلائده ص 214 : « الوزير الفقيه صاحب الأحكام ، أبو محمد عبد الله بن سماك رحمه الله ، وأخوه أبو عمر فرقدان متوقدان ، وسراجان وهاجان ، فرعا مجد ، ونبعا نجد ، لا وهد ، ما منهما إلا أغر وضاحاً ، يوضح المشكلات إيضاحاً ، ولهما سلف تقصر عند مداناته الأقدار ، وشرف تمكنا منه تمكن القطب من المدار.وتولى الفقيه أبو محمد الأحكام =

الروض مخضر الربى متجمّل | للناظرين بـأجمل الألوان
فكأنما بسطت هناك سوارها(64) | خود(65) زهت بقلائد العقيان
وكأنما فتحت هناك نوافج(66) | من مسكة عجنت بصرف البان(67)
والطير يسجع في الغصون كأنه | نقر القيان جثت (68) على العيدان
والماء مطّرد يسيل عبـابه | كسلاسل من فضة وجمان
بهجات حسن أكملت فكأنما(69) | حسن اليقين وبهجة الإيمان

وللفقيه أبي محمد عبد الله (70) بن السيد البطليوسي في الزهد :

= فأقالها ، ووضع في يد التقوى عقالها ، وحماها بأسنة من العدل وشفار ، وأراها وجه الديانة كالصبح عند الإسفار ، همام إذا لقي ، غمام إذا استسقي ، وله علم كاللجة إذا اضطربت أمواجها ، والكتيبة إذا تحركت أفواجها ، وأدب كالروض غب المطر ، ومذهب كالنسيم هب على الروض وخطر ، فمن ذلك قوله يصف الروض : ......الأبيات»

(64) كذا هو بالسين المهملة في الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه : « شوارها » بمعجمة كما هي رواية القلائد ، وفي«تاج العروس»: « الشورة والشارة والشورة بالفتح في الكل ، والشيار ككتاب ، والشوار كسحاب : الحسن والجمال والهيئة واللباس والسمن والزينة » . ورثى ابن صارة الشنتريني ابنة له ماتت فقال :

ألا يا موت كنت بنا رؤوفاً | فجددت الحياة لنا بزورة
حماد لفعلك المشكور لما | كفيت مئونة وسترت عورة
فأنكحنا الضريح بـلا صداق | وجهزنا الفتاة بغير شورة

(65) في القاموس :«الخود الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة ج خودات وخود وتخود الغصن تثنى » .

(66) جمع نافجة ، والنافجة وعاء المسك ، قال الزبيدي في«تاجه»: « والنافجة وعاء المسك مجاز معرب عن « نافه » قال شيخنا : ولذلك جزم بعضهم بفتح فائها ، ونقله التمرتاشي في شرح تحفة الملوك عن أكثر كتب اللغة ، وجزم الجواليقي في كتابه بأنه معرب ، وهو الصحيح ، وزعم صاحب المصباح أنها عربية سميت لنفاستها من نفجته إذا عظمته وهو محل تأمل » .

(67) « في تاج العروس » :«البان شجر معروف واحدته بانة ، ولحب ثمره دهن طيب » .

(68) كذا في الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه حنت بالحاء المهملة كما هي في رواية القلائد.

(69) رواية القلائد : « فكأنها » .

(70) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (بكسر السين وسكون الياء) البطليوسي نسبة إلى بطليوس (بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة) مدينة بغربي الأندلس، =

أمرت إلهي بالمكارم كلّها ولم ترضها إلاّ وأنت لها أهل
فقلت : اصفحوا عمن أساء إليكم وعوذوا بحلم منكم إن بدا جهل
فهل لجهول خاف صعب ذنوبه لديك أمان منك أو جانب سهل(71)

وله يصف فرساً (72) :

وأدهم من آل الوجيه (73) ولاحقٍ له الليل لون والصباح حُجُول
تحير ماء الحسن فوق أديمه فلولا التهاب(74) الحضر ظل يسيل
كأن هلال الفطر لاح بوجهه فأعيننا شوقاً إليه تميل

= أحد شيوخ العلم على عهده ، كان نحوياً لغوياً أديباً ، كما كان محدثاً فقيهاً ، وكان أيضاً متفلسفاً ، وهو بعد ذلك شاعر بليغ ، له مؤلفات تنيف على العشرين ، منها : « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » . وهو مطبوع ، « شرح سقط الزند » ، وهو مطبوع ، « المثلث » وهو يوجد مخطوطاً . توفي ابن السيد سنة 521 هـ .

(71) الأبيات منسوبة إليه في « العقيان » ص 204 وفي « أزهار الرياض » ج 3 ص 140 .

(72) الأبيات في « القلائد » ص 209 ، وفي « أزهار الرياض (3 : 108) .

(73) في « أنساب الخيل» لابن الكلبي : « وكان فيما سموا لنا من جياد فحولها وإناثها المنجبات : الغراب ، والوجيه ، ولاحق والمذهب ، ومكتوم ، وكانت هذه جميعاً لغني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، فقال طفيل الغنوي :

بنات الغراب والوجيه ولاحق وأعوج تنمي نسبة المتنسب »

وفي شرح « البطليوسي على سقط الزند (1 : 91) عند قول المعري :

أخف من الوجيه يداً ورجلا وأكرم في الجياد أبا وخالا

« الوجيه فرس عتيق نسب إليه الخيل العتاق ، وأبوه أعوج بن سبل ، وإخوته لاحق والمذهب ومكتوم » .

(74) في الطبعة الفاسية : « إهاب الحصر » وهو تحريف وتصحيف صوابه : «التهاب الحضر» كما هي رواية « القلائد » ، والحضر فسره الجوهري في « صحاحه » فقال : « الحضر بالضم العدو يقال أحضر الفرس إحضاراً واحتضر أي عدا ، واستحضرته أعديته وهذا فرس محضير » .

كأن الرياح العاصفات تُقِلّه إذا ابتل منه محزم (75) وتليل(76)

وللحافظ أبي بكر بن عطية رحمه الله يحذر من خلط (77) الزمان :

كن بذئب صائد مستوحشاً فإذا أبصرت إنساناً ففر
إنما الإنسان بحر ماله ساحل فاحذره إياك الغَرَر
واجعل الناس كشخص واحد ثم كن من ذلك الشخص حذر

وله يعاتب بعض إخوانه (78) :

وكنت أظن أن جبالَ رَضوى تزول وأن ودّك لا يزول
ولكن الأمور لها اضطراب وأحوال ابن آدم تستحيل
فإن يلك بيننا وصل جميل وإلاّ فليكن هجر جميل

ولابنه الحافظ عبد الحق رحمه الله يصف الزمان وأهله (79) :

داء الزمان وأهله داء يعز له العلاج
أطلعت في ظلماته ودّا كما سطع السراج
لصحابة أعيا ثِقَا في(80)من قناتهم اعوجاج

---

(75) في « الصحاح » : « محزم الدابة ما جرى عليه حزامها » . وفي « القاموس »: « المحزم والمحزمة كمنبر ومكنسة وكتاب وكتابة ما حزم به » .

(76) في « الصحاح » : التليل : العنق .

(77) كذا ، وفي قلائد الفتح : « فمن ذلك قوله يحذر من خلطاء الزمان وينبه على التحفظ من الإنسان . . . . الأبيات » ص 216 .

(78) الأبيات منسوبة إليه في « قلائد الفتح » ص 217 .

(79) الأبيات منسوبة إليه في « قلائد الفتح » ص 224 .

(80) الثقاف خشبة متينة بقدر الذراع بها مر يسلك فيه ما يراد تقويمه من القسي والقنا ، قال ابن الرقاع :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

أخلاقهم مـــاء صفا مرأى ومطعمُه أجاج
كالدر مـــا لم تختـــبر فإذا اختبرت فهم زجاج

وللفقيه القاضي عياض (81) بن موسى اليحصبي رضي الله عنه من شعره:

إذا مـــا نشرت بساط انبســـاط فعنـــه فديتك فـــاطو المزاحا
فإن المزاح كمـــا قـــد حكى أولُو العلمِ قبلُ عن الحلم زاحا(82)

وله عند ارتحاله من قرطبة رحمه الله (83) :

أقول وقـــد جدّ ارتحالي وغردت حُداتي ورنت(84) للفراق ركائبي
وقد غمصت(85) من كثرة الدمع مقلتي وصارت هواءً من فؤادي ترائبي

---

(81) قال عنه ابنه أبو عبد الله محمد بن عياض في كتابه : « التعريف بالقاضي عياض » بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة ص 4 وما بعدها : « كان من أئمة وقته في الحديث وفقهه وغريبه ومشكله ومختلفه وصحيحه وسقيمه وعلله وحفظ رجاله ومتونه وجميع أنواع علومه ، أصولياً متكلماً فقيهاً عاقداً للشروط بصيراً بالفتيا والأحكام والنوازل ، نحوياً ريان من الأدب ، شاعراً فصيحاً ، حافظاً للغة والشعر والمثل وأخبار الناس ومذاهب الأمم ، عارفاً بأخبار الملوك وتنقل الدول وأيام العرب وسيرها وحروبها ومقاتل فرسانها ، ذاكراً لأخبار الصالحين وسيرهم وأخبار الصوفية ومذاهبهم ، مشاركاً في جميع العلوم ، حسن المجلس ممتع المحضر نبيل النادرة حلو الدعابة ، كثير التواليف المستحسنة البارعة ، محبباً في قلوب العامة والخاصة ، جميل الوجه طيب الرائحة نظيف الملبس بهي الركب » .

(82) البيتان مرويان في قلائد الفتح ص 234 .

(83) الأبيات مروية له في « القلائد » ص 234 وفي « نفح الطيب » ج 2 ص 82 – 83 .

(84) رواية « القلائد » والنفح هكذا : « زمت » .

(85) بالصاد وهو من الغمص بالتحريك قال صاحب « القاموس » : « الغمص ما سال من العين من الرمص غمصت العين كفرح فهو أغمص ، والغميصاء إحدى الشعريين ، ومن أحاديثهم أن الشعرى العبور قطعت المجرة فسميت عبوراً ، وبكت الأخرى على أثرها حتى غمصت » . وفي « قلائد الفتح » : « غمضت » بالضاد وهو تصحيف .

ولم تبقَ إلاّ وقفة تستحثها (86) وداعي للأحباب لا للحبائب
رعى الله جيراناً بقرطبة العلى وسقى رباها بالعِهادِ السواكب
وحيا زماناً بينهم قد ألفته طليق المحيّا مستلانَ الجوانب
أأحبابنا في الله فيها تذكروا معاهد جار أو مودّة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفائهم كأني في أهلي وبين أقاربي

وله برد الله ضريحه في الوداع (87) :

يا من ترحل (88) عني غير مكترث لكنه للضنى والسّقم أوصى بي
تركتني مستهام القلب ذا حُرَقٍ أخا جوى وتباريح وأوْصاب
فلم أذق من لذيذ العيش بعدكم إلاّ جنَى حنظل في الطعم أو صاب
أراقب النجم في جنح الدجى سَهَراً كأني راقب (89) للنجم أو صابي (90)

وللأديب أبي الوليد محمد بن عبد الله بن زيدون رحمة الله عليه :

ودع الصبر محب ودَّعك حافظ من سره ما استودعك
يقرَع السن على أن لم يكن زاد في تلك الخُطا إذ شيعك
يا أخا البدر سناءً وسَناً حفظ الله زماناً أطلعك
إن يَطلْ بعدك ليلي فلكَمْ بتّ أشكو قِصرَ الليل معك

وله يتغزل رحمه الله :

---

(86) كذا هو بالتاء في الطبعة الفاسية وفي القلائد والفتح : « يستحثها » بالياء وهو الأليق .
(87) الأبيات نسبها إليه ابنه في كتاب التعريف وذكر أنه نقلها ن خطه ، وهي أيضاً مروية له في كتاب المطرب لابن دحية ص 87 من طبعة مصر .
(88) رواية ابنه في التعريف : « تحمل » بدل : « ترحل » .
(89) رواية التعريف : « راصد » بدل : « راقب » .
(90) يريد الواحد من الصابئة ، وهم أهل ملة معروفة ، وهم ممن يتعبد الكواكب .

يـــا قمراً أطلعه المغرب   قد ضاق بي في حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذي جئتـــه   صدقت فاصفح أيها المذنب
وإنما(91) أغرب ما مرّ بي   أن عذابي بك مستعذب] (92)

وتتبع ذلك يطيل ويخرج عن الغرض .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(91) الرواية المعروفة : « وإن من أغرب ما مر بي » .
(92) هنا تنتهي الإضافة التي أعلمنا ببدايتها سابقاً .

[نبذة من مختار الشعر]

وهذه نبذة من مختار شعر العرب ، فمن ذلك في الأمثال ، وقد تقدمت جملة منها في الكتاب :

ففي الحض على الإنفاق والتوكل على الله تعالى قول جميل :

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا   فان على الرحمان رزقكم غدا

وفي تكذيب الكهانة وزجر الطير قول لبيد :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى   ولا زاجرت الطير ما الله صانع

وفي اليأس من إصلاح الأولاد مع فساد الآباء قول الفرزدق :

ترجّي ربيع أن تجيء صغـــارها   بخير ، وقد أعيا ربيعاً كبارها

وفي تلهف المعدم على قصوره عن فعل الخير قول خالد (1) بن علقمة :

وقد يقصر القل الفتى دون همه   وقد كان ــ لولا القل ــ طلاع أنجد(2)

(1) هو خالد بن علقمة بن عبدة الملقب بالفحل ، أو هو خالد بن علقمة الدارمي ، كما في « لسان ابن منظور » مادة « قلل » أو هو محمد بن أبي شحاذ الضبي على ما في « حماسة أبي تمام » ، والبيت مع ثلاثة أبيات أخرى في ديوان علقمة الفحل بتحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب .

(2) في « صحاح الجوهري » : « النجد ما ارتفع من الأرض ، والجمع نجاد ونجود وأنجد ، ومنه قولهم : فلان طلاع أنجد وطلاع الثنايا إذا كان سامياً لمعالي الأمور » .

وفي الجنوح إلى الجبن قول نُهشل بن حَرِّيٍّ (3) :

فلو أن لي نفسين كنت مقــاتلاً بإحداهما حتى تموت وأسلما

ونحو هذا قول حبيب بن عوف (4) حين قال له المهلب (5) <بن أبي صفرة> (6) اكرر على القوم :

يقول لي الأمير بغير علم (7) تقدم حين جدَّ بهِ (8) المراس

---

(3) في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية « جريء » بالجيم والهمزة في الآخر على شكل الصفة من الجراءة وهو تصحيف وتحريف صوابه ما شكله البغدادي في «خزانة الأدب» فقال : « نُهشل بن حري بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين بلفظ المنسوب إلى الحر أو إلى الحرة » . وذكر القتيبي نسب نُهشل في الشعر والشعراء فقال : « هو نُهشل بن حري ابن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نُهشل بن دارم » . وذكر الجمحي في « طبقاته » شرف آبائه فقال : « نُهشل بن حري شاعر شريف مشهور ، وأبوه حري شاعر مذكور ، وجده ضمرة بن ضمرة فارس شاعر بعيد الذكر كبير الأمر ، وأبوه ضمرة بن جابر سيد ضخم الشرف ، بعيد الذكر ، وأبوه جابر له ذكر وشهرة وشرف ، وأبوه قطن له شرف وفعال وذكر في العرب ، فهم ستة كما ذكرنا لا أعلم في تميم رهطاً يتوالون توالي هؤلاء » . وذكره ابن حجر في «الإصابة» فقال فيه ناقلا عن المرزباني : « مخضرم بقي إلى أيام معاوية وكان مع علي في حروبه » .

(4) كذا هو في المخطوطات الثلاث ومثله في الطبعة الفاسية ، وفي « كامل المبرد » (3 : 221) طبعة صبيح ، وفي « شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة » (1 : 535) « حبيب بن أوس » بدل : « عوف » .

(5) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، كان بطلا شجاعاً ، وقائداً محنكاً ، وهو كان الذي خضد شوكة الخوارج بشجاعته ودهائه ، وقد دامت حروبه معهم ثنتي عشرة سنة ، وكانت وفاته سنة 83 هـ . ومما جاء بشأنه على المقارنة ما ذكره المبرد في « كامله » فقال : « ساد الأحنف بحلمه ، وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له ، وساد قتيبة بدهائه ، وساد المهلب بجميع هذه الخلال » .

(6) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(7) في ح : « وقد رآني » بدل : « بغير علم » .

(8) في ح : « بنا » بدل : « به » .

فمالي إن أطعتك من حياةٍ (9)   ومالي غير هذا الراس راس

[(10) وقول أبي دلامة (11) وقد ليم على الفرار (12) :

ألا لا تلمني في الفرار فــإنني   أخاف على فخّارتي أن تحطّما
فلو أنني أبتاع في السوق مثلهــا   وحقّك ما باليت(13) أن أتقدما

وقال المبرد : حدثني عجل بن أبي دُلَف (14) أن ابن أبي فنن (15) مدح أباه بقوله موريّاً :

(9) في ح : « غير نفس » بدل : « من حياة » .

(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وكتبه ناسخ الكتانية بخطه على الطرة لحقاً ، وهو وارد في الطبعة الفاسية فألحقناه رواية عنهما .

(11) عرف به الشريشي في « شرح المقامات » (4 : 50) فقال : « أبو دلامة — اسمه زند (بالنون) ابن الجون وهو كوفي أسود ، مولى لبني أسد ، أدرك آخر أيام بني أمية ، ونبغ في أيام بني العباس ، وكان صاحب نوادر وملح ، وكان خليعاً فاسد الدين رديء المذهب » . وضبط الخلكاني في « وفياته » (2 : 71 — 78) وهو يترجمه ، كنيته واسمه واسم أبيه شكلا وأحرفاً فقال : « دلامة بضم الدال المهملة ، وزند بفتح الزاي وسكون النون وبعدها دال مهملة ، وقيل اسمه : زبد بالباء الموحدة ، والأول أثبت ، والجون بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها نون » .

(12) في « اغاني الأصفهاني » (10 : 268) من طبعة الدار : كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية فدعا رجل إلى البراز فقال له أبو مسلم : ابرز إليه فأنشأ يقول :

ألا لا تلمني إن فررت فــإنني   . . . . البيتين »

(13) في طرة الكتانية وفي ح : « بليت » وهو خطأ صوابه : « باليت » كما هي روايته في الأغاني .

(14) هو القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي أحد الأسخياء الأجواد والقواد الكبار على عهد المأمون والمعتصم والذي قال فيه الشاعر :

إنمــا الدنيا أبو دلف   بين بــاديه ومحتضره
فــإذا ولى أبو دلــف   ولت الدنيــا على أثره

توفي سنة 226 هـ .

(15) في طرة ك وكذا في ح : «قين» بقاف وياء ، وهو تصحيف صوابه : « فنن » بالفاء =

مالي ومـــالك قد كلفتني شططاً حمل السلاح وقول الدارعين (16) قف

أمن رجـــال المنايـــا خلتني رجلاً أمسي وأصبح مشتاقاً إلى التلف ؟

تمشي المنون إلى غيري فـــأكرهها فكيف أسعى إليها بارز الكتف ؟

أم قد (17) حسبت سواد الليل شجعني أو أن قلبي في جنبيْ أبي دُلَف ؟

فبلغ الشعر أبا دُلف فبعث إليه بأربعة آلاف دينار ، فأخذها وأغلق عليه الدار ، ولا عليه فيمن قعد أو طار ، فقال المبرد : هذا كالذي دخل على قوم يشربون فسقاه بعضهم من غير الشراب الذي يشربون استحقاراً له فقال :

نبيـــذان في مجلس واحد لإيثار مثْر عـــلى مقتّر

= والنون » وابن أبي فنن هذا ترجمه البكري في « لآلئه » (1 : 245) . فقال : « هو أحمد بن أبي فنن ، واسم أبي فنن صالح ، مولى للربيع بن يونس ، يكنى أحمد أبا عبد الله ، وكان أسود ، وهو شاعر مجيد من شعراء بغداد ، وكانت له أغراض مستطرفة ومعان مستحكمة ، واستفرغ شعره في الفتح بن خاقان » . وقال عنه الحصري في « زهر الآداب » (2 : 1013) بعد إيراد الأبيات التي جاء بها اليوسي : « وكان أحمد بن أبي فنن أسود ، ولذلك قال :

أخلت أن سواد الليل غيرني

ولما أدخل على المعتز وامتدحه قال : هذا الشاعر الآدم ، قال بعض من حضر : لا يضره سواده مع بياض أياديك عنده قال : أجل ووصله » . ثم زاد الحصري يقول : « أخذ قوله :

أرى المنايا على غيري فأكرهها

من قول أعرابي قيل له ألا تغزو ؟ قال أنا والله أكره الموت على فراشي فكيف أمشي إليه ركضاً » .

(16) في ح : « الذارعين » بذال معجمة ، وهو تصحيف صوابه « الدارعين » بالدال المهملة جمع دارع وهو الذي عليه درع الحرب ، أما الكتانية ففيها : الذاعرين بالذال المعجمة وبتقديم العين على الراء ولا يسير لفظه مع سياق الكلام .

(17) في الكتانية : « أو حسبت » ويكون الجزء على هذه الرواية مخبوناً ومطوياً معاً .

فلو كنت تفعل فعل الكرام فعلت كفعل أبي البَختري (18)
تتبع إخوانــــه في البلاد فأغنى المقــل عن المكثر

فاتصل قوله بأبي البختري فوصله بألف دينار ولم يره] (19) .

وفي الحض على اقتناء العمل الصالح قول الأخطل (20) :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصـــالح الأعمال

وفي اليأس من تلافي ما فسد قول رجل (21) من عمان :

والثوب إن أنهج (22) فيه البلى أعيــا عــلى ذي الحيلة الراقع

---

(18) في الكتانية : « البحتر » بحاء مهملة وبدون الياء آخره ، وفي الطبعة الفاسية : « البحتري » بحاء مهملة مع الياء بآخره ، والصواب فيه « البختري » بالخاء المعجمة مع ياء كياء النسب ، وجاء في تاج العروس من مادة البخترة بالخاء : « وأبو البختري من كناهم أنشد ابن الأعرابي :

إذا كنت تطلب شأو الملو ك فافعل فعال أبي البختري
تتبع إخوانـــه في البـــلاد فأغنى المقـــل عن المكثر

(19) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها آنفاً .

(20) البيت من قصيدة له مطلعها :

لمن الديار بحـــائل فوعال درست وغيرهـــا سنون خوال

وقبله :

والناس همهم الحياة وما أرى طول الحياة يزيد غير خبال

وهي من خمسة وخمسين بيتاً ، وهي واردة في ديوانه ، والبيت نسبه المبرد في « كامله » للخليل بن أحمد الفراهيدي .

(21) هو ابن حمام الأزدي على ما ذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف ص 127 ، وجاءت رواية الشعر فيه هكذا :

كنا نـــداريهـــا وقد مزقت واتسع الخرق على الراقـــع
كالثوب إذ أنهج فيه البلى أعيا على ذي الحيلة الصانع

(22) في « أساس البلاغة » للزمخشري : « أنهج الثوب أخلق ، وأنهجه البلى » .

وفي مجاملة العدو وإعداده لأعدى منه قول مرداس (23) الأسدي :

وذوي ضباب(24) مظهرين عداوة وغر (25) الصدور معاودي الإفناد (26)
نـــاسيتهم بغضاءهم ووفرتهـــم وهم إذا حسب (27) الصديق أعاد
كيما أعـــدهم لأبعد (28) منهم ولقد يجـــاء إلى ذوي الأحقاد

وفي حفظ المال وتثميره قول المتلمس :

قليـــل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
وحفظ المال أيسر من بغاه وسير في البلاد بغير زاد

وفي تبليغ العذر قول عروة بن الورد :

ومن يلك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح

---

(23) هو مرداس بن حشيش أخي بني سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد من شعراء الحماسة .

(24) جمع ضب وهو الحقد ، ويقال : فلان خب ضب إذا كان منكر العداوة ، وفي المخطوطات الثلاث كما في الطبعة الفاسية : « ظباب » بظاء مشالة وهو تصحيف .

(25) كذا هو في المخطوطات الثلاث ، وهو كذلك في الطبعة الفاسية، وشكله أكنسوس بضم الواو وسكون الغين شكل قلم ، كأنه جعله جمع واغر ، وفي « اللسان » : « الوغر احتراق الغيظ، ومنه قيل: في صدره علي وغر بالتسكين أي ضغن وعداوة وتوقد من الغيظ، والمصدر الوغر بالتحريك ، ويقال : وغر صدره عليه يوغر وغراً ووغر يغر إذا امتلأ غيظاً وحقداً ، وقيل : هو أن يحترق من شدة الغيظ ، وهو واغر الصدر علي » . أما رواية أبي تمام في الحماسة فهي هكذا : « قرحى القلوب » .

(26) في المخطوطات الثلاث وكذلك في الطبعة الفاسية : « الاقياد » بالقاف والياء وهو تصحيف صوابه : « الإفناد » بفاء ونون وهو رواية الحماسة ، وفسر المرزوقي الكلمة في شرحه على الحماسة فقال : « الإفناد بكسر الهمزة مصدر أفند الرجل إذا أتى بالفند وإذا روى : « الأفناد » بفتح الهمزة فهو جمع الفند ، وهو الفحش والخطأ في الرأي » .

(27) رواية الحماسة : « ذكر » بدل : « حسب » .

(28) في ح : « لأعدى » .

ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة (29) ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وفي معنى قولهم: القريب من تقرب—أي بوده—[لا] (30) من تنسب قول (31) الأعشى :

لا تطلبن (32) الود من متباعد ولا تنأ (33) من ذي بغضة إن تقربا

فإن القريب من يقرب نفسه لعمر أبيك الخير لا من تنسبا

وفي الحض على الصبر في المواطن (34) قول عمرو (35) بن الإطنابة :

---

(29) في الأصل : « رقيبة » بقاف ومثله في س وذلك ما في صلب ك ، ولكن ناسخها كتب بخط يده على طرتها كلمة : « غنيمة » كبديل منها ، أما ح ففيها : «غنيمة»، ولفظ : « رقيبة » غير ذي معنى في سياق الشعر ، وهو ليس سوى تصحيف صوابه : « رغيبة » بغين معجمة كما هو في ديوان عروة ، وكما جاءت به رواية أبي تمام في « حماسته » ، وفسر صاحب «القاموس» الرغيبة فقال : « الرغيبة الأمر المرغوب فيه والعطاء الكثير » وجاء في « أساس البلاغة » : « إنه لوهوب للرغائب ، وهي نفائس الأموال التي يرغب فيها ، الواحدة رغيبة » .

(30) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه رواية عن ك و س و ح .

(31) البيتان من قصيدة له في الديوان وقبلهما :

سأوصي بصيراً إن دنوت من البلى وصاة امرىء قاسى الأمور وجربا

(32) فيه الخرم وهو سقوط أول الوتد المجموع من أول البيت .

(33) رواية هذا العجز في الطبعة الفاسية هكذا :

ولا تأمنن ذا بغضة إن تقربا

(34) في ك : « الأوطان » بدل : « المواطن » .

(35) هو عمرو بن عامر بن زيد مناة الخزرجي ، قال عنه المرزباني في «معجم الشعراء» : « وكان أشرف الخزرج ، وهو شاعر ، فارس معروف قديم ، خرجت الخزرج معه وخرجت الأوس وأحلافها مع معاذ بن النعمان في حرب كانت بين الأوس والخزرج »، والإطنابة أمه والكلمة بكسر الهمزة وسكون الطاء ، وفسر الجوهري معناها في « صحاحه » بمادة « طنب » فقال : « الإطنابة : المظلة والإطنابة سير يشد على طرف وتر القوس العربية » . والأبيات في « عيون الأخبار » (1 : 126) وفي « كامل المبرد » (3 : 274 – 275 طبعة صبيح) وفي « أمالي القالي » (1 :258) وفي « ديوان المعاني » (1 : 104) وفي « حماسة البحتري » وهو أول المختارات فيها .

أبت لي همتي وأبى بـــلائي | وأخذ(36) الحمد بالثمن الربيح
وإقدامي على المكروه نفسي | وضربي هامة البطل المشيح(37)
وقولي كلما جشأت(38) وجاشت | مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عـــن مآثر صالحات | وأحمي بعد عن عرض صحيح

وقد حكي عن معاوية رضي الله عنه أنه قال : دعوت بفرسي يوم صفين لأنصرف لاشتداد الأمر فما نفعني إلاّ أبيات عمرو المذكورة ذكرتهـــا فصبرت (39) .

---

(36) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، وكذا هو في صلب س ولكن أكنسوس كتب على طرتها بخطه : وأخذي « مضافاً إلى ياء المتكلم ، وهذا ما جاء في ح وهي الرواية المعروفة في البيت كما هو في مراجعه .

(37) في « أساس البلاغة » للزمخشري : « رجل مشايح ومشيح وشح : جاد حذر ، ويقال : أشاح منه وشايح : حذر ، وأشاح في الأمر وشايح : جد ، وعامل مشيح : جاد مواظب على عمله » .

(38) في الأصل : « جاشت » وهو خطأ صوابه : « جشأت » بشين بعدها همزة كما هي الرواية المعروفة في البيت وفي « صحاح الجوهري » : « جشأت نفسي جشوءاً إذا نهضت إليك ، وجاشت من حزن أو فزع » . وقال الزمخشري في « أساس البلاغة » : « جشأت نفسه من شدة الفزع والغم إذا نهضت إليه وارتفعت ،قال عمرو بن الاطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت .... البيت

وتقول : إذا رأى طرة من الحرب نشأت ، جاشت نفسه وجشأت » .

(39) جاء في « مجالس ثعلب » (القسم الأول ص 66 – 67) بتحقيق عبد السلام هارون هذا الخبر الغريب : « كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد : « إذا جاءك كتابي فأوفد إلي ابنك عبيد الله » فأوفده عليه فما سأله عن شيء إلا أنفذه ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئاً ، قال : ما منعك من روايته ؟ قال : كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري ، قال : اغرب ، والله لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين مراراً ، ما يمنعني من الانهزام إلا أبيات ابن الإطنابة حيث يقول :

أبت لي همتي وأبى بلائي .... الأبيات

وكتب إلى أبيه : أن روه الشعر ، فما كان يسقط عليه منه شيء » .

ونحوها <قول> (40) قطري بن الفجاءة (41) :

أقول لها وقد طارت شَعاعاً (42) من الأبطال : ويحك لن تراعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كلّ حيّ وداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

وفيمن يسعى لما فيه هلاكه ولا يعلم قول الآخر :

وكم من طالب يسعى لأمر وفيه هلاكه لو كان يدري

[(43) ومثله قول الآخر :

وكم طالب أمراً وفيه حمامه وسائرة تسعى إلى ما يضيرها

---

(40) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(41) هو قطري بن الفجاءة المازني من رؤوس الخوارج وهو فارس وشاعر وخطيب مات مقتولا سنة 78 هـ .

والأبيات في « الحماسة بشرح التبريزي » (1 : 96 – 97) وفي « العقد الفريد » (1 : 105) « وأمالي المرتضى » (1 : 636 – 637) « وبهجة المجالس » (1 : 470) « ولباب الآداب » (224) « ونهاية النويري » (3 : 227) وأوردها الخلكاني في « الوفيات » (3 : 250) وقال بشأنها : « وهي تشجع أجبن خلق الله ، وما أعرف في هذا الباب مثلها ، وما صدرت إلا عن نفس أبية وشهامة عربية » .

(42) هو بفتح الشين يقال : رأي شعاع أي متفرق ، ونفس شعاع أي مضطربة لا تهتدي لوجهة ، ولا تستقر على حال ، قال الزمخشري في « الأساس » : «نفس شعاع : تفرقت هممها وآراؤها فلا تتجه لأمر حزم قال يخاطب نفسه :

فقدتك من نفس شعاع ألم أكن نهيتك عن هذا وأنت جميع »

(43) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ، وكتبه ناسخ الكتانية بخطه لحقاً على طرتها ، وهو وارد في الطبعة الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

ومثله قول الآخر :

كم شارب عسلاً فيه منيّتُه   وكم تقلد سيفاً من به ذُبحا

ومثله قول أبي العتاهية (44) :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه   وينجو بإذن الله من حيث يحذر

ومن المعنى قول عدي بن أبي الصلت :

تجري الأمور على حكم القضاء ، وفي   طي الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرّني مـــا بت أحذره   وربما ساءني ما بت أرجوه] (45)

وفي التشكي من فناء الأهل والأحبة قول ابن هرْمة (46) :

ما أظن الزمان يا أم عمرو   تاركاً إن هلكت من يبكيني

ويقال : إنه حين مات لم ير أحد خلف جنازته ، وإنما رفعها عبيد له .

وفي احتقار <السفيه> (47) واللئيم وما يصدر منه قول الآخر :

---

(44) البيت في ديوانه ، وقبله ثلاثة أبيات تقول :

لعمر أبي لـــو أنني أتفكـــر   رضيت بما يقضى علي ويقدر
توكل على الرحمان في كل حاجة   أردت فإن الله يقضي ويقـــدر
متى ما يرد ذو العرش أمراً بعبده   يصبه ، وما للعبد ما يتخير

(45) هنا انتهت الاضافة التي نبهنا عليه آنفاً .

(46) ترجمه البغدادي في « الخزانة » (1 : 424) فقال : « هو أبو إسحاق إبراهيم ابن هرمة بفتح الهاء وسكون الراء المهملة ابن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة ، كان من مخضرمي الدولتين ، وكان مولده سنة سبعين ووفاته في خلافة الرشيد » . وقال عنه القتيبي في « الشعر والشعراء » (2 : 729) : « حدثني عبد الرحمان عن الأصمعي أنه قال : ساقة الشعراء : ابن ميادة ، وابن هرمة ، ورؤبة ، وحكم الخضري ، ومسكين العذري » .

(47) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

وما كل كلب نابح يستفزني ولا كلما طن الذباب أراع (48)

ونحوه في التنبيه على كثرتهم وأنه لا ينبغي الاحتفال بهم قول الآخر :

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

وقول الآخر :

أو كلما طن الذباب زجرته إن الذباب إذن عليّ كريم (49)

[(50) آخر :

اذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل (51)

آخر (52) :

نجا بك عرضك منجى الذباب حمته مقاذيره (53) أنْ ينالا (54)

---

(48) البيت في مجالس ثعلب (2 : 345) في طبعة الذخائر برقم (1) وهو في كتاب أبيات الاستشهاد لابن فارس ص 142 ضمن المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات ، وهو في محاضرات الراغب (1 : 135) وهو في كل هذه المصادر غير منسوب .

(49) البيت أنشده ثعلب في مجالسه (2 : 345) وهو فيها غير منسوب .

(50) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ، وهو في ك و ح فأضفناه رواية عنهما .

(51) البيت لمسلم بن الوليد ، وقبله :

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

(52) هو إبراهيم بن العباس الصولي ، وقبله :

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق يميناً وأرعد شمالا

والبيتان منسوبان إليه في «ديوان المعاني» (1 : 179) وفي « أمالي المرتضى » (1 : 488) وهما في ديوانه المطبوع ضمن مجموعة الميمني المعروفة باسم الطرائف الأدبية .

(53) في ك و ح معاً : « مقادره » بدال مهملة ، وهو تصحيف صوابه بذال معجمة ، والمقاذر جمع مقذور الذي هو اسم مفعول من قولك : قذرت الشيء أقذره من باب تعب إذا كرهته وعفته .

(54) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها قريباً .

وفي فعل الحاسدين من نشر المساوي ودفن المحاسن [قول] (55) الآخر (56) :

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا   سراً أذيع وإن لم يسمعوا كذبوا

ونحوه قول الآخر (57) :

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به   وإن ذكرت بسوء عندهم أذِنوا (58)

وفي بيع ما يضن (59) به عند الحاجة قول الآخر :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك   كرائم من رب بهن ضنين (60)

---

(55) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

(56) هو طريح بن إسماعيل الثقفي ، والبيت منسوب إليه في « عيون الأخبار » (2 : 28) وفي « كامل المبرد » (2 : 224) .

(57) هو قعنب بن أم صاحب إضافة إلى أمه ، واسم أبيه ضمرة ، من شعراء الدولة الأموية ، والبيت واحد من ثلاثة أبيات أوردها أبو تمام في حماسته ، ومن قبله بيت يقول :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً   مني وما سمعوا من صالح دفنوا

ومن بعده بيت هو :

جهلا علينا وجبناً عن عدوهم   لبئست الخلتان الجهل والجبن

(58) في الأصل : « اذن » مشكولة بقلم الناسخ شكلا تقرأ به كالواحدة من الآذان ، وكذلك كتبها وشكلها ناسخ الكتانية ، والصواب فيها : « أذنوا » بصيغة الفعل الماضي موصولا بواو الجماعة ، وهو بمعنى استمعوا ، قال الفيومي في « مصباحه » : « أذنت للشيء من باب تعب استمعت » . وفي « أساس البلاغة » : « حدثته فأذن لي أحسن الأذن » . وجاء في الحديث عن الرسول عليه السلام : « ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن » .

(59) في ك : « يظن » بظاء مشالة وهو تصحيف .

(60) في « عيون الأخبار » ج 1 ص 337 حكاية عن البيت تقول : « باع أعرابي ناقة من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه ثم قال :

وقد تنزع الحاجات يا أم معمر   . . . . البيت   =

] (61) وقال أبو علي الحداد :

قالت : وأبدت صفحة كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر ، وهي آ خر ما يباع من المتاع
لا تعجبي ممـا رأيـ ت فنحن في زمن الضياع

ونحو ذلك قول ابن الحاجب (62) لما ورد مصر :

= فقال له مالك : خذ ناقتك ، وقد سوغتك الثمن » وفي « ذيل الأمالي » ص 191 خبر آخر هذا نصه : « قال التميمي : أنشدنا أبو مسلمة الكلابي وقد باع جاريته نبأ من عثمان بن سحيم التاجر ، فقال له بعض أصحابه : يا أبا مسلمة ، بعت نبأ فقال :

وقد تخرج الحاجات .... البيت

فبلغ أبا مصعب فاشتراها وردها على أبي مسلمة » . وحكى ياقوت في « إرشاده » (12 : 228) وهو يترجم أبا الحسن علي بن أحمد الفالي قال : « حدث أبو زكرياء التبريزي قال : « رأيت نسخة لكتاب الجمهرة باعها أبو الحسن الفالي من القاضي أبي بكر ابن بديل فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها :

أنست بها عشرين حولا وبعتها فقد طال شوقي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية صغار عليهم تستهل شئوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة مقالة مشوي الفؤاد حزين :
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنين

فأريت القاضي الرقعة فتوجع وقال : لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه وكان الفالي قد مات » والفالي هذا يقرأ بالفاء لا بالقاف .

(61) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية بخطه لحقاً على طرتها ، وهو وارد في الفاسية ، فأضفناه رواية عنهما .

(62) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الأسنائي (570 – 646 هـ) المعروف بابن الحاجب والملقب جمال الدين ، قال عنه ابن كثير في « البداية والنهاية » (13 : 176) : « اشتغل بالعلم ، فقرأ القراءات ، وحرر النحو تحريراً بليغاً ، وتفقه ، ثم كان رأساً في علوم كثيرة ، وكان من أذكى الأئمة قريحة ، وكان ثقة حجة =

يا أهل مصر وجدت أيديكم عن بسطها للنوال منقبضه
لما عدمت الغـذا بأرضكم أكلت كتبي كأنني أرضه(63)
وصرت لمـا حللت واديكم كجملةفي الكلام معترضه] (64)

وفي قساوة القلب قول مهلهل بن ربيعة :

يبكى علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

وفي اتباع ما تيسر ، وترك ما تعسر ، قول الأعشى (65) :

إذا حاجة ولتك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبق

ونحوه قول عمرو بن معد يكرب (66) :

= متواضعاً عفيفاً كثير الحياء منصفاً محباً للعلم وأهله ناشراً له ، « ومختصره » في الفقه من أحسن المختصرات ، انتظم فيه فوائد ابن شاش ، « ومختصره» في أصول الفقه استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي ، وله شرح«المفصل»،و«الأمالي»في العربية ، و« المقدمة» المشهورة في النحو ، اختصر فيها « مفصل الزمخشري » وشرحها ، وله « التصريف » وشرحه ، وله « عروض على وزن الشاطبية » .

(63) في « حياة الحيوان » للدميري : « الأرضة بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة دويبة كنصف العدسة تأكل الخشب ، وهي التي يقال لها السرفة ، وهي دابة الأرض التي ذكرها الله في كتابه » . وفي « عجائب المخلوقات » للقزويني : « الأرضة دودة بيضاء تبني على نفسها أزجاً شبه دهليز خوفاً من عدوها كالنمل وغيره ، ولها مشفران حادان تثقب بهما الحجارة والآجر » .

(64) هنا انتهت الزيادة التي نقلناها عن ك و ح ، والتي نبهنا عليها سابقاً .

(65) البيت من قصيدته القافية في مدح المحلق ، وهي في ديوانه .

(66) البيت من قصيدة له مطلعها :

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحـابي هجوع

واقرأها في الأصمعيات (172 – 178) .

إذا لم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

وقد سبق إليه امرؤ القيس في قوله (67) :

وخير ما رمت ما ينال

وفي التحذير من فعل السوء مخافة المكافأة قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل(68) فوق جهل الجاهلينا

أي فنعاقبه ، فسمى المجازاة على الجهل جهلاً كقوله تعالى : (الله يستهزىء بهم) .

وفي التشكي من قلة الإخوان الصادقين (69) قول امرىء القيس :

إذا قلت : هذا صاحب قد رضيته   وقرت به العينان بدلت آخرا

كذلك جدّي ما أُصاحب صاحباً   من الناس إلاّ خانني وتغيّرا

وأخذ الشعراء هذا المعنى كثيراً كقول الأندلسي (70) :

وزهدني في الناس معرفتي بهم   وطول اختباري صاحباً بعد صاحب

---

(67) هو مصراع بيت من قصيدة له يقول في أولها :

عيناك دمعهما سجال   كأن شأنيهما أوشال

أو جدول في ظلال نخل   للماء من تحته مجال

من آل ليلى وأين ليلى   وخير ما رمت ما ينال

وهي في ديوانه في سلسلة الذخائر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(68) كتب أكنسوس هنا بخط يده على طرة مخطوطته ما لفظه بالحرف : « المراد بالجهل هنا الفحش والسفه لا ما يقابل العلم، قاله ابن عبد السلام البناني في شرح الاكتفاء .

(69) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك ففيها . « المتصادقين » وأما ح ففيها « الصديقين » .

(70) هو المعتصم بن صمادح صاحب المرية .

فلم ترني الأيـــام خلاً تسرني مباديه إلاّ ساءني في العواقب
ولا قلت : أرجوه لدفع ملمّة من الدهر إلاّ كان إحدى المصائب

[(71) وذكر عن ابن العباس النيسابوري أنه قال : لو صحت صلاة بغير قراءة القرآن لصحت بهذا البيت (72) :

أتمنى عـــلى الزمـــان محالاً أن ترى مقلتاي وجنة حر

ويحكى أن علوية غنى بين يدي المأمون بن الرشيد — رحمهم الله — :

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه
يوافقني في كلّ أمر أرومه ويغفر ذنبي إن أسأت إليه

فقال المأمون : أعطوني هذا الصاحب وخذوا نصف الخلافة ، والشعر لأبي العتاهية .

ولابن حمديس من قصيدة (73) :

---

(71) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن مخطوطة أكنسوس ، وهو في الكتانية ، كتبه ناسخها بخطه على ورقة إضافية ، ونبه في طرته على ذلك بما لفظه بالحرف : « انظر بعد هذا الورقة الملتصقة بمتنه ، فإن ما فيها متصل به حسبما ما في نسخة غير هذه » . وهو وارد في الطبعة الفاسية فأضفناه نقلا عنهما .

(72) هو لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالبديهي، شاعر عباسي ، كان يعيش في القرن الرابع الهجري ، ويقال : إن البديهي على كثرة شعره لم يستحسن له العارفون بالشعر إلا هذا البيت ، وقبله :

رب ليـــل قطعته باجتماع مع بيض من الأخلاء غـــر
وكأن الكؤوس زهر نجـــوم والثريا كأنها عقد در
مر من كنت أصطفيه وللدهـ ـر صروف تشوب حلواً بمر

(73) البيتان لا يوجدان في ديوانه المطبوع ببيروت سنة 1960 بتحقيق الدكتور إحسان عباس .

فلا ترج من دنياك خيراً وإن يكن فما هو إلاّ مثل ظلّ سحاب
وما الحزم كل الحزم إلاّ اجتنابها وأشقى الورى من تصطفي وتحابي

ولغيره :

وإخوان وثقت بهم فأضحى أذاهم يعتريني كلّ حين
فلما أن أسأت الظنّ كفوا فيا عجباه من ظن يقيني

طرفة :

كل خليل كنت خاللتــــه لاترك الله له واضحه (74)
كلهـــم أروغ مـــن ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه (75) !

غيره (76) :

وكنت أخي بـــإخـــاء الزمـــان فلما انقضى صرت حرْباً عوانا (77)

---

(74) في « صحاح الجوهري » : « الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك ، قال طرفة :
كل خليل .... البيت »

(75) في أمثال الميداني: « ما أشبه الليلة بالبارحة أي ما أشبه بعض القوم ببعض يضرب في تساوي الناس في الشر والخديعة ، وتمثل به الحسن رضي الله عنه في بعض كلامه للناس وهو من بيت أوله :
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه !
وإنما خص البارحة لقربها منها فكأنه قال : ما أشبه الليلة بالليلة يعني أنهم في اللؤم من نصاب واحد » .

(76) هو إبراهيم بن العباس الصولي ، والبيتان في ديوانه المودع في مجموعة الميمني المسماة « بالطرائف الأدبية » ومعهما بيت يتوسطهما هذا نصه :
وكنت أذم إليــك الزمان فقد صرت فيك أذم الزمانا

(77) العوان من الحروب هي التي قوتل فيها مرة بعد أخرى فتطاول بقاؤها ، واشتد نكرها ، شبهوها بالعوان من النساء التي هي النصف ، وتصوروا أنها بدأت بكراً ثم ارتقت بها الحال فصارت عواناً .

وكنت أعـــدّك للنـــائبـات فها أنا أطلب منك الأمـــانا

غيره :

فلا تغترّ مـــن خـــلّ ببشر ولا بتودد عند التـــلاقي
فكم نَبْتٍ نضير راق حسناً عياناً وهو مُرٌّ في المـذاق

غيره :

قدكان ما كان وانقضى ومضى (م77) وقد طويت بساطاً كنت ناشره
لما رأيتك لا تبقي على أحد فكيف أحسد بعدي من تعاشره

وقال سعيد بن حميد من أبيات :

وما أنت إلاّ كالزمان تلونت نوائب من أحداثه وأمور
فإن قل إنصاف الزمان وعدلُه فمن ذا على جور الزمان يُجير ؟

وقال جحظة (78) :

ضاقت عليّ وجوه الرأي في نفرٍ يلقون بالجحد والكفران إحساني
قلّب الطرف تصعيداً ومنْحَدَراً فما أقابل إنساني بـــإنســـان

وقال :

وإذا جفـــاني صـــاحب لم أستجز ما دمت قطْعَهْ

(م77) خرج هذا الشطر إلى البحر السريع مع أن البيتين من البسيط .

(78) ترجمه الخلكاني في «وفياته» (ج 1 ص 115 – 119) فقال : «أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة البرمكي النديم ، كان فاضلا صاحب فنون ، وأخبار ، ونجوم ، ونوادر ، ومنادمة ، وكان من ظرفاء عصره ، وله ديوان شعر أكثره جيد ، وتوفي سنة ست وعشرين وثلثمائة» .

وتركتـــــه مثـــــل القبو ر أزورها في كل جمعه] (79)

وفي التفجع على الشباب قول حميد بن ثور الهلالي (80) :

ليـــاليَ أبصار الغـــواني وسمعها إليّ وإذْ ريحي لهـــنّ جنوب
وإذ شَعَري ضافٍ ولوْني مُذْهَب وإذْ ليَ في ألبـــابهنّ نصيب
فـــلا يبعد الله الشّباب وقولنا إذا ما صبونا صَبْوَةً سنتوب

[(81) وقال أبو الفضل الميكالي بل ابن الرومي :

يمضي الشباب ويبقى من لبانته شجو على النفس لا ينفك يشجيها
ما كان لي دون إعجاب النساء به والنفس أوجب إعجاباً لما فيها

وقال قتادة (82) في قوله تعالى (وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) يعني الشيب .

وقال المهلبي (83) :

صبغت الرأس ختلاً للغواني كما غطى على الرِّيب المُريب
أعلل مرّة وأساء أخـــرى ولا تحصى من الكبر العيوب
أسوّف توبتي خمسين حولاً وظني أن مثلي لا يتوب
يقَوَّمُ بالثِّقَافِ العُودُ لدْناً ولا يتقوَّمُ العُودُ الصليب

---

(79) هنا تنتهي الإضافة التي نبهنا عليها آنفاً .
(80) الأبيات من قصيدة في ديوانه المطبوع بتحقيق عبد العزيز الميمني .
(81) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن س و ح .
(82) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، تابعي جليل ، كان مفسراً فقيهاً عالماً بالشعر وأيام العرب ولد سنة 60 وتوفي سنة 118 هـ .
(83) هو أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي ، والأبيات منسوبة إليه في « كامل المبرد» ج 1 ص 129 طبعة علي صبيح 1347 هـ .

وكان مالك بن دينار (84) يقول : ما أشد فطام الكبير ، وقال آخر (85) :

دعي لومي ومعتبتي أماما فإني لم أعود أن ألاما
وكيف ملامتي إذْ شاب رأسي على خلق نشأت به غلاما

وقال محمود (86) للوراق في الخضاب :

يا خاضب الشّيب الذي في كلّ ثالثة يعود
إنَّ النُّصولَ إذا بدا فكأنّه شيب جديد
وله بديهةُ لَوْعَةٍ مكروهها أبداً عتيد
فدع المَشيب كما أرا د فلن يعود كما تريد (87)

وقال أيضاً في ذلك :

يا خاضب الشيبة نح فقدها فإنما تدرجها في كفن
أما تراها منذ عاينتها تزيد في الرأس بنقص البدن (88)

وحكي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على عبيد الله بن زياد فقال له عبيد الله

---

(84) هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري من العلماء العاملين الزهاد توفي سنة 131 هـ وقولته تلك في « كامل المبرد » (2 : 129) .

(85) البيتان في « كامل المبرد » (2 : 129) غير منسوبين .

(86) هو محمود بن حسن الوراق ، شاعر عباسي كان يميل إلى نحلة الاعتزال ، قال عنه الحصري في « زهر الآداب » : « وكان كثيراً ما ينقل أخبار الماضين وحكم المتقدمين فيحلي بها نظامه ، ويزين بها كلامه » . وتوفي الوراق في حدود الثلاثين والمائتين ، جمع أشعاره وحققها عدنان راغب العبيدي وصدر عمله هذا مطبوعاً ببغداد سنة 1969 م .

(87) الأبيات الأربعة في « كامل المبرد » (2 : 129 طبعة علي صبيح 1347 هـ) وفي « عيون الأخبار » (4 : 52 طبعة الهيئة المصرية للكتاب 1973 م) .

(88) البيتان في « كامل المبرد » (2 : 130 طبعة علي صبيح 1347 هـ) .

يهزأ به : يا أبا الأسود، إنك لجميل، فلو تعلقت تميمة ! ! فقال أبو الأسود(89) :

أفنى الشباب الذي أفنيت جدته   كَرّ الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما   شيئاً أخاف عليه لذْعة الحدق](90)

ونحوه قول محمد بن حازم (91) :

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها   من الشباب بيوم واحد بدل

وقول منصور النمري (92) :

ما كنت أوفي شبابي حق عزته   حتى مضى فإذا الدنيا لهُ تبع

[(93) وقال ابن الخطيب :

لما علاني الشيب قال صواحبي   لا نبتغي خلاً بثوب أشهب
فصبغته خوف الصدود فقلن لي :   هذا رواية أصبغ عن أشهب (94)

---

(89) البيتان مع الخبر في « كامل المبرد » (2 : 127) ومعهما الشرح التالي : « قوله : فلو تعلقت تميمة هي المعاذة يعلقها الرجل ، قال ابن قيس الرقيات :

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم   طفلة زانها أغر وسيم
يتقي أهلها العيون عليها   فعلى جيدها الرقى والتميم

وقوله : لذعة الحدق ، فهو من قولهم : لذعته النار إذا لفحته » والحكاية واردة أيضاً في « عيون الأخبار » ، وفي « عقد ابن عبد ربه » ، وفي « أغاني الأصفهاني » .

(90) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً .

(91) تقدمت ترجمته .

(92) سبق التعريف به .

(93) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو في ك و ح فأضفناه رواية عنهما .

(94) يوري ابن الخطيب هنا باسمي فقيهين شهيرين هما أشهب وأصبغ ، وفي الأول يقول الخلكاني في « الوفيات » (1 : 215) « أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي ثم =

وقال غيره (95) :

نظرت إليّ بطرف من لم يعدل   لما تمكن طرفها من مقتلي
لمـــا رأت شيباً ألمّ بمفرقي   صدت صدود مجانب متحمِّل
فجعلت أطلب وصلها بتملق   والشيب يغمزُها بأن لا تفعلي

وقال غيره :

أنـــاخ الشّيب ضيفـــاً لم أرِدْه   ولكن لا أطيق لـــه مَـــرَدّا
رداء للـــرّدى فيـــهِ دليـــل   تردى(96) من به يوماً تردى(97)

وقال غيره :

حلّ المشيب بعـــارضي ومفارقي   بئس القرين أراهُ غير مفـــارقي
رحل الشباب فقلت : قف لي ساعة   حتى أودع قال : إنك لاحقي

ويحكى (98) أن أبا دلف دخل على المأمون وعنده جارية فغمزها عليه

= الجعدي الفقيه المالكي المصري ، تفقه على الإمام مالك ثم على المدنيين والمصريين وانتهت الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم ، وكانت ولادته بمصر سنة 150 وتوفي سنة 204 » . وقال عن الثاني في « وفياته » (1 : 217) : « أبو عبد الله أصبغ بن الفرج بن سعيد الفقيه المالكي المصري تفقه بابن القاسم وابن وهب وأشهب وقال عبد الملك بن الماجشون في حقه : ما أخرجت مصر مثل أصبغ وتوفي سنة 225 » .

(95) في « شرح الشريشي» على«مقامات الحريري » (3 : 15) : « ولحبيب ويروى لأبي دلف : نظرت إلي بعين من لم يعدل . . . . الأبيات » .

(96) تردى هذه تفعل من الردى الذي هو الهلاك .

(97) تردى هذه بمعنى لبس الرداء .

(98) الحكاية واردة « بالعقد الفريد » (3 : 52) وجاءت أيضاً في « شرح الشريشي » على « المقامات » (3 : 15 – 16) .

فقالت له : شِبْتَ يا أبا دُلف ،فأعرض عنها ، فقال له المأمون: ألا تجيبها ؟ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال :

تهزأت إذ رأت شيبي فقلت لها : لا تهزئي من يطلْ عمرٌ به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة وشيبكنّ لكُنّ العارُ فاكتئبي
فينا لكُنّ وإن شَيْبٌ بدا أرَبٌ وليس فيكن بعد الشيب من أرب

غيره :

لا تخطرن إلى خِطءٍ ولا خطَأ من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا
فأي عذر لمن شابت مفارقُه إذا جرى في ميادين الهوى وخطا

وقيل : ظهور الشيب في الناصية كرم ، وفي القفا لؤم ، وفي الهامة وقار ، وفي الفودين شرف ، وفي الصدغين شح ، وفي الشاربين فحش] (99) .

وهذا الباب لا يأتي عليه الحصر ، فلنقتصر على هذا القدر .

واعلم أنه لا يزال علماء الأدب من لدن أدبرت العرب يختلفون في مقالة العرب بحسب (100) اختيار الأجود منه والأصدق والأفخر أو نحو ذلك (101) فنورد جملة مما وقع لهم في ذلك إمتاعاً والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(99) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً .
(100) في الفاسية : « فحسبنا » .
(101) في ك و س و ح : « أو الأصدق او الأفخر أو نحو ذلك » بأو بدل الواو .

[أشعر بيت قالته العرب]

حدثوا في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « أشعر بيت قالته العرب قول دريد ابن الصمة (1) :

قليل التشكّي للمصيبات ذاكر   من اليوم أعقاب الأحاديث في غد (2)

وقيل : قول أبي ذؤيب :

والنّفس راغبة إذا رغبتها   وإذا ترد إلى قليل تقنع

---

(1) هو دريد « بصيغة التصغير » ابن الصمة « بكسر الصاد » واسمه معاوية بن الحارث بن بكر من بني جشم فارس شاعر قتل مشركاً في غزوة حنين .

(2) البيت من قصيدة له مطلعها :

أرث جديد الحبل من أم معبد   بعاقبة وأخلفت كل موعد

قالها في رثاء أخيه أبي دفافة عبد الله وكان أغار على غطفان فاستاق أموالهم فتعقبوه وهو راجع فقتلوه . والقصيدة في مجموعة « الأصمعيات » (ص 105 – 110) في طبعة دار المعارف ، وفي « جمهرة أشعار العرب » للخطابي (2 : 581 – 591) وقد وضعها الخطابي ضمن السبع المجمهرات وهي عنده في 37 بيتاً ، واختار أبو تمام جملة أبيات منها في « حماسته » وأورد الأصفهاني طائفة من أبياتها في « أغانيه » (10 : 7 – 9) طبعة الدار ، وقد فسر المرزوقي في « شرحه » على « الحماسة » (2 : 819) معنى هذا البيت فقال : « يريد بقوله : قليل التشكي نفي أنواع التشكي كلها عنه ، وعلى هذا قوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) والمعنى أنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته ، والمصائب تتجدد عليه في ذويه وعشيرته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده ، فهو نقي الأفعال من العيوب ، طيب الأخبار في أفواه الناس » .

وقيل : قول زهير :

فلما وردن المـــاء زُرْقاً جمامُه وضعن عصيّ الحاضر المتخيم (3)

وقيل : قول الآخر (4) :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد (5)

وقيل : قول لبيد :

---

(3) فسره أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في « شرحه » على « القصائد السبع الطوال » (ص 251) بتحقيق عبد السلام هارون (سلسلة الذخائر برقم 35) فقال : « يقال : ماء أزرق : إذا كان صافياً ، والجمام قال الأصمعي : يقال للماء إذا خرج من عيونه فارتفع في البئر : قد جم يجم جموماً ، ويسمى الماء نفسه جماً ويقال : استق لي من جم بئرك ، ويقال : بئر جموم أي سريعة رجوع الماء ، وقوله : « زرقاء » معناه : لم يورد قبلهن فيكدر ، فهو صاف ، وقوله : « وضعن عصي الحاضر المتخيم » معناه أقمن كما يطرح الذي لا يريد السفر عصاه ، ويقيم ، ويقال للرجل إذا أقام: ألقى عصا التسيار ، والمتخيم يريد الذي يتخذ خيمة ، وهي أعواد تنصب وتجعل لها عوارض فتظلل بالثمام ، ويكون في جوانبها خصائص فيدخل منها الريح في القيظ ، فهي أبرد من الأخبية ، وزرقا منصوب على الحال من الماء ، والجمام رفع بمعنى « زرق » .

(4) هو دريد بن الصمة الذي عرف به قريباً .

(5) البيت من المجمهرة التي سبق القول فيها آنفاً وهو الآخر من أبياتها ، والبيت فسره المرزوقي في « شرحه » على « الحماسة » (2 : 221) فقال فيه ما يأتي : « يجوز أن يكون صبا الأول من الصبا واللهو ، وصبا الثاني من الصباء بمعنى الفتاء ، فيكون المعنى : تعاطى اللهو والصبا ما دام صبياً ، فلما اكتهل وظهر في رأسه الشيب فاشتمل نحى الباطل عن نفسه زهداً فيه ورجوعاً إلى الحق ورغبة فيما يكسبه الأحدوثة الجميلة من أبواب الصلاح والجد ، ويجوز أن يكون المعنى : تعاطى الصبا ما تعاطاه إلى أن علاه المشيب ، فيسقط التجنيس من البيت وهو يحسن به ، وما صبا في موضع الظرف على الوجهتين جميعاً ، أي مدة الأمرين ، وحتى للغاية ، وقوله : ابعد من بعد يبعد إذا هلك ولو أراد البعد لقال : ابعد بضم العين » .

واكـــذب النّفس إذا حدثتهـــا إن صدق النفس يزري بالأمل (6)

وقيل : قول امرؤ القيس (7) :

ألا يا لهفَ هندٍ إثْرَ قومٍ هم كانوا الشفاء فلم يصابوا(8)
وقاهُمْ جَدُّهُم ببني أبيهِم وبالأشقيْن ما كان العقاب (9)
وأفلتهنَّ عِلْبـــاءٌ جريضاً ولوْ أدركنه صَفِرَ الوِطاب(10)

وقيل : بل قوله :

---

(6) قيل لبشار : ما هو أشعر بيت ؟فقال : إن تفضيل بيت واحد على سائر الشعر لشديد ، ولكن أحسن أخو عامر حيث يقول : ثم أنشد هذا البيت .

(7) الأبيات في ديوانه المطبوع في سلسلة الذخائر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف سنة 1964 م وقبلها هذا التقديم « وقال حين غزا بني أسد فأخطأهم وأوقع ببني كنانة وهو لا يدري » .

(8) فسر الأعلم الشنتمري هذا البيت فقال ما نصه : « قوله : « كانوا الشفاء » يعني أن الذي كان يشفيه مما يجد بقتل أبيه قتل بني أسد ، فوضع السلاح في كنانة وهو يرى أنهم بنو أسد فتلهف ألا يكون أدرك بني أسد » .

(9) قال الأعلم في تفسير هذا البيت ما لفظه : « قوله : « وقاهم جدهم ببني أبيهم » الجد الحظ والبخت ، يقول : وقى بني أسد جدهم وبختهم بقتل بني عمهم كنانة، وأراد « وبالأشقين كان العقاب » وأدخل ما صلة وحشواً ، ويجوز أن يكون ما مع الفعل بتأويل المصدر على تقدير : وبالأشقين كون العقاب » .

(10) شرح الأعلم هذا البيت فجاء فيه ما يأتي : «علباء هذا قتل أبا امرىء القيس ، وهو علباء ابن الحارث الكاهلي ، وقوله : « وأفلتهن» يعني الخيل والجريض الذي يغص بريقه عند الموت ، وقوله « صفر الوطاب » . أي هلك فخلا جسمه من روحه كما يخلو الوطاب من اللبن ، وقيل المعنى انه يقتل فتصفر وطابه أي تخلو ويذهب لبنها فلا يكون له لبن لأنه إذا مات فلا شيء له من ماله » .

اللهُ أنجَحُ ما طلبْتَ بـــه والبِرّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ

وقوله أيضاً :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلَّبِ

لله الأمر من قبل ومن بعد

[أحسن بيت قالته العرب]

وأحسن بيت قالته العرب قول كعب (1) بن زهير في النبي صلى الله عليه وسلم :

تحملهُ الناقةُ الأدماءُ معتجراً (2) بالبُرْدِ كالبدر جلّى ليلة الظلمِ
وفي عِطافَيْهِ أو أثناء بردته (3) ما يعلم الله من دين ومن كرم

---

(1) في « زهر الآداب » للحصري (2 : 1090) بتحقيق علي محمد البجاوي ما نصه بالحرف : « وأصدق بيت قالته العرب وأمدحه قول كعب بن زهير في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تحمله الناقة الأدماء معتجراً . . . . البيتين

قال الأصمعي : والجهال يروون هذا البيت لأبي دهبل ، واسمه وهب بن ربيعة في عبد الله ابن عبد الرحمان الأزرق والي اليمامة ، والصواب ما ذكرناه ، وهو بصفات النبي صلى الله عليه وسلم أعلق ، وبمدحه أليق » . والبيتان لا يوجدان في ديوانه المطبوع .

(2) في « مصباح الفيومي » : « المعجر بوزن مقود ثوب أصغر من الرداء تلبسه المرأة ، واعتجرت المرأة لبست المعجر ، وقال المطرزي : المعجر ثوب كالعصابة تلفه المرأة على استدارة رأسها ، وقال ابن فارس : اعتجر الرجل لف العمامة على رأسه » وفي « أساس البلاغة » للزمخشري : « وخرجن معتجرات أي مختمرات بالمعاجر ، وهو حسن المعتجر ، وهو الاعتمام » .

(3) كذا هو في صلب الأصل ، وفي هامشه بخط ناسخه : « ريطة » عليها حرف خاء إشارة إلى مخطوطة أخرى ، وفي ك و س و ح : « ريطة » بدل : « بردة » والريطة فسر معناها الفيومي في « المصباح» فقال: « الريطة بالفتح كل ملاءة ليست لفقين أي قطعتين ، والجمع رياط مثل كلبة وكلاب وريط أيضاً مثل تمرة وتمر ، وقد يسمى كل ثوب رقيق ريطة » .

وقيل : قول الآخر (4) فيه صلى الله عليه وسلم :

فشَقّ له من اسمه ليُجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل : أحسن ما قالته العرب قول الفقيمي (5) :

---

(4) هو حسان بن ثابت ، والبيت من قطعة له في ثمانية أبيات ، وهي في ديوانه بتحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين طبعة القاهرة سنة 1974 . وفي « خزانة البغدادي » (1 : 224 – 228) بتحقيق عبد السلام هارون كلام يتعلق بهذا البيت ننقل منه إلى القارىء ما يأتي : « هو أول أبيات ثمانية مدح بها نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، والصواب في روايته « شق له من اسمه » بدون واو فإنها للعطف ، ولم يتقدم شيء يعطف عليه ، لكن يبقى الشعر مخروماً ، والخرم جائز عندهم ، وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة عبارة عن حذف أول الوتد المجموع في أول البيت ، كما أن ضمير « له » راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومفعوله محذوف أي شق له اسماً من اسمه واسم الله تعالى المشقوق منه : محمود بمعنى أن الحمد لا يكون إلا له ، ولا يقع إلا عليه ، فأراد تبارك وتعالى أن يشرك نبيه في اسم من هذا الوصف تعظيماً له صلى الله عليه وسلم فسماه محمداً » . ثم قال البغدادي بعد إنشاد الأبيات الثمانية التي منها البيت ما نصه : « كذا في ديوانه من رواية أبي سعيد السكري ، ورأيت في « المواهب اللدنية » قال مؤلفه : ثم إن في اسمه محمد خصائص منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وعلى هذه الرواية فالواو للعطف ، وفاعل شق ضمير الإله ، والضمير في له راجع للنبي » اه من الخزانة .

(5) في « صحاح الجوهري » : « فقيم حي من كنانة ، والنسبة إليهم فقمي مثل هذلي » . وفي « تاج العروس » : « والنسبة إلى فقيم بطن من كنانة فقمي كعرني بضم العين وفتح الراء وكسر النون ، والنسبة إلى فقيم دارم فقيمي على القياس » . وفي « لباب ابن الأثير » (2 : 437 – 438) : « الفقيمي بضم الفاء وفتح القاف وسكون الياء تحتها نقطتان وفي آخرها ميم هذه النسبة إلى فقيم بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وقيل: فقيم بن جرير بن دارم بطن من تميم ينسب إليه كثير » . وفي « اشتقاق =

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلاّ بما تجـــد

وقول المرقش (6) :

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغْوِ لا يعدم على الغي لائما (7)

وقول الآخر :

ألا عائـــذ بالله من عـــدم الغنى ومن رغب (8) يوماً إلى غير راغب

لله الأمر من قبل ومن بعد

= ابن دريد » (ص 244) بتحقيق عبد السلام هارون : « وليس في بني فقيم بن جرير رجل يذكر» ولم نوفق إلى معرفة شاعر بنسبة الفقيمي هذه ولكننا عرفنا راجزاً ينسب بالفقيمي ، وهو دكين بن رجاء الفقيمي المترجم في « الشعر والشعراء » (2 : 592 – 595) وفي « إرشاد الأريب » لياقوت (11 : 113 – 117) .

(6) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ويقال : إن اسمه عمرو ابن حرملة بن سعد بن مالك ، وهو خال طرفة بن العبد ، والمرقش الأكبر عمه ، واسم المرقش الأكبر عمرو بن سعيد بن مالك ، والمرقش لقب عليهما معاً ، والمرقشان كلاهما شاعر جاهلي ، وكان كلاهما فارساً شجاعاً ، وهما معاً من عشاق العرب المتيمين ، وحرف المرقش في الكتانية فكان الرقشي ، وحرف في الفاسية فصار المرقشي بياء في الآخر .

(7) البيت من قصيدة في « المفضليات » (244 – 247) في أربعة وعشرين بيتاً ، ومطلعها :

ألا يا اسلمي لا صرم لي اليوم فاطما ولا أبداً ما دام وصلك دائما

(8) في ك و ح : « رغبة » .

[أصدق بيت قالته العرب]

وأصدق بيت قالته العرب قول الشاعر :

وما حملت من ناقة فوق رحلها (1) أبَرَّ وأوفى ذمة من محمد

وقيل : قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقيل : قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العُرف بين الله والناس

وقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزود

[(2) وكان صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول : « ويأتيك من لم تزوده بالأخبار » . ويقول عليه السلام : التركيب أو المعنى واحد ، فيقول أبو بكر رضي الله عنه : أشهد أنك رسول الله ، وقد قال الله تعالى : (وما علمناه الشعر) رجع] (3) .

---

(1) في الفاسية « كورها » بدل : « رحلها » والكور بالضم الرحل بأداته .

(2) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وهو وارد في الطبعة الفاسية ، وكتبه ناسخ الكتانية بخطه لحقاً على الطرة فأضفناه رواية عنهما .

(3) هنا انتهت الاضافة التي نبهنا عليها آنفاً .

وقيل : قول امرىء القيس :

الله أنجح ما طلبت بــــه   والبر خير حقيبــة الرحل

واعلم أن هذا الخلاف في هذه الأبيات وكذا في هذه التراجم ليس اختلاف تناقض ، فإنها كلها صحيحة ، وإنما ذلك أن كلاً يتكلم بما عرف أو بما حضر في فكره فافهم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[أكذب بيت قالته العرب]

أكذب بيت قالته العرب قول (1) الأعشى :

لو أسندت مَيْتاً إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قـابر
حتّى يقول الناس ممّا رأوْا يا عجبا للمَيِّتِ النـاشر

وقيل : قول مهلهل (2) :

فلولا الريح أسمع مـن بنجد صليل البَيْض تُقرع (3) بالذكور

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(1) البيتان من قصيدة في ديوانه مطلعها :

شاقتك مـن قيلـة أطلالها بالجزع فالشط إلى حـاجر

وهو قالها يفضل فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة حين تنافرا .

(2) في الكتانية : « المهلب » بدل : « مهلهل » وهو تحريف .

(3) في الكتانية : « تصرع » بالصاد وهو تصحيف .

[أنصف بيت قالته العرب]

أنصف بيت قالته العرب قول (1) سيدنا حسان رضي الله عنه :

أتهجوه ولست لـه بكفءٍ   فشرّكما لخيرِكما الفـداء

ومن ذلك قول الآخر (2) :

بكلّ قرارةٍ منّا ومنهم (3)   بنانُ فتىً وجمجمةُ فليقُ

(1) البيت من قصيدة له مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء   إلى عذراء منزلها خلاء

وقبله :

هجوت محمداً فأجبت عنـه   وعند الله في ذاك الجزاء

(2) هو المفضل بن معشر بن أسحم النكري (بضم النون وسكون الكاف) من الشعراء الجاهليين ، والأبيات من قصيدة له واردة بالمجموعة الشعرية المعروفـة باسم « الأصمعيات» ، وتلقب المنصفة ، ومعها قصائد أخر تحظى بهذا اللقب فيقال لها المنصفات كما يقال : المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات وهم أرادوا بالمنصفات تلك القصائد التي أنصف فيها قائلوها أعداءهم وصدقوا فيها القول عنهم بما أبلوه من البلاء الحسن في قتالهم وانظر : « الأصمعيات » (ص 199 – 203) بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون في طبعة دار المعارف 1964 م .

(3) رواية « الأصمعيات » لهذا المصراع جاءت هكذا :

بكل قرارة وبكل ريع

وفي « المصباح » « الريع بالكسر الطريق ، وقيل : الجبل : وقيل : المكان المرتفع » .

فأشبعنـــا الضباع وأشبعوها فراحت كلها تئق (4) تفوق (5)
قتلنا الفارس الوضاح منهمْ كأن فروع لمّتِه العُذوق (6)
فأبكينـــا نساءهم وأبكـــوا نساء ما يسوغ لهن ريق (7)

وقول الآخر :

نطاعنهم نستودع البيـــض فيهم ويستودعونا السمهري (8) المقوما

لله الامر من قبل ومن بعد

---

(4) في المخطوطات الثلاث وكذا في الفاسية : « نهق » بنون فهاء وهو تصحيف صوابه : « تئق » بتاء مثناة من فوق بعدها همزة كما هي الرواية في « الأصمعيات » ، والتأق فسره الأزهري في « تهذيبه » فقال : « قال الليث : التأق شدة الامتلاء يقال : تئقت القربة تتأق تأقاً ، وأتأقها الرجل إتآقاً ، وتئق فلان إذا امتلأ حزناً وكاد يبكي » .

(5) في « الصحاح » : « فاق الرجل فواقاً إذا شخصت الريح من صدره ، وفلان يفوق بنفسه فئوقاً إذا كانت نفسه على الخروج ، والفواق الذي يأخذ الإنسان عند النزع ، وكذلك الريح التي تشخص من صدره » .

(6) في « القاموس » : « العذق النخلة بحملها ج أعذق وعذاق ، وبالكسر القنو منها ، والعنقود من العنب ، أو إذا أكل ما عليه ج أعذاق وعذوق » .

(7) كتب ناسخ الأصل بخطه على الطرة بعده ما يأتي :
وأنصف منه قول الآخر :

سقيناهم كأساً سقونـــا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

(8) في « تاج العروس » : « السمهري الرمح الصلب ويقال : هو المنسوب إلى سمهر اسم رجل ، وهو زوج ردينة وكانا مثقفين أي مقومين للرماح » ، وفي « التهذيب » : « الرماح السمهرية نسبة إلى رجل اسمه سمهر ، كان يبيع الرماح بالخط ، وامرأته ردينة ، أو إلى قرية بالحبشة اسمها سمهر قاله الزبير بن بكار ، وقال الصاغاني ، وأنا لا أثق بهذا القول ، والأول أكثر » .

[أفخر بيت قالته العرب]

أفخر بيت قالته العرب قول <الشاعر وينسب> (1) لحسان في النبي صلى الله عليه وسلم :

له همم لا منتهى لكبارهـــا   وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن(2) معشار جودها   على البر كان البر أندى من البحر

و <قيل> (3) : قول امرىء القيس :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة   كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثـــل   وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقيل : قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفُوا

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

(2) في طرة الفاسية بإزائه ما لفظه بالحرف : « أي صب» يعني أن أن هنا ليست التي للتوكيد ونسخ الابتداء ، بل هي فعل ماض مبني للمجهول ، وفي « لسان ابن منظور » ما يأتي بالنص : « إن الماء يؤنه أناً إذا صبه ، وفي كلام الأوائل : إن الماء ثم اغله أي صبه واغله ، حكاه ابن دريد ، قال : وكان ابن الكلبي يرويه : أزماء ويزعم أن إن تصحيف » . وهذا البيت نسبه ابن شاكر في « فوات الوفيات » (1 : 146) لبكر بن النطاح ، مدح به أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وأورد بعده البيت الآتي :

أبا دلف بوركت في كل بلدة   كما بوركت في شهرها ليلة القدر

(3) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

ونحوه (4) قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابا

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(4) في ك : « وقيل » بدل : « ونحوه » .

[أمدح بيت قالته العرب]

أمدح بيت قالته العرب قول الخنساء رحمها الله :

وإن صخراً لتأتمُّ الهداة بــه كأنه علم في رأسه نار

وقيل : قول زهير :

تراه إذا ما جئته متهلــلاً كأنك معطيه الذي أنت سائله

وقيل : قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايــا وأندى العالمين بطون راح

وقيل : قول (1) الأخطل :

شُمسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظم الناس أحلامــاً إذا قدروا

وقيل : قول حسان رضي الله عنه في بني جفنة :

يُغشَوْنَ حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

---

(1) في « أغاني الأصفهاني : « أن الرشيد قال لجماعة من أهله وجلسائه : أي بيت مدح به الخلفاء منا ومن بني أمية أفخر ؟ فقالوا : وأكثروا ، فقال الرشيد : أمدح بيت وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

وقيل : قول (2) الأعشى :

فتى لو ينادي الشمس ألقت قناعها   أو القمر الساري لألقى المقالدا (3)

قوله : ينادي (4) الشمس أي يجالسها في نَدِيٍّ .

وقيل : قول أبي الطمحان (5) القيني :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع (6) ثاقبه

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(2) البيت من قصيدة له يمدح بها هوذة بن علي الحنفي ويذم الحارث بن وعلة الرقاشي ، وهي في ديوانه .

(3) في الطبعة الفاسية : « المقاليد » بمد اللام وهو لا يماشي قوافي القصيدة .

(4) في « صحاح الجوهري» : « تنادوا أي تجالسوا في النادي ، وناداه جالسه في النادي ، والندي على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك الندوة والنادي والمنتدى » .

(5) هو حنظلة بن الشرقي أحد بني القين بن جسر ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، قال عنه البكري في « اللآلىء » (1 : 349) : « كان خبيث الدين جيد الشعر » .

(6) في « مصباح الفيومي » : « الجزع بالفتح خرز فيه بياض وسواد ، الواحدة جزعة مثل تمر وتمرة » . وفي « أساس البلاغة » : تجزع الشيء تقطع وتفرق ، ومنه الجزع الظفاري قال امرؤ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا   وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

ويقال : «فلان ينظم الجزع بالليل لحدة بصره » . والبيت من قطعة في « حماسة أبي تمام » ، وفي تفسيره يقول المرزوقي في شرحه على الحماسة (4 : 1599) : « قوله « أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم » يريد طهارة أنفسهم وزكاء أصولهم وفروعهم ، فهم بيض الوجوه نيرو الأحساب فدجى ليلهم تنكشف من نور أحسابهم حتى إن ثاقبه يسهل نظم الجزع فيه لناظمه » .

[أهجى بيت قالته العرب]

أهجى بيت قالته العرب قول (1) الأعشى :

تبيتون في المشتى مِلاءٍ بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا (2)

وقيل : قول (3) الأخطل :

قوم إذا نبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم: بولي على النار

فتمسك البول بخلاً أن تجود به فما تبول لهم إلا بمقدار(4)

---

(1) البيت من قصيدة له نفر فيها عامر بن طفيل على ابن عمه علقمة بن علاثة وقبله :

أعلقم قد حكمتني فوجدتني بكم عالماً على الحكومة غائصا

كلا أبويكم كان فرع دعامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

(2) في ك : « خماصياً » وهو تحريف .

(3) في « عمدةابن رشيق» (2 : 175) ما نصه بالحرف : « يقال : إن أهجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بني يربوع رهط جرير :

قوم إذا استنبح .... البيت

لأنه جمع فيه ضروباً من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النار لئلا يهتدي بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل بالحطب ، وأخبر عن قلتها ، وأن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز ، وهي أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها في مثل هذه الحال يدل بذلك على العقوق والاستخفاف وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالمـاء ، وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الأنصاري : إنه رماهم في هذا البيت بالمجوسية لأن المجوس لا ترى إطفاء النار بالماء ولا أدري أنا كيف هذا ، والبول ماء غير أنه ماء نجس قذر » .

(4) كتب أكنسوس هنا بخط يده على طرة مخطوطته ما يأتي : « ومن تمام هذا الشعر :

والخبز كالعنبر الشحري عندهم والقمح سبعون إردباً بدينار =

وقيل : قول (5) حسان رضي الله عنه :

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر (6) جسم البغـال وأحلام العصافير

وقيل : قول زياد الأعجم (7) :

قالوا: الأشاقر (8) تهجوني فقلت لهم: ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

= وهذا البيت لا يوجد في ديوانه الذي اعتنى بنشره الأب أنطوان صالحاني ، والبيت منسوب للأخطل في « لسان ابن منظور » وفي « تاج العروس » للزبيدي ، وكلاهما جاء به شاهداً في مادة : « ردب » وأورده الدميري في « حياة الحيوان » وهو يتكلم عن الكلاب .

(5) البيت من قطعة له في سبعة أبيات قالها في هجو رهط النجاشي الشاعر ، وهي في ديوانه .

(6) كذا في المخطوطات الثلاث ، وهو ما في الطبعة الفاسية وكذلك جاءت الرواية في بعض مخطوطات الديوان ، لكن الرواية المعروفة فيه أتت هكذا : « من عظم » وهي أنسب وأليق بمعنى البيت وسياقه .

(7) ترجمه ابن قتيبة في الشعر والشعراء (1 : 395 – 399) فكان مما قال فيه : « هو زياد ابن سلمى ويقال : زياد بن جابر بن عمرو بن عامر بن عبد القيس ، وكانت فيه لكنة ، فلذلك قيل له الأعجم » . « وهم الفرزدق بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً الأعجم فبعث إليه : لا تعجل حتى أهدي لك هدية ، فانتظر الفرزدق الهدية فبعث إليه :

ما ترك الهاجون لي إن هجوته مصحاً أراه في أديم الفـرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره أبقـوه للمتعـرق
سأكسر ما أبقوه لي من عظامه وأنكت مخ الساق منه وأنتقي
وإنا وما تهدي لنـا إن هجوتنا لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق

فلما بلغه الشعر قال : ليس إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد » .

(8) في المخطوطات الثلاث : « الأشافر » بالفاء ، وجاءت الكلمة في الفاسية غير منقوطة فكانت لا فاء ولا قافاً ، والصواب فيها : « الأشاقر » بالقاف ، والأشاقر ذكرهم ابن دريد في « الاشتقاق » ص 197 فقال : « الأشاقر بطن من الأزد من مواليهم شعبة بن الحجاج المحدث » .وتكلم عنهم تارة أخرى في « الاشتقاق» ص 105 وهو يذكر قبائل زهران ابن كعب فقال : « ومنهم الأشاقر رهط كعب الأشقري الشاعر ، والأشقر هو أسعد بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم » .

] (9) وقيل : قول أوس (10) :

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر من اللؤم ما دامت عليها جلودها (11)

وقيل : قول الطرماح (12) :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

وقيل : قول الفرزدق :

أنتم قرارة كل معدن سوأة ولكل سائلة تسيل قرارُ

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(9) ما بين العلامتين ساقط من مخطوطة أكنسوس .

(10) هو أوس بن مغراء ، ذكره ابن دريد في « الاشتقاق » ص 255 بين رجال بني سعد بن زيد مناة بن تميم فقال : « ومنهم أوس بن مغراء الشاعر ، ومغراء فعلاء من اللون الأمغر ، والمغرة حمرة فيها كدرة » . وترجمه البكري في اللآلىء (2 : 795) فقال بشأنه : « أوس بن مغراء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر جاهلي ، كان يهاجي النابغة الجعدي ، وقد قيل إنه أدرك الإسلام » .

(11) في عمدة ابن رشيق (2 : 175) ما نصه : « كان النابغة الجعدي يقول : إني وأوساً لنبتدر باباً من الهجاء ، فمن سبق إليه غلب صاحبه ، فلما قال أوس بن مغراء :

لعمرك . . . . البيت

قال النابغة هذا والله البيت الذي كنا نبتدره » .

(12) هو الطرماح (بكسر الطاء والراء بعدهما ميم مشددة) ابن حكيم بن الحكم ، من فصحاء الشعراء في العهد الأموي ، يكنى أبا ضبيبة افتخر بنفسه فقال من قصيدة :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

وبلغ فخره هذا الكميت فقال : « اي والله وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة » .

[أشجع بيت قالته العرب]

أشجع بيت قالته العرب قول العباس (1) بن مرداس :

أشد على الكتيبة (2) لا أبالي أحتفي كان فيهـــا أم سواها

وقيل : قول عنترة (3) :

وإني لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفس لا أريد بقاءها

وقيل قوله :

إنّ المنيـــة لو تمثل مثلت مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

وقيل قول الآخر :

دعوت بني قحافة فاستجابوا فقلت : ردوا فقد طاب الورود

لله الأمر من قبل ومن بعد

(1) في س : « حسان » بدل : « العباس » .
(2) في المخطوطات الثلاث : « الكتيبة » بالثاء المثلثة ، وهو تصحيف .
(3) هو لقيس بن الخطيم (ديوانه : 10) .

[أشعر بيت في وصف الجبان]

أشعر بيت قيل في وصف الجبان قول جرير :

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكرّ عليكم (1) ورجالا

وقيل قول الشاعر (2) :

طليق الله لم يمنن عليه أبو داوود وابن أبي كبير (3)

ولا الحجاج عينيْ بنتِ ماءٍ تقلب طرفها حذرَ الصقور (4)

نصب عيني على الذم .

ومن هذا قول الطرماح :

ولو أن برغوثاً على ظهر قملة يكر على صفّيْ تميم لولّت

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(1) في الأصل ، ومثله في ك و ح : « عليهم » بضمير الغيبة ، وفي س : « عليكم » بضمير الخطاب ، وهو ما في الديوان ومعنى الكلام في الشعر على الخطاب .

(2) هو إمام بن أرقم النميري على ما عند الجاحظ في البيان والتبيين (1 : 362) .

(3) كذا بالأصل ومثله في ك و ح أما س ففيها : « كثير » بثاء مثلثة بدل الباء وهي رواية الجاحظ في « بيانه » والمبرد في « كامله » .

(4) في « كامل المبرد » (3 : 6) : ومن التشبيه المحمود قول الشاعر :

طليق الله . . . . البيتين

وهذا غاية في صفة الجبان ، ونصب عيني بنت ماء على الذم » وفي رغبة الآمل (6 : 155) : « طليق الله الخ يريد أن الذي أطلقه من الأسر وخلى سبيله إنما هو الله وحده لا أحد هؤلاء الثلاثة « عيني بنت ماء » هي ما يصاد من طير الماء ، إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذراً منه فشبه عيني الحجاج عند الحذر والفرق بهما » .

[أشعر بيت قيل في الاستحقار]

أشعر بيت قيل في الاستحقار قول الحطيئة (1) :

فمن أنتم إنا نسينا من انتم وريحكم من أي ريح الأعاصر (2)
وأنتم ألى (3) جئتم مع البقل والدبى فطار وهذا شخصكم غير طائر (4)

أي الذين جئتم مع البقل والدبى (5) جمع دباة بفتحتين .

---

(1) البيتان من قطعة له في سبعة أبيات ، وهي في ديوانه ، وهو قالها في هجاء قدامة العبسي وقبلهما :
فخرتم ولم نعلم بحادث مجدكم فهات هلم بعدها للتنافر
والبيتان في « حماسة أبي تمام» ، وهما فيها منسوبان لزياد الأعجم أحد شعراء الدولة الأموية وبعدهما فيها :
فلم تسمعوا إلا بمن كان قبلكم ولم تدركوا إلا مدق الحوافر

(2) فسر المرزوقي في « شرحه » على « الحماسة » هذا الشطر فقال : « قوله : « من أي ريح الأعاصر » – الأعاصر جمع إعصار وهو الغبار الساطع المستدير ، وإنما خصها بالذكر لأنها لا تسوق غيثاً ، ولا تدر سحاباً ، ولا تلقح شجرا فضرب بها المثل لقلة الانتفاع بهم » .

(3) الألى هنا موصولة ، وهذا البيت شاهد على مجيئها عارية من حرف التعريف ، وهي مرسومة بدون واو للتفرقة بينها وبين أولى الإشارية .

(4) فسر السكري معنى هذا البيت في « شرحه على شعر الحطيئة » فقال : « يقول : إنما ناسبتمونا قريباً على غير أصل معروف كالبقل ينبت في الربيع ثم يتصوح في الصيف ، وكذلك الجراد إنما يجيء ويذهب » . وقال المرزوقي في تفسيره : « قوله : « وأنتم ألى جئتم » يريد الذين جئتم مع البقل ، والمعنى أن شرفكم حديث وقوله : «فطار وهذا شخصكم غير طائر » تضجر بهم ، وتعجب من بقائهم ، وعتب على الزمان في استبقائهم » .

(5) في « التاج » : «الدبى الجراد قبل أن يطير وقيل : أصغر ما يكون من الجراد والنمل » .

وقيل : قول جرير :

فـإنك لو رأيت عبيد تيم وتيماً قلت : أيهم العبيد ؟
ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

وقيل : قول الطرماح :

لو كان يخفى على الرحمان من أحد من خلقه خفيت عنـه بنو أسد

[(6) ولما قتل جعفر بن يحيى البرمكي بكى عليه أبو نواس فقيل له : أتبكيه وقد هجوته ؟ فقال : ذلك لركوب الهوى بالله (كذا) بلغه أني قلت :

ولست وإن أطنبت في وصف جعفر بأول إنسان خرا في ثيابـه (7)

فكتب : يدفع إليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه .

وقال ابن الأعرابيّ : أهجى بيت قال المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هشام :

لم يند كفاك من بذل النوال كما لم يند سيفك، مذ قلدته ، بـدم

وقال الصفي الحلي (8) :

---

(6) ما بين المعقفين ساقط من الأصل ، ومن س وهو في ح ، وكتبه ناسخ ك (لحقاً) على طرتها .

(7) البيت في ديوانه وقبله بيت أول هذا لفظه :

لقد غرني من جعفر حسن بابه ولم أدر أن اللؤم حشو ثيابـه

(8) هو صفي الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي ، ولد بالحلة من أرض العراق ، وإليها ينسب بالحلي ، كان كبير شعراء عهده ، وهو كثير التفنن في شعره معاني وأسلوباً ، وشعره مثقل بالزخارف البديعية ، وكان الأول في الشعراء الذين نظموا البديعيات ، وهي قصائد في المديح النبوي يوري فيها بألقاب البديع ، له ديوان شعر مطبوع وكانت وفاته سنة 752 هـ .

إنّي مدحتك كي أجيد قريحتي وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده يدنوهُ من بيت الخلا فيضوع (9)

وقال آخر :

إذا رمت هجواً من فلان تصدني خلائق سوء عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأقبح ما يهجى به الناس يمدح

وقال غيره في مأنوف (10) :

رأينا للئيم جدار أنف يضاهي في تشامخه الجبالا
تصدر للهلال لكي يراه ولولا أنفه لرأى الهلالا (11)

ويلتحق كثير من الهجاء بهذا الباب كقول جرير :

لو أن تغلب (12) جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا

وكقوله فيها (13) :

(9) البيتان لا يوجدان في ديوانه المطبوع .
(10) المأنوف اسم مفعول من أنفته آنفه من بابي ضرب ونصر إذا أصبت أنفه ، ومثله ذقنته فهو مذقون إذا أصبت ذقنه وكذلك رأسته وظهرته وصدرته إذا أصبت منه هذه المواضع ، وعليه فإن لفظ مأنوف هنا في غير موضعه ، لأن الشاعر يعيب رجلا ذا أنف كبير لا رجلا مصاباً في أنفه ، فأما اللفظ الصالح في هذا المكان فهو لفظ أنافي بضم أوله وياء نسب في آخره ، ونظيره رجل رؤاسي إذا كان ضخم الرأس ، وأذناني إذا كان كبير الأذنين طويلهما ، وعضادي إذا كان غليظ العضد .
(11) انتهى اللحق هنا .
(12) في ك : « ثعلباً » بالثاء المثلثة وبالعين المهملة ، وهو تصحيف .
(13) أي قصيدته التي هجا بها الأخطل والتي مطلعها :

حي الغداة برامة الأطلالا رسماً تحمل أهله فأحالا

وهي بديوانه في طبعة الصاوي .

والتغلبيّ إذا تنحنح للقرى حكّ استه وتمثّل الأمثالا(14)

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(14) في « بيان الجاحظ » : « قال رجل من تغلب ، وكان ظريفاً : ما لقي أحد من تغلب ما لقيت أنا ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : قال الشاعر :

والتغلبي إذا تنحنح .... البيت

والله إني لأتوهم أن لو نهشت استي الأفاعي ما حككتها » .

وفي « كامل المبرد » (2 : 118 – 119) : « حدثت أن كثيراً دخل على عبد الملك ابن مروان ، وعنده الأخطل ، فأنشده ، فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال : كيف ترى ؟ فقال : حجازي مجوع مقرور ، دعني أضغمه ، يا أمير المؤمنين ، فقال كثير : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : هذا الأخطل ، فقال له كثير : مهلا هلا ضغمت الذي يقول :

والتغلبي .... البيت »

[أكرم بيت قالته العرب]

أكرم بيت قالته العرب قول طرفة (1) :

وأعسر أحياناً فتشتد عسرتي   وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

وقيل : قول كثير :

إذ قلّ مالي زاد عرضي كرامــةً   عليّ ولم أتبع دقيــق المطامع

وقيل : قول عنترة :

ولقد أبيت على الطوى وأظلّه   حتّى أنال به كريم المأكل

وقيل : قول كعب بن مالك رضي الله عنه :

نُسوِّد ذا المال القليل إذا بــدت   مروءته فينــا وإن كان معدما

(1) البيت ليس في ديوانه المطبوع ، والبيت نسبه أبو تمام في « حماسته » لبعض بني أسد ، وعزاه الشريف المرتضى في « أماليه » (1 : 633) للحكم بن عبدل الأسدي ، ونماه إليه ابن السيد البطليوسي في « اقتضابه » (ص 113) ، والبيت في « أمالي القالي » (2 : 260) ضمن قطعة من أربعة أبيات منسوبة للحكم بن عبدل الأسدي بالإسناد التالي :

« حدثنا أبو بكر بن الأنباري ، رحمه الله ، قال : حدثني أبي قال : حدثنا أحمد ابن عبيد عن سهل بن محمد قال : اجتمع الشعراء بباب الحجاج ، وفيهم الحكم بن عبدل الأسدي ، فقالوا : أصلح الله الأمير ، إنما شعر هذا في الفار وما أشبهه ، قال : ما يقول هؤلاء يا ابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير ، قال : هات ، فأنشد :

وإني لأستغني فما أبطر الغــنى   وأعرض ميسوري لمن يبتغي قرضي

وأعسر أحياناً . . . . الأبيات »

بـــاب
[في نبذة من كلام الأذكياء]

وهذه نبذة من كلام الأذكياء ، وإنما نعني به ما شأنه أن يصدر عن ذكي سواء صدر عنه أو غيره ، وللناظر العاقل في كليهما اعتبار ، فإن كل ما هو حكمة أو صواب من القول فهو ثمرة العقل عادة ، فإن صدر عن العاقل دل على حكمة الله تعالى الباهرة في ترتيب المسببات على أسبابها ، ونبه على شرف العقل وشرف من اتصف به من الخلق ، وإن صدر عن غير العاقل دلّ على مشيئة الله تعالى واختياره في أن يفعل ما شاء وأنه هو الخالق للحكمة والصواب على ألسنة العقلاء من غير تأثير للعقل فيها ولاربط عقلي بينه وبينها بل عنده لا به،فتبارك الله رب العالمين ، فيدخل في هذا ما يقع للحكماء، وما يندرج(1) عن غيرهم كالصبيان والنساء وجفاة الأعراب ، وتدخل الأجوبة المسكتة ونحو ذلك .

فمن ذلك ما ورد عن حكماء العرب وبعضه ينسب حديثاً :

لا حليم إلاّ ذو عثرة (2) ولا حكيم إلاّ ذو تجربة .

---

(1) كذا بالأصل وفي ك : « يندر » بدال مهملة ، وهو يكون من قولهم : « هذا شيء نادر » إذا خرج عن المعتاد ، وفي الطبعة الفاسية : « يصدر » أما س ففيها : « ينذر » بذال معجمة ولا وجه له .

(2) في الأصل : « عترة » بتاء مثناة من فوق ، وزاد ناسخها على ذلك بأن شكلها بكسر العين شكل قلم ، فكان منه التصحيف في الحرف والتحريف في الشكل ، والصواب : « عثرة » بفتح العين وثاء مثلثة وذلك ما في ك و س و ح .

خير المقال ما صدقه الفعال .

رأس الدين ، صحة اليقين .

كفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم .

جانب مودة الحسود ، وإن زعم أنه ودود .

إذا جهل عليك الأحمق فالبس له سلاح الرفق .

لكل شيء آفة ، فآفة العلم النسيان ، وآفة العبادة الرياء ، وآفة الحياء الضعف ، وآفة اللب العُجْب ، وآفة الظرف الصلف ، وآفة الجود السرف ، وآفة الجمال التيه ، وآفة السؤدد الكبر ، وآفة الحلم الذل .

ويقال أيضاً : آفة الحلم السفه ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العبادة الفَتْرَةُ ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة السماحة المن ، وآفة الدين الهوى ، وآفة الحسب الفخر .

والمراد بالصلف هنا مجاوزة الحد تكبرا .

مؤمل النفع من اللئام ، كزارع البذر في الحمام .

صحبة الفاسق شين ، وصحبة الفاضل زين .

من جرى في ميدان أمله ، عثر في عنان أجله .

من لم يصبر على البلاء ، لم يرض بالقضاء .

فقد الصبر ، أعظم من حوائج الدهر .

إذا حزن الفؤاد ، ذهب الرقاد .

الجليس الصالح ، كالمسك النافح (3) .

---

(3) في ك : « الفائح » .

الحسود مغتاظ على من لا ذنب له .

من الآفات ، كثرة الالتفات .

من أشد العذاب ، فراق الأحباب .

كلب شاكر ، خير من صديق غادر .

إذا جاء القدر ، عمى البصر .

العيال ، سوس المال .

إذا صدق العيان ، لم يحتج إلى برهان .

شفاء الصدور ، في التسليم للمقدور .

الحق ثقيل ، وطالبه قليل .

كثرة العتاب ، داعية الاجتناب .

من سعى إليك ، سعى عليك .

مدح الغائب تعريض بالحاضر .

من تفرغ (4) للشر يطلبه ، أتيح (5) له من يغلبه .

من أمل أحداً هابه ، ومن قصر عن شيء عابه .

رب أخ لم تلده أمك .

لا يضر السحابَ ، نُباحُ الكلاب .

---

(4) في ك : « تعرض » وكتب ناسخها على طرتها : « تفرغ » ووضع عليها رمز الخاء إشارة إلى أنه رواية أخرى .

(5) في س : « انتج » بدل : « أتيح » .

وفي معناه قول حسان رضي الله عنه (6) :

ما أبالي أنَبَّ بالحَزْن تيس أم لحاني بظهر غيبٍ لئيمُ

وقول الآخر (7) :

ما يضر البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غـلام بحجر

وقول الآخر (8) :

زعم الفرزدق أن سيقتل مِرْبعاً أبشر بطول سلامة يا مِرْبع

وقول الآخر :

تهـــددني لتقتلني نمير متى قتلت نمير من هجاها

وقيل : مما يعين على العدل اصطناع من يؤثر التقى ، واطراح من يقبل الرُّشا ، واستكفاء من يعدل في القضية ، واستخلاص من يشفق على الرعية ، فإنه ما عدل من جار وزيره ، ولا صلح من فسد مشيره .

---

(6) البيت من قصيدة له يهجو بها بني مخزوم وابن الزبعرى الشاعر ، وهي في ديوانه ، ونبيب التيس صياحه عندما يثب للسفاد ، والحزن ما غلظ من الأرض ، وهو يريد أن يقول : إنه لا يأبه إذا ذكره اللئام بالسوء غيباً ، لأنه يعد اغتيابهم وصياح المعزى سواء وهذا يشبه قول الآخر :

أتـــاني أنهم مـــزقون عرضي جحاش الكرملين لهم فـــديد

وقوله :

ما ضر تغلب وائل أهجوتهـــا أم بلت حيث تنـــاطح البحران

(7) هو الأخطل التغلبي ، وهو في ديوانه بشرح إيليا سليم الحاوي .

(8) كذا بالأصل وفي ك و س و ح جميعها : « وقول جرير » وهو كذلك والبيت من قصيدة مودعة في ديوانه بطبعة محمد إسماعيل الصاوي ، ومربع المذكور في البيت راوية جرير ، وكان الفرزدق قد تهدده بالقتل لأنه يشيع هجاء جرير فيه بين الناس .

وقيل : آفة الملوك سوء السيرة ، وآفة الوزراء خبث السريرة ، وآفة الجند مفارقة القادة ، وآفة الرعية مفارقة الطاعة ، وآفة الزعماء ضعف السياسة، وآفة العلماء حب الرياسة ، وآفة القضاة شدة الطمع ، وآفة الشهود قلة الورع .

وقيل : أربعة لا يزول معها ملك : حفظ الدين ، واستكفاء الأمين ، وتقديم الحزم ، وإمضاء العزم .

وأربعة لا يثبت معها ملك : غش الوزير ، وسوء التدبير ، وخبث النية ، وظلم الرعية .

وأربعة لا تستغني عن أربعة : الرعية عن السياسة ، والجيش عن القادة ، والرأي عن الاستشارة ، والعزم عن الاستخارة .

وأربعة لا بقاء لها : مال يجمع من الحرام ، وحال تعهد من الأيام ، ورأي يعرى من العقل ، وملك يخلو من العدل .

وأربعة تولد المحبة : حسن البشر ، وبذل البر ، وقصد الوفاق ، وترك النفاق .

وأربعة من علامات الكرم : بذل الندى ،وكف الأذى،وتعجيل المثوبة(9) وتأخير العقوبة .

وأربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر ، واعتقاد الغدر ، وتجنب الأخيار ، وإساءة الجوار .

---

(9) في ك : « المتوبة » بمثناة فوقية .

وأربعة من علامات الإيمان : حسن العفاف ، والرضى بالكفاف ، وحفظ اللسان ، ومحبة الإخوان .

وأربعة من علامات النفاق : قلة الديانة ، وكثرة الخيانة ، وغش الصديق ، ونقض المواثيق .

وأربعة تزال (10) بأربعة : النعمة بالكفران ، والقوة بالعدوان ، والدولة بالإغفال ، والحظوة بالإدلال (11) .

وأربعة يُترَقّى بها إلى أربعة : العقل إلى الرياسة ، والرأي إلى السياسة ، والعلم إلى التصدير ، والحلم إلى التوقير .

وأربعة تؤدي إلى أربعة : الصمت إلى السلامة ، والبر إلى الكرامة ، والجود إلى السيادة ، والشكر إلى الزيادة .

وأربعة تدل على وفور العقل : حب العلم ، وحسن الحلم ، وصحة الجواب ، وكثرة الصواب .

وأربعة تدل على نقصان العقل : الجهل بالأعادي ، والأمن للعوادي ، والجفوة للإخوان ، والجرأة على السلطان .

---

(10) في ك : « تزول » .

(11) في الأصل : « الإذلال » بمعجمة ، ومثله في الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه بدال مهملة ، قال الزمخشري في « أساسه » : « تدللت المرأة على زوجها ودلت تدل وهي حسنة الدل والدلال وذلك أن تريه جرأة عليه في تغنج وتشكل ، كأنها تخالفه وليس بها خلاف ، وأدل على قريبه وعلى من له عنده منزلة ، وأدل على قرنه وهو مدل بفضله وشجاعته ، ولفلان علي دلال ودالة وأنا أحتمل دلاله » .

وأربعة لا تتم إلاّ بأربعة : العلم بالحجا ، والدين بالتقى ، والأعمال بالنيات ، والموالاة بإخلاص الطويّات .

وقال حكيم آخر : ثلاث لا يستصلح (12) فسادهن بشيء من الحيل : العداوة بين الأقارب ، وتحاسد الأكفاء ، والركاكة في العقول .

وثلاث لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر : العبادة من العلماء ، والقناعة من المستبصرين ، والسخاء في ذوي الأخطار (13) .

وثلاثة لا يشبع منها : الحياة ، والعافية ، والمال .

وثلاثة لا يستغني عنها السلطان : وزير حسن التدبير ، ومستشار نصيح ، وصاحب بريد صدوق .

وثلاث هي قوام العالم : عدل الأمراء ، وصلاح العلماء ، وانقياد الرعية للرؤساء .

ومن مشاهير الحكماء القدماء لقمان (14) الحكيم ، وقد ذكره الله تعالى وذكر <بعض> (15) ما قال لابنه ، وقال له رجل : ما الذي بلغ

---

(12) في ك : « لا يصلح » .

(13) في س : « والسخاوة في ذوي الاضطرار » .

(14) عرف به الزمخشري في « كشافه » فقال : « هو لقمان بن باعورا – ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وقيل : كان من أولاد آزر ، وعاش ألف سنة ، وأدرك داوود عليه السلام وأخذ عنه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داوود عليه السلام ، فلما بعث قطع الفتوى فقيل له : فقال : ألا أكتفي إذا كفيت ، وقيل : كان قاضياً في بني إسرائيل ، وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً وعن ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن لقمان نبياً ولا ملكاً ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن » .

(15) ما بين العلامتين سقط من ك .

بك ما أرى ؟ فقال : ما ذاك ؟ فقال : وطيء الناس بساطك ورضوا بقولك ، فقال : يا أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك ، ثم قال : غَضّي بصري ، وكفّي لساني ، وعفة مطعمي ، وحفظ فرجي ، وقيامي بعهدي ، ووفائي بوعدي ، وإكرام ضيفي ، وحفظ جاري ، وترك ما لا يعنيني هو الذي صيرني كما ترى .

ومن حكيم كلامه لابنه (16) : يا بني ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله تعالى يحيي القلوب الميتة بالعلم كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر .

وقوله : من لم يملك لسانه يندم ، ومن لم يتق الشتم يشتم ، ومن صاحب قرين السوء لم يسلم .

وقال قائل لأكثم(17) بن صيفي حكيم العرب: ما السؤدد ؟قال: اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريرة ، قال : فما الشرف ؟ قال : كف الأذى ، وبذل الندى ، قال : فما المجد ؟ قال : حمل المغارم ، وبناء المكارم ، قال :

---

(16) في ح : « ومن كلام حكيم لابنه » والصواب ما كتبناه عن الأصل .

(17) كذا هو في الأصل بثاء مثلثة ، وهو الصواب ، وفي ك و س و ح جميعاً : « أكتم » بمثناة ، وهو تصحيف . وصيفي بياء مشددة كالمنسوب إلى الصيف أحد الفصول ، وقد سمت العرب بهذا اللفظ بعض رجالاتها ، فمن ذلك : صيفي بن مالك بن ذعر ، وصيفي بن سبأ ، وصيفي بن هاشم ، وصيفي والد أكثم هذا ، وصيفي بن أكثم هذا أيضاً ، وجاء في « اشتقاق ابن دريد»ص 69 ما نصه بالحرف : « واشتقاق صيفي من قولهم أصاف الرجل فهو مصيف إذا ولد له بعد ما يكبر ، وولده صيفيون ، وأربع إذا ولد له وهو شاب قال الراجز :

إن بني صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون

وهو أكثم بن صيفي التميمي ، حكيم وخطيب ، أدرك الرسول عليه السلام ولم يسلم ، وقيل فيه : إنه أحد المعمرين الذين شارفوا المائتين عمراً ، وكان قد توفي سنة 9 هـ .

فما الكرم ؟ قال : صدق الإخاء ، في الشدة والرخاء ، قال : فما العز ؟ قال : شدة العضد ، وكثرة العدد ، قال : فما السماحة ؟ قال : بذل النائل ، وحب السائل ، قال : فما الغنى ؟ قال : الرضا بما يكفي ، وقلة التمني ، قال : فما الرأي ؟ قال : لُبٌّ تعينه تجربة .

ومن كلامه أيضاً : من وفى بالعهد ، فاز بالحمد ، ومن اصطنع قوماً ، انتفع بهم يوماً ، ومن فسدت بطانته كان كمن غصّ بالماء ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن حدث من لا يفقه كان كمن قدم مائدة لأهل القبور ، ومن قطع عليك الحديث فلا تحدثه ، إذ ليس بصاحب أدب ، ومن عرف بالصدق قُبِل كَذِبه ، ومن عرف بالكذب لم يُقبل صدقه ، ومن غضب بلا شيء رضي بلا شيء . ومن أظهر محاسنه ودفن مساويه كمل عقله ، ومن غلب هواه عقله افتضح ، ومن استشار عدوه في صديقه أمر بقطيعته ، ومن فرح بكذب الناس في الثناء عليه بان لهم حُمقه ، ومصادقة الكرام غنيمة ، ومصادقة اللئام ندامة ، وعِدَةُ الكريم نقْد، وعِدَة اللئيم تسويف .

ومن كلام بزرجمهر (18) الفارسي : نصحني النصحاء ، ووعظني الوعاظ ، فلم يعظني أحد مثل شيمتي ، ولا نصحني مثل فكري ، واستضأت بنور الشمس وضوء النهار ، فلم أستضيء بشيء أضوأ من نور قلبي ، وكنت عبد الأحرار والعبيد ، فلم يملكني أحد ولا قهرني (19) مثل هواي ، وعاداني الأعداء فلم أرَ أعدى إلي من نفسي ، وزاحمتني المضايق ، فلم

---

(18) هو بزرجمهر بن البختكان المروزي وزير الساسانيين على عهد أنوشروان ، اشتهر برجاحة العقل ، وسداد الرأي ، واستقامة الأخلاق ، ويروي له الأخباريون طائفة من العظات والأقوال الحكيمة ، وفيها ما يبدو عليه النحل والافتعال .

(19) في س : « ولا تعبدني » بدل : « ولا قهرني » .

يزاحمني مثل الخلق السوء ، ووقعت في المضار العظيمة ، فلم أقع في أضر من لساني ، ومشيت على الجمر (20) ووطئت على الرمضاء ، فلم أرَ ناراً أحر من غضبي إذا تمكن مني ، وطلبني الطلاب فلم يدركني مثل إساءتي ، وفكرت في الداء القاتل ومن أين يأتيني فوجدته من معصية ربي ، والتمست الراحة لنفسي فلم أجد شيئاً أروح لها من ترك ما لا يعنيها ، وركبت البحر ، وعاينت الأهوال . فلم أرَ هولاً أعظم من الوقوف بين يدي سلطان جائر ، وتوحشت في البراري والجبال ، فلم أرَ أوحش من قرين السوء ، وعالجت السباع فغلبتها ، وغلبني صاحب الخلق السوء ، وأكلت الطيّب ، وشربت المسْكر ، وعانقت الحسان ، وركبت الجياد ، فلم أجد شيئاً ألذ من العافية والأمن ، وأكلت الصّبر (21) وشربت المر ، فلم أرَ شيئاً أمرّ من الفقر ، وشاهدت الزحوف ، وعاينت الحتوف ، وصارعت الأقران ، فلم أرَ أغلب من المرأة السوء، وعالجت الأثقال ، ونقلت الصخر ، فلم أرَ حِمْلاً أثقل من الدّين ، ونظرت فيما يذل العزيز ، ويسكر (22) القوي ، ويضع الشريف ، فلم أرَ أذل من ذي فاقة وذي حاجة ، ورشقت بالنشاب (23) وشددت في الوثاق ، وضربت بعمد الحديد ، فلم يهدمني شيء مثل ما هدمني الهم والحزن ،

---

(20) في س : « الحجر » بدل : « الجمر » ويبدو أنه تصحيف .

(21) في « مصباح الفيومي » : « الصبر الدواء المر بكسر الباء في الأشهر ، وسكونها للتخفيف لغة قليلة ، ومنهم من قال : لم يسمع تخفيفه في السعة ، وحكى ابن السيد في كتاب« مثلث اللغة» جواز التخفيف كما في نظائره بسكون الباء مع فتح الصاد وكسرها فيكون فيه ثلاث لغات » .

(22) كذا في الأصل بتقديم السين على الكاف ، وفي ك و س و ح : « يكسر » بالكاف قبل السين وهو الأنسب والأليق هناك .

(23) في « مصباح الفيومي » : « نشب الشيء في الشيء من باب تعب نشوباً علق ، فهو ناشب ، ومنه اشتق النشاب » وفي « التاج » : « النشاب بالضم : النبل ، الواحدة بهاء ، وبالفتح متخذه وصانعه ، وقوم نشابة بالفتح والتشديد وناشبة : يرمون به كل ذلك على النسب لأنه لا فعل له والناشب صاحبه » .

واصطنعت الأخدان (24) وانتخبت الأقوام للعدة والشدة والنائبة . فلم أرَ شيئاً خيراً من التكرم عندهم ، وطلبت الغنى من وجوهه ، فلم أرَ غنىً (25) أغنى من القناعة ، وتصدقت بالذخائر ، فلم أرَ صدقة أنفع من رد ضالة (26) إلى الهدى ، ورأيت الذل في الغربة والوحدة ، فلم أرَ أذل من مقاساة جار السوء ، وشيدت البنيان لأعتز به وأُذكر فلم أرَ شرفاً أرفع من اصطناع المعروف ، ولبست الملابس الفاخرة ، فلم ألبس مثل الصلاح ، وطلبت أحسن الأشياء عند الناس فلم أجد شيئاً أحسن من حسن الخلق ،وسررت بعطايا الملوك وجوائزهم ، فلم أسر بشيء أعظم من الخلاص منهم .

ولما قتله كسرى أنوشروان (27) لرغبته عن دين المجوسية وانتقاله إلى دين عيسى عليه السلام وجدوا في منطقته رقعة فيها ثلاث كلمات وهي : إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل ، وإذا كان الغدر في الناس طبيعة فالثقة بكل أحد عجز ، وإذا كان الموت بكل الناس نازلاً فالطمأنينة إلى الدنيا حمق .

ويقال : إن المهلب لما توسم النجابة في ابنه يزيد وهو صغير أراد أن

---

(24) في ك و س و ح : « الإخوان » .

(25) في ك و س : « غنياً » ويبدو أنه تحريف .

(26) كذا هو في الأصل وفي ك و س و ح : « ضلالة » بدله .

(27) لخص البغدادي في خزانته (3 : 385 بتحقيق عبد السلام هارون) ما كتبه المؤرخون المسلمون عن أنوشروان فقال : « أنوشروان هو أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخباراً . وهو أنوشروان بن قباذ بن فيروز ، وفي أيامه ولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملكاً جليلا محبباً للرعايا ، فتح الأمصار العظيمة في الشرق ، وأطاعته الملوك ، وقتل مزدك الزنديق وأصحابه – وكان يقول بإباحة الفروج والأموال – فعظم في عيون الناس بقتله ، وبنى المباني المشهورة ، منها السور العظيم على جبل الفتح عند باب الأبواب ، ومنها الإيوان العظيم الباقي الذكر ، وليس هو المبتدىء ببنائه بل ابتدأ به سابور وأنوشروان أتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا ، وانشق لولادة النبي صلى الله صليه وسلم ، وأخبار أنوشروان مشهورة » .

يختبره فقال له : يا بني ما أشد البلاء ؟ قال : يا أبت معاداة العقلاء . ثم قال : أقلني قال : قد أقلتك فقل : فقال : أشد البلاء تأمير اللؤماء على الكرماء . ثم قال : أقلني قال : قد أقلتك فقل : فقال : أشد البلاء معاداة العقلاء ومسألة البخلاء وتأمر اللؤماء على الكرماء ، فقال المهلب : والله يا بني ما يسرني بقولك مقول لقمان ، ولا يعدل عندي بقاءك (28) ملك سليمان .

وكان زياد (29) وهو من ذوي السياسة يقول : أوصيكم بثلاثة : العالم والشيخ والشريف ، فوالله لا أوتى بوضيع سب شريفاً ، أو شاب وثب بشيخ ، أو جاهل امتهن عالماً ، إلاّ عاقبت وبالغت .

وفي الأجوبة : أمر عليه الصلاة والسلام أن تضرب عنق عقبة (30) ابن أبي معيط فقال : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار .

---

(28) في ك و س و ح : « بقاؤك » .

(29) هو زياد بن أبي سفيان المستلحق ،استلحقه معاوية بآله ، فجعله ابنا لأبي سفيان وأخاً له منه ،وسماه الناس زياد بن أبيه ، أو زياد بن أمه ، أو زياد بن سمية ، إنكاراً للاستلحاق واعتراضاً عليه ، ويكون زياد مع عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ذلك الثالوث الذي ضرب به المثل في بعد الغور وشدة الدهاء ، ثم كان زياد أميراً قوي السياسة ماضي العزم ، جيد التدبير ، وهو بعد خطيب فصيح بليغ ، وهو الناطق بالخطبة التي تلقب البتراء لأنه اقتضبها دون أن يبتدئها بذكر الله ، وتوفي زياد سنة 53 للهجرة وقد نيف على الخمسين .

(30) كان أحد المشركين الذين اشتد أذاهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر ابن هشام في «السيرة» (قسم أول ص 416 بتحقيق السقا والأنباري وشلبي) بعضهم ، وفيهم عقبة هذا فقال : « وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن حمراء الثقفي ، وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه » . وذكره مرة أخرى (قسم أول ص 361) فقال : « كان عقبة قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، فبلغ ذلك أبياً فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه ؟ وجهي من وجهك حرام ان =

وقال الصديق رضي الله عنه لرجل قال له : لأشتمنك شتماً يدخل معك في قبرك : معك والله يدخل لا معي .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعامر (31) بن عبد القيس العنبري ورآه أعرابياً : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .

وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ فقال علي: أين سؤال عن المكان وكان الله ولا مكان.

وكان الأعمش (32) يقول : احذروا الجواب ، فإن عمرو بن العاصي

= أكلمك ، واستغلظ في اليمين إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه ، ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله ، فأنزل الله تعالى فيهما : (ويوم يعض الظالم على يديه يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولا) انتهى كلام ابن هشام . وكان قتل عقبة عند منصرفه عليه السلام من غزوة بدر بمكان يقال له : عرق الظبية ، وعرق الظبية ذكره البكري في « معجم ما استعجم » بحرف الظاء وذكر مقتل عقبة به فقال : « وعرق الظبية موضع بالصفراء ، وهناك قتل رسول الله عقبة بن أبي معيط ، وكان عقبة قد تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لئن أخذتك خارج الحرم لأقتلنك ، فلما أسره ببدر وبلغ عرق الظبية ذكر نذره فقتله صبراً » انتهى كلام البكري .

(31) ترجمه ابن حجر في الإصابة (3 : 85 – 86) فكان مما قال بشأنه : « عامر بن عبد قيس بن قيس ، ويقال عامر بن عبد قيس بن ثابت بن أسامة بن خديجة بن معاوية التميمي العنبري ، أبو عبد الله أو أبو عمرو النصري الزاهد المشهور ، يقال : أدرك الجاهلية ، تابعي ثقة من كبار التابعين وعبادهم ، كان فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة ، وكان دعا ربه أن يهون عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتى بالماء له بخار ، وسأل ربه أن ينزع منه شهوة النساء من قلبه ففعل ، فكان لا يبالي من لقي أذكر أم أنثى وكان إذا غزا قال : إني لأستحيي من ربي أن أخشى غيره » .

(32) هو أبو محمد سليمان بن مهران المعروف بالأعمش (60 – 148 هـ) ترجمه الخلكاني في « الوفيات » (2 : 136 – 138) فكان مما قال فيه : « كان ثقة عالماً فاضلا ، وكان يقارن بالزهري في الحجاز ، وكان لطيف الخلق مزاحاً ، جاءه أصحاب الحديث يوماً =

قال لعدي بن حاتم : متى فقئت عينك يا أبا طريف ؟ فقال : يوم طعنت في استك وأنت مُوَلٍّ يعني يوم صفّين .

ودخل معن (33) بن زائدة على المنصور فقال : كبر سنك يا معن فقال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك مع ذلك لجلد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين (34) .

وقال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم ، وقد كف بصره : أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم ، فقال : وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم .

= ليسمعوا عليه فخرج إليهم وقال : لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت إليكم ، وجرى بينه وبين زوجته كلام فدعا رجلا ليصلح بينهما فقال لها الرجل : لا تنظري إلى عمش عينيه وحموشة ساقيه ، فإنه إمام ، وله قدر ، فقال : أخزاك الله ما أردت إلا أن تعرفها عيوبي ، وقال له داوود بن عمر الحائك : ما تقول في الصلاة خلف الحائك ؟ فقال : لا بأس بها على غير وضوء » .

(33) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن مطر بن شريك الشيباني أحد الشجعان المغاوير والأجواد الأسخياء ، كان متنقلا في الولايات أواخر العهد الأموي ، فلما صارت الدولة إلى بني العباس طلبه المنصور فاختفى ، حتّى إذا كان يوم الهاشمية اندس بين جند المنصور وقاتل قتال من لا يريد بقاء ، ثم عرف المنصور بنفسه فأمنه ، وضمه إليه ، وجعله في خاصته ، وكانت وفاته سنة 151 هـ وهو وال على سجستان .

(34) أورد الخلكاني في « وفياته » (4 : 333) كلام معن هذا ثم قال بعده : « عرض هذا الكلام على عبد الرحمان بن زيد زاهد أهل البصرة فقال : ويح هذا ! ما ترك لربه شيئاً » .

وقال ابن [أبي] (35) الزناد لابن شبرمة (36) في مناظرة : من عندنا خرج العلم ، فقال ابن شبرمة : نعم ثم لم يعد إليكم .

وقال عمر بن الخطاب لأبي مريم (37) السلولي : والله لا أحبك حتى

---

(35) في المخطوطات الثلاث : « قال ابن الزناد . . . » وجاءت العبارة في « بهجة المجالس » (1 : 97) هكذا : « قال أبو الزناد . . . . » والظاهر أن صواب العبارة كالتالي : « قال ابن أبي الزناد . . . » وذلك ما جاءت به الطبعة الفاسية ، والأب أبو الزناد ترجمه الذهبي في « ميزان الاعتدال » (2 : 418 – 420) فكان مما قال عنه : « عبد الله بن ذكوان ، أبو الزناد الإمام الثبت ، قال ابن معين وغيره : ثقة حجة ، وروى حرب عن أحمد بن حنبل قال : كان سفيان يسمي أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث وقال ابن المديني لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من الزهري ويحيى بن سعيد وأبي الزناد وبكير الأشج وقال البخاري : أصح أحاديث أبي هريرة : أبو الزناد عن الأعرج عنه ، وترجم الذهبي في « الميزان » (2 : 575 – 576) ابن أبي الزناد وكان مما قال بشأنه « عبد الرحمان بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان المدني أبو محمد ، أحد العلماء الكبار ، وأخير المحدثين ، وذكر محمد بن سعد أنه كان مفتياً ، وقد روى أرباب السنن الأربعة له » . وجاء في « العقد الفريد » (4 : 45) لابن عبد ربه « قال رجل لابن شبرمة .... » بدون ذكر أبي الزناد ولا ابن أبي الزناد .

(36) هو أبو شبرمة عبد الله بن شبرمة الضبي فقيه الكوفة ، كان قاضي المنصور العباسي على السواد ، قال عنه ابن العماد في « الشذرات » (ج 1 ص 216) : « كان عفيفاً صارماً عاقلا يشبه النساك شاعراً جواداً » وكانت وفاته سنة 174هـ .

(37) هو إياس بن صبيح الحنفي ترجمه ابن حجر في « الإصابة » (1 : 117) فقال : « إياس ابن صبيح بن المحرش بن عبد عمرو الحنفي ، يكنى أبا مريم ، قال ابن سعد ، كان من أصحاب مسيلمة ثم تاب وحسن إسلامه ، وولي قضاء البصرة في زمن عمر ، أخبرنا يزيد ابن هارون ، أخبرنا هشام عن محمد بن سيرين عن أبي مريم الحنفي أن عمر قرأ بعد الحدث فقال له أبو مريم الحنفي : إنك خرجت من الخلاء ، فقال له : أمسيلمة أفتاك بهذا؟ وزعم العسكري أن أبا مريم هذا غير أبي مريم الحنفي الذي قتل زيد بن الخطاب » . وذكره تارة أخرى في باب الكنى من « الإصابة » (4 : 189) : فقال « أبو مريم الحنفي اليمامي ، ذكره الدولابي في الصحابة وقال : اسمه إياس بن صبيح ، وكان من أصحاب مسيلمة الكذاب، فأسلم وولي بعد ذلك قضاء البصرة،وذكر عمر بن شبة أن فتح رامهرمز =

تحب الأرض الدم (38) قال : أفتمنعني حقاً ؟ قال : لا ، قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء .

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : إني لأبغضكم فقال الخارجيّ : أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة .

وقال رجل لعمرو بن العاصي : لأتفرغن لك، فقال : حينئذ تقع في الشغل.

وقال عبد الملك بن مروان لبثينة (39) صاحبة جميل : ما رجا منك جميل حين أحبك ؟ فقالت له : ما رجت منك الأمة حين ملكتك أمرَها .

وقال (40) لثابت بن عبد الله : زعم عبد الله (41) بن هلال أنك أشبه

= كان على يديه » . وفي كتاب «الاستيعاب في أسماء الأصحاب » المطبوع على هامش«الإصابة » (1 : 543) أثناء ترجمة زيد بن الخطاب ما لفظه : « ذكر خليفة بن خيـاط قال نا معاذ بن معاذ عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال: كانوا يرون أن أبا مريم الحنفي قتل زيد بن الخطاب يوم اليمامة ، قال وقال أبو مريم لعمر : يا أمير المؤمنين إن الله أكرم زيداً بيدي ولم يهني بيده » .

(38) في لسان العرب من مادة : « دمي » ما نصه : « في حديث عمر رضي الله عنه أنه قال لأبي مريم الحنفي : لأنا أشد بغضاً لك من الأرض للدم ، يعني أن الدم لا تشربه الأرض ولا يغوص فيها ، فجعل امتناعها منه بغضاً مجازاً » .

(39) في ك و س : « بتينة » بمثناة من فوق وهو تصحيف .

(40) في ح : « وقيل بصيغة المبني للمجهول » ،وفي ك و س : وقال الثابت بن عبد الله ، وجاءت الحكاية في « بهجة المجالس » (1 : 96) هكذا : « قال عبد الله بن مروان لثابت بن عبدالله بن هلال : إنك أشبه الناس بإبليس قال : وما تنكر أن يكون سيد الانس يشبه سيد الجن». وفي « حيوان الجاحظ » (6 : 170) : « قال الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاص : أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس أنك تشبه إبليس قال : وما ينكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن » . وفي « ثمار القلوب » (ص 57) : « ولما قال الحجاج ليحيى ابن سعيد بن العاص : أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس عليه اللعنة أنك تشبه إبليس قال : ما ينكر الأمير أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن فعجب من قوة جوابه » .

(41) هو عبد الله بن هلال الحميري كان يعيش صدر الدولة الأموية،و كان مشعوذاً مخرقاً =

الناس بإبليس قال : صدق ، ما ينكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن ؟

وقال (42) معاوية لرجل من أهل اليمن : ما كان أحمق قومك حين قالوا (ربنا باعد بين أسفارنا) وكان اجتماع الشمل خيراً لهم ، فقال اليماني : يا أمير المؤمنين : قومك أحمق حين قالوا : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) ولم يقولوا : فاهدنا له (43) .

[(44) وقال الرشيد لشريك(45) القاضي : يا شريك آية في كتاب

= ادعى صداقة إبليس وزعم أن إبليس يستشيره ويطلعه على خباياه وتكذب في مداخلة إبليس حتى قال : إنه صار له ختناً ، وقد ذكره الجاحظ في حيوانه (6 : 198) فقال بشأنه : « يقول الناس : « فلان مخدوم » يذهبون إلى أنه إذا عزم على الشياطين والأرواح والعمار أجابوه وأطاعوه ، منهم عبد الله بن هلال الحميري ومنهم كرباش الهندي ، وصالح المديبري » وتكلم عنه في « الحيوان » (1 : 190) تارة أخرى فقال : « زعم ابن هيثم أنه رأى بالكوفة فتى من ولد عبد الله بن هلال الحميري صديق إبليس وختنه ، وأنهم كانوا لا يشكون أن إبليس جده من قبل أمهاته » . وقال عنه الثعالبي في « ثمار القلوب » (ص57) « صديق إبليس — هو عبد الله بن هلال — الذي يقال له الساحر ، وكان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبذة ونيرنجات يدعي أن إبليس يتراءى له ويصادقه ويكاتبه ويطلعه على أسراره» . وذكره ابن النديم في الفن الثاني من المقالة الثامنة « بفهرسته » مع طائفة المعزمين فقال : « عبد الله بن هلال،صالح المديبري ، عقبة الأذرعي ،أبو خالد الخراساني — هؤلاء يعملون بالطريقة المحمودة ولهم أفعال جليلة وأعمال نبيلة » .

(42) الحكاية في « العقد الفريد » (4 : 27) وفي « بهجة المجالس » (1 : 102) .

(43) في ك و ح : « إليه » بدل : « له » .

(44) ما بين العلامتين ساقط من المخطوطات الثلاث فأضفناه رواية عن الطبعة الفاسية والحكاية هذه واردة في « بهجة المجالس » (1 : 97) .

(45) عرف به الخلكاني في « الوفيات » (2 : 169 — 171) قائلا : « أبو عبد الله شريك ابن عبد الله بن أبي شريك النخعي تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي وكان عالماً فقيهاً فهماً ذكياً فطناً » وذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (10 : 171) فقال بشأنه : « وكان مشكوراً في حكمه وتنفيذ الأحكام ، وكان لا يجلس للحكم حتى يتغدى ثم يخرج ورقة من خفه فينظر فيها، ثم يأمر بتقديم الخصومة إليه، فحرص بعض =

الله ليس لك ولا لقومك فيها شيء قوله تعالى : (وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ)
فقال : يا أمير المؤمنين وآية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء قوله :
تعالى : (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقّ)] (46) .

وقدم (47) على عمر بن عبد العزيز فتيان (48) فقالوا : توفي أبونا وترك مالا عند عمنا حُمَيْد (49) ، فأمر بإحضاره وقال له : أنت القائل ؟ :

حُمَيْدٌ الـذي أمَجٌ دارُه أخو الخمر ذو الشيبة الأصلعُ
أتاه المشيب عـلى شربهـا وكان كريماً فما يَنْزِعُ

= أصحابه على قراءة ما في تلك الورقة فإذا فيها : « يا شريك بن عبد الله اذكر الصراط وحدته ، يا شريك بن عبد الله اذكر الموقف بين يدي الله عز وجل » . وكان مشهوراً بحضور البديهة وقوة الجواب فحكى عنه ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (1 : 122) بهذا الشأن قائلا : « كان المتمني إذا تمنى يقول : أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة ، وحفظ سفيان ، وورع مسعر بن كدام ، وجواب شريك » . كانت ولادة شريك سنة 95 ووفاته سنة 177 هـ .

(46) هنا انتهت الإضافة التي نقلناها عن الفاسية .

(47) الخبر في معجم ما استعجم » (1 : 191) بإسناد هذا سياقه : « حدث عبد الله بن أوفى القتباني عن مالك بن أنس عن ابن شهاب قال : تقدم قوم إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا : إن أبانا مات وإن لنا عما يقال له حميد الأمجي أخذ مالنا » . . .

(48) في الكتانية : « فتيان قالا » بصيغة التثنية .

(49) هو حميد الأمجي شاعر أموي كان مستهتراً يشرب الخمر مفتضحاً بمعاقرتها ، ولذلك تمثل به سكير آخر فقال :

تعاتبني في الراح أم كبـيرة وما قولها فيما أراه مصيب
تقول : ألا تجفو المدام فعندنـا من الرزق تمر مكثب وزبيب
فقلت : رويداً ما الزبيب مفرحي وليس لتمر في العظام دبيب
فإن حميداً علهـا في شبـابه ولم يصح منها حين لاح مشيب

حكى بشأنه البكري في «معجم ما استعجم» (1 : 190) الخبر التالي : «حدث عبد الله بن حية قال : طفت مع سعيد بن جبير فمر بنا رجل يقال له حميد الأمجي فقلت : أتعرف هذا قال : لا ، فقلت هو الذي يقول : =

قال : نعم ، قال : أما إذ أقررت فسأحدثك قال : هيهات ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ قال : أفلت ثم قال : يا حميد ، لقد كان أبوك رجلاً صالحاً وأنت رجل سوء ، فقال : أصلحك الله ، وأنت صالح ، وكان أبوك رجل سوء ، قال : هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي وترك عندك مالاً ، قال : نعم ، وأنا أنفق عليهم من مالي ثم أحضر المال بخواتيم أبيهم ، فقال عمر : ما أحدٌ أحق أن يكون عنده منك ، قال : لا يعود إليّ بعد أن خرج مني ، وأمج (50) بفتحتين موضع .

ويروى عن الأصمعي أنه قال : أتى شهر رمضان وأنا بمكة ، فخرجت إلى الطائف لأصوم به فراراً من حر مكة ، فلقيني أعرابي فقلت له : أين تريد ؟ قال : أريد هذا البلد المبارك <لأصوم فيه هذا الشهر المبارك> (51) فقلت له : أما تخاف الحر ؟ قال : من الحر أفِرّ .

ونحو هذا ما يحكى عن الربيع (52) بن خثيم رضي الله عنه وقد صلى ليلة حتى أصبح . فقال له رجل : أتعبت نفسك فقال : راحتها أطلب .

= حميد الذي أمج داره ... أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع
علاه المشيب على شربها ... وكان كريماً فما ينزع
فقال : ... وكان شقياً فلم ينزع
فقلت : يا أبا عبد الله ليس هكذا قال : فقال : والله لا كان كريماً وهو مقيم عليها » .

(50) في « معجم البلدان » لياقوت : « أمج بالجيم وفتح أوله وثانيه ، والأمج العطش بلد من أعراض المدينة منها حميد الأمجي » . وذكره البكري في « معجم ما استعجم » فقال عنه : « قرية جامعة بها سوق وهي كثيرة المزارع والنخل ، وهي على ساية ، وساية واد عظيم ، وأهل أمج خزاعة » .

(51) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

(52) هو أبو يزيد الربيع بن خثيم الثوري ترجمه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (3 : 59 – 68) فذكر عنه ما يأتي: « عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين =

ونحوه قول عروة بن الورد (53) :

تقول سليمى : لو أقمت بأرضنا(54)   ولم تدرِ أني للمقام أُطَوِّف(55)

وقول الآخر (56) :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

وقول أبي تمام (57) :

= منهم الربيع بن خثيم » .«عن حماد بن سلمة قال : « كان عبد الله بن مسعود إذا نظر إلى الربيع بن خثيم قال : مرحباً أبا يزيد لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك ولأوسع لك إلى جنبه ، ثم يقول : (وبشر المخبتين) . وقيل له : ألا تذكر الناس؟ قال : ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس ، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوه على ذنوبهم ».« عبد الملك الأصفهاني عمن حدثه عن الربيع بن خثيم أنه قال لأصحابه : تدرون ما الداء ، والدواء ، والشفاء قالوا : لا قال : الداء الذنوب ، والدواء الاستغفار ، والشفاء أن تتوب فلا تعود » . « مالك قال : قالت ابنة الربيع بن خثيم يا أبتاه إني أرى الناس ينامون وأنت لا تنام ، قال : يا بنية إن أباك يخاف البيات » .

(53) البيت من قطعة في ديوانه بتحقيق ابن شنب ، الجزائر ، 1926 وقبله :

أرى أم حسان الغداة تلومني   تخوفني الأعـداء والنفس أخوف

لعل الذي خوفتنا من أمامنـا   يصادفه في أهلـه المتخلف

(54) في الديوان : « لسرنا » بدل : « بأرضنا » وهي رواية أبي تمام في الحماسة .

(55) هو مضارع طوف مثقل الواو ، ويقال طوف تطويفاً إذا أكثر الطواف هنا وهناك ومنه قول امرىء القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى   رضيت من الغنيمة بـالإياب

وقول الحطيئة :

أطوف ما أطوف ثم آوي   إلى بيت قعيـدته لكاع

(56) هو العباس بن الأحنف .

(57) في ك و س : « أبو تميم » وهو تحريف .

أآلفة (58) النحيب كم افتراق   أجدَّ فكان داعيةَ اجتماع
وليست فرحـــة الأوبات إلاّ   لموقوفٍ على ترَح الوداع

وقال مسلمة بن عبد الملك يوماً لنصيب (59) الشاعر : أمدحت فلاناً لرجل من أهله ؟ قال : قد فعلت ، قال : أوحرمك ؟ قال : قد فعل ، قال : فهلاّ هجوته ؟ قال : لم أفعل لأني كنت أحق بالهجاء منه إذْ رأيته موضعاً لمدحي ، فأعجب ذلك مسلمة فقال له : سلني ، قال : لا أفعل ، قال : ولم ؟ قال : لأن كفك بالعطية أجود من لساني بالمسألة ، فوهب له ألف دينار .

ولما (60) فتح قتيبة بن مسلم سمَرْقَنْد ظفر بأثاث وآلات لم يرَ مثلها ، فأراد أن يُري الناس عظيم ما ظفر به ، فأمر بدار ففرشت وفيها قدور تُرْتقى بالسلالم ، فإذا بالحضين (61) بن المنذر الرَّقاشي قد أقبل والناس جلوس

(58) في الأصل : « إني ألفت » وهو كذلك في س و ح أما ك ففيها : « العنف » وذلك كله تحريف صوابه « أآلفة » بهمزة نداء داخلة على بناء اسم فاعل من ألف الشيء يألفه إذا اعتاده ، والبيتان من قصيدة له مطلعها :

خذي عبرات عينك عن زماعي   وصوني ما أزلت من القنـــاع

وهو قالها في مدح مهدي بن أصرم ، وهي في ثلاثين بيتاً ، وهي في ديوانه المطبوع في سلسلة الذخائر بتحقيق محمد عبده عزام ومنها البيت السائر :

فلو صورت نفسك لم تزدهـــا   على ما فيك من كرم الطباع

(59) ترجمه ياقوت في « معجم الادباء » (17 : 228 – 234) فقال بشأنه : « نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين كان عبداً لرجل من أهل ودان وكان فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح ، مترفعاً عن الهجاء ، كبير النفس ، مقدماً عند الملوك ، يجيد مديحهم ومراثيهم ، وفي سبب اتصاله بعبد العزيز بن مروان وفك رقبته من الرق روايات شتى » .

(60) الخبر في « كامل المبرد » (2 : 232 طبعة صبيح)وهو أيضاً في « العقد الفريد »(4 : 37).

(61) عرف به ابن عبد ربه في « العقد الفريد » فقال : « الحضين هذا هو الحضين بن المنذر الرقاشي ، وهو من بني شيبان بن بكر بن وائل، وهو صاحب لواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصفين على ربيعة كلها » .

على مراتبهم ، والحضين شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة : ائذن لي في معابثته (62) ، فقال له : لا ترده فإنه خبيث الجواب . فأبى عبد الله إلاّ أن يعابثه ، وكان عبد الله يضعّفُ ، وكان قد تسوّر حائطاً إلى امرأة قبل ذلك ، فأقبل على الحضين فقال له : أمن الباب دخلت يا أبا ساسان ، قال : أجل ، أسنّ عملك عن تسوُّر الحيطان . قال : أرأيت هذه القدور ؟ قال: هي أعظمُ مِن أن لا تُرى،قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قطُّ ، قال : أجل ، ولا عيلان . ولو كان رآها لسمي شَبْعان ولم يُسَمّ عَيْلان . فقال عبد الله : يا أبا ساسان أتعرف الذي (63) يقول :

عزَلْنا وأمَّرْنا وبكر بنُ وائل تجُرّ خُصاها تبتغي من تُحالف

قال : أعرف هذا وأعرف الذي يقول :

وخيبة من يخيب على غَنِيٍّ وباهلة بن أعصر والركاب (64)

يريد يا خيبة من يخيب . قال : أفتعرف الذي يقول (65) .

كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع إذا عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذي يقول :

قوم قتيبة أمهم وأبوهم لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

وقبل هذا البيت :

---

(62) في ح : « معاتبته » وهو تصحيف .

(63) هو حارثة بن بدر الغداني وبعده :

وما بات بكري من الدهر ليلة فيصبح إلا وهو للذل عارف

(64) في « العقد الفريد » : « الرباب » .

(65) هو الفرزدق ، وهو في ديوانه بطبعة الصاوي .

إن كنت ترجو أن تنـــال رغيبة　　في دار باهلة بن أعصر فارحل

قال : أما الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال : أقرأ منه الأكثر الأطيب : (هَلْ أتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) فأغضبه فقال : والله لقد بلغني أن امرأة الحضين حملت إليه وهي حبلى من غيره . فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ثم قال على رِسْلِهِ : وما يكون ؟ تلد غلاماً على فراشي فيقال : فلان بن الحضين كما يقال : عبد الله بن مسلم .

ودخل المعتصم على خاقان يعوده في مرض ، فقال للفتح ابنه وهو صبي : أيما أحسن داري أم داركم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أما ما دمت في دارنا فهي أحسن . ويروى أنه قال له : الدار التي أنتَ فيها أحسن يعني دارهم .

وقيل لرجل من الجند : أراك تكره الخروج إلى العدو ، فقال : إني لأكره أن يأتيني الموت في بيتي ، فكيف أسافر إليه ؟

ولما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد (66) بقيت أخته آمنة عند الوليد ،

---

(66) ذكره المسعودي في « مروج الذهب » (3 : 109) فقال : « عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام ، وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلباً للملك ، وكان فيما كتب إليه عبد الملك : إنك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها بأهل ، فكتب إليه عمرو : استدراج النعم إياك أفادك البغي ، ورائحة الغدر أورثتك الغفلة ، زجرت عما وافقت عليه ، وندبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز . . . » . وكان عمرو هذا يلقب لطيم الشيطان ذكره الثعالبي بهذا اللقب في كتابه « ثمار القلوب » (ص 59) فقال : « لطيم الشيطان – يقال لمن به لقوة أو شتر : يا لطيم الشيطان ، وكان عمرو بن سعيد بن العاص يلقب بذلك ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر فتك عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد قال في خطبته : بلغنا أن أبا الذبان ، قتل =

فلما هلك عبد الملك سعى بها ساع إلى الوليد وأنها لم تبك على عبد الملك كما بكت نظائرها ، فذكر لها الوليد ذلك فقالت : صدق القائل إن كنت قائلة ماذا أقول ؟ يا ليته بقي حتى يقتل لي أخاً آخر كعمرو بن سعيد .

ويلتحق بهذا الباب ما روي (67) عن علي رضي الله عنه أنه قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر معنا ، فأتينا مجلساً فقلنا : من القوم ؟ فقالوا : من ربيعة ، فقال أبو بكر : من هامتها أم لهازمها (68) ؟ فقالوا : من هامتها العظمى ، فقال : وأيّ هامتها العظمى ؟ قالوا : ذُهْل الأكبر ، قال : فمنكم عوف (69)

= لطيم الشيطان (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) وكان عبد الملك يكنى أبا الذبان لشدة بخره وموت الذبان إذا دنت من فمه » . وفي ثمار القلوب (ص 129) أيضاً ما يأتي : « فتكتا الإسلام – كان يقال لفتكة عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد ابن العاص الأشدق : فتكة الإسلام ، ثم صارت بفتكة المنصور بأبي مسلم فتكتين فهما فتكتا الإسلام ، ولا ثالث لهما » .

(67) الخبر في « العقد الفريد » (3 : 326 – 327) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وفي كتاب « الفائق في غريب الحديث » للزمخشري (3 : 83 – 86) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي طبعة دار إحياء الكتب سنة 1947 م .

(68) في « تهذيب الأزهري » : « قال ابن الأعرابي : اللهازم هم : عجل ، وتيم اللات ، وقيس بن ثعلبة ، وعنزة » . وفي « الفائق » : « اللهازم أصول الحنكين ، الواحدة لهزمة ، يريد : أمن أشرافها أم من أوساطها ، ويقول النسابون : بكر بن وائل على جذمين : جذم يقال له الذهلان ، وجذم يقال له اللهازم ، فالذهلان بنو شيبان بن ثعلبة ، وبنو ذهل ابن ثعلبة ، واللهازم بنو قيس بن ثعلبة ، وبنو تيم اللات بن ثعلبة ، قال الفرزدق :

وأرضى بحكم الحي بكر بن وائل إذا كان في الذهلين أو في اللهازم »

وفي « تاج الزبيدي » : « هو من لهازم القبيلة أي من أوساطها لا أشرافها ، استعيرت من اللهازم التي هي أصول الحنكين » .

(69) ذكره ابن دريد في « اشتقاقه » (358) في رجال بني عكابة فقال : « ومنهم محلم بن ذهل ، فمن رجال محلم عوف الذي يضرب به المثل : « لا حر بوادي عوف » وهم أشراف في الجاهلية ، لهم قبة ، وهي التي يقال لها قبة المعاذة ، من لجأ إليها أعاذوه » وجاء عنه في « الفائق » ما يأتي : «عوف بن محلم بن ذهل ، كان عزيزاً شريفاً ، فقيل فيه : « لا حر بوادي عوف » أي الناس له كالعبيد والخول » .

الذي كان يقال فيه : « لا حُرَّ بِوَادِي عَوْفٍ » قالوا : لا ، قال: فمنكم بسطام (70) منتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم المزْدلف (71) صاحب العمامة ؟ قالوا : لا ،قال :فمنكم حسان (72) بن ربيعة حامي الذمار ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم الحَوْفَزان (73) قاتل الملوك ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال : لستم ذُهْل الأكبر ، أنتم ذُهْل الأصغر ، فقام إليه أعرابي منهم وقال :

---

(70) في «الفائق»: « فمنكم بسطام بن قيس أبو القرى ومنتهى الاحياء » . وفي « اشتقاق ابن دريد » (ص 358) وهو يذكر رجالات بني عكابة: «ومن فرسانهم المشهورين : بسطام بن قيس بن خالد ، وبسطام اسم فارسي ، وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا » .

(71) في « تاج الزبيدي » من مادة « زلف » ما يأتي : « والمزدلف بن أبي عمرو بن مقر بن بولان بن عمرو بن الغوث ، طائي ، والمزدلف أيضاً لقب الخصيب ، وهو أبو ربيعة كما نقله الصاغاني ، أو هو لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، كما نقله ابن حبيب ، وإنما لقب به لأنه ألقى رمحه بين يديه في حرب كانت بينه وبين قوم فقال : ازدلفوا إليه ، وكان إذا ركب لم يعتم معه غيره ، أو لاقترابه من الأقران في الحروب وازدلافه إليهم » .

(72) كذا بالأصل ، ومثله في ك وس ، وهو كذلك في الطبعة الفاسية ، أما « العقد الفريد » ففيه : « جساس بن مرة » وكذلك هو في « الفائق » للزمخشري ، ومعه الوصف الآتي : « مانع الجار » ومعه شرح يقول بالنص : « مانع الجار : لمنعه خالته البسوس وقتله كليباً في سببها » .

(73) عده ابن دريد في «الاشتقاق» (ص 358) في رجالات بني عكابة فقال : « ومن رجالهم شريك بن مطر جد معن بن زائدة ، وابنه الحوفزان بن شريك ، واسمه الحارث ، وإنما سمي الحوفزان لأن قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح ، وكل ما قلعته عن موضعه فقد حفزته » . وذكره الزبيدي في « التاج » قال : « الحوفزان فوعلان من الحفز ، وهو لقب الحارث بن شريك الشيباني ، لقب به لأن قيس بن عاصم المنقري التميمي الصحابي رضي الله تعالى عنه حفزه بالرمح ، أي طعنه به حين خاف أن يفوته فعرج من تلك الحفزة فسمي حوفزاناً ، حكاه ابن قتيبة » .

إنّ على سائلنا أن نسـأله والعِيءُ لا تعرفه أو تحمله

يا هذا سألتنـا فلم نكتمك ، فمن أنت ؟ قال : من قريش ، قال : بخ‌بخ (74) أهل الشرف والرياسة ، فمن أي قريش أنت ؟ قال : من تيم ابن مرة ، قال : أمكنت الرامي من ثغرتك ، (75) فمنكم قصي (76) الذي جمع الله به القبائل من فهر ؟ قال : لا ، قال : فمنكم هاشم (77) الذي هشم الثريد لقومه ؟ قال : لا ، قال : فمنكم شيبـة (78) الحمد

---

(74) في « تاج العروس » : « بخ كقد ، وهي كلمة تقال وحدها ، وقد تكرر فيقال : بخ بخ ، الأول منون ، والثاني مسكن ، وقل في الإفراد : بخ ساكنة ، وبخ مكسورة ، وبخ منونة مكسورة ، وبخ منونة مضمومة ، ويقال : بخ بخ مسكنين ، وبخ وبخ منونين مكسورين مخففين ، وبخ بخ منونين مكسورين مشددين ، كل ذلك كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح » .

(75) في « القاموس » : « الثغرة بالضم : نقرة النحر بين الترقوتين ، ومن البعير هزمة ينحر منها ، ومن الفرس فوق الجؤجؤ » .

(76) في « الفائق » : « قصي : هو زيد بن كلاب بن مرة ، ولقب بذلك لأنه قصا قومه أي تقصاهم وهم بالشام فنقلهم إلى مكة ، وكان يدعى مجمعاً ، قال :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر »

(77) في « الفائق » : « هاشم هو عمرو بن عبد مناف ، ولقب بذلك لأن قومه أصابتهم مجاعة فبعث عيراً إلى الشام ، وحملها كعكاً ، ونحر جزوراً وطبخها وأطعم الناس » .

(78) في « فائق الزمخشري » : «شيبة الحمد هو عبد المطلب ، ولقب بذلك لأنه لما ولد كانت في رأسه شعرة بيضاء ، وسمي مطعم الطير لأنه لما أخذ في حفر زمزم وكانت قد اندفنت جعلت قريش تهزأ به فقال : اللهم إن سقيت الحجيج ذبحت لك بعض ولدي ، فأسقى الحجيج منها ، فأقرع بين ولده فخرجت القرعة على ابنه عبد الله ، فقالت أخواله بنو مخزوم : ارض ربك وافد ابنك ، فجاء بعشر من الإبل فخرجت القرعة على ابنه ، فلم يزل يزيد عشراً عشراً ، وكانت القرعة تخرج على ابنه إلى أن بلغها المائة ، فخرجت على الإبل فنحرها بمكة في رؤوس الجبال فسمي مطعم الطير » .

مطعم الطير ؟ قال : لا ، قال : فلكم الإفاضة (79) ؟ قال : لا ، قال : فلكم الندوة ؟ قال : لا ، قال : فلكم الحِجابة ؟ قال : لا ، قال : فلكم السّقاية ؟ قال: لا ، ثم اجتذب أبو بكر زمام ناقته وانصرف عنه ، فقال له : أيم الله ، لو تلبثت لأخبرتك أنك من زمعات (80) قريش أو ما أنا بدغفل (81) فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال علي : فقلت : يا أبا بكر حصلت من الأعرابي على باقعة (82) ، قال : أجل إن فوق كل طامة طامة ، والبلاء موكل بالمنطق .

---

(79) في « فائق الزمخشري » كذلك ما يأتي : « كانت الإفاضة في الجاهلية إلى الأخزم بن العاص الملقب بصوفة ، ولم تزل في ولده حتى انقرضوا ، فصارت في عدوان يتوارثونها حتى كان الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة العدواني صاحب الحمار ، وقيل : كان قصي قد حازها إلى ما حاز من سائر المكارم ، وقد قسم مكارمه بين ولده ، فأعطى عبد مناف السقاية والندوة ، وعبد الدار الحجابة واللواء ، وعبد العزى الرفادة » .

(80) في « القاموس » : « الزمعة محركة هنة زائدة وراء الظلف ، أو شبه أظفار الغنم في الرسغ في كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون ، أو الشعرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب » اهـ . منه» ، والزمعات يكنى بها عن أوباش الناس .

(81) في المخطوطات الثلاث ، وكذا في الفاسية : « دعبل » بعين مهملة وباء موحدة ، وهو تصحيف صوابه : « دغفل » بالغين والفاء ، وهو النسابة المضروب به المثل في معرفة الأنساب ، ذكره الميداني في « أمثاله » (2 : 308) فقال : « هو رجل من بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، كان أعلم أهل زمانه بالأنساب ، زعموا أن معاوية سأله عن أشياء فخبره بها فقال : بم علمت ؟ قال : بلسان سئول ، وقلب عقول ، على أن للعلم آفة ، وإضاعة ، ونكداً ، واستجاعة ، فآفته النسيان ، وإضاعته أن يحدث به من ليس من أهله ، ونكده الكذب فيه ، واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع . قال القتيبي : هو دغفل بن حنظلة السدوسي ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد دغفل على معاوية وعنده قدامة بن جراد القريعي فنسبه دغفل حتى بلغ أباه الذي ولده فقال: وولد جراد رجلين : أما أحدهما فشاعر سفيه ، والآخر ناسك ، فأيهما أنت؟ فقال : أنا الشاعر السفيه ، وقد أصبت في نسبتي وكل أمري ، فأخبرني بأبي أنت متى أموت؟ قال دغفل : أما هذا فليس عندي وقتلته الأزارقة » .

(82) في « أساس البلاغة » : « هو باقعة من البواقع : للكيس الداهي من الرجال ، شبه بالطائر الذي يرد البقع وهي المستنقعات دون المشارع خوف القناص » .

وكان عتبة بن أبي سفيان عاملاً على المدينة فولى رجلاً من أهله على الطائف ، ثم إنه ظلم رجلاً من الأزد وأخذ له غنماً ، فجاء إلى المدينة مشتكياً ودخل على عتبة فأنشأ يقول :

أمرت من كان مظلوماً ليأتيكم   فقد أتاك غريب الدار مظلوم

وذكر ما فعل به العامل وأكثر ، فقال له عتبة : إنك أعرابيّ جاف ، والله ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة ، فقال الأعرابيّ : أرأيتك إن أنبأتك عن ذلك أن تجعل لي أن أسألك عن مسألة ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

إن الصلاة أربع وأربع
ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : صدقت فسل ، فقال : كم فقار ظهرك (83) قال : لا أدري ، قال : فتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ، فقال عتبة : ردوا عليه غنيمته .

---

(83) قال المبرد في كامله بعد إيراد الحكاية : « قوله : فقار إنما هو جمع فقارة ويقال : فقرة ، فمن قال في الواحد فقرة قال في الجميع فقر كقولك كسرة وكسر ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فقار ، كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمام » . وزاد المرصفي في رغبة الآمل (4 : 33) يقول : « عن أبي الهيثم : للإنسان أربع وعشرون فقارة وأربع وعشرون ضلعاً ست فقارات في العنق بعد الفهقة ، وهي موصل العنق بالرأس ، وست في الكاهل بين كل ضلعين من أضلاع الصدر فقارة ، وست في الظهر بين كل ضلعين من أضلاع الجنبين فقارة ، ثم تليها فقارة تسمى القطاة تفصل بينها وبين فقار العجز ، ويليها رأسا الوركين اللذان يقال لهما : الغرابان ، وست في العجز آخرها فقارة تسمى بالقحقح ».

ولما ظهر (84) المهلب بن أبي صفرة على الخوارج أرسل كعب (85) ابن معْدان الأشقري ومرة بن تليد الأزدي إلى الحجاج ليعلماه بالفتح فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشد :

يا حفص إني عداني (86) عنكم السفر وقد سهرت فأرْدى نوميَ السهر (87)

فقال له الحجاج : أشاعر أم خطيب ؟ فقال : كلاهما ، ثم أنشده القصيدة (88) ، ثم أقبل عليه فقال : خبرني عن <بني> (89) المهلب فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم وسخيهم قبيصة ، ولا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك ، وعبد الملك سم

---

(84) الخبر في « كامل المبرد » (3 : 224) وفي « أمالي القالي » (1 : 261) وفي « أغاني الأصفهاني » (14 : 283 – 286) من طبعة الدار .

(85) قال عنه الأصفهاني في « أغانيه » (14 : 284) : « كعب بن معدان الأشقري ، والأشاقر قبيلة من الأزد ، شاعر ، فارس ، خطيب ، معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلب والمذكورين في حروب الأزارقة » .

(86) في ك : « إن عذابي » ومثله في س و ح ، وهو خطأ صوابه : « عداني » بمعنى صرفني كما هو رواية الأصل ، وكما جاء في المراجع التي أوردت الخبر .

(87) رواية « الأغاني » للمصراع جاءت هكذا : « وقد أرقت فآذى عيني السهر » .

(88) القصيدة هذه أوردها الطبري في « التاريخ » (6 : 304 – 308) وهي في 83 بيتاً ، ومما جاء فيها بشأن القتال بين الخوارج ورجال المهلب قوله :

تأبى علينا حزازات النفوس ، فما نبقي عليهم وما يبقون إن قدروا
ولا يقيلوننا في الحرب عثرتنا ولا نقيلهم يوماً إذا عثروا
لا عذر يقبل منا دون أنفسنا ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا

وهو في غاية الصدق والإنصاف .

(89) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

ناقع (90) وحبيب موت ذعاف (91) . ومحمد ليث غاب . وكفى بالفضل نجدة ، قال : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال : قد خلفتهم بخير ، قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال : كانوا حماة للسرح (92) نهاراً ، فإذا أليلوا (93) ففرسان للبيات ، قال : فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال : كنا إذا أخذنا عفونا (94) <وأخذوا عفوهم يئسنا منهم> (95) ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم ، فقال الحجاج : (إنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) كيف أفلتكم قطري ؟ قال : كادنا ببعض ما كنا نكيده ، قال : فهلا اتبعتموه ؟ قال : كان الحد عندنا آثر من الفل ، قال : فكيف كان لكم المهلب وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقة الوالد ، وله منا بر الولد ، قال : فكيف اغتباط الناس ؟ قال : فشا فيهم الأمن ، وشملهم النفل (96) قال : أكنت أعددت لي هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم الغيب إلاّ الله ، قال : هكذا والله يكون الرجال ، المهلب كان أعلم بك حين وجهك .

---

(90) في « أساس البلاغة» : « نقع السم في ناب الحية : اجتمع » ، وجاء في « القاموس » : « سم ناقع : بالغ ثابت » .

(91) في « القاموس » : « الذعاف كغراب : السم ، أو سم ساعة » . وفي « الصحاح » : موت ذعاف وذؤاف أي سريع يعجل القتل » .

(92) في « الأغاني » : « للحريم » بدلا من « للسرح » .

(93) في « القاموس » ألالوا و أليلوا : دخلوا في الليل » .

(94) عنى بالعفو هنا القتال المتراخي الذي لا مماحكة فيه ، ولا إجهاد ، والعفو يأتي بمعنى الشيء السهل الميسور مما لا يشق على النفوس ولا يكون فيه كلفة ولا إعنات ، ومن هذا المعنى قوله تعالى (خذ العفو) ومنه أيضاً قوله جل شأنه : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) .

(95) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

(96) في «مصباح الفيومي » : « النفل الغنيمة ، والجمع أنفال مثل سبب وأسباب ، والنفل مثل فلس مثلها » .

وفي « نوادر القالي » (97) أن الحجاج قال له : كيف كانت محاربة المهلب للقوم ؟ قال : كان إذا وجد الفرصة (98) سار (99) كما يسور الليث ، وإذا دَهِمَتْه الطحمة (100) راغ كما يروغ الثعلب ، وإذا مادَّه القوم صبر صبر الدهر ، وأنه قال له : كيف أفلتكم قطريّ ؟ قال كادنا ببعض ما كدناه به ، والأجل أحصن جنة ، وأنفذ عُدة ، قال : وكيف اتبعتم عبد ربه وتركتموه ؟ قال : آثرنا الحد على الفل ، وكانت سلامة الجند أحب إلينا من شجب (101) العدو .

ولما مات سعيد (102) بن العاصي (103) قال معاوية لابنه عمرو بن

(97) انظر جزأها الأول ص261 .

(98) كتبت هذه الكلمة في الأصل بالسين وكذلك رسمت في الكنسوسية أيضاً ، وهو تصحيف صوابه كتابتها بالصاد ، وبه كتبت في الكتانية والفاسية .

(99) في « أساس البلاغة » : « سار عليه وثب ، وساوره ، والحية تساور الراكب ، وله سورة في الحرب » .

(100) في « أساس البلاغة » : « أنتهم طحمة السيل : دفاعه ومعظمه ، ومن المجاز : أشد من حطمة السيل ، تحت طحمة الليل ، وهي معظم سواده ، وطرقتنا طحمة من الناس ، ودفعوا إلى طحمة الفتنة » .

(101) في « مصباح الفيومي» : « شجب فهو شجب من باب تعب إذا هلك » .

(102) ذكره ابن حجر في « الإصابة » فكان مما قال بشأنه : « سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي أبو عثمان ، كان من فصحاء قريش ، ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن ، وكان مشهوراً بالكرم والبر حتّى كان إذا سأله السائل وليس عنده ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه مسطوراً ، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاهم عنه ولده عمرو الأشدق ، وكان إذا أحب شيئاً أو أبغضه لم يذكر ذلك ويقول : إن القلوب تتغير ، فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحاً اليوم عائباً غداً ، ومن محاسن كلامه : لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا تمازح الدنيء فتهون عليه ، ومن كلامه : موطنان لا أعتذر من العي فيهما : إذا خاطبت جاهلا ، أو طلبت حاجة لنفسي، مات سعيد في قصره بالعقيق سنة ثلاث وخمسين » .

(103) في « التاج» من مادة « عصي » ما يأتي : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : سمعت المبرد يقول : هو العاصي بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها ، قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة ، يعني أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » .

سعيد وهو صبي صغير : إلى من أوصى بك أبوك يا غلام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن أبي أوصاني ولم يوص بي .

وقال معاوية لابنه يزيد وهو ابن تسع سنين : في أي سورة أنت يا بني ؟ وكان في سورة القتال ، فكره أن يذكرها فقال : أنا في السورة التي تلي : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً) يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : هذه السورة تليها سورتان ، وهي بينهما ، ففي أيتهما أنت ؟ قال : في السورة التي فيها : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) فتمثل معاوية حينئذ بقول الشاعر :

ملوك وأبناءُ الملوك وسادة ... تفلق عنها بيضة الطائر الصقر
متى تلق منهم ناشئاً في شبابه ... تجده على آثار والده يجري

ولما أصاب أهل البوادي القحط (104) أيام هشام بن عبد الملك وفدت

---

(104) جاءت الحكاية في «عيون الأخبار» (ج 2 ص 338) على نحو آخر يقول بالنص :
«مقام أعرابي بين يدي هشام»
«أتت على الناس سنون ، أما الأولى فلحت اللحم ، أما الثانية فأكلت الشحم ، وأما الثالثة فهاضت العظم ، وعندكم فضول أموال ، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده ، وإن كانت لهم ففيم تحظر عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا عليها بها ، فإن الله يجزي المتصدقين ، فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمال فقال : أكل المسلمين له مثل هذا؟ قالوا : لا ، ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين ، قال فلا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين» .

عليه رؤساء القبائل وفيهم صبي صغير في رأسه ذؤابة، وعليه بردة يمنية (105) فأنكر هشام حضوره وقال للحاجب : ما يشاء أحد أن يصل إلينا إلاّ وصل حتى الصبيان ، فقال الصبي : يا أمير المؤمنين إن دخولي لم ينقصك ، ولكن شرفني ، وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه ، وإن الكلام نشر والسكوت طي لا يعرف إلاّ بنشره ، فأعجب هشاماً كلامه [فقال له :] (106) انشر لا أم لك فقال : يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث ، فسنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة أنقت (107) العظم ، وفي يدكم فضول أموال ، فإن كانت لله ففرقوها على عباده ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، فقال هشام : ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، وأمر بمائة ألف درهم [ففرقت في البادية وأمر للغلام بمائة ألف درهم] (108) فقال : ارددها في جائزة العرب ، فما لي بها حاجة في خاصة نفسي دون سائر المسلمين ، فكان في هذه أعجب .

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جاءته الوفود (109) ، فحين دخل عليه وفد أهل الحجاز أراد غلام منهم أن يتكلم فقال له عمر :

---

(105) في س و ح : « يمانية » .

(106) ما بين العلامتين زيادة من ك و س .

(107) في « صحاح الجوهري » : « النقو بالكسر في قول الفراء كل عظم ذي مخ ، والجمع أنقاء ، والنقي مخ العظم ، وشحم العين من السمن ، ونقوت العظم ونقيته إذا استخرجت نقيه وانتقيت العظم مثله ، وأنقت الإبل أي سمنت وصار فيها نقي ، وكذلك غيرها » .

(108) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وكتبه ناسخ الكتانية لحقاً على طرته ، وهو وارد في الطبعة الفاسية .

(109) الحكاية وردت في « مروج الذهب » للمسعودي (3 : 197) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وجاءت كذلك في « زهر الآداب » للحصري (1 : 7) بتحقيق علي محمد البجاوي .

يا غلام ، يتكلم (110) من هو أسن منك ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد [له] (111) الاختيار ، ولو أن الأمور بالسن لكان هنا من هو أحق بمجلسك منك ، فقال له : صدقت فتكلم ، فهذا هو السحر الحلال ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن وفدُ التهنئة ، لا وفد المرزئة ، لم تقدِمْنا إليك رغبةٌ ولا رهبةٌ ، لأنا قد أمِنّا في أيامك ما خفناه ، وأدركنا ما طلبناه ، وفي رواية : أما الرغبة فقد أوصلها لنا فضلك ، وأما الرهبة فقد أمّننا منها عدلك ، فتهلل وجه عمر عند ثناء الغلام عليه ، وسأل عن سن الغلام فقيل : عشر سنين (112) ثم كأن (113) عمر خاف العجب فأقبل على الغلام وقال : عظنا يرحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن (114) جهل القوم بك معرفتك بنفسك ، فأجهل الناس مَن ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، وإن قوماً خدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم فهوُوا في النار ، أعاذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون منهم ، وألحقك بصالح سلف هذه الأمة ، فجعل عمر يبكي حتى خيف عليه .

---

(110) في «المروج والزهر» : « ليتكلم » بلام الأمر .

(111) ما بين العلامتين زيادة من « زهر الآداب » ، وفي « مروج الذهب » : « فقد استجاد له الحلية » بدل : « فقد أجاد له الاختيار » .

(112) في « مروج الذهب » : « نظر عمر في سن الغلام فإذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله يقول :

تعلم فليس المــرء يولــد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

(113) كذا في الأصل ، ومثله في س و ح وفي ك وجدها « ان » بدل « كأن » .

(114) نص الموعظة في « المروج » جاء كما يلي : « اناساً غرهم حلم الله عنهم ، وطول أملهم ، وحسن ثناء الناس عليهم ، فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك » .

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية (115) فقال له معاوية : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ قال : السخينة يا أمير المؤمنين ، أشار معاوية إلى قول الشاعر (116) يهجو بني تميم بحب الطعام :

إذا مـــا مات ميت من تميــــم وسرك أن يعيش فجـــيء بزاد
بخـــبز أو بلحـــم أو بتمـــــر أو الشيء الملفف في البجاد (117)

وأصل ذلك أن عمرو بن هند لما حلف ليحرقن من بني تميم مائة في ثأره أخذهم فجعل يلقيهم في النار . حتى بقي له واحد من العدة ، فإذا برجل تميمي من البراجم قد ذهب في حاجة فشم روائح المحترقين فقال : هذا شواء اتخذه الملك ، فمال إليه ، فلما وقف عليه قال له : من أنت ؟ قال : بُرجميّ ، فقال الملك « إن الشقيّ وافد البراجم » وأمر به فقذف في النار تكميلاً للعدد . فمن ذلك عيّرت العرب تميماً بحب الطعام ، وقال الشاعر (118) :

ألا أبلغ لديك بني تميــــم بـــآية ما يحبون الطعامـــا

---

(115) الحكاية واردة في « أدب الكاتب » لابن قتيبة (ص 11 – 12) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(116) هو أبو المهوش الأسدي على ما في كتاب « الاقتضاب » لابن السيد البطليوسي والبيتان معهما بيت ثالث هو :

تراه يطوف الآفـــاق حرصاً ليأكل راس لقمان بن عاد

(117) البجاد كساء ذو خطوط ، والشيء الملفف فيه أراد به وطب اللبن الذي لف وترك ليروب ، فأما لقمان بن عاد المذكور في البيت المضاف فقد بين ابن السيد البطليوسي في « اقتضابه » المعنى من ذكره والمغزى من التمثيل به فقال : « وإنما ذكر لقمان بن عاد لجلالته وعظمته يريد أنه لشدة نهمه وشرهه إذا ظفر بأكلة فكأنه ظفر برأس لقمان لسروره بما نال وإعجابه بما وصل إليه ، وهذا كما يقال لمن يزهو بما فعل ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان » .

(118) هو يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي على ما في « كتاب الاقتضاب » لابن السيد .

وأشار الأحنف بذكر السخينة ، وهي حساء رقيق كانت قريش تتخذه في الشدة ويعيرون (119) به .

ومن هذا المعنى ما وقف رجل (120) من فقعس على الفرزدق فقال له الفرزدق : أين تركت القنان (121) ؟ فقــال : تركته يسامي أو يقابل لصافاً(122) وهما جبلان معروفان، الأول منهما هو الواقع في قول زهير (123) :

جعلن القنان عن يمين وحزْنَهُ ومن بالقنان من محل ومحرم

(119) يبدو أن في العبارة بعض اختلال ، وهذا نصها في (أدب الكاتب ص 12): « أراد الأحنف أن قريشاً كانت تعير بأكل السخينة وهي حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر وعجف المال وكلب الزمان » . وكانت قريش تعير بأكل السخينة للسبب الذي ذكره البطليوسي في « اقتضابه » فقال : « وكانت قريش تعير بأكل السخينة ، وكان السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث فيهم فكفروا به دعا الله تعالى عليهم وقال : (اللهم أشدد وطأتك واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فأجدبوا سبع سنين ، وكانوا يأكلون الدم بالوبر ، ويسمونه العلهز ، وكان أكثر قريش إذ ذاك يأكلون السخينة ، وكانت قريش تلقب : سخينة ولذلك يقول حسان بن ثابت :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغـــالب الغلاب

(120) هو مضرس الذي عرف به المرزباني في « معجم الشعراء » (ص 307) فقال : « مضرس بن ربعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو ابن قعين الأسدي له خبر مع الفرزدق» وقال عنه الآمدي في المؤتلف والمختلف (ص 290) : « شاعر محسن متمكن » .

(121) في « معجم ما استعجم » : « قنان بفتح أوله ونون أخرى في آخره من منازل فقعس » .

(122) كذا هو في الأصل وفي ك و س و ح : « لصاف » بدون الألف وجاء في معجم البلدان لياقوت : « لصاف بوزن قطام كأنه معدول عن لاصفة ، وتأنيثه للأرض أو البقعة التي يكثر فيها اللصف ، قال أبو عبيد : اللصف شيء ينبت في أصل الكبر كأنه خيار . . . » .

(123) أي في المعلقة وقبله :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم

وجاء في شرح القصائد العشر» للخطيب التبريزي بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة في تفسير البيت ما نصه : « القنان جبل لبني أسد ، والحزن والحزم سواء وهو الموضع الغليظ ، =

والثاني هو الواقع في قول النابغة (124) :

بمصطحبات (125) من لصاف وثبرة (126)

يــــزرن إلالا ســيرهـــن التـــدافع

وإلال (127) هو جبل عرفة ، فعرض الفرزدق بالفقعسي مشيراً إلى قول الشاعر (128) فيهم :

ضمن القنان لفقعس سوآتها . إن القنان بفقعس لمعمــر

وأشار الفقعسي بذكر لصاف إلى قول الآخر (129) في تميم :

= والمحل الذي ليست له ذمة تمنع ، ولا حرمة ، والمحرم الذي له حرمة تمنع منه ، هذا قول أكثر أهل اللغة ، وقال أبو العباس محمد بن يزيد : المحل والمحرم هنا الداخلان في الأشهر الحرم ، وفي الأشهر التي ليست بحرم، يقال : أحرم إذا دخل في الشهر الحرام، وأحل إذا خرج منه ، والمعنى : كم بالقنان من عدو وصديق لنا ، يقول : حملت نفسي في طلب هذه الظعن على شدة أمر بموضع فيه أعدائي ، لو ظفروا بي لهلكت » .

(124) البيت من عينيته التي مطلعها :

عفا حسم من فرتنى فــالفوارع فجنبا أريك فالتلال الدوافع

وقبله :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

(125) المصطحبات عنى بها الإبل التي عليها حجاج البيت الحرام .

(126) كتبه ناسخ الأصل بمثناة فوقية ، وكذلك كتبه ناسخ الكتانية في صلبها ، ثم عاد فكتبه على طرتها بمثلثة ، أما ح ففيها : « ثبرة بثاء مثلثة ، فباء ساكنة ، فراء ، وهو موضع ذكره البكري في « معجم ما استعجم » فقال : « ثبرة بفتح أوله وإسكان ثانيه وبالراء المهملة : موضع تلقاء لصاف من ديار بني مالك بن زيد مناة بن تميم ،وقيل : هو بين ديار بني تغلب وديار بني يربوع ، وأصل الثبرة النقرة في الحجارة المتراصفة مثل الصهريج ، وقال ابن دريد : الثبرة تراب شبيه بالنورة ، وقال قاسم : الثبرة أرض حجارتها كحجارة الحرة إلا أنها بيض » .

(127) ضبطه ياقوت في « معجم البلدان » فقال : « ألال بفتح الهمزة ، واللام ، والألف ، ولام أخرى ، بوزن حمام وقد روي إلال بوزن بلال » .

(128) هو نهشل بن حري .

(129) هو أبو المهوش الأسدي .

وإذا تسرك من تميم خصلة فلمّا يسوءك من تميم أكثر
قد كنت أحسبهم أسودَ خفيّةٍ (130) فإذا لصاف تبيض فيه الحمّرُ

والحمر على وزن صرد ، وتشدد ميمه ، وهو اللائق في البيت طائر شبههم به في الضعف والجبن (131) .

وقال بعضهم (132) : كنت عند جسر بغداد فإذا بفتاة حسناء قد مرت ، فجاء فتى من الجانب الآخر ، فلما رآها قال : يرحم الله علي بن الجهم ، فقالت : ويرحم الله أبا العلاء المعري ، ثم انطلق كل لحاجته . ولم يقف قال : فتبعت المرأة وقلت لها : لئن لم تخبريني بما جرى بينكما لأفضحنك ، فقالت : لا شيء إلاّ أنه أشار إلى قول علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري (133)

---

(130) في « معجم البلدان » : « خفية بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مشددة : أجمة في سواد الكوفة ينسب إليها الأسود فيقال : أسود خفية » .

(131) حكاية الفرزدق مع الفقعسي هذه أوردها ياقوت في « معجم البلدان » (7 : 329 – 330) فقال : « بلغ مضرس بن ربعي الأسدي أن الفرزدق قد هجا بني أسد فقدم البصرة ، وجلس بالمربد ينشد هجاءه الفرزدق فبلغ الفرزدق ذلك فجاءه حتى وقف عليه فقال له : من أنت؟ قال : أسدي أنا، قال : لعلك ضريس قال : أنا مضرس ، فقال له الفرزدق: إنك بي لشبيه ، فهل وردت أمك البصرة ؟فقال : لم ترد البصرة قط ، ولكن أبي ، قال الفرزدق : ما فعل معمر ؟ قال مضرس : هو بلصاف ، أراد الفرزدق بقوله نهشل ابن حري يهجو بني فقعس حيث قال :

ضمن القنان لفقعس سوآتها إن القنان بفقعس لمعمر

وأراد مضرس قول أبي المهوش الأسدي يرد عليه :

قد كنت أحسبكم أسود خفية فإذا لصاف تبيض فيه الحمر »

(132) الحكاية في « أخبار الأذكياء » لابن الجوزي « ومعجم الأدباء » لياقوت في ترجمة المعري ، « وثمرات الأوراق» لابن حجة الحموي .

(133) البيت مطلع قصيدة له مودعة في ديوانه بتحقيق خليل مردم .

فأشرت أنا إلى قول المعري :

فيـــا دارها بالحزن إن مزارهـــا قريب ولكن دون ذلك أهوال(134)

وتقدم نحو هذا في قصة المعري وقصة الكسائي .

ومن هذا القبيل في ذكاء العقول ولطافة الأفهام ما يحكى أن المعتمد بن عباد خرج يوماً هو ووزيره أبو بكر بن عمار فمرا بالرحبة فـــإذا بامرأة بذيّة (135) بين الرجال . فقال المعتمد : « الجيارين » (136) فقال ابن عمار : نعم يا سيدي « والجباسين » فالأول يقول : « الحيا زين »والثاني يقول : « والخنا شين » وصحف (137) كل تعمية على العامة واتكالاً على فهم صاحبه .

---

(134) البيت من قصيدة سقطية مطلعها .

مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال وفي النوم مغنى من خيالك محلال

(135) في « مصباح الفيومي » :« بذا على القوم يبذو بذاء بالفتح والمد سفه وأفحش في منطقه وإن كان كلامه صدقاً ، فهو بذي على فعيل ، وامرأة بذية كذلك »؛وفي ح : « بدية » بدال مهملة وهو تصحيف .

(136) أراد ابن عباد الذين يبيعون الجير وعنى ابن عمار من يتجرون في الجبس ، وننقل إلى القارىء هنا ما ذكره الشهاب الخفاجي في « شفاء الغليل » عن لفظي الجير والجبس بنصه قال : «الجبس الذي تلاط به البيوت ، والصواب فيه : الجص ، وإنما الجبس في كلامهم الدنيء ، وكذا جير خطأ ، والصواب جيار وهو الصاروج قاله الزبيدي » . وقد ذكر الذين رووا الحكاية أنها كانت على مقربة من سوقين متجاورتين إحداهما كانت للجيارين والأخرى للجباسين .

(137) التصحيف على ثلاثة أشكال أحدها ذاك الذي ينشأ عن سوء القراءة وهو الذي ذكره حمزة الأصفهاني في كتاب « التنبيه على حدوث التصحيف » فقال بشأنه : « أما معنى قولهم : التصحيف فهو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته . وأما لفظ التصحيف فإن أصله فيما زعموا أن قوماً أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء فكان يقع فيما يروونه التغيير فيقال عندها : قـــد صحفوا أي رووه عن الصحف » انتهى . =

وهذا الباب لا يأتي عليه الحصر ، وما ورد فيه من الشعر أكثر وأكثر ، وقد قيل : أنزلت الحكمة على ألسنة العرب ، وما ذلك إلاّ في شعرها ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً » وتقدمت جملة من ذلك في الأمثال ، وسيأتي شيء منه في الوصايا والمواعظ إن شاء الله .

لله الأمر من قبل ومن بعد

= والثاني ما قصد بها إلى تزيين العبارات وتنميقها ، وهو الذي يتكلم فيه أصحاب البديع والثالث ما قصد به إلى التعمية والإلغاز ، ومن أمثلته ما حكوه عن المتنبي أنه سامر سيف الدولة ذات ليلة فلما أراد الانصراف قال له الأمير : «تتبختر» فقال الشاعر يجيبه : « وتتيه » وكان تصحيف : « تتبختر » هو : « بت بخير » وكان تصحيف « وتتيه » هكذا : « وبت به » .

وسئل بعضهم : ما تصحيف بلنسية فأجاب : أربعة أشهر ، وذلك لأن لفظ بلنسية يقرأ بالتصحيف هكذا : « ثلث سنة » .

بـــاب
[في نبذة من أبيات المعاني والألغاز العربية]

وهذه نبذة من أبيات المعاني والألغاز العربية ، وأتبعناها للحكم والأجوبة المسكتة للمناسبة الظاهرة ، فإن الكل منشؤه الذكاء والفطنة ، والألغاز وإن كانت كما قال المحققون <من> (1) صنعة البطالين لا نريد أن نخلي الكتاب من شيء منها لقصد التفنن والإحماض و [قـــد] (2) تقدم شيء من أبيات المعاني <في الكتاب > (3) ومن ذلك في الأنواء قول بعض السدوسيين (4) :

إذا القوس وترهـــــا أيِّدٌ رمى فأصاب الكلى والذُّرا

يريد أن القوس أعني قوس قزح إذا وترها أي أقامها ونصبها على ما هي

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(2) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(4) البيت في « اللسان » بمادة « أيد » ومعه تفسير يقول فيه ابن منظور : « يقول : إذا الله تعالى وتّر القوس التي في السحاب رمى على الإبل وأسنمتها بالشحم يعني من النبات الذي يكون من المطر » . والبيت في « مجالس ثعلب » (القسم الثاني ج 10 : ص 447) وبعده بيت يقول :

« فأصبحت والليل مستحلس وأصبحت الأرض بحراً طما»

وشرح البيت ثعلب فقال ما نصه : « قوله : « فأصبحت والليل مستحلس » قال : فأصبحنا وكأنا في ليل من شدة الغيم أي لم يعلم بالصباح لأن الغيم مقيم متكاثف » .

أيّد أي قوي ، وهو الملك الموكل بها ، أو الفاعل المختار سبحانه رمى بالغيث فأصاب بالشحم كلى الأنعام وذُراها .

وفي صفة السيف قول الآخر :

وكنت إذا الإبريق أقْعى على استه وظن نديم الشر أن ليس راويا
كررت عليه الكأس حتّى كأنما يرى بالذي أسقيـــه منه الأفاعيا

الإبريق السيف (5) لأنه يسقي الموت ، وإقعاؤه على استه أن يأخذ بقائمه عند إرادة الضرب ، ونديم الشر العدوّ ، والكأس كأس الشرّ .

وفي صفة الظل قول الآخر :

وصاحب غير ذي ظلٍ ولا نفَسٍ هيجته بسواء البيد فاهتاجا

يريد بالصاحب ظله ، فإنه لا ظل له ، ولا نفس ، وقد حركه بمشيه فتحرك .

ونحوه قول الآخر :

---

(5) في غفران المعري (ص 144 سلسلة الذخائر رقم 4) وهو يصف نعيم الجنة : « هذه أباريق ، تحملها أباريق ، كأنها في الحسن الأباريق : فالأولى هي الأباريق المعروفة ، والثانية من قولهم : جارية إبريق إذا كانت تبرق من حسنها ، قال الشاعر :
وغيداء إبريق كـــأن رضابها جنى النحل ممزوجاً بصهباء تاجر
والثالثة من قولهم : سيف إبريق مأخوذ من البريق قال ابن أحمر :
تقلدت إبريقــاً وعلقت جعبة لتهلك حياً ذا زهـــاء وجامل »

وثنيّـــةٍ جـــاوزتها بثنيّـــةٍ حرْفٍ(6) يعارضها ثنيٌ أدهم

فالثنية الأولى ثنيّة الجبل ، والثانية الناقة التي ذلك سِنّها ، والثني الآخر ظلها ، وهو أدهم أي أسود .

وفي اللصوصية قول الآخر :

تعيرني ترك الرماية خُلّتي (7) وما كل من يرمي الوحوش ينالُها
فإلا أصادف غرة الوحش أقتنص من الانسيات العظام جُفـــالها

أي إن لم أقتنص الوحش أسرق من الغنم العظام الجفال أي الصوف (8) .

وقول الآخر (9) :

---

(6) في « التاج » : « الحرف : الناقة الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل ، كذا في « الصحاح » ، وفي « العباب » : تشبيهاً بحرف السيف زاد الزمخشري : في هزالها ومضائها في السير ، وفي « اللسان » : هي النجيبة الماضية التي أنضتها الأسفار شبهت بحرف السيف في مضائها ونجائها ودقتها ، أو هي المهزولة ، نقله الجوهري عن الأصمعي وقال أبو العباس في تفسير قول كعب بن زهير :

حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليـــل

قال : يصف الناقة بالحرف لأنها ضامرة ، وتشبه بالحرف من حروف المعجم وهو الألف لدقتها ، وتشبه بحرف الجبل إذا وصفت بالعظم ، قال ابن الأعرابي : ولا يقال : جمل حرف إنما تخص به الناقة » .

(7) في « تاج الزبيدي » : « الخلة بالضم الخليلة قال كعب بن زهير :

يا ويحها خلـــة لو أنها صدقت موعودها أو لو ان النصح مبذول
لكنها خلة قد سيط من دمهـــا فجع وولع وإخلاف وتبديل

والخلة أيضاً الصداقة المختصة التي لا خلل فيها ، تكون في عفاف الحب وفي دعارة منه والخلة أيضاً الصديق يقال للذكر والأنثى والجميع لأنه في الأصل مصدر » وفي ك :«خلقتي» وهو خطأ .

(8) في « التاج » الجفال كغراب : رغوة اللبن ، وأيضاً الكثير من كل شيء ، ومنه الحديث في الدجال : « جفال الشعر » ولا يوصف بالجفال إلا وفيه كثرة أو من الصوف خاصة » .

(9) البيتان في « معاني الشعر » للاشنانداني (ص 124 – 125) .

توخّى بها مجرى سُهَيْلٍ وخلفه من الشام أعلام تطول وتقصر
فلما رأى أن النِّطافَ تعــذرت رأى أن ذا الكلبين لا يتعذر

هذا لص طرد إبلاً فتوخى أي قصد بها مجرى سهيل ، وهو اليمن ، وترك الشام وأعلامه أي جباله خلفه تطول وتقصر في السراب(10) فلما رأى أن النطاف أي المياه تعذرت في طريقه رأى أن ذا الكلبين أي سيفه ، والكلبان مسماران في قائمه ، لا يتعذر فينحر ويفتظ(11) الكرش فيشرب ما فيه :

وقول الآخر :

إنا وجدنا طرَدَ (12) الهوامل خيراً من التأنان (13) والمسائل
وعِدَةِ (14) العام وعام قابل ملقوحة في بطن ناب حامل

يقول : إن سرقة الإبل الهوامل <أي> (15) التي لا راعي معها

---

(10) في « معاني الشعر » للأشناندانى : «تطول بالنهار وتقصر بالليل لأنها تستبين بالنهار فتطول في العين ويغطيها الليل فترى قصاراً » .
(11) في س و ح : « يفتض » بالضاد الساقطة ، وهو تصحيف صوابه بالظاء المشالة كما جاء في الأصل وفي ك ، وفي « أساس البلاغة » للزمخشري : « عطشوا حتى شربوا الفظ وهو ماء الكرش وافتظوا الكرش : أخذوا فظها » .
(12) ينبغي أن تحرك الراء من الكلمة بالفتح لأن الراجز زاحف ثم بالطي الذي هو حذف الرابع الساكن من الجزء ، وفي « التاج » : « الطرد بفتح فسكون ويحرك الإبعاد والتنحية ، والطرد والطرد ضم الإبل من نواحيها : طردت الإبل طرداً وطرداً أي ضممتها والطرد بالتحريك مزاولة الصيد ، والطريدة الوسيقة من الإبل يغير عليها قوم فيطردونها » .
(13) في ك : « النانان » وفي س : « البانان » وكلاهما تصحيف صوابه التأنان كما هو في الأصل وفي الطبعة الفاسية .
(14) هو من الوعد .
(15) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح.

خير لنا من الأنين والتشكي وسؤال الناس . فهذا يردنا ، وهذا يعدنا بالعطاء في العام أو القابل جنيناً في بطن أمه .

وقول الآخر (16) :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصَوَّتَ إنسان فكدت أطــير
درى الله إني لــلأنيس لمبغض ويقليــه مني شاهــد وضمير
وإني لأستحيي مــن الله أن أرى أطوف بحبل ليس فيــه بعير
وأن أسأل المرء اللئيم بعـــيره وبُعرانُ ربي في البلاد كثير

هذا لص يستوحش من الناس لئلاّ يقبض ، ثم زعم أنه يستحيي أن يأتي بحبل يسأل من يعطيه بعيراً فيربطه به ، وأن يسأل البخلاء وإبل الله كثيرة يسرقها .

وقول الآخر :

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى عيالك قد أمسوا مراميل (17) جوعا

---

(16) هو الأحيمر بن فلان (فلان هنا علم لا كناية) ابن الحارث السعدي من شعراء الدولتين قال عنه ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » : « وهو متأخر قد رآه شيوخنا » . ثم قال يعرف بحاله : « وكان الأحيمر لصاً كثير الجنايات ، فخلعه قومه وخاف السلطان فخرج في الفلوات وقفار الأرض قال : فظننت أني قد جزت نخل وبار أوقد قربت منها ، وذلك لأنني كنت أرى في رجع الظباء النوى ، وصرت إلى مواضع لم يصل أحد إليها قط قبلي ، وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ، لأنها لم تر غيري قط ، وكنت آخذ منها لطعامي ما شئت ، إلا النعام فإني لم أره قط إلا شارداً فزعاً » . والأبيات التي أوردها اليوسي من قصيدة تفرقت أبياتها في الكتب التالية : « الشعر والشعراء » ،و«عيون الأخبار » ، و«لآلىء » البكري ، و« المؤتلف والمختلف » للآمدي ثم « معجم البلدان » لياقوت .

(17) في س : « مرامل » بدون إشباع .

البارح الريح الشديدة تهبّ في القيظ . فهو يطلبها فإذا سرق الإبل عفت أثره فلا يدرك ، وجعل عياله عيالاً للريح لأنه يعولها به .

ومثله قول الآخر (18) :

جزى الجوزاء عنّا الله خيراً فقد أغنت عن الحبل الجذيم

أي أغنتنا بريحها فنأخذ ما شئنا ولا ندرك ولم نحتج إلى حبل جذيم أي مقطوع نأتي به صاحباً يعطينا فيه بعيراً .

وقول الآخر (19) :

ألا يــا جارتا بأُباضَ إنّي رأيت الريح خيراً منك جارا
تغـذينا إذا هبّت علينـــا وتملأ وجه ناظركم غبــارا

أُباض (20) كغراب قرية باليمامة ويقال : لم يرَ أطول من نخيلها فيقول هذا اللص لجارتيه(20م) بها :إن الريح خير منكما ، وذلك أنه يسرق التمر فإذا هبت الريح أسقطته له،وأعمت أربابه ، فلا يرونه حتى يقضي منه أربه.

---

(18) في « معاني الشعر » للأشنانداني (ص 122) : « أخبرنا ابن دريد قال : وأنشدنا أبو عثمان للهيردان أو غيره من الملاص اللصوص » ثم ذكر البيت وأنشد بعده :

إذا نشرت ذوائبها بكوراً رمت بالوفر في نحر العديم »

(19) البيتان في « معجم البلدان » لياقوت أوردهما وهو يعرف بأباض رواية عن محمد بن زياد الأعرابي .

(20) في « معجم البلدان » لياقوت : « وعندها (يريد أباض) كانت وقعة خالد بن الوليد رضي الله عنه مع مسيلمة الكذاب » .

وفي « معجم ما استعجم » للبكري : « وبه (يريد أباض) قتل زيد بن الخطاب » .

(20م) كذا على التثنية ، وهو خطأ .

وقول الآخر (21) :

خليليّ لا تستعجلا وتبينـــــا بوادي حَبَوْنى (22) هل لهن زوال
ولا تيأسا من رحمة الله وادعوا بوادي حَبَوْنى أن تهب شَمال

أي فتعفي الأثر وتعمي عيون الرعاة فيأخذوا حاجتهم .

وفي « الأيام والليالي » قول الآخر :

مطــايا يقربن البعيـــد وإن نأى وينقلن أشلاء الكريم (23) إلى القبر

[وقبله :

سرينا وأدلجنا وصارت ركابنا تمرّ بنا في غير برّ ولا بحر
وما هي إلاّ ليلة ثمَّ يومها وحول إلى حول وشهر إلى شهر
ويُنكحْنَ أزواج الغَيورِ عدوه ويقسمن مايحوي الشحيح من الوفر](24)

وقول الآخر :

سبع رواحل ما ينخن من الوَجَى شوم تشاف (25) بسبعة زهـــر

(21) البيتان في « معجم البلدان » أوردهما فيه ياقوت وهو يعرف بحبونى ، وأورد بعدهما بيتين آخرين هما :

ولا تيأسا أن ترزقــا أرحبية كعين المها أعناقهن طوال
من الحــارثيين الذين دماؤهم حرام وأما مالهم فحــلال

(22) في « معجم البلدان : « حبونى مقصور قال أبو علي : هذا لا يكون فعولى و لكن يحتمل وجهين من التقدير : أحدهما أن يكون سمي بجملة والآخر أن يكون حبونى من حبوت كما أن عفرنى من العفر ويحتمل أن يكون حبونن فأبدل من إحدى النونين الألف كراهية التضعيف لانفتاح ما قبلها ،قال أبو عبيدة : حبوني من أرض مراد » انتهى منه باختصار .

(23) كذ بالأصل ومثله في ك و س ، أما ح ففيها وحدها : الصحيح » .

(24) ما بين العلامتين زيادة من ح وهو مكتوب على طرة ك بخط ناسخها .

(25) في « أساس البلاغة » : « شاف الصائغ الحلي يشوفه : يجلوه ، والمرأة تشوف وجهها » .

متواصلات لا الدءُوبُ يملهـــا باقٍ تعـاقبهـا مدى الدهر

سبع أي ليال ، شوم أي سود ، وسبعة زهر أي أيام .

وفي التعيير على أخذ الدية وترك القيام بالثأر قول الآخر (26) :

غدا ورداؤه لَهِقٌ حُجير ورحت أجر ثَوْبَيْ أرجوان

كلانا اختار فانظر كيف تبقى أحاديث الرجال على الزمان

أي غدا حجير يعني أخاه ، ورداؤه لهق أي أبيض لم يقتل قاتليه ، ورحت أنا بثوب أرجوان أي أحمر لقيامي بالثأر .

وقول الآخر :

إذا صب ما في الوطب فاعلم بأنـه دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا

أي إذا تركت ثأرك في أبيك وأخذت الإبل فمتى صببت لبناً من الشكوة فهو دم أبيك تشربه .

---

(26) في كتاب « معاني الشعر » للأشناندان (ص 30 – 31 بتحقيق التنوخي دمشق 1969) : قال ابن دريد : وأنشدني أبو عثمان عن التوزي لرجل من بني كبير من الأزد :

غدا ورداؤه لهق . . . . البيتين »

حجير أخوه ، وكان أبوهما قتل فطلب هذا الشاعر بدم أبيه ولم يطلب حجير به ، يقول : فثوب حجير أبيض من قولهم : « دم فلان في ثوب فلان » وليس هناك دم فيقول : حجير أبيض الثوب ، وأنا قتلت قاتل أبي ، ودمه في حلتي ، فهي حمراء ، وليس هناك حمرة ولا بياض والأرجوان فارسي معرب ، وهو شدة الحمرة ، ويقال : هو القرمز يقال : ثوب أرجوان إذا بولغ في نعت حمرته وقوله : « كلانا اختار » يريد أن حجيراً اختار الهوينى وتوانى في طلب الثأر ، واخترت أنا الجد والتشمير ثم قال : فانظر كيف تبقى أحاديثنا من بعدنا إذا ذكرت بالقوة والحزم وذكر هو بالتواني والضعف » .

وقول الآخر (27) :

عقوا بسهم فلم يشعر بـــه أحد   ثم استفاءوا وقالوا حبّذا الوَضَحُ

الوضَحُ اللبنَ وعقوا رموا بسهم يقال له العقيقة ، وكانوا إذا كان لهم ثأر وجنحوا إلى الصلح يأخذون سهماً فيقولون : بيننا وبين إلهنا علامة ، وهي أن نرمي هذا السهم ، فإن رجع مضرّجاً بالدم فهو يأمرنا <بالقيام بالثأر ، وإن رجع نقياً فهو يأمرنا> (28) بأخذ الدية ، ثم يرمون به إلى السماء ، ولا يرجع أبداً إلاّ نقيّـاً (29) فعيرهم الشاعر بفعل ذلك .

. وفي ضد ذلك قول الآخر (30) :

يطـأ الطريقُ بيوتَهم بعيـاله   والنار تحجب والوجـوه تذال

---

(27) هو المتنخل الهذلي ، واسمه مالك بن عويمر بن عثمان ، والبيت واحد من ثمانية أبيات له في « ديوان الهذليين » (2 : 31 – 32) وقبله :

لا ينسأ الله منـا معشراً شهدوا   يوم الأميلح لا غابوا ولا جرحوا
كانوا نعـائم حفان منفـرة   معط الحلوق إذا ما أدركوا طفحوا
لا غيبوا شلو حجاج ولا شهدوا   جم القتال فلا تسأل بما افتضحوا

(28) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(29) في « تهذيب اللغة » للأزهري : « والعقيقة سهم الاعتذار ، قال أبو العباس : قلت لابن الأعرابي : وما سهم الاعتذار ؟ فقال : قالت الأعراب : إن أصل هذا أن يقتل رجل من القبيلة فيطالب القاتل بدمه فيجمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء القتيل ويعرضون عليهم الدية ، ويسألونهم العفو عن الدم ، قالت الأعراب : فإن كان وليه أبياً حمياً أبى أخذ الدية ، وإن كان ضعيفاً شاور أهل قبيلته فيقولون للطالبين : إن بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي ، قال : فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : نأخذ سهماً فنركبه على قوس ثم نرمي به نحو السماء ، فإن رجع إلينا ملطخاً بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية ، وإن رجع إلينا كما صعد فقد أمرنا بأخذ الدية ، قال ابن الأعرابي : قال أبو المكارم وغيره : فما رجع هذا السهم قط إلا نقياً ، ولكن لهم بهذا عذر عند جهالهم » .

(30) البيتان في « معاني الشعر » للأشنانداني (ص 84 – 85) .

لا يشربون دمـــاءهم بــأكفهم إن الدماء الغاليات (31) تكال

يقول : إنهم كرام مقارٍ (32) فهم ينزلون على الطريق لأبناء السبيل ، وهم عيال الطريق ، وذلك في حال الشدة ، حيث تحجب النار لئلا يراها الطارق ، وتذال الوجوه أي تهان ، ثم أخبر أنهم لا يأخذون الدية فيشربون الألبان عِوَضَ دمائهم ، فإن الدماء الغالية على أهلها تكال أي تجازى كَيْلَ الصاع بالصاع (33) ولا تذهب هدراً بالديات .

وقول الآخر (34) :

ألا للهما (35) مِرْدى (36) حروب حواه بين حضنيـــه الظليم (37)
وقد قـــامت عليـــه مها رُماحٍ حواسِرَ مـــا تنام ولا تنيـــم

---

(31) رواية الأشناندانى في « معاني الشعر » : « الشافيات » بدل : « الغاليات » .
(32) هو جمع مقرى على مثال منبر أو هو جمع مقراء على مثال محراب ، وكلاهما صيغة مبالغة من القرى يريد أنهم أجواد مطاعيم .
(33) في « معاني الشعر » للأشنانداني : « يقول : لا يرضى فيها إلا بالمكايلة أي بالآثار وأخذ دم بدم ، كما قال الآخر :

لا نألم القتـــل ونجزي بـــه الـ أعداء كيل الصاع بالصاع »

(34) في « معاني الشعر » للأشنانداني (ص 108) : « وأنشدني أبو عثمان عن الجرمي وأحسبه عن الأخفش أيضاً :

ألا لله . . . . البيتين »

والثاني من البيتين في « معجم ما استعجم » للبكري (2 : 571) منسوباً لعبيد بن الأبرص .
(35) ما ههنا زائد .
(36) في « القاموس » : « ردى فلاناً صدمه ، وبحجر رماه به ، وهو المردى (على زنة مفعل الذي يكون للآلة) ورادى عن القوم رمى عنهم بالحجارة » وفي « أساس البلاغة » : « رديته بالحجارة وترادوا بها ، ومن المجاز : فلان مردى حرب وهم مرادي حروب » .
(37) في س : « الظلوم » وهو خطأ .

الظليم القبر المحفور في غير موضع الحفر ، فهو مظلوم (38) أي فهذا الفتى قد حواه القبر وقامت عليه النساء حواسر يندبنه ، وشبههن في صفائهن أو في سَعَة (39) عيونهن بمَهَا (40) رِماحٍ ، ورُماحٌ كغراب موضع ، والعرب ما يندبون القتيل حتى يؤخذ بثأره ، فالندب كناية عن ذلك .

ومثله قول قيس بن زهير (41) :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه (42) نهار
يجد النّساء حواسراً يندبنه بالليل قبل تبلج الأسحار (43)

أي فيعلم أنا قد ثأرنا به .

---

(38) في « معاني الشعر » : « يصف رجلا قتل فدفن في بلد قفر بعيد عن أهله ، والظليم ههنا تراب القبر ، وإنما سماه ظليماً لأنه حفر في غير موضع حفر ، وكل شيء جعلته في غير موضعه فقد ظلمته .

(39) في ك : « صفة » بدل : « سعة » .

(40) في « معاني الشعر » : المهاة البقرة الوحشية ، سميت بذلك تشبيهاً بالبلور ، لأن البلور يسمى المها ، وقد سميت الكواكب مها تشبيهاً بذلك ، وإنما عنى بالمها في هذا الموضع النساء ».

(41) قائل البيتين هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن ناشب العبسي من فاطمة بنت الخرشب الأنمارية إحدى العربيات المنجبات ، وهي أم البنين الأربعة الذين يلقبون الكملة ، وهم : قيس الحفاظ ، وأنس الفوارس ، وعمارة الوهاب ، والربيع الذي يوصف بالكامل ، وفيهم يقول قيس بن زهير مادحاً :

لعمرك ما أضاع بنو زياد ذمار أبيهم فيمن يضيع
بنو جنية ولدت سيوفاً صوارم كلها ذكر صنيع

والبيتان من شعر يقوله الربيع بن زياد ، ، لا قيس بن زهير ، في رثاء مالك بن زهير العبسي وهما في « حماسة » أبي تمام ضمن أبيات عشرة .

(42) في الطبعة الفاسية : «ضوء» بدل : « وجه » .

(43) كتب الإمام المرزوقي في « شرحه على الحماسة » تفسيراً على البيتين يقول فيه : « كانت العادة مستمرة مستحكمة فيهم أنهم لا يندبون القتيل أو يدرك ثأره ، فيقول: من كان =

وفي الشيب والكبر <قوله> (44) :

ولما رأيت النسر عزّ ابن دأيةٍ وعشش في وكريه جاشت له نفسي (45)

النسر الشيب وابن دأية (46) الغراب وهو الشباب وعزّه غلبته .

وقول الآخر :

أعار أبو زيد يميني سلاحه وحد سلاح الدهر للصخر كالم
وكنت إذ ما الكلب أنكر أهله أفدى وحين الكلب جذلان نائم

أبو زيد كنية الكبر ، ويحتمل الدهر ، وسلاحه العصا ، وإنكار الكلب أهله عند لبس السلاح فيفدى لإقدامه على الحرب وهو شاب ، ووقتُ نوم الكلب وجذله أن تموت الماشية من الهزال فيشبع منها ، ولهذا قالوا في المثل

= فرحاً بمقتل مالك شامتاً بأوليائه فلينزع ملابس المسرة وليطرح أردية الشماتة فقد أدركت الآثار ، وأريقت الدماء ، وشفيت الأدواء ، وليحضر ساحتنا في أول النهار ليرى أن ما كان محرماً من الرثاء قد حل ، وأن الحظر الواقع لبكائه قد رفع ، ويجد النساء مكشوفات الرؤوس يذكرنه بما كان من فضائله ، ويندبنه بأشهر أوصافه وأعلى مراتبه ومحاله ، فإن ذلك متصل من فعلهن غير منقطع في أطراف الليل والنهار ، والآصال والأسحار » .

(44) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(45) البيت في « لسان العرب » بمادة « دأى » بدون نسبة ، وفي « التاج » بنفس المادة غير منسوب كذلك .

(46) قال الخوارزمي في « شرحه على سقط الزند » وهو يفسر قول أبي العلاء :

إذا صاح ابن دأية بالتداني جعلنا خطر لمته جسادا

« ابن دأية هو الغراب ، نسب إلى دأية البعير وهي فقارته لوقوعه عليها إذا دبرت وقيل : لأنه دون الأم يحضن فراخه ، فكأنه لها داية أي حاضنة ، وابن دأية من أعلام الأجناس وامتناع الصرف فيه للتركيب الناشىء من التأنيث مع العلمية » اهـ .

السائر : نَعِمَ كلب ببؤس أهله (47) .

وقول الآخر :

أبا مالك إن الغواني هجرنني أبا مالك إني أظنك دائبا

أبو مالك هو الكبر لأنه يملك صاحبه .

وقول الآخر :

بئس قريناً لامرىء سالك أم عبيد وأبو مـــالك

أم عبيد الصحراء ، وأبو مالك الكبر .

وأما الألغاز ففي الدرهم قوله (48) :

---

(47) المثل في « مجمع الأمثال » (ج 2 ص 298) وكتب عليه الميداني يقول : « يروى : نعيم الكلب في بؤس أهله ، ونعم الكلب في بؤسى أهله ، وذلك أن الجدب والبؤس يكثر الموتى والجيف وذلك نعيم الكلب ، يضرب هذا للعبد أو العون للقوم تصيبهم شدة فيشتغلون بها فيغتنم هو ما أصاب من أموالهم قال الشاعر :

تراه إذا ما الكلب أنكر أهله يفدى وحين الكلب جذلان ناعم

يقول : يفدى هذا الرجل إذا أنكر الكلب أهله وذلك إذا لبسوا السلاح في الحرب، وإنما يفدى في ذلك الوقت لقيامه بها وغنائه فيها ، ويفدى أيضاً في حال الجدب لافضاله وإحسانه إلى الناس ولنحره الجزر فينعم الكلب في ذلك ويجذل » .

(48) قال الشريشي في « شرحه على مقامات الحريري » (1 : 74) وهو يفسر قول الحريري في الدينار :

وشر مـــا فيه من الخلائـــق
أن ليس يغني عنك في المضايق
إلا إذا فر فرار الآبـــق

وفي معنى فراق الدينار قول الأخطل : =

ومعشوق يرقص كلّ يومٍ ترى في وجهه أبداً كلاما
إذا فارقته أجداك خـيراً ولا يجدي عليك إذا أقاما

وفي القلم قول الآخر :

عجبت لـذي سنين في الماء نبته له أثر في كل مصر (49) ومعمر

وقول الآخر :

وبيت بعلياء الفلاة بنيتـه بأسمر مشقوق الخياشم يرعف

يصف بيت شعر عمله في الصحراء وكتبه بالقلم .

[وقال آخر :

وما ميت ذو مطعم عند رأسه متى ذاق من ذاك الطعام تكلما
فلا هو في الأحياء حي فيتقى ولا هو في الأموات ميت فيرحما

غيره :

ما رأت عيني عجيباً كيراعي في الدواةِ
غـائصاً يستخرج الدر ببحر الظلمات] (50)

وفي الهلال قول الآخر :

= ومعشوق يرقص كل يوم . . . . البيتين »
وهذا من قول الحسن البصري وقد رأى رجلا يقلب درهماً فقال له : أتحب درهمك هذا؟ قال : نعم ، قال : فإنه ليس لك حتى يخرج من يديك » .

(49) في ك : « قفر » بدل : « مصر » .

(50) ما بين المعقفين ساقط من الأصل ومن س ومن صلب ك ، ولكن ناسخها كتبه على طرتها ، وهو وارد في الطبعة الفاسية فأضفناه نقلا عنها .

ومولود شهر كان فيه شبابه   وفي شهره أودى وأدركه الكِبَرْ

غيره :

فما وليد ربا في شهر مولده   وعاد فيه قديم السن قد نحلا

[وفيه وزيادة(50) :

(51) ألا ربَّ مولود وليس له أب   وذي ولد لم يلْدَه(52) أبوان(53)

وذي شامة (54) سوداء في حر (55) وجهه   مجللـــة (56) لا تنقضـــي لأوان

ويكمل في خمس وتسع شبابه (57)   ويهرم في سبع معاً وثمان] (58)

---

(50) ما بين المعقفين غير وارد في الأصل ولا في س ، وهو في الطبعة الفاسية وعلى طرة ك فألحقناه رواية عنهما .

(51) البيت الأول من هذه الأبيات لرجل من الأزد وهو من شواهد سيبويه في « كتابه » (1 : 341 / 2 : 258) .

(52) يقرأ بسكون اللام وبتحريك الدال بالفتحة ؛ وهذا الشكل فسر عربيته الأعلم الشنتمري في شرحه على « شواهد الكتاب » فقال بالنص : « الشاهد في قوله : « لم يلده » وأراد لم يلده فسكن المكسور تخفيفاً فسكنت اللام وبعدها الدال ساكنة للجزم فحركها لالتقاء الساكنين بحركة أقرب المتحركات إليها وهي الفتحة لأن الياء مفتوحة فجعل الدال عليها ولم يعتد باللام الساكنة لأن الساكن غير حاجز حصين » .

(53) المولود الذي ليس له أب هو عيسى عليه السلام والوالد الذي ليس أبوان هو آدم صلى الله عليه وسلم .

(54) يريد القمر ، والشامة النكتة في البدن يخالف لونها سائر لونه وعنى بها المسحات الدكناء التي تتراءى على صفحة القمر .

(55) حر الوجه خالصه ، أو ما أقبل عليك منه ، أو هو ما يبدو من الوجنة ، أو هو أعتق موضع فيه وأكرمه .

(56) هو من التجليل بمعنى التغطية .

(57) يريد أنه إذا مضى عليه خمس ليال فتسع ليال صار بدراً وبلغ نهايته في الضياء والكمال .

(58) يريد أنه إذا مر عليه بعد إبداره سبع ليال فثمان أخر وتلك تسع وعشرون ليلة صار إلى الهرم ودخل في المحاق .

وفي مصراعي الباب قول الآخر :

عجبت لمحرومين من كل لذة يبيتان طول الليل يعتنقان
إذا أمسيا كانا على الناس مرصداً وعند طلوع الشمس يفترقان

ولقي عَبيدُ بن الأبرص امرأ القيس فقال له (59) :

ألا أساجلك ؟ فقال : بلى ، فقال عبيد :

ما حية ميتة أحيت بمنبتها (60) درداء ما أنبتت ناباً وأضراسا (61)

فقال امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تخفى (62) في سنابلها فأضعفت بعد نبت الزرع أكداسا

فقال عَبيدٌ :

ما السود والبيض والأسماء واحدة ما يستطيع لهن الناس إمساسا (63)

فقال امرؤ القيس :

تلك السحاب إذا الرحمان هيجها بث النطاف بماء المزن أنفاسا (64)

---

(59) هذه الملاغزة واردة بملحق « ديوان امرىء القيس » في طبعة الذخائر برقم 24 وهي أيضاً واردة « بديوان عبيد » في طبعة داري صادر وبيروت .

(60) في الأصل : « بنبتها » ومثله في س ولا يستقيم به العروض وفي ك و ح « بمنبتها » وبها يتزن العروض ، وفي « ديوان » امرىء القيس « بميتتها » وفي « ديوان عبيد » « بميتها » .

(61) في الأصل : « أدراسا » بالدال ومثله في ك و س وهو خطأ صوابه « أضراسا » بالضاد .

(62) في « ديوان امرىء القيس » : « تسقى » وهي كذلك في « ديوان عبيد » .

(63) في « ديوان امرىء القيس » : « تمساسا » وهو كذلك في « ديوان عبيد » .

(64) جاءت رواية البيت في « ديواني امرىء القيس وعبيد » هكذا :

تلك السحاب إذا الرحمان أرسلها روى بها من محول الأرض أيباسا

فقال عَبيدٌ :

ما قاطعات بلاداً لا أنيس بهـــا إذا ابتكرن سرى كنسن اكناسا(65)

فقال امرؤ القيس :

تلك الرياح إذا هبّت عواصفها كفى بأذيالها للترب كناسا

وقال عَبيدٌ :

ما ذات حكم بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الموازين والرحمان أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا

وقال عَبيدٌ :

ما مدلجات على هول ركائبهـــا يقطعن بعد النوى يسراً وامراسا(66)

فقال امرؤ القيس :

تلك النجوم إذا حانت مطالعها شبهتها في ظلام الليل أقباسا

وقال عَبيدٌ :

---

(65) رواية العجز في « الديوانين » كالتالي :
تأتي سراعاً وما يرجعن انكاسا

(66) رواية « الديوانين » :
يقطعن طول المدى سيراً وامراسا

ما قاطعات بلاد الله في طلـــق إذا استبقن ولا يرجعن قرطاسا(67)

فقال امرؤ القيس :

تلك الأمانيُّ يتركن الفتى ملكـــاً دون السماع ولم ترفع له راسا

فعجب عَبيدٌ من بداهة امرىء القيس وقال له : ما أرى أحداً يخوض تيّارك.قالوا : فكان امرؤ القيس مدلاّ (68) بنفسه لا يرى لشاعر فضلاً حتى لقي التوأم اليشكري . فتنازعا الشعر (69) . فقال له امرؤ القيس : إن كنت شاعراً كما تزعم فملط (70) أنصاف ما أقول ، فقال له : قل : فقال امرؤ القيس :

أحارِ ترى بريقاً هبَّ وَهْناً

---

(67) رواية « الديوانين » :

تـــأتي سراعـــاً وما يسرين قرطاسا

(68) في ك : « مدلياً » :

(69) هذه الممالطة واردة « بديوان امرىء القيس» في طبعة الذخائر وقبلها رواية تقول بالحرف : « قال الأصمعي : قال أبو عمرو بن العلاء : كان امرؤ القيس معنا (بوزن المسن وهو الداخل فيما لا يعنيه والمعترض في كل شيء) ضليلا ينازع كل من ادعى الشعر فنازع التوأم اليشكري فقال : إن كنت شاعراً فملط أنصاف ما أقول وأجزهـــا ، قال نعم : فقال » وفيه بعد رواية الأبيات ما يأتي بالنص : « قال أبو عمرو : فلما رأى امرؤ القيس أن التوأم قد ماتنه ولم يكن في الزمن الأول من يماتنه آلى ألا ينازع الشعر أحداً بعده » .

(70) في اللسان : « أملطت الناقة جنينها وهي مملطة : ألقته ولا شعر عليه فإذا كان ذلك لها عادة فهي مملاط ، والجنين مايط ، وملطته امه ولدته بغير تمام » . وفي « التاج » : « ومن المجاز : مالطه إذا قال هذا نصف بيت وأتمه الآخر بيتاً ، وبينهما ممالطة ، كملطه تمليطاً ، وفي « الأساس » : هو أن يقول الشاعر مصراعاً ويقول الآخر أملط أي أجز المصراع الثاني ، وهو من إملاط الحامل ، قلت : وقد يقع مثل هذا بين الشعراء كثيراً كما جرى بين امرىء القيس وبين التوأم اليشكري » . وجاء في الطبعة الفاسية : « مخلط » وهو خطأ .

فقال التوأم :

كنار مجوسَ تستعر استعارا

فقال امرؤ القيس :

أرِقْتُ ونام أبو شُرَيْـحٍ

فقال التوأم :

إذا ما قلت قد هدأ استطارا

فقال امرؤ القيس :

كـأن هزيزه بوراء غيـب

فقال التوأم :

عشارٌ وُلَّهٌ لاقت عشارا

فقال امرؤ القيس :

فلما أن دنـا لقفـا أضاخ

فقال التوأم :

وهت أعجاز ريِّقه فحارا (71)

فقال امرؤ القيس :

فلم يترك بذات السر ظبيـاً

فقال التوأم :

ولم يترك بجلتها حمارا (72)

---

(71) قال الأعلم يشرح هذا البيت : « أضاخ اسم موضع يقول : لما دنا هذا المطر لما وراء هذا الموضع ثبت فيه واستدار به كالمتحير ، وقوله : « وهت أعجاز ريقه » استرخت مآخير السحاب فسالت كما تسيل القربة وانشقت ، وريق المطر أوله » .

(72) كذا بالأصل، ومثله في س و ح أما ك ففيها : « بجلهتها » وهي رواية الديوان ، والبيت فسره الأعلم فقال : « ذات السر » : موضع يقول :«لم يترك المطر بهذا الموضع ظبيباً ولا حماراً إلا غرقه أو نفاه عن موضعه والجلهة ما استقبلك من الوادي إذا وافيته » .

فبهت امرؤ القيس مما رأى من بداهة اليشكري ، وأقسم ألا ينازع الشعر أحداً .

واجتمع الطرماح بذي الرمة فقال له : هلم نتساجل ، فقال : قل ، فقال ذو الرمة :

فما ذو زينـــة قـــد زينوه   لغير زيادة (73) ولغير عيد

فقال الطرماح :

هو الميت المكفن في ثيـــاب   يزف بهـــا إلى القبر الجديد

وقال ذو الرمة :

وبنيـــان شديد الأيْدِ عالٍ   بلا مدر أقـــل ولا عمود

فقال الطرماح :

فتلك سماؤنا خلقت ظلالاً   بناهـــا الله ذو العرش المجيد

وقال ذو الرمة :

وحسناء المنـــاظر كل يوم   لها وجه يضرب بالحديد

فقال الطرماح :

هو الوَرِقُ التي في الكير تجلى   تخلص بالمطارق والوقود

وهذا الباب لا ينحصر ، وإنما أشرنا إلى شيء مما وقع للعرب ليعلم أنهم يتنبهون لمثل ذلك ، وما وقع بعدهم في كل زمان إلى اليوم أكثر وأكثر .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(73) كذا بالأصل والذي في ك و س و ح : « زيارة » بالراء .

[باب في نبذة من المضحكات والملح]

باب – وهذه نبذة في المضحكات وكل ما تنبسط به النفس (1) من الملح ، واعلم أن هذا النوع هو للعقل فاكهة ، كما أن الحكمة السابقة هي غذاؤه وقوامه، فلا بد (2) من كل منهما في استصلاح (3) العقول وإزالة جساوتها (4) وتنمية ذكائها ، غير أن الملح تكون بقدر الحاجة كالملح للطعام ، وإلى ذلك أشار القائل (5) :

أفـد طبعك المكدود بالجد راحة تفره (6) وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيتـه المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقال ابن عباس رضي الله عنه : إذا مللتم فأحمضوا (7) إي إذا مللتم

---

(1) في ك : « إليه النفوس » .
(2) في ك : « في » وهي غير صالحة هناك .
(3) في س : « إصلاح » .
(4) كذا بالأصل ، ومثله في ك والجساوة اليبس والصلابة والكزازة قال الزمخشري في « أساس البلاغة » : « جسأت مفاصله جسوءاً وجست جسواً وهو يبس وصلابة وفي عنق الدابة جسأة وهي يبس المعطف ودابة جاسئة القوائم يابستها لا تكاد تنعطف وأرض جاسئة وجبل جاسيء وجاس ولهم قلوب قاسية كأنها صخور جاسية » وفي س و ح : « جسارة » بالراء وهو تصحيف .
(5) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي ، وهما منسوبان إليه في يتيمة الثعالبي : (4 : 307).
(6) في « مصباح الفيومي » : « وفر الشيء يفر من باب وعد وفوراً : تم وكمل ووفرته وفراً من باب وعد أيضاً أتممته وأكملته يتعدى ولا يتعدى والمصدر فارق » .
(7) في « أساس البلاغة » : « حمضت الإبل وأحمضت : رعت الحمض ، وهو نبت فيه ملوحة تتفكه به وتشرب عليه ويقولون : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها ، ومن المجاز : أحمض القوم : أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث ، وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول لأصحابه : احمضوا فيأخذون في الأشعار وأيام العرب » .

من الجد فخذوا في شيء من الهزل ، وقالوا : الانبساط بين أهل المروءة يسقط الحشمة ، ويؤكد الحرمة ، ويفتق البديهة ، ويشحذ الطبيعة ، وقال آخر : من كمال المرء مفاكهة إخوانه ، إذ ممازحة الكريم تزيد في وده وتديم إخاءه ، وقال الشاعر <في ذلك> (8) :

ممازحــة الكريم تزيد وداً   إذا كانت تضاف إلى الملاحه
فمازح من تحب وتصطفيــه   فمزحك مع صديقك فيه راحه

ولا بد أن يكون ذلك على قدر ، ومع أهله ، وإلاّ كان سخفاً ومجلبة لكل سوء ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكه استخف <به>(9) وذهب بهاؤه ، وقال سعيد بن العاصي : لا تمازح الشريف <فيحقد> (10) ولا الدنيء فيجترىء ، وقال جعفر بن محمد : إياكم والمزاح فإنه يذهب بنور الوجه ، وقال الشاعر :

الكبر ذل والتواضع رفعــة   والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص فقر والقناعة عزة   واليأس من صنع الإله قنوط

غيره (11) :

---

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(10) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(11) في كتاب « الموشى » لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ص 21 قال : «أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعي عن رجل من العرب قال : خرجت في بعض ليالي الظلم فإذا أنا بجارية كأنها صنم ، فراودتها عن نفسها فقالت : يا هذا أمالك زاجر من عقل إذا لم يكن لك واعظ من دين ؟ قلت: والله ما يرانا إلا الكواكب قالت : يا هذا فأين مكوكبها ؟ فقلت : إنما أمزح فقالت :
فإياك إياك المزاح . . . . البيتين
والبيتان في « حماسة البحتري » ص 254 بدون نسبة ، وهما في « الطرائف واللطائف » للمقدسي ، وفي « نهاية النويري » (4 : 73) وفي « مستطرف الأبشيهي » .

وإياك إيـــاك المزاح فـــإنـــه يجرّي عليك الطفل والرجل النذلا (12)
ويذهب ماء الوجـــه بعد بهائه ويورثه من بعد عزته ذلا (13)

فهذا كله من الإفراط ومع ممازحة الأنذال أو مفاتحة النذل من فوقه من الأشراف بالمزاح ، فإنه إنما يحسن بين الأكفاء والله الموفق .

قال عبد الرحمان بن [أبي] (14) الزناد لأشعب الطامع : أنت شيخ مسن ، فهل تروي شيئاً من الحديث قال : نعم ، حدثني عكرمة عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال : خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة قال : قلت : فما هما ؟ قال : نسي عكرمة إحداهما ونسيت أنا الأخرى .

وكان أشعب هذا يغشى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فخرج سالم يوماً إلى حائط له بأهله ومعهم طعام ، فتبعهم أشعب ودق الباب فلم يفتح له فتسور الحائط فأشرف على سالم فقال له سالم : أما تستحيي ؟ تطلع على بناتي ؟ فقال أشعب : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا في بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) فقال له : اخرج وبعث إليه بطعام فأكله وانصرف.

وتـــداعى قوم من بني راسب (15) وقوم من الطفاوة (16) إلى زياد

(12) جاء المصراع في الطبعة الفاسية هكذا :
يجري عليك البر والفاجر النذلا
(13) ورد المصراع في الطبعة الفاسية كما يلي :
ويورث بعـــد العز صاحبه ذلا
(14) ما بين العلامتين سقط من الأصل ومن س وهو في ك و ح فأضفناه نقلا عنهما .
(15) في « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » للقلقشندي (ص 257) : « بنو راسب بطن من شنوءة من القحطانية ، وهم بنو راسب بن مالك بن ميدعان بن نصر ، وهو شنوءة ، وبنو راسب أيضاً بطن من جرم ، من القحطانية وهم بنو راسب بن الخزرج بن جرم » .
(16) في المرجع السابق (ص 64) : « بنو الطفاوة بطن من قيس عيلان من العدنانية والطفاوة أمهم عرفوا بها » .

في غلام وأقام كلٌّ بينةً ، فأشكل الأمر على زياد ، فقام سعد الرابية اليربوعي فقال : أيها الأمير ، قد تبين لي في هذا الكلام وجه الحكم فولِّنيه ، فقال : ما هو ؟ فقال : يطرح في النهر ، فإن طفا فوق الماء فهو للطفاوة ، وإن رسب في الماء فهو لبني راسب ، فنهض زياد وذهب وقد علاه الضحك ، ثم أرسل إلى سعد فقال : ألم أنهك أن تمازح في مجلسي قال : أصلحك الله حضرني أمر خفت <أن أنساه> (17) .

ودخل رجل على الشعبي وامرأته معه فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال الشعبي : هذه،وأشار إلى المرأة ، فقال : ما تقول في رجل شتمني في أول <يوم من> (18) رمضان أيؤجر على ذلك أم لا ؟ فقال له الشعبي : أما إن قال لك : يا أحمق فأرجو أن يكون له في ذلك الأجر العظيم .

وأهدى رجل إلى الحجاج تيناً في غير إبانه فجلس على الباب ينتظر الجائزة ، فإذا بقوم (19) جلبوا ليقتلوا ، فلما بلغوا الباب هرب واحد منهم ، فخاف الموكل بهم على نفسه ، فأخذ صاحب التين فيهم ، فلما قدموا للقتل قال : أيها الأمير ، هؤلاء يذنبون وأنا لا ذنب لي ، فقال له الحجاج : ألست منهم ؟ فقال : لا ، أنا [الذي] (20) جئت بالتين ، فبحث الحجاج على ذلك فوجده صادقاً فقال له : أخفناك مع إحسانك إلينا ، تمن عليّ ، فقال له الرجل : تعطيني ربع دينار ، فقال : ما تصنع به ؟ قال : أشتري به فأساً فأقطع هذه الشجرة التي كانت سبب معرفتي بك ، فضحك الحجاج وأمر له بصلة سنية .

---

(17) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(18) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(19) في س : « فإذا قوم » .
(20) ما بين العلامتين زيادة من ح .

ومات للحجاج بعض من يعز عليه فقال لمن بحضرته : ليت إنساناً يعزيني بما يسليني ، فقال رجل من أهل الشام كان أرسله عبد الملك إليه : أنا أسليك قال : قل ، فقال : كل خليل سوف يفارق خليله (21) بموت أو يقتل أو يصلب أو يقع من أعلى البيت أو يقع في بئر أو يكون شيء آخر لا نعرفه ، فقال الحجاج : قد سليتني والله عن مصيبتي بأعظم منها في توجيه أمير المؤمنين رسولاً مثلك .

ودخل إسماعيل بن يسار يوماً على الغمر بن يزيد بن عبد الملك بعد أن حجبه ساعة ثم أذن له ، فجعل إسماعيل يبكي ، فقال له الغمر : ما يبكيك ؟ فقال : وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبوي أحجب عنك ؟ وجعل الغمر يعتذر له وهو يبكي فما سكت حتى وصله بمال ، فلما انصرف تبعه رجل فقال له : أي مروانية كانت لك ولأبويك ؟ فقال : بغضنا إياهم ، امرأته طالق إن لم تكن أمه تلعن مروان وآله كل يوم مكانَ التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له : قل : لا إله إلاّ الله فقال : لعن الله مروان تقرباً بذلك إلى الله تعالى وإقامة له مقام التوحيد .

ودخل أبو دلامة على المهدي فقال له :

إني رأيتك في المنا   م وأنت تعطيني خياره
مملــــوءة بــدراهم   وعليك تفسير العباره

فقال له : هات خيارة تملأ لك ، فخرج وأتى بقرعة فقال له : أنت رأيت الخيارة وهذه قرعة فقال : أم الدلامي طالق إن كنت رأيت إلاّ قرعة،

(21) كذا هو بالأصل وفي ك و س و ح : « يموت » بصيغة المضارع .

ولكني نسيت فما ذكرتها حتى رأيتها في السوق ، فضحك المهدي وأمر له بخمسة آلاف درهم (22) .

وجلس بشار يوماً مع الناس على باب المهدي ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر : ما عندكم في قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ما المراد بالنحل ؟ فقال بشار : النحل التي يعرفها الناس ، فقال : هيهات يا أبا معاذ ! النحل هنا بنو هاشم ، وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ هي أنواع العلوم . فقال له بشار : جعل الله طعامك وشرابك وشفاءك ما يخرج من بطون بني هاشم ، فغضب وشتم بشاراً . وبلغ الخبر المهدي فدعاهما فسألهما عن القصة ، فأخبره بشار بها فضحك حتى أمسك على بطنه .

وسأل أبو العيناء (23) بعض الوزراء (24) أن يكتب له كتاباً إلى عامل

---

(22) نظير هذا ما ذكره ابن عبد ربه في « عقده »(ج 4 ص 221)فقال : « دخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان فأنشده :

أغفيت عند الصبح نوم مسهد ... في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك رعتني بوليدة ... رعبوبة حسن علي قيامها
وببدرة حملت إلي وبغلة ... دهماء مشرفة يصل لجامها
فدعوت ربي أن يثيبك جنة ... عوضاً يصيبك بردها وسلامها

فقال له عبد الملك بن بشر : في كل شيء أصبت إلا البغلة ، فإني لا أملك إلا شهباء ، فقال له : امرأتي طالق إن كنت رأيتها إلا شهباء إلا أني غلطت » .

(23) ترجمه الخلكاني في « الوفيات » (3 : 466) فقال : « أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد الهاشمي بالولاء الضرير المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب ، كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً ، وكان من ظرفاء العالم ، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله أخبار حسان وأشعار ملاح ، وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائة وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين» انتهى منه ببعض اختصار .

(24) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل على عهد المأمون أياماً، وكان أيضاً يتقلد خلافة إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل أيضاً، وهو=

له في رجل يطلب تسريحه فكتب إليه ، فلما خرج قال : أخشى أن يكون كصحيفة (25) المتلمس ، ففتحه فإذا فيه : أما بعد فقد سألنا من لا نوجب حقه في رجل لا نعرفه ، فإن فعلت خيراً لم نشكرك ، وإن فعلت شراً لم نلمك ، فرجع به إلى الوزير وقال له : ما هذا الذي كتبت أيها الوزير ؟ فقال : تلك علامة بيني وبين العامل إذا أردت قضاء حاجة إنسان ، فإن السؤال كثير ، فقال أبو العيناء : لعن الله الوزير ، وقطع يديه ورجليه ، وأعمى عينيه ، وأصم أذنيه ، فقال الوزير : ما هذا الدعاء ؟ فقال : هذه علامة بيني وبين ربّي إذا أردت أن يستجيب لي في قضاء حاجة إنسان .

وأتى رجل إلى النخاس فقال له (26) : اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا الكبير المستشرف ،إن خلا لَهُ الطريقُ تدفق ، وإن كثر

= كان متولعاً بأبي العيناء كثير الممازحة له إلى حد مضايقته استدعاء لما عنده من حسن الكلام وإصابة المرمى في الجواب ، وحكاية أبي العيناء هذه مع الجاحظ أوردها ياقوت في « إرشاد الأريب » (18 : 83 – 84) طبعة دار المأمون وهو يترجم الجاحظ مع اختلاف في سياقها وعبارتها .

(25) صحيفة المتلمس هي التي كتب بها عمرو بن هند الملك للشاعر الجاهلي عبد المسيح بن جرير ويعرف بالمتلمس ليوصلها إلى المكعبر عامله على البحرين يوهمه أنه أوصاه أن يعطيه صلة جزيلة ، فارتحل المتلمس بالصحيفة يقصد إلى البحرين ، حتى إذا كان بأرض الحيرة تشكك في مضمون الصحيفة لأمر كان في نفسه قبل الملك عمرو بن هند ، فدفع الصحيفة إلى غلام حيري يحسن القراءة فأنبأه أن فيها الأمر بقطع يديه ورجليه ودفنه حياً ، فألقى بها في نهر الحيرة ونجا بنفسه ، وصحيفة المتلمس هذه تضرب مثلا فيمن يسعى على نفسه بالهلاك ، ثم انظر تفصيل القول فيها « بمجمع الأمثال » للميداني (1 : 412 – 414) .

(26) الحكاية في « نهاية الأرب » للنويري (10 : 97) وجاء نصها فيه كالتالي : « قال أبو العيناء لبعض سماسرة الحمير : اشتر لي حماراً لا بالطويل اللاحق، ولا بالقصير اللاصق ، إن خلا الطريق تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصادم في السواري ، ولا يدخل تحت البواري ، إن كثرت علفه شكر ، وإن قللته صبر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيري قام ، فقال له السمسار : إن مسخ الله بعض قضاتنا حماراً أصبت حاجتك ، وإلا فليست موجودة » .

الزحام ترفق ، وإن قللت علفه صبر ، وإن أكثرته شكر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيري نام ، لا يصادم السواري ، ولا يدخل تحت البواري (27) فقال له النخاس : يا عبد الله ، اصبر ، فإن مسخ الله القاضي حماراً أصبت لك حاجتك إن شاء الله .

[(28)ومثل هذا ما روي أن رجلاً أراد شراء فرس فقال له النخاس : صف لي بغيتك منه ، فقال : أريده حسن القميص (29) ، جيد الفصوص(30)

---

(27) في الأصل«البراري» ومثله في ك و س أما ح ففيها البواري بالواو ، وفي « شفاء الغليل» للخفاجي : « بارية بمعنى حصير ، تقوله العوام ، وهو خطأ ، والصواب باري ، وبوري ، قال الراجز : كالخص إذ جلله الباري » . وفيه أيضاً : « بوريا فارسي معرب ، وهي بالعربية باري وبوري » . وفي « النهاية » هامش على كلمة البواري هذه عبارته : « البواري جمع بارية (فارسي معرب) وهو الحصير المنسوج من القصب ، ولعله يريد بالبواري هنا مظلات كانت تصنع من الحصر وتثبت إلى وجوه الحوانيت أو أخرى تنشر على السواري في الأسواق يريد حماراً يسلك به وسط الطريق ويتجنب السير تحت هذه البواري حتى لا تصادمه وهو راكب عليه » .

(28) ما بين المعقفين ساقط من المخطوطات الثلاث وهو في الطبعة الفاسية فأضفناه نقلا عنها ، وهو في « زهر الآداب » للحصري «(1 : 305) بتحقيق البجاوي ، وهو وارد كذلك « بنهاية الأرب »للنويري (10 : 69) مع اختلاف عما هنا بالزيادة والنقص وتبديل الشكل .

(29) ربما أريد بالقميص لون إهابه أو ما يكون عليه من الشيات مثل الغرة والتحجيل لأن صيغة الكلمةتنبو بها أن تكون من مادة القمص والقماص التي تعني نوعاً من السير والحركة وفي « مصباح الفيومي » : « قمص البعير وغيره عند الركوب قمصاً من بابي ضرب وقتل وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً والقماص بالكسر اسم منه » وفي « الأساس للزمخشري» « وقمص البحر بالسفينة حركها بأمواجه كأنها تقمص ، وقمصت الناقة بالرديف مضت به نشيطة » .

(30) جمع فص وهو ملتقى كل عظمتين في الجسد ، قال الزمخشري في « أساسه » : « يقال للفرس : إن فصوصه لظماء أي ليست برهلة كثيرة اللحم وهي مفاصله » .

وثيق القصب (31) نقي العصب ،يشيرُ بأذنيه، ويشرف برأسه ويخطر بيديه ، ويدحو (32) برجليه ، كأنه مرج (33) في لجة ، أو سَيْلٌ في حَدُورٍ (34) أو منحط من جبل ، فقال له النخاس : نعم كذلك كان صلوات الله عليه وسلامه (35) فقال : إنما وصفت لك فرساً ، [فقال] (36) : والله ما كنت أحسب إلاّ أنك تذكر صفة نبي من الأنبياء .

---

(31) في « مصباح الفيومي » : « القصب عظام اليدين و الرجلين ونحوهما : وقصبة الرئة عروقها التي هي مجرى النفس ». وفي « مقاييس ابن فارس » : القاف والصاد والباء أصلان يدل أحدهما على قطع الشيء ، ويدل الآخر على امتداد في أشياء مجوفة » . وفي « أساس البلاغة » : امرأة تامة القصب ، وهي عظام اليدين والرجلين ، وفي كل إصبع ثلاث قصبات ، وفي الإبهام قصبتان » .

(32) في « مقاييس ابن فارس » : « الدال والحاء والواو أصل واحد يدل على بسط وتمهيد يقال : دحا الله الأرض يدحوها دحواً إذا بسطها ، ويقال : دحا المطر الحصى من وجه الأرض ، وهذا لأنه إذا كان كذا فقد مهد الأرض ، ويقال للفرس إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سنبكه عن الأرض كثيراً مر يدحو دحواً » .

(33) كذا هو في الطبعة الفاسية براء مهملة ، وفي « زهر الآداب » : « موج » بالواو .

(34) في « مصباح الفيومي » : « حدر الشيء حدوراً من باب قعد أنزله من الحدور وزان رسول وهو المكان الذي ينحدر منه » .

(35) وصف علي كرم الله وجهه مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إذا مشى كأنما ينحدر من صبب ، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر » . ونعتها هند بن أبي هالة قائلا : « إذا زال زالقلعاً يخطو تكفياً ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب » . وذكرها أبو هريرة رضي الله عنه فقال : « ما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث » .

ذلك ما أشار إليه النخاس الذي هزل في غير موضع الهزل ، وكنا انتوينا ألا نهمش على إشارة النخاس هذه إعزازاً للجناب النبوي وتكريماً لقدره عليه السلام وصيانة لمقامه الشريف عن سخف النخاسين أن نجاريهم فيه ولو بنية التأديب والتوقير ، ثم بدا لنا في ذلك قصداً إلى التبيان ، واتقاء أن تفهم الإشارة على سوى جهتها ، فأوردنا من نعت مشيته صلى الله عليه وسلم ما أوردنا خروجاً به من الهزل إلى الجد وتعلياً عن المزاح إلى الوقار .

(36) ما بين العلامتين زيادة من عندنا اقتضاها سياق الكلام .

وأُخِذ بعض الشطار فحُمِل إلى الكاتب ليسجّل نعته ، فأغلق عينه اليمنى فكتب الكاتب : أعور العين اليمنى ، فلما علم الشاطر أنه قد كتب ذلك فتح اليمنى وأغلق اليسرى، فلما نظر إليه الكاتب توهّم أنه غلط فمحا اليمنى وكتب اليسرى ، فأغلق الشاطر اليمنى وفتح اليسرى ، فنظر الكاتب إليه <فقال : لعن الله الشيطان ، أفسدت ما كان صحيحاً ، فكتب اليمنى فأغلق الشاطر اليسرى ، فتحير الكاتب> (37) ولم يدر ما يفعل فكتب : أعور من أي عينيه شاء .

وأُخذ قوم محاربون فقدموا لتضرب أعناقهم فقال واحد منهم : والله ما كنت إلاّ أغني لهم ، فقيل له : فغنِّ إذن فلم يجرِ على لسانه غير قول القائل (38) :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه　　فكل قرين بالمقارن مقتــد

فقيل له : صدقت وضربت عنقه .

وذكرت الشيعة عند بعض شيوخ الإباضية (39) فأنكرهم وسبهم جداً فقيل له في ذلك فقال : إن الشين أول الكلمة (40) إنما توجد في مسخوط

---

(37) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(38) هو عدي بن زيد العبادي والبيت من داليته التي مطلعها :

أتعرف رسم الدار من أم معبد　　نعم ورماك الشوق قبل التجلد

وهي إحدى القصائد المجمهرات واقرأها في « جمهرة أشعار العرب » للقرشي .

(39) الإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض (بوزن كتاب) التميمي وهم فرقة من الخوارج قال عنهم الشريف الجرجاني في « تعريفاته » : « الإباضية هم المنسوبون إلى عبد الله بن إباض قالوا : مخالفونا من أهل القبلة كفار ، ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن بناء على أن الأعمال داخلة في الإيمان ، وكفروا علياً رضي الله عنه وأكثر الصحابة » .

(40) في ح : « أول كلمة » بالتنكير .

مثل شؤم وشر وشيطان وشح وشغب وشرك وشتم وشَيْن وشوك وشوصة(41) وشكوى وشنآن (42) قلت : وليس كما قال ، بل هذا كثير ، وضده وهو المحبوب أيضاً كثير ، مثل شهد وشبع وشرب وشكر وشرف وشاب (43) وشرع وشكد (44) وشحم وشورى وشفاعة وشفقة وشغفر (45) وشفاء ، وفي أسمائه تعالى : الشكور الشهيد (46) .

وخطب عتاب بن ورقاء الرياحي يوماً فقال وهو على المنبر :أقول لكم كما قال الله في كتابه (47) :

ليس شيء على المنون بباق غير وجه المسبّح الخلاّق

---

(41) في الحديث : (من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص واللوص والعلوص) . فالشوص وجع الضرس ، وهو بالهاء وجع في البطن من ريح تنعقد تحت الأضلاع ، واللوص وجع الأذن ، واللوصة وجع في الظهر ، فأما العلوص بوزن السنور فهو التخمة ووجع البطن .

(42) في س : « وشتان » بتاء .

(43) في ك و س و ح : « شباب » .

(44) في « مقاييس ابن فارس » : « الشين والكاف والدال أصل . يقولون : إن الشكد الشكر وسمعت علي بن إبراهيم بن القطان يقول : سمعت علي بن عبد العزيز يقول : سمعت أبا عبيد يقول : سمعت الأموي يقول : الشكد العطاء ، والشكم الجزاء . والمصدر الشكد، وقال الكسائي : الشكم العوض ، والأصمعي يقول : الشكم والشكد العطاء » .

(45) في « تاج العروس » : « الشغفر كجعفر أهمله الجوهري ، وقال أبو عمرو : هي المرأة الحسناء » . وفيه أيضاً : « وشغفر بلا لام اسم امرأة أبي الطوق الأعرابي أنشد عمرو بن بحر له فيها وكانت وصفت بالقبح والشناعة :

جاموسة وفيلة وخنزر وكلهن في الجمال شغفر

فجمعهما للتشابه » .

(46) في س و ح : « والشهيد » مع الواو .

(47) في ح : « سبحانه » بدل في كتابه .

فقيل له : أيها الأمير هذا قول عدي بن زيد (48) فقال : ليقله من شاء فنعم القول هو .

وأتي يوماً بامرأة من الخوارج فقال لها : يا عدوة الله ما حملك على الخروج أما سمعت الله يقول (49) :

كتب القتل والقتـــال علينا وعلى الغانيات(50) جر الذيول

فقالت : جهلك بكتاب الله يا عدو الله حملني على الخروج عليك وعلى أئمتك .

ومثل هذا ما خطب علي بن زياد الايادي فقال : أقول لكم مثل قول الرجل الصالح : (مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ) فقيل له : إنما قاله فرعون ، فقال : يقوله من قاله فقد أحسن فيه .

---

(48) في ح : « زياد » بدل : « زيد » وهو خطأ .

(49) في « عيون الأخبار » (مج 2 : 49) : « خطب عتاب بن ورقاء فحث على الجهاد وقال : هكذا قال الله تعالى :

كتب القتل . . . . البيت »

وفي « العقد الفريد » (6 : 159) خطب عتاب بن ورقاء الرياحي فقال : أقول لكم كما قال الله في كتابه :

كتب القتل . . . . البيت »

وفي « كامل المبرد » (3 : 137) : « لما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الأنصارية امرأة المختار أنكره الخوارج غاية الإنكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمراً عظيماً لأنه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سائر نساء المشركين . فقال عمر بن أبي ربيعة :

إن من أعظم الكبـــائر عندي قتل حسناء غـــادة عطبول
قتلت بـــاطلا على غير ذنـــب إن لله درهـــا من قتيـــل
كتب القتـــل والقتـــال علينا وعلى الغـــانيات جر الـــذيول

(50) في ك و س : « المحصنات » .

وكان (51) رجل يكثر مجالسة أبي يوسف ويطيل الصمت . فقال له يوماً ألا تسأل ؟ قال : بلى ، متى يفطر الصائم ؟ قال : إذا غربت الشمس ، قال : فإن لم تغرب إلى نصف الليل ؟ فضحك أبو يوسف وتمثل بقول الشاعر (52) :

عجبت لإزراء الغبيّ بنفسه وصمت الذي قد كان بالعلم أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

ومثل هذا ما روي أن شاباً كان يكثر مجالسة الأحنف ولا يتكلم ، فأعجب الأحنف ذلك منه ، ثم خلت الحلقة يوماً فقال له الأحنف : يا ابن أخي مالك لا تتكلم ؟ فقال : يا عم أرأيت لو أن رجلاً سقط من شرفة هذا المسجد أيضره شيء ؟ فقال الأحنف : ليتنا تركناك يا ابن أخي مستوراً(53) ثم أنشد متمثلاً :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلـم
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فـؤاده ولم يبق إلاّ صورة اللحم والدم (54)

---

(51) الحكاية في كتاب « أخبار الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي ص 149 طبعة المكتب التجاري بيروت .

(52) هو مالك بن سلمة العبسي على ما عند البحتري في « حماسته » ص 231 أو هو الحسن بن جعفر على ما في « العقد الفريد » (2 : 266) وهما في « عيون الأخبـار » (2 : 175) بدون نسبة .

(53) الحكاية في كتاب « أخبار الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي (ص 146) طبعة المكتب التجاري ببيروت .

(54) البيتان وردا ضمن معلقة زهير بن أبي سلمى بقسم الحكم منها في رواية « جمهرة أشعار العرب » ، وفي رواية الزوزني في « شرحه على المعلقات » ، ولم يثبتهما ابن الأنباري ولا النحاس ولا الشنتمري ولا التبريزي في شروحهم على المعلقة ، ونسبهما الوشاء في « الظرف والظرفاء » للأعور الشني ، وهما في « فاضل المبرد » ، وفي « المحاسن والمساوي » للبيهقي بدون نسبة ، وأوردهما عبد الحميد الراضي في « ديوان عبد الله بن معاوية الجعفري » المطبوع ببيروت سنة 1976 م .

وروي عن الجاحظ قال : عبرت على معلم كتّاب فدخلت إليه فرحب بي وأجلسني معه فذاكرته في القرآن فإذا هو ماهرٌ فيه ، وكذا في العربية واللغة والشعر فإذا هو عارف ، فقَوي عزمي على تمزيق « دفتر المعلمين » (55) وجعلت أختلف إليه فأتيت يوماً فوجدت الكتاب (56) مغلقاً ، فسألت عنه فقيل : مات له ميت ، فذهبت لأعزيه ، فدققت الباب وخرجت جارية فقالت : ما تريد ؟ فقلت : أريد مولاك ، فقالت : هو جالس وحده في العزاء ما يأذن لأحد فقلت : قولي له : صديقك فلان فدخلت فقالت : ادخل فدخلت فقلت له : أعظم الله أجرك (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وهذا سبيل لا بد منه ، فعليك بالصبر ، ثم قلت : هذا الميت ولدك ؟ فقال : لا ، قلت : والدك ؟ قال : لا ، قلت أخوك ؟ قال : لا ، قلت : فمن ؟ قال : حبيبتي ، فقلت في نفسي : هذا أوان (57) المناحس ، ثم قلت : سبحان الله ! النساء كثير ، وتجد أحسن منها ، فقال : وكأني رأيتها ! فقلت في نفسي : وهذه منحسة ثانية ، ثم قلت : وكيف عشقت من لم تره ؟ فقال : كنت في الطارمة (58) فسمعت مغنياً يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مغفــرة ردي عليّ فؤادي أينما كانا
[لا تأخذين فؤادي تلعبين بــــه فكيف يلعب بالإنسان إنسانا] (59)

فقلت في نفسي : اولا أن أم عمرو ما في الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا

---

(55) هو رسالته في المعلمين ، وهي توجد مخطوطة بمكتبة المتحف البريطاني ، وفي مكتبة أمين بك التجليلي بالموصل ، ونشرت على هامش الكامل للمبرد عام 1323 هـ .

(56) في ن : « المكتب » . وفي ح : « الباب » .

(57) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « أول » وهي أوفق .

(58) في « تهذيب الأزهري » : « الطارمة بيت كالقبة من خشب وهي أعجمية » . وفي « الصحاح : « الطارمة بيت من خشب فارسي معرب » .

(59) ما بين العلامتين زيادة من س وكذا هو فيها .

الشعر ، فعلقها قلبي ، ثم بعد أيام مرّ بي ذلك الرجل [أو غيره] (60) وهو يقول :

إذا ذهب الحمار بـأم عمرو   فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها ، وجلست للعزاء منذ ثلاثة أيام ، قال الجاحظ : فعاد عزمي إلى إبقاء «الدفتر» بأم عمرو .

وعن بعضهم قال : لقيت شيخاً من الأعراب فرجوت أن يكون يقول الشعر أو يرويه فسألته فقال : أما الرواية فلم أسمع من أروي عنه ، وأمّا القول فلم أقل قط إلاّ بيتاً واحداً ، فقلت: وهذا خير ، أروي عنك هذا البيت فتحصل به رواية شعرك فما هو ؟ فقال :

سقياً ورعياً وزيتوناً ومغفرة   قتلّم الشيخ عثمان بن عفانا

قال الراوي : فجعلت أتأمله ، فقال الشيخ : لعلك تتأمل في فهم معناه [قلت : نعم ، قال : أنا قلته منذ سبعين سنة وأنا أفكر في معناه] (61) فما فهمته ، فكيف تطمع به أنت في ساعة واحدة .

[(62) وقال أحمد بن عمار (63) : عملت شعراً لا معنى له ولا قافية ،

---

(60) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س .

(61) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وهو في صلب ح وكتبه ناسخ ك على طرتها لحقاً .

(62) ما بين المعقفين غير وارد بالأصل ، وهو ساقط من س أيضاً ، ولم يجيء في ك كذلك ، ولكن ناسخها كتب على طرتها بخطه منبهاً عليه فقال ما نصه بالحرف : « يخص هنا شيء له بال ، وذلك نحو 3 ورقات » وهذا الساقط ورد في الطبعة الفاسية فأضفناه نقلا عنها .

(63) في كتاب « الفخري في الآداب السلطانية » لابن الطقطقى (ص 174 – 175) : « أحمد بن عمار ، كان رجلا موسراً من أهل المذار ، فانتقل إلى البصرة واشترى بها أملاكـاً وكثر ماله واتسع بها حاله ، وكان الفضل بن مروان قد وصفه بالأمانة عند المعتصم ، =

وقلت لسعيد بن حميد: رَوِّه فلاناً صديقاً لنا من الطالبيين ،وكان جلداً شهماً ، معه تغفيل ، وقل له : ينشده شجاع (64) بن القاسم كاتب المستعين كأنه يمدحه به ، وضمنا له على ذلك صلة وهو (65) :

شجـــاع لجاع كاتب لاتب معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل
خبيص لبيص (66) مستمر مقـــدم كثير أثير ذو شمال مهـــذب
فطين أطين (67) آمر لك زاجراً حصيف لصيف حين يجبر (68) يعلم
بليغ لبيغ كلما شئت قلتـــــــه لديه وإن تسكن (69) من القول يسكن

= فلما نكب الفضل لم يقع نظر المعتصم على غير أحمد بن عمار ، فاستوزره ، وكان جاهلا بآداب الوزارة فمكث مدة في وزارة المعتصم حتى ورد كتاب من بعض العمال يذكر فيه خصب الناحية وكثرة الكلأ ، فسأل المعتصم أحمد بن عمار عن الكلأ فلم يدر ما يقول ، فدعا محمد بن عبد الملك الزيات فسأله عن الكلأ فقال : أول النبات يسمى بقلا ، فإذا طال قليلا فهو الكلأ ، فإذا يبس وجف فهو الحشيش ، فقال المعتصم لأحمد بن عمار : انظر أنت في الدواوين ، وهذا يعرض علي الكتب ، ثم استوزره وصرف ابن عمار صرفاً جميلا ».

(64) في كتاب « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » لابن السيد البطليوسي (ص 27 – 28 طبعة بيروت 1901) : « هو شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركي ، وكان يتولى عرض الكتب على المستعين أحمد بن محمد المعتصم ، وكان جاهلا لا يحسن القراءة ، إلا أنه كان ذكياً تقرأ عليه عشرة كتب فيحفظ معانيها ويدخل إلى المستعين يأمره فيها ولا يغلط في شيء منها ، ومدحه بعض الشطار بشعر يقول فيه :

شجاع لجاع . . . . الأبيات

وأعطى هذا الشعر لرجل طالبي فلقى به شجاعاً وهو على قارعة الطريق وحوله الناس ، فاستوقفه وأنشده إياه ، فضحك وشكره ، ودخل إلى المستعين فرغب إليه في أمره ، فأعطاه عشرة آلاف درهم صلة ، وأجرى له ألف درهم راتباً في الشهر . . . » .

(65) الأبيات في « اقتضاب البطليوسي » ص 28 .

(66) رواية « الاقتضاب» « لميص » بالميم .

(67) في « الاقتضاب» : « لطين » باللام .

(68) كذا بالجيم منقوطة من أسفل وفي « الاقتضاب » يخبر بالخاء منقوطة من أعلى .

(69) في « الاقتضاب » : « تسكت » من السكوت بالتاء .

أديب أبيب (70) فيه عقل وحكمة   عليم بشعري حين أنشد يشهد (71)
كريم أريم (72) قالص (73) متباسل (74)
إذا جئته قدماً (75) إلى البـذل يسمح

فحفظه الطالبي ولقي شجاعاً ونحن نسايره فقال : أعزك الله ، ليس الشعر من صناعتي ، ولكنك أحسنت إليّ وإلى أهلي ، فتكلفت أبياتاً مدحتك بها ، فإن رأيت أن تسمعها مني ، قال : قد أغناك الله من ذلك بشرفك ومودتك ، فقال : بلى تتفضل بسماعها ، وأنشده الأبيات ، فلما فرغ شكره على ذلك ، ودخل إلى المستعين فأخرج له عشرة آلاف درهم ، وأجرى له ألف درهم في كل شهر ، فجاءنا الطالبي شاكراً وقال : أنتما أوصلتما هذا .

وتزوج رجل امرأة حمقاء فغاب عنها مدة فلما قدم وضمهما الفراش سألها عما حدث في غيبته فأنشأت تقول :

ما مسّني بعدك من إنسيٍّ   غير غلام واحد قيسيٍّ
ورجل آخر مـن بَلِيّ   وثالث جا من بني عَدِيّ
ورابع أيضـاً أتى من طيّ   وخمسة جاءوا مع العشيّ
وسبعة كانوا على الطويّ   غر كرام من بني عليّ
وآخرين معمـلي المطيّ   من بين كوفي ومن بصريّ
ومن تهاميٍّ ومن نجـديّ   ما فيهم من ليس بالمرضيّ

---

(70) في « الاقتضاب » : « لبيب » .
(71) في « الاقتضاب » : « « ينشد » .
(72) في « الاقتضاب » : « حليم » .
(73) في « الاقتضاب » : « قابض » .
(74) في « الاقتضاب » : « متباسط » .
(75) في « الاقتضاب » : « يوماً » .

فقام يضربها فصاحت فاجتمع الناس فقال لهم : لولا أني قمت أضربها لعدّتْ عليّ أهلَ عرفات ومنى (76) .

وكان بشار إذا أعوزنه القافية أو المعنى يدخل في شعره أشياء لا حقيقة لها تكميلاً لشعره ، فمن ذلك أنه أنشد شعراً له فقال فيه (77) :

غنّني للغريض يا ابن قنان

فقيل له : من ابن قنان هذا ؟ فإنا لا نعرفه في المغنين ، فقال : وما عليكم

---

(76) في «تاج العروس» بباب الألف اللينة من مادة «ذا» ما يأتي : «قدم بعض العرب من سفر فوجد امرأته قد ولدت غلاماً فأنكره فقال لها :

لتقعدن مقعــــد القصي | مني ذي القاذورة المقـلي
أو تحلفي بربـك العـلي | أني أبـو ذيالك الصبي
قـد رابني بـالنظر الركي | ومقلـة كمقلـة الكركي

فقالت :

لا والذي ردك يا صفيي | ما مسني بعدك من إنسي
غـير غـلام واحد قيسي | . . . . »

الأبيات . . . . مع اختلاف في عددها وعباراتها .

(77) نص الحكاية في «الأغاني» (3 : 163 - 164) هكذا : «كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غني للغريض يا ابن قنان

فقيل له : من ابن قنان هذا؟ لسنا نعرفه من مغني البصرة ، قال : وما عليكم منه ؟ ألكم قبله دين فتطالبوه به؟ أو ثأر تريدون أن تدركوه ؟ أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنما أردنا أن نعرفه فقال : هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي ، فقالوا له : إلى متى ؟ قال مذ يوم ولد وإلى يوم يوم يموت . قال وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة :

. . . . ووافا | ني هلال السماء في البردان

فقلنا : يا أبا معاذ ، أين البردان هذا لسنا نعرفه بالبصرة؟ فقال : هو بيت في بيتي سميته البردان ، أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه » ؟

منه ؟ ألكم قِبَلَه دَينٌ تطالبونه به ؟أو ثأر تريدون أن تدركوه منه ؟ أو كفلت لكم به فإذا غاب طلبتموني ؟ فقالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، ولكنا أردنا أن نعرفه ، فقال : هذا رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي ، فقالوا له : إلى متى ؟ فقال من يوم ولد إلى يوم يموت ، فتفرقوا عنه متضاحكين (78).

وقال بعضهم : شربنا يوماً عند عبد الصمد بن علي عم المنصور ، وكان يغنينا الدارمي المكي ، وكان حلواً ظريفاً ، فنعس عبد الصمد وعطس الدارمي عطسة هائلة فوثب عبد الصمد مرعوباً وغضب غضباً شديداً وقال : يا ابن الفاعلة ، إنما أردت أن تفزعني ، قال : لا والله ولكن هذا عطاسي ، فقال : والله لأعاقبنك أو تأتيني ببيّنة على ذلك ، ووكل به غلمانه ، فخرج ولا يدري أين يذهب ، فلقيه رجل يعرفه من أهل مكة ، فسأله عن أمره فأخبره فقال له : أنا أشهد لك ، ومضى معه حتى دخل على عبد الصمد فقال له : بم تشهد لهذا ؟ فقال : رأيته عطس عطسة سقط منها ضرسه ، وتطاير نصف لحيته ، فضحك عبد الصمد وقال : خلوا سبيله .

---

(78) من بابة هذا العبث البشاري ما حكاه ابن عبد ربه في « عقده » (6 : 442) فقال : « كان راوية بشار قال : قال بشار ذات يوم وهو يعبث ، وكان له حمار مات قبل ذلك قال : رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له : ويلك مالك مت ؟ قال : إنك ركبتني يوم كذا وكذا ، فمررنا على باب الأصفهاني فرأيت أتاناً عند بابه فعشقتها فمت ، وأنشدني :

سيدي مل بعناني نحو باب الأصفهاني
إن بالباب أتانا فضلت كل أتان
تيمتني يوم رحنا بثناياها الحسان
وبغنج ودلال سل جسمي وبراني
ولها خد أسيل مثل خد الشيفران
فبها مت ولو عشت إذن طال هواني

فقال له رجل من القوم : يا أبا معاذ ما الشيفران ؟ فقال : هذا من غريب الحمير فإذا لقيتم حماراً فسلوه » .

وقال الماوردي (79) : كنت بمجلس درسي بالبصرة فدخل عليّ شيخ مسنّ قد ناهز الثمانين أو جاوزها وقال لي : قصدتك بمسألة اخترتك لها فقلت : وما هي ؟ وظننت أنه يسأل عن حادثة نزلت به ، فقال : أخبرني عن طالع (80)إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو ،فانهذين لعظيم شأنهما لا يسأل عنهما إلاّ علماء الدين ، فعجبت وعجب من في مجلسي من سؤاله وبادر إليه قوم منهم بالإنكار والاستخفاف ،فكففتهم، وقلت : هذا لا يقتنع مع ما ظهر من حاله إلاّ بجواب مثله ، فأقبلت عليه وقلت : يا هذا إن المنجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلاّ بمعرفة مواليدهم ، فإن ظفرنا بمن يعرف وقت ميلادهما أخبرناك بالطالع ،فقال جزاك الله خيراً ، وانصرف مسروراً ، فلما كان بعد أيام عاد إلي وقال :ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولدهما.

وكان المأمون يوماً جالساً مع ندمائه مشرفاً على دجلة يتذاكرون أخبار الناس ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان إلاّ نقص من عقله بقدر ذلك ، فلم يسلم له أصحابه ذلك ، فبينما هم في ذلك رأوا رجلاً كبير اللحية حسن الهيئة والثياب ، فقال المأمون : عليّ به ، فلما وقف بين يديه سلم ، فأجلسه المأمون ، وقال له : ما اسمك ؟ قال : أبو حمدونة ، فقال : وما كنيتك ؟ قال : علوبة ، فضحك المأمون وأقبل على جلسائه فغمزهم عليه ، ثم قال : ما صنعتك قال : فقيه أجيد الشرح للمسائل ، فقال :نسأل عن مسألة . فقال : سل عما بدا لك ، قال : فما تقول فيمن اشترى شاة فلما قبضها خرجت من استها بعرة ففقأت عين رجل ، على من تجب دية العين ؟ على البائع أم على

(79) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد ، من كبار الشافعية في وقته ، وأحد العلماء الباحثين المدققين ، كانت له المنزلة العالية لدى الخلفاء والأمراء ، من مؤلفاته : «أدب الدنيا والدين»،و«الأحكام السلطانية»، و«أدب الوزير» ، توفي سنة 450هـ والحكاية أوردها أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه : «أخبار الحمقى والمغفلين» ص 172 من طبعة المكتب التجاري ببيروت .

(80) في «أخبار الحمقى والمغفلين» : «عن نجم» .

المشتري ؟ فنكت (81) بإصبعه الأرض طويلاً ثم قال : دية العين على البائع ، قال : ولمَ ؟ قال : لأنه باع ولم يشترط أن في استها منجنيقاً ، فضحك المألون ومن معه ، ثم أنشأ يقول :

ما أحد طالت لــــه لحية فزادت اللحية في هيئته
إلاّ وما ينقص من عقلــه أكثر ممّا زاد في لحيته

ويؤيد هذا ما روي أن معاوية كان مع أصحابه فمرّ بهم رجل طويل اللحية فقال معاوية: أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طول اللحية ، فقال عمرو بن العاصي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اعتبروا عقل الرجل في ثلاث : طول لحيته ، وكنيته ، ونقش خاتمه » ، فلما جاءهم الرجل قال معاوية : ما نقش خاتمك قال : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لا أَرَى الهُدْهُدَ) . قال : وما كنيتك ؟ قال : أبو الكوكب الدري ، فقال معاوية : كمل الرجل ، ولهذا قال عليه السلام : «من سعادة المرء خفة لحيته ».

وروي أن أعرابيين اختصما إلى شيخ حيهما ، فقال أحدهما للآخر : إنك والله ما تحفظ آية من كتاب الله ، فقال الآخر :والله إني لقارىء ،فقال له الشيخ : اقرأ علي ، فقال كأنه يقرأ :

علق القلب ربــابا بعدما شابت وشابا
إن دين الحبّ فرض لا ترى فيه ارتيابا

---

(81) في « اللسان » : « النكت قرعك الأرض بعود أو بإصبع ، وفي الحديث : « بينا هو ينكت إذ انتبه » أي يفكر ويحدث نفسه ، ونكت الأرض بالقضيب وهو أن يؤثر فيها بطرفه فعل المفكر المهموم » . وفي الطبعة الفاسية : « ينكث » بثاء مثلثة وهو تصحيف .

فقال الشيخ لخصمه : والله لقد قرأها كما أنزلت ، فقال خصمه : والله يا سيدي ما تعلمها إلاّ البارحة .

ويشبه هذا ما ذكر أن رجلاً سمع رجلاً ينشد :

فلا تقبل اغانيـــة يمينـــا ولو حلفت برب العالمينا

فقال : اشكل علي موضعها في (إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً) .

وذكر (82) أن أعرابياً تقدم إلى القاضي سوار (83) في أمر فلم يجد عنده ما يحب ، فاجتهد فلم يظفر بحاجته ، قال : فقال الأعرابي وفي يده عصا :

رأيت رؤيا ثمّ عبرتهـــا وكنت للأحلام عبارا
بـــأنني أخبط في ليلتي كلبـــاً فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا حتى منع منه قال : فما عاقبه سوار .

ويروى أن ضيفاً نزل بالحطيئة (84) وهو يرعى غنماً له وفي يده عصا

---

(82) في « كامل المبرد » (2 : 42 ط صبيح 1347) : « وحدثني بعض أصحابنا أن رجلا من الأعراب تقدم إلى سوار في أمر . . . الخ » .

(83) هو أبو عبد الله سوار بن عبد الله بن قدامة التميمي العنبري البصري . محدث فقيه ، وأديب شاعر ، وقاض من نبلاء القضاة وأعيانهم على عهد المنصور العباسي ، وله ما جريات مع السيد الحميري شاعر الشيعة لوقته ، وله فيه أهاج كان سببها أن سواراً رده في شهادة . كف بصر سوار في آخر عمره وتوفي سنة 156 هـ . ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب (9 : 210) وفي ميزان الاعتدال للذهبي (2 : 245) وفي أعلام الزركلي (3 : 213)

(84) الحكاية في « بيان الجاحظ » (2 : 151) في طبعة السندوبي ، وهي في « كامل المبرد » (3 : 38) في طبعة علي صبيح .

فقال له الضيف : يا راعي الغنم ، فأومأ الحطيئة بعصاه وقال : عجراء (85) من سلم (86) . فقال الرجل : إني ضيف فقال : للضيفان أعددتّها .

وروي أن ناسكاً (87) من بني الهجيم (88) بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه : اللهم اغفر للعرب خاصة ، وللموالي عامة ، فأما العجم فهم عبيدك ، والأمر إليك .

ونظر (89) يزيد بن مَزْيد الشيباني (90) إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب فقال : إنك من لحيتك في مثونة فقال : أجل ، ولذلك أقول (91) :

لها درهم للدهن في كلّ جمعة وآخر للحنـــــاء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن مزيد لصوَّت في حافاتّها الجلَمان

---

(85) العجرة بالضم والسكون العقدة في الخشب ونحوه ، والعجراء العصا التي بها عقد ونتوآت .

(86) السلم محركاً بفتحتين شجر واحده سلمة مثل قصب وقصبة .

(87) الحكاية في « كامل المبرد » (3 : 238) طبعة علي صبيح .

(88) في الطبعة الفـاسية بتقديم الجيم على الهاء ، وهو خطأ صوابه الهجيم بسبق الهاء على الجيم ،قال القلقشندي في كتابه : « نهاية الأرب ، في معرفة أنساب العرب » : « بنو الهجيم ويقال : بلهجيم ، بفتح الباء وسكون اللام بطن من تميم ، من العدنانية ، وهم بنو الهجيم ابن عمرو بن تميم » .

(89) الحكاية في « كامل المبرد » (2 : 98) بطبعة صبيح ، وفي « شرح الشريشي على مقامات الحريري » (2 : 45) .

(90) هو أبو خالد يزيد بن مزيد (بفتح الميم وسكون الزاي) بن زائدة الشيباني أحد الأبطال الشجعان ، وأحد كبار الأمراء على عهد الرشيد ، وهو كان الذي قضى على ثورة الوليد بن طريف الخارجي الذي ثار على الرشيد ، توفي سنة 185 هـ .

(91) قبلهما في « شرح الشريشي على المقامات » بيتان آخران هذا نصهما :

لعمرك لو يعطي الأمير على اللحى لأصبحت قد أيسرت منذ زمـــان

إذن لشفتي لحيتي مــن عصابة لهم عنده ألف ولي مـــائتان

ونظر أعرابي إلى رجل جيد الكِدْنة (92) أي الشحم يعني سميناً فقال: يا هذا ، إني لأرى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك .

ويروى أن جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له يوماً :

أهمام بن مرة حنّ قلبي إلى اللائي يكن مع الرجال

فقال : يا فَساقِ ، أردت صفيحة ماضية فقالت :

أهمام بن مرّة حنّ قلبي إلى صلعاء مشرفة القذال

فقال : يا فَجارِ ، أردت بيضة حضينة فقالت :

أهمّام بن مرّة حنّ قلبي إلى أير أسد به مبالي (93)

---

(92) في الطبعة الفاسية : « الكنندة » بالكاف قبل النون ، وهو خطأ صوابه : الكدنة بتقديم الدال ، والكدنة بالكسر اللحم والشحم ، قال الزمخشري في « أساس البلاغة » : « إنه لذو كدنة وعبالة ، وهي غلظ اللحم وثقله ، ومنه الكودن ، وهو البرذون التركي وكودن في مشيته أبطأ وثقل » .

(93) الحكاية بنصها في « كامل المبرد » (2 : 228) طبعة صبيح ، وذكرها القالي في «أماليه » (2 : 103) فقال : « حدثنا أبو بكر بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة ، قال : كان لهمام بن مرة ثلاث بنات فعنسهن ، فقالت الكبرى : أنا أكفيكموه اليوم فقالت :

أهمام بن مرة إن همي إلى قنفاء مشرفة القذال

فقال همام : قنفاء مشرفة القذال تصف فرساً ، فقالت الوسطى : ما صنعت شيئاً ، فقالت :

أهمام بن مرة إن همي إلى اللائي يكن مع الرجال

فقال همام : يكون مع الرجال الذهب والفضة ، فقالت الصغرى : ما صنعت شيئاً ، وقالت :

أهمام بن مرة إن همي لفي عرد أسد به مبالي

فقال همام : قاتلكن الله ، والله لا أمسيت أو أزوجكن ، فزوجهن » .

وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعراً قط إلاّ تبين فيه الضعف ، فقيل له : أو كذلك الخنساء ؟ قال : تلك كان لها أربع خُصىً .

وقال المبرد : حدّثني شيخ من الأزد عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له : ألا تدعو لأمك فقال : إنها تميمية . وسُمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه ، فعوتب فقال : هذه ضعيفة وأبي يحتال لنفسه .

وقال بعض المحدثين (94) :

ولا أكتم الأسرار لكن أنمها ولا أترك الأسرار تغلي على قلبي
وإن أحق الناس بالسخف لامرؤ تقلبه الأسرار جنباً إلى جنب

وقال الآخر (95) :

وأمنع جارتي من كلّ خير وأمشي بالنميمة بين صحبي] (96)

ورأى طفيلي رجلاً اشترى سمكاً كثيراً مطبوخاً ، وحمله على رأس أمة له إلى داره ، فتبعه ، فلما رأى الرجل الطفيلي بادر فأدخل الأمة ودخل وأغلق الباب ، فتسور الطفيلي فأشرف عليهم ، فقال له الرجل : أما تتقي الله تطلع على محارم الناس ؟ فقال : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ

(94) البيتان في « حيوان الجاحظ » (5 : 184 بتحقيق عبد السلام هارون) منسوبان لسحيم الفقعسي ، وفي « كامل المبرد » (2 : 224 في طبعة صبيح 1347 هـ) بدون نسبة ، وأوردهما أبو تمام « بحماسته » في باب الملح منها ، وهما في « شرح الشريشي » على مقامات الحريري » (2 : 123) .
(95) البيت في « كامل المبرد » (2 : 224) . من طبعة صبيح .
(96) هنا انتهت الزيادة التي نقلناها عن الطبعة الفاسية .

مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) فضحك الرجل وقال له : انزل إلى الباب يفتح لك . فنزل ، فعمد الرجل إلى كبار السمك فجعلها في زاوية البيت وترك الصغار ، فلما دخل الطفيلي ورآها علم القصة ، فأجال بصره في البيت فرأى الإناء في زاوية البيت مغطى ، فعلم أن حاجته فيه ، فجعل يأخذ من تلك الصغار السمكة فيقطع رأسها <بعنف> (97) ويقربه (98) من أذنه ويصغي إليه ثم يطرحه ، فقال له الرجل : ما هذا الذي تصنع ؟ فقال له : اعلم أن أبي كان يسافر (99) في البحر . فغرق وأكلته الحيتان ، فقلت : اليوم أدرك ثأري ، فإذا بهذه الحيتان تقول لي : إنا عند غرق أبيك لم نكن خلقنا بعد ، وإن التي أكلت لحم أبيك في الإناء الذي في زاوية البيت ، فضحك الرجل واستظرفه ، وأتاه بالإناء الذي فيه الكبار ، فأكل حتى قضى حاجته (100) .

] (101) وأتى طفيلي وليمة (102) فاقتحم وأخذ مجلسه مع الناس ،

---

(97) ما بين العلامتين ساقط من س .

(98) في ح : « ويقربها » .

(99) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « سافر » بصيغة الماضي .

(100) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س وفي ح وحدها : « نهمته » بدل : حاجته ، والحكاية هذه ملفقة من حكايتين ترويان معاً لأشعب الطامع .

(101) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوطات الثلاث ، و هو في الطبعة الفاسية ، وعنها نقلناه بنصه الحرفي التام .

(102) في «كتاب التطفيل» للخطيب البغدادي (ص 64) : « ليم بعض الطفيليين على تطفيله فقال : ما صنع الطعام إلا ليؤكل ، وما صنعت الموائد إلا لتبذل ، ولا نجدت المنازل إلا لتدخل ، وما قدمت هدية فأتوقع رسولا ، وما أكره أن أكون ثقيلا ، على من أراه بأكلي بخيلا ، فأتقحم مجالساً ، وأتمكن مستأنساً ، وأنبسط إن رأيته عابساً ، فآكل شهوتي برغمه ، وأعاود بعد الكظة لغمه ، لا أنفق درهماً ، ولا أتعب خادماً » . وجاء نص الخبر في « نهاية الأرب » للنويري (3 : 327) هكذا : « مر طفيلي بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعي ، فأنكره =

فأنكر عليه صاحب الدار وقال : لو صبرت حتى يؤذن لك لكان أحسن لأدبك فقال : إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ،والموائد ليؤكل عليها ، والشحنة (103) قطيعة ، واطراحها صلة ، وجاء في الآثار : صل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، ثم أجمع فيها خلالاً ، أحصل مجالساً ، وآكل مؤانساً ، وأبسط رب الدار وإن كان عابساً ، وأنشد (104) :

كل يوم أدور في عرصة الدا (105) ر أشم القتار (106) شم الذباب
فـإذا ما رأيت آثار عـــرس أو دخاناً (107) أو دعوة الأصحاب
لم أعـــرج دون التقحم لا أر هب شتمـــاً ولكزة البواب
مستهينـــاً بمن دخلت عليـــه غـير مستـــأذن ولا هيّاب
فـتراني ألــف بالرغم منهـــم كلّ مـــا قدموهُ لف العقاب
ذاك أهنـــا من التكلف والغر م وشتّم (108) البقال والقصاب (109)

= صاحب المنزل فقال له : لو تأنيت أو وقفت حتى يؤذن لك أو يبعث إليك فقال : إنما اتخذت البيوت ليدخل إليها ، ووضعت الموائد ليؤكل ما عليها ، وما وجهت بهدية فأتوقع الدعوة ، والحشمة قطيعة ، واطراحها صلة ، وقد جاء في الأثر : صل من قطعك وأعط من حرمك » .

(103) كذا في الطبعة الفاسية وصوابه : « الحشمة » رواية عن « نهاية الأرب » للنويري .

(104) الأبيات في « كتاب التطفيل » (ص 64) وفي « بهجة المجالس » لابن عبد البر (1 : 741) وفي « نهاية الأرب » للنويري (3 : 327) .

(105) هي رواية « نهاية الأرب » وفي « التطفيل » « المصر » بدل « الدار » ، وفي « بهجة المجالس » : « الحي » بدلا منهما .

(106) القتار بوزن الغراب ريح البخور والقدر والشواء والعظم المحرق .

(107) كذا أيضاً في رواية « نهاية الأرب » ، أما كتاب « التطفيل »و «بهجة المجالس» ففيهما « أو ختاناً » .

(108) في كتاب « التطفيل » : « غيظ » بدل : « شتّم » .

(109) في كتاب « التطفيل » زيادة تقول : « وقد حكي عن أبن داب أن هذه الأبيات لأبي العراقيب المدني الطفيلي ، وأولها :

قل لأهل التطفيل إني إمام لكم بين شيبكم والشباب =

وعن آدم الطويل (110) قال : دخل حانوتي غريب يأكل شيئاً من طعام أتى به ، فرآه طفيلي فجاء ليدخل فرددته وقلت له : ما أكثر ما تتردد إلينا ، فقال الغريب الذي في الحانوت : لعله كما قال الشاعر :

لو طبخت قـــدر بمطمورة أو في ذرى قصر بأعلى الثغور

وكنت بـــالصين لوافيتها يا عالم الغيب بما في القدور] (111)

لله الأمر من قبل ومن بعد

= وذكر بعد هذا البيت أبياتاً عدة مما سقنا ، إلا أن في بعض الألفاظ اختلافاً ، وبعدها :

ما أبالي حلت بالسادة القا دة أم بـــالعلوج والأعراب

لا تراني أخيم من نبحة الكلـ ـب ولا من سفاهة البواب

يرهب الناس من ثيابهم الشقـ ـق وهمي هناك شق الثياب

(110) الخبر في كتاب « التطفيل » (ص 26) .

(111) هنا انتهت الزيادة التي نقلناها عن الطبعة الفاسية .

[طفيل بن دلال الهلالي رأس الطفيليين]

واعلم أن الطفيلي ، وهو من يغشى الناس ابتغاء الأكل من غير استدعاء ولا سؤال ، منسوب إلى طفيل بن دلال الهلالي . وكان بالكوفة ، فكان إذا سمع بطعام أتاه من غير أن يدعى إليه ، فما فاته عرس قط ، فقيل له : طفيل الأعراس ، فكان كل من فعل فعله ينسب إليه فيقال : طفيلي (1) .

ويقال (2) : إنه لما حضرته الوفاة دعا ابنه عبد الحميد ليعهد إليه بهذه الحرفة فقال له : يا بني إذا دخلت عرساً فلا تلتفت التفات المريب ، وتخير المجلس ، فإن كان العرس كثير الزحام فمُرْ وانْه ، وامض لشأنك ، ولا

---

(1) في « إصلاح المنطق » لابن السكيت (ص 322) : « وقولهم طفيلي للرجل الذي يدخل وليمة ولم يدع إليها ، وهو منسوب إلى طفيل : رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان ، كان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها ، فكان يقال له : طفيل الأعراس أو العرائس ، والعرب تسمي الطفيلي الوارش » .

وفي « بخلاء الجاحظ » (ص 68) : « وقول الناس فلان طفيلي ليس من أصول كلام العرب ، وكان بالكوفة رجل من بني عبد الله بن غطفان يسمى طفيلا ، كان أبعد الناس نجعة في طلب الولائم والأعراس ، فقيل له لذلك طفيل العرائس ، وصار ذلك نبزاً له ولقباً لا يعرف بغيره ، فصار كل من كانت تلك طعمته يقال له : طفيلي » .

وجاء في « كتاب التطفيل » للخطيب البغدادي قول آخر في اشتقاق الطفيلي هذا نصه بإسناده : « قرأت على الحسن بن أبي القاسم ، عن أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني ، أخبرني الحسن بن علي بن زكرياء ، نا أبو عثمان المازني ، نا الأصمعي قال : الطفيلي الداخل على القوم من غير أن يدعى ، مأخوذ من الطفل ، وهو إقبال الليل على النهار بظلمته ، وأرادوا أن أمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه ولا كيف دخل إليهم » .

(2) الخبر مع الشعر بعده في « كتاب التطفيل » (ص 68 – 70) .

تنظر في وجوه الناس ليظن أهل الرجل أنك من أهل المرأة ويظن أهل المرأة أنك من أهل الرجل ، فإن كان البواب فظاً وقاحاً فابدأ به ومره وانهه من غير عنف ثم أنشد يقول :

لا تجزعن من القريـ ... ـب ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ ... بيديك مغرفة الثريد
متدلياً فوق الطعا ... م تدلّي البازي الصيود
لتلف ما فوق الموا ... ئد كلها لفّ الفهود
واطرح حياءك إنما ... وجه المطفل من حديد
وعليك بالفالوذجا ... ت (3) فإنها (4) بيت القصيد
حتى إذا أحرزتها ... ودعوتهم هل من مزيد ؟
والعرس لا يخلو من الـ ... لوزينج(5) الرطب العتيد
فإذا أتيت به حويـ ... ـت محاسن الجام الجديد

(3) واحدها فالوذج ، وهو لفظ معرب يسمى به صنف من فاخر الطعام ، وكان الحسن البصري قد بلغه أن أحد الزهاد المتقشفين يتحرج من أكله ، ويعيبه ، فقال : لباب البر بلعاب النحل وخالص السمن كيف يعيبه مسلم ؟

(4) في ح : « فإنه » وهو خطأ لأن الضمير عائد على الجمع .

(5) هو صنف من الحلواء وصفه ابن الرومي فقال :

لا يخطئني منك لوزينج ... إذا بدا أعجب أو عجبا
لو شاء أن يذهب في صخرة ... لسهل الطيب له مذهبا
لم تغلق الشهوة أبوابها ... إلا أبت زلفاه أن يحجبا
يدور بالنفحة في جامه ... دوراً ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبراً ... مستحسن ساعد مستعذبا
مستكثف الحشو ولكنه ... أرق جلداً من نسيم الصبا
من كل بيضاء يود الفتى ... أن يجعل الكف لها مركبا
قرة عين وفم حسنت ... وطيبت حتى صبا من صبا
فلا إذا العين رأته نبت ... ولا إذا الضرس علاه نبا

ثم أغمي عليه عند ذكر اللوزينج فأفاق بعد ساعة فقال :

وتنقلَنَّ عـــلى المـوا ئـد مثل شيطان مَريـد
فإذا انتقلت عبثت بـال كعك المجفـف والقـديد
واعلم بـأنك إن قبلـ ت نعمت يـا عبد الحميد

وقال بنان الطفيلي (6) : دخلت البصرة فإذا فيها عريف للطفيليين يكسوهم ويرشدهم إلى الأعمال ، ويقاسمهم ، فجئته فكساني وصرفني معهم فأزللت شيئاً كثيراً ، والزلة عندهم ما يفضل في الولائم ، فأخذ النصف وأعطاني النصف ، ثم حضرت عرساً جليلاً فأخذت زلة (7) فلقيني رجل

---

(6) قال عنه الخطيب البغدادي في كتابه « التطفيل » (ص 77) : « اختلف في اسم بنان فقيل : عبد الله بن عثمان وقيل : علي بن محمد ، ولقبه بنان ، ويكنى أبا الحسن ، وكان أصله مروزياً ، وهو بغدادي الدار » . وقال بشأنه أيضاً : « كان بنان من أشهر الطفيليين ذكراً ، وأبعدهم صيتاً ، وله في التطفيل وحدوده ورسومه وسننه ما ليس لغيره » . وذكره البديع الهمذاني في بعض شعره وجعله قدوة في التطفيل فقال عن طفيليين كانوا يحذقون الصنعة :

خلفتم بنـاناً فكم من أديب من الغيظ عض عليكم بنانا
إذا ما النهار بـدا ضوءه غدوتم خماصاً ورحتم بطانا

وكان بنان يلقب الأطعمة ويكنيها ، ويتظرف فيما يلقب منها ويكني ، وكان قد كنى الفالوذج أبا العلاء ، والخبيص كناه أبا رزين ، وجعل كنية اللحم أبا عاصم ، والخل أبا ثقيف ، ولقب اللوزينج قبور الأطفال ، والقطائف لقبها قبور الشهداء ، وكان نقش خاتمه : « ألا تأكلون » ومن وصاياه : « كل حتى تتخم فإن الجوع بين يديك » . وكان يقول : « ما في الدنيا أحسن من صنعتي ، لقد طفلت من ثلاثين عاماً وما أسلم إلى صبي قط » .

(7) في « التاج » : « قال الليث : الزلة من كلام الناس عند الطعام ، وهي الصنيعة إلى الناس ، يقال : اتخذ فلاناً زلة ، والزلة العرس ، ويقال : كنا في زلة فلان أي في عرسه ، والزلة اسم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك ، لغة عراقية كما قاله الليث ، قال : وإنما اشتق ذلك من الصنيع إلى الناس ، أو هي لغة عامية تكلمت بها عامة العراقيين » . وقال الخفاجي في « شفائه » : « زلة الصوفي اسم لحمل الطعام من الولائم ونحوها » . وتكلم بها الحمدوي الشاعر العباسي الظريف فقال في طفيلي : =

فاشتراها مني بدينار وكتمته . فلما جئت دعا العريف جماعة منهم فقال لهم : إن هذا البغدادي قد خان ، وظن أني لا أعلم ما فعل ، فاصفعوه وعرفوه قال : فصفعني الأول منهم وشم يدي فقال : أكل مضيرة(8)،وصفعني الثاني وشم يدي فقال : أكل بقيلة (9) ، وهكذا حتى ذكروا كل ما أكلت ثم صفعني آخر فقال : أخذ زلة ، وصفعني آخر فقال : باع الزلة بدينار ، وصفعني آخر فقال : ها هو ذا ، فدفعته إليهم ، وجردني من الثياب التي أعطاني وقال : اخرج ، يا خائن ، في غير حفظ الله ، فخرجت متوجهاً إلى بغداد ، وأقسمت أن لا أقيم ببلد طفَيْلِيَّتُهُ يعلمون الغيب .

وبنان هذا هو الذي قيل له : ما تحفظ من القرآن فقال : كنت حفظته ثم نسيته إلاّ آية واحدة . قيل : وما هي ؟ قال : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ)

= أراك الدهر تطرق كل عرس ... كأمر الله يطرق كل ليله
فإن غلظ الحجاب وكان صعباً ... ولم تقدر هناك على دخيله
أخذت لكي تغالطهم خلالا ... وقلت : نسيت عندكم نعيله
فتلتهم الخوان بما عليه ... وتبدرهم إلى بيض البقيله
وتأكل أكل ميسرة وأيضاً ... فلا بد لعرسك من زليله
وأنت بفضل حذقك ذا طفيل ... وتلك بما تزل لها طفيله

(8) بالأصل «ميرة » ومثله في ك و س و ح ، وهو تحريف صوابه : « مضيرة» رواية عن كتاب التطفيل للخطيب البغدادي ص 82 والمضيرة بين الزبيدي في « التاج » ما هي فقال : « والمضيرة » مريقة تطبخ باللبن وأشياء ، وقيل : هي طبيخ يتخذ من اللبن المضير ، وربما خلط بالحليب ، وقال أبو منصور : المضيرة عند العرب أن تطبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد حذى اللسان حتى ينضج اللحم وتخثر المضيرة، وربما خلطوا الحليب بالحقين ، وهو حينئذ أطيب ما يكون » .

(9) البقيلة بالتصغير من أشرف الأطعمة ، وبيضتها مما تبادر إليه الأيدي ، ويتنازع عليه الأكلة ، ومما جاء فيها ما حكاه الثعالبي في « ثمار القلوب » فقال :

عاتب بعض الناس صديقاً له على إخلاله بضيافته بعد أن كان يدعوه فقال : ما الذي أنكرت مني ؟ هل نفشت وسادتك ؟ هل قلبت حملك؟ هل بعثرت أبزارك ؟ هل أكلت بيضة بقيلتك » .

إلى قوله : (آتِنا غَدَاءَنا) فقيل له : وهل تحفظ من الشعر شيئاً ؟ فقال : بيتاً واحداً وهو :

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم ... إن الكريم إذا لم يستزر زارا

وقال الشاعر :

الماء في دار عثمان له ثمـن ... والخبز أيضاً له شان من الشان
عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن ... لكنه يشتهي حمداً بمَجّان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ... ما لم يروا عنده آثـار إحسان

[(10) وقال آخر :

على المـاء في داره زحمة ... وفيها على الخبز سفك الدما
أضـاف أناساً إلى داره ... فنزههم في نجوم السّمـا
وبـالجوع قطع أمعـاءهم ... (وإن يستغيثوا يغاثوا بما) (11)

وقال غيره (12) :

يا داخلاً في داره خـارجاً ... من غير ما معنى ولا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم ... فاقرأ عليهم سورة المائده]

---

(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ، وهو وارد في ح ، وعنها نقلناه ، وكتبه ناسخ الكتانية على الطرة مستدركاً .

(11) اقتباس من قوله تعالى في سورة الكهف : (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب) .

(12) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن حجاج الشاعر العباسي، الماجن الظريف المتوفى سنة 391 هـ .

ومن الملح القديمة ما يحكى عن نبي الله سليمان عليه السلام أنه وعدته الهدهد وهو في ساحل البحر أن تضيفه هو وجنوده أجمعين ، فلما كان الوقت جاءت بجرادة فرمت بها في البحر ثم قالت لهم : دونكم ، فمن فاته اللحم فليشرب المرق ، فضحكوا من ذلك حولاً كاملاً .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[(1) باب في ذكر شيء من أخبار الثقلاء]

اعلم أن الثقلاء أشد الخلق ضرراً على العقلاء ، وأثقل من رواسي الجبال على قلوب النبلاء ، قيل لجالينوس (2) : لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحِمْل الثقيل ؟ فقال : لأن ثقله على القلب دون الجوارح ، والحِمْل الثقيل يستعين القلب عليه بالجوارح ، وكان (3) أبو هريرة — رضي الله عنه — إذا استثقل رجلاً يقول : اللهم اغفر له وأرحنا منه ، وقال الأعمش (4) : من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء ، ونقش على خاتمه (5) : يا مقيت أبرمت فقم ، فإذا استثقل جليساً ناوله إياه ، وربما أنشد (6) :

---

(1) ما بين المعقفين ساقط من المخطوطات الثلاث ، لكن ناسخ المخطوطة الكتانية كتب على طرتها بخطه تنبيهاً هذه عبارته بالنص الحرفي التام : « يخص هنا باب في أخبار الثقلاء برمته وقدر ذلك 4 ورقات » والباب هذا وارد في الطبعة الفاسية وعنها نقلناه مع توثيق ما فيه وتخريجه بالرجوع إلى المصادر المعتمدة .

(2) هو الطبيب اليوناني الشهير المتوفى حوالي 200 م ، قال عنه ابن جلجل في « طبقاته » : « برع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وجدد من علم بقراط وشرح من كتبه ما كان قد درس وغمض على أهل زمانه ، وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وبان علمه ، وله تواليف كثيرة العدد في فنون من العلوم » .

(3) في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (ج 1 ص 732) : « كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة.

(4) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي ولاء عرف بالأعمش ، من مشاهير التابعين، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض ، وكانت فيه دعابة ، توفي سنة 148 هـ .

(5) في « عيون الأخبار » (ج 1 : 309) : « كتب رجل على خاتمه : أبرمت فقم فكان إذا جلس إليه ثقيل ناوله إياه » .

(6) في « بهجة المجالس » لابن عبد البر : (ج 1 ص 732) : « قال أبو أسامة : كنا عند الأعمش فجاء زائدة بن قدامة ، فقال الأعمش حين رآه : =

فما الفيـــل تحمله ميتاً   بأثقل من بعض جلاسنا

وقال له رجل : مم عمشت عيناك ؟ فقال : من النظر إلى الثقلاء أمثالك ، وقال جالينوس : لكل شيء حمى وحمى الروح (7) النظر إلى الثقيل . وكان حماد بن زيد (8) إذا استثقل جليساً يقول : (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُونَ) وكان يجلس إلى معمر بن المثنى (9) رجل ثقيل اسمه زنباع ، فسأل رجل يوماً معمراً عن معنى الزنبعة (10) في كلام العرب فقال : التثاقل ، ولذلك سمي جليسنا هذا به .

= وما الفيل تحمله ميتـــاً   بأثقل من بعض جلاسنا

وفي عيون الأخبار (مج 1 : 309) : « أخبرنا النوشجاني عن عمر بن سعيد القرشي قال : حدثني صدقة بن خالد قال : أتيت الكوفة فجلست إلى أبي حنيفة فقام رجل من جلسائه فقال :

وما الفيـــل تحمله ميتاً   بأثقل من بعض جلاسنا

فما حملت عنه شيئاً » .

(7) في « ثمار القلوب » للثعالبي : (ص 539) : « حمى الروح – كان بختيشوع يقول للمأمون : يا أمير المؤمنين لا تجالس الثقيل فإنا نجد في كتبنا أن مجالسة الثقيل حمى الروح » .

(8) ترجمه ابن قتيبة في « كتاب المعارف » مع أصحاب الحديث فقال : « هو حماد بن زيد ابن درهم ، ويكنى أبا إسماعيل ، وكان عثمانياً ، وتوفي يوم الجمعة في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة » .

(9) هو أبو عبيدة العلامة اللغوي النحوي الراوية ، من كبار البصريين ، ترجمه ابن قتيبة في « كتاب المعارف » فقال : « هو أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى لتيم قريش ، كان الغريب أغلب عليه ، وأخبار العرب وأيامهم ، وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره ، ويخطىء إذا قرأ القرآن نظراً ، وكان يبغض العرب ، وألف في مثالبها كتاباً ، وكان يرى رأي الخوارج ومات سنة 210 هـ » .

(10) في « كتاب الاشتقاق » لابن دريد ص 376 : «ومن رجالهم « يريد جذام » زنباع بن روح بن سلامة بن حداد بن حديدة ، وزنباع فعلال ، والنون فيه زائدة من قولهم : تزبع علينا إذا ساء خلقه » .

وقال أبو العتاهية لابن له ثقيل : يا بني أنت والله ثقيل الظل ، مظلم الهوا ، خامد النسيم ، بارد حامض منتن (11) .

وقال زياد بن عبد الله (12) : قيل للشافعي : هل يمرض الروح قال : نعم من ظل الثقلاء قال : فمررت به يوماً وهو بين ثقيلين فقلت : كيف الروح ؟ فقال في النزع . وقال سهل بن هارون (13) : من ثقل عليك بنفسه ، وأغم عليك بحديثه ، فأعره عيناً عمياء ، وأذناً صماء . وكان بعض الظرفاء إذ رأى ثقيلاً يقول : قد جاءكم الجبل ، فإذا جلس قال : قد وقع عليكم ، وقيل لظريف له ثلاثة بنين ثقلاء : أي بنيك أثقل ؟ قال : ليس بعد الكبير أثقل من الصغير إلاّ الأوسط .

وكان يلم ببشار ثقيل اسمه أبو سفيان ، فسئل عنه فقال : لا أدري كيف لم تحمل الأمانة أرض حملته ، ولا كيف احتاجت إلى الجبال بعدما أقلته ، كأن قربه أيام المصائب ، وليالي النوائب ، وكأن عشرته فقد الحبائب ، وسوء العواقب ، ثم أنشد :

---

(11) جاء في « زهر الآداب » للحصري (ج 3 ص 865 بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ما يأتي : «دخل على أبي العتاهية ابنه وقد تصوف فقال : ألم أكن نهيتك عن هذا ؟ فقال : وما عليك أن أتعود الخير وأنشأ عليه ؟ فقال : يا بني يحتاج المتصوف إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى ، وأنت ثقيل الظل ، مظلم الهواء ، راكد النسيم ، جامد العينين ، فأقبل على سوقك فإنها أعود عليك ، وكان بزازاً .

(12) لعله أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل العامري البكائي أحد الرواة الثقات ، روى عن الأعمش وعنه أحمد بن حنبل ، وخرج له البخاري ومسلم توفي سنة 183 هـ .

(13) هو أبو محمد سهل بن هارون بن راهبون ، قال عنه ابن النديم في « الفهرست » : « كان متحققاً بخدمة المأمون، وصاحب خزانة الحكمة له ، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب » . توفي سهل سنة 215 هـ .

ربمـــا يثقل الجليس وإن كـــــا ن خفيفاً في كفة الميزان (14)
ولقد قلت حين وتّد (15) في البيْتِ ثقيل أربى على ثهـلان (16)
كيف لا تحمل الأمانة(17) أرض ؟ حملت فوقهــــا أبـــا سفيان

وكان له صديق يستثقل ، اسمه هلال ، فقال لبشار يوماً يمازحه : يا أبا معاذ ، إن الله لم يذهب بصر أحد إلاّ عوضه منه شيئاً ، فما عوضك ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : أن لا أراك ولا أرى أمثالك من الثقلاء ، ثم قال : يا هلال ، تطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحمير زماناً ، ثم تبت وصرت رافضياً، فعد ، والله ، إلى سرقة الحمير ، فهي والله ، خير لك من الرفض ، وفي هلال هذا يقول بشار (18) :

وكيف يخف لي بصري وسمعي وحولي عسكران من الثقـــال
قعوداً عند دسكرتي (19) وداري كأن لهم عليّ فضول مـــــال

(14) الأبيات منسوبة إليه في « عيون الأخبار » (1 : 310) وفي « ديوان المعاني » (1 : 189) وفي « العقد الفريد » (1 : 223) والأول والثالث منها في «الأغاني » (3 : 187).

(15) ثبت كما يثبت الوتد في الأرض إذا ضرب بالمرزبة .

(16) في«معجم ما استعجم » : « ثهلان بفتح أوله وإسكان ثانيه على بناء فعلان ، وهو جبل باليمن ، ولضخم هذا الجبل تضرب به العرب المثل في الثقل فتقول : أثقل من ثهلان » . وذكره الفرزدق في شعره فقال :

فادفع بكفك إن أردت بناءنا ثهلان ذو الهضبات لا يتحلحل

(17) يشير إلى قوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا) .

(18) الخبر مع الأبيات في « أغاني الأصفهاني » (3 : 167 – 168) والأبيات في « ديوانه » بتحقيق بدر الدين العلوي .

(19) في الطبعة الفاسية المنقول منها هذا الباب : « سكرتي » فأصلحناها نقلا عن الأغاني والديوان ، والدسكرة جاء بمعانيها صاحب « القاموس » فقال : « الدسكرة القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي ، أو بناء كالقصر حوله بيوت » .

إذا مـا شئت جالسني هـــلال   وأي الناس أثقل مـن هلال ؟

وقال الحمدويّ (20) : بعث إلي أحمد بن حرب المهلبي في غداة غيم فأتيته وعنده عجاب المغنية ، فلما أكلنا أخذنا في الشراب والغناء ، فمرت لنا أطيب ساعة فقال ابن حرب : اللهم اكفنا ثقيلاً ينغص ، فما تم قوله حتى دق الباب ففتح فدخل رجل آدم ضخم ، فلم يدر كيف يسلم ، ولا بم يتكلم ، وخطا فعثر في قدح فكسره ، فلما رأيت ما حل بنا أخذت القلم والقرطاس وكتبت :

كدّر الله عيش من كدّر العيـ   ش وقد كان صافياً مستطابا
جاءنا والسماء تهطل بـالغيـ   ث وقد طابق السماع الشرابا
كسر الكأس وهي كالكوكب الدر   ي ضمت من المـدام لعابا
قلت لما رُميت منه بما أكـ   ره والدهر(21) ما أفاد أصابا
عجل الله نقمة لابن حـرب   تدع الدار بعد شهر خرابا

وألقيتها إلى ابن حرب فلما قرأها قال : ويحك ألاّ نفست ؟ فقلت : بعد حول فقلت : ما أردت أن أقول : إلاّ بعد يوم ، ولكني خفت أن تصيبني معكما الصيحة ، ففطن الثقيل فنهض ، فقال لي ابن حرب : آذيته ، فقلت : هو آذاني أولاً ، والبادي أظلم ، ثم قال : لعمري لئن أساء في قدومه وإقدامه ، لقد أحسن في نهوضه وقيامه .

---

(20) هو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، ونسبته بالحمدوي إلى جده هذا . شاعر عباسي ظريف اشتهرت أشعاره في طيلسان ابن حرب وروتها عدة مراجع أدبية ، والحكاية هذه أوردها الحصري في « زهر الآداب » (2 : 1045 –1046) بتحقيق البجاوي .

(21) في الطبعة الفاسية : « الدار » وهو خطأ صوابه : « الدهر » كما جاء في « زهر الآداب » .

واستأذن بعض الثقلاء على ابن المبارك فلم يأذن له ، فكتب إليه ذلك الثقيل :

هل لذي حاجة إليك سبيل؟ لا طويل قعوده بل قليل

فأجابه ابن المبارك :

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل وقليل من الثقيل طويـــل

وذكر ثقيل عند بعض الأذكياء فقال : هو ثقيل السكون ، بغيض الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة ، كأنه ثقل الدين ، ووجع العين ، وما أحقه بقول القائل (22) :

ثقيـــــل يطالعنـــا من أمم إذا سرّه رغم أنفي ألـــم
لنظرته (23) وخزة في القلوب كوخز المحاجم في الملتزم
أقول له إذ أتى لا أتى (24) ولا حملتـــه إلينـــا قدم :
عدمت(25) خيالك لا من عمىً وسمع (26) كلامك لا من صمم

ووصف آخر ثقيلاً فقال : هو بين الجفن والعين قذاة ، وبين القدم

(22) هو أبو نواس الشاعر العباسي الشهير ، والأبيات في « ديوانه » بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي (القاهرة 1953) وفي « عيون الأخبار » (1 : 310) بدون نسبة ، وفي « أمالي القالي » (2 : 103) غير منسوبة كذلك ، وجاء بها صاحب « العقد الفريد » (2 : 296) معزوة إلى أبي نواس .
(23) كذا في « الأمالي » وفي « عيون الأخبار » ، وفي « الديوان : « لطلعته » .
(24) كذا في الأمالي » ، وفي « الديوان » ، وفي « العقد الفريد » : « إذ بدا لا بدا » أما رواية « عيون الأخبار » فجاءت هكذا : « إذ بدا طالعاً » .
(25) كذا في « الأمالي ، أما رواية « عيون الأخبار» والعقد الفريد»و«الديوان » فهي : « فقدت ».
(26) في « عيون الأخبار » : « وأذني » وفي « العقد الفريد » : « وصوت » ومثله ما في «الديوان».

والنعل حَصاةٌ ، ما أشبه طلعته إلاّ بوقت الفراق ، أو كتاب الطلاق ، أو طلعة الرقيب ، أو موت الحبيب :

مشتملٌ بـــالبغض لا تنثـــني إليه طوعاً لحظة الرامق (27)
يظلّ في مجلسنــــــا قــاعداً أثقل من واش على عاشق

وذكر عند العباس بن الحسن العلوي ثقيل يسمى أبا عمار فقال له : ما الحمام على الاضرار ، وحلول الدين على الإقتار ، وشدة السقم في الأسفار ، بأثقل على النفس من طلعة أبي عمار ، وأنشد :

تحمل منه الأرض أضعاف ما يحمله الحوت من الأرض

وقال بعضهم (28) في صفة ثقيل : هو أثقل من داء بلا علة ، وأبغض من خراج بلا غلة ، قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال ، يحكي ثقل الحديث المعاد ، على القلوب والأكباد ، وإذا نظرت إلى مشيته أنشدت :

ثقيـــل براه الله أثقـــل من برا ففي كل قلب بغضة منه كامنه
مشى فـــدعا من ثقلـــه الحـــوت ربـــه
وقال : إلهي ، زيدت الحوت (29) ثامنه

---

(27) الشعر لأبي هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي قال عنه عبد الله بن المعتز في كتابه « طبقات الشعراء » : « أبو هفان ، من المشهورين المذكورين ، وشعره موجود بكل مكان ، وهو أحد غلمان أبي نواس ورواته » . وفي كتاب « الفلاكة والمفلوكون » أنه توفي سنة 255 هـ . والبيتان في « زهر الآداب » للحصري (2 : 136) وفي « بهجة المجالس » (1 : 734) .

(28) الخبر في « الأمالي » (2 : 103) .

(29) كذا في الطبعة الفاسية وهو خطأ صوابه : « الأرض » .

وقول أبي عمار بل عبد الله بن خلف في صفة ثقيل (30) :

وثقيل أشد من ثقـل المو ت ومن شدة العذاب الأليم
لو عصَت ربَّها الجحيمُ لما كا ن سواه عقوبـة للجحيم

ولابن عطاء الصنهاجي :

ليس من النـاس ولكنـه يحسبه الناس من النـاس
أثقل في أنفس أصحابـه من جبل راس على راس

وقال آخر (31) وبالغ :

يا رحمة الله عـلى آدم رحمة من عمّ ومن خصصا
لو كان يدري أنه خـارج مثلك من إحليله لاختصى

وقال آخر مثله :

لو كان آدم عالماً غيبـاً بـأن ستكون من أولاده فيما غبر
لأبـان حقاً بالطلاق ثلاثـة وأبى لأجلك أن يكون أبا البشر

---

(30) في « أمالي القالي » (2 : 193) : « وأنشدنا عبد الله بن خلف :

وثقيل أشد من ثقل المو ت . . . . البيتين »

(31) هو أبو نواس ، وللشعر حكاية أوردها العباسي في « معاهد التنصيص » (1 : 91) فقال : « حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عالياً يطلبون هلال الفطر ، وكان سليمان ابن أبي سهل في عينه سوء ، فقام أبو نواس بإزائه ثم قال : يا أبا أيوب ، كيف ترى الهلال من بعد وأنت لا تراني من قرب ؟ فقال له سليمان : قد رأيتك تمشي القهقرى حتى تدخل في رحم جلبان يعني أمه ، فأحفظ ذلك أبا نواس فقال في سليمان :

قل لسليمان ومـا شيمتي أن أهدي النصح له مخلصا
ما أنت بالحر فألحى ، ولا بالعبـد أستعتبه بالعصا

فرحمة الله . . . . . . البيتين » .

وقول الآخر ، ويقال : إنها ما قرئت على ثقيل إلاّ ارتحل (32) :

يـــا مبرماً أهدى حمل	خذ وارتحـــل ألف جمل
قال : وما أحملها (33) ؟	قلت : زبيب وعسل
قال : ومن يقودهـــا ؟	قلت له : ألف بطل (34)
قال : ومـــا سلاحهم ؟	قلت : سيوف وأسَل
قال : وما لبـــاسهم ؟	قلت : حليٌ وحلل (35)
فقال : ملك لي إذن ؟	قلت : نعم إن ترتحل
قال : فهل أبرمتكم ؟	قلت له : الأمر جلل
قال : وهل أثقلتكم ؟	قلت له : فوق الثقل (36)

(32) الأبيات من قصيد أورده ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (2 : 298) قائلا : « أهدى رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء حملا ، ثم نزل عليه حتى أبرمه فقال فيه » .

(33) في « العقد » : « وما أوقارها » .

(34) في « العقد » : « ألفا رجل » وبعده :

قال : ومن يسوقهـــا ؟	قلت له : ألفـــا بطـــل

(35) في « العقد » بعد هذا البيت :

قال : عبيـــد لي إذن ؟	قلت : نعم ثم خـــول
قال : بهـــذا فاكتبـــوا	إذن عليكم لي سجـــل
قلت له : ألفي سجـــل	فـــاضمن لنـــا أن ترتحل
قال : وقـــد أضجرتكم ؟	قلت : أجـــل ثم أجـــل

(36) تمام القصيد كما جاء في العقد :

« قال : فإني راحـــل	قلت : العجل ثم العجـــل
يـــا كوكب الشؤم الذي	أربى عـــلى نحس زحـــل
يـــا جبلا من جبـــل	في جبـــل فـــوق جبـــل »

وقال البهاء المهلبي (37) :

وجـــاهل طال بـــــه عنائي	لازمني وذاك من شقائي (38)
كأنـــه الأشهر من أسمائي	أخرق ذو بصيرة عمياء
لا يعرف المـــدح من الهجاء	أفعـــاله الكل بلا استواء
أقبح من وعد بلا وفـــــاء	ومن زوال النعمة الحسناء
أبغض للعـــين من الأقـــذاء	أثقل من شماتـــة الأعداء
فهو إذا رأتـــه عين الرائي	أبو معاذ (39) وأخو الخنساء

ومطيع بن إياس (40) قال :

قـــل لعبـــاس أجبنـــا	يـــا ثقيل الثقـــلاء
أنت في الصيف سَمُوم	وجليـــــــد في الشتاء

وللصاحب بن عباد (41) :

---

(37) ترجمه الخلكاني في « وفياته » فقال : « أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبي العتكي الملقب بهاء الدين الكاتب ، من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً ، ومن أكبرهم مروءة ، وشعره كله لطيف وهو كما يقال : « السهل الممتنع» . توفي البهاء زهير سنة 656 هـ . وله ديوان مطبوع .

(38) الأبيات في ديوانه المطبوع ببيروت سنة 1968 م .

(39) يريد الجبل ، وبالجبل كان يسمى والد الصحابي الجليل معاذ بن جبل ، وأما أخو الخنساء فهو صخر الذي شاعت فيه مراثيها ، يريد أن هذا الإنسان كريه ثقيل .

(40) هو مطيع بن إياس من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أحد السادرين الغاوين ، ومن أشكال والبة بن الحباب ، وحماد عجرد ، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي ، قال عنه ابن المعتز في « طبقات الشعراء » : « ولمطيع بن إياس شعر كثير في جميع الفنون ، وهو أحد الخلعاء المجان وكان صاحب نوادر » .

(41) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الملقب بالصاحب وكافي الكفاة وزير البويهيين والأديب الكاتب الشاعر ولد سنة 326 وتوفي سنة 385 . »

تــزلــزلت الأرض زلــزالهــا وأخرجت الأرض أثقــالهــا
مشى ذا الثقيـــل على ظهرها فماجت وقيل: انظروا ما لها (42)

وقال آخر :

إذا جلس الثقيل إليك يوماً أتتك عقوبــة من كل باب
فهل لك يا ثقيل إلى خصال تنال ببعضها كرم المــآب
إلى مــالي فتأخذُهُ جميعــاً أحل لديك من ماء السحاب
وتنتف لحيتي وتــدق أنفي وما في فيَّ من ضرس وناب
على أن لا أراك ولا ترانــي على حال إلى شيب الغراب

وقال أبو نواس في الرقيب :

لسهم الجرح في فؤادي (43) وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكل نــاظريه بنــا ويحكي مكان الحافظين على الذنوب
ولو سقط الرقيب من الثريا لصب على محب أو حبيب
ولو عمي الرقيب بغير شك لأبصر قلبه ما في القلوب

وله :

لاحظتــه فتبسمــــا وخلا المكان فسلمــا
وبدا الرقيب فقلت : لا سلم الرقيب من العمى

ولابن المعتز :

---

(42) البيتان في « يتيمة الثعالبي » (ج 3 ص 247) وفي ديوانه بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

(43) كذا جاء هذا الصدر في الطبعة الفاسية التي نقلنا عنها ، وهو مختل الوزن بالنقصان .

قد دنت الشمس للمغيب وحان شوقي إلى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم لـــه حبيب بلا رقيب

قيل لأبي الحارث جميز (44) : ما تشتهي قال : القضاء على أعين الرقباء وألسن الوشاة وأكباد الحساد .

وقال القاضي عمر بن الوردي (45) :

لي شهوتـــان أحب جمعهما لو كانت الشهوات مضمونه
أعناق عذالي (مدققة) (46) ومفاصل الرقباء (مدفونه) (47)

وقال غيره (48) :

قال لي عُوَّدي غداة رأوني (49) ما الذي تشتهيه واجتهـــدوا بي
قلت مِقْليّ فيـــه لسان وشـــاة قطعوه فيـــه بصنع عجيب
وأضيفت إليـــــه كِبْدُ حسود فقئت فوقهـــــا عيون الرقيب

آخر (50) :

---

(44) هو أحد أصحاب النوادر وأحد المضحكين الطياب من أمثال مزبد ، وأشعب ، وأبي دلامة ، له نوادر في « بخلاء الجاحظ » وعيون الأخبار لابن قتيبة وفي« ثمار القلوب»للثعالبي.
(45) هو زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر المعري الكندي عرف بابن الوردي : فقيه ومؤرخ وأديب وشاعر ، ولد بمعرة النعمان سنة 691 وتولى القضاء بمنبج وتوفي بحلب سنة 749 هـ .
(46) يوجد البيتان في أشعاره التي طبعت مع مقاماته في الجوائب بالآستانة ضمن المجموعة رقم 11 .
(47) المدققة كلمة مولدة جعلت اسماً لنوع من الطعام ، وكذلك المدفونة لفظ مولد سمي به طعام معروف .
(48) الأبيات في « معاهد التنصيص » (2 : 252) غير منسوبة .
(49) في « معاهد التنصيص » : « أتوني » .
(50) البيتان في « معاهد التنصيص » (2 : 252) غير منسوبين .

عندي لكم يوم التواصل دعوة (51) يـــا معشر النــدماء والجلساء
أشوي قلوب الحــاسدين بها وأل سنة الوشاة وأعــين الرقباء

وقال جحظة (52) :

يــا لفظة (53) النعي بموت الخليل يــا وقفة التوديع بين الحمول
يــا شربة اليارج (54) يا أجرة الـ منزل يا وجه العدو (55) الثقيل
يــا نهضة المحبوب عن غضبــة يــا نعمة قد آذنت بالرحيل
ويـــا طبيبــاً قد أتى بـــاكراً على أخي السقم بمـــاء البقول
ويـــا كتاباً جـــاء من مخلف للوعــد مملوءاً بعــذر طويل
يـــا بكرة الثكلى إلى حفــرة مستودع فيهـــا عزيز الثكول
يــا ردة (56) الحاجب عن قسوة يــا نكسة من بعــد برء العليل
يـــا طلعة النعش ويــا منزلاً أقفر من بعد الأنيس الخليل (57)

---

(51) في « معاهد التنصيص » : « فرجة » .
(52) في « زهر الآداب » : (1 : 442 – 443) بتحقيق البجاوي ما يأتي : « وقد أكثر الناس في الثقلاء وأنا أستحسن قول جحظة ، وإن كان غيره قد تقدمه في مثله » . ثم أورد الأبيات .
(53) في الطبعة الفاسية : « لعضة » بعين مهملة وضاد ساقطة فأبدلناها « لفظة » كما هي في « زهر الآداب » .
(54) في « التاج » : « اليارج بفتح الراء : القلب بالضم والسوار ، كلاهما بمعنى واحد ، فارسي معرب ، وهو من حلى اليدين ، والإيارجة بالكسر وفتح الراء دواء معروف كما في اللسان ، وهو معجون مسهل للأخلاط ، وهو على أقسام ثلاثة مذكورة في كتب الطب ، ليس هذا محل ذكرها . جمع إيارج بالكسر وفتح الراء ، فارسي معرب اياره ، وتفسيره الدواء الإلهي » .
(55) في « زهر الآداب » : « العذول » بدله .
(56) في الفاسية : « يادارة » صوابه : « يا ردة » كما هو في « زهر الآداب » .
(57) في الفاسية : « الخليل » وفي « زهر الآداب » : « الحلول » .

يـــا شوكـــة في قـــدم رخصة   ليس إلى إخراجها من سبيل (58)

وجحظة هذا من ولد يحيى بن خالد بن برمك ، واسمه أحمد بن جعفر وسماه ابن المعتز (59) جحظة (60) لجحوظة في عينيه ؛ وكان قبيح الوجه طيّب الغناء ، وفيه يقول ابن الرومي :

نبئت جحظة يستعير جحوظهُ   من فيل شطرنج ومن سرطان

يـــا رحمة لمنادميـــه تحملوا   ألم العيون للذة الآذان (61)]

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(58) زادت رواية « الزهر » بيتين هما :

يـــا وثبـــة الحافظ مستعجلا   بصرفه القينـــات عند الأصيل

يا معشر المجذوم في رحله   ويا صعود السعر عند المعيل

(59) في الطبعة الفاسية « المعز » وهو خطأ .

(60) في « إرشاد الأريب لياقوت » (ج 2 ص 242) : « قال أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة : سألت جحظة عمن لقبه بهذا اللقب فقال : ابن المعتز ، لقيني يوماً فقال لي : ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية ؟ فقلت : علق ، إذا عكس صار قلعاً ، فقال : أحسنت يا جحظة ، فلزمني هذا اللقب » . وفي « وفيات الخلكاني » (ج 1 : ص 116) : « وجحظة بفتح الجيم ، وسكون الحاء المهملة ، وفتح الظاء المعجمة ، وبعدها هاء ، وهو لقب عليه ، لقبه به عبد الله بن المعتز » .

(61) هنا انتهت الزيادة التي أشرنا إليها سابقاً .

بـــاب

وهذه نبذة في الأوليات (1) مما علق بفكري في الوقت : أول نبي ورسول آدم عليه السلام ، وهو أول من بنى ، وأول من اتخذ الحرث والحياكة وأمور النساء والنسل مما يكثر عده . أول قاتل قابيل ، أول مقتول هابيل ، أول رسول إلى أهل الأرض أي كل من في الأرض من الناس المختلفين نوح عليه السلام ، وبما ذكرنا يظهر الفرق بينه وبين آدم ، فإن آدم أرسل إلى أولاده ، وهم وإن كثروا بنو رجل واحد ، وهو أول من عمل السفينة ، وأول من هلك قومه بعصيانه .

أول من ظهر فيه سواد (2) الخلقة الكوش بن حام ، وهو جد السودان ،

---

(1) من فروع علم التاريخ فرع يسمونه : « علم الأوائل » وهو الذي عرف به حاجي خليفة في « كشف الظنون » فقال : « هو علم يتعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب ، وهذا العلم من فروع علم التواريخ والمحاضرات ، لكنه ليس بمذكور في كتب الموضوعات ، وقد ألحق بعض المتأخرين مباحث الأواخر إليه ، وفيه كتب كثيرة ». وهم يؤرخون في هذا العلم أوائل الأشياء وبدايات الأعمال من أمثال قولهم : أول من قتل ، وأول من صنع آلة الطرب ، وأول من طبخ الآجر ، وأول من أنشأ الحمام ، وأول من عمل السفينة ، وما أشبه ذلك من الأوليات ، والسابق إلى هذا الفن من التاريخ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة 395 هـ بكتابه الذي سماه : « الأوائل » والذي قال في فاتحته : « وقد رأيت أكثر الخاصة وجل العامة لهجين بالسؤال عن أوائل الأعمال ، ومتقدمات الأسماء والأفعال ، ولم يجدوا في ذلك كتاباً يجمع فنونها ، إلا نتفاً متفرقة في تضاعيف الصحف وابتداء الكتب ، فعملت كتابي هذا مشتملا على هذا النوع من الأخبار ، وحاوياً لهذا الفن من الآثار ». وقد ذكر اليوسي في هذا الباب بعض ما دونه المؤلفون في كتب الأوائل .

(2) يزعم القصاصون والأخباريون أن حاماً واقع زوجه في السفينة فدعا عليه نوح أن يغير الله نطفته فكان منه السودان ، وتزعم يهود في أخبارها أن نوحاً شرب فانتشى حتى انكشف ، =

وقيل : إنهم إنما اسودوا من حرارة بلدهم .

أول ملك قام في الأرض كيومرث (3) <قيل> (4) وهو ابن آدم لصلبه .

= فنظر حام منه إلى ما لا ينبغي فلعنه ، فبسبب من ذلك اسودت ألوان ذريته ، وفي خبر آخر عن يهود أن نوحاً لما هبط من السفينة نام فتعرى ، فنظر إليه حام وضحك منه ، فدعا عليه أن يسود الله نسله ، فكان ذلك ، وجاء منه السند والهند والأحباش والزنج وكوش والزغاوة والزط وسائر أجناس السودان ، وقد فند الخلدوني ذلك في « مقدمته » فقال : « وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم له بطبائع الكائنات أن السودان هم ولد حام ابن نوح ، اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه ، ظهر أثرها في لونه ، وفي القول بنسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات » . وعلل ابن سينا اختلاف ألوان البشر في « أرجوزته » فقال :

بالزنج حر غير الأجسادا — حتى كسا جلودها سوادا
والصقلب اكتست البياضا — حتى غدت جلودها بضاضا

ونفى أبو العلاء في « لزومه » أن يكون سواد حام من إثم اجترحه فقال :

ومذهبي في البرايا كونهم شيعاً — كالثلج والقار منه الجون والحلك
مـا اسود حام لذنب كان أحدثه — لكن سجية لون خطها الملك

(3) حكى المسعودي في « مروج الذهب » (ج 1 ص 220 – 222) من أخباره ما يأتي : « الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما ألزمته أنفسها من حفظ أنسابها ، ينقل ذلك باق عن ماض ، وصغير عن كبير ، أن أول ملوكهم كيومرث ، ثم تنازعوا فيه فمنهم من زعم أنه ابن آدم والأكبر من ولده ، ومنهم من زعم – وهم الأقلون عدداً – أنه أصل النسل ، وينبوع الذرء ، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ بن آدم بن سام بن نوح ، لأن أميماً أول من حل بفارس من ولد نوح ، وكان كيومرث أكبر أهل عصره ، والمقدم منهم ، وكان أول ملك نصب في الأرض فيما يزعمون ، وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الأرض ، وذكروا أن كيومرث أول من أمر بالسكوت عند الطعام ، وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا ، فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة ، وقيل دون ذلك ، وللمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنه من نبات الأرض وغير ذلك مما يفحش إيراده وما كان من خبره مع إبليس وقتله إياه » .

(4) كلمة « قيل » ساقطة من ح .

أول من سخرت له الخيل إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام– وقيل : إنه أعطيها آدم قبل ذلك .

أول من بنى الكعبة إبراهيم – عليه السلام – وقيل : أول من بناها شيث بن آدم .

أول من نطق بالعبرانية إسحاق بن إبراهيم – عليهما السلام – .

أول من بنى بالآجرّ فرعون – لعنه الله –.

أول من جمع العروبة وهي الجمعة كعب بن لؤي أحد أجداده صلى الله عليه وسلم .

أول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب بن هاشم .

أول من اتخذ العود للغناء لامك والد نوح – عليه السلام – .

أول امرأة ثقبت أذناها وخفضت وجرّت ذيلها هاجر أم إسماعيل – عليه السلام – .

أول من قال القريض والرجز يعرب بن قحطان .

أول جزية وقعت في الأرض أخذها أولاد حام من أولاد يافث ثم أجلاهم أعني أولاد حام إلى بلاد المغرب يعرب المذكور .

أول من تتوج من ملوك العرب سبأ .

أول من سقف (5) البيوت بالخشب المنشور أميم (6)وكان ملكاً أبا قبيلة .

---

(5) قال المسعودي في « مروجه » : « ذكر جماعة من أهل السير والأخبار أن جميع من ذكرنا من هذه القبائل (يريد : يعرب وجرهماً وعادا وثمود وطسماً وجديساً الخ) كانوا أهل خيم وبدواً مجتمعين في مساكنهم من الأرض وأن أميماً أول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان وقطع الأشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح » . « مروج الذهب » : (ج 2 : ص144).

(6) قال القلقشندي في كتابه : « نهاية الأرب ، في معرفة أنساب العرب » (ص 82) : =

قال المعري (7) :

يراه بنو الدهر الأخير بحاله كما أبصرته جرهم وأميم

أول من كسا البيت الحرام بالديباج الحجاج ، وقيل : عبد الله بن الزبير ، وقيل : قتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب .

أول ميت بعد الهجرة وأول من صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأول من دفن بالبقيع أسعد (8) بن زرارة – رضي الله عنه – وقيل أول منه إلى الموت كلثوم بن الهِدْمِ (9) .

أول من قال أما بعد قس بن ساعدة الإيادي . وقيل غيره وقال القائل :

[جرى الخلف (أما بعد) من كان بادئاً بهـا عـد أقوام وداوود أقرب
ويعقوب أيـوب الصبـور ونافع وقس وسحبان وكعب ويعرب (10)]

أول سورة أنزلت : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) وقيل : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (11) وأولية الأولى بحسب النبوءة والثانية بحسب الرسالة .

= « بنو أميم : قال السهيلي : بضم الهمزة وفتح الميم على الأكثر وبفتح الهمزة وكسر الميم : قبيلة من العرب العاربة البائدة غلب عليهم اسم أبيهم فقيل : أميم وهو أميم بن لاوذ ابن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم » .

(7) البيت من قصيدة سقطية مطلعها :

عظيم لعمري أن يلم عظيم بآل علي ، والأنام سليم

يخاطب بها بعض العلويين ، وكان قد عرضت له علة فاعتذر إليه في ترك عيادته وقبله :

فليتك للأفلاك نور مخلد يزول بنا صرف الردى وتدوم

(8) في الطبعة الفاسية : « سعد » بدون الهمزة وهو خطأ .

(9) هو بكسر الهاء وبسكون الدال المهملة كما في الإصابة (ج 3 : ص 305) .

(10) ما بين العلامتين زيادة من الطبعة الفاسية .

(11) في ك و في س : « أو أولية » مع أو التي للتفريق والتقسيم ، وبها يستقيم الكلام .

أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الرجال <الصرحاء> (12) أبو بكر [الصديق ولذلك سمي صديقاً - رضي الله عنه] (13) - ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن الغلمان علي - رضي الله عنه وعن جميعهم - .

أول جمعة صليت في المدينة قبل الهجرة صلاهـا المصعب بن عمير وأصحابه - رضي الله عنهم - .

وأول جمعة صليت في غير المدينة في جُواثَى (14) : قرية بالبحرين .

وأول من رمى بسهم في سبيل الله سعد بن أبي وقاص الزهري - رضي الله عنه - .

أول غنيمة حصلت عير عمرو بن الحضرمي ، وهو أول مقتول على الكفر .

أول متبارزين في الجهاد حمزة وعلي وعبيدة مع أقرانهم من المشركين ، وهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وقيل : إنه فيهم نزلت : (هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) .

أول مولود في الإسلام عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما . -

---

(12) ما بين العلامتين ساقط من ك ومن ح .
(13) ما بين العلامتين زيادة من ح .
(14) في « معجم ما استعجم » للبكري : « جواثى بضم أوله وبالثاء المثلثة على وزن فعالى مدينة بالبحرين لعبد القيس » وفي « معجم البلدان » لياقوت : « جواثاء بالضم وبين الألفين ثاء مثلثة يمد ويقصر : حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة 12 عنوة » .

أول الخلفاء في هذه الملة أبو بكر – رضي الله عنه – .

أول الملوك فيها معاوية – رضي الله عنه – .

أول من كتب بالعربية إسماعيل – عليه السلام – .

أول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز حرب بن أمية وقيل : سفيان بن أمية .

أول من جمع القرآن في الصحف أبو بكر .

أول من جمعه في المصاحف عثمان – رضي الله عنه . –

أول من تكلم في فن الإعراب أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – .

أول من جمع الحديث إمامنا مالك – رضي الله عنه – .

أول من هذب علم أصول الدين وحصله أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – رضي الله عنه – .

أول من اتخذ ركاب السرج من حديد المهلب بن أبي صفرة .

أول من أدخل علوم الأوائل في هذه الملة المأمون العباسي .

لله الأمر من قبل ومن بعد

بـاب

وهذه نبذة من المواعظ والوصايا ، فمن ذلك ما يروى حديثاً نحو قوله صلى الله عليه وسلم :

« المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أمِنَهُ (1) النَّاسُ عَلَى أمْوَالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَاجَرَ (2) الخَطَايَا وَالذُّنُوبَ وَالمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى » .

وقوله عليه السلام لعبد الله بن عمر :

« اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ » .

وقوله :

« مَا يَنْتَظِرُ أحَدُكُمْ إلاَّ غِنىً مُطْغِياً ، أوْ فَقْراً مُنْسِياً ، أوْ

---

(1) كذا بصلب الأصل وفي طرتها : « استأمنه » وعليه خاء ، وفي صلب ك : آمن منه » وفي طرتها : « أمنه » بخط ناسخها وكتب عليها خاء معه لفظ : « صح » وعلى طرتها أيضاً : « ائتمنه » ورسم عليها خاء يعني نسخة أخرى وفي س : « آمن منه » وفي ح : « ائتمنه » .

(2) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س أما ح ففيها « هجر » .

مَرَضاً مُفْسِداً ، أَوْ هَرَماً مُنْفِداً (3) أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً ، أَوِ الدَّجَّالَ ؛ وَالدَّجَّالُ شَرٌّ غَائِبٍ <يُنْتَظَرُ> (4) أَوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ » .

وقوله :

« عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبِبْ مَنْ (5) شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّكَ مُلاقِيهِ » .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ » .

وقوله :

« لَيْسَ لِلإِنْسَانِ مِنْ مَالِهِ إِلاَّ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى ، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى » .

ومن كلام الصديق رضي الله عنه :

« الموت أهون مما بعده وأشد مِمّا قبله » .

---

(3) كذا بالأصل فإن صحت الرواية به كان من الإنفاد الذي هو الإفناء والإذهاب ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « مفنداً » وهو من الفند الذي هو الخرف وضعف العقل من هرم أو مرض تقول : فندته تفنيداً وأفندته إفناداً إذا عجزته أو كذبته أو خطأت رأيه .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(5) في ح : « ما » بدل : « من » .

وقوله :

« ثلاثة (6) من كن فيه كن عليه : البغي والنكث والمكر » .

وقوله :

« إن الله تعالى قرن (7) وعده بوعيده ليكون العبد راغباً راهباً » .

ومن كلام الفاروق رضي الله عنه يخاطب ابنه عبد الله :

« أما بعد ، فإن من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن استقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حِسْبَةَ (8) له ، ولا جديد لمن لا خلق له » .

وقوله في بعض خطبه :

« أيها الناس ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا ، فإنه أيسر لحسابكم ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتجهزوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية » .

ومن كلام علي كرم الله وجهه في بعض وصاياه :

---

(6) كذا بالأصل ومثله في ك أما س و ح ففيهما : « ثلاث » .
(7) في ك وحدها : « أقرن » .
(8) كذا بالأصل ، وهو من الاحتساب الذي فسره الفيومي في « مصباحه » فقال : «واحتسب الأجر على الله ادخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا ، والاسم الحسبة بالكسر » . وفي ك و س و ح جميعاً : « حسنة » بالنون .

« لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، ويقول في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل بعمل الراغبين ، إن أعطي لم يشبع ، وإن منع (9) لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، ينهى ولا ينتهي ، ويأمر بما لا يأتي ، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت بسببه ، إن مرض ظل نادماً ، وإن صح أمن لاهياً ، يعجب بنفسه إذا عوفي ، ويقنط إذا ابتلي ، تغلبه نفسه على ما يظن ، و <لا> (10) يغلبها على ما يتيقن (11) ، ولا يثق بما ضمن له ، ولا يعمل بما فرض عليه ، إن استغنى بَطِر وفتن ، وإن افتقر قنط وحزن ، يخاف الموت ، ولا يبادر الفوت ، يطاع فيعصي ، ويستوفي ولا يوفي » .

وقوله أيضاً يخاطب سلمان رضي الله عنهما :

« إنما مثل الدنيا كمثل (12) الحية ، لَيِّنٌ مَسُّها ، قاتل سمها ، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، ودع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها ، وكن أسرَّ ما تكون فيها أحذرَ ما تكون لها ، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور ، أشخصه عنه مكروه ، وإن ركن منها إلى إيناس ، أزاله عنه إيحاش » (13) .

[وجمع (14) بعضهم حكمه رضي الله عنه على حروف المعجم .

(9) في ك وحدها : « متع » بالتاء بدل النون .
(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه إليه نقلا عن ك و س و ح والمعنى في الكلام عليه .
(11) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س وفي ح وحدها : « تيقن » بصيغة الماضي .
(12) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س وفي ح وحدها : « كالحية » .
(13) في س وحدها : « أنجاس » وهو تصحيف ينبه عليه السياق .
(14) ما بين المعقفين لا يوجد في المخطوطات الثلاث ، وهو في الطبعة الفاسية ، وعنها أخذناه ، وعليها طبعناه .

حرف الألف

إيمان الرجل يعرف بأيمانه .
أخوك من واساك في الشدة .
إظهار الغنى من الشكر .
أداء الدَّيْنِ من الدِّين .
أدب المرء خير من مذهبه .
أدِّبْ عيالك تنتفع بهم .
إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب .
أحسن إلى المسيء تَسُدْه .
إخفاء الشدائد من المروءة .
آفة الإنسان ، من اللسان .
الإسراف مذموم إلا في البِرّ .
العلم يرفع الوضيع .
الإنسان ، عبد الإحسان .
العاقل يترك ما يحبّ فيستغني عن علاج ما يكره .
الناس نيام فإذا ما ماتوا انتبهوا .
النصح بين الملأ تقريع .
إذا تم العقل نقص الكلام .
أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة.
الحرمان مع الحرص .
الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له .
السعيد من وعظ بغيره .
الإحسان ، يقطع اللسان .
الشرف بالعقل والأدب ،لا بالأصل والحسب .

إذا أفلستم فأقرضوا الله بالصدقة .

إذا حل القدر ، بطل الحذر .

إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً لقدرتك عليه .

الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

المرء مخبوء تحت طي لسانه ، لا تحت طَيْلسانه .

الجزع عند البلاء تمام المحنة .

المرء عدو ما جَهِله .

إعادة الاعتذار تذكير للذنوب .

الشفيع جناح الطالب .

أحسن المكارم الجود .

أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه .

أحسن العدل نصرة المظلوم .

أفضل الناس السخي المؤمن .

السامع للغيبة أحد المغتابين .

الأدب صورة العقل .

القلب إذا أكره عمي .

العداوة شغل شاغل .

الراحة مع اليأس .

أكرم الأدب حسن الخلق .

أكبر الفقر الحمق .

أوحش الوحشة العُجْبُ .

أغنى الغنى العقل .

احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود .

أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع .

الطامع في وثاق الذل .

إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تُنَفِّروا أقصاها بقلة الشكر .

حرف الباء

البخيل مستعجل الفقر لنفسه ، يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .

بشر مال البخيل بحادث أو وارث .

بشر نفسك بالظفر مع الصبر .

بالبر ، يستعبد الحر .

بر الوالدين سلف .

بع الدنيا بالآخرة تربح .

بكاء المرء من خشية الله قرة عين .

بركة المال في أداء الزكاة .

باكر تسعد .

باكر السبت والخميس تغنم .

بركة العمر في حسن العمل .

بشاشة الوجه عطية ثانية .

بلاء الإنسان ، من اللسان .

بِرّكَ لا تبطله بالمنة .

حرف التاء

توكل على الله يكفك .

تأخير الإساءة من الإقبال .

تدارك في آخر عمرك ما فاتك في أوله .
تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان .
تفاءلْ بالخير تَنَلْه .
تأكيد المودة في الحرمة .
تغافَلْ عن المكروه تظفر بترك الذنوب .
تزاحم الأيدي على الطعام بركة .
تواضع المرء بكرمه .
توقير الأكابر من الأدب .

حرف الثاء

ثلاث مهلكات : بخل وهوى وعُجْبٌ .
ثلث الإيمان حياء ، وثلثه عقل ، وثلثه جودٌ .
ثلمة الدين موت العلماء .
ثلمة الحرص لا يسدها إلاّ التراب .
ثني (كذا) إحسانك بالاعتذار .
ثوب السلامة لا يبلى .
ثبات الملك في العدل .
ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا .
ثبات النفس بالعدل (كذا) .
ثبات الروح بالغنى (كذا) .
ثناء الرجل على معطيه مستزيد (كذا) .
ثلاث خصال من لم تكن فيه لا خير فيه : دين يرشده ، أو حياء يردعه ، أو خوف يمنعه .
ثلاث من السعادة : سلامة الدين ، وسلامة البدن ، وسلامة الدنيا .

حرف الجيم

جد بما تجد .

جهد المقل كثير .

جمال المرء في الحلم .

جليس السوء شيطان .

جولة الباطل ساعة ، وجولة الحق إلى الساعة .

جودة الكلام في الاختصار .

جليس الخير غنيمة .

جليس المرء مثله .

جالس الفقراء تزدد شكراً .

جد بالكثير واقنع بالقليل .

حرف الحاء

حلم المرء عونه .

حسن الخلق غنيمة .

حلي الرجال الأدب ، وحلي النساء الذهب .

حدة المرء تهلكه .

حرفة المرء كنزه .

حياء المرء ستره .

حرقة الأولاد ، محرقة الأكباد .

حرم الوفاء على من لا أصل له .

حموضات الكلام ، خير من حموضات الطعام .

حرف الخاء

خَفِ اللهَ تأمَنْ غيره .
خالف نفسك تسترح .
خير الأصحاب من يدلك على الخير .
خليل المرء دليل عقله .
خوف الله يجلي القلوب .
خلو القلب خير من إملاء (كذا) الكيس .
خلوص الود ، من حسن العهد .
خير النساء الولود الودود .
خير المال ما أنفق في سبيل الله .
خابت صفقة من باع الدين بالدنيا .

حرف الدال

دوام السرور بر الإخوان .
دولة الأرذال ، آفة الرجال .
دار من جفاك تخجله .
دواء القلب الرضا بالمقدور .
دار الظالمين خراب .
دينار البخيل حجر .
دولة الملوك العدل .
دم على كظم الغيظ تحمد عاقبتك .

حرف الذال

ذم الشيء من الاشتغال به .
ذنب واحد كثير وألف حسنة قليلة .
ذكر الأولياء ينزل الرحمات .
ذكر الظالمين في طغيانهم .
ذل المرء في الطمع .
ذليل الفقر عند الله عزيز .
ذكر الشباب حسرة .
ذكر الموت جلاء القلب .
ذكر الثناء خسارة (؟)

حرف الراء

راع أباك يراعك ابنك .
رتبة العلم أعلى الرتب .
رزقك يطلبك فاسترح .
راع النفس عند غلبات الحمق .
رؤية الحبيب جلاء العين .
رفاهية العيش في الأمن .
رسل الموت الولادة .
رواية الحديث نسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
رفيق المرء دليل عقله .
راع الحق عند غلبات النفس .
رعونات النفس تتبعها (كذا) .

حرف الزاي

زر المرء على قدر إكرامه لك .

زيارة الضعفاء من التواضع .

زيارة الحبيب تطري المحبة (كذا) .

زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا .

زلة العالم كبيرة .

زينة الباطن خير من زينة الظاهر .

زهد العاميّ مضلة .

زن الرجال بموازينهم .

زحمة الصالحين رحمة .

زوال العلم بموت العلماء .

زكاة السلطان إغاثة الملهوف .

زيارة المحبوب تزيد المحبة .

حرف السين

سرورك بالدنيا غرور .

سيرة المرء تنبيء عن سريرته .

سلامة الإنسان ، في حفظ اللسان .

سادة الأمة الفقهاء .

سوء الخلق وحشة لا خلاص منها .

سكرة الأحياء سوء الخلق .

سلاح الضعفاء الشكاية .

حرف الشين

شيبك ناعيك .
شرط الألفة ، ترك الكلفة .
شفاء الجنَان ، قراءة القرآن .
شر الناس من تتقيه الناس خوفاً من شره .
شحيح غني أفقر من فقير سخي .
شر الأمور أقربها من الشر .
شمر في طلب الجنة .
شح الغني عقوبة .
شمة (كذا) من المعرفة خير من كثير من العلم .

حرف الصاد

صدق المرء نجاته .
صحة البدن الصوم .
صاحب الأخيار تأمن من الأشرار .
صلاح الدين في الورع ، وفساده في الطمع .
صبرك يورثك الظفر .
صلاح البدن في السكون .
صلاة الليل بهاء في النهار .
صلاح الإنسان ، في حفظ اللسان .
صمت الجاهل يستره .
صل الأرحام يكثر حشمك .

صحبة الأحمق عذاب الروح .
صحبة الأشرار ، توجب سوء الظن بالأخيار .

حرف الضاد

ضل من عاشر الأشرار .
ضل من باع الدين بالدنيا .
ضرب اللسان ، أشد من ضرب السنان .
ضاقت الدنيا على المتباغضين .
ضمن الله رزق كل أحد .
ضرب الحبيب أوجع .
ضياء القلب من أكل الحلال .
ضيق القلب أشد من ضيق اليد .
ضاق صدر من ضاقت يده .
ضادوا الشر بالخير .

حرف الطاء

طاب وقت من وثق بالله تعالى .
طال عمر من قصر أمله .
طلب الأدب ، خير من طلب الذهب .
طوبى لمن رزق العافية .
طول العمر مع العافية من خلع الأنبياء عليهم السلام .
طال عمر من قصر تعبه .
طوبى لمن لا أهل له .

طاعة العدو هلاك .
طاعة الله غنيمة .
طلاق الدنيا مَهْرُ الجنة .

حرف الظاء

ظلم الظالم يقوده إلى الهلاك .
ظمأ المال أشد من ظمأ الماء .
ظلم المرء يصرعه .
ظلامة المظلوم لا تضيع .
ظل الأعوج أعوج .
ظل السلطان كظل الله .
ظلمة الظالم تظلم الإيمان .
ظل الظالم قصير .
ظل الكريم فسيح .
ظل الملوك (كذا) أسهل من ذلال الرعية (كذا) .

حرف العين

عش قانعاً تكن ملكاً .
عيب الكلام تطويله .
عاقبة الظلم وخيمة .
عدو عاقل خير من صديق أحمق .
علو الهمة من الإيمان .
عز من قنع .

عسر المرء مقدمة اليسر .
عليك بالحفظ دون الجمع من الكتب .
عقوبة الظالم سرعة الموت .

حرف الغين

غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله .
غشك من أسخطك بالباطل (كذا) .
غنم من سلم .
غلت قدور المتوكلين .
غمرة الموت أهون من مجالسة من لا تهوى .
غاب حظ من عاب نفسه .
غضبك من الحق مقبحة .
غدرك من دلك على الإساءة .
غشك من أرضاك بالباطل .
غنيمة المؤمن وجدان الحكمة .

حرف الفاء

فاز من ظفر بالدين .
فخر المرء بفضله ، أفضل من فخره بأصله .
فاز من سلم من شر نفسه .
فسدت نعمة من كفرها .
فعل المرء يدل على أصله .

فرع الشيء يخبر عن أصله .
فكاك المرء بالصدقة .

حرف القاف

قول المرء مخبر عما في قلبه .
قول الحق من الدين .
قوة القلب من صحة الإيمان .
قاتل الحريص حرصه .
قرب الأشرار مضرة .
قسوة القلب من الشبع .
قلب الأحمق في فمه ، ولسان العاقل في قلبه .
قيمة كل امرىء ما يحسنه .
قرين المرء دليل دينه ،
قدر في العمل ، تنج من الزلل .
قدر المرء ما يهمه .

حرف الكاف

كلام الله دواء للقلب .
كفاك من عيوب الدنيا أن لا تبقى .
كفاك هماً علمك بالموت .
كمال الجود الاعتذار معه .
كفى الحسود حسده .
كمال العلم في الحلم .

كفى بالشيب ناعياً .
كفى بالسلامة داء .
كثرة الإلحاح توجب المنع .
كفران النعمة يزيلها .
كلام الرجل ميزان عقله .
كل قانع غني .
كل حريص فقير .
كفى بالظفر شفيعاً للمذنب .
كثرة الوفاق نفاق .
كثرة الخلاف شقاق .
كافر سخي أرجى للجنة من مسلم شحيح .

حرف اللام

ليس للحسود راحة .
ليّنْ قلبك تحبّ .
لبس الشهرة من الرعونة .
لكل عداوة مصلحة إلاّ عداوة الحسد .
ليس الشيب من العمر .
لين الكلام قيد القلوب .
ليس لسلطان العلم زوال .
لكل ظالم انتقام .
لسانك يقتضيك ما عودته .
لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .
لكل مقام مقال .

حرف الميم

من علت همته طالت همومه .

من كتم سره ، ملك أمره ، ومن كثر كلامه كثر ملامه .

من طلب شيئاً وجدّ وجد ، ومن قرع باباً وألح ولج .

مهلك المرء حدة طبعه .

ما هلك امرؤ عرف نفسه .

من عذب لسانه ، كثر إخوانه .

من عرف نفسه فقد عرف ربه .

من طلب ما لا يعنيه فاته ما يغنيه (كذا) .

من كثر مزاحه لم يخل من حقد عليه واستخفاف به .

من نظر اعتبر .

من أوتي في عجلته (كذا) قل حياؤه وبذ (كذا) لسانه .

من لانت أسافله صلبت أعاليه .

من كثر فكره في العواقب لم يشجع .

من أبدى صحيفته للحق هلك .

من جرى في عِنان أمله ، عثر بأجله .

ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه .

من أحب قوماً حشر معهم .

مجلس العلم روضة من الجنة .

ما ندم من سكت .

مجلس الكرام حصون الكلام .

منقبة المرء تحت لسانه .

مجالسة الأحداث مفسدة الدين .

مشرب العذب مزدحم .
مصاحبة الأشرار ركوب البحر .

حرف النون

نور المؤمن قيام الليل .
نسيان الموت صدأ القلب .
نور قلبك بالصلاة في ظُلَم الليل .
نصرة الإنسان في الصدق .
نفاق المرء ذلة .
نعمة الجاهل كروضة في مزبلة .
نور مشيبك لا تظلمه بالمعصية .
نار الحرقة أشد من نار جهنم .
نعيت إليك نفسك ، حين شاب رأسك .
نم آمناً تكن سالماً في أمهد الفرش .
نضرة الوجه في الصدق .
نيل المنى ، في الغنى .

حرف الهاء

همة السعيد آخرته ، وهمة الشقي دنياه .
هلاك المرء في العُجْب .
هموم المرء بقدر همته .
هلك الحريص وهو لا يعلم .
هيهات من نصيحة العدو .

هربك من نفسك أشد من هربك من الأسد .
همة المرء قيمته .
هات ما عندك تعرف به .

حرف الواو

وهم المرء بقدر همه .
وعد الكريم نقد .
ولاية الأحمق سريعة الزوال .
وضع الإحسان في غير محله ظلم .
وزر صدقة المنان أعظم من أجره .
وحدة المرء خير من جليس السوء .
والاك من لم يعادك .
واساك من تغافل عنك .
ويل للحسود من حسده .
ولي الطفل مرزوق .

حرف لام ألف

لا دين لمن لا مروءة له .
لا فقر للعاقل .
لا راحة للحاسد .
لا غم للقانع .
لا وفاء للمرأة .
لا كرامة للكاذب .

لا حرمة للفاسق .

لا ظفر مع البغي .

لا صواب لمن ترك المشورة .

لا كرم أعز من التقوى .

لا داء أعيا من الجهل .

لا مرض أعيا من قلة العقل .

لا راحة لملول .

لا عقل لمن لا أدب له .

لا علم لمن لا بصيرة له .

لا بصيرة لمن لا فكر له .

لا خير في علوم الكذابين .

لا أعز من القانع ولا أذل من الطامع .

لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال .

لا يرفع الشح .

لا صحة مع النهم .

لا شرف مع سوء الأدب .

لا ثناء مع الكبر .

لا زيادة مع الزراعة (كذا) .

لا راحة للملوك .

لا شرف أعلى من الإسلام .

لا معقل أحسن من الورع .

لا شفيع أنجح من التوبة .

لا لباس أجمل من السلامة .

لا أيمان لمن لا ايمان له .

لا غنى لمن لا فضل له .

لا حياء لحريص .
لا شفيع كالودود الناصح .

حرف الياء

يأتيك ما قدر لك .
يطلبك رزقك كما تطلبه .
يبلغ الإنسان بالصدق منازل الكبار .
يسود المرء قومه بالإحسان .
يسود المرء بمصاحبة السعيد .
يشقى الرجل بمصاحبة السفيه .
يزيد في العمر الصدقة .
يأمن الخائف إذا وصل إلى ما خافه .
يأمن القلب راحة النفس (كذا) .
يسعد الرجل بمصاحبة السعيد] (15) .

لله الأمر من قبل ومن بعد .

(15) هنا انتهت الزيادة التي توجد بالطبعة الفاسية ولا توجد بالمخطوطات الثلاث ، وفي هامش المخطوطة الكتانية ، وبغير خط ناسخها ، تنبيه عليها يقول بالنص : «بقي هنا حكم مرتبة على حروف الهجاء جمعت من كلام علي رضي الله عنه وذلك نحو نصف كراسة » .

[الرغيف والذهب]

وروي عن نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة (1) والسلام أنه خرج هو وصاحب له في سياحة فأصابهما الجوع وقد مرا بقرية فقال لصاحبه : انطلق فاطلب لنا طعاماً بهذه القرية . وقام هو يصلي ، فانطلق الرجل وأتى بثلاثة أرغفة ، فوجده مشغولاً فأكل رغيفاً ، فلما انصرف عيسى عليه السلام قال له : أين الرغيف الثالث ؟ فقال : ما كان إلاّ رغيفان . فانطلقا حتّى مرّا بظباء فدعا — عليه السلام — ظبياً منها فذكاه وأكلا منه ، ثم قال له : قم بإذن الله الذي يحيي (2) الموتى ، فقام يشتدّ فقال الرجل : سبحان الله ! فقال عيسى : بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث ؟ قال ما كان إلاّ اثنان ، فانطلقا فمرّا بنهر عظيم فأخذ بيده فمرّ به على الماء حتّى قطع ، فقال الرجل سبحان الله ؟ فقال عيسى : بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث ؟ قال : ما كان إلاّ اثنان ، فانطلقا حتّى أتيا قرية خربة (3) وإذا بثلاث لبنات من ذهب . فقال الرجل : هذا مال ، فقال عيسى عليه السلام : واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث . فقال الرجل : أنا صاحبه ، فقال عيسى : هي لك كلها وفارقه ، فأقام عليها ليس معه من يحملها له ، فمرّ به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا اللبنات ، فقال اثنان منهم للواحد : انطلق إلى القرية فائتنا بطعام ، فاتفق الاثنان على قتله إذا رجع ،

(1) في س : « أفضل السلام » .
(2) في ك و س : « محيي الموتى » ومثله في ح .
(3) في ك و س : « خربت » .

وأتى هو بالطعام فوضع فيه سماً ليموتا فيختص بالمال ، فلما جاء قتلاه وأكلا الطعام فماتا ، فمرّ بهم عيسى – عليه السلام – وهم حول المال كلهم صرعى فقال : هكذا تفعل الدنيا بأهلها ، وتركهم .

وروي عنه <أيضاً> (4) عليه السلام أنه مر وهو في جمع من أصحابه بزرع قد أفرك فقال أصحابــه : (5) يا نبي الله ، نحن جياع ، فأوحى الله تعالى إليه أن ائذن (6) لهم في قوتهم ، فأذن لهم ، فدخلوا <الزرع> (7) يفركون ويأكلون ، فبينما هم كذلك جاء صاحب الزرع فقال : بإذن (8) من تأكلون يا هؤلاء (9) زرعي ، وأرضي ورثتها عن آبائي ، فدعا عيسى عليه السلام الله تعالى فبعث الله كل من ملك تلك الأرض من ولد آدم عليه السلام ، فإذا عند كل سنبلة رجل أو امرأة يقول : أرضي ورثتها عن آبائي ، ففزع الرجل منهم ، وكان قد بلغه أمر عيسى وهو لا يعرفه ، فقال : معذرة إليك يا رسول الله ، إني لم أعرفك فزرعي ومالي لك حلال ، فبكى عيسى عليه السلام وقال : ويحك هؤلاء كلهم ورثوا هذه الأرض وعمروها وارتحلوا عنها ، وأنت مرتحل وبهم لاحق ، ويحك ليس لك أرض ولا مال .

ولما دخل أبو الدرداء الشام قال : يا أهل الشام : اسمعوا قول أخ ناصح ،

---

(4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(5) في « أساس البلاغة » : « قد أفرك زرعهم إذا حان له أن يفرك ، وهو أن يشتد شيئاً في سنبله ، وهم يعيشون بالفريك وهو الحب المفروك » .

(6) في ح : « أن يأذن » .

(7) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(8) في ح : « من أذن لكم تأكلون؟» .

(9) في ك : « يا قطاع » بدل : « يا هؤلاء » .

مالي أراكم تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون . إن الذين كانوا قبلكم بنوا مشيداً ، وأملوا بعيداً ، وجمعوا كثيراً ، وشيدوا قصوراً ، فأصبح أملهم غروراً ، وجمعهم ثبوراً ، ومساكنهم قبوراً (10) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(10) في كتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزي (1 : 628 – 629) : « عن الضحاك قال : قال أبو الدرداء : يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدين ، والجيران في الدار ، والأنصار على الأعداء ، ما يمنعكم من مودتي ؟ وإنما مئونتي على غيركم ، مالي أرى علماءكم يذهبون؟ وجهالكم لا يتعلمون ؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به ، وتركتم ما أمرتم به ، ألا إن قوماً بنوا شديداً ، وجمعوا كثيراً ،وأملوا بعيداً ، فأصبح بنيانهم قبوراً ، وأملهم غروراً ، وجمعهم بوراً ، ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ، ولا خير في الناس بعدهما » .

[عدي بن زيد والأمير النعمان]

وكان عدي بن زيد العِـبادي ممن تنصر ودان بدين المسيح ، وكانت له حظوة عند النعمان بن امرىء (1) القيس ، فحضر عنده يوماً والنعمان في

(1) النعمان بن امرىء القيس اسم أحد العرب الذين ملكوا الحيرة ، ولاه عليها بعد أبيه امرىء القيس يزدجرد ملك الفرس الملقب بالأثيم ، وفي شأن النعمان هذا يقول الطبري في « تاريخه » (2 : 72 – 74) راوياً عن هشام الكلبي : « قال هشام : كان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وأكثر المصائب في أهلها ، وسبى وغنم ، وكان من أشد الملوك نكاية في عدوه وأبعدهم مغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتين يقال لإحداهما دوسر ، وهي لتنوخ ، وللأخرى الشهباء ، وهي لفارس ، وهما اللتان يقال لهما القبيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب ، قال : فذكر لنا ، والله أعلم ، أنه جلس يوماً في مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب ، وعلى الفرات مما يلي المشرق ، وهو على متن النجف في يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط؟ فقال : لا لو كان يدوم ، قال : فما الذي يدوم؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فبم ينال ذاك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده ، فترك ملكه من ليلته و لبس المسوح وخرج مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبطأ الإذن عليهم سألوا عنه فلم يجدوه ، وفي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي :

وتفكر رب الخورنق إذ أشـ ... رف يوماً وللهدى تبصير
سره حالـه وكثرة ما يمـ ... لك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبـ ... طة حي إلى الممات يصير »

وتبتدىء سلسلة الملوك العرب في الحيرة حسب المراجع العربية بمالك بن فهم بن غنم الذي يرتقي نسبه إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فابنه جذيمة الذي يلقب الوضاح ، فابن أخته عمرو بن عدي ، فابنه امرىء القيس ، فالنعمان ابنه الذي دام ملكه قبل أن يتنسك =

أحسن زيٍّ في مجلسه مع ندمائه فلما شرب وطرب قال لعدي : كيف ترى هذا النعيم الذي نحن فيه يا أبا زيد ؟ فقال : إنه حسن لو كان لا ينفَدُ ، ومسرة لو كانت تدوم ، فقال : أو كل ما أرى إلى نفاد ؟ قال : نعم ، أبَيْتَ اللّعْن ، فقال النعمان : وأي خير فيما يفنى ؟ فلما رأى عدي ذلك منه طمع في ارعوائه ، فجعل يعظه ، فلما خرج سايره ، فمروا بمقبرة فقال أيها الملك أتدري ما تقول هذه القبور ؟ قال : لا ، قال : إنها تقول :

أيهــا الركب المخبون وعلى الأرض المجدون
مثلما أنتمُ كنّـــا وكما نحن تكونون

فظهر على النعمان انكسار .

ثم إنهم مروا بشجرات متَناوِحاتٍ بينها عين جارية فقال عدي : أتدري ما تقول هذه الشجرات أبَيْتَ اللّعْنَ ؟ قال : لا ، قال : إنها تقول :

مَن رآنــا فليحدث نفسه أنه موفٍ على قرن (2) زوال
وصُروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صُمُّ الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال

= تسعاً وعشرين سنة ، منها خمس عشرة سنة في عهد يزدجرد وأربع عشرة سنة في أيام بهرام جور بن يزدجرد ، ثم ملك بعده الأسود بن النعمان ، وكان ملكه عشرين سنة ، فالمنذر ابن الأسود وقد ظل ملكاً أربعاً وثلاثين سنة ، فعمرو بن المنذر ، وقد بقي ملكاً ستين سنة ، فقابوس بن المنذر ، وكان ملكاً ثلاثين سنة ، فأخوه المنذر بن المنذر ، ثم النعمان ابن المنذر ممدوح النابغة وقتيل كسرى ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، فإن طابقت هذه التواريخ الواقع ، لم يصح ما حكاه اليوسي مما جرى بين النعمان بن امرىء القيس وبين عدي بن زيد العبادي المقتول حوالي سنة 380 للميلاد إلا بأن يكون عدي قد عاش عمراً فوق العادة .

(2) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « قرب » بالباء بدل النون .

والأباريق عليها فُدمٌ (3) وعتاق الخيل تردي (4) بالجلال (5)
عمروا دهراً بعيش حسن آمني دهرهم غير عجال
ثمّ أضحوا عصَفَ الدهرُ بهم وكذاك الدهر يُودي بالرجال
وكذاك الدهر يرقى بالفتى في طلاب العيش حالاً بعد حال

فوقع كلامه منه أحسن موقع فقال له : ائتني عند السحر ، فإن عندي أمراً أطلعك عليه ، فأتاه فوجده قد لبس مِسْحاً وأخذ أهبة السياحة فودعه وذهب ، ولم يعلم له بعد ذلك خبر ، وذكر (6) أنه قال له : قد علمت أن القبور لا تتكلم ، والشجرة لا تتكلم ، وإنما أردت موعظتي ، ففيم النجاة ؟ فقال له عدي : تترك عبادة الأوثان وتدين بدين المسيح عليه السلام ، فتنصر النعمان حينئذ (7) :

وفي معنى هذا قول شاعر قديم (8) :

---

(3) في « التاج » : « الفدام ككتاب وسحاب وشداد وتنور شيء تشده العجم والمجوس على أفواهها عند السقي ، والفدام بالكسر المصفاة للكوز والإبريق ونحوه ، وكذلك الفدام كشداد ، وإبريق مفدم كمعظم ومكرم عليه الفدام أي المصفاة ، وفدمته تفديماً ، ومنه المفدمات وهي الأباريق والدنان » .

(4) في « القاموس : «ردت الفرس كرمى ردياً ورديانا رمت الأرض بحوافرها ، أو هو بين العدو والمشي » .

(5) في « القاموس » : « الجل بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به ، وقد أجللتها وجللتها جمع جلال وأجلال » .

(6) في ك و س و ح : « ويقال » بدلا من : « وذكر » .

(7) قارن ما عند اليوسي هنا بما جاء في « كامل المبرد » : (2 : 74 – 75) طبعة محمد صبيح وفي « العقد الفريد » : (2 : 269) . وفي « زهر الآداب » : (2 : 388) نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ، وفي « رغبة الآمل » للمرصفي (4 : 247) .

(8) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، حكى ابن هشام في « سيرته » : (1 : 116) قال : « قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث يذكر بكراً وغبشان وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم : =

يا أيها الناس سيروا إن قصدكم (9) أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطايا (10) وأرْخوا من أزمّتها قبل الممات وقضّوا(11) ما تُقضّونا
كنّا أناساً كما كنتم فغيّرنا دهر فأنتم (12) كما كنا تكونونا

لله الأمر من قبل ومن بعد

= يا أيها الناس سيروا إن قصركم .... الأبيات

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها ، وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن » .

(9) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س أما ح ففيها : « قصركم » بالراء بدل الدال وقصر الشيء وقصاراه غايته ومداه .

(10) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « المطي » .

(11) في المخطوطات الثلاث : « واقضوا » وهو ما في ح أيضاً ، ولا يستقيم به عروض الشعر ، فينبغي أن يقرأ : وقضوا فعل أمر من التقضية ، قال في « التاج » : « وقضى وطره أتمه وقيل ناله وبلغه ، كقضاه تقضية » .

(12) في ح : « فسوف » موضع : « أنتم » .

[من شعر أبي العتاهية في الزهد والمواعظ]

ودخل أبو العتاهية على الرشيد حين بنى قصره ، وزخرف مجلسه ، واجتمع إليه خواصه ، فقال له : صف لنا ما نحن فيه من الدنيا فقال :

عش ما بدا لك آمناً   في ظلّ شاهقة القصور

فقال الرشيد : أحسنت . ثم ماذا ؟ فقال :

يسعى إليك بما اشتهيـ   ـت لدى الرواح وفي البكور

فقال : حسن ، ثم ماذا ؟ فقال :

فإذا النفوس تقعقعت   في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنـــاً   ما كنت إلاّ في غرور

فبكى الرشيد بكاء شديداً حتى رُحِم ، فقال له الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته ، فقال له الرشيد : دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى (1) .

ومن شعر أبي العتاهية هذا في المواعظ قوله (2) :

---

(1) الحكاية مع الشعر في ديوانه المطبوع ببيروت .
(2) الأبيات في ديوانه المطبوع ببيروت وفي كتاب «أبو العتاهية – أشعاره وأخباره» لشكري فيصل جامعة دمشق 1965 م .

ألا نحن في دنيا قليـــل بقاؤهـــا سريع تعديها (3) وشيك فناؤها
تزوَّد من الدنيا التقى والنهى فقـــد تنكرت الدنيا وحان انقضاؤها
تَـرَقَّ من الدنيا إلى أي غايـــة سموت إليها فالمنايا انتهاؤها (4)
ومن كلفته النفس فوق كَفَافِـها فما ينقضي حتى الممات عناؤها (5)

وقوله (6) :

ألا إنما الدنيا متاع غرور ودار صعود مـــرة وحدور
كأني بيوم ما أخذت تأهبـــاً له في رواح عاجل (7) وبكور
كفى عِبْرة أن الحوادث لم تزَلْ تُصَيِّرُ أهل الملك أهل قبور
خليليَّ كم من ميت قد حضرته ولكنني لم أنتفع بحضور
ومن لم يزده الدهر ما عاش عبرة فذاك الذي لا يستنير بنور

وقوله أيضاً (8) :

إني سألت القبر مـــا فعلت بعدي وجوه فيك منعفره
فأجابني : صيَّرتُ ريحهمُ تؤذيك بعد روائح عَطِـره

---

(3) رواية الديوان : « تداعيها » وفي كتاب « أبو العتاهية » : « تدانيها » .
(4) رواية الديوان : « وراءها » ومثله عند شكري فيصل ، وهو ما في س و ح .
(5) في الديوان : « عناؤها » وكذلك هو عند شكري فيصل ، وهو ما في ك و س و ح وفي الأصل وحده : « همومها » ولا ينبغي أن يكون لأن الروي همزة .
(6) الأبيات في ديوانه المطبوع ببيروت وبعدها :
أصبت من الأيـــام لين أعنـــة فأجريتهـــا ركضاً ولين ظهور
متى دام في الدنيا سرور لأهلهـــا فأصبح منها واثقـــاً بسرور
وهي واردة أيضاً في كتاب شكري فيصل : « أبو العتاهية – أشعاره وأخباره » .
(7) في ك : « عاجلا » .
(8) الأبيات في الديوان وعند شكري فيصل .

وأكلت أجساداً منعمـــــة   كان النعيم يـَزِينُها نضرَه
لم أبق غير جماجم عـَرِيـَت   بيض تلوح وأعظمٍ نـَخِره

وقوله أيضاً (9) :

تفكر قبل أن تنـــدم   فإنك ميت فـــاعلم
ولا تغـــتّر بـــالدنيـــا   فـــإن صحيحهـــا يسقم
وإن جديدهـــــا يبـــلى   وإن شبـــابهـــا يهرم
وإنّ نعيمهـــــا يفـــنى   فـــترك نعيمهـــا أحزم
ومن هـــذا الذي يبقى   عـــلى الحدثان أو يسلم
رأيت النــــاس اتباعاً   لذي الدينـــار والدرهم
ومـــــا للمرء إلاّ مـــا   نوى في الخير أو قدَّم

وقوله (10) :

إياك أعني (11) يا ابن آدم فاستمع   ودع الركون إلى الحياة فتنتفع
لو كان عمرك ألف حول كامل   لم تـــذهب الأيام حتّى تنقطع
إن المنيـــــة لا تزال ملحـــــة   حتّى تشتت كل شمل مجتمع
فاجعل لنفسك عدة للقـــاء من   لو قد أتاك رسوله لم تمتنع
يـــــا أيهـــا المرء المضيع دينـــه   إحراز دينك خير شيء تصطنع

---

(9) في الديوان وعند شكري فيصل .
(10) الأبيات من قصيدة له في عشرين بيتاً وهي في الديوان وعند شكري فيصل .
(11) في الأصل « دع عني يا ابن آدم » وكتب ناسخه فوقه : « كذا » وفي ك : « إياك عني » وفي س : « عني » يا ابن آدم ، وكتب أكنسوس بخطه من فوقه : « بقي هنا بياض من الأصل » وفي الطبعة الفاسية كما في الديوان : « إياك أعني » وبه يستقيم الشعر وزناً ومعنى .

فـــامهد لنفسك صالحاً تجزى به   وانظر لنفسك أيّ أمر تتبـــع
واعلم بـــأن جميع مـــا قدمته   عند الإله موفر <لك>(12)لم يضع

[(13) وله أيضاً :

كم يكون الشتاء ثم المصيف   وربيع يمضي ويأتي خريف
وانتقال من الحرور إلى الظ   ل وسيف الردى عليك منيف
يا قليل البقاء في هذه الدا   ر إلى كم يغرك التسويف
عجباً لامرىء يذل لذي دن   يا ويكفيه كل يوم رغيف(14)

وقال أحمد بن علي بن مروان : دخلت مع إسماعيل بن سويد العنبري على أبي العتاهية وهو يجود بنفسه ويقول (15) :

(12) ما بين العلامتين زيادة واردة في ك و س و ح وفي الديوان ، وبها يكتمل المعنى ويستقيم العروض .

(13) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية على طرتها وهو في ح وعنها نقلناه .

(14) هذا الشعر أورده شكري فيصل في كتابه : « أبو العتاهية – أشعاره وأخباره » نقلا عن « بغية الطلب » لابن العديم بالسند التالي : « أخبرنا أبو الحسن بن أبي عبد الله بن أبي الحسن بن المغيرة بمصر بالجامع العتيق قال : أخبرنا الحافظ أبو أحمد معمر بن عبد الواحد ابن الفاخر قال : أنشدنا الإمام أبو المحاسن يعني عبد الواحد بن إسماعيل الروياني قال : أنشدنا الإمام إسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني إملاء قال : أنشدنا زاهر بن أحمد قال : أنشدنا أبو الحسن أحمد بن جعفر بن المنادي قال : أنشدني أبو بكر يونس بن يعقوب المقري الواسطي لأبي العتاهية :

كم يكون الشتاء ثم المصيف   . . . . الأبيات »

وهذه الأبيات لم ترد في ديوانه المطبوع ببيروت .

(15) الأبيات في كتاب شكري فيصل : « أبو العتاهية – أشعاره وأخباره » رواية عن بغية الطلب بالإسناد التالي : « أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الغساني قال : أخبرنا أحمد بن علي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال : =

يا نفس قـــد مثلت حـــا لي هذه لك منـــذ حين
وشككت أني نـــــاصح لك فاشتملت(16) على الظنون
فتـــأملي ضعـــف الحـــرا ك ونجلتي(17) بعد السكون
وتيقّني أن الـــــذي بك من علامات المنون

ومن شعر محمود الوراق :

إن عيشاً إلى الممات مصيره لحقيق ألا يـــدوم سروره
وسرور يكون آخره المـــو ت سواء طويله وقصيره

وقوله (18) :

= أخبرنا عثمان بن أحمد قال : وأنشدني يعني أحمد بن علي بن مرزوق لأبي العتاهية وهو يكيد بنفسه :

يا نفس قـــد مثلـــت . . . . الأبيات »

ولا توجد الأبيات في ديوانه المطبوع ببيروت .

(16) رواية بغية الطلب : « فاستلمت إلى الظنون » .

(17) في « مقاييس اللغة » لابن فارس : « النون والجيم واللام أصلان صحيحان : أحدهما يدل على رمي الشيء ، والآخر على سعة الشيء ، فالأول النجل : رميك الشيء يقال : نجل نجلا : والناقة تنجل الحصى بمناسمها نجلا أي ترمي به ، ومنه نجلت الرجل نجلة إذا ضربته بمقدم رجلك فتدحرج ، وقولهم : من نجل الناس نجلوه أي من شارهم شاروه ومن رماهم رموه ، ومن الباب النجل ، وهو النسل ، لأن الوالدة كأنها ترمي به ، ومنه النجل : النز كأنه ندى تقلسه الأرض وترمي به ، والأصل الآخر النجل سعة العين في حسن ، وطعنة نجلاء واسعة ، ونجلت الإهاب شققته عن عرقوبيه جميعاً ، كما تسلخ الجلود ، ومما شذ عن هذين البابين النجيل : ضرب من ورق الشجر من الحمض ، وانجلت الأرض اخضرت » . ولا تطابق الكلمة التي في الشعر أي واحد من هذه المعاني في سياقها ، أما رواية بغية الطلب فهي هكذا : « وكله » والكل العجز والضعف .

(18) في « العقد الفريد » لابن عبد ربه (3 : 213) : « قال الحسن : ابن آدم ، أنت أسير في الدنيا، رضيت من لذتها بما ينقضي، ومن ملكها بما ينفد، فلا تجمع الأوزار لنفسك =

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه   يا ليت شعري ما أبقى لك المال
القوم بعدك في حال تسرهم   فكيف بعدهمُ صارت بك الحال
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد   واستحكم القيل في الميراث والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم   وأدبرت عنك ، والأيام أحوال

] (19) من ذلك قول بعضهم (20) :

زيادة المرء في دنياه نقصان   وربحه دون محض الدين خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له   فإن معناه في التحقيق فقدان

= ولأهلك الأموال ، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك ، أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه   فليت شعري . . . . .الأبيات»

(19) ما بين العلامتين لا يوجد في المخطوطات الثلاث ، وهو في الطبعة الفاسية ، وعنها طبعناه هنا مضافاً مزيداً .

(20) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي ، نسبها إليه السبكي في « طبقات الشافعية » بالإسناد التالي : « أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن حسن بن داوود الكردي قراءة عليه وأنا أسمع ، عن محمد بن عبد الهادي ، عن الحافظ أبي طاهر بن سلفة ، أنا الإمام أبو المحاسن الروياني ، أخبرنا الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني بنيسابور ، أنشدنا أبو الفتح البستي لنفسه قال :

كل الذنوب فإن الله يغفرها   ان يتبع المرء إخلاص وإيمان
وكل كسر فإن الله يجبره   وما لكسر قناة الدين جبران

قلت :وهذان البيتان من كلمة طيبة لأبي الفتح تسمى : « عنوان الحكم » ، مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان   وربحه غير محض الخير خسران

(انتهى كلام السبكي في الطبقات نصاً (ج 4 : ص 4 – 5) .

وذكرها صاحب « كشف الظنون » فقال : « قصيدة البستي وهو أبو الفتح علي بن محمد الكاتب الشاعر المتوفى سنة 401 أولها :

زيادة المرء في دنياه نقصان   وربحه غير محض الخير خسران

في نحو ستين بيتاً في المعارف والزهد » .

يا عامراً لخراب الدهر مجتهـداً ... بالله هل لخراب الدهر عمران

ويا حريصاً على الأموال يجمعها ... نسيت أن سرور المال أحزان

دع الركون إلى الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران

وأرْعِ سمعك أمثالاً أفصلها ... كما يفصل ياقوت ومَرْجان

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

وكن على الدهر مِعواناً لذي أمل ... يرجو نداك فإن الحر مِعوان

من جاد بالمال مالَ الناس قاطبةً ... إليه والمال للإنسان فتّان

من كان للخير منّاعاً فليس له ... عند الخليقة إخوان وأخدان

لا تخدشنَّ بمَطْلٍ وجهَ عارفةٍ ... فالبر يخدِشه مطْلٌ وليّان

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح فيما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

من يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شر من عزّوا ومن هانوا

حسْبُ الفتى عقله خِلاً يعاشره ... إذا تجافاه أصحاب وأعوان

لا تستشر غير شخص حازم فطن ... قد استوى منه إسرار وإعلان

فللتدابير فرسانٌ إذا ركضوا ... فيها أبرّوا كما للحرب فرسان

وللأمور مواقيت مقـدَّرة ... وكلّ أمر له حدّ وميزان

من رافق الرفق في كل الحوادث لم ... يندمْ عليه ولم يذمُمْه إنسان

ولا تكن عاجلاً في الأمر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران(21)

---

(21) البحران مصطلح طبي شرحه الشيخ مرتضى في «تاج العروس» فقال : «وبحران المريض بالضم مولد ، وهو عند الأطباء التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة ، ويقولون : هذا يوم بحران مضافاً ، وفي نزهة الشيخ داوود الأنطاكي : البحران بالضم لفظة يونانية وهو عبارة عن الانتقال من حالة إلى أخرى في وقت مضبوط، ثم الانتقال =

وذو القناعة راضٍ في معيشته — وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
كفى من العيش ما قد سد من رمق — ففيه للحر إن حققت غُنيان
هما رضيعا لِبانٍ حكمةٌ وتُقىً — وساكنا وطنٍ مالٌ وطغيان
من مد طرفاً بفرط الجهل نحو هوى — أغضى عن الحق يوماً وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له — على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نَصَباً — لأن طبعهم بَغْيٌ وعُدوان
ومن يفتش على الإخوان مجتهداً — فجل إخوان هذا الدهر خوّان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه — ندامة ولحصد الزرع إبّان
من استنام إلى الأشرار نام وفي — قميصه منهم صلٌّ (22) وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم — وعاش وهو قريرُ العين جذلان
من كان للعقل سلطان عليه غدا — وما على نفسه للحرص سلطان
وإن أساء مسيء فليكن لك في — عررض زلته صفح وغفران
إذا نبا بكريم موطن فلـــه — وراءه في بسيط الأرض أوطان
لا تحسبن سروراً دائماً أبــداً — من سره زمن ساءته أزمان
يا ظالماً فرحاً بالعز ساعده — إن كنت في سنَةٍ فالدهر يقظان
يا أيها العالم المرضيّ سيرتــه — أبشر فأنت بغير الماء ريّان

= المذكور إما إلى الصحة أو إلى المرض ، والأول البحران الجيد ، والثاني الرديء »
انتهى كلام « التاج » وتكلم به شاعر ظريف فقال :

جس الطبيب يدي جهلا فقلت له : — إليك عني فــإن اليوم بحراني
فقال لي : ما الذي تشكو فقلت له : — إني هويت لجهلي بعض جيراني
فقام يعجب من قولي وقال لهم : — إنسان سوء فــداووه بإنسان

(22) قال ابن منظور في « اللسان » : « الصل الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها ، أو التي لا تنفع فيها الرقية » .

ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج فأنت ما بينها لا شك ظمآن
دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان
صُن حُرَّ وجهك لا تهتك غلائله (23) فكل حر لحُر الوجه صوّان
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم غرائز لست تحصيها وألوان
ما كلُّ ماء كصدّاء (24) لوارده نعم ولا كل نبت فهو سعدان (25)
من استعان بغير الله في طلب فإن ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان
لا ظل للمرء يغني عن تُقى ورضاً وإن أظلته أوراق وأفنان

---

(23) في « لسان ابن منظور » : « الغلالة شعار يلبس تحت الثوب ، لأنه يتغلل فيها أي يدخل ، وفي « التهذيب » : الغلالة الثوب الذي يلبس تحت الثياب أو تحت درع الحديد ، واغتللت الثوب لبسته تحت الثياب » . نقول : وجمع الغلالة غلائل ، وفي الطبعة الفاسية « غوائله » وهو تصحيف .

(24) في « مجمع الأمثال » للميداني : « ماء ولا كصداء — قال المفضل : صداء ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها قال ضرار السعدي :

وإني وتهيامي بزينب كالذي تتطلب من أحواض صداء مشربا

يريد أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرط حسنها ، كالذي يرد هذا الماء فإنه يزاحم عليه لفرط عذوبته » يضرب مثلا في تفضيل الشيء على غيره وإن كان فاضلا .

(25) وفيه أيضاً : « مرعى ولا كالسعدان — قال بعض الرواة : السعدان أخثر العشب لبناً وإذا خثر لبن الرعية كان أفضل ما يكون وأطيب وأدسم ، وهو من أنجع المراعي في المال ولا تحسن على نبت حسنها عليه . يضرب مثلا للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله » . وأنشد المبرد في « كامله » شعراً جاء فيه المثلان وهو :

يا وزراء السلطان أنتم وآل خاقان
كبعض ما روينا في سالفات الأزمان
ماء ولا كصدا مرعى ولا كالسعدان

سَحْبانُ (26) من غير مال باقلٌ (27) حَصِرٌ
وباقلٌ في ثراء المال سَحْبان

والناس أعوان من والتْه دولته | وهم عليه إذا خانته أعوان

يا رافلاً في الشباب الوَحف منتشياً | من كأسه هل أصاب الرشد نشوان

لا تغترّر بشباب ناعم خضلٍ | فكم تقدم قبل الشّيب شبان

ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم | يكن لمثلك في الأشراف إخوان (28)

هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها | ما بال شيبك يستهويه شيطان

كل الذنوب فإن الله يغفرها | إن شيع المرء إخلاص وإيمان

وكل كسر فإن الله يَجْبُرُه | وما لكسر قناة الدين جبران

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة | فلا يدوم على الإنسان إمكان

فالروض يزدان بالأنوار فاغمةً | والحر بالعدل والإحسان يزدان

خذها سوائرَ أمثال مُهذبة | فيها لمن يبتغي التّبيان تِبيان

ما ضرّ حسانها والطبع صائغها | أن لم يصغها قريعُ الشعر حسّان

وذيل عليها بعضهم فقال :

وكن لسنّة خير الخلق متبعاً | فإنها لنجاة العبد عنوان

---

(26) هو سحبان بن زفر بن إياس ، يضرب به المثل في الفصاحة ، توفي سنة 54 هـ .

(27) قال عنه ابن السيد البطليوسي في شرحه على « سقط الزند » وهو يفسر قول أبي العلاء :

إذا وصف الطائي بالبخل مادر | وعير قساً بالفهاهة باقل

« وأما باقل فإنه رجل من إياد اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً فمر بقوم وهو يحمله فقالوا له : بكم اشتريت هذا الظبي ؟فأشار بيديه – يريد عشرة – وأخرج لسانه ليتم به الأحد عشر فأفلت الظبي فضرب به المثل في العي » .

(28) رواية البيت في « الطبقات السبكية » هكذا :

ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم | يكن لمثلك في اللذات إمعان

فهو الذي شملت للعبد أنعمه   وعمهم منه في الدارين إحسان
جبينه قمر ، قد زانه خَفَرٌ ،   وثغرُه دُرَرٌ غُرٌّ ومرجان
والبدر يخجل من أنوار طلعته   والشمس من حسنه الوضاح تزدان
ومُذْ (29) أتى أبصرت عُمْيُ القلوب به
سُبْلَ الهدى وَوعَت للحقّ آذان
به توسّلْنا في محو زلتنا   لربنا إنه ذو الجود منّان
يا رب صل عليه ما همَى مطر   فأينعت منه أوراق وأغصان
وابعث إليه سلاماً زاكياً عطراً   والآلِ والصحب لا تُفنيه أزمان

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(29) في الطبعة الفاسية : « وقد » صوابه : « ومذ » لأن المعنى عليه .

[القصيدة الزينبية]

ومن ذلك القصيدة الزينبية (1) :

صرمت حبالك بعد وصلك زينبُ   والدهر فيـــه تغير وتقلبُ
نشرت ذوائبهـــا التي تزهو بها   سُوداً ورأسك كالثغامة (2) أشيبُ
واستنفرت لمـــا رأتك وطـــالما   كانت تحن إلى لقاك وتـــرغب
وكذاك وصل الغانيات فإنـــه   آلٌ ببلقَعَةٍ وبـــرقٌ خُلّبُ
فدع الصبا فلقد عداك (3) زمانـــه   وازهد (4) فعمرك مرّ منه الأطيب
ذهب الشباب فما له من عودة   وأتى المشيب فـــأين منه المهرب ؟
دع عنك ما قد كان في زمن الصبا   واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

(1) القصيدة الزينبية هذه تنسب للإمام علي رضي الله عنه نحلا ، وفي الراجح أنها لصالح بن عبد القدوس ، وهي مودعة في مجموعة أشعاره ، وهي بمذهبه وطريقته أشبه ، وقد طبعت في « الدراري السبعة » ببيروت سنة 1884 م ، وأفردت بشرح وضعه عليها الشيخ عبد المعطي بن سالم السملاوي وسماه : « التفاحة الوردية ، في شرح القصيدة الزينبية » . وقد طبع هذا الشرح بمصر مرات ، وعليها شرح آخر من عمل علي بن المقري ، ولها ترجمة إلى اللغة التركية من عمل عزت علي ، وعليها تخميس من نظم عبد الوهاب بن أحمد بن عربشاه توجد مخطوطته بمكتبة غوتا بألمانية ، وخمسها أيضاً علي بن منصور بن نجم ، ويوجد تخميسه مخطوطاً بمكتبة الإسكندرية ، وانظر في القصيدة الزينبية : « تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان الجزء الأول ص 178 ترجمة عبد الحليم النجار .

(2) الثغامة واحدة الثغام ، وهو ما فسره الفيومي في المصباح فقال : « الثغام مثل السلام نبت يكون بالجبال غالباً ، إذا يبس ابيض ، ويشبه به الشيب » .

(3) في الطبعة الفاسية : « عراك » بالراء وهو تصحيف .

(4) وفيها : « اجهر » وصوابه : « ازهد » أو « اجهد » كما في رواية أخرى .

واذكر مناقشة الحساب فـــإنّه	لا بد يُحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه (5) الملكان حين نسيته	بل أثبتــاه وأنت لاهٍ تلعب
والروح فيك وديعـــة أودِعْتَها	ستَرُدّها بـالرغم منك وتُسلَب
وغرور دنيـاك التي تسعى لهـا	دار حقيقتهــا متاع يـذهب
والليل فاعلم والنهـار كلاهما	أنفاسنا فيـــه تُعدُّ وتحسب
وجميع مـــا حصلته وجمعته	حقــاً يقيناً بعد موتك ينهب
تبــاً لدار لا يدوم نعيمهـــا	ومَشيدُها عمّا قليل يَخْرَب
فاسمع أُخيَّ وصيــة أولاكها	برّ نصوح لـلأنام مجرب
[أهدى النصيحة فاتّعظ بمقـاله	فهو التقي اللوذعي الأدرب] (6)
صحب الزمـان وأهله مستبصراً	ورأى الأمور بما تثوب وتعقب
لا تأمَنِ الدهر الخئون فـــإنه	ما زال قدماً للرجال يؤدب (7)
وعواقب الأيام في غُصّاتهـــا	مَضَضٌ يذل لها الأعز الأنجب
فعليك تقوى اللهِ فـالزمها تفز	إن التقي هو البَهيُّ الأهيب
واعمل بطاعتـه تنل منه الرضا	إن المطيع لربـــه لمقـرب
واقنع ففي بعض القنـــاعة راحة	واليأس عما فات فهو (8) المطلب
فإذا طمعت لبست ثوب مـذلة	فبذا اكتسى ثوب المذلة أشعب(9)
وتَوَقَّ مـن غدر النساء خيانـة	فجميعهن مكايد لك (10) تُنْصَب

(5) وفيها « لم ينسها » وهو خطأ .
(6) ما بين العلامتين زيادة من مجاني الأدب للأب لويس شيخو .
(7) في الطبعة الفاسية : « مؤدب » بصيغة اسم الفاعل ، ولا تصح رواية ولا تستقيم إعراباً .
(8) في الطبعة الفاسية : « هو » ولا يستقيم معها الوزن الشعري إلا بتشديد الواو وذلك لغة رديئة في هو .
(9) في الطبعة الفاسية : « أشهب » وهو خطأ .
(10) في الطبعة الفاسية : « إذ » في موضع لك .

لا تأمن الأنثى (11) حياتَك إنها   كالأفعوان يُراع (12) منه الأنيب
تُغْري بلـين حديثهـا وكلامهـا
فإذا سطت فهي الصقيل (13) الأشطب (14)
وابدأ عدوك بـالتحية ولتكـن   منهُ زمانَك خائفاً تـترقب
واحذره إن لاقيته (15) متبسّماً   فالليث يبدو نابُـه إذ يغضب
إن العدو وإن تقادم (16) عهده   فالحقد باقٍ في الصدور مغيب
وإذا الصديق لقيتـه متلونـاً   فهو العدو وحقه (17) يتجنب
لا خير في ود امرىء متملـقٍ   حلو اللّسان وقلبـه يتلهـب
يلقـاك يحلف أنّـه بك واثق   وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك مـن طرف اللسان حلاوة   ويروغ عنك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام ولو رموك بجفوة   فالصفح عنهم والتجاوز أصوب
فاختـر قرينك واصطفيه مواتياً   إنّ القرين إلى المقـارن ينسب
إنّ الغنيَّ من الرجـال مكرم   وتراهُ يرجى ما لديه ويرهب
فاخفض جناحك للأقارب كلهم   بتـذلل واغفر لهم إن أذنبوا
وذر الكذوب ولا يكن لك صاحباً   إن الكذوب يشين حراً يصحب

---

(11) وفيها : « الدنيا » بدل الأنثى .
(12) وفيها : « يرعى » والصواب : « يراع » .
(13) وفيها : « الثقيل » بدل « الصقيل » . ولا معنى للثقيل هناك .
(14) في لسان ابن منظور : « قال أبو سعيد : الشطب السيف » وفيه أيضاً : « وشطوب السيف طرائقه التي في متنه ، وسيف مشطب ومشطوب فيه شطب » .
(15) في الطبعة الفاسية : « لقيته » ولا تستقيم عروضاً .
(16) في الطبعة الفاسية : « تقدم » وليس عليه المعنى .
(17) في الطبعة الفاسية : « وحق أن يتجنب » .

والفقر شَيْنٌ في الرجال وإنّــه حقاً يهون به الشريف الأنسب(18)
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثارة في كل ناد تخطب (19)
وتوقّ من عـثراتــه من زلة فالمرء يسلم بـاللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق بـــه [فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
واحرص على حفظ القلوب من الأذى فرجوعهـا بعد التنافر يصعب
إن القلوب إذا تنافر ودها] (20) شبه الزجاجة كسرها لا يُشعَب
وكذاك سر المرء إنْ لم يطْـوِه نشرته ألسنة تزيـد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفـاً يـروم تحيـلاً والرزق ليس بحيلـة يستجلب
كم عاجز في الناس يأتي رزقه رغداً ويحرم كَيّسٌ ويخيَّـب
وارع الأمانة ، والخيانةَ فاجتنب واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
وإذا أصابك نكبـة فاصبر لهـا من ذا رأيت مسلماً لا ينكب
وإذا رُميت من الزمـان بريبـة أو نالك الأمر الأشد الأصعب
فاضرع لربك إنـه أدنى لمـن يدعوه من حبْل الوريد وأقرب
كن ما استطعت من الأنام بمعزل إن القليل من الورى من تصحب(21)
واحـذر مصاحبـة اللئيم فـإنها تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجرب
واحذر من المظلوم سهماً صائباً واعلم بـأن دعـاءه لا يحجب

---

(18) في الطبعة الفاسية : « يزري بمن يدعى الشريف الأنسب » .
(19) وفيها : « في كل واد تطلب » ولا معنى للطلب في سياق الكلام .
(20) ما بين العلامتين زيادة من بعض المصادر ، ولا يستقيم السياق بدونها .
(21) في رواية أخرى : « إن الكثير من الورى لا يصحب ».

وإذا رأيت الرزق عزّ ببلـــدة وخشيت فيها أن يضيق المكسب (22)

فارحل فأرض الله واسعة الفلا (23) طولاً وعرضاً شرقهـــا والمغرب

[فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتّي فالنصح أغلى ما يباع ويوهب] (24)

لله الأمر من قبل ومن بعد

(22) في رواية أخرى : « المذهب » بدل : « المكسب » .

(23) في بعض المصادر : واسعة الفضا .

(24) ما بين العلامتين زيادة جاءت في بعض المراجع التي روت القصيدة .

[تائية المقرىء في المواعظ]

وللعلاّمة المقرىء (1) رحمه الله :

إلى كم تماد (2) في غرور وغفلة ؟ وكم هكذا نوم؟ متى يوم(3) يقظة ؟
لقد ضاع عمر ساعةٌ منه تشترى بملء السما والأرض أيّةَ ضيعة
أتنفق هذا في هوى هـــذه التي أبى الله أن تسوى جناحَ بَعوضة
وترضى من العيش السعيد (4) تعيشه مع الملأ الأعلى بعيش البهيمة
أيا درة بـين المزابـل ألقيت وجوهرة بيعـت بأبخس قيمـة

(1) ترجمه الشوكاني في « البدر الطالع » (ج 1 ص 142 – 145) . فقال : « إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم ، الشرف الشرجي اليماني الشافعي المعروف بالمقرىء الزبيدي ولد سنة 754 وقرأ في عدة فنون ، وبرز في جميعها ، وفاق أهل عصره ، وطال صيته ، واشتهر ذكره ، ومهر في صناعة النظم والنثر ، وجاد بما لا يقدر عليه غيره ، وأقبل عليه ملوك اليمن ، وصار له حظ عظيم عند الخاص والعام ، مات في سنة 837 » .
له من المصنفات التأليف العجيب المسمى : « عنوان الشرف الوافي ، في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي» ، (مطبوع) « والإرشاد في فروع الشافعية » (مطبوع) . « وديوان شعر » (مطبوع) .
وتائية ابن المقرىء هذه عرف بها صاحب كشف الظنون فقال : « القصيدة التائية في التذكير – لشرف الدين إسماعيل بن المقرىء اليمني المتوفى سنة 837 أولها : إلى كم تمادى في غرور وغفلة . . . (الخ) . شرحها الشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي في محرم سنة 945 باسلامبول » .

(2) في كشكول العاملي : « تمادى » .

(3) في الكشكول : « وكم هكذا نوم إلى غير يقظة » .

(4) في الكشكول : « الرغيد » .

أفانٍ بباقٍ تشتريــهِ سفاهــة ؟ … وسخطاً برضوان وناراً بجنة ؟
أأنتَ صديق أم عــــدو لنفسه … فــإنك ترميهــا بكلّ مصيبة
ولو فعل الأعــدا بنفسك بعض ما … فعلت لمستهم لهــا بعض رحمة
لقد بعتها—حزني عليك—(5) رخيصة … وكانت بهذا منك غير حقيقــة
فَوَيْلكَ استقل لا تفضحنها بمشهد … من الخلق إن كنت ابن أمٍ كريمة
فبين يديهــا موقف وصحيفــة … تقاد (6) عليهــا كل مثقال ذرة
كَلِفْتَ بها دنيا كثير غرورهــا … تعامل (7) من في نصحها بالخديعة
إذا أقبلت ولت وإن هي أحسنت … أساءت وإن صفت فثق بالكدورة
ولو نلت منها مالَ قارونَ لم تنلْ … سوى لقمة في فيك منه وخِرْقة
وهبك ملكت الملك فيها ألم تكن … لتنزعه من فيك أيدي المنية ؟
فدعها وأهليهــــا وفِرَّ وخذ كذا … بنفسك عنهــا فهي كل الغنيمة
ولا تغتبط منهــا بفرحــة ساعة … تعود بأحزان عليك طويلــة
فعيشك فيهــا ألف عام وينقضي … كعيشك فيها بعض يوم وليلــة
عليك بما يجرى(8) عليك من التقى … فإنك في سهو عظيم وغفلــة
مجالس ذكر الله يُلهيك أن ترى … بها ذاكراً للهِ ضعف العقيدة
إذا شرعوا فيها تجشمت قــائماً … قيامك ذا قل لي إلى أي لعنــة
وإن كان لهواً أو أحاديث ريبة … وثبت وثوب الليث نحو الفريسة
تصلي بلا قلب صلاةً بمثلهــا … يكون الفتى مستوجبــاً للعقوبة

---

(5) في الكشكول : « هوناً عليك » .
(6) هو من أقاد الأمير القاتل بالقاتل إذا قتله به قصاصاً .
(7) رواية الكشكول : « تقابلنا في نصحها بالخديعة » .
(8) في الكشكول : « يجدي » وهي أوفق .

تظل (9) وقد تممتها غير عــالمٍ تزيد احتياطاً ركعة بعــد ركعة
فويحك تدري من تناجيــه معرضاً وبين يدي من تنحني غيرَ مُخْبِت
تخاطبــه إيــاك نعبــد مقبلاً عــلى غيره فيهــا لغير ضرورة
ولو ردّ من ناجاك للغير طرفــه تميزت من غيظ عليــه وغيرة
أما تستحي من مالك الملك أن يرى صدودك عنه يــا قليل المروءة
صلاة أقيمت يعلم الله أنهـــا بفعلك هــذا طــاعة كالخطيئة
وأقبح منهــا أن تدل بفعلهــا كمن قلد المدلول بعد صنيعة
وأن يعتّريك العُجْب أيضاً بكونها على مــا حوته من ريــاء وسمعة
ذنوبك في الطاعات وهي كثيرةٌ إذا عددت تغنيك (10) عن كل زلة
سبيلك أن تستغفر اللهَ بعــدها وأن تتلافى الذنب منها بتوبة
فيا عاملا للنــار جسمك ليّنٌ فجربه تمرينــاً بحرِّ الظهيرة
وجربــه في لسع الزنابير تجتني على نهش حيات هناك عظيمة
فإن كنت لا تقوى فويلك ما الذي دعاك إلى إسخــاط ربّ البريّة
تعـــامله بـــالمنكرات عشيّةً وتصبح في أثواب نسك وعفّة
فأنت على ما أنت أجرا لدى الورى بما فيك من جهل وخبث السريرة
تقول مع العصيان ربّيَ غــافر صدقت ولكن غــافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غــافرٌ فلِمْ لَمْ تصدق فيهما بالسوية
فإنك (11) ترجو العفو من غير توبة ولست ترجّي الرزق إلاّ بحيلة

---

(9) في الكشكول : « تصلي » .
(10) في الكشكول : « تكفيك » .
(11) في الكشكول : « فكيف » .

على أنــه بالرزق كفــل نفسه لكل ولم يكفل لكل بجنة (12)
فلم ترض إلاّ السعي فيما كُفيتَه وإهمال ما كُلّفته من وظيفة (13)
تسيء بــه ظنــاً وتحسن تارة على قدر ما يعطي الهوى في القضية (14)
إلهي لا تواخِذَنْ (؟) بذنوبنــا ولا تخزنــا وانظر إلينا برحمة
إلهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا إلى الحق نهجاً في سواء الطريقة
وكن شغلنــا في كل شغل وهمنا وبغيتنــا عن كل هم وبغية
وصل صلاة لا تنــاهى على الذي جعلت به مسكاً ختــام النبوءة
وآل وصحب أجمعين وتــابع وتابعهم من كل إنس وجِنّة](15)

لله الأمر من قبل ومن بعد

---

(12) رواية الكشكول : للبيت هكذا :

وها هو بالأرزاق كفل نفسه ولم يتكفل لــــلأنام بجنة

(13) رواية الكشكول للبيت كما يأتي :

ومــا زلت تسعى للذي قد كفيته وتهمل ما كلفته من وظيفــة

(14) في الكشكول : « على حسب ما يقضي الهوى في القضية » .

(15) هنا انتهت الزيادة التي توجد بالطبعة الفاسية ولا توجد بالمخطوطات الثلاث .

خـــاتمة

[في ذكر جماعة من شيوخ العلم والتصوف لقيهم المؤلف]

أسرد من حضر الآن في فكري ممن لقيت وتبركت به ممن اتسم بالخير و <اشتهر> (1) بالصلاح تبركاً بهم ، فإنه [قد] (2) قيل : تتنزل الرحمة (3) عند ذكر الصالحين ، [وقال القائل :

اسرد حديث الصـــالحين وسمهم   فبذكرهم تتنـــزل الرحمـــات
واحضر مجـــالسهم تنـــل بركاتهم   وقبورهم زرها إذا ما ماتوا (4)

ولم أتعرض لأحوالهم لأن ذلك يطول ، والكتاب غير موضوع له ، فاكتفيت بذكر أسمائهم (5) .

فمنهم [من] (6) الطائفة الغازية بسجلماسة سيدي أحمد بن أبي القاسم (7) ابن مولود [الجاوزي السجلماسي] (8) زرته مراراً ، وأبوه

---

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(2) ما بين العلامتين زيادة في س و ح .
(3) في ك و ح : « الرحمات » بالجمع .
(4) ما بين العلامتين وارد في ك و ح .
(5) في ك : « أحوالهم » وهو غلط .
(6) ساقط من س .
(7) في ك : « بلقاسم » بدل أبي القاسم .
(8) ما بين العلامتين زيادة من ك وح وهو ساقط في س .

أبو القاسم من مشاهير أصحاب شيخ [مشايخنا] (9) <سيدي> (10) أبي القاسم الغازي ؛ وجده سيدي مولود من أصحاب شيخ الطوائف المغربية أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف <الراشيدي الملياني وسيدي عبد الكريم ابن أحمد بن يوسف> (11) زرته <أيضاً> (12) <مراراً> (13) وأبوه هو ابن أخي الشيخ أبي القاسم الغازي وأحد أصحابه، وسيدي البكري ابن أحمد بن أبي القاسم بن مولود المتقدم، وسيدي مبارك بن محمد (14) الغرفي العنبري ، وشيخنا الأستاذ سيدي أحمد الدراوي .

وبدرعة أستاذنا ومُفيدنا الإمام الهمام بحر الشريعة والحقيقة ، وسراج الطريقة ، أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر ؛ وشيخه سيدي عبد الله بن حسن الرقي ؛ وشيخه سيدي أحمد بن علي الحاجي ، وشيخه سيدي أبو القاسم الغازي ، وجماعة من أصحــاب الشيخ ومن أولاده يطول ذكرهم : فمنهم (15) خليفته سيدي أحمد بن محمد بن ناصر ، وأخوه [الشيخ] (16) سيدي الحسين بن محمد بن ناصر ، وسيدي منصور أحد أولاد الشيخ سيدي أحمد بن علي ، ومنهم <سيدي> (17) أحمد بن عبد الصادق الرتبي ، ومنهم سيدي أبو طاهر (18) بن عبد الله بن أبي بكر السجلماسي ؛ ومنهم

---

(9) زيادة من ح .

(10) ساقط من ح والكلمتان : « مشايخنا » «سيدي» ساقطتان من س .

(11) ما بين العلامتين ساقط من س .

(12) ساقط من ح .

(13) ساقط من س .

(14) في ك : « مبارك بن أخي الغرفي » .

(15) في ك و س : « منهم » بدون الفاء .

(16) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(17) ساقط من ح .

(18) في ح : « أبو حامد » موضع : « أبو طاهر » .

المولى أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني المعروف بابن علي ، وكنت عقدت معه عقد المحبة الخاصة ، وكتبت إليه (19) في شأن ذلك من الزاوية البكرية كتاباً وفيه :

يا ابن الكرام الصِّيدِ من فِهْرِ	أُولي المعالي السادة الزُّهْرِ
مَنْ بَيْتُهم يعلو الثريّا ومن	حذَوْا (20) نعالاً رُقْعَةَ البدرِ
ومن صفَوْا قِدماً وصُوفوا (21) على	كل الورى في سالف الدهر
هذا سلام الله يغدوكم (22)	على مطايا الشّوق من صدري
شيعته من صفو ودي لكم	بنسمة طيبة النَّشْرِ
أبهى وأذكى من نسيمٍ سرى	سحيرة من جانب الشِّحْر (23)
في روضة غنّاء يزهو بها	غِبَّ الندى مؤتلقُ الزَّهْر
سلام من لم يختلل (24) قلبه	لكم سوى ود بلا غِمْر (25)
رأس صفي لم يشب محضه	صرف ولا أزرى به مزر
فإن يكن هجر فممّا جنت	نفسي ، ولكن عنده عذري

---

(19) في ك وفي ح : « وكتب إلي » بدل : « وكتبت إليه » .

(20) في ح : « حاذوا » .

(21) في ح : « رصوفاً » ولا معنى له .

(22) يقال : غدا عليه إذا بكر معدى بواسطة الحرف ، ولم يعرف متعدياً بنفسه ، وفي مخطوطة الكتاني : « يغزوكم » وهي نابية في مكانها ، وربما ناسب أن تقرأ : « يعروكم » من عراه يعروه إذا ألم به وغشيه أو قصد إليه طالباً .

(23) الشحر بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة بعدهما راء قال عنه ياقوت في معجم البلدان : « صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وإليه ينسب العنبر الشحري لأنه يوجد في سواحله ».

(24) يقال : اختله إذا دخله ونفذ فيه ، قال الزبيدي في « التاج »: « اختله بالرمح نفذه كما في المحكم وقيل : انتظمه كما في « التهذيب » .

(25) الغمر : الحقد وزنا ومعنى .

إن جزاء الحُبّ حُبّ كما   قد قاله الشبلي أبو بكر (26)

ومنهم العالم العلاّمة المولى أبو محمد سيدي عبد الهادي بن عبد الله بن علي ابن طاهر الحسني أخو المذكور قبله وأكبر منه سناً وعلماً . [ومنهم شيخنا أبو بكر بن الحسن التطافي] (27) ومنهم شيخنا أبو عبد الله [سيدي] (28) محمد بن محمد المرابط الدلائي . ومنهم شيخنا أبو محمد سيدي عبد القادر بن علي الفاسي . ومنهم شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد السوسي المرغّي (29) ، وأخونا في الله سيدي عبد الله الشريف المصمودي ، ومحبنا سيدي أحمد بن محمد اليماني ، وصاحبه أخونا [في الله] (30) سيدي أحمد ابن محمد الأندلسي ، والأستاذ سيدي عبد الرحمان بن القاضي ، والحاج عبد العزيز الفلالي (31) ، <وسيدي> (32) علي بن محمد الشريف <وسيدي عبد الله بن إبراهيم الفلالي> (33) وسيدي عبد الله بن إبراهيم الفاسي وسيدي أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي وسيدي إسماعيل بن سعيد

---

(26) أشار إلى ما جاء في أبيات للشبلي تقول :

عودوني الوصال والوصل عذب   ورموني بالصد والصد صعب
زعموا حين أزمعوا أن ذنبي   فرط حبي لهم ، وما ذاك ذنب
لا وحق الخضوع عند التلاقي   ما جزا من يحب ألا يحب

(27) ما بين العلامتين زيادة من ك و س و ح .

(28) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(29) كذا في الأصل ، ومثله في ح وفي ك : « المرغّي بثاء مثلثة أما س فجاءت فيها النسبة هكذا : « المرغيْي » .

(30) ما بين العلامتين زيادة من ك و س و ح .

(31) في س : « الفيلالي » بالياء بعد الفاء .

(32) ما بين العلامتين ساقط من س .

(33) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

الدكالي وسيدي شعيب بن علي العباس (34) وسيدي محمد بن أحمد الهشتوكي وسيدي منصور الدرعي التيرستي والحاج الحسين الدرعي وسيدي محمد بن عبد الله الزولتي وسيدي محمد بن عبد الله أحشوي ، وسيدي محمد بن الشيخ الوفراوي (35) والثلاثة من درعة . وسيدي عبد الله بن محمد العياشي . وسيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي ، وسيدي علي بن موسى السوسي ، وسيدي محمد <بن موسى> (36) الشليح الزعري ، وسيدي عبد الله بن أحمد بن رحال ، وسيدي محمد بن موسى ، وسيدي أبو جمعة بن مسعود ، وسيدي سعيد بن عبد القادر الرجراجيون (37) ، وسيدي الوافي بن إبراهيم . وسيدي الصغير بن المنيار (38) وابن عمه سيدي البصري ، والفقيه سيدي محمد بن سعيد السملالي <السوسي> (39) وسيدي محمد بن عبد القادر الونجلي ، وسيدي أبو القاسم بن موسى ، وسيدي محمد بن أبي بكر العياشي ، وعائشة العدوية والحاج أحمد العجل ، والأستاذ الطاهر الشريف .

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه من خط المصنف بواسطتين عند العصر يوم الاثنين السابع والعشرين من رجب الفرد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين عدد ما في علم الله صلاة وسلاماً تامين دائمين بدوام ملك الله .

---

(34) كذا في الأصل . وفي ك و س و ح : « العباسي » بياء النسبة .
(35) كذا في الأصل ، ومثله في س وأصلحت النسبة في هامش ك بالوافراوي بألف بين الواو والفاء وكذلك طبعت في ح .
(36) ما بين العلامتين ساقط من ك وكذا من س ومن ح أيضاً .
(37) في ك : « الرجراجي » بالإفراد .
(38) في ك : « ابن منيار » بالتنكير .
(39) ما بين العلامتين ساقط من ح وحدها .

وفي آخر هذا الانتهاء دعاء وقع على كتابته لفق ورقي لعله جعل وصلا لخرق وقع هناك .

وجاء بهامش المخطوطة الكتانية بقية من مسرد الشيوخ هذا نصها :

[والفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الشريف ملازم الحرمين الشريفين ، والعلاّمة سيدي الخرشي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، نفعنا الله بمحبتهم في الدارين ، آمين وصلى الله على سيدنا محمد سيد البشر ، والشفيع في المحشر . وآله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كمل الكتاب المبارك بحمد الله وحسن عونه] .

وكتب بآخر النسخة الكتانية أيضاً ما يأتي : [انتهى ما وجد من هذا التقييد المبارك نور الله ثرى مؤلفه ورضي عنه وأفاض علينا من بركته وبركة من ذكر فيه من الأخيار ، الصالحين الأبرار ، وحشرنا معهم ، على يد محمد الطيب بن علي (. . . . . . .) (40) الحسني القصري لطف الله به وكان الفراغ منه ضحوة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى عام ستة وثلاثين ومائة وألف].

---

(40) البياض الذي بين العلامتين به كلمة تشابهت علينا كتابتها فما اهتدينا إلى قراءتها فأغفلناها احترازاً من طبعها على غير وجهها الصحيح .

محتويات المحاضرات

الجزء الأول

مقدمة الطبعة الثانية

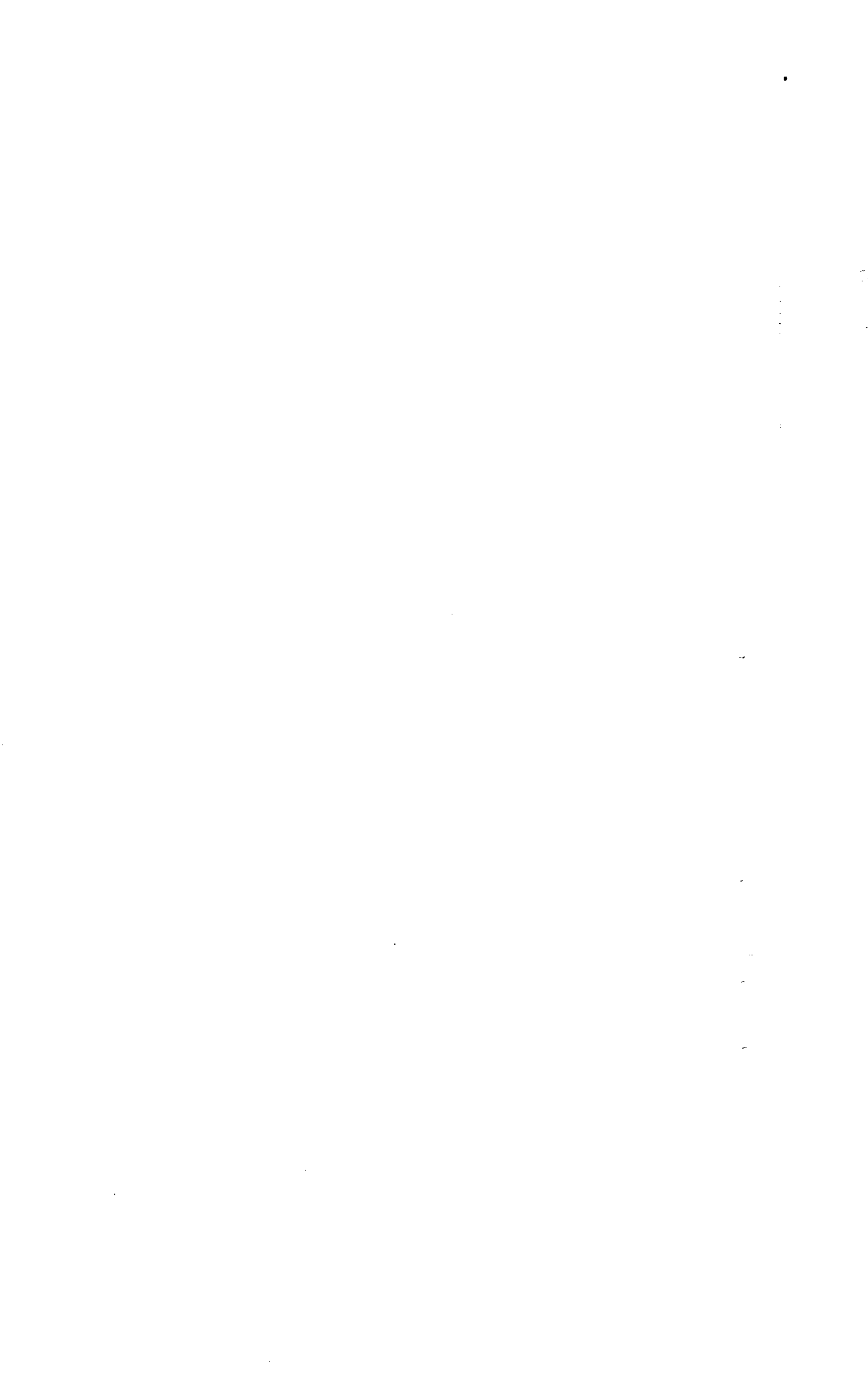
ترجمة اليوسي في نصوص

نص المحاضرات

الجزء الثاني



الفهارس العامة



فهرس الأعلام

حـرف الهمـزة

حرف الباء

حـرف التـاء

حـرف الثـاء

حـرف الجيـم

حـرف الحـاء

حـرف الخـاء

حـرف الـدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حـرف السـين

حـرف الشـين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حـرف الغـين

حـرف الفـاء

حـرف القـاف

حرف الكاف

حرف اللام

حـرف الميـم

حـرف النـون

حرف الهاء

حـرف الـواو

حـرف اليـاء

فهرس الاجناس والامم والطوائف

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حـرف الـلام

حـرف الميـم

حـرف النـون

حـرف الـواو

حـرف اليـاء

فهرس البقاع والاثار

حـرف الهمـزة

حـرف البـاء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حـرف الـذال

حـرف الـراء

حـرف الـزاي

حـرف السـين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حـرف الكـاف

حـرف الـلام

حـرف الميـم

حــرف النــون

حــرف الهــاء

حــرف الــواو

حــرف اليــاء

فهرس الأشعار

حرف الهمزة

الهمزة المضمومة

الهمزة المفتوحة

الهمزة المكسورة

حرف البـــاء

البـــاء المضمومـــة

الباء المفتوحة

الباء المكسورة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
		الباء الساكنة		
الطلب	الرمل	4	كشاجم	438
		حرف التاء		
		التاء المضمومة		
قوت	البسيط	1	الحريري	135
الرحمات	الكامل	2	....	671
يثبت	مجزوء الكامل	2	....	213
		التاء المفتوحة		
حوشيتا	البسيط	2	ابو العلاء المعري	217
السبنتى	الوافر	2	ابو اسحاق الإلبيري	307
		التاء المكسورة		
امواتي	الطويل	1	....	41
حلت	......	2	كثير	102
ظنت	......	5	....	126
لاستقرت	......	1	جرير	439
ظلت	......	1	الطرماح	499
لولت	......	1	الطرماح	501
يقظة	......	49	المقرىء اليمني	670-667
المروآت	البسيط	2	الامام الشافعي	448
الدواة	مجزؤ الرمل	2	....	560
هيئته	السريع	2	....	587
كالعنكبوت	الخفيف	2	....	22
للعنكبوت	......	2	....	23
الاوقات	......	10	الحسن اليوسي	366-365

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
			الحاء المكسورة	
مطرح	الطويل	2	عروة بن الورد	464-463
المزح	......	2	ابو الفتح البستي	567
الراح	البسيط	1	اسحاق الموصلي	243
الربيح	الوافر	4	عمرو بن الإطنابة	465
راح	......	1	جرير	495
المزاح	الخفيف	1	البديع الهمذاني	274
			الحاء الساكنة	
وينشرح	الطويل	2	....	352
			حرف الدال	
			الدال المضمومة	
اذودها	الطويل	2	....	122
جمود	......	1	....	129
لجمود	......	1	ابو عطاء السندي	129
بد	......	1	المتنبي	351
معاد	......	2	....	364
راشد	......	3	ابو بكر الصديق	440
بعيد	......	6	عبيد الله بن عبد الله	445
محمد	......	1	حسان بن ثابت	486
جلودها	......	1	اوس بن مغراء	499
سادوا	البسيط	1	الافوه الاودي	59
ولدوا	......	1	....	76
حسدوا	......	3	الكميت الاسدي	219
الودد	......	1	الكميت الاسدي	220
قعدوا	......	2	زهير بن ابي سلمى	222
والولد	......	5	عمر بن الخطاب	440

القافيـة	البحـر	عـدد الأبيات	الشاعـر	الصفحة
الافنـــاد	....	3	مرداس الاسـدي	463
البعيـــد	مجزوء الكامل	12	طفيـل الاعـراس	597-596
بجدودي	الخفيـف	1	المتنبـــي	75

حـرف الـراء

الـراء المضمومـة

القافيـة	البحـر	عـدد الأبيات	الشاعـر	الصفحة
طـائـره	الطويـل	1	....	28
خبـــر	....	2	....	122
الـدهـر	....	1	....	169
امـــير	....	1	ابو نـــواس	221
الـزهـر	....	1	ابن الخطيـــب	343
كبـارهـا	....	1	الفـــرزدق	458
يضيرهـا	الطويـل	1	....	466
يحـــذر	....	1	ابو العتاهيـة	467
امـــور	....	2	سعيـد بن حميـد	475
تقصـــر	....	2	....	550
اطـــير	....	4	الاحيمـر السعـدي	551
ينتظـــر	البسيـط	3	....	361
والعـــار	....	2	عثمان بن عفـان	441
ظفـــروا	....	2	علي بن ابي طالب	442
تـــذر	....	5	عمر بن عبد العزيز	443
نـــار	....	1	الخنســـاء	495
قـــدروا	....	1	الاخطـــل	495
السهـــر	....	1	كعب الاشقـري	535
عـــذر	الـوافـر	2	....	352
الحمـــار	....	1	....	581
توتـــير	الكامـــل	2	....	143
اسفـاره	....	3	الحسن اليوسـي	216
يعســـر	....	2	....	377

الــراء المكســورة

الراء الساكنة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة

حرف الزاي

الزاي المفتوحة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
عجزا	المتقارب	1	الخنساء	372

الزاي الساكنة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
المجاز	مجزوء الرمل	1	....	36

حرف السين

السين المضمومة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
فارس	الطويل	1	....	112
حارس	......	1	عبدالله بن همام السلولي	159
المراس	الوافر	2	حبيب بن عوف	460-459

السين المفتوحة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
قوسا	الطويل	1	امرؤ القيس	163
اضراسا	البسيط	12	عبيد وامرؤ القيس	564-562

السين المكسورة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
امسه	الطويل	2	الحريري	64
من باس	......	2	....	346
نفسي	......	1	....	558
والناس	البسيط	1	الحطيئة	154
الكاسي	......	1	الحطيئة	275
انسي	......	4	ابن العريف الصوفي	368-367
والناس	......	1	الحطيئة	488
نفسي	الوافر	1	الخنساء	166

حرف الصاد

الصاد المضمومة

الصاد المفتوحة

الصاد الساكنة

حرف الضاد

الضاد المفتوحة

الضاد المكسورة

اللام المفتوحة

اللام المكسورة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
وقال	الوافر	2	....	354
الرجال	......	3	....	590
الثقال	......	3	بشار بن برد	605-604
منزل	الكامل	1	ابو تمام	41
المفضل	......	1	حسان بن ثابت	60
مفيل	......	2	ابو كبير الهذلي	94
المسبل	......	3	....	121
الرحل	......	1	امرؤ القيس	149
جهول	......	1	امرؤ القيس	250
بالمقبل	......	2	....	359
الاعمال	......	1	الاخطل	462
مقتلي	......	3	ابو دلف	479
الرحل	......	1	امرؤ القيس	484
الرحل	......	1	امرؤ القيس	489
المقبل	......	1	حسان بن ثابت	495
المنزل	......	1	عنترة	500
المآكل	......	1	عنترة	506
مجهل	......	1	....	528
فارحل	......	1	....	529
بالسؤال	الخفيف	2	العباس بن الاحنف	204
الذيول	......	1	عمر بن ابي ربيعة	578

اللام الساكنة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
بالامل	الرمل	1	لبيد	483
زوال	الرمل	7	عدي بن زيد العبادي	649-648
الحمول	السريع	9	جحظة البرمكي	614-613
الجعل	المتقارب	2	الاخطل	20

حـرف الميـم

الميـم المضمومـة

الميمـم المفتوحـة

الميم المكسورة

حرف النون

النون المضمومة

النون المفتوحة

القافيـة	البحـر	عـدد الأبيات	الشاعـر	الصفحة
تسيرونـا	......	3	عمروبن‌الحارث‌الجرهمي	650
الجاهلينـا	الـوافـر	1	عمرو بن كلثوم	472
العالمينـا	......	1	....	588
من انـا	الكامـل	1	....	33
عـونـا	......	3	حميد بن ثور	130
مضمونـة	......	2	عمر بن الوردي	612
ومهانـه	مجزوء الرمل	2	منصور الفقيـه	359
فزعنـا	الخفيـف	2	ابن لنكـك	362
عـوانـا	المتقـارب	2	ابراهيم بن العباس الصولـي	474

النـون المكسـورة

القافيـة	البحـر	عـدد الأبيات	الشاعـر	الصفحة
غرضـان	الطويـل	2	....	122-121
وافـان	......	1	....	130
خشنـان	......	1	بشار بن برد	141
بخـزان	......	1	امـرؤ القيـس	165
يـرانـي	......	2	ابو نـواس	311
يـرانـي	......	2	ابو نـواس	416
ضنـين	......	1	ابو مسلمة الكلابي	469
ابـوان	......	3	....	561
يعتنقـان	......	2	....	562
يبتـدران	......	2	....	589
بالـوان	البسيـط	10	الحسن اليوسي	5
الدمـن	......	1	الحريـري	106
حـين	......	1	ذو الاصبع العدواني	167
مكنـون	......	2	عروة بن اذينـة	220
وطـن	......	2	....	368
احسانـي	......	2	جحظة البرمكـي	445
الشـان	......	3	....	599

حــرف اليــاء

اليــاء المضمومــة

اليــاء المكسورة

اليــاء الساكنــة

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس الأرجاز

حرف اللام

اللام المفتوحة

اللام المكسورة

اللام الساكنة

حرف الميم

الميم المفتوحة

النون المضمومة

النون المكسورة

النون الساكنة

حرف الياء

الياء المكسورة

فهرس الملحون

فهرس الكتب

الكتـــاب	الصفحـة

فهرس الأمثال

مراجع التحقيق

[اثبتنا في هذا الفهرس المصادر التي كثر اعتمادنـا عليها في الشروح والتراجم وتخريج الأخبار والأشعار مرتبة على الحروف] .

(1) **أخبار الأذكياء** لابن الجوزي بتحقيق محمد مرسي الخولي (مطابع الأهرام 1970 م) .

(2) **اخبار الحمقى والمغفلين** لابن الجـوزي (طبـع المكتب التجـاري ببيروت .)

(3) **أساس البلاغة** للزمخشري (نشر محمد نديم 1953 م) .

(4) **الاستيعاب** لابن عبد البر (على هامش الإصابة مطبعـة السعـادة 1328 هـ) .

(5) **الاشتقاق** لابن دريد بتحقيق عبد السلام هارون (مطبعـة السنة المحمدية 1958 م) .

(6) **الإصابة** لابن حجر (مطبعة السعادة 1328 هـ) .

(7) **الأعلام** لخير الدين الزركلي .

(8) **اغاني** ابي الفرج الأصفهاني (طبعة دار الكتب المصرية) .

(9) **الاقتضاب ، في شرح ادب الكتاب** للبطليوسي (بيروت 1901 م) .

(10) **امالي القالي** (مطبعة السعادة 1953 م) .

(11) **البداية والنهاية** لابن كثير (السعادة 1328 هـ) .

(12) **بغية الوعاة** للسيوطي (السعادة 1326 هـ) .

(13) **بهجـة المجالس** لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمـري القرطبـي بتحقيـق محمد مرسي الخـولي (طبعة الدار المصريـة للتأليف والترجمة) .

(14) **البيان والتبين** للجاحظ بتحقيـق حسن السندوبـي (القـاهرة 1949 م) .

(15) **تاج العروس** للزبيدي .

(16) **تاج اللغة وصحاح العربية** للجوهري .

(17) **تاريخ الخلفاء** للسيوطي (الميمنية 1305 هـ) .

(18) **تاريخ محمد بن جرير الطبري** .

(19) **التشوف ، الى رجال التصوف** ، للتادلي نشر وتحقيق ادولف فور (الرباط 1958 م) .

(20) **التطفيل** لأبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (مطبعة التوفيق دمشق 1346 هـ) .

(21) **التعريفات** للشريف الجرجاني (الخيرية 1306 هـ) .

(22) **التنبيه** ، على أوهام ابي علي في اماليه لأبي عبيد البكري (مطبعة السعادة 1954 م) .

(23) **تهذيب اللغة** لأبي منصور الأزهري .

(24) **ثمار القلوب ، في المضاف والمنسوب** ، لأبي منصور الثعالبي (مطبعة الظاهر بالقاهرة سنة 1908 م) .

(25) **رغبة الآمل ، من كتاب الكامل** ، للمرصفي (القاهرة 1917 م) .

(26) **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** لمحمد حجي (المطبعة الوطنية بالرباط 1964 م) .

(27) **زهر الآداب** للحصري بتحقيق علي البجاوي (الحلبي 1953 م) وأيضا في نشرة محمد محيى الدين عبد الحميد .

(28) **سمط اللآلي** لعبد العزيز الميمني (لجنة التأليف 1936) م .

(29) **السيرة النبوية** لابن هشام بتحقيق مصطفى السقا والابياري وشلبي (القاهرة 1955 م) .

(30) **شرح ادب الكاتب** للجواليقي (مكتبة القدسي 1350 هـ) .

(31) **شرح ديوان الحماسة** للمرزوقي بتحقيق عبد السلام هارون (لجنة التأليف 1372 هـ) .

(32) **شروح سقط الزند** لجنة إحياء آثار ابي العلاء (دار الكتب 1368 هـ) .

(33) **شعراء النصرانية** للويس شيخو (بيروت 1890 م) .

(34) **الشعر والشعراء** لابن قتيبة بتحقيق احمد محمد شاكر (الحلبي 1364 هـ) .

(35) **صفة الصفوة** لابن الجوزي بتحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب 1969 - 1975 م) .

(36) **طبقات الشعراء** لابن المعتز بتحقيق عبد الستار احمد فراج (سلسلة الذخائر برقم 20) .

(37) **طبقات الصوفية** للسلمي بتحقيق نور الدين شريبة (دار الكتاب العربي 1953 م) .
(38) **الطبقات الكبرى** للشعراني نشرة محمد علي صبيح (مصر) .
(39) **الطرائف الأدبية** للميمني (لجنة التأليف 1937 م) .
(40) **العقد الفريد** لابن عبد ربه (لجنة التأليف مصر 1952 - 1956 م) .
(41) **العمدة** لابن رشيق بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر 1955 م) .
(42) **عيون الأخبار** لابن قتيبة (طبعة دار الكتب 1930 وطبعة الهيئة المصرية العامة 1973 م) .
(43) **الفائق في غريب الحديث** للزمخشري بتحقيق محمد ابو الفضل وعلي البجاوي (دار إحياء الكتب العربية 1945 - 1947 م) .
(44) **الفخري في الآداب السلطانية** لابن الطقطقي (المطبعة الرحمانية 1927 م) .
(45) **فوات الوفيات** لابن شاكر بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة 1951 م) .
(46) **القاموس المحيط** للفيروزبادي .
(47) **كشف الظنون** لحاجي خليفة (مطبعة العالم 1311 هـ) .
(48) **لسان العرب** لابن منظور .
(49) **المؤتلف والمختلف** للآمدي بتحقيق احمد عبد الستار فراج ، مطبعة الحلبي (مصر 1961 م) .
(50) **مجالس ثعلب** بتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف (القاهرة 1948 م) .
(51) **مجمع الأمثال** للميداني (البهية 1342 هـ) .
(52) **مروج الذهب** للمسعودي (السعادة 1948 م) .
(53) **المصباح المنير** للفيومي .
(54) **معاني الشعر** للاشنانداني (دمشق1340 هـ) .
(55) **معجم الأدباء** لياقوت نشره أحمد فريد الرفاعي (القاهرة 1336 - 1338 هـ) .
(56) **معجم البلدان** لياقوت (السعادة 1323 هـ) .
(57) **معجم الشعراء** للمرزباني بتحقيق احمد عبد الستار فراج (القاهرة 1960 م) .
(58) **معجم المطبوعات** ليوسف اليان سركيس (القاهرة 1928 م) .
(59) **معجم ما استعجم** للبكري بتحقيق مصطفى السقا (القاهرة 1945 - 1951 م) .

(60) **المعجم المفهرس** لألفاظ الحديث النبوي لونسنك وشركائه (ليدن 1936 - 1969 م) .

(61) **مفتاح السعادة** لطاش كبري زاده (القاهرة 1968 م) .

(62) **مقاييس اللغة** لابن فارس بتحقيق عبد السلام هارون (القاهرة 1362 هـ) .

(63) **نهاية الأرب ، في معرفة انساب العرب** ، للقلقشندي بتحقيق ابراهيم الابياري (القاهرة 1959 م) .

(64) **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير (المطبعة الخيرية مصر 1318 - 1322 هـ) .

(65) **وفيات الأعيان** لابن خلكان بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (مطبعة السعادة بمصر 1948 م) .





دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان

لصاحبها : الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) – الحمراء ، بناية الأسود
تلفون : Tel: 009611-350331 / خليوي : Cellulair: 009613-638535
فاكس : Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P. 113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم : 18 / 500 / 9 / 2006

الطباعة : دار صادر ـ بيروت ـ لبنان



MUḤĀḌARĀT FI AL-ADAB

Par

AL-ḤASAN AL YŪSĪ

Texte établi par

MOḤAMMED ḤAJJĪ　　AḤMED AL-SHARQĀWI IQBĀL

Vol. II



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI